



طف التضحيات ..مداد الانتصارات

وقائع ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر

في كلية الآداب- الجامعة المستنصرية

29-28 صفر 1440 هـ

7-8 تشرين الثاني 2018 م

رئيس الملتقى

الأستاذ المساعد الدكتورة

فريدة جاسم داره

عميد كلية الآداب/الجامعة المستنصرية



طف التضحيات مداد الانتصارات وقائع ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر ٢٠١٨



Altaf Sacrifices Constitute Support for Victories

Proceedings
Of
The Tenth International Academic
and
Cultural Forum

Held from
7-8 November 2018

President of Forum
Assistant Prof. Dr.

Farida J. Dara



طف التضحيات .. مداد الانتصارات

وقائع ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر
في كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

7 - 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 2018 م

28 - 29 صفر 1440 هـ

الأستاذ المساعد الدكتورة

فريدة جاسم داره

رئيس المؤتمر

عميد كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

اسم الكتاب: طفً التضحيات ... مدادُ الانتصارات

وقائع ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر
في كلية الآداب - الجامعة المستنصرية
7 - 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 2018
28 - 29 صفر 1440 هـ

رقم الإيداع للطبعة الثانية في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد - العراق:

702 في 2019 م

طبع: مطبعة كلية الآداب - الجامعة المستنصرية 2019

قياس: 25 X 17,5 سم

الطبعة الثانية؛ منقحة ومزيدة، حقوق الطبع محفوظة

إعداد وتنسيق وإخراج

أ.م.د. وسام مجيد جابر البكري

تصميم الغلاف

م.م. أثير محمد مجيد

لجان ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر

في كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

بعنوان:

“ طَفُّ التُّضحيات .. مَدادٌ للانتصارات ”

7 - 8 تشرين الثاني 2018

28 - 29 صفر 1440 هـ

أولاً: رئيس الملتقى:

الأستاذ المساعد الدكتور فريدة جاسم داره - عميد الكلية

ثانياً: مقرر المؤتمر:

أ.م.د. أحمد عبد خضير

ثالثاً: اللجنة العلمية:

1. أ.د. مهدي فالح الغزالي - رئيساً.
2. أ.م.د. جاسم محمد عبد - عضواً
3. أ.م.د. خلود علي عريبي - عضواً
4. أ.م.د. أحمد سلطان حسين - عضواً
5. أ.م.د. ذكرى جميل محمد حسين - عضواً
6. أ.م.د. عباس حسن رويح - عضواً
7. أ.م.د. رحيم محمد سالم - عضواً
8. أ.م.د. بيداء علي لطيف - عضواً

9. أ.م.د. عواطف نصيف جاسم - عضواً
10. د. علاء فاضل أحمد - عضواً

رابعاً: اللجنة التحضيرية:

1. أ.م.د. عواطف علي خريسان - رئيساً.
2. أ.م.د. رياض عبود هوين / عضواً
3. أ.م. أزهار زاير جاسم / عضواً
4. أ.م.د. مهدي داخل كاظم / عضواً
5. أ.م.د. أحمد قدوري عبد / عضواً
6. م.د. ماجد نصيف جاسم / عضواً

1. أ.م.د. وسام مجيد جابر البكري - تنظيم البحوث وتنسيقها، وإعدادها للطبع.
2. م.م. أثير محمد مجيد - تصميم الغلاف، وطبع الكتاب.

فهرست ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر

ص	المؤلف	العنوان	ت
ز	الأستاذ المساعد الدكتورة فريدة جاسم داره عميد كلية الآداب الجامعة المستنصرية	كلمة رئيس ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر	-
ط		البيان الختامي والتوصيات	-
1	د. بانة أحمد إبراهيم جامعة دمشق- سوريا	التحليل السياسي لواقعة الطف وعلاقته بظاهرة الحشد الشعبي	1
18	أ.م.د علي أفضل السيد أحمد موسوي جامعة طهران - إيران	الصورة الفنية والأساليب البلاغية في خطب الإمام الحسين (ع) وأثرهما في تغذية فكر المجاهدين في الحشد الشعبي	2
34	د. سر الختم إسماعيل محجوب عبد العزيز جامعة أم درمان الإسلامية السودان	طَفٌّ؛ لكي لا تُنتَهَكَ الحرية المصانة في الشريعة الإسلامية وحرية الرأي في القوانين المدنية	3
47	الأستاذ المشارك الدكتور عدنان طهماسب جامعة طهران - إيران	آثر الفكر الخارجي في الثقافة الداعشية وانعكاسه على الواقع العراقي المعاصر	4
55	الدكتور بهاء الوكيل لندن - بريطانيا	نهضة الحسين عليه السلام طريقنا لإصلاح واقعنا	5

69	د. عمّار الزويني الحسيني جامعة طهران - إيران	أيدولوجية الأدب الحسيني ودوره في شحذ همم الحشد الشّعبى - الزيارة الأربعينية أنموذجاً	6
94	أمنية محمد أبو العطا سالم جامعة الزقازيق جمهورية مصر العربية	التاريخ عن طريق المواقع الإلكترونية للاحتفال بموقعة الطف منذ ظهور مواقع التواصل الاجتماعي 2007 حتى 2018	7
107	أ.د. مقدم عبد الحسن الفياض جامعة الكوفة - العراق	الشعائر الحسينية بين التجديد العصري والارتباط التاريخي بمسيرة الإمام الحسين عليه السلام دراسة في تأثيراتها الاجتماعية	8
129	أ.د. موفق عبد العزيز الحسناوي الجامعة التقنية الجنوبية - العراق	الأبعاد الأخلاقية في واقعة الطف وإمكانية توظيفها في بناء الشخصية الإسلامية	9
150	أ.د. إنعام قاسم خفيف جامعة ذي قار - العراق محمود محمد الجبوري جامعة الموصل - العراق	لغة الخطاب للمرجعية الدينية واقعة الطف ودورها في محاربة الإرهاب	10
169	أ.د. محمد بشير حسن راضي العامري جامعة الإمام جعفر الصادق (ع) أ. د. عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي الجامعة العراقية - العراق	تضحيات أهل الأندلس المالكية في إحياء واقعة الطف بمؤلفاتهم وقصائدهم	11

184	أ.د. قتيبة محمد مجيد أ.د. خضير نعمة هادي الجامعة المستنصرية - العراق	معركة الطف بوابة للانتصار على الفساد واجتثاثه	12
206	أ.د. رباح أحمد مهدي الجامعة المستنصرية - العراق أ.د. هيام فهمي إبراهيم الجامعة العراقية - العراق	القيم الإنسانية المستوحاة من ثورة الإمام الحسين (ع) وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي	13
220	أ.د. سمر رحيم الجامعة المستنصرية - العراق أ.م.د. علي عبد المطلب المدني جامعة الكوفة - العراق	ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أساس الانتصار في معارك التحرير العراقي خلال التاريخ المعاصر	14
235	أ.د. إسراء حسين جابر الجامعة المستنصرية - العراق م.م. آلاء شفيق وهاب الجامعة المستنصرية - العراق	ثورة الإمام الحسين؛ مشروع نهضوي للانتصار على الإرهاب (داعش) أنموذجا	15
255	أ.م.د. عائدة محمد عبید جامعة الموصل - العراق علي محمد الجيوري الموصل	المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف ودورها في محاربة الإرهاب	16
279	أ.م.د. أحمد بهاء عبد الرزاق جامعة الكوفة - العراق م.م. زينب عبد السلام عبد الحميد جامعة الكوفة - العراق	تأملات ودروس في خطب الإمام الحسين (ع) يوم الطف الحوار الحسيني أنموذجا	17

296	أ.م.د. علي محمد ياسين جامعة كربلاء - العراق	ببيلوغرافيا المقتل الحسيني	18
312	أ.م.د. عدنان مطر ناصر جامعة المثنى - العراق م. جنان شهاب أحمد جامعة القادسية - العراق	ثقافة سلوكيات القيادة الرؤيوية في شخصية الإمام الحسين (ع) دراسة في أنثروبولوجيا الإدارة	19
337	أ.م.د. ندى موسى عباس الموسوي جامعة ديالى - العراق نضال علي عبود الربيعي وزارة التربية - العراق	قيم الشهادة بواقعة الطف عند الأدباء العرب وتجليات النصر على داعش	20
364	أ.م.د. رسول مطلق محمد جامعة بغداد - العراق د. سوزان محمد الجامعة المستنصرية - العراق	الطف والحشد: درس وعبر- دراسة اجتماعية لتأصيل الفعل المقاوم	21
388	أ.م.د. قاسم شعيب السلطاني جامعة النهدين - العراق يحيى شعيب عباس باحث قانوني - العراق	دور النهضة الحسينية في تعزيز الهوية الوطنية	22
414	أ.م.د. هناء كاظم خليفة الجامعة المستنصرية - العراق	أثر واقعة الطف بمنهج الحشد الشعبي ودورها في صناعة هويته	23
440	أ.م.د. ماهر صبري كاظم الجامعة المستنصرية - العراق	الدروس والعبر لواقعة الطف وأثرها على الواقع العراقي	24

452	أ.م. د. أنوار محمد عيدان السوداني الجامعة المستنصرية - العراق	الإيثار بين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام والحشد الشعبي من وجهة نظر نفسية	25
470	أ.م.د. ياس خضر عباس العباسي الجامعة المستنصرية - العراق	ترجمان الطف؛ التظاهر الدوري والنص الإثنوغرافي - بحث تطبيقي في الأنثروبولوجيا الثقافية	26
488	د. مصعب مكي زبيبة جامعة الكوفة - العراق	الشعر الحسيني وأثره في شحذ الهمم - الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي أنموذجاً	27
504	م.د. حيدر زوين جامعة الكوفة - العراق	ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي	28
517	م.د. شيرين قاسم عبد الرضا جامعة الفرات الأوسط التقنية - العراق م. وسام صالح عبد الحسين جامعة بابل - العراق م.م. نسرين قاسم عبد الرضا جامعة بابل - العراق	واقعة الطف وأثرها في سلوكيات مقاتلي الحشد الشعبي	29
532	د. مهدي عبد الأمير مفتن جامعة بابل - العراق د. راسم أحمد عبيس الجرّياوي جامعة بابل - العراق	الحماسة في الشعر الحسيني وأثرها في انتصارات الحشد الشعبي	30

559	م.د. خديجة حسن علي القصير التاريخ الإسلامي	التوثيق الإعلامي لواقعة الطف الخالدة في المصادر التاريخية	31
576	م.د. ستار جبار راضي الجامعة المستنصرية - العراق م.م. عبد الرسول فرحان حاجي الجامعة المستنصرية - العراق	الطف وتأسيس اللحظة التاريخية للانتصار	32
593	د. صباح كاظم بحر العامري الجامعة المستنصرية - العراق	أثر الثورة الحسينية في تحولات صور الخطاب الجهادي - الحشد الشعبي أنموذجاً	33
631	د. محمد عبود عبد الرسول الجامعة المستنصرية - العراق	الخطاب الديني المعتدل لعميد المنبر الحسيني - أحمد الوائلي مع توثيق تراثه الفكري والخطابي في البيئة الرقمية	34
651	م.م. صلاح عوده عبد الأمير الدعمي تربية كربلاء - العراق	أساليب القوة الناعمة في الخطاب الحسيني - الجانب الإنساني أنموذجاً	35
672	م.م. إسراء مهدي عبد الأمير الخفاجي الجامعة المستنصرية - العراق	داعش هم الامتداد الطبيعي لقنلة الإمام الحسين عليه السلام	36
691	د. هيام طعمة مطلق قسم اللغة العربية كلية الإلهيات برديس فارابي جامعة طهران	الزيارة الأربعينية	37

707	أ.م.د. هدى محمد سلمان مركز البحوث التربوية والنفسية جامعة بغداد	البعد الفلسفي للنهضة الحسينية وأثره في منتسبي الحشد الشعبي نموذجاً	38
-----	---	--	----

Contents

No	Title	Author	P.
39	LEGACY OF IMAM HUSAIN'S RESISTANCE AGAINST TYRANNY: ARE WE CARRYING THE TORCH?	Assistant Professor Dr. Syed Ali Kazim University Aligarh- India	E 1
40	Revolutionary teachings of Imam Hussain (A.S.) in fighting against the ISIS Takfiri terrorism	Ph.D. Student Yasir Ali Mirza University New Delhi, India	E 3
41	Boldness and Courage Of Zainb Al Kubraa (Peace Be Upon her) from Karbala to Mosel an Exemplary Model of all Ages	Dr. Tatheer Assim Faiq Mustansiriyah University - Iraq	E 4

42	A Critical Discourse Analysis of Some selected Articles on Imam Hussein's (AS) Ideology of Sacrifice	Dr. Farah Abdul-Jabbar Almnaseer Al-Mustansiriyah University - Iraq	E 16
43	Analytical Study of the Intonation of Imam Hussain's speeches for his army and his family in AL TAFF Battle) the last two speeches(Instructor Rafida Mansoor Al Hilou Ph.D. University of Mustansiriyah -Iraq	E 34
44	Characterization and Metalepsis in Al-Hussein's Voice and A Black Mass	Assist Lect. Hind Sabah Bilal University of Kufa	E 47

كلمة رئيس ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر

الأستاذ المساعد الدكتورة

فريدة جاسم داره

عميد كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، ولا سيما خاتم الأنبياء وسيدّ الرسل والأصفياء أبي القاسم محمد، وعلى آله الأطهار، وصحبه المنتجبين الأخيار.

- معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور جمال العادلي المحترم
 - السادة الوزراء والنواب والعمداء والمدراء العامون المحترمون
 - السيد رئيس الجامعة المستنصرية الأستاذ الدكتور صادق محمد الهماش المحترم
 - السيدات والسادة ... ضيوفنا الكرام.
 - زملائي التدريسيون ... أبنائي الطلبة
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

لا ريب في أنّ واقعة الطف تحمل معاني كبيرة، أبرزها التضحية في سبيل الحق والحرية، وكان لرموز هذه الواقعة أثر فاعل وعظيم في مقارعة الظلم والجور والعدوان، لأجل بناء مجتمع إنساني متكامل تسوده الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، وتتحقق فيه العدالة والأخوة والحرية والمساواة، وباقي القيم الإنسانية التي تحفظ حقوق الانسان وكرامته، كما أعطت الدروس المشرقة عن التضحية في سبيل القيم الإسلامية والإنسانية. ولذا كان من الضروري، امتداد واقعة الطف ما دامت الدنيا باقية، ومادام الصراع بين جيش الحق والهداية وجيش الباطل والضلال مستمرا، فما زال آل أمية، ومن لفّ لفهم يحرضون على قتل أتباع الحسين (ع) ومن يخالفهم في الرأي والعقيدة!، وطف كربلاء ما زال مستمرا إلى يومنا هذا عبر الجرائم التي يرتكبها زمر التكفير والظلام ضد العراق وشعبه ومقدساته، ويقيناً أن الممارسات الوحشية وقطع الرؤوس التي تمارسها التنظيمات الإرهابية الداعشية ضد المخالفين لهم بالرأي والمعتقد، ما هي إلا جرائم ضد

الإنسانية؛ فالعراق الذي أستيبحت حرمانه، وسببت نساؤه، ونحر أبنائه، ونسفت معالمه التاريخية، وسرقت آثاره، وأحرقت مكتباته، التي كانت عامرة بكتب الفقه والثقافة والعلوم والأدب، العراق تعرض إلى حرب إبادة جماعية، واستنزاف لموارده الاقتصادية، وقتل لكل ما هو جميل فيه، وكله جميل.

وقد حقق موقف المرجعية الحكيمة متمثلة بأية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظلّه في الثالث عشر من شهر حزيران لعام أربعة عشر وألفين استعادة الإرث الحسيني وثورته، دفاعاً عن الحق بعد أن باتت بغداد ومدن عراقية عديدة مهددة بالسقوط، فكان أمر المرجعية الأقوى والأعلى عندما دعت إلى الجهاد الكفائي بصوت مليء بالعزة والخوف على العراق أرضاً وشعباً للتصدي لقوى الشر والضلالة المتمثلة بعصابات داعش الإرهابية .. وهبّ رجالنا من القوات المسلحة، وقوى الأمن الداخلي وجهاز مكافحة الإرهاب وفصائل الحشد الشعبي كافة؛ لتلبية النداء، وغيروا مسار الأحداث، وقلبوا الموازين رأساً على عقب. رجال فتح الله بصيرتهم ، هم كما قال الإمام علي عليه السلام: ((حملوا بصائرهم على أسياهم))، وتجلت صور معركة الطف أمامهم ، فاختاروا معسكر الحق ، ليقاتلوا معه، وينصروا الحسين عليه السلام وإن لم يكونوا حاضرين ، وهزوا سيوفهم الحمر ، حين نادى الحوراء زينب عليها السلام، ألا من ناصر ينصرنا ، فعلا هتافهم: (لبيك يا زينب) وتسارعوا للشهادة ، يجودون بأنفسهم لا يهتمهم إن تقطعت أجسادهم، يواسون بها الإمام الحسين عليه السلام ، ويطلبون الكرامة من الله بأن ينالوا الشهادة ، ليحشروا مع سيد الشهداء عليه السلام، تاركين الأهل والمال لأجل إعلاء راية الحق ودحر الباطل.

فقواتنا المسلحة وقوى الأمن الداخلي وجهاز مكافحة الإرهاب والحشد الشعبي بتلبيتهم لنداء المرجعية الدينية، واستجابتهم للجهاد لنصرة الوطن والدين والمعتقد، أثبتوا أنهم الأحفاد البررة، لأولئك الرجال الذين قاتلوا مع الحسين عليه السلام واستشهدوا دونه، وإنهم على سيرة أجدادهم، ماضون بنفس العزيمة والإباء والإيمان بالعقيدة، فلم يكن استجابتهم للفتوى المقدسة من فراغ، أو وليد صدفة، بل هو نابع من الثورة الحسينية التي أيقظت فيهم روح الجهاد والبطولة والتضحية بالغالي والنفيس؛ وأقصى غاية الجود: الجود بالنفس.

إن رجال العراق والمرجعية من قواتنا المسلحة وقوى الامن الداخلي وجهاز مكافحة الإرهاب والحشد الشعبي لم يهزمهم أبناء الأعداء، فهم مشاريع استشهاد طوعية، لحفظ الأرض والعرض. وتجاربنا الفعلية أثبتت للعالم، بأن الحسين سر انتصارنا! وصفات الحرية التي منحها شهداؤنا للناس جميعاً، توضح أنهم رجال على قدر الفتوى العظيمة، لكونهم أبناء الطف، وأنصار الحسين (عليه السلام)، فطوبى لمن قدم روحه من أجل الوطن والدين والمعتقد، فقد عادت الطفوف من جديد، وعاد يزيد بفكره المنحرف مرة أخرى عبر فكر الدواعش الأنجاس وسلوكهم، لكنهم لا يدركون أن كل يوم كربلاء، وكل أرض عاشوراء، فلا مجال للشك أبداً، إن أحرار جيشنا وحشدنا المقدس، نهضوا بقلوب صامدة مفعمة بالكرامة والولاء، لسحق الدواعش، وليسطروا أروع ملاحم البطولة والفداء، كونهم يسировون على طريق مرجعي مسدد إلهياً! فانتصارنا امتداد لانتصارات كربلاء المقدسة والإمام الحسين عليه السلام.

الأخوات والإخوة الكرام

في هذا المحفل الكريم نود القول بأن عمادة كلية الآداب في الجامعة المستنصرية حرصت على أن تعقد ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر تحت عنوان ((طف التضحيات .. مداد الانتصارات))؛ لنتحاور ونتباحث طيلة يومي الملتقى، هذه الثيمة الأساسية التي ضمت سبعة محاور مهمة، تتناول بالبحث والنقاش ((واقعة الطف وتجليات النصر على داعش الإرهابي؛ فدروس الطف بوابة للانتصار على الفساد واجتثاثه، وتجليات الإبداع الترجمي في نقل واقعة الطف الى الآخر، والبعد الفلسفي والتاريخي لتضحيات الطف في إلهام منتسبي الحشد الشعبي وشحذ همهم، والمحددات النفسية والاجتماعية لملحمة الطف، وأثرها في صناعة النصر واستمراره، والأدب الحسيني ولغة الخطاب ودورها في استلهام روح النصر على داعش الإرهابي، وأخيراً التوثيق الاعلامي والرقمي لواقعة الطف الخالدة.

شارك في هذا المؤتمر عدد من باحثي كليتنا وغيرها من الكليات والأقسام العلمية المناظرة في الجامعات العراقية الحكومية والخاصة، فضلا عن مشاركة لباحثين عرب وأجانب تتعلق بموضوعات تخصصية، وباللغات المتعددة

العربية والإنكليزية والفرنسية، وقد حرصنا على قبول الأبحاث والأوراق العلمية الرصينة، والمنسجمة مع محاور الملتقى وأهدافه المنشودة، فتنوعت العنوانات، وتميزت المضامين بتنوع هويات المشاركين ومشاربهم المعرفية، وقد وصل إلينا أكثر من خمسة وسبعين بحثاً من جامعاتنا ومراكزنا البحثية؛ فضلاً عن المشاركة الخارجية، وتم تحكيم الأبحاث، وفقاً للمعايير الأكاديمية بعد عرضها على نظام الاستلال الإلكتروني، ولجان الخبراء المتخصصين، فاعْتُمِدَ اثنان وأربعون بحثاً وورقة عمل، ونُشِرَتْ وقائع المؤتمر في كتاب، وسيوزع على الباحثين الكرام عند بدء الجلسات بإذنه تعالى.

وقد تميز ملتقى هذا العام من ملتقيات الأعوام السابقة بإضافة نوعية سواء على مستوى اختيار ثيمة الملتقى الذي يحاكي انتصارات شعبنا على الجماعات التكفيرية والتنظيمات الداعشية، ومحاوره التي تنوعت بين جلسات بحثية، وورش عمل، وعروض فلمية، إذ قُدِّمَ (47) سبعةً وأربعون فلماً روائياً ووثائقياً يحاكي انتصاراتنا على جماعات داعش الإرهابية، ثم عُرضت على لجان الفرز والخبراء لاختيار أفضل تسعة أفلام؛ فضلاً عن إقامة معرض المخطوطات والوثائق النادرة، مع تخصيص جوائز مالية ومعنوية لأفضل ثلاثة أبحاث، وثلاثة أفلام روائية ووثائقية، كما تميّز الملتقى بحضور عربي وإقليمي ودولي لدول عديدة، منها مصر وسوريا والسودان وإيران والهند وبريطانيا.

وبالنيابة عن منتسبي كلية الآداب في الجامعة المستنصرية وبالأسالة عن نفسي لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى السيد رئيس الجامعة المستنصرية، لِمَا وقَّره من تسهيلات، فلم يَبْخَلْ علينا بوقتٍ واهتمامٍ ودعمٍ ماليٍّ ومعنويٍّ لنجاح نشاطاتنا العلمية والثقافية، كما نتقدم بالشكر والامتنان لباحثي الخارج، الذين شرفونا وتجنَّسوا عناء السفر للوصول إلى بلدِهِم الثاني العراق، والإسهام في رفد الحركة الفكرية والثقافية فيه. كما أشكر جهود الباحثين العراقيين من النخب الأكاديمية والثقافية على تنوع تخصصاتهم لِمَا أبدوه من تعاونٍ وحماسٍ سواء في بحوثهم أم لحضورهم أو بما سيرفدوننا به من رؤى وتصوراتٍ علميةٍ عن ثيمة الملتقى، ولا يفوتني في هذا المحفل الكريم أيضاً أن أقدم شكرِي وامتنانِي الكبيرين للأستاذ حيدر جلوخان ولقنوات كربلاء الفضائية لمساهمتهم الفاعلة في تقديم الدعم الفني والتقني والتغطية المباشرة لفعاليات هذا الملتقى والمشاركة في

اختيار أفضل الأفلام الوثائقية، كما أشكرُ لجانَ الملتقى العلمية والتحضيرية والإدارية والمالية لما بذلوه من جهدٍ في الأعدادِ والتحضيرِ، مما أسهمَ وبشكلٍ فاعلٍ في إنجاحِ هذا المهرجانِ العلمى والثقافى وإظهاره بهذه الصورة المتألقة والمبدعة.

باركُ الله بجهودِ الجميع، ومزيداً من التألقِ العلمى والبحثى لكلية الآداب بوجودِ هذه النخبة المثقفة من أساتيدنا الأجلاءِ، وزملاي الأعراءِ ومنتسبينا الأوفياءِ.

ويستحضرني في هذا المحفلِ الكريم أبيات شعرٍ لدعبل الخزاعي رحمة الله أطلقتُ في حبِّ الأمامِ، الحسين عليه السلام إذ قال:

وقف الزمانُ على ضريحك سائلاً	ما السرُّ فيك كل يومٍ يخطرُ
والناس تبكي بالمجالس كلما	اسم الحسين على المنابر يُذكرُ
والمجد لا يهوى البقاء بمعزل	بل كان فيك المجدُ دوماً يفخر
أنت الذي أبقيت دين محمد	ووهبت رب العرش طفلاً يُنحر
قف يا زمان الآن فخراً وانحني	هذا الذي أفنى ملوكاً سيطروا
باق على مر السنين وكلما	ينهار جيلٌ ألف جيلٍ يظهرُ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأستاذ المساعد الدكتورة
فريدة جاسم داره
رئيس الملتقى
عميد كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

البيان الختامي والتوصيات

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الحضور مع حفظ المقامات والألقاب ...

السادة الباحثون من داخل العراق وخارجه ...

الزملاء التدريسيون المحترمون ...

طلابنا الأعزاء ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

لقد واصلت كلية الآداب في الجامعة المستنصرية ولسنوات خلت عقد ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي، يحدوها الأمل في خدمة الثورة الإنسانية-الحسينية بعرض مبادئها وشعاراتها وتسليط الضوء على أسباب قيامها، عبر البحث العلمي الرصين، وربط ذلك بما تمر به الأمة في عصرها الراهن. لقد ظلت معركة الطف الخالدة منذ وقوعها نبراساً يهتدي به الدثارون والمظلومون بقطع النظر عن انتمائهم القومي والديني والمذهبي، لأنها ثورة ضد الظلم والاستبداد والفساد الذي يعترى الأمم عبر تأريخها ونضالها ضد الطغاة والظالمين والمفسدين. وفي كل سنة منذ إقامته ينعقد الملتقى تحت شعار يختلف عن سابقه، من أجل البحث من زاوية معينة جانبا من جوانب تلك الثورة التي واطب الكتاب والفقهاء على دراستها منذ وقوعها في 61 للهجرة إلى الآن فضلا عن الشعراء الذين لم يكفوا في تخليد رموزها وبطولاتها.

وفي نسخته العاشرة ينعقد الملتقى تحت شعار (طف التضحيات .. مداد للانتصارات) ليبرز الدور الذي أدته واقعة الطف في شحذ همم مقاتلي القوات الأمنية والحشد الشعبي في مواجهة القوى الظلامية المتمثلة بداعش الإرهاب والتكفير.

لقد تسلمت قرابة خمسة وسبعين بحثاً تدرج تحت محاور الملتقى، وصادقت اللجنة العلمية على قبول ثلاثة وأربعين منها.

وفي ختام الملتقى توصل المشاركون فيه إلى جملة من التوصيات:

1. ضرورة توظيف نتائج البحوث المقدمة، والإفادة منها في الوزارات الأمنية للدولة لغرض تعزيز الروح المعنوية للمقاتلين وشد أزهرهم في مواجهة الإرهاب ومحاربة الفساد بأنواعه كافة.

2. اضطلاع وزارتي التربية والتعليم بمهمة تضمين بالدروس المستفادة من الثورة الحسينية، وأثرها في رفع معنويات مقاتلي الحشد الشعبي حتى تحقيق النصر النهائي على داعش الإرهابي.

3. توظيف وسائل التواصل الاجتماعي في فضح الفكر المنحرف والضال ومراقبة المروجين له، ووضعهم تحت طائلة القانون والملاحقة القضائية.
 4. إبراز دور النسوة ومعاناتهن في المناطق التي رزحت تحت سيطرة داعش، وتكريم اللائي وقفن مواقف بطولية ضد تلك الزمرة المنحرفة والمفسدة سواء في المشاركة في القتال أو من دفعن أزواجهن وأخوتهن وأبنائهن لمقاتلة الإرهابيين.
 5. ضرورة التأكيد على الخطاب الديني المعتدل، ونبذ التطرف بأشكاله كافة. وهذه المهمة توكل إلى المؤسسة الدينية والأمنية، وبخاصة في المناطق التي تحررت توأ من سيطرة الجماعات الإرهابية والتكفيرية تفاديا لتكرار المأساة.
 6. قيام مراكز البحوث التربوية والنفسية بدراسات معمقة للأبعاد الأخلاقية والقيم السامية لواقعة الطف، وتسخيرها في بناء الشخصية الإسلامية المعتدلة.
 7. إن من واجب مؤسسات الدولة كافة دون استثناء فضلاً عن الفرد في مجتمعه محاربة الفساد واجتثاثه، والدعوة إلى الإصلاح والعمل عليه باستلهم دروس واقعة الطف التي من أهم مبادئها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف بوجه المفسدين أياً كان الثمن.
 8. جعل توصيات المرجعية الدينية العليا وإرشاداتها منهاج عمل يومي للفرد والمجتمع على حد سواء في محاربة الإرهاب والفساد، وملاحقة دعاة الفتنة والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد.
 9. إقامة المهرجانات الشعرية والخطابية في الجامعات والمنديات الفكرية؛ لشد أزر مقاتلي القوات الأمنية بصنوفها كافة.
 10. عقد مقارنات بين الطف والحشد (وترجمتها للغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والروسية) وتقديم ذلك في شكل إصدارات من وزارة الثقافة؛ للتعريف بتأثير دروس الطف في صناعة النصر على داعش، الذي تحقق بدماء الحشد الشعبي المقدس والقوات الأمنية.
- ختاماً، نود أن نعبر عن شكرنا الجزيل وامتناننا العميق لكل من تجشم عناء السفر، ومن أسهم ببحث لغرض إنجاح الملتقى.
- ومن الله نستمد العون والسداد.

كَبَّ بِيغْدَاد

في التاسع والعشرين من صفر عام 1440 هـ

الموافق للثامن من تشرين الثاني عام 2018 للميلاد

ظ

التحليل السياسي لواقعة الطف وعلاقته بظاهرة الحشد الشعبي

الدكتورة بانه أحمد إبراهيم

كلية الآداب - جامعة دمشق

banebrahim0@gmail.com

Abstract

The Incident of Al-Taffis analytically viewed in a prismatic way from a Top-down perspective. It is noticed that the historical, philosophical and psychological dimensions form its triangular base as the nuclear content of the event is analyzed and the aspects of each dimension are then extracted, produced then projected, especially the psychological aspect, on those affiliated to Al-Hashd Al-Sha'bi (public processions) so as to explain the way they imitate its sacrifices and its behavioral and ideological model.

First-The Historical Dimension:

The research shows that Al-Taff event has a symbolic national and historical effect at the level of an Islamic nation. It also represents one of the historical continuance in its growth due to its unique ability in bringing up the past into the present and its ability in reviving itself adding to the automatic historical renewal, whereas other historical events fade with the passage of time which granted it, as a historical event, a feature of survival as a fixed event, and making it a turning point in changing the course of historical events with effects that transcend its present era over successive historical stages, leading to the individual decision to become a model to what is called the historical decision.

When analyzing the historical peak of AL-Taff incident, we find that two basic elements of the Y and X axes of a graph: the event and the decision where both ascend simultaneously and gradually in parallel to each other. Every decision goes side by side with a parallel event peaking in the martyrdom of Immam Al-Hussein [PBUH], then descends but remains in a state of a historical existence and stability, when the graph of this is annually commemorated and keeps its ascending temporal and spatial density that makes a unique historical event at the level of its historical elevation and the cause of the collocation between the spiritual beliefs and the historical events comes back again through the most ever present lively historical symbolism represented in the blood of martyrs, added to the historical models in political conflict which repeats itself through history, in addition to the unsurpassable models of sacrifices that no other historical model would ever be compared to, despite the so many of them as they faded from the stage of the present time events,

and did not historically survive as Al-Taff battle.

Second-The Philosophical Dimension:

Al-Taff incident forms a special philosophy that is clearly revealed in its outputs, notions and its supreme goal. This philosophy clearly appears through the sublimation of the human psyche towards perfection and exaltedness. It is always noticed that in every detail, the philosophy of morals, the conflict between right and wrong, the belief of eternity, and philosophy of immorality presented by this event through its historical figures where the humanitarian symbolism ascends and the ideology of self-sacrifice is reflected in the figure of Al-Imam Al-Hussein Bin Ali-[PBUH], and where both the philosophical perceptible and existential currents are clearly revealed through the conflict between what is secular and physical, and what is religious and absolute, on the other hand. The incident presents a model on divinity, and immortality after death. The philosophy of affinity to godhood (love of Allah, the Almighty), grows and fosters up to the degree of identification in another philosophy that is represented in dedicating itself for the other selves.

التحليل السياسي لواقعة الطف وعلاقته بظاهرة الحشد الشعبي

الدكتورة بانه أحمد إبراهيم

كلية الآداب - جامعة دمشق

banebrahim0@gmail.com

مقدمة:

تتناول الباحثة في التحليل العلمي واقعة الطف كظاهرة اجتماعية بشكل موشوري من الأعلى، ويُلاحظ أن المحور التاريخي والمحور الفلسفي والمحور النفسي يشكلون قاعدتها الثلاثية، وعليه يُحلل مضمون الواقعة النواتي، بمعنى تُحلل الأحداث المتفق عليها في معظم المراجع التاريخية، وتُقرأ قراءة تحليلية لمضمونها ومفاهيمها في كل من المحوريين الأساسيين التاريخي والفلسفي، ثم تُسقط مضامين الأبعاد المستنتجة على منتسبي الحشد الشعبي بصفتهم فاعلين سياسيين في العراق، وعلى حراكهم ذي الصلة بشكل مباشر أو غير المباشر بواقعة الطف، ويُصار في النهاية إلى تفسير كيفية تمثلهم كحركة سياسية تضحيتها وأنموذجها الفكري والسلوكي، وكيف تلهمهم الواقعة وتستنهض همهم وتستنير دافعيتهم لقتال داعش.

أولاً: مشكلة البحث:

يعتبر التحليل العلمي الاجتماعي مهمة بحثية ومسؤولية لا يُستهان بها، خاصة في ظل ندرة أو انعدام البحث العلمي الاجتماعي الأكاديمي والمنهجي لواقعة الطف بحسب علم الباحثة، فهناك ندرة في تناولها كظاهرة تخضع للبحث العلمي الأكاديمي، و ثمة تأطير يحكم التحليل العلمي البحثي لواقعة الطف بحسب ما هو موجود في الإرث الفكري والمعرفي حيالها، فغالباً ما تُدرّس من جانبيين تقليديين، يتمثل الجانب الأول في تناولها بكثرة من زاوية الدراسات الدينية والسياسية، ويتمثل الجانب الثاني في الجانب النقدي الذي يعتمد على الإدحاض المنطقي والحجج الدينية، وغالباً ما تنتهي بإبداء الرأي الشخصي غير الموضوعي نسبياً عن ذات الباحث.

ويغني ثراء واقعة الطف في الجانب المادي واللامادي الرمزي ميادين العلوم الإنسانية، فهي تعتبر موضوعاً مهماً جداً للبحث الأكاديمي كظاهرة اجتماعية تخضع لقواعد ومنهجية بحثية علمية، وترتبط بالعلوم الاستشرافية

للمستقبل، كما تفرض الظروف السياسية التي يعيشها العراق كوطن الواقعة الذي يمر في واقع محاربة الإرهاب، ضرورة استنهاض همم شعبية عبر تشكيل حركات سياسية اجتماعية كالحشد الشعبي، ولذلك فإن تحليل مضمون واقعة الطف ضرورة معرفية في الكشف عن تجلياتها الفكرية والسلوكية، ومقدار أثر نتائجها على تجربة الحشد الشعبي العراقية.

ثانياً: أهمية البحث:

أ- **الأهمية النظرية:** تأتي الأهمية النظرية لهذا البحث من أهمية واقعة الطف أولاً، ومن رصد علاقتها التاريخية بالحاضر، ونمط هذه العلاقة، وصفاتها، ومقدار مرونتها، ومدى ديمومة فلسفتها وأثرها في النفس البشرية في ظل عالم سياسي عربي متغير وجوداً ووعياً.

ب- **الأهمية العملية:** تتمثل تناول الواقعة بطريقة تحليل المضمون الكيفي التي تضمن بها الأبحاث العلمية كمنهجية وتندر، مما يزيد معرفة على أर्थها المعرفي ويغنيها كمنهجية بحثية في العلوم الاجتماعية، وتعتبر هذه الدراسة الأولى في تحليل مضمون الواقعة على حد علم الباحثة.

ثالثاً: أهداف البحث:

أ- **الهدف النظري:** يهدف البحث إلى دراسة الواقعة من جانب علمي جديد، وتبيان أبعادها التاريخية والفلسفية الضمنية ليبين مدى ارتباط الظاهرة بتجربة الحشد الشعبي في العراق.

ب- **الهدف العملي:** يهدف البحث إلى السعي البحثي والتكثيف العلمي لاستخدام طريقة تحليل المضمون الكيفي في الظواهر الاجتماعية، وخاصة الحوادث الدينية المتواترة تاريخياً، وأن يؤسس لاحقاً على نتائج هذه الدراسة دراسات تفويمية ترصد حركة المتغيرات الثقافية والسلوكية لدى الحركات المقاومة الشعبية كالحشد الشعبي العراقي.

رابعاً: أسئلة البحث:

- أ- ما الأبعاد التاريخية التي تنطوي عليها واقعة الطف؟
- ب- ما الأبعاد الفلسفية لواقعة الطف؟
- ج- أي من الأبعاد المبحوثة (التاريخي، الفلسفي) أكثر حضوراً في مضمون الواقعة؟.
- د- ما شكل العلاقة ونمطها بين البعدين في الواقعة؟.

هـ - كيف تتجلى هذه الأبعاد في تجربة حركة الحشد الشعبي العراقي وشحذ همهم؟

خامساً: منهجية البحث:

- أ- المنهج: يعد البحث من دراسات المنهج الوصفي التحليلي.
- ب- الطريقة: يُعتمد في البحث طريقة تحليل المضمون، عبر وحدة تحليل (وحدة الموضوع).
- ج- وحدة التحليل: وحدة تحليل الموضوع المتمثلة ب(أحداث واقعة الطف).

وبهدف تحديد وحدة الموضوع (النواتية) للواقعة الطف بشكل دقيق، قامت الباحثة بالخطوات التالية:

1. الرجوع لمرجعين من مراجع لمعرفة صحة إسناد وورود أحداث واقعة الطف بينهما، وهي كتاب (الحسين أبو الشهداء) للكاتب عباس محمود العقاد، وكتاب (الملحمة الحسينية) للدكتور مرتضى المطهري.
2. مقاطعة الأحداث الواردة والمتفق عليها في كلا المرجعين.
3. إعادة صياغة واقعة الطف النواتية بشكل متسلسل ومسند، حيث تصبح هذه الواقعة بصياغتها هي وحدة تحليل الموضوع في طريقة تحليل المضمون المتبعة بالبحث.
4. ومن المفيد الإضافة أن الباحثة تستعين بشبكة علاقة المفاهيم من الباحثة (مارلين نصر، 1981) في دراستها بعنوان "المفهوم القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر" بهدف تبيان علاقة المفهوم الوارد في الواقعة مع المفاهيم الأخرى المرادفة له من حيث المعنى والدلالة خاصة في البعد الفلسفي للواقعة.

سادساً: مفاهيم البحث:

أ- واقعة الطف:

وتعرف إجرائياً بأنها الأحداث التاريخية التي وقعت في كربلاء على مدى ثلاثة أيام وختمت في 10 محرم سنة 61 للهجرة، وكانت بين الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب ومن معه أهل بيته وأصحابه، وجيش يزيد بن معاوية.

ب- تحليل المضمون: (Content Analysis):

يعرفها الباحث (كامل القِيم) بأنها "مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية لهذه المعاني من خلال البحث الكمي والموضوعي المنظم للسّمات الظاهرة في هذا المحتوى " (القيم، 2011، ص9).

ت- وحدة الموضوع:

ويُقصد بها إجرائياً الوقوف على العبارات أو الأفكار التي وردت في واقعة الطف بهدف تحديد بُعدها.

سابعاً: المناقشة:

تحدد الحوادث التاريخية بأبعادها ودلالاتها الواقع بالنسبة للأفراد، وتشكل هويتهم المجتمعية، وتؤثر في سلوكهم السياسي والاجتماعي والديني، وتعكس نمط العلاقات التوافقية أو الصراعية بين أفرادها في المنظومة السياسية الوطنية، وتوزيع الأدوار وهرميتها بالنسبة إليهم، لذلك فإن فهم أي حادثة برأي الباحثة يفترض قراءتها من ثلاثة جوانب: الجانب الأول: فهم الشكل العلني الذي تمظهرت فيه الواقعة، والجانب الثاني: دلالة الواقعة ومعناها الصريح والعلني، والجانب الثالث: هو اكتشاف المعنى الضمني الخفي للحادثة، إذ أنّهم مجموع هذه الجوانب قد يسهم في سبر غور الواقعة عميقاً وصولاً إلى المعاني المضمرّة ودلالاتها وأبعادها.

وتنطوي الحوادث التاريخية على فلسفة ما تقدم من خلالها ذاتها، وتبين أفكارها الفلسفية في التاريخ عبر العلاقة دلالة أحداثها المعرفية الفلسفية وموضوعها التاريخي ومعطياته، ويقول المنظر (فوكو ياما) يجب أن نتصور الظاهرة "كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجيات مختلفة، لأن الخطابات عناصر أو كتل تكتيكية في حقل علاقات القوي، قد تكون هناك أشكال متباينة منها وحتى متناقضة داخل الإستراتيجية الواحدة نفسها" (بغورة، 2000، ص: 278)، والظاهرة لا تقف عند الخطاب السياسي التاريخي فقط، بل يتعداه للظاهرة التاريخية ككل.

وتعتبر واقعة الطف حادثة تاريخية ذات جدل مستمر، وذات دلالة فلسفية روحية وإيمانية كونها تنتمي إلى نظام أيديولوجي يمر عبر الخطاب السياسي والديني، وبما أن "الأيديولوجية تقع في المسافة بين الواقع الحقيقي المتيقن وتصورنا عن الواقع" (محمد، 2013، ص:3)، فهذا يعني أن تجربة الحشد الشعبي بحراكه الاجتماعي السياسي هو نتاج أيديولوجي ديني فكري، حيث يعتبر منتسبو الحشد الشعبي الواقعة نقطة البدء في تاريخهم، ثم تحولت لتأخذ شكل الحراك السياسي العسكري المؤسّساتي في الحاضر، كما أن محاكاتهم لواقعة

الطف إيديولوجيا ودينياً يجعلها الدافع خلف أعمالهم القتالية الذين يستقون منها الهمة في القتال، وتحاكي الضمير الجمعي لديهم كما أشار له (ماكس فيبر)، وتمثل أبعاداً لظاهرة في اللاشعور الجمعي لديهم كجماعات متجانسة إلى حد كبير حسب عالمي النفس (أدلر و يونغ)، وعليه تشدّ الهمم من تاريخ الواقعة وأحداثها وتمثل شخصياتها كأنموذج مثالي مُلهم لهم في قتالهم العدو الحاضر (داعش)، والذي يتمثل في أنموذج العدو التاريخي (يزيد بن معاوية وجيشه)، مما يجعل الهمة القتالية أعلى درجة ومستوى وجداني لتحقيق الانتصار على داعش أسوة بشخصيات واقعة الطف وخاصة سيد الشهداء الأمام حسين بن علي عليه السلام ليكون خير مثال لهم في الدفاع والتضحية.

ثامناً: بيانات تحليل المضمون (واقعة الطف):

تشير الباحثة أن الواقعة غنية جداً بالدلالات والأبعاد، ولا يمكن ذكر كل دلالتها في هذا البحث، لذلك تم ضم بعض الدلالات الجزئية تحت عناوين الدلالات الكبرى والأكثر أهمية، وقد أولى البحث أهمية للشعارات والأقوال إلى جانب الأحداث في مقدماتها ونتائجها.

جدول (1) يبين البعد التاريخي والبعد الفلسفي لواقعة الطف

البعد الفلسفي	البعد التاريخي
1. التيار الديني الفلسفي	1. تجسد فكرة أن قراراً فردياً قد يغير مجرى التاريخ.
2. فلسفة الأخلاق	2. ترسيخ كاريزما القائد الملهم التاريخي
3. صراع القوى الخير والشر	3. الديمومة التاريخية.
4. مبدأ الخلود	4. أنموذج الشهيد تاريخياً ورمزية دمه.
5. الفلسفة الانطولوجية (مبدأ الحياة بعد الموت)	5. مسألة الوعي والوجود الاجتماعي.
6. مبدأ التضحية بالذات الوجودية	6. الجغرافية التاريخية وارتباط الواقعة بها.
7. الفلسفة الروحية	7. أثر الخيار التاريخي.
8. السعي إلى الخير المطلق	8. تصاعد الحدث إلى الذروة التاريخية.
9. مسألة الوجود	9. المنظومة الإنسانية والأخلاقية المركبة تاريخياً.
10. فلسفة حب الله	10. العمق التاريخي (حدث ماضٍ، و حدث مستحضر في الحاضر، و المستقبل ينتظر إحياء الواقعة في كل عام).
11. الرمز ودلالته الفلسفية	11. شكل من أشكال التأريخ والتوثيق التاريخي.
12. الفلسفة الروحية الحسية المجردة	12. أنموذج الصراع التاريخي بين تيارات سياسية مضادة لبعضها.
13. فلسفة بذل الذات	
14. الضمير الإنساني	
15. فلسفة الجسد المادي	
16. الفلسفة العقلية	

17. مبدأ الإنسانية	13. فرزها لمصطلحات وشعارات رمزية
18. البحث عن الحقيقة	أصبحت متداولة تاريخية.
19. الدين والديوية	14. منطق المنتصر تاريخياً (أي كيف يحدد
20. الصراع بين المبدأ والمنفعة	منطق التاريخ من هو المنتصر
21. تصعيد النفس الإنسانية	والمهزوم)
وهبوطها	15. أنموذج عن نظرية المؤامرة التاريخية
22. فلسفة الكفاح الديوية	16. الخطاب السياسي وتوظيفه في
23. العلاقة بين الجسد والروح	التاريخ (خطاب الإمام الحسين بن علي)
24. فلسفة الحق الأعلى	17. العلاقة بين الحاكم والمحكوم (نظرية
25. نظرية العناصر الأربعة	العقد الاجتماعي لدى توماس هوبز)
26. المنطق الاختياري والمنطق	18. تجسيد مبدأ الغاية تبرر الوسيلة لدى
الجبري	ميكافيللي (شخصية يزيد بن معاوية).
27. الديمومة الفلسفية للحادثة.	19. التلازم بين العقائد الروحية والمكاسب
	التاريخية.
	20. أثر العصبية القبلية في الحوادث
	التاريخية
	21. نظرية المركز والأطراف في السياسة
	(دمشق والحجاز).
	22. الدعوة القومية في بناء الأمة
	الإسلامية.
	23. دور الثغور الحدودية في التاريخ
	السياسي العربي (الكوفة)
	24. عرض لأنموذج الخلافة كأنموذج حكم
	تاريخي.
	25. دور الشعوب في الحركات السياسية
	التاريخية
	26. ارتباط فنون حرب حسب المكان
	الجغرافي (الحصار، منع ورود المياه،
	إغلاق الحدود المعسكر، حجارة، سهام،
	خيول)
	27. تبدل الأدوار و المكانات السياسية عبر
	التاريخ (انشقاق بعض المحاربين من
	معسكر يزيد وانضمامهم لمعسكر
	الحسين بن علي)
	28. أنموذج للحادثة المركبة تاريخياً (النساء
	والرجال والأطفال والشيوخ والعبيد

	<p>والمسيحي واليهودي والمسلم).</p> <p>29. أنموذج عن الولاء التاريخي الحقيقي وأنموذج الولاء المزيف أو المجبر بفعل الواقع.</p> <p>30. تاريخ يعيد نفسه عبر تكرار الواقعة لذاتها في قالب مختلف عبر تشابه أحداث كربلاء مع أحداث الحاضر في أنموذج داعش في العراق.</p> <p>31. سبيل الاستنثار بالسلطة تاريخياً.</p> <p>32. عرض أنموذج المرأة المحاربة تاريخياً في الحروب ودورها ووظيفتها.</p> <p>33. الاقتران التاريخي (كاقتران كربلاء بشخصية الأمام الحسين بن علي، واقتران أسم موقع الطف بحادثة المعركة)</p> <p>34. الضمير التاريخي.</p> <p>35. حادثة تاريخية مفتوحة للتاريخ والفكر في الإثبات والإسناد والبرهان.</p> <p>36. تبيان دور العوامل النهضوية تاريخياً في تاريخ الدول.</p> <p>37. تمثل نوعاً من الحروب الفكرية والعقائدية.</p> <p>38. تمثل حرباً في أنموذجين متضادين في الأخلاق.</p> <p>39. التوقيت السياسي التاريخي (وفاة معاوية قبل البيعة، توقيت خروج الإمام الحسين، توقيت العاشر من محرم)</p> <p>40. الدعوة للمواطنة الصحيحة في الدولة الإسلامية.</p> <p>41. رمزية الذكور في الحروب والنسل والذرية (شخصية الأمام علي بن زين العابدين بن الحسين)</p>
--	--

تاسعاً: مناقشة نتائج بيانات تحليل المضمون:

أ- البعد التاريخي:

لا يتسع هذا البحث لاستعراض كل مناقشات النتائج وتفسيراتها بسبب ثراء واقعة الطف بالمضامين والدلالة، لذلك تكتفي الباحثة بعرض أهم النقاط التي توضح الشكل العام لبعدها التاريخي بوصفها حادثة تاريخية.

تكشف الواقعة عن المستويات التراتبية الزمانية للحوادث في التاريخ العربي، فتجعل من فترتها الزمنية أهم فترات التاريخ العربي نتيجة لدورها ونتائجها في تغيير مجرى الأحداث التاريخية، وتبقى كحادثة تستأثر بمقدمة الأحداث التاريخية السياسية والدينية أهمية.

وتتسم بالرمزية التاريخية لاحتوائها على شخوص رمزية، ذات ودلالة روحية وأخلاقية، إضافة لقدرتها على ملازمة الواقع التاريخي في معطياته، مما يجعلها رمزية إنسانية تصلح لمواكبة حاله في كل زمان وفعله وتضفي عليها التأويلات التي تفسرها.

وثمة قدرة لها على السرد التاريخي الذي يظهرها بثوب عصري، مع الحفاظ على نواتها التاريخية وأهدافها، وهذا ما عبر عنه المنظر (بول ريكور) ب"أنه هناك نوع من السرد الذي يقوم على الأحداث المبلورة وأشكالها الزمانية العميقة وتؤدي وظيفة مرجع للحكايات عن الزمن" (بلجن، 2014، ص: 52)، وتؤدي واقعة الطف إلى الكشف عن ثراء فكري فلسفي يساعد في فهم الموضوع التاريخي ويبعده عن السكونية والتقليد، وهذا الأمر الذي منحها صفة الديمومة التاريخية في التوالدية في صيرورتها، فقدرتها المتفردة على استحضار الماضي في الحاضر، وأحياء ذاتها وتجدها التلقائي تاريخياً عبر إحياء الواقعة سنوياً، منحها سمة الديناميكية التاريخية كحادثة تاريخية وأبعدها عن سكونيتها.

ونجد في تحليل الذروة التاريخية للواقعة الطف أن عنصرين أساسيين يشكلان محور السينات والعينات في تمثيلها البياني وهما الحدث والقرار، مثال على ذلك (يقابل رمي سهم عمر بن سعد "أشهدوا لي عند الأمير يزيد بن معاوية- أني أول من رمى الحسين" قرار الإمام حسين في قوله "قوموا يا كرام فهذه رسل القوم إليكم" (العقاد، 1969، ص: 148-149)، حيث يتوازي الحدث والقرار في التصاعد التدريجي من حيث أثره في مجريات الواقعة، وعلى مبدأ النظرية الفيزيائية الاجتماعية (الفعل وردة الفعل)، فكل قرار يتصاعد مقابله حدث يوازيه، وتستمر هذه التفاعلات لتبلغ ذروتها في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ولكنها لا تتخفف نهائياً كباقي الحوادث التاريخية، بل تحافظ على ذروتها في الحاضر عبر مراسم عاشوراء السنوية، فيعود خطها البياني مجدداً في

التصاعد، مما جعلها حادثة تاريخية نادرة في مستوى إعلانها التاريخي ومتفردة في صعودها التاريخي.

تتمثل المطالب التاريخية الكبرى للإنسانية عبر الدعوة إلى الحرية، وإحقاق العدل الإنساني ورفع الظلم، وإعلاء الوجود البشري التاريخي: حين استشهد في خطبته الأمام الحسين بقول جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عبادة الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله" (العقاد، 1969، ص: 96)

وهدفت الواقعة إلى أعلاء شأن العقد الاجتماعي كعقد سياسي وأخلاقي بهدف تنظيم الحكم وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم في المجتمع و منحه الشرعية، فقد قال الأمام الحسين عليه السلام: "وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتمكم وأنكم لا تسلمونني ولا تخذلونني، فان بقيتم على بيعتمكم تصيبوا رشدكم." (العقاد، 1969، ص: 96)

قدمت واقعة الطف بشخصياتها أنموذجين متناقضين لما يعرف في علم الاجتماع بكاريزما الشخصيات التاريخية، كما وصفه عالم الاجتماع ماكس فيبر بمصطلح (كاريزما القائد الملهم، أو القائد الكاريزمي)، أي القائد التاريخي الذي يمتلك صفات تاريخية متفرد بها عن سواه وتعتبر القائد الملهم للأشخاص الذين يتأثرون به، وتمثل الأنموذج الأول في شخص الإمام الحسين بن علي عليه السلام، حيث اعترف خصمه معاوية بن سفيان بصفاته في قوله "وما عسيت أن أعيب حسيناً؟ والله ما أرى للعب فيه موضعاً)، وتمثل الأنموذج الثاني هو يزيد بن معاوية الذي اتفقت المراجع على صفاته بحسب ما أوردها عبد الله بن حنظلة" .. إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة." (مطهري، 2009، ص: 585)

تجسد مبدأ التضحية في معظم حوادث التاريخ بأن يكون مبدأً مشخصاً أي لأجل شخص الفرد الحاكم، أو لأجل الحصول على مكاسب، أو لنصرة قضية ما، وغالباً ما يُضحى بالجنود لتحقيق الهدف، إلا أن هذا النموذج مختلف في واقعة الطف، حيث قدم أنموذجاً تاريخياً بشكل أمثل لمبدأ التضحية متماهياً بين القائد والجنود، ويلتمس هذا في قول شخص الأمام حسين "لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً .. فإذا جنكم الليل فنفركوا في سواده وأنجوا في أنفسكم." (العقاد، 1969، ص: 132)، ويقابله أنموذج مواز من الرفعة الأخلاقية والولاء من تضحية المجموع في سبيل القائد، مما يدل على صحة العلاقات الاجتماعية بين القائد و أتباعه، وهذا مثال قل نظيره في

التشكيلات العسكرية والعقائدية، ومثال عليه حين رد مقاتلو الأمام الحسين عليه" معاذ الله والشهر الحرام ، ماذا نقول للناس إذا رجعنا عليهم، أنقول تركنا سيدنا وابن سيدنا وعمادنا، تركناه عرضة للنبل و دريئة للرماح وجزراً للسابع"(العقاد،1969،ص:18)،

فكرة **القرار التاريخي** الذي يغير مجرى الأحداث، ونستشهد بقرار الأمام الحسين حين قال: "ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر" حيث استطاعت الواقعة أن تقدم أنموذجاً للقرار المصيري التاريخي الكبير.

ظلت واقعة الطف **حادثة تاريخية مفتوحة**، حيث عدم معرفة موطن رأس الأمام الحسين عليه السلام جعلها مفتوحة للبحث في العقل الإنساني ومحط البحث العلمي، كما جعلها كحادثة تاريخية عرضة للتحريف التاريخي المعنوي واللفظي بشكل مقصود أو غير مقصود، وذلك لمرونتها السرديّة والتمثيلية وتحريضها الفكر والتصور والخيال.

لا بد من ذكر **إعجاز واقعة الطف** في استشراف حدوثها من قبل الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فورد على ذكرها في إحدى خطبه: "وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس: تعزم بغيها وتحط بيدها وتزين برجلها وتمنع درها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى ليكون انتصار أحدكم منهم إلا كانت انتصار العبد من ربه"(مطهري، 2009،ص:507)

ب- البعد الفلسفي:

ثمة وظيفة فلسفية تؤديها حادثة الطف، كونها تدور في فلك الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل، وتؤلف فلسفة خاصة بها غنية ومعقدة في ضمها العديد من التيارات الفلسفية التي وردت في أحداثها وأفكارها وأهدافها، وفي تداخل معقد يفضي من تيار فلسفي لآخر، ولكنه يبقى التيار الفلسفي الروحي الأكثر حضوراً في تجلياتها ورمزيتها، حيث توجه الإنسان نحو كل ما يتعلق بالأمور الروحانية المتعلقة بالروح و بالقيم الأبدية، وتبين بحوادثها النقيض المتمثل في سيطرة المادية الطبيعية لدى يزيد بن معاوية وأتباعه.

تظهر **فلسفة الأخلاق** جلياً عبر مبدأ الصراع بين نقيضين فلسفيين هما الحق والباطل، وتكشف عن مفهوم الأبدية الذي يمر عبر الفداء بالنفس من أنموذج تضحيات شخصياتها التاريخية.

وتعلو **الرمزية الإنسانية** بذات في شخص الأمام الحسين بن علي -عليه السلام-، ويتجلى التياران الفلسفيان **الوجودي والحسي** بشكل جلي عبر الصراع

يبين ما هو دنيوي مادي وروحي مجرد، و تقدم الواقعة أنموذجاً انطولوجياً عبر مبدأ الخلود ما بعد الموت، وتظهر فلسفة الحب الإلهي أي حب الله عز وجل لتصل إلى مرحلة التماهي المتمثلة في نذر الذات في سبيل الحق المطلق، وبحسب الفيلسوف (سبينوزا) نستطيع الاتحاد بالله قدر الإمكان وذلك يكون بإدراك ما هو أبدي فينا، كما لا تجد نظرية الخلود أصلها وعلتها إلا في الاتحاد مع الله بالحب الأكثر نقاء.

طرحت الواقعة فكرة المبدأ الفلسفي أن الإنسان مسير أو مخير في قول: "إنني أخير نفسي بين الجنة والنار، ولا اختار على الجنة شيئاً ولو قطعت أو أحرقت" (العقاد، 1969، ص: 147)، وهذا المبدأ محط جدال دائم في تفسير الفعل الإنساني عبر الإرادة المطلقة أو عبر قوة عليا يسندها إلى الله في فعله، في إشارة لدور الفلسفة العقلية في اختيار الأبدية في الحياة ما بعد الموت عبر بذل الذات في سبيل الله بكل إرادة، وفيما لواقعة قدمت هذه الجملة أنموذجاً على الفعل الإنساني المخير.

تحضر دائماً فلسفة الموت في الواقعة حيث قال الأمام الحسين لأصحابه "إن الموت حق على ولد آدم" (العقاد، 1969، ص: 119)، وتمثلت فلسفة الأخلاق على أساس القيم في قول الإمام الحسين "اتقوا الله في الطفل إن لم تتقوا الله فينا" (العقاد، 1969، ص: 143)، وهذا جانب من فهم الفلسفة الأخلاقية الانغلاقية بوصفها مجموعة من القواعد والعادات السلوكية التي يعتنقها ويؤمن بها مجتمع ما، وهي حتمية في تجليها في السلوك الأفراد حسب منظومتها.

تتجلى الفلسفة الروحية في قول الأمام الحسين "وهيهات منا الذلة" بشكل جلي عبر تصعيد النفس الإنسانية وإعلائها نحو السمو والكمال، والانتقال بالأخلاق من المستوى الأدنى إلى أعلى مستويات الأخلاقية، فلا شيء يستحق الخلود سوى العقل المتطهر من كل الشوائب.

وتظهر فلسفة بذل الذات عبر الفداء في قول "جعلت فداك يا ابن رسول الله" (العقاد، 1969، ص: 74)، والذي هي فعل وجودي تقوم على التخلص من الوجود الإنساني لأجل مبدأ أو شخص ذات رمزية معينة دون أن تشوبه منفعة مادية خاصة، هي تعتبر النقيض تماماً للفلسفة المنفعة البراغماتية، ويستحضر فلسفة (سبينوزا) في أن أزلية النفوس تكون راهنة بكيفيتين: "إما من حيث إننا نتصور أنها موجودة بعلاقة مع زمان معين ومكان معين، وإما من حيث أننا نتصور أنها موجودة مع الله وإنها تصدر عنا ضرورة الطبيعة الإلهية" (رزوق وآخرون، 2012، ص: 80-81)

و تعاضمت رمزية الماء كمكون فلسفي في نظرية العناصر الأربعة لدى الفيلسوف إبيدوكليس والتي صبغها برمزية دينية، حيث تعتبر حادثة ورود الأمام الحسين الماء في واقعة الطف ليسقي طفله من أكثر الحوادث رمزية خاصة في قتل الطفل لمنعه من ارتشاف الماء كعنصر وجودي مكون للكون حسب الفلسفة " ألا ترى إلى الفرات كأنه بطون الحيات، والله لن تدوقه حتى تموت ومن معك من عطشاً" (العقاد، 1969، ص:143)

تمثل الفلسفة العقلية المبنية على المنبع الشكي لدى ديكرت، فجاءت في قول الأمام الحسين بن علي "انسبوني من أنا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي" (العقاد، 1969، ص:144)، وفي ذات الصفحة للعقاد ورد ما قاله رسول الله في الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام وهي "هذان سيّدا أهل شباب الجنة"، حيث تعتبر تصريح واضح في السيادة المطلقة في السياسة الوجودية، و تعكس فكرة أن السيادة في الأرض لها نظيرها في منح السيادة من الله، في إشارة أن الشرعية السياسية الوجودية في الأرض مستمدة من الشرعية الإلهية، وهذا ما عرفت به الممالك القديمة خاصة في بلاد الرافدين، كما تعتبر فلسفة الحضور الوجودية والتي تمثل تفكير الإنسان على النحو الذي يضمن مقاربتة على وجه كوني يستلزم النظر في الوجود الأنطولوجي وفاعلية هذه الوجود في الواقع.

عاشراً: نتائج البحث:

تتمثل النتائج المستخلصة في جانبين: الأول الكيفية التي تتجلى فيها أبعاد الواقعة في تجربة حركة الحشد الشعبي العراقي وشحذ همهم، والجانب الثاني يبين الإجابة على تساؤلات البحث الرئيسية:

1. تعزز الواقعة التراكم النفسي التاريخي، وتعمل على تعزيز شعور الجماعة إزاء هويتها، وتولد لديهم أحاساسات مكثفة وأيديولوجية واضحة.
2. تقوم الواقعة بتعزيز مفهوم المحاكاة لدى منتسبي الحشد الشعبي حيث يستنهضون الواقعة التاريخية ويعملون على إعادة تشكيلها وفق الواقع بصورة جديدة مغايرة ترسم مسار المستقبل في العراق.
3. ترصّ الواقعة صفوف الحشد الشعبي لتوارثهم إياها في الضمير الجمعي فكراً وشعوراً وتسهم في لحمتهم لبلوغ الهدف.
4. يسترجع الحشد الشعبي في قتالهم ضد داعش حادثة الطف وماهيتها في وعيهم وشعورهم عبر قتالهم لأنموذج العدو المشابه لأنموذج العدو التاريخي (مقاتلي يزيد بن معاوية)، مما يزيدهم إصراراً وقاتلاً.

5. يمكن اعتبار واقعة الطف الدافع اللاشعوري الكامن وراء سلوك منتسبي الحشد الشعبي القتالي في سبيل الدفاع مقدساتهم وأرضهم.
6. تعزز الواقعة فلسفة الخلود ما بعد الموت في سبيل الله مما يعظم مبدأ الشهادة لدى منتسبي الحشد الشعبي.
7. تقوى الواقعة أواصر العلاقة الروحية والفكرية لمنتسبي الحشد الشعبي.
8. تدلل الواقعة من قيمة الجسد المادية وتعلي شأن الروح وبذلها في سبيل تحقيق الخير والكمال الأعلى لدى منتسبي الحشد الشعبي.
9. بالتحليل النفسي نجد أن الواقعة تعمل في اللاشعور على ضبط مكونات النفس البشرية ومكبوتاتها عبر تصعيد الأنا الأعلى ليكون الرقيب في السلوك القتالي، ومنه يلتزم منتسبي الحشد الشعبي بالقتال وفق القواعد الأخلاقية بعيداً عما فعله مقاتلي يزيد بن معاوية من تنكيل وتمثيل في أجساد الشهداء.
10. تقوم الواقعة بوظيفة تنفيس البواعث النفسية والروحية في نفوس المقاتلين لتخرج إلى العلن عبر قتال عدو يهدد الوطن العراقي.
11. ارتباط الظاهرة التاريخية بالبيئة الفوقية كالفنون والآداب والغناء والرثاء والقصائد التي يرددها منتسبي الحشد الشعبي كجزء من ثقافتهم وتقوم بدور الشحذ الهمة وتجييش البواعث للقتال.
12. تقدم أحداث الواقعة معطيات فلسفية يكتسبها مقاتلو الحشد الشعبي عن طريق الممارسات القتالية والمجالس والشعارات الروحية التي تزيد من مواقفهم من القضايا الإنسانية.
13. يتمثل أبناء الحشد الشعبي صفات القائد الملهم التاريخي أو القائد الكاريزمي أسوة بشخصية الإمام الحسين القائد التاريخي عليه السلام، وهذا يعزز من تضحياتهم في سبيل الدفاع عن القضية والحق.
14. يشمل البعد التاريخي نقاط تاريخية كثيرة وعديدة جداً أهمها: (القرار التاريخي، وشخصية القائد التاريخي الكاريزمي، والديمومة التاريخية، و التوالدية التاريخية.. وغيرها).
15. تشمل الأبعاد الفلسفية لواقعة الطف فلسفة معقدة ومركبة يطغى عليها التيار الروحي وحب الله والخلود.
16. يتبين أن البعد التاريخي أكثر حضوراً في مضمون الواقعة من حيث جانب تحليل المضمون من الناحية الكمية، وهذا يحضر البعد التاريخي

فى الذاكرة التاريخىة لمناسبى الحشد الشعبى عبر اسحضار الواقعة فكرياً وسلوكياً فى مراسم عاشوراء والمجالس الحسينية.

17. يأخذ شكل العلاقة المعقدة والارتباطية بين البعد التاريخى والبعد الفلسفى فى الواقعة، فلكل حدث فى مجرياتها التاريخىة دلالة فلسفية ذات مغزى.

المراجع والمصادر:

- القيم، كامل، المحتوى الإعلامى ومنهج تحليل المضمون، منشورات الملتقى الاجتماعى، مصر، 2011.
- العقاد، عباس محمود، الحسين أبو الشهداء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربى، لبنان، 1969.
- المطهرى، مرتضى، الملحمة الحسينية، الطبعة الأولى، دار المرتضى، بيروت، 2009.
- بغورة، الزازوى، مفهوم الخطاب فى فلسفة ميشيل فوكاياما، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000.
- بلجن، جنات، السرد التاريخى عند بول ريكور، الطبعة الأولى درا الأمان، الرباط، 2014.
- رزوق، إبراهيم وآخرون، أطروحات فلسفية، مطبوعات جامعة دمشق، 2012.
- نصر، مارلين، المفهوم القومى العربى فى فكر جمال عبد الناصر، مركز الدراسات الوحدة العربىة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1981.
- محمد، عبد العليم، تحليل الخطاب السياسى، ورقة سيمينار علمى سنوى، مركز الأهرام والدراسات الإستراتيجية، القاهرة، 2103.

الصورة الفنية والأساليب البلاغية في خطب الإمام الحسين (ع) وأثرهما في تغذية فكر المجاهدين في الحشد الشعبي

أ.م.د علي أفضلي

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة طهران - إيران
ali.afzali@ut.ac.ir

السيد أحمد موسوي

طالب دكتوراه
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة طهران - إيران

الكلمات المفتاحية: خطب الإمام الحسين (ع)، الصورة الفنية والبلاغية، مجاهدو الحشد الشعبي.

ملخص البحث

تتناول الدراسة بعض خطب الإمام الحسين من حيث الصورة الفنية والأساليب البلاغية مبيّنةً جمالها؛ وكيف أن الجمال في هذه الصور والأساليب عندما يجتمع مع معنى سام بليغ يتأتى له أن يوتي ثماراً ناضجة يستطيع الإمام من خلالها أن يغرس في النفوس الحية أثراً بليغاً وصدى يبقى إلى زماننا هذا مُلهماً ومغذياً لفكر المقاتلين والمجاهدين. من أهم هذه الأمور التي أولاهها الإمام عليه السلام إهتماماً كبيراً كشف نفاق المجتمع من جهة وإظهار فكرة خلاصه بالاستشهاد التي صارت فيما بعد مثلاً يختذى عند المجاهدين في مواجهة العدو وعيش لحظة الموت في سبيل الله واستقبال ذلك بعزة وسمود كما فعل الإمام الحسين عليه السلام. كما تركّز الدراسة على الأثر النفسي في خطب الإمام وتعطي الانطباع في تغذية أفكار المقاتلين. بالثورة على الحاكم الظالم والتحرر من قيوده ومواجهة الموت في سبيل الله والإصرار على الشهادة، لذلك اعتمد بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي لخطب الإمام الحسين في اثناء مسيره الى كربلاء لنبيّن دور الأثر النفسي للصورة الفنية والأساليب البلاغية عنده وما تفعّله هذه الصورة من أثر نفسي جسيم في فكر المتلقي بخلق شعورٍ وأحاسيس جياشة يتفاعل من خلالها مع القضية الحسينية مستشهدين بنماذج من خطب الإمام الحسين لابرّاز الصور الفنية والأساليب البلاغية راصدين ما فيها من خيال واسع وذوق مرهف وأحاسيس ومشاعر عميقة؛ فضلاً عن تحليل الخطب الحسينية بلاغياً واسلوبياً لبيان تناسق التعبير مع المضمون بوجود كنايات واستعارات وتشبيهات وكل ما له مكانة في خلق الإبداع والجمال داخل النص وعلاقة ذلك باستنهاض الهمم لدى مقاتلي الحشد الشعبي في مواجهة الفكر المنحرف.

الصورة الفنية والأساليب البلاغية في خطب الإمام الحسين (ع) وأثرهما في تغذية فكر المجاهدين في الحشد الشعبي

أ.م.د علي أفضلي

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة طهران - إيران
ali.afzali@ut.ac.ir

السيد أحمد موسى

طالب دكتوراه
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة طهران - إيران

مقدمة

تنظيم الدولة الإسلامية أو الدولة الإسلامية أو الدولة الإسلامية في العراق والشام يعرف اختصاراً بـ داعش، وهو تنظيم إرهابي مسلح يتبع فكر جماعات سلفية جهادية، يهدف أعضاؤه -حسب اعتقادهم- إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، ويتواجد أفرادُه وينتشر نفوذُه بشكل رئيسي في العراق وسوريا مع أنباء بوجوده في المناطق دول أخرى هي جنوب اليمن وليبيا وسيناء وأزواد والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان. وزعيم هذا التنظيم هو أبو بكر البغدادي.

وابتداءً من عام 2014، وتحت قيادة زعيمها أبوبكر البغدادي، انتشر تنظيم داعش بشكل ملحوظ، وحصل على الدعم في العراق بسبب التمييز الاقتصادي والسياسي المزعوم كذبا وزورا ضد السنة العراقيين العرب، ومن هذا المنطلق أخذوا يروعون ويقتلون ويعيثون في الأرض الفساد إلا أن هذا التقدم توقف بعد أن تصدت قوات الحشد الشعبي بمساعدة من الجمهورية الإسلامية في إيران متأسيا بما تركته لهم ثورة الطف من انطباع جسيم في نفوسهم إذ إنها لم تكن مثل غيرها من الثورات بل كانت فريدة لا تضاهيها ثورة مهما استطل الزمن وقد تجلت فيها أسمى وأبهى صور الإيمان والشجاعة والتضحية والسلوك الإنساني مع الخصم لأجل الإصلاح، ومن هذه الدروس الجمّة استلهمت رجالات الحشد الشعبي الأشاوس دروسا عظيمة، عز مثيلها كرفض ولاية الطغاة فقد كانت حادثة كربلا ولا تزال من خلال ما قام به الحسين بن علي عليه السلام في كربلا من عدم تأييد حكم يزيد بن معاوية تدعو الناس للنضال مع الطغاة وأن يرفضوا أن يتولى أمر

الأمة الفسدة، وقد قال أمامهم عن هذا "أيها الناس إن رسول الله قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله النار" وكذلك من تلك الدروس درس الصمود وأنه هو الطريق الأوحى للوصول إلى لغايات ففي كربلاء حدث الكثير من المأساة والصعوبات والضغوط من جوع وفقد أحبة وهضم وضميم لكن لما كانت الغاية سامية اتخذ الإمام وأصحابه سبيل الصبر ولم يجزعوا لما أصابهم في سبيل الله وهذا أيضاً وقع لمجاهدين الحشد الشعبي فالكثير منهم تضرر في نفسه أو فقد أخاه أو عزيزاً له إلا أنه لما كان الهدف الوطن والعقيدة تأسوا بما وقع لإمامهم وصبروا واحتسبوا ما لقوا عند الله.

أسئلة البحث:

- 1- ما أثر خطب الإمام الحسين في فكر المقاتلين وشحنهم؟
- 2- ما دور الصور البلاغية في تجميل الخطب للتأثير على المتلقي؟

الفرضيات:

- كان دور خطب الإمام الحسين كبيراً فقد أثر في نفوسهم وسلحهم بسلاح الإيمان والعزم والنضال في سبيل الوطن وإعلاء كلمة الحق.
- كانت خطب الإمام في أعلى صور البيان وأجملها مما جعلها تفض إلى نفوس المؤمنين وتدعوهم لنصرة كلمة الله العليا.

خلفية البحث:

الدراسات التي تتعلق بتحليل خطب الإمام الحسين عبر الصورة الفنية للوصول إلى نقاط تكشف عن أثر هذه الخطب في نفوس الحشد الشعبي تكاد تكون معدومة لكن هناك دراسات قريبة مما قام به الباحثان تشير إليها:

- 1- التصوير الفني في خطب الإمام الحسين.
- 3- الخطاب الحسيني في معركة الطف.
- 4- صورة داعش في الشعر العراقي المعاصر-رسالة ماجستير في جامعة خرم آباد الإيرانية.
- 5- ملامح المقاومة في شعر يحيى السماوي-رسول بلاوي ومرضيه آباد.

1- الأثر النفسي للصورة الفنية والأساليب البلاغية في خطب الإمام لتغذية فكر المقاتلين:

يسعى منشئ النص الفني إلى التأثير في نفوس السامعين من خلال ما يعرف بالتوظيف النفسي الذي يعني "مجموعة الإنفعالات التي تؤثر في النفس، وتسيطر على القوى الشعورية عند الإنسان، فهي وظيفة داخلية تسرح مع المرء في أعماقه وتمتلك عليه عواطفه وتبدأ بمشاعره فتشدها شداً، وتقفز إلى سريرته

فتعالج آمالها ومخاوفها، وتصور بأسها ورجاها، تدعو إلى الإنذار تارة وإلى التبشير تارة أخرى، وإلى التحذير ثالثة، فهي مقياس التأثير النفسي وميزان التجارب الداخلية عكسا واطرادا، فكان الأمل واليأس والرغبة والرغبة والتحذير والإنذار والاعتبار، كل ذلك مجالا لأبعادها الموضوعية" (الصورة الفنية في المثل القرآني: 349).

وقد ورد هذا النمط في خطب الحسين عليه السلام في أرفع صورته:

"الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها" (مقتل الخوارزمي: 375/1).

شرح الإمام في تحديد أبرز ملامح الدنيا عندما صرح بزوالها وفنائها "وهذا من شأنه أن يؤثر في المتلقي لاحقاً إذ ليس في الأمر جدة وابتكار بقدر ما فيه استنهاض للنفوس الغافلة وفتح الأبواب أمام القادم من القول إذ أشرك المنشيء الدنيا في خصوصيات المتلقي عن طريق فن التشخيص لما يتميز به هذا الفن من قدرة على" (التصوير الفني في خطب السيرة الحسينية - ص158) "خلع الحياء على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، هذه الدنيا التي قد ترتقي فتصبح حياء إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية" (التصوير الفني في المثل القرآني: ص63).

وقد وظف الإمام الحسين عليه السلام الاستعارة المكنية في قوله "فالمغرور من غرته" لأنه شبه الدنيا بامرأة حسناء ارتدت لباس الزينة تقول للغر غير الفطن هيت لك ثم تأتيه من جرائها الويلات إذا ما قرب منها".

الاستعارة في الفكر البلاغي العربيّ مبالغة في التشبيه أو هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به (أبو يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، 1407 ص 599). فالاستعارة بجميع أنواعها عملية نقل للفظ من مُسمَّاه الأصليّ على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه (الخطيب القزويني، الإيضاح، 1431 هـ ق، ص212). وتركيب الاستعارة يحمل معنيين اثنين أو دلالة مزدوجة: دلالة حرفية وهي كاذبة ودلالة مجازية هي المقصودة بأسلوب التشبيه ويستمد البلاغيون القدامى تعاريفهم لاستعارة من هذه النظرية فالاستعارة ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له.

والاستعارة عند البيانين إذا ما جاءت متناسقة عفوية كما يقول الشيخ عبدالقاهر عنها وعن أثرها في جمال الكلام: "أمدّ ميدانا وأشدّ افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، وأذهب نجدا في

الصناعة وغورا، من أن تُجمع شعبيها وشعوبها، و تُحصر فنونها وضروبها، نعم، وأسحر سحرا، وأملا بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا، ويونس نفسا، ويوفر أنسا، وأهدى إلى أن تهدي إليك أبدا غذارى قد تخيير لها الجمال، وعني بها الكمال وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعا لا يقصر، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر، وردت تلك بصفرة الخجل، وركلتها إلى نسبتها من الحجر وأن تثير من معدنها تبراً لم تر مثله، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي، وتريك الحلي الحقيقي وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها ويقول عن فضلها الشيخ: تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف مفرد،...ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنّي من الغصن الواحد أنواعا من الثمر... فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر أعز منها ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتألف إلا الظنون" (عبدالقاهر الجرجاني، 1422هـ ق، أسرار البلاغة، ص 39-40) وهذا الجمال والروعة كلها متاحة ومتوفرة ما سياق لك من نماذج من خطبة الإمام عليه السلام.

وهذه الصورة الخلابة البديعة ذات الأثر العميق تغذي الروح وفكر المقاتلين لأنها تكشف لهم أن زهرة الدنيا وزينتها مهما بلغت مدها فهي إلى زوال وفناء لا تبقى ولا تدوم وأن العاقل عليه أن يحذرهما ومن يأتيها فهو مخدوع مغرور بها.

2- أثر الصورة الفنية في تصوير المجتمع في خطب الإمام وأثر ذلك في تغذية أفكار المقاتلين وشحذ همهم:

إن البعد التوظيفي للصورة الفنية والأساليب البلاغية في خطب الإمام "لا يقف عند حدود الجانب النفسي والعقلي، بل يتعداه إلى جانب الاجتماعي الذي يعمد فيه المبدع ترك بصماته المؤثرة في المجتمع عن طريق إنتاجه الفني، وهذا يتجلى في خطبة الإمام في لبيضة يعظ فيه الناس ويدعوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله: "(التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية - ص 175)

" أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) قَالَ: «مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلاً لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثاً لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفاً لِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي

عِبَادَ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْأَعْدَوَانِ فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ، وَ لَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ». الا وَ إِنَّ هُوَ لَأَعْدَاءُ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَ تَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَ أَظْهَرُوا الْفُسَادَ، وَ عَطَلُوا الْحُدُودَ وَ اسْتَأْتَرُوا بِالْفِئَةِ، وَ أَحَلُّوا حَرَامَ اللَّهِ، وَ حَرَمُوا حَلَالَ اللَّهِ، وَ أَنَا أَحَقُّ مَنْ عَيَّرَ. قَدْ أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ، وَ قَدِمْتَ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ أَنَكُمْ لَا تَسْلُمُونِي وَ لَا تَخْدُلُونِي، فَإِنْ تَمَمْتُمْ عَلَيَّ بِبَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُسُلَكُمْ، فَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَ ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَ أَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُمْ، فَلَكُمْ فِي أَسْوَةٍ، وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ نَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَ خَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنَكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَ أَخِي وَ ابْنِ عَمِّي مُسْلِمًا! وَ الْمَعْرُورُ مِنْ أَعْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَاءُكُمْ، وَ نَصِيبُكُمْ ضَيْعَتُمْ (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) وَ سَبَّغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ، وَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ" (تاريخ الطبري: ج5-ص403).

فيرى المتلقي أن الأمام يوظف عدة من الصور كقوله "ناكثا لعهد الله" ومعلوم أن النكث نقض الحبل المبرم فقد شبه العهد الذي بينه وبين ربه بالحبل ثم من لم يرع هذا كان كمن نقض حبل قد أبرهم من قبل على سبيل الاستعارة.

يعمل بالإثم: فالإثم مجاز بعلاقة السببية يعمل أعمالا تسبب اكتساب الإثم.

يدخله مدخله: كناية على أن يكون مصير من لم يقم بالتغيير النار كما أن مصير ذلك السلطان الجائر جهنم.

طاعة الشيطان: فالإطاعة المقصود بها هنا «الاتباع للشيطان» على سبيل الاستعارة فالإنسان اذا تبع الشيطان فكأنه قد أطاعه فيما أراد وطلب.

هذا الأسلوب والتعبير الذي يشتمل على جمال اللفظ وعلو المعنى يخلق انطبعا عميقا في داخل نفوس المؤمنين من أنهم ملزمون على أن يغيروا ويعارضوا إن رأوا أن من يتولى أمرهم جائرا مخالفا لحكم دينهم وليس لهم أن يقعدوا مكتوفي الأيدي وإن كان ثمن الخروج رواحهم ولو أنهم تركوا هذا الواجب فكان أمرهم في الدنيا الذل والخزي وعاقبة أمرهم النار في الآخرة. وكل هذا يعطي درسا لكل من أراد أن يناضل الباطل ويسير على درب الإمام الحسين عليه السلام أنه يتوجب عليه أن يغير كما وجد لذلك سبيلا.

3- أثر الصورة الفنية في تصوير وجه الخائن الحقيقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام: وأثر ذلك في تغذية أفكار المجاهدين:

"تبا لكم أيتها الجماعة! وترحا، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرخناكم مؤدين مستعدين، سللتم علينا سيفا في رقابنا، وحششتم علينا نار الفتن التي جناها عدوكم وعدونا فأصبحتم إلبا على أوليانكم، ويدا عليهم لأعدانكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا

أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيل لنا".

يبدأ الإمام كلامه بقوله «تبا لكم وترحا» وهما مصدران يستعملان للدعاء على... وبهذه البداية يرمي الإمام أن يعيروه آذانهم كي يصغو إليه حتى إذا وجد من يبحث على الحق وجد ضالته ورجع إلى رشده ثم يبين أنهم بعلمهم هذا وغرهم كمن يوقد ناراً ليفيد بها عدواً ويضر بها صديقاً وهذا من باب الاستعارة التمثيلية.

ثم يقول إنك أزرتم عدوكم علينا دون أن تنتفعوا به بأن ينشر فيكم العدل أو أنكم عرفتم من سجاياه أنه لو تولى أمركم فسيسدكم.

وقوله «عدل أفشوه فيكم» استعارة مكنية فكأنه شبه العدل بسر قد أخفي من قبل وليسبب ما انكشف أفشي. وفي هذا التعبير دلالة على أن العدل أبعد شي يتوقع وينتظر ممن تظهرونه علينا.

4- أثر الصورة الفنية في تصوير الموت في خطب الامام وأثر ذلك في تغذية أفكار المقاتلين:

"الحمد لله، وما شاء الله، و لا قوة إلا بالله، خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، و ما أولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف. و خير لي مصرع أنا لاقيه. كان بأوصالي تتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء يملأن مني اكراشا جوفاً و أجربة سغبا لا محيص عن يوم خطّ بالقلم".

ولا بد أن نؤكد أن من أهم الإستراتيجيات الثابتة في تحرك الإمام الحسين (ع) هي الإلتزام بالخطاب الجماهيري الملازم لكل خطواته، وذلك لتزريق الوعي لدى الجمهور بأهداف التحرك ووعي أصول الحركة ومنتهاها، ومن الخطابات الهامة، والتي تعتبر صادمة للمجتمع هي هذه الخطبة التي ألقاها في المجتمع المكي، أو في تجمع الحجاج، وهي تعتبر صادمة لما حملت في طياتها من الإفصاح عن المصير المحتوم الذي ينتظر الإمام (ع) في مسيرته الكربلائية.

وهذا يمثل جانباً من أعلى مصاديق الصدق مع الجماهير، فلم يتبع سياسة الإغراءات بالمكاسب والمناصب وما شابه ذلك، بل أوقفهم أمام الحقيقة الحتمية التي ينبغي أن يعتقد بها كل مؤمن، وهي الموت، ولكنه هنا أفصح عن طريقة ذلك الموت، ووقته، بل وموضعه الجغرافي.

فكلمته (ع) خط الموت، أي أنه مكتوب، على ولد آدم، إشارة إلى نفسه الزكية، ثم شبه ذلك بمخط القلادة التي تستدير على جيد الفتاة أي رقبته، وهذه العبارة تحتمل عدة معان:

1- منها أن الموت حتمي وهو محيط بالإنسان لا يمكنه الفرار منه.

- 2- ومنها أن الموت مع حتميته، إلا أن تشبيهه الإمام بالقلادة التي تزين رقبة الفتاة، يشير إلى أن الموت هو لقاء الله تعالى، والمؤمن إنما يسعد بقاء الله، وبتزيين بالشهادة في سبيله، كما تزين الفتاة بحليها.
- 3- ومنها أن اختياره للقلادة التي توضع على رقبة الفتاة، إنما هي إشارة إلى أسلوب القتل الذي سيتبعه الأعداء، عبر الذبح وقطع الرأس.
- وهذه إشارة إلى الطريقة البشعة التي سوف يُقتل بها سيد الشهداء (ع)، وهي الجرح والتقطيع للأعضاء.

بين الإمام أمر دوما ينسأه العبد وإن كان تقيا وهو الموت فيقول إن الموت على ابن آدم ضربة لازب لا بد أن يأتيه يوما ثم يبين بأسلوب جميل وصورة بديعة فيقول إن الموت لازم للعبد كالقلادة التي لا تفارق جيد الحسنة فكان من عادة فتيات العرب أن يضعن قلادة في جيدهن ولما كانت العادة المألوفة هي أن ترتدي دائما البنات القلادة شبه لزوم الموت بهذه الصورة.

ثم يقول إنني أشفق إلى الموت لأنه الطريق الوحيد الذي يربطني بمن مضى من أسلافي ويجمع شملهم.

هذا الكلام عبر عظمة تشحذ روح المقاتلين وتغذي فكرهم وتزودهم بطاقات إيمانية كبيرة.

- 5- أثر الصورة الفنية والأساليب البلاغية في تصوير العزة وأثر ذلك في تغذية أفكار المجاهدين:

ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، الا واني زاحف بهذه الأسيرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم انشد أبيات فروة بن مسيك المرادي (تحف العقول عن آل الرسول/241)

فان نهزم فهزامون قدما * وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا
إذا ما الموت رفع عن أناس * بكله اناخ بأخرينا

من يتأمل شعارات الإمام الحسين، في يوم عاشوراء، يكتشف بوضوح أنها كانت تعبر عن العزة والصمود بوجه الطغاة وتظهر قيم الحرية والإصلاح في مواجهة الاستبداد والفساد، فالإمام الحسين (سلام الله عليه) لم يكن هدفه من ثورته الاستيلاء على الحكم أو مكاسب دنيوية، وإنما كان الهدف الحفاظ على الدين من التحريف والتزييف، بل إن الدين كله كان في خطر عظيم، ويتمثل ذلك بسعي

وعاظ السلاطين إلى اختلاق الكثير من الأحاديث الموضوعية، وتحوير المفاهيم، وتشويه تعاليم الدين وأحكامه. وكذلك مقاومة الاستبداد والدكتاتورية والقهر والظلم الذي كان يمارسه الحكم الأموي ضد الأمة الإسلامية، وقى استطاع اللامام أن يكسر هذا الحاجز وكان الإمام الحسين، يهدف من ثورته إلى الوقوف بوجه الفساد بمختلف أبعاده الدينية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، والقيام بدور المصلح، وإصلاح ما فسد من أمور المسلمين.

"وقد صور الإمام الحسين من خلال هذه الكلمات والتمثل بهذه الأبيات لهؤلاء القوم أن العزة هي الحياة وأن تعيش ذليلاً خاضعاً هو الموت و"وبين لهم أنهم عندما يفرحون بقتله الذي ينال به رضا الله ويكسب العزة والكرامة والخلود الأبدى فإنهم سوف يلقون المصير نفسه وفي وقت قريب لكن نهايتهم تختلف عن نهايته فإنهم يموتون دون عزة وكرامة"(الخطاب الحسيني في معركة الطف-39).

الدعي ابن الدعي: كناية موصوف عن ابن عبيد الله ابن زياد وقد أثار اللامام عليه السلام ذكر هذا اللقب على ذكر اسمه لأسباب:

أولاًها، أن الإمام تعمد ذلك ليصون لسانه عن ذكره تحقيراً له.

ثانياً: أن في هذه الكناية أشد ذماً ونكايه وألم له فلو ذكره باسمه لفات هذا المعنى الجديد.

ثالث: بما أن موقف موقف لإباء وعزة ناسب المقام أن تكون النبيرة شديدة والألفاظ قوية تحطم عزة كاذبة كسبها صاحبها بالبطش والسطو والسطوط والعسف.

هيهات منا الذلة: صورة بديعة ترسم مدى صدق العزة التي يتحدث عنها اللامام وكأن كل شيء يحق له أن يتصور أنه قريب من هذا البيت إلا الذلة ثم يؤكد هذا المعنى بقوله "ياأبي الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام"

وذكر اسم الإشارة البعيد "ياأبي الله لنا ذلك" تأكيد آخر يشير إلى أن الذلة إبعد ما تكون عن هذا البيت

تكشف هذه الأسطر الموجزة اليسيرة التي جمعت بين الفصاحة وشرف المعنى أن المؤمن إذا إراد الكرامة فعليه أن يستلهم من إمامه العزة والكرامة ولا يرضخ أمام الطغاة وتبیین أن الموت في سبيل المبادئ هو الحياة الحقبة التي من أجلها لا بد أن يعيش المرء وأن المرء إذا خير بين خطتين إحداهما الموت والأخرى رفض الخنوع فعليه أن يتأسى بمن بإمامه ويختار التي فيها العزة وفي هذه الحالة موته أرفع من حياة هوان وذل.

صورة ما بعد الموت:

وروى عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين فقلت: أكون في أوائلها لعلي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبّيد الله بن زياد، قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم حسين؟ قال: فسكت حسين، فقالها ثانية فأسكت حتى إذا كانت الثالثة، قال: قولوا له نعم، هذا حسين، فما حاجتك؟ قال: يا حسين! ابشر بالنار، قال كذبت بل أقدم على رب غفور، وشفيع مطاع، فمن أنت قال: ابن حوزة قال فرفع الحسين يديه حتى رأينا بياض ابطنه من فوق الثياب ثم قال: اللهم حره إلى النار قال: فغضب ابن حوزة فذهب ليقم إليه الفرس، وبينه وبينه نهر، قال: فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلقا بالركاب، قال: فرجع مسروق، وترك الخيل من ورائه، قال: فسألته، فقال لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئا لا أقاتلهم أبدا قال: ونشب القتال (في أمالي ابن الشجري الشجري ص 160، وفي تاريخ ابن عساكر ح 716).

الموت عبارة عن خروج النفس التي يسميها الناس الروح من الجسد الإنساني خروجا نهائيا في الدنيا أي انفصال النفس عن الجسد. والموت يكون سبب في حزن الميت إذا كان كافرا لأنه يتسبب في دخوله العذاب المهين وهذا العذاب يسبب الآلام والأحزان وفي هذا قال تعالى بسورة الأنعام " ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون لكن الموت يكون سبب في فرح الميت إذا كان مسلما لأنه يتسبب في دخوله الجنة حيث المذات والمتع الدائمة والدليل قوله تعالى بسورة الفجر "يا أيها النفس مطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي" فالله يرضى المسلم عند الموت بإدخاله في زمرة عباده الذين في الجنة والدليل قوله تعالى بسورة آل عمران "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويستبشرون بنعمة من الله وفضل.

أبشر بالنار: حقيقة التبشير الإخبار بما يظهر سرور المخبر وهو هنا مستعمل في ضد حقيقته إلا أريد به الإخبار بحصول العذاب وهو موجب لحزن المخبر فهذا الاستعمال في الضد معدود عند علماء البيان من الاستعارة ويسمونها تهكمية لأن المشبه الضد بضده لا يرود في عقل أحد إلا على معنى التهكم أو التلميح كما أطلق عمرو بن كلثوم اسم الأضياف على الأعداء وأطلق القرى على قتل الأعداء في قوله:

نزلت من الأضياف منا فجلنا القرى قبل أن تشتمونا

قربانكم فجعنا قراكم قبيل الصبح مرادة طحونا

يبين هذا الكلام أن الإمام على بصيرة من أمره واثق من سلامة فعله لا يشك في صحة نهجه فتكون ثمرة ذلك السكون والطمأنينة فيرتسم عنده أفق المستقبل وأضحا جليلا وأنه قريبا سيفد على رب غفور ورحيم وكذلك من تأسى بهذا الإمام سيطيب خاطرا ويشعر بالسكون ولا خشى الموت لأنه متيق أن سيفد إلى رب شكور بالمؤمنين رحيم. وهذا درس عظيم له فوائد جمة.

شفيع مطاع: أتبع شفيع بما مطاع لتلازمهما عرفا فهو من إيراد نفي الصفة اللازمة للموصوف والمقصود نفي الموصوف بضرب من الكناية التلميحية كقول ابن أحرر:

ولا ترى الضب فيها ينجر.

أي لا ضب فيها فينجر، وذلك يفيد التأكيد» ومنها الشجاعة ورباطة الجأش فالإمام عليه السلام لم يخش كل التهديدات وما لاح في الأفق من نهاية مأساوية إثر خروجه للإصلاح وبث الحياة من جديد في الدين الإسلامي الحنيف بعدما أخذ الفساد ينخره ويضعفه وبعدهما استولى الفساد على أمر أهله ولما قال له الحر بن يزيد الرياحي "أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ولئن قوتلت لتهلكن" فرد عليه بكل صلابة ورباطة جأش "أبا الموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ما أدري ما أقول لك لكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عفة:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى *** إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وواسى رجالا صالحين بنفسه وخالف *** مثبورا وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم *** كفى بك ذلا أن تعيش وترغما"

(تاريخ الطبري: 4-254)

وأيضا من مواقف الشجاعة والبسالة أنه ما رأى مصرع أولاده وأحبابه وقف كل الجبل الشامخ عزا وصمودا حتى قال فيه حميد بن مسلم "فوالله ما رأيت مكسورا قط قد قتل أولاده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه، إن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذئاب" (أعلام الوري: 1-468).

وهذا موقف يحير الألباب، ويذهل العقول ويترك الأجيال تتحدث عنه بالإجلال وإكبار وإعجاب عجيب.

ثمار واقعة الطف:

1- الإصلاح:

لم تكن غاية الإمام عليه السلام من الثورة أن يصل إلى الحكم أو الشغب أو تحقيق أرب في نفسه بل كان الإمام يقف موقف قرآني (ما أريد الإصلاح ما استطعت) ويقول عن غايات ثورته "إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في إمة جدي محمد أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر أسير بسيرة جدي محمد(ص) وأبي علي(ع) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو أحكم الحاكمين). (ابن شهر آشوب- مناقب آل أبي طالب ج4-ص 89).

2- الوفاء:

جمع الحسين عليه السلام أصحابه وخطبهم "إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وليأخذ كل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فإن القوم يطلبونني" (ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ج4-ص 57).

فأجابه كلهم أليس من العار أن نرجع بريق الأبدية ونحظى بلمعان الخلود، سنظل سائرين وراءك حتى نرقى معا سلمى الأبراج، وسوف يكون لنا شرف الاستشهاد بين يديك وعند ذلك نقول يا لسعادتنا نحن نسير معك مدفوعين بإرادة الإيمان اللاهب في عروقنا، فمرحبا بالألم لأن خلاصتها انشراح، إن قلوبنا تندفع بحرارة نحو تفرق النبيوع فلا تمنعنا بربك من أن نشاركك عرس مسراتك.

3- رفض الذل والخنوع:

ومن أقواله الشريفة التي تجسد الإباء ورفض الخنوع مقاله "والله لا أعطيكم إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد، إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" (ابن الأثير-الكامل في التاريخ - ج4-ص 63).

وهذه الكلمة دستور لكل من يريد أن يعيش حرا ألبا رافضا للذل والاستكانة والانصياع للمستكبرين الطغاة. وها هي مدرسة عاشورا تنادي كل الانسانية للعيش الكريم وهذه الكلمة لا تزال تذكر الأجيال أن تتهاون مع الاستكبار.

4- التضحية:

خرج أبو الفضل العباس بعد أن قتل إخوته عبد الله وجعفر وعثمان فمال على جيش بن سعد "وهو يقول:

آقسمت بالله الأعز الأعم *** وبالحجون صادقا وزمزم

وبالحطيم والفنا المحرم *** ليخضبن اليوم جسمي من دمي

دون الحسين ذي الفخار الأقدم *** إمام أهل الفضل والتكرم

يقول العلامة فاضل الدينريدي أنه لما أتى زهير بن القين العباس وذكر له حديث أبيه ارتعد العباس وتمطى ركابه حتى قطعه، وقال:

يا زهير تجشعني في مثل هذا اليوم؟ والله لأرينك شيئاً ما رأيتَه قط.

فحمى جواده نحو القوم حتى توسط الميدان، فوقف وقال هذا الحسين بن بنت رسول الله يقول إنكم قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمه وبقي فريداً مع أولاده وعياله وهم عطشى، وقد أحرق الظمأ قلوبهم، فاسقوهم شربة من الماء لأن أطفاله وعياله وصلوا إلى الهلاك.

فلما أوصل العباس إليهم الكلام عن أخيه، فمنهم من سكت ولم يرد جواباً، ومنهم من جلس يبكي، فخرج الشمر وشبث بن ربعي وقالوا قل لأخيك لو كان كل وجه الأرض ماء وهو تحت أيدينا ما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد. فعاد العباس وعرض عليه ما قالوا فطأ رأسه إلى الأرض وبكى حتى بل أزيافه.

فسمع الحسين الأطفال وهم ينادون العطش العطش، فلما سمع العباس ذلك ركب فرسه وأخذ رمحه والقربة في كتفه وقصد الفرات. ولما رآهم العباس وهو سبط الفرات قد تسارعوا إليه ذكر عطش الحسين فلم يشرب وحط القربة عاى عاتقه واستقبل القوم يضربهم بسيفه وكأنه النار في الأحطاب وهو ينشد:

أنا الذي أعرف عند الزمجرة * ابن علي المسمى حيدرة**

فأثبتوا اليوم لنا يا كفرة *** لعنرة الحمد وآل البقرة" (كتاب العباس 97).

5- السمو في الأخلاق:

حملت عاشوراء نموذجين من الأخلاق وأساليب المعارضة ففي المعسكر الأموي كان السب والشتم والاتهامات والدناءة في الأخلاق والبعد عن القيم العربية الأصيلة والمبادئ الإسلامية حتى منعوا الماء عن النساء والأطفال وحرقوا خيام النساء لكن معسكر الإمام الحسين اتخذ النصح والوعظ وحسن الكلمات وعدم مبادأة الحرب بل وسقى الجيش العطشان الذي جاء لقتالهم.

6- الرأفة والرحمة وحفظ حقوق الناس:

من دروس كربلاء التي أثرت في مقاتلي الجيش الشعبي هي الرأفة والرحمة وحفظ حقوق الناس بينما كان داعش لا يرقبون في أحد إلا ولا ذمة كان الحشد تأسياً بكربلاء يرفعى حقوق الصغير والكبير والرجل والمرأة.

7- التواصل مع الله في أشدة الساعات:

يوم عاشوراء عند القتال يلتفت أحد أصحاب الحسين فيقول إني أحب أن لا أموت إلا وقد صليت معك هذه الصلاة التي دنا وقتها فيقول له الحسين ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين. الشجاعة والحمية ورباطة الجأش وثبات الإيمان في المعركة حيث لم يبال الإمام الحسين وجيشه من كثرة جيش يزيد ولم

يرتهبوا لجمعجة سلاحهم وذادوا بكل شرف عن حريم رسول الله وآل بيته من الأطفال والنساء.

النتائج:

يوظف الإمام الحسين عليه السلام في خطبه التوظيف النفسي الذي هو مجموعة انفعالات من شأنها أن تترك طابعا في النفس وتسيطر على القوى الشعورية فتجعل الروح تسرح في الخيال والواقع في آن واحد فتشتد مشاعر المتلقي وتتعالج آماله ويقوى جميع بأسه في كافة الساحات. شعارات الإمام الحسين، في يوم عاشوراء، تكتشف بوضوح أنها كانت تعبير عن العزة والصمود بوجه الطغاة وتظهر قيم الحرية والإصلاح في مواجهة الاستبداد والفساد. أن الإمام الحسن يظهر في كل المواقف العبة أنه على بصيرة من أمره واثق من سلامة فعله لا يشك في صحة نهجه فتكون ثمرة ذلك السكون والطمأنينة فيرسم عنده أفق المستقبل واضحا جليلا أونه قريبا سيفد على رب غفور ورحيم وكذلك من تأسى بهذا الإمام سيطيب خاطرا ويشعر بالسكون ولا خشى الموت لأنه متيق أن سيفد إلى رب شكور بالمؤمنين رحيم. عندما يريد الإمام عليه السلام استنهاض النفوس للقيام بالواجب والجهاد يعمد إلى تحريك نفوسهم عبر ما يوصف لهم من النهاية الحتمية التي تطلب المرء ويقلها كل من بصر نور الحياة فيذكرهم أنها واحدة وطرق العيش فيها متفاوتة منها تعود للشموخ والعز ومنها تؤدي للذل والخنوع فالرجل الحقيقي من يناضل في ساحة الوغى بغية نصره الحق والظفر بدار السلام فهذا التصوير البليغ الذي يصطحبه سمو المعنى واللفظ يجعل النفوس الأبية في كل زمان ومكان أن تدع الاستسلام وترنو المجد والفخر كما فعل أبناء الحشد مستلهمين هذه الحقائق.

المصادر:

- القرآن الكريم
- -الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية:بيروت، الطبعة الأولى144 هـ ق.
- الصورة الفنية في المثل القرآني-محمد حسين علي الصغير-بغداد سنة 1981
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين-دارالكتب العلمية-بيروت لبنان.
- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة-سعدون هنون-العتبة العلوية-سنة الطبع 2011.
- تاريخ الطبري-عريب بن سعد بن القرطبي بن عبد الملك الهمداني محمد بن جرير الطبري.
- الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل-الدكتور عبدالكاظم محسن الياسري-العتبة الحسينية المقدسة.

- تحف العقول عن آل الرسول-الشيخ الثقة الجليل أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت-لبنان.
- أعلام الوري بأعلام الهدى-الشيخ الطبرسي - مدرسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث-المطبعة ستارة-قم.
- مناقب آل أبي طالب - أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني.
- تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق) - ابن عساكر - دار الفكر.
- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني -- دارالكتب العلمية، بيروت-الطبعة الأولى: 1422هـ،ق.
- كتاب العباس - السيد عبدالرزاق المقرم.
- مقتل الحسين - أبو مؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي.

طَفُّ

لكي لا تُنتَهَكَ الحرية المصانة في الشريعة الإسلامية وحرية الرأي في القوانين الدولية

الدكتور سر الختم إسماعيل محجوب عبد العزيز

جامعة أم درمان الإسلامية
فرع مروى متعاون - السودان
sirekhatim777@gmail.com

ملخص البحث

تكررت معركة الفرقان (بدر الكبرى) في واقعة طف بين دعاة الحق وأنصار الفضيلة وجنود الباطل وأعدائه، فكانت دعوة للحق وللتحرر من الذل وهوان العبودية ورداً وردعاً للظلمة والظالمين ونصرة للمظلومين.

لم يخرج الإمام الحسين(ع) بغياً في الأرض أو طلباً للسلطة والجاه، وإنما خرج جهاداً لإعادة الروح والفكر للرسالة السماوية التي تم تفرغها من محتواها الفكري والروحي.

في معركة طف انتهكت مبادئ القانون الدولي الإنساني في استخدام القوة غير المتكافئة وغير المبررة ضد أناس كان يمكن أسرهم، ولكن القتل الشنيع والسلب والتمثيل كان بمثابة انتهاك صريح لحقوق الإنسان الذي كرمه الله تعالى.

فهذا ما كانت تقوم بفعله الدواعش إلى أن تم جمع وحشد وتوحيد الدعم الشعبي في واقعة طف (بدر 3) بدر للمرة الثالثة لقهر وردع الظلم الداعشي الذي لا يرعي إلا ولا ذمة، جاءت طف من الدعم الشعبي المؤمن بنشر المحبة والسلام والطمأنينة بين بني الإنسانية جميعاً باختلاف سحناتهم وإثنياتهم وطوائفهم ومعتقداتهم ودياناتهم. إنها سماحة الإسلام طف.

طَفُّ

لكي لا تُنتَهَكَ الحرية المصانة في الشريعة الإسلامية وحرية الرأي في القوانين الدولية

الدكتور سر الختم إسماعيل محجوب عبد العزيز

جامعة أم درمان الإسلامية
فرع مروى متعاون - السودان
sirelkhathim777@gmail.com

مقدمة:

إذا تأملنا المقصد السامي الذي لأجله خلق الله تعالى البشرية، وهو عبادة الله تعالى وعماراة الأرض، لما كان هنالك نزاع ولا اقتتال، ولكن انصراف البشرية عن المقصد الرباني هو الذي قادها إلي الفرقة والتناحر والتحزب والاحتراب. فكانت فترات الحرب على مر التاريخ والعصور تطغي على فترات السلم والأمان. فجاءت من بين هذه الحروب التي انعدمت فيها الرحمة ومات فيها الضمير الإنساني وانتهكت فيها حقوق الإنسان واقعة كربلاء، والتي تتجدد في العاشر من محرم من كل سنة - رغم تعاقب الزمان عليها- وهنا تبرز الفرضية الآتية: لماذا نقلني على عاتقنا مسؤولية خاصة في كيفية التعاطي مع هذه الحادثة الاستثنائية التي حدثت من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، من حيث المضمون، أو المنهج، أو التحليل والدراسة، أو الاستفادة على صعيد الدروس والعبر امتثالاً لقول الله تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (1).. أو غيرها من الجوانب.. ولأجل ذلك اقتضت خطة هذه الورقة أن تكون في محثين تصدر بمقدمة تعريفية بموضوع المداخلة وتختتم بخاتمة تحوي أهم النتائج والتوصيات كالاتي:

المبحث الأول:

من الأهمية بمكان أن نعرض بعض أحداث هذه الواقعة على ثوابت الشريعة الإسلامية قواعد القانون الإسلامي والقانون الدولي الإنساني، لنرى ما هي قيمة هذه الواقعة من حيث أشخاصها ومن حيث ما يحملونه من قيم إنسانية؟ وما هي النظم والقواعد الحربية التي كان ينبغي الالتزام بها وفقاً للمعايير الإسلامية وقواعد القانون الدولي، ومدى التزام طرفي الواقعة بها؟ وماهي تلك الجرائم التي ارتكبت وماهي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي

وقعت، وكيفية التعامل معها؟ وما يجب على الأمة الإسلامية أن تقوم به من أجل إظهار هذه الواقعة على المستوى الأممي، وتعريف المجتمع الدولي بها كمعركة شهدت مأساة إنسانية قل نظيرها في التاريخ ليس من حيث عدد ضحاياها فحسب، بل من حيث البعد الفكري والإنساني والعقائدي؟ وكيف يمكن أن نحول دون تكرار الحدث المأساوي؟ وكيف يمكننا أن نمنع من تكرار تلك الجريمة؟ اكتسبت واقعة كربلاء أهميتها عند المسلمين من أن أحد طرفيها كان هو الحسين بن علي، وهو من أهل بيت النبوة و أن الطرف الآخر للواقعة كان جيش السلطة الحاكمة وأتباعها، ذلك الجيش الذي كان يحكم باسم الإسلام وبسنة الرسول "صلي الله عليه وسلم" إلا أنه ارتكب من الجرائم والفظائع ما لا يحصى ولا يعد قبالة عدد قليل من الرجل والنساء والأطفال جُلمهم كان ينتسب إلى نبي هذا الأمة. إذاً تأتي أهمية معركة كربلاء من حيث أنها شهدت تبايناً شاسعاً بين طرفيها في مستوى التفكير ومستوى الفعل الإنساني لدى كل منهما، ومن حيث فهمهما لطبيعة كتاب الله عز وجل، مع أن من المفروض أن يكون لدى طرفي واقعة كربلاء مستوى متقارب من الفهم والسلوك الحربي كونهما ينتميان إلى الدين الإسلامي وكانا قريبين من عهد الرسالة الإسلامية، وكل منهما يدعي تمثيلها. حيث يرى فقهاء المسلمون أن الأصل في الإسلام هو السلم لا الحرب. ويؤكد الإمام السيد محمد الشيرازي ذلك بقوله: إن منطق الرسل والأنبياء، هو منطق السلم واللاعنف والاحتجاج العقلاني من أجل إنقاذ البشرية، حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم حول استخدام السلم واللين والابتعاد عن العنف والغلظة، واستخدام سياسية العفو، والاعتماد على منهج الشورى كأسلوب في الإقناع الحر والحوار السلمي والمشاركة في اتخاذ القرار (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

وبناءً على ذلك، شرع الإسلام القوانين التي تمنع الحرب ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، وإذا دعت الضرورة لقيامها وضع القواعد التي تحكمها وتلطف من أثارها إذا اضطر الجيش الإسلامي إلى خوضها دفاعاً عن المسلمين، أو رفاعاً لظلم واقع على الشعوب، وألزم الجندي المسلم بواجبات وبأخلاقيات عظيمة، يجب عليه التحلي بها في سلوكياته ومعاملاته مع الآخرين من الأعداء، والمغلوبين في الحرب، والمعاهدين، أو المهانين، وغيرهم.

وإذا أمعنا النظر في واقعة كربلاء نجد بالإضافة إلي الضحايا من الجرحى والمرضى الذين خلفتهم هذه المعركة غير المتكافئة، نلاحظ أنها كذلك أسفرت عن وجود فئة أخرى من الضحايا، أشد نكبه وأفظع أثراً في نفوس أطراف النزاع، هذه الفئة هي فئة القتلى، فإذا جاز لنا تسمية واقعة كربلاء بأنها نزاع مسلح غير دولي كما توصف مثل تلك الحروب في القانون الدولي أو بأنها (بغى) كما في الشريعة الإسلامية، كان لا بد أن يكون للتشريع الدولي الإسلامي والقانون الدولي

موقف في حماية هذه الفئة، وبيان موقف كل من النشريعين يأتي في أن من يتأمل وقائع هذه المعركة يجد أن أهم ما ترتب عليها هو كثرة الموتى نتيجة للقيام بالعمليات الحربية غير المتكافئة من الجانبين التي خلفت أرتالاً وكمّاً هائلاً من جنث القتلى، ولقد أهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بحقوق جنث هؤلاء القتلى في 2م مثل هذه النزاعات اهتمامه بالإنسان بوصفه آدمياً، فكرامة الإنسان حياً وميتاً يحفظها الإسلام بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو ديانته أو غير ذلك من الصفات والمراكز، وذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)(3).

وحماية القتلى أو الموتى في النزاعات المسلحة غير الدولية تتضح من خلال مناقشة مدى احترامهم وعدم التمثيل بهم من جانب، ومراعات حقوقهم من جانب آخر، وبيان ذلك كله يأتي: أولاً: احترام جنث القتلى وعدم التمثيل بهم:

والمثلة من مثل به أي نكّل به، ومثّل بالقتيل أي جدعه أو قطع أنفه أو إذنه أو مذاكيره أو شيناً من أطرافه، ويدخل في هذا الباب أيضاً ما كان يجري أحياناً من قطع رؤوس بعض القتلى وإرسالها إلي هنا أو هناك لبعض الأغراض، مما يؤكد ذلك ما جاء في السير الكبير أن "إبانة الرأس مثلة" (4)، والتمثيل بهذا المعنى بحثه الفقهاء وناقشته المذاهب الإسلامية تجاه قتلى النزاعات المسلحة غير الدولية وكانت هناك هذه الاتجاهات التي نبينها فيما يلي:

آراء الفقهاء في احترام جنث القتلى وعدم التمثيل بهم: الرأي الأول: القول بوجود احترام جنث القتلى وحرمة التمثيل بهم: وهذا مذهب بعض المالكية ومن وافقهم.

المذهب الثاني: القول بكراهة التمثيل بجنث القتلى فقط: ويرى أصحاب هذا الرأي كراهية قطع رؤوس البغاة ورفعها وهذا ما ذهب إليه الحنفية والشافعية والحنابلة وبعض المالكية (5).

واستدل أصحاب الرأي الأول على تحريم المثلة بقتلى (البغي) النزاعات المسلحة غير الدولية بالسنة والآثار والمعقول كالتالي:

أما استدلالهم بالسنة: فما روى عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا بعث أميراً على جيش أو صاه في خاصة نفسه يتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً فقال: (اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً) (6) وما روى عن قتادة أن أنساً رضي الله عنه حدثهم أن ناساً من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي (صلي الله عليه وسلم) وتكلموا بالإسلام فقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا

كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي (صلي الله عليه وسلم) واستاقوا الذود فبلغ النبي (صلي الله عليه وسلم) فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة بلغنا أن النبي (صلي الله عليه وسلم) بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة⁽⁷⁾.

- أما استدلالهم بالآثار: فيما روي عن عبد الله بن قتادة قال: كنت في الخيل يوم النهروان، فإن الإمام "علي" كرم الله وجهه لما فرغ منهم وقتلهم لم يقطع رأساً ولم يكشف عورة⁽⁸⁾.

- وأما استدلالهم من المعقول: أن رفع الرؤوس بالرمح بعد قطعها من أجسادهم مثلاً ولا تجوز بالنسبة للكفار، فعدم جوازها بالنسبة للمسلمين أولى⁽⁹⁾.

واستدل أصحاب هذا المذهب على كراهية المثلة فقط بما استدل به أصحاب الرأي بالأول من أحاديث وأثار غير أنهم حملوها على الكراهية وليس على الحرمة، ومما يوجب حملها على الكراهية، ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه حز رأس أبي جهل عليه اللعنة يوم بدر وجاء به إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم: (أن أبا جهل كان فرعون هذه الأمة) ولم ينكر عليه⁽¹⁰⁾.

واستدلوا بالمعقول أن رفع رؤوس البغاة والإطاحة بها إلي الآفاق كسر لشوكة البغاة ووهن لهم وطمأنينة لقلب أهل العدل⁽¹¹⁾ والمدقق في كل من أدلة الاتجاهين يرجح ما ذهب إليه الفريق الأول، من تحريم المثلة بجثث القتلى في النزاعات المسلحة غير الدولية حفاظاً عليها وتكريماً للإنسان حتى بعد موته، ذلك الإنسان الذي فضّل على الخلائق أجمعين، وبعيداً عن تلك الصورة التي تخرج عن الشعور الإنساني وتأخذ بالبشرية إلي عصور التخلف والجهل تماماً كما كان سائداً عند العرب في الجاهلية⁽¹²⁾.

وقد كرم الإسلام الإنسان حياً وميتاً، بل أن الإسلام هو الشريعة التي استأثر بها وبأحكامها الاهتمام بالإنسان والاشتغال بشئونه ورعاية كل ما يتصل به من بدايته وحتى نهايته، ثوابه وعقابه، ووحدته وجماعته، وضعفه وقوته، وناره وجنته، وفضائله وذرائله، وأمور أخرى تتصل بالإنسان قبل أن يخلق آدم حتى آخر الزمان، ولا شك أن جثة الإنسان بعد موته كالإنسان نفسه في حياته جديرة بالتكريم، فيحرم إهانتها أو التمثيل بها.

وثانياً: مراعاة حقوق القتلى في الشريعة الإسلامية: بالإضافة إلي عدم إهانة القتلى وتحريم التمثيل بهم فإن الإسلام أوجب لهم حقوق ينبغي أن يقوم بها الأحياء تجاههم، وجعل لهذه الحقوق مرتبة الوجوب شأنها شأن بقية الواجبات الأخرى

مثل: حق الغسل والتكفين والصلاة والمواراة في القبر، وغيرها من بقية الحقوق التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية.

وقد اتفق الفقهاء على أن قتلى أهل العدل أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية يعدون شهداء، وذلك لأنهم قتلوا في قتال مأمور به من قبل الله تعالى⁽¹³⁾. ولكنهم اختلفوا في حقوق قتلى أهل العدل إلى ثلاثة مذاهب كما يلي:

المذهب الأول: أن قتيل أهل العدل لا يغسل ولا يكفن ولكن يصلى عليه، وهذا هو مذهب الحنفية ومن وافقهم⁽¹⁴⁾.

المذهب الثاني: أن شهيد معركة البغاة من أهل العدل كشهيد معركة الكفار تماماً، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه. وهذه رواية عن الحنابلة والشافعية⁽¹⁵⁾.

المذهب الثالث: أن قتلى أهل العدل يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم، وإن كانوا شهداء. وهذا قول آخر للشافعية والحنابلة والمالكية⁽¹⁶⁾.

استدل أصحاب المذهب الأول على أن هؤلاء القتلى لا يغسلون ولا يكفنون بما ورد من الآثار بما روي عن قيس بن أبي حازم قال: قال عمار: (ادفوني في ثيابي فإنني مخاصم)⁽¹⁷⁾.

وأما استدلال أصحاب هذا المذهب على أن قتلى أهل العدل يدفنون دون تغسيل أو تكفين فيما تقدم من أدلة الحنفية على أن قتلى أهل العدل لا يغسلون ولا يكفنون إذا أنهم متفقون معاً في هذه المسألة. وأما استدلالهم على أنه لا يصلى عليهم، بأن قتلى أهل العدل قتلوا في قتال مأمور به كقتال الكفار، فيكون شهيد معركة البغاة كشهيد معركة الكفار، وشهيد معركة الكفار عند أصحاب هذا المذهب لا يصلى عليه، فلا يصلى أيضاً على قتيل معركة البغاة من أهل العدل⁽¹⁸⁾.

وأما أصحاب المذهب الثالث فقد استدلوا على أن قتلى أهل العدل في معركة البغاة يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم كسائر الموتى، بما روي عن أبي سعيد بن مكيول عن وائل بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلوا على كل ميت وجاهدوا مع كل أمير) وقوله (صلى الله عليه وسلم) صلوا على كل ميت، يدل على أن الصلاة واجبة على كل ميت، ولم يستثنى من هذا الحديث إلا قتيل معركة الكفار، ففيما عداه يبقى على الأصل⁽¹⁹⁾. وأن المسلمين قد فعلوا الغسل والتكفين والصلاة لأمر المؤمنين على كرم الله وجهه، وقد قتل ظملاً، ولهذا يجب الغسل والتكفين والصلاة لقتلى أهل العدل في معركة البغاة⁽²⁰⁾. وبالنظر في مذاهب الفقهاء وأدلتهم السابقة يترجح لنا مذهب الحنفية في القول بأن قتلى أهل العدل في معركة البغاة لا يغسلون ولا يكفنون ولكن يصلى عليهم. ومن هنا فإن هذه الدماء لشرفها ومكانتها لا تغسل حتى لا يزول أثرها

وتأتي يوم القيامة على حالها، أما غيرهم من بقية الشهداء فليس لديهم هذه الدماء بالتالي فإن الغسل لا يؤثر على شيء منهم. ولهذا كله نرجح ما ذهب إليه الحنفية ومن وافقهم في القول بأن قتيل أهل العدل لا يغسل ولا يكفن ولكن يصلى عليه، وأما بالنسبة لقتيل أهل البغي فإننا نخصص له القول فيما يلي:

(ب) حقوق القتلى من الطرف الباغي: وبعد أن رأينا أن قتلى الطرق العادل لا يغسلون ولا يكفنون ولكن يصلى عليهم، يثور التساؤل عن قتلى الطرف الباغي، وعن حقوقهم مما يصنع بالموتى من الغسل والتكفين والصلاة والدفن، ولبيان موقفهم من هذه الحقوق نقدم أولاً مذاهب الفقهاء في هذه المسألة ثم بيان أدلتهم. والناظر في كتب الفقه الإسلامي يجد اختلاف الفقهاء في هذه المسألة على رأيين هما:

المذهب الأول: وهو أن قتلى أهل البغي يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ويصنع بهم ما يصنع بسائر الموتى من حقوق وواجبات، وهذا مذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة ومن وافقهم (21).

المذهب الثاني: وهو أن قتلى أهل البغي لا يغسلون ولا يصلى عليهم ولكن يكفنون ويدفنون لإمطة الأذى، وهذا مذهب الحنفية (22).

أدلة المذهب الأول: قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (23) ولقد أثبت الله تعالى وصف الإيمان لكلتا الطائفتين بما فيهم الطائفة الباغية، ولا شك أن من حقوق المؤمنين بعد الموت الغسل والتكفين والصلاة والدفن، حتى وإن فعلوا الكبائر لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صلى على الجهنية التي زنت بعد رجماها. واستدل أصحاب هذا المذهب على أنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم ولكن يكفنون ويدفنون لإمطة الأذى (24). بما روي عن "علي" كرم الله وجهه أنه لم يصل على أهل حروراء وعلى قتلى النهروان.

المبحث الثاني: إكرام جثث الموتى:

ولا يكتفي الإسلام بذلك في احترام جثث القتلى، بل يبالغ في إكرامهم أثناء دفنهم وبعد دفنهم ومن ذلك:

- 1- دفن المقتول حيث صرع، احتراماً لأدميته.
- 2- دفن كل قتيل في مقبرة مستقلة ولا يدفن معه غيره إلا للضرورة كضيق المقابر.
- 3- احترام المقبرة ذاتها بعدم الجلوس عليها (25).

- 4- النهي عن سب القتلى⁽²⁶⁾.
- 5- أكرام الميت في البحر⁽²⁷⁾.
- 6- أهمية البحث عن المفقودين: فلا يمنع في الإسلام من تبادل المعلومات بين أطراف النزاع بشأن الأشخاص المفقودين.

ومما تقدم يتبين لنا إلي أي درجة حافظ الإسلام على جنث القتلى واحترام آدميتها، هذا فضلاً عن أن بعض الفقهاء يفتي بعدم تعرض الجثة البشرية للبيع بعد الوفاة حتى في الأغراض العلاجية، وحجتهم في ذلك أن الجسد الإنساني أمانة لله لا يحق التصرف فيه احتراماً لأدميته وكرامته.

وبالبحث في هذه المسألة نكون قد بيننا حماية جنث القتلى في القانون الدولي العام وما يقابله في الشريعة الإسلامية حيث أن الحماية التي تقدم لا تقتصر ولا تقف عند هذا الحد، بل تصل إلي أبعد من ذلك بكثير أو تغوص في أعماق وأغوار النفس البشرية لتحمي فئة خاصة من المقاتلين لم يرد ذكرها ببال القانون الدولي، إذا لا يقيم لها وزناً، رغم ما يمكن أن يكون لحمايتها من أثر كبير بعد انتهاء النزاع المسلح غير الدولي في إصلاح الصدع والتئام الجرح وجمع فتات الدولة الإسلامية من جديد، هذه الفئة هي فئة ذوي الأرحام من المقاتلين في النزاع المسلح غير الدولي، وبيان مضمون الحماية لهؤلاء الأشخاص في الشريعة الإسلامية نقدمه فيما يلي: مضمون الحماية الإسلامية للمقاتلين من ذوي الأرحام:

النزاع المسلح غير الدولي في واقعة كربلاء لم يكون بين دولة مسلمة منقطعة الصلة بدولة أخرى كافرة، ولا بين فرد مسلم مقطوع الصلة بفرد آخر كافر، وإنما هو نزاع بين أفراد وطوائف يتبعون لدولة واحدة، ويربطهم دين واحد وشريعة واحدة وعقيدة واحدة، زيادة على ما بينهم يقيناً من صلوات الدم والنسب والرحم، وفي ذات الوقت الذي لا يعرف فيه القانون الدولي لصلة الرحم قدراً حتى وهو في القرن الواحد والعشرين، يصون التشريع الإسلامي هذه الصلة، ويقيم لها وزناً كريماً في وقت السلم وفي وقت الحرب، أما في وقت السلم فتتضح أهميتها مما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثارة في المال منسأة في الأثر)⁽²⁸⁾. ولا يقتصر التشريع الإسلامي على ذلك، بل يصونها أيضاً وقت نشوب الأزمات والنزاعات، حتى لا يستشري الحقد والبغضاء والكراهية بين الأقارب، وإذا ما انجلت الحرب كان من السهل أن تعود النفوس إلي صفائها ونقاها وحتى يلتئم الصف الإسلامي من جديد في أقرب فرصه.

وبالرجوع للمذاهب الإسلامية نجد في حماية ذوي الأرحام أثناء النزاع هذين المذهبين:

المذهب الأول: أنه يكره قتل ذوي الأرحام أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية، ويستحب للمقاتل أن يعدل الي غير ذوي الأرحام دفاعاً، وهذا هو مذهب الجمهور من الحنيفة و المالكية الشافعية ورواية عند احمد(29).

المذاهب الثاني: أنه لا يكره قتل ذوي الأرحام أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية، بل يجوز ذلك ولا يمنع منه مانع ويكون حكمهم كسائر المقاتلين، وهذه رواية لأحمد(30).

استدل المذهب الأول على كراهة قتل ذوي الأرحام بما يلي: قوله تعالى: (وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(31).

ما روي عن النبي (صلي الله وعليه وسلم) أنه كف أبا حذيفة عن قتل أبيه يوم بدر وكف أبا بكر عن قتل ابنه عبد الرحمن يوم أحد (32).

استدل أصحاب المذهب الثاني على عدم كراهة ذلك بما يلي: أن بر الوالدين وصله الرحم أثناء القتال يؤديان إلي معصية، لأن عدم قتلها فيه مخالفة لأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولم يخص بذلك أبناء ولا آباء ولا غيرها.

ما روي عن نافع عن عبد الله عن النبي (صلي الله وعليه وسلم) قال: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)(33).

والمدقق في أدلة كل من الفريقين يتبين له رجحان مذهب الجمهور في القول بكراهة قتل ذوي الأرحام أثناء المنازعات الأهلية وذلك لما يلي:

القول بأن ير الوالدين وصلة الرحم يؤديان إلي معصية لأن عدم قتلها فيه مخالفة لأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، فإنه يجب على ذلك، بأن أصحاب المذهب الأول لا يقولون بعدم قتلها، وإنما هم يغتنمون الفسحة في أن يعدل القاتل عن ذوي رحمه، ويكل قتله أو قتاله إلي غيره، وذلك مراعاة لوشائج القربى بينهم، خاصة وقد اجتمع مع حرمة القرابة حرمة الإسلام، فيمنعه ذلك من القصد إلي قتله، بخلاف الكافر، فإنه لا يتوافر في حقه إلا حرمة القرابة، وذلك لا يمنع من قتله(34). بهذا يترجح إلينا ما ذهب إليه الجمهور من القول بكراهة عمد المقاتل إلي ذوي أرحامه فيقتلهم في المنازعات المسلحة غير الدولية، ويستحب له أن يتركهم لغيره فإن قتلهم كان ذلك دفعاً لبغيهم، وإن لم يقتلوا كان عدم العمد إليهم مدعاة للرجوع وأساساً للفيء والصلح.

أما حماية قتلى النزاعات المسلحة غير الدولية في القانون الدولي العام: برغم الأهمية الكبرى لحماية جثث القتلى في النزاعات المسلحة غير الدولية التي

تدور رحاها بين الأخوة والأشقاء، ومعرفة أخبار المفقودين أثناء هذه النزاعات من الأسر والعائلات، فإن البروتوكول الثاني لم يخصص لهم مادة مستقلة وإنما جاءت الإشارة إلي هذه الحماية في آخر المادة الثامنة الخاصة بالبحث، فقد تضمنت هذه المادة في الجملة الأخيرة منها ضرورة البحث عن الموتى وحمايتهم بقولها: (... والبحث عن الموتى والحيلولة دون انتهاك حرمتهم وأداء المراسم الأخيرة لهم بطريقة كريمة). والحيلولة دون انتهاك حرمتهم تعني أن يقبروا بطريقة لائقة كريمة - في غير حالة الغرق أو الحرق - بعد أداء المراسم الدينية لهم حسب ديانة كل فرد⁽³⁵⁾. كما يلتزم أطراف النزاع بدفن كل جثة على حدة بقدر الإمكان، وأن تكون المقابر محترمة ومجمعة إذا أمكن تبعاً لجنسياتهم، وأن تكون مميزة يمكن الاستدلال عليها، كما يجب فحص الجثة قبل دفنها، وإذا أمكن فحصها طبياً بقصد التأكد من حالة الوفاة والتحقق من شخصية المتوفى، والتمكن من وضع تقرير عنها⁽³⁶⁾.

وحيث أن احترام جثث الموتى ونقلها إلي ذويها يمكن أن يكون في نهاية القتال عامل سلام بين المتنازعين، فإنه يمكن أن يدخل ضمناً في العبارة السابقة الخاصة بموتى النزاعات المسلحة غير الدولية ما نص عليه البروتوكول الأول من قواعد لحماية موتى النزاعات الدولية، خاصة وأن موتى النزاعات المسلحة غير الدولية أولي بالحماية والرعاية.

وعلى ذلك يجب على أطراف النزاع تجاه رفات الموتى ومقابرهم العمل بما يناسب النزاعات المسلمة غير الدولية على ما يلي:

(أ) تسهيل وصول أسر الموتى وممثلي الدوائر الرسمية لتسجيل القبور إلي مدافن للموتى واتخاذ الترتيبات العملية بشأن ذلك.

(ب) تأمين حماية هذه المدافن وصيانتها بصورة مستمرة.

(ج) تسهيل عودة رفات الموتى وأمتعتهم الشخصية إلي وطنهم إذا ما طلب ذلك هذا البلد، أو طلبه أقرب الناس إلي المتوفى ولم يعترض هذا البلد - م 2/34 من البروتوكول الأول.

وتسهيل الحصول على المعلومات على أوسع نطاق ممكن عن هؤلاء الأشخاص وإجراء البحث عنهم عند الاقتضاء وتسجيل المعلومات المتعلقة بهم إذا توفوا.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات:

وبالنظر إلي ما تقدم من حماية القتلى في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام يتبين لنا اتفاق الشريعة الإسلامية و القانون الدولي في حماية جثث القتلى، ودفنهم والحيلولة دون انتهاك حرمتهم، وأداء المراسم الدينية الأخيرة لهم

كلّ على حسب ديانته غير أن الشرعية الإسلامية يبقي لها مزيد من الفضل فيما يلي:

- 1- أن قتل هذه المنازعات من الفئة العادلة شهيداً، وذلك لأنهم قتلوا في معركة أمر الله تعالى فيها بالقتال. وللشهيد مكانته العالية التي يطمح إليها ويأمل فيها كل مؤمن، يدل لذلك ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: (ما من عبد يموت له خير يسره أن يرجع إلي الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يري من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلي الدنيا فيقتل مرة أخرى)(37).
- 2- إن قتلي واقعة كربلاء انتهكت حرمتهم وتم التمثيل بجثثهم في هذه النزاعات التي تبالغ الشريعة الإسلامية في احترام قتلها إلي درجة لا يرقى إليها تشريع وضعي أو قانون بشري، وذلك عندما حرمت مجرد الجلوس على المقابر أو الاستناد إليها فضلاً عن نبشها، ليس ذلك فقط بل حرمت سب ذلك القتل وان كان من الطرف الآخر مادام مسلماً.
- 3- تفرد الشريعة الإسلامية وتفوقها على القانون الدولي في صيانتها لذوي الأرحام وحمايتهم لهم حتى في وقت النزاعات واشتداد الأزمات، وذلك حتى لا يستشري بين ذوي الأرحام الحقد والكراهية والبغضاء وغير ذلك من أمراض المجتمع الخبيثة.

وبذلك ننتهي من بيان مضمون الحماية الإسلامية والدولية التي كانت من الواجب توفيرها للضحايا من المقاتلين في(كربلاء) النزاعات المسلحة غير الدولية.

أهم المراجع:

- تفسير القاسمي المسمى محاسن التفسير/جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي.
- صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري/الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني- أحمد عبد الرحمن البنا.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر صالح الهيثمي الحافظ.
- المستدرک على الصحيحين-أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.
- مسند الإمام احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني.
- مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي/طبعة مصر.
- المصنف للصنعاني/ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني.
- المصنف في الأحاديث والآثار للشيباني/ محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان.
- الموطأ: للإمام مالك بن انس بن مالك الأصبحي.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: محم- المغنى لابن قدامة: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي.
- غياث الأمم في التياث الظلم: ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني إمام الحرمين الشريفيين.

- أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية: عبد اللطيف محمد عامر
- القاموس المحيط: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي.

الهوامش:

- 1 - سورة يوسف: الآية (111).
- 2 - سورة الإسراء: الآية(70).
- ٢ - الشيباني: شرح كتاب السير الكبير: ج/1ص110.
- 3- الكاساني: ج 7 ص 142. المبسوط: ج 10 ص 131. حاشية الشنلي: ج 3 ص 256. المغني: لابن قدامه، ج 10 ص 565.
- 6 - صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: مجلد4ج12ص37، مرجع سابق ص32. ابن ماجه: ج2ص953حديث رقم 2857، مرجع سابق ص116.
- 7 -صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: مجلد4ج12ص37 ابن ماجة 953حديث12857
- 8 - البيهقي ج 8 ص183، مرجع سابق ص116.
- 9 - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج 4، ص229. مرجع سابق ص22.
- 10 - الذهبي: تاريخ الإسلام والمغازي ص41.
- 11 - المبسوط: السرخسي: ج10 ص31.
- 12 - أبو الأعلى المودودي: الشريعة الإسلامية في الجهاد والعلاقات الدولية، ص153-154.
- 13 - المبسوط: للسرخسي: ج10 ص136.
- 14 - الكاساني: ج 7 ص142.
- 15 - الحاوي ج 3 ص137. المغني ج 10 ص61.
- 16 - الحاوي: ج13 ص138- الأحكام السلطانية للموردي ص77.
- 17 - البيهقي ج 8 ص186.
- 18 - الماوردي: ص77.
- 19 - الأحكام السلطانية: للقراء ص156 مرجع سابق ص91. - ابن ماجة ج 1 ص488.
- 20 - الماوردي ص77.
- 21 - القوانين الفقهية: بن جزى ص63 - الماوردي: ص77. المغني ج 10 ص66.
- 22 - المبسوط: للسرخسي: ج 10 ص131.
- 23 - سورة الحجرات: الآية 9.
- 24 - المبسوط: للسرخسي: ج 10 ص131.
- 25_ صحيح مسلم: شرح النووي 7/3ص37- ابن ماجه ص499.
- 26 - فتح الباري: شرح صحيح البخاري ج 3 ص304.
- 27 - المغني: ج2ص381.
- 28 - فتح الباري: ج10ص429.
- 29 - البحر الرائق: ج 5ص153. منح الجليل: ج 4 ص459- الأم: ج 5 ص161- المغني: ج10ص67.
- 30 - المغني: ج 10 ص67-68.
- 31 - سورة لقمان: الآية/ 15.
- 32 - أسباب النزول للنيسابوري: ص310.
- 33 - صحيح البخاري: 9/3 ص78.
- 34- للسرخسي: ج 10 ص132.
- 35 - سيلفي ستوانكا ص1433.
- 36 - عبد الغني محمود: القانون الدولي الإنساني: ص114.
- 37 - فتح الباري: ج6 ص39حديث رقم 2817.

آثر الفكر الخارجي في الثقافة الداعشية وانعكاسه على الواقع العراقي المعاصر

أستاذ مشارك

الدكتور عدنان طهماسبي

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة طهران

adnant@ut.ac.ir

ملخص البحث

في الخلافة ومسألتها مفتاح أول لفهم التاريخ العربي ورمز للسيادة فعليها يتولى المسلم منصب الخلافة التي هي وراثية للنبوّة كما قال ابن خلدون: العرب لا يحصل لهم الملك إلا بالنبو، فالانشقاق الذي حصل بعد وفاة النبي (ص) جعل المسلمين يتشرذمون وطغت قضية الأحقية القبلية بينهم على المبدأ الشرعي في تولي الحكومة الإسلامية واثبات حاكمية الامامة بالنص، إلى ذلك بات التوكيد على الذات ونفي الآخر محور الصراعات في المجتمع العربي، فالثقافة العربية نهضت على ذلك. ولكي نتوقف على الظاهرة لا بد لنا أن نعرف شعورها عند الناس في المجتمعات العربية ذات الازدواج الثقافي ولنعرف الإنسان العربي المسلم كيف فكر ويفكر وبحسب أدونيس فالفرد العربي ليس له وجود بل الأمة هي الكأس الموجود ولا قيمة له إلا من خلال الأمة، وليس للفرد العربي دور إلا أن ينصاع وينصهر في بوتقتها وإذا خرج عن النمط السائد ينبذ ويعامل معاملة الغرباء والعبيد والموالي والعجم ويلتصق بجبينه أنه خارجي ولو كان من أبناء النبوّة (ع). هذا البحث يرنو إلى طرح قضية الخارجي في ظلّ هذه الثقافة.

آثر الفكر الخارجي في الثقافة الداعشية وانعكاسه على الواقع العراقي المعاصر

أستاذ مشارك

الدكتور عدنان طهماسبى

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة طهران

adnant@ut.ac.ir

يرى أدونيس أن الثابت هو الفكر الذي ينهض على النص ويتخذ من ثباته حجته لثباته هو ويفرض نفسه بوصفه المعنى الوحيد الصحيح لهذا النص ويقول عن المتحول بأنه الفكر الذي ينهض هو أيضا على النص لكن بتأويل، حيث يرى الأخير المرجعية في العقل لا على النقل خلاف الحديث المأثور «من قال بالقرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ»

وإذ يرى الطبري في ذلك أساس المعرفة الإسلامية التي صنفها بأنها نبوية نقلية لم تقبل التأويل وعلى هذا، يكون الدين هو دين أمة وبالتالي تكون المعرفة هي معرفة الأمة، الأمر الذي ينبهنا على قضية أساسية في الثقافة الإسلامية هي «النهي عن الفرقة» ولزوم الجماعة.

فالسلفية ترى على ما جاء في الكمال ان المعرفة تكون بالنص والنقل وهو رأي يعود للشافعي الذي قال لا ثالث لهما، وهي مقاربة لفكر ادونيس الذي يرى ان الحقيقة ليست في العالم او الطبيعة، بل في النص وعلى فهم الواقع وفقاً للنص وعلى اللاتساؤل وعلى أن الحقيقة واحدة فلا تعدد وهنا تكمن الإشكالية التي تولدها العقيدة المطلقة غيبية كانت ام دنيوية، فترى نفسها الحق وماعداها ضلال، فالمجتمعون على هذا يرون ان الأصل المؤسس في العهد النبوي الأول، وكل انحراف عنه انما هو انحدار وهبوط عند ذلك الاصل، والجدير بنا هنا التمييز بين نوعين من القراءات التي تعنى بالنبوية النصية:

الاول: هناك من يريد ان يحول النص الى عنصر نضال وتحرير ومفاجئة والثاني يقرأه بحرفيته حيث يصفها ادونيس بأنها قراءه ايديولوجية وهي في ذلك تتحول الى نص سياسي الذي يكون مؤسسا للآتي:

أ - تقتضي القراءة الايديولوجية العمل للفوز بالسلطة، من أجل تعميم «حقائقها» (حقائق القراءة)

ب - تصبح المعرفة سلطه، والسلطة معرفة: تتماهى الحقيقة مع القوة.

ج - هذه القراءة الايديولوجية - السياسية، تثير بالضرورة قراءة أو قراءات أخرى.

د - يصبح النص الديني مكاناً لحرب القراءات (التأويلات) أعني مكاناً لحرب السلطات، من حيث أن القراءة الايديولوجية تحوله الى وسيلة للتغلب والسيطرة.

هـ - يسوّغ العنف بوصفه جزءاً من هذه القراءات - السلطات وبوصف كل من هذه، إنها تمثل الحق، وتتطابق مع الارادة الالهية ومن حيث أنها تبعا لذلك، تفسر كل تعارض معها على أنه تعارض مع الحق.

* وبحسب اصحاب هذه القراءات تكون الامة الاسلامية مركز العالم في حين يكون الآخر على خطأ.

ولنا بناء على ما سبق القول بأن ثقافة النظام السائد هي التمسك بالأصول والمحافظة على القيم الموروثة كما هي أو كما نقلها الخلف عن السلف.

والثقافة على المستوى الثاني هي التي تستند على نظرة تأويلية ونرى أنها مقموعة ومهمشة والبعض منها أبيد كلياً.

ومن خلال هذه المقدمة اريد أن اتطرق الان الى قضايا مفصلية ذات خطر في محطات تاريخنا العربي الاسلامي الا هي الخلافة؛ فهي مفتاح اول لفهم النص وفهم ثقافة قبول ورفض الآخر، اذ انها ليست نقطة اللقاء بين الدين والدنيا وحسب، بل هي رمز لسيادة الدين على الدنيا ايضا فضلا عن كونها ممارسة هذه السيادة.

ان تولي المسلم منصب الخلافة في ظاهر معناه اللغوي هو أن « يكون خلفاً للنبي، بمعنى ما، وأن يكون قائماً بأمر الله، مؤتمناً على تنفيذ أحكامه فالخلافة، اي السلطة، إنما هي وراثه للنبي. فهي إذن مسئولية مدنية ودينية والأجدر بها في الحاليين من «كانت النبوة فيهم» برواية ابن قتيبة. (الامامة والسياسة القاهرة، طبعة 2، ص 8). وفي هذا الاق، يتجلى حسب ادونيس عمق الدلالة حيث يقول ابن خلدون: «العرب لا يحصل لهم الملك الا بالنبوة».

لكن المفارقة هي أن النبوة / الملك تأسست، والنبي يحتضر، في مناخ اقتتال بل يمكن القول انها تأسست بمبادرة شبيه «انقلابية» أي بشكل من أشكال العنف: «الأقوى»، لا «الأحق» هو وارث النبوة / الملك، أو هو الخليفة حيث بُدّل هذا في العصر العباسي من «الرضا من آل علي الى الرضا بال محمد» للمزيد راجع الحياة السياسة للامام الرضا لجعفر مرتضى العاملي.

وعلى هذا المبدأ تأسس المجتمع الاسلامي، وتزامن وجود هذا الطرح منذ وفاة النبي ونشوء فكرة الخلافة، على انشقاق مزدوج: «ديني» و«ملكي».

ولهذا كانت السلطة (النبوة / الملك)، أي القوة التي هي في موقع السلطة لانتصار مع القوة المناوئة او لاتنفيذها جدياً، سواء بالمعنى الماركسي او بالمعنى

الهيغلي، ولا تنفيها تمايزياً، بالمعنى النيتشوي، وانما تنفيها نبوياً بمعنى أنها هي الواحد وأن من يناقضها يناقض الواحد، أي يناقض النبوة / الدين.

وهكذا نمت افكار الاسلامية والعروبية في حركة قوامها توكيد الذات ونفي الآخر، سواء كان هذا الآخر معادياً للسلطة، من داخل المجتمع العربي، أو معادياً للمجتمع العربي من خارج. ولا يمكن، كما أرى فهم طبيعة السلطة في الاسلام (حسب ادونيس)، إلا بفهم العلاقة التي بنيت، تاريخياً، بشكل يكاد أن يكون عضوياً، بين رمز الله الأحد، ووارث نبوته: الخليفة، وليس «الاجماع» دنوبياً، على الواحد السياسي، إلا الوجه الآخر للاجماع دينياً على الواحد الهياً، والواحد نبوياً.¹ ويتابع ادونيس هذا الكلام ليقول وهذا عائد الى انتقال رمز الواحد، من مستوى الايمان الديني التجريدي، الى مستوى الانحياز السياسي العملي.

؛ فهم هذا «التوحيد» بين المستويين هو الاساس الاول لفهم طبيعة السلطة في الاسلام، وفهم التاريخ العربي
فحري بنا اذن معرفة ما معنى الخلافة في خضم هذا الواقع وما الثقافة التي تأسست عليها؟.

إن الأمة هي الكائن الذي يمكن أن يوصف بأنه الموجود، والفرد يحدد بالمكان الذي يشغله في الأمة – الوحدة الواحدة. فهو ليس مجرد برعم في الشجرة / الأمة.

لا شك أن مفهوم الفرد المسؤول، سيد إرادته، ظهر في التجربة الصوفية، ذلك أن الإرادة هذه تعبير عن ارادة متعالية وهي ارادة الله: وحين يقرر الصوفي او يريد، فانما يطبع ارادة أعلى من ارادته فارادته بتعبير آخر، هي من أجل أن يحو ارادته. ذلك أن « يظل في مطلق خروجه على الشريعة «عبداً» لسيد الشريعة «عبداً لله». الانسان في الاسلام (هذا)² يكون ويصلح بالجماعة / الأمة، وداخلها. ووحدة الجماعة في الأمة لاتفسد، لأنها رمز الوحدة الألهية، ولا يمكن ان يتواطأ المجتمع الا على الخير وهي الارادة العامة بصفتها الاسلامية الجانحة نحو الطبيعة الخيرة في الفرد لمسلم، ومن هنا كان تاريخنا الذي كتب مجرد سرد لحيات الجماعة اليومية وأخبارها – او هو مجرد سرد لأحداث الخروج عليها وعنها. وبعبارة أدق: ان التاريخ العربي هو تاريخ السلطة / النظام، اي تاريخ الجماعة. منتظمة في بنية سياسية وهي سياسياً شكلاً كاملاً من تصرف الأمة بوجهها السياسي لا الواقعي وعندما تريد الأمة النظر واعادة البناء تستدعي تستعيد هذا النموذج وتتطابق معه.

ومنذ الخلافة الأولى حدث انشقاق داخل الجماعة الاسلامية كان في اساسه سياسياً يدور حول من يخلف النبي، ثم أصبح دينياً، إذ أخذ كل فريق يستند الى الدين، لكي يسوّغ موقفه من جهة وكى يدعم أحقيته من جهة ثانية وهكذا صار

الدين في الممارسة السياسية سلاحاً يحاول كل فريق أن يستأثر بفهمه الصحيح، أي أن يجعل منه سلاحه الخاص. وبدءاً من ذلك صارت ايدولوجية الفئة التي غلبت وسيطرت على النظام تقوم على تفسيرها الخاص للدين المتأثر الى حد كبير بمصالحها الاقتصادية وانتماءاتها السياسية والاجتماعية وصارت ايدولوجية الفئة المغلوبة تقوم هي ايضاً على تفسيرها الخاص بها.

وأدت ظروف الصراع تحت عنوان اسقاط البدعة والابتداع والأهواء على من يعارض السلطة الغالبة الامر الذي ادى الى التشهير بهم وزجهم بالسجون والقتل.

وعلينا ان نكرر هنا أن هذه الخصائص ليست خصائص الذهن العربي بوصفه كلاً وانما هي خصائص الذهنية التي سادت الحياة العربية ووجهتها ولنقل إنها ذهنية الفئات التي كانت في موقع السلطة، لاذهنية المجتمع العربي بكامله...

كان الإسلام يؤسس لرؤية جديدة في المجتمع العربي البدوي و اراد اقامة نظام جديد، غير أن للثقافة العربية نشأة مزدوجة: جاهلية وإسلامية. وبما أن « الإسلام نهاية أو خاتمة الرؤيا العربية (والإنسانية) للحياة والكون، فقد فسّرت البداية في ضوء الدين الإسلامي، بحيث أن النهاية صارت هي نفسها البداية، فما يكون النهاية لا بد من أن يكون البداية أيضاً، إذ هو نفي لكل ما سبقه مما يناقضه من جهة، وتأسيس للأصول من جهة ثانية. الجاهلية تقدم الإسلام، ظاهرياً، لكن الإسلام يتقدمها جوهرياً. ومن هنا لا نعرف الإسلام بالجاهلية، وإنما نعرف الجاهلية بالإسلام. فالإسلام هو الأصل الذي يعرف به، وفي ضوئه، كل شيء كان قبله، وكل شيء يجيء بدءاً منه. وإذا كان الأصل هو الثابت القديم، وما يجيء، هو المتحول المُحدث، فإن القضية الأساسية في دراسة الثقافة العربية، وفي التراث العربي بعامة، هي فهم طبيعة العلاقة بين رؤيا الثبات ورؤيا التحول، أو طبيعة الصراع بين منحى الاتباع ومنحى الابتداع. وقد اتخذ هذا الصراع مظهرين: دينياً – سياسياً يدور حول الخلافة أو الإمامة، ودينياً – عقلياً يدور حول طبيعة العلاقة بين الدين والعقل، والدين والحياة. وبرز في هذا الصراع، منذ غياب الرسول، اتجاهان: الأول يجد في القرشية العربية، والنص الديني – كتاباً وسنة، وبعض الصحابة، أساساً ومنطلقاً. والثاني يجد أساسه ومنطلقه في الإسلام بذاته، وفي الإنسان المسلم بما هو إنسان. وأسس أصحاب الاتجاه الأول لنظرة تقول بمراقبة الإمام ولزوم الحق والعدل واحقية الخروج على الإمام إذا جار و عدل عن الحق وجادة الصواب. وكان يقابل هذا الانقسام في المعاني انقسام اقتصادي – اجتماعي: من جهة، أشراف هم الطبقة القرشية وحلفاؤها، ومن جهة ثانية، طبقة «غوغاء» و«عبيد» و«نزاع قبائل» و«سودان»، كما كانت تسميها الطبقة القرشية السائدة. ولهذا كانت السيادة لثقافة مزدوجة في المعايير بين الغوغاء من جهة والقرشيين الاسياد من جهة اخرى، وبمنظورها الديني بخاصة، طول القرون التي انت بعد انشقاق الامة بين هاتين الثقافتين.

ان هذا المنحى الثقافي الاتباعي هو الذي هيمن في المجتمع العربي الذي شهد حكم الامويين حيث تمثل الطبقة الحاكمة بما يقابلها من الطبقات المهضومه حقاً وحقوقاً وكان أبو ذر الغفاري بين أوائل من ناضلوا بفكرهم وعلمهم هذا الوضع الذي استاء منه الكثير حيث اضطربت الامور بقيام الناس على الوضع هذا مما دفعهم الى مناداة سلطة الناس لا سلطة الحاكم هكذا نشأت الدولة الأموية على أصل هو انشقاق المجتمع العربي سياسياً وفكرياً. وهو انشقاق عمودي وأفقي. أعني الفروع والأصول على حد سواء وهكذا كانت الدولة بمثابة الجزء الذي يسيطر على الكل تفعل ما تشاء وفي هذا الاتجاه استمرت الدولة الأموية على الرغم من قيامها في مدينة حضارية ومجتمع حضارى تحكم وتتصرف بروح بدوية بلباس مدنيّ وهكذا استمرت بمبايعة يعلنها الفرد وبطاعته الكاملة للنظام ويكون مكلفا بممارسة هذه الطاعة لا بمحاربة النظام أو مراقبته.

فالنظام مسوول امام الله او امام الدين لا امام الذين بايعوه، ذلك أن البيعة شكل آخر من الخضوع لإرادة الله. وكان الامتناع عن البيعة شكلا من الرفض وله عقاب. فالسلطة هنا لا تتحاور وانما تخضع من يعارضها، وفي شخص الخليفة تتجمع العدالة والقانون، وهو الذي يمثل الارادة العامة ايضا بسبب نظام البيعة الذي يعد اقرارا بحاكمية السلطة البشرية التي من اهم خصائصها انها لا تخطيء وان حصل هذا لايجوز الخروج عليها. ومن جهة اخرى لا عقاب لخطأها.

ان دور الناس دور الطاعة والامتنال للخروج. ففي خروج الامام الحسين(ع) وابعاء واصحابه يرون بأنهم خرجوا على الدين فذبحوهم فذبح الله ووليه من ذبحهم، وبسبب تاويل قضية الخروج عن الامام سواء اكان برا او فاجرا شرع الامويون قتل الامام الحسين عليه السلام، وعدوه من الخوارج وهو ما يفسر استقبال موكب السبايا والرؤوس في الشام بالتهليل والتكبير من قبل الشاميين الذين عدوا الحسين واهل بيته وابعائه واصحابه خارجيين وقتالهم واجب على السلطة الدينية والسياسية المتمثلة بالحاكم الاموي.

ان اطروحة رفض الآخر قد ترسخت في اذهاب بعض الفئات التي كانت عماد جيش الامام علي عليه السلام وهم الخوارج الذين احكموا رايهم بان الحكومة لله ورسوله ولا حكومة الا بنص ظاهر، فانقلبوا على الامام علي عليه السلام بعد عملية التحكيم التي حصلت في حروب صفين مع جيش معاوية.

وتحكي الوقائع التاريخية قصة انقلاب هذه الفئة على امامها، والمميز انها ايضا انقلبت على ولاية معاوية ايضا، فخرجت عن حاكمية السلطة الشرعية بان دعت الى فهم النص فهما جديدا يقوم على ظواهر النصوص القرآنية ولا يعتني باي شيء آخر الامر الذي تسبب بظهور فئة من اخطر ما ظهر على زجه الارض من جماعات سفهت العقل والتزمت حرفية النص بظاهرة فقط دون الالتفات الى السنة النبوية الحاكمة في تاويله وتفسيره، مما تسبب ذلك ايضا بان يترك الامام

علي عليه السلام حرب معاوية على الرغم من اهميتها الكبيرة في ارجاع الدين الى نصابه الحقيقي الثابت كما انزل وتفضيل الامام قتال الاكثر خطورة على الاقل خطورة على الرغم من ان الامر النبوي الشريف بضرورة قتال المارقين والقاسطين والناكثين جميعا.

ان هذه الجماعة بفكرها الذي سدج العقل وسفه النص واخرجه عن حقيقته التي نزل بها كسرت الثابت الديني الذي نزلت بموجبه الرسالة مؤسسة فهما جديدا للنص والدين يقوم على حاكمة الخلافة بالبيعة فقط ولا يلتفت الى ظروف هذه الحاكمة التي ظهرت لنزعات قبلية اساسا ولكن استحسان هذه الجماعة لفكرة الخلافة بالحاكمة ولو قهرا جعلت من تصرفاتها على وفق منظورهم مبررة، ولذا كان قتالهم اولياء الامر من وجهة نظرهم مبررا لانهم عدوا الامامة بالقهر مبدءا يمكن اعتماده في ادارة الدولة مازجين المطالب الدينية بالمطالب الدنيوية محكمين الاهواء في تفسير النصوص على ظاهرها وهو من اخطر ما مرت الامة الاسلامية به من ظهور جماعات تاخذ من الدين الغطاء الشرعي لمطالبها الدنيوية، والغريب ان الجماعات المتطرفة في العراق والشام قد اخذت المنحى ذاته الذي اخذه الخوارج في زمن الامام علي عليه السلام فبسطوا سلطتهم المدنية والادارية بالغبلة والقهر على المناطق التي سيطروا عليها في الشام والعراق وبرروا لانفسهم القتل والسبي انطلاقا من الفهم الناقص لروح النص ونطلاقا من مبدءا رفض الآخر وان كان على حق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهوامش:

1. [وهذا ما يذكرنا بما قاله الكواكبي في طبائع الاستبداد حيث يقول «ما من مستبد و الا وقد أضفى الى نفسه القدسية»].
2. عند ما يتحدث أدونيس عن الدين لا يقصد الدين عند الله بل يقصد الدين عند الانسان لا الدين كما اراده الله و كما أراد أن يكون، بل الدين فهمه و طبقه الانسان فحسب هذا كما أن الدين يحاول أن يغير الانسان. فان الانسان بدوره يغير الدين. و الشاهد على ذلك الفرق الدينية في الأديان و ظاهرة الفرق تعني أنه كما الحضارات تختلف باختلاف الأزمنة و الأمكنة. كذلك الدين كما اراده الله شيء و كما فهمه الناس و عاشوه شيء آخر (الثابت و المتحول، ج 1، ص 45)

مصادر البحث:

- أدونيس: **الثابت والمتحول**، الجزء الأول والثاني والرابع، الطبعة الثامنة، بيروت، 2002م.
- أدونيس، **النظام والكلام**، بيروت: دار الآداب، 1992م.
- عبدالرحمن الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، مصر، 2015.
- الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، قم: دار الحديث للطباعة، 1424هـ.

نهضة الحسين عليه السلام طريقنا لإصلاح واقعنا

الدكتور بهاء الوكيل

لندن

نهضة الحسين عليه السلام طريقنا لإصلاح واقعنا

الدكتور بهاء الوكيل

لندن

مقدمة:

تميزت حركة الإمام الحسين عليه السلام في نهضته بحقيقتها الإصلاحية، فلذا أصبحت بمثابة الفتح الكبير وفقاً لمقاصد الرؤية الإسلامية الشاملة في حركة الإصلاح البشري وعلى مر التاريخ. ومن خلال معالم تلك النهضة الإنسانية نستطيع أن نحدد ملامح المنهج التربوي الأصلي والتي أراد الإمام عليه السلام أن يطلقها بوجه السلطة الظالمة الحاكمة وتحرير معصمي الحرية والعدالة المكبلتين من قبل أيديولوجيات السلطة الحاكمة آنذاك وتوجيهها وفقاً لما يرتئيه المنهج الإسلامي القويم ونظرته للحرية والعدالة الإجتماعية.

ولذلك أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يشير بنهضته إلى هذين الركنتين الأساسيين والمهمين في حياة الإنسان أي الحرية والعدالة وينبه المجتمع إلى الرجوع إلى منهجية القرآن الكريم ونظرته وإهتمامه بهذين المبدأين من جهة، وأن يذكرهم عليه السلام بأنهم أمة ترفع شعارات لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة أخرى.

ولهذا وجه عناصر نهضته الإصلاحية نحو أسباب الفساد الذي إستشرى في جسد الأمة نتيجة تولى من هم أشرارها، وتلاعب السلطة الأموية بروح المقدسات ومحاولة هدم الضوابط وإنتهاك الحدود وإشاعة الفساد والإفساد بين صفوف الأمة، من أجل تثبيت وحفظ مصالحها السياسية. تلك المصالح التي اقتضت أن تجعل من المعارف الدينية أداة تستخدمها لخدمة مشروعها السلطوي وشرعنة السلطة لها، عندما أخذت توظف الدين سياسياً من خلال اصطناع منظومة الفقه السياسي الذي يسوّغ للحاكم ممارسة الظلم والجور وإباحة الأعراس والأنفس وهتك الحرمات. ولقد نجحت ببناء منظومة الفقه السياسي السلطاني المُنتج لمشروعية طاعة السلطان وتسليم الأمة له وانقيادها إليه. وكانت نتيجة هذا المنهج المصطنع هو إبطال فريضة العمل بمبدأي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بوصفهما الركنان المتينان لتقويم البنية الإجتماعية وفرض الرقابة على السلطة السياسية.

الفصل الأول: الإصلاح هدف الثورة الحسينية

إن المجتمع في زمن الدولة الأموية كان يئن من عمق الفساد الذي تغلغت جذوره كل نواحي المجتمع الإسلامي رغم كونه قريب العهد من بدأ الرسالة الإسلامية، لذا كان لزاماً على حراس هذه الرسالة أن ينهضوا للإصلاح ومن غير الحسين ابن بنت رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ليقوم بهذه المهمة رغم الصعاب والدماء والتضحيات؟

وحيثما قام الحسين عليه السلام فإنه أراد أن ينطلق بنهضته التربوية ليُصلح ما فسد من أمور الأمة ويعيد إليها كرامتها ومجدها ويحفظ حقوق الإنسان فيها من خلال تفعيل هذين المبدأين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب من أبناء الأمة أن يتعاونوا معه ويتبعون نهضته لتحقيق هذا الهدف الإنساني العظيم. ولقد تجسّد كل هذا من خلال مقاصد رسالته لأخيه محمد بن الحنفية حين طرح فيها معالم تلك النهضة الإصلاحية وحدد حركتها، كما جاء في قوله عليه السلام:

"إني لم أخرج أشراً ولا بطراً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي". (مقتل الحسين عليه السلام - الخوارزمي المجلد الأول).

وهذا هدف الإصلاح الذي ظل متمسكاً به إلى آخر نفس من حياته الشريفة، دون كلل أو ملل، أو خضوع أو مهادنة. ولو أردنا استقراء مقاصد هذه الرسالة سنجدتها تنضوي على مقاصد الإصلاح الخالصة دون الإشارة إلى طلب الملك أو الجاه أو الرئاسة أو أي جانب دنيوي كما يتصور البعض بأنه أراد الرئاسة أو ما شابه ذلك من الترفهات والترف لفكري الساذج. ومن الخطأ أن نطلق على النهضة الحسينية كلمة الثورة، لأن مفردة الثورة غالباً ما يُقصد بها القيام بأعمال إنقلابية على السلطة الحاكمة من أجل تغييرها وإعتلاء الكرسي بعد سقوطها، ولذلك لا بد لنا من التأكيد على ضرورة طرح مفهوم النهضة الحسينية لأنها تتصف بمعالم ومقاصد الإصلاح وتطبيق آليات حقوق لإنسان بعيداً عن أي فكرة في إعتلاء المناصب أو السيطرة على مقاليد الحكم لا من قريب ولا من بعيد.

وفي هذا الصدد ذُكر في كتاب ((حركية الحسين وهدفية النهضة - الشيخ العابد)) صفحة ٢٢:

" لقد طرح الإمام الحسين عليه السلام في حركته الإصلاحية ملخص تربوي نهضوي لنبوءات السماء وحركتها الإصلاحية، ابتداءً من صُحف الخليل لإبراهيم ع وصولاً للقرآن الكريم وما جاء به جده خاتم الرسل والأنبياء محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وقرن مفهوم الإصلاح الإنساني المتمثل بعدالة السماء بمبدأي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بوصفهما يمثلان قانون الرقابة الإجتماعية على المستوى الفردي والجماعي والذي من خلال الإلتزام به، يتحول

كل إنسان إلى قيّم ومراقب وضمير حارس لمنظومة هذه القيم الإنسانية السماوية، وللمنهج الشرعي في حياة البشرية، مما يمهد لبناء الإنسان المثالي الذي كرمه الله على جميع مخلوقاته".

بقي على الإمة أن تفهم وتتفهم نهضة الإمام الحسين عليه السلام في محرم الحرام بما تحمله مقاصد الإمامة من وعي تربوي، وما تمثله من أسس ثابتة للعدالة في الإسلام وعقائده وشرائعه ومناهجه ووسائله وأهدافه وغاياته تجاه خليفة الله المكرّم، وبما يحمله الحسين عليه السلام بوصفه وريث لصفات النبوة وحامل لمقاصد رسالاتها، وفقاً لقوله صلى الله عليه وآله.

"حسين مني، وأنا من حسين". (فضائل الخمسة ج:3 ص262) (عن صحيح الترمذي).

نعم، فمجمال ما يحمله الحسين عليه السلام هو مجموعة من تلك القيم والمبادئ الرسالية وكيف لا وهو من تربي بحجر جدّه خاتم النبيين، وأبيه سيّد الوصيين، وأمه سيّدة نساء العالمين، عليهم أفضل الصلاة والتسليم، ولذلك نجد معالم تلك الركائز التربوية النبوية، ماثلة ومتجسّده وشاخسة في عناصر نهضته الإصلاحية.

إن ما جسّده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، من قيم السماء ومعالم الرسل والأنبياء قد أفاض بها على سبطه وريحانته، كذلك وأغدق عليه بمكرماته ومثّله، وغذاه بقيمه وما حملته عناصر خلقه ومكوناته من قيم صالحة، بذلك تسلّحت شخصية الحسين عليه السلام واصطبغت بصفات ومواريث انعكست على شخصيته منذ صباه. لقد حباه جدّه المصطفى ورعاه واعتنى به عناية خاصة، لأنه يعلم صلوات الله عليه وعلى آله من هو الإمام الحسين عليه السلام، وماهي حدود إمامته، ومواطن مسؤولياته تجاه الموروث الرسالي بصورة خاصة، ومايتعلق بالعدل الإجتماعي بصورة عامة.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا بأن الإمام الحسين عليه السلام بوصفه الإمام المصلح الذي جسّد منظومة القيم الإصلاحية السماوية والإنسانية تجسيدا حيا بما علق بشخصيته من الآثار والأنوار والأسرار الرسالية والنبوية، وما ترسّخ بها من عوامل التربية وعلاقته بالله سبحانه وتعالى، كان لا بد له أن يقف هذا الموقف البطولي من أجل الإصلاح وان كلّفه حياته. ومن هنا نجد معالم الوعي في نهضته الإصلاحية والدعوة إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل ونبذ العنف والفساد والإفساد في الأرض، شاخسة ومتمثلة في نهضته وفي شعاره عليه السلام. "إن لم يستقم دين محمد، فيا سيوف خذيني".

نعم، لولا تلك الدماء الزكية، والأنفس الطاهرة، لم تستقم معالم الدين الإسلامي والعدل الإنساني.

الفصل الثاني: عناصر الخلود في النهضة الحسينية

إن نجاح أي مشروع للتغيير مرتبط بديمومية وصلاح آثار ذلك المشروع. ومما لا شك فيه أن ليس هنالك مشروعاً خالداً وكذلك فعلاً على مرّ الأزمان كالمشروع الإصلاحية الحسيني. ولعل من أهم الأسباب لخلود النهضة الحسينية هو الشخصية الرسالية المعصومة التي يتمتع بها الحسين عليه السلام بوصفه إماماً مفروض الطاعة وهب واستفرغ كل ما يملك في سبيل منهجية السماء. إذ إن واحدة من أهم عوامل خلود هذه النهضة هو أن بطلها أعطى كل ما يملك لله ولم يبخل حتى بالطفل الرضيع.

وبما أنه عليه السلام يمثل المشروع الإصلاحية الرسالي فيما يحمله من أمانة الإمامة والولاية، والتزاماً بما أوجبه العصمة من إتباع منهجية الأنبياء والرسول في منظومة الإصلاح الإنساني عبر مراحل التاريخ البشري، ومسؤولية إكمال مهمة الرسول التربوية في عملية الإصلاح، كان لزاماً عليه أن يُحي هذه السنة الإصلاحية الرسالية إذا تعرضت منظومتها التربوية لأي اختراق أو تحريف أو تشويه، بوصفه الإمتداد الشرعي للرسالة. وحينما يكون الإصلاح هو الهدف الأول للسماء، فالإمام إذاً مسؤول عن القيام به بعزم دون ملل أو كلال أو مهادنة أو خضوع وإن كلفه ذلك كل غالٍ وعزيز.

وإزاء ماتقدم نستشف بأن نهضة الحسين عليه السلام وبما سالت فيها من دماء، تمثل المشروع الإلهي وحركة الأنبياء والرسول، وبهذا استمدت عناصر الخلود من تلك الرسائل السماوية.

إن النهضة الحسينية أضحت منارا يهتدي بها الثوار والمصلحون حتى وان كانوا من غير أبناء الأمة الإسلامية حين يمسّهم الظلم ويحلّ بهم الحيف، أمثال الزعيم الإصلاحية الهندي غاندي، حين قال قولته المشهورة "تعلمت من الحسين، كيف أكون مظلوماً لأنتصر".

وكذلك الثائر جيفارا حيث قال "على جميع الثوار في العالم الإقتداء بتلك الثورة العارمة التي قادها الزعيم الصلب الحسين العظيم والسير على نهجها لدرح زعماء الشر والإطاحة برؤوسهم العفنة".

أمّا ابراهام لونكولن: رئيس جمهورية أمريكا سابقا الذي تولى رئاسة أمريكا في عام 1865 ميلادية، قال: "مامن عظيم إلا ويخلد، إلا ان خلود الحسين كان مميزا بأفكاره النبيرة وعشق الناس له في شرق الأرض وغربها. إن القرآن ومحمد والحسين ثالث مقدس يجب النظر اليهم نظرة تقديس لأن فيهم الكثير من المثل العليا وإحترام حقوق الإنسان"

وأيضاً الشاعر الفرنسي الشهير بببيرجان جوف، حين قال "لقد درست بامعان مبادئ العديد من الثورات التحررية التي شهدتها العالم، فوجدت ثورة

الحسين كانت تحمل أعمق وأدق المبادئ النبيلة التي يسعى الثائرون لنشرها في آفاق عالمنا الكبير".

أما الكاتب الإنجليزي بيكرهون فقال: "إن الحسين جدير بكل الإحترام من قبل كل إنسان حر ثائر يريد إنتشال أمته من ظلم وقهر الحكام المستبدين الذين أدلوا شعوبهم وسلبوا منهم سبل العيش الرغيد والحياة الهائلة وأذاقوهم مر العذاب والهوان".

وكذلك المفكر الروسي تولستري حين قال: "مما لا ريب فيه إن الحسين كان من أعظم الرجال الثائرين من أجل تقويم الحكام الذين انحرفوا عن جادة الصواب فنال بوقفته تلك الشهادة التي طالما يتمناها الإحرار".

أما الرئيس الفرنسي السابق الجنرال ديغول فقال: "لقد ذكرني موقف الحسين بتلك الوقفة الجريئة أمام شخص أراد النيل منه ومن أسرته التي لها شأن عظيم لدى العديد من شعوب العالم وهنا لا بد وان نثني عليه ونقتبس من مبادئه السامية".

إن بعض من تكلم عن الحسين عليه السلام وصف نهضته المباركة بالثورة، وهذا من البديهيات بالنسبة لهم، لأنهم يؤمنون بالخروج على الحاكم الظالم لتغيير السلطة ومسك دفة الحكم فيها، وهذا يختلف عما كان يفكر فيه الحسين عليه السلام في نهضته الإصلاحية، لأنه بعيد عن التفكير في كل ما هو متعلق بالسلطة و الحكم، إذ كان همه رفع الظلم والحيث عن الناس وتطبيق منظومة العدل الإلهي.

فالحسين عليه السلام لم يخرج بأعز ما يملك من بقية الله من أهل بيته عليهم السلام، وخيرة الخيرين من أنصاره وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، إلا لهدف الإصلاح ودفع الظلم وإزاحة الحيف عن أبناء الأمة، وتطبيق نظرية العدل الإلهي، وتصحيح المسار الفكري الديني السلطوي الذي أنشأته المرجعيات الدينية التابعة للسلطة، ومنع الفساد والإفساد، الذي كان مستشري في جسد الأمة بسبب الزمرة الحاكمة.

الفصل الثالث: الحسين عليه السلام يرسي في نهضته مكارم الأخلاق:

تمثل الأخلاق البنية التحتية لمشروع الأنبياء والرسل في عمليات التبليغ والتوجيه الرسالي، ولم يرد نص واضح في الكتب السماوية يشير إلى ما أشار له القرآن الكريم واصفاً به نبي الأخلاق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، بما يمثله هذا النبي العظيم من كتلة ومنظومة أخلاقية، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - (سورة القلم آية 4) كما تمثل الأخلاق مجمل القيم الإنسانية السامية من محبة وسلام وونام وتعاون وعيش مشترك واحترام... إلخ من

الصفات والخصال التي يجب أن يتمتع بها كل إنسان سوي، كما أنها تمثل جوهر السلوك الإنساني في المنظومة التربوية الإسلامية..

إن البناء الأخلاقي هو الوسيلة الجوهرية للوصول إلى الغاية السامية والعظمى، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ومن هنا كان الأساس والمنطلق لنهضة الحسين عليه السلام الأخلاق وبأدق معانيها، إذ حملت نهضته أبعاداً إنسانية كثيرة تتعلق بحياة الفرد والمجتمع تجسّدت من خلال الدعوة إلى الحرية والابتعاد عن الحميّة والعصبية التي تمثل التمييز العنصري في عصرنا الحاضر ومن خلال مسؤولية الكلمة التي حملها الحسين عليه السلام في نهضته المباركة لتصحيح المسار المنحرف والحدّ من بعض المفاهيم والأفكار والعقائد الباطلة. وبهذا فإن نهضة الحسين عليه السلام أدت إلى إبطال نظرية الطاعة العمياء للسلطان الجائر من خلال فصل السلطة والخلافة عن المرجعية الدينية، إذ أنه سحب الشرعية الدينية عن الحاكم بعدما كان يتبجح بأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن واقعة الطف التي كشفت خسة المعسكر الأموي في حربهم لآل الرسول في قتلهم الأطفال ومنع الماء عن النساء والأطفال وكذلك سبي النساء، فأنها في عين الوقت أظهرت المثل العليا التي تعامل فيها الحسين عليه السلام وصحبه مع أعدائه. فهو في الوقت الذي قتل فيه عطشانا لم يحرم أعداءه من الماء حينما سقى جيش الحر ابن يزيد الرياحي ورشف خيولهم بعد ما كادوا أن يهلكوا من العطش قبل أيام من بدء المعركة الأمر الذي أثار في نفس الحرّ وفضل القتل مع الحسين عليه السلام على العيش مع آل زياد اللئام.

هل سمع العالم أن رجلاً مستهدفاً للقتل مع أهل بيته والقلة من أصحابه من قبل جيش كبير يبكي على أعدائه في كونهم سيدخلون النار بسببه؟ هذا هو الحسين ابن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين. وهذا الرجل هو نفسه الذي سنحت الفرصة له ولصحبه أن يتمكنوا من رؤوس الأعداء من قتلهم إلا أنه لم يوافق على استهدافهم قائلاً: "أني أكره أن أبدأهم بقتال."

لقد جسّد الإمام عليه السلام حبه لله بولاء مطلق له سبحانه وتعالى، وحوّل ذلك الولاء المطلق إلى تضحيات خالصة لوجهه الكريم دفاعاً عن منظومة السماء الإصلاحية العادلة، كما إنعكس منهج الحب هذا حتى مع المخالفين له، وقد طال عطفه وإنسانيته ورحمته الأعداء، إذ أنه بكى عليهم. كذلك جسّد الحسين عليه السلام احترام وشائج القرى وقبول توبة المخالفين والعفو عنهم، كما حدّث للحرّ الرياحي رضوان الله عليه عندما أقدم عليه يوم الطف وطلب منه السماح والتوبة، كما أسس لمنظومة عدم الإكراه على المناصرة له والتأييد لنهضته، إذ أذن لأصحابه في أكثر من مناسبة بالأنصراف قائلاً لهم:

" أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء..... أمّا بعد فإني لأعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا واني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا واني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام. هذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً ثمّ ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فأن القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري." (معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري ج:3 ص: 90)

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام وعلى مدى مسيرته الى كربلاء وفي أيام واقعة الطفّ ناصحاً لجيش أعدائه وكثيراً ما كان يخاطبهم بأنهم أخوة له ولهم الحق في النصيحة لئلا يقعوا فريسة للأعداء على الأولياء. لقد كان واضحاً في هذه الخطب من حيث أهداف النهضة وإلقاء الحجة واستنقاذ الذين غفلوا عن مكانته ٢ ونصرتة، وفعلاً لقد انتقل بعض من أفراد جيش عمر بن سعد الى معسكره لمّا سمعوا خطبه وأيقنوا بإخلاصه ولعل نموذج من هذه الكلمات والنصائح موجود في هذه الخطبة التي ارتجلها في العاشر من المحرم:

" أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ، وحتى أعتذر من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا اليّ ولا تنظروا " إنّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. " (تاريخ الطبري جزء:6 ص: 242).

لقد جسّد الإمام الحسين عليه السلام كل معاني الفضيلة التي هي مبادئ الإسلام العظيم، إذ أرسى الأسلام مبادئ الرحمة في أثناء الحروب ولقد نصّت الشريعة الإسلامية على الكثير من الأخلاق أثناء تلك الحروب والتي هي للدفاع عن المستضعفين وعن المقدسات:

(والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً) سورة النساء آية: 75.

أما الحروب من أجل الأستيلاء على الأراضي وقهر الشعوب ونهب ثرواتهم فلم يقوّها الأسلام، بل كان ذلك من شرعة الجاهلية حيث كانوا يشنون الغارات لأغراض خسيصة، منها الأستيلاء على الأرض وعلى المحاصيل والأموال، إذ لم تكن الحروب أنذاك في سبيل الله والمستضعفين. إن القرآن الكريم ينهى عن الأعتداء حيث قال جلّ وعلا:

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (سورة البقرة آية:190) وقال تعالى: (فإن انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظالمين). (سورة البقرة آية 193).

لما كان الهدف من وراء الحرب في الإسلام هو وقف الفساد والأعتداء الذي لا يتوقف إلاّ به، عندها شرّعت الحرب ضمن ضوابط وقواعد وموازن عادلة، ولها أخلاقياتها وشروطها وأساليبها وليس للمحاربين أو القائمين على الحرب الحرية فيما يريدون القيام به حسب ميولهم ورغباتهم، ولذلك ذكر الفقهاء جملة كبيرة من تلك الموازين نذكر أهمها: - (العمل السياسي لنهضة الحسين عليه السلام المجلد الأول ص195 محمد صادق الكرباسي).

أما قبيل الحرب:

- 1- طلب الحوار.
- 2- الدعوة الى التراجع عن القتال.
- 3- البدء بالنصح.
- 4- الدعوة الى الإسلام.
- 5- احترام المعاهدات وعدم نقضها.
- 6- المحافظة على سلامة الرّسل.

وأما بعد الحرب:

- 7- عدم البدء بالقتال.
- 8- عدم عرقبة الدابة التي يحارب من عليها.
- 9- عدم التبييت بالعدو.
- 10- عدم استخدام النار في الحرب للقضاء على العدو.
- 11- عدم استخدام السموم للقضاء على العدو.
- 12- عدم الغدر بالعدو.
- 13- عدم التمثيل بالعدو.
- 14- عدم تعذيب العدو.
- 15- عدم نقل رأس العدو المقتول من أرض المعركة.
- 16- قبول المُلْتَجِّأ منهم.
- 17- عدم قتل اللاجئ.
- 18- قبول ذمة وأمان المسلم لشخص العدو وممتلكاته.
- 19- عدم الغلول.
- 20- عدم قتل الجريح.
- 21- عدم تعقيب الفارين.
- 22- عدم قطع الماء عن المحاربين.
- 23- وأما سكنة دار الحرب:
عدم قتل كبار السن.

- 24- عدم قتل غير البالغين.
- 25- عدم قتل الأناث.
- 26- عدم قتل الخنثى.
- 27- عدم قتل المرضى والمجانين.
- 28- عدم قتل ذوي العاهات والأعمى.
- 29- عدم قتل المقعدين.
- 30- عدم قتل الراهب المتبتل.
- 31- عدم قتل المدنيين.
- 32- عدم قتل الملتجئين خوفاً من الحرب.
- 33- عدم قتل المزارعين وأصحاب المهن.
- 34- عدم قتل البهائم وعقرها والحيوانات.
- 35- عدم هدم البيوت والمباني.
- 36- عدم حرق المزارع.
- 37- عدم الحرق بالنار.
- 38- عدم الغرق.

إن هذه المبادئ قد التزم بها الرسول الكريم في حروبه وكذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليهم. ولم يكن

الحسين عليه السلام بأقل منهما في تجسيده لمبادئ الإسلام هذه، بينما مثل الجيش الأموي الذي كان يدعي الإسلام كل عناصر الخسة وفقدان المروءة والأخلاق.

لقد قام جيش عمر ابن سعد بجرائم لا تعد لها ولا حصر من قطع الماء بالحيلولة دون وصول الحسين عليه السلام وأنصاره الى نهر الفرات الى أرباب النساء والأطفال وحرق خيامهم وأخذهم أسارى الى الطاغية يزيد مع الرؤوس التي فصلت عن أجسامها. ومما يجدر ذكره أن هذه أول ظاهرة في التاريخ من نقل الرؤوس من بلد الى آخر.

نعم ان كل الأعمال الوحشية التي ارتكبتها يزيد وجيشه في واقعة الطف ومابعدھا تمثل جرائم حرب وأبادة

لآل الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم والتي بدورها فتحت الباب على التجري على حدود الله وكافة المقدسات.

الفصل الرابع: تفعيل النهضة الحسينية حاضراً:

لا يخفى على الجميع أن العراق يمر بمنعطف خطير نظراً لتغلغل الفساد في معظم نواحي الدولة والمجتمع حتى أصبح الصلاح في نواحيه استثناءً وليس عموماً.

إن مظاهر الفساد كانت المفتاح لدخول داعش الى العراق واحتلالها قرابة الثلث من مساحته وقتل وتهجير الملايين من أهالي المدن المحتلة.... ولولا فتوى المرجعية وتضحية الآلاف من الشباب العراقي الذين لبوا نداء المرجعية وأرخصوا دماءهم وتركوا خلفهم اليتامى والأرامل....لولا هؤلاء لكانت داعش الآن تسيطر على العراق بأكمله وربما الدول المجاورة أيضاً.

كما أن الفساد أدى كذلك الى إفلاس الخزينة، الأمر الذي زاد في نسبة البطالة وتوقف المشاريع والبناء ورجوع البلاد عشرات السنين الى الوراء.

وتجنباً لذكر الأمثلة الكثيرة للفساد الإداري والاقتصادي و.... التي توجع القلب والتي أضحت مكشوفة ومعروفة، لابد لنا أن نضع الخطوط العريضة للوقوف بوجه هذا الداء الفتاك مستنيرين بسيرة ونهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي ماكان ليعطي هذه التضحيات الجسام لولا حرصه على أمة جدّه من الفساد ولذلك دعا الى الإصلاح فيها.... ودعنا نستفيد من شعاراته وخطاباته في أثناء سيره الى كربلاء وكذلك خطاباته واستنصاراته في اليوم العاشر من المحرم والتي أعلن فيها أسباب نهضته وأهدافها إضافة الى الخطوط العريضة لبرامجها:

1- طلب الإصلاح. (وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي). (مقتل الحسين عليه السلام - الخوارزمي المجلد الأول).

2- "هيهات منّا الذلّة". (اللهوف: 54 - ابن عساكر 4:333)

3- "أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر". (مقتل الحسين عليه السلام - الخوارزمي المجلد الأول)

4- المستوى الأرفع في الوقوف أمام الحاكم الجائر: "أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله،

ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولاقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله". (الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام ج:1 عبد الكريم القزويني) أما كيفية الاستفادة من هذه العناوين الأصلحية، فهنالك وسائل عديدة لذلك.

وأهم تلكم الوسائل:

1- المنبر الحسيني:

ان المنبر الحسيني نعمة الهية وبركة من بركات الدماء الطاهرة لأبي الشهداء وأهله وصحبه. وهو مافتأ على مر التاريخ من العطاء الزاخر على المستوى الفكري واعداد المجتمع كي يرتفع الى مستوى ثوار الطف. لقد كان من بركات هذا المنبر تعبئة الجماهير المسلمة بالوقوف بوجه الحكام المستبدين في العراق وفي إيران ---- وكان أيضاً من بركاته نجاح الثورة الإسلامية في إيران

وانتصارات حزب الله في لبنان ---- وفي ذلك يقول الإمام الخميني قدس سره ---
- إن كل مالدينا هو من الحسين(ع).

ان المنبر الحسيني على عطائه الضخم لا يخلو من سلبيات، إذ أنه سيف ذو حدين، ويعتمد في ذلك على من يرتقيه، فهو أداة بناء واصلاح عندما يكون الخطيب مؤهلاً ثقافياً ومسلحاً بالعلم والتقوى كالشيخ الوائلي رحمه الله رائد المنبر الحسيني مثلاً ---- وبذلك يكون التلقي منه سريعاً نظراً لشخصية الملقى وعلمه وبيانه ---- وقد يكون الخطيب غير مؤهلاً ثقافياً فيستعيز عن العلم والثقافة بالخرافات والأحلام. لقد ابتلى مجتمعنا بأمثال هؤلاء على مدى الزمان ولا سيما الآن. إذاً فلا بد من مراقبة من يرتقي المنبر ووضع بعض الضوابط إزاء الطرح من على المنبر.

كما ان وجود المدارس الخاصة بإعداد الخطباء والتي تشرف عليها المرجعية الدينية عاملٌ مهمٌ في النهوض بمستوى الخطباء، الأمر الذي من شأنه أن يجعل المنبر الحسيني أداة فعالة في الإصلاح الاجتماعي.

2- المسيرات الحسينية

لم يعد سراً أن العراق أصبح أكثر بلدٍ تخرج فيه المسيرات المليونية في مناسبات وفيات وولادات أئمة أهل البيت (ع)، وهذه الظاهرة تتضح أكثر وأكثر كل عام وأرقام المشاركين من الداخل والخارج بازدياد كذلك.

إن تقنين وتوجيه هذه المسيرات المليونية أصبح أمراً ضرورياً لما لهذه المسيرات من أهمية، إذ انها في كثير من الأحيان تستغرق أياماً بل أسابيع عديدة ناهيك عن التحضيرات لها قبل وبعد بدئها. وطيلة فترة المسيرة يقضي آلاف الزائرين بعضهم مع بعض وبعاطفة ملتهبة تجاه سيدهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فتوجيه هذه المسيرات وقيادتها من قبل أناسٍ أكفاء وعلماءٍ وفقهاءٍ لتعريف هؤلاء الحسينيين معالم الإسلام وأخلاق الحسين (ع) سيؤدي الى أن الزوار سيعودون الى أماكنهم وقد نهلوا من أبي عبد الله عليه السلام الأجر والفائدة.

ان ترك هؤلاء الزوار المشاة بدون توجيه او تنقيف وبعضهم أمي بكل مالهذه الكلمة من معنى سيؤدي الى فقدان فرصة ثمينة لتفعيل الإصلاح الذي نادى به الحسين عليه السلام في نهضته المباركة.

أما فيما يخص تقنين هذه المسيرات فلأجل أن لا تتعرض أعمال الناس الى التهميش والتأجيل إذ ان كل مسيرة تستغرق فترة زمنية طويلة وقسم من هؤلاء المشاة موظفون في دوائر الدولة أو أصحاب مصالح في القطاع الخاص، وعليه فان غيابهم لفترة طويلة يعرض الخدمات العامة الى الإنقطاع وبعض الأحيان الى

الشلل التام --- وبطبيعة الحال فان هذا يتنافى مع أهداف الحسين عليه السلام التي كانت طلب الإصلاح.

لذا فلا بد لأستثمار هذه المسيرات من أجل التوعية لمبادئ الحسين (ع) والتي هي مبادئ الإسلام بدلاً أن تكون شيئاً آخر.

3- المواكب الحسينية

إن وجود الآلاف من هذه المواكب ونزولها في شوارع المدن الكثيرة في العراق في مناسبات المحرم وصفر أيضاً أداة جيّدة من أدوات الإصلاح وذلك بالأشراف على الشعارات التي تطرحها هذه المواكب والتي في كثير من الأحيان تتناغم مع مشاعر الناس الذين يفرجون ويحيون هذه المواكب، إذ فتوجيه هذه الشعارات وتوجيه المواكب التوجيه الهادف سوف يخدم موضوع الإصلاح الذي ثار من أجله الحسين (ع).

4- خلق التيارات المنادية بالإصلاح:

حينما نريد أن نشير الى أمراض اجتماعية كالفساد وسوء استغلال المال وتفشي المحسوبية والمنسوبية والى غيرها من العلل التي تنخر في مجتمعنا والتي تزداد تعقيداً على مر الزمان.... فلا بد لنا من خلق تيار ضاغط للتعريف بهذه الأمراض من أجل إيقاف المسيبين عند حدّهم. وحينما يعلم المفسد وعادة ما يكون مسؤولاً كبيراً في الدولة ومحمّياً بالحصانة أو الحزب أو القوة أن هنالك من يشير الى إفساده، ويلاحقه بواسطة الأثرات الشعبية هنا وهناك فإنه سيتردد في المضي في طريقه وربما سيتخلى عنه داعموه بسبب مايجلبه لهم من سمعة سيئة.

إن خلق التيار الضاغط يحتاج الى منهاج عملٍ ومثابرةٍ واستنارةٍ بالنهضة الحسينية كطريقٍ للإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5- الألتفاف حول المرجعية:

لقد توضح من خلال السنوات التي تلت سقوط النظام أن للمرجعية مكانتها وكلمتها المسموعة لدى الشعب العراقي وكثيرا ماتدخلت وغيرت امورا مهمة بواسطة هذه المكانة. ان الألتفاف حول المرجعية يمثل عنصراً هاماً من عناصر التغيير والإصلاح لاسيما وان مرجعيتنا الرشيدة هي امتداد حقيقي لأهل البيت (ع) ونهج الحسين عليه السلام وإصلاحه. ولعل أوضح مثال لثمرة الألتفاف هذا هو إنشاء الحشد الشعبي على أثر فتوى الجهاد الكفائي الذي بدوره حرر العراق من داعش بتضحياته الجسام.

6- إعادة الدور الريادي للمرأة في المجتمع:

إن الدور البطولي المقترن بالصمود والصبر الذي لعبته السيدة زينب عليها السلام في كربلاء ومابعد كربلاء يعطي للمرأة المسلمة زخماً قويا نحو المشاركة

الفعالة في بناء المجتمع وأصلاح مافسد فيه. أن هذا الدور الذي ستلعبه المرأة سيكون داعماً لما يقدمه الرجال في المجالس والمسيرات والمواكب الحسينية. لذا فإن الأهتمام بالمرأة من حيث الأعداد والتثقيف من شأنه أن يكون رصيذاً كبيراً لعملية الأصلاح.

أملنا أن نستلهم من نهضة الحسين عليه السلام العزم والزخم لتغيير عراقنا نحو الأفضل وأجتثاث الفساد من كل جوانبه والله الموفق.

فسلام عليك يا حسين، جسداً مرملاً، مُقَطَّعاً، غريباً وحيداً، وسلام عليك يا حسين، منهجاً ونهضةً، وعبرةً وعبرةً، سلام عليك يا حسين سبيلاً للأصلاح والإصلاح.

أيدولوجية الأدب الحسيني ودوره في شحذ همم الحشد الشعبي الزيارة الأربعينية أنموذجاً

د. عمار الزويني الحسيني

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الإلهيات - جامعة طهران،

ammaralzwayny7@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الأدب الحسيني، الأيدولوجية، الأبعاد، الزيارة الأربعينية، الحشد الشعبي.

The Ideology of Hussein Literature
and its Role in Sharpening the Popular Crowd
The 40th visit

key words: 40th Anniversary, Ideology, Dimensions, Victory.

ملخص البحث

إنّ مبدأ وأيدولوجية الأدب الحسيني مبدأ يستحقّ الإجلال والتقدير، فهي مبدأ يحمل روح الإيمان، بل يملك بصيرة في الدين والعقيدة، ونقاوة الانتماء، فشعاره لا تساوّم الباطل أبداً، كذلك هو مبدأ العطاء؛ لأنه يقتبس ذلك من الإمام الحسين عليه السلام، فقد أوقف حجه، وهو في بيت الله الحرام، وأعلن الثورة على الباطل؛ ليعطينا درساً عظيماً مفاده: لا قيمة للحج في بيت الله سبحانه ما دام الناس يحجون إلى قصور الظالمين، ولا قيمة لتقبيل الحجر الأسود مادام الناس يقبلون الأيدي الملتصقة بالدماء، ولا قيمة لركوع وسجود عند مقام إبراهيم مادام الناس يركعون ويسجدون للباطل، ولا قيمة للسعي بين الصفا والمروة مادام الناس يقبلون الخنوع والركود للظالم، ولا قيمة لتبعية إذا كان الناس مأسورين لاهواء الباطل، ولا قيمة لذكر وتلاوة وعبادة إذا كان الناس يمجّدون ويعظمون المفسدين.

يجب علينا أن نختار إحدى الحسينيين من مبدأ الأدب الحسيني، فإما أن نكون حسينيين، ونبدل النفوس، ونعطي الدماء من أجل المبدأ، أو نكون زينبيين نحمل صوت الحسين، وفكره، وننشره للعالم جميعاً، وأن يكون ثأرنا لله لا للعصية المقيتة، فجهادنا ضد الدواعش من أجل أن يبقى الإسلام شامخاً، وأن نعيش الصمود والثبات في مواجهة كلّ التحديات الفكرية، والإعلامية، فشعار الأدب الحسيني في شحذ الهمم لدى الحشد الشعبي الحسيني الذي لا يعرف الانهزام: « لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً ».

لقد توصل هذا البحث المتواضع إلى وجود أيدولوجية عظيمة في الأدب الحسيني في شحذ همم المجاهدين في الحشد الشعبي طالما غصّ الإعلام عنها النظر، فهي أيدولوجية حسينية لا مثيل لها في الحياة.

Abstract

The principle and ideology of the process of adoration of Hussein is a principle worthy of reverence and appreciation. It is an ideology that carries the spirit of faith. It has an insight into religion and faith and purity of belonging, so there is no wrongdoing; because it quotes Imam Hussein, peace be upon him, And the revolution was announced on the falsehood; to give us a great lesson: There is no value to the pilgrimage in the House of God as long as people protest to the palaces of the oppressors, and no value to kiss the Black Stone as long as people accept hands stained with blood, and no value kneeling and prostration at the shrine of Abraham as long as people kneel and prostrate falsehood, And There is no value to seeking between Safa and Marwah, as long as people accept the submission and stagnation of the unjust, and the value to meet if people are captive to the whims of falsehood, and the value of male and recitation and worship if people glorify and magnify the spoilers.

We must choose one of the two senses of the path of love Hussein, Either we be Hussein, and give souls, and give blood for the principle, or be Zeinbeen hold the voice of Hussein, and his idea, and spread it to the world all, and to be revenge for God, So that Islam remains lofty, and that we live steadfastly and steadfastly in the face of all intellectual and media challenges. The slogan of the Husaynite believer, who knows no defeat, is: "I do not see death except happiness, and life with the oppressors is nothing but parma".

This modest research has led to the existence of a great ideology in that process as long as the media turned a blind eye to it. It is an unparalleled ideology of Husseinism in life.

أيدولوجية الأدب الحسيني ودوره في شحذ همم الحشد الشعبي الزيارة الأربعينية أنموذجاً

د. عمار الزويني الحسيني

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الإلهيات - جامعة طهران،

ammaralzwayny7@gmail.com

مقدمة:

الحمد لله الواحد المعبود، عمّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كلّ موجود، نحمده سبحانه ونشكره وهو بخلقه لطيف ودود، الذي وعد من أطاعه بالعزة والخلود، وتوعد من عصاه بالنار ذات الوقود، والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، وعلى صهره حامل اللواء المعقود، وساقى الحوض المورود، وعلى آله، الركع السجود، وصحبه المنتجبين، ومن تبعهم من المؤمنين الشهود.

بسند معتبر أنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنّ الحسين بن عليّ في السّماء أكبر منه في الأرض، فإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح هدى، وسفينة نجاة، وإمام خير ويمن وعز وفخر، وبحر علم ودُخر...»¹، فالإمام الحسين سفينة الله عز وجلّ فعلينا أن ندرك أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) كي يتسنى لنا الركوب في تلك السفينة، ونحن نعلم أنّ الإمام الحسين حينما أراد الخروج من المدينة، كتب وصية أودعها عند محمد بن الحنفية، وإذا أردنا أن نفهم مدرسة الإمام الحسين العظيمة، فعلينا أن ننظر مضامين هذه الوصية، فالإمام الحسين (عليه السلام) بدأها بقوله: «إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ الجنّة حق، والنار حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور»²، فإذا تأملنا هذا المقطع توقعنا أنّه مقدّمة، أو ديباجة لطيفة للوصية، ولكن في الحقيقة ليس ذلك؛ لأنّ كلّ الوصية تتلخّص في هذه المقدّمة، وهي مفسّرة لجميع المطالب الموجودة في الوصية، ولننتبه لقوله: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي»³، فإذا تركنا هذه المقدّمة تبقى الوصية بلا معنى؛ لأننا رأينا أنّ الجميع يدعون بأنهم يسعون من أجل السلام، وإقامة العدل، كما يزعم الدواعش، ولكن لايعترفون بأنهم مفسدون، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَشَدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءَ بَيْنَهُمْ

{البقرة/11}، فالقرآن الكريم يشير إلى إن الأعداء، والنوكى (جمع أنوك وهو الأحمق) هم الأشخاص الذين عندما يقولون نحن نسعى للإصلاح، فيتصوّرون بأنهم مصلحون حقاً، فهؤلاء هم المفسدون.

إرتأينا أن نكتب بحثاً في أيولوجية الأدب الحسيني لنظهر الصورة الحقيقية لذلك الخطاب في شذوهم، وقد شاهدنا ذلك عند الحشد الشعبي، فهم بذلوا الغالي والنفيس، وساروا على منهج سيدهم الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد شرعنا بتفسير معنى الأيدولوجية، وذكرنا عدة أيولوجيات في ذلك الأدب، وقد بذلنا جهدنا في إظهار الحقيقة، وأعملنا فكرنا لنضع هذا البحث المتواضع بالمستوى المطلوب ليكون لنا زاداً في أولانا وأخراننا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب {هود/88}.

الأيدولوجية:

مصطلح لاتيني في الأصل يعني علم الأفكار، وهو علم يدرس مدى صحة أو خطأ الأفكار التي يحملها الناس. هذه الأفكار التي تُبنى منها النظريات والفرضيات، التي تتلاءم مع العمليات العقلية لأعضاء المجتمع. وقد انتشر استعمال هذا الاصطلاح بحيث أصبح لا يعني علم الأفكار فحسب، بل النظام الفكري والعاطفي الشامل الذي يُعبّر عن مواقف الأفراد من العالم والمجتمع والإنسان.

الأيدولوجية هي فكرة يتقيد بها المفكرون إلى درجة كبيرة، بحيث تؤثر على حديثهم وسلوكهم، وتحدّد إطار علاقاتهم بالفئات الاجتماعية المختلفة⁴.

لقد أصبحت الأيدولوجية عبارة عن نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات التي يؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبرّرها في نفس الوقت، وهي عقيدة شاملة والمظلة الأخلاقية والعقائدية الكبرى لتنظيم المجتمع⁵.

إنّ الأدب الحسيني ولغة خطابه ودورهما في شذوهم، وإظهار صور معركة كربلاء له أبعاداً كبيرة في مفهوم الأيدولوجية الحديثة، فقد أصبح هذا الأدب عبارة عن أفكار ومعتقدات شاملة للأخلاق والدين مرتبطة بالمجتمع، ونكاد نجزم أنّ الأدب الحسيني قد فاق جميع الأدب العربي بشقيه (الشعر والنثر).

لا شكّ أنّه من أهم المتبنيات عند أتباع أهل بيت النبوة، حيث أصبح الأدب الحسيني علامة يُعرف بها صاحب الخلق والدين والمجاهد من أجل العقيدة، فقد استطاع الأدب الحسيني تصوير مشاهد واقعة الطفّ معتبرين ذلك تقرباً إلى الله وتبرّكاً بهم، فأيّ أيولوجية أعظم من خطاب الأدب الحسيني، وقد أعطى الشعوب أفكاراً، وزادهم أنواراً ومبادئاً وقيماً وأخلاقاً؟

لقد جمع الأدب الحسيني الأمة الإسلامية، وغير الإسلامية⁶ في تظاهرة عالمية، بل هي أضخم تظاهرة في العالم، وهي شعيرة يجتمع الناس فيها كاجتماعهم في مكة المكرمة تلتقي هناك سائر الفئات من مختلف العناصر ويعتقد شمال العراق بجنوبه والوفود من بعض الأقطار الإسلامية فهذا الموكب الأدب الحسيني، ويردد انشودته باللغة العربية، وذلك يستخدم الأدب الحسيني باللغة التركيبية، وثالث باللغة الفارسية، ورابع باللغة الأوردية وهكذا، فهي ثورة عالمية ناعمة تعطي رسالة التوضيح من أجل العقيدة، بل أنها تحرر الشعب من قيود الأفكار العنصرية وتخليص البلاد من العصابات الإرهابية، وتمثل تحدياً شعبياً سلمياً للغة "القتل" و"الرعب" و"التطرف المذهبي" و"الابجديات التكفيرية" وهي في الواقع ثورة عقائدية وأخلاقية ناعمة.

لو تأملنا ملياً في آيدولوجية أدب الطف لاسيما في زيارة الأربعين لوجدناها عين الفكر الإسلامي، فلو تحدثنا عن الصلاة في الإسلام التي اعتبرها الشارع المقدس عمود الدين، فبرى في فكر الزيارة الأربعينية اهتماماً واسعاً، وقد أظهر الأدب الحسيني ذلك، والحث على الوحدة الإسلامية من خلال صلاة الجماعة، ففي سنة 2014 وقفنا لزيارة أربعينية كربلاء حينما كنا في كربلاء المقدسة رأينا صلاة شككت في الطريق الرابط بين محافظتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف إقامة صلاة جماعة الزوار المتجهين إلى كربلاء المقدسة لإحياء مراسم زيارة أربعينية الحسين (عليه السلام)، وبتوجيه المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني، أكبر صلاة جماعة في العالم، حيث امتدت لنحو 30 كم بمشاركة آلاف المصلين والزائرين، وقد نقلت تلك الصلاة أغلب القنوات الفضائية، فهي تجسيد لفكر الوحدة والتآخي والمحبة، لأنها جمعت مختلف شرائح الشعب العراقي من السنة والشيعية وتركمان وأكراد ومسيحيين وايزديين وأعلنوا عن تضامنهم وتوحيد كلمتهم، وكان للأدب الحسيني دور كبير في نقل تلك التظاهرة المباركة، وإظهار أبعادها بأسلوب أدبي يشحن الهمم، ويستقطب الأحرار، فلناخذ مثلاً لا على سبيل الحصر، يقول الشاعر عبد الجليل الرفاعي في قصيدته (لولا الحسين لضاع دين المصطفى):

لولا الحسين لما عرفنا ديننا	ولما علمنا ما الحياة يقينا
لولا الحسين لضاع دين المصطفى	ولعاد عصر الجاهلية فينا
ولحزفت أي الكتاب وبذلت	ولما عرفنا ما الذي يحيينا
قتل الحسين ولم تمت أفكاره	بدمائه غذى الحسين الدينا
ما مات من نال الشهادة صامداً	حتى يرى دين الرسول متينا
إن كان دين محمد لم يستقم	إلا بقتلي ياسيوف خذينا
هذا شعار السبط نجل المرتضى	عبر الرجال الأوفيا يأتينا

وقال آخر:

ربّاهُ ووقُّ للزيارة كلَّ مَنْ يشْتأفُها،
وارحم دموعاً عندَ ذِكْرِ مصابِهِ
ربّاهُ وامحُ بها جميعَ ذنوبِنا
حبُّ الحسينِ إليك خيرُ وسيلةٍ
واقـررُ إلهي كلَّ عينِ
تجري أسىً ررقاقَةً في الوجنتينِ
واغسل بها أرواحنا في النَّشأتينِ
ربّاهُ فاملاً قلبنا حبَّ الحسينِ

أيدلوجيّة الأبعاد الروحيّة:

لا شكَّ أنّ تظاهرة زيارة الأربعينيّة ليست عبثيّة، فهي تظاهرة لها أبعادٌ تربويّة وروحيّة وأبعادٌ معرفيّة، فعلى المستوى الروحي نتحدّث عن الشوق من خلال الخطوات التي تسير والقلوب التي تتلهف للقاء الإمام الحسين (عليه السلام)، وزيارة مشهده المبارك يلتبس خلالها النَّاس من الإمام (عليه السلام) جذوة روحانيّة، فهي مظهر من مظاهر عبادة الله تعالى حيث يتقرّب النَّاس إلى بارئهم بزيارة الحسين (عليه السلام) وبالتالي الحصول على شحنة روحية معنويّة تنعكس على مجريات حياتهم، وأمّا فيما يخصّ البعد الثقافي، فإنّ هذه الزيارة تمثّل سياحة ثقافيّة حيث أنّ الزائر بمسيره إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنّه يستذكر التاريخ ومواقف الإمام الحسين (عليه السلام) البطوليّة وأهل بيته وأصحابه، كما تساعد على تثقيف النَّاس في موسم عباديٍّ روحيٍّ يوجّه النَّاس إلى الأهداف التي قام من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا نوجّه دعوة لجميع الأحرار أن يدرسوا أيدلوجيّة أربعينيّة الإمام الحسين دراسة موضوعيّة، ودورها في شحذ الهمم، لاسيما أنّها أنتجت لنا الحشد الشعبي، ويتعرّفوا على أفكارها التي جذبت الشيخ العجوز ابن التسعين عاماً إلى المشي إلى مرقدّه بكلّ هذه اللهفة والمحبّة، وكذلك الطفل الصغير.

ثمّة أيدلوجيّة أخرى في الأبعاد المجتمعيّة في هذه المسيرة، وهي أنّها تعطي فكراً مهماً يحتاجه العالم الآن جميعاً، وهو الحب والتعايش السلمي، فمن خلال المسيرة نتعرّف على مدى الحبّ بين للنّاس، واضمحلال الحقد، فالزائرون يقتدون بذلك بالإمام الحسين (عليه السلام) الذي كان محباً ومشفقاً حتّى على قاتليه، فهو لم يُرد لهم بأن يدخلوا النار بسببه، فمن خلال الإمام الحسين يمكن أن نرتقي بأنفسنا إلى هذا المستوى من المحبّة حتى بالنسبة لمن يخالفنا في الرّأي وأن نبيّن معنى التعاون و التعاضد كما يحصل خلال مسيرة الأربعين حيث نرى الإهتمام بالزوار والسعي لتأمين كافّة حاجاتهم.

لقد أذكت الزيارة الأربعينيّة الروح الثوريّة لدى المسلمين والتي حاول الأعداء إخمادها واستمرّت تلك الروح في الثورات التي تلتها والتي اتخذت من كربلاء عاملاً مهماً من عوامل إثارة النفوس فكانت كربلاء رمزاً وشعاراً وروحاً لكل الثورات التي تلتها، وخير مثال للثورات هي ثورة الحشد الشعبي.

وقد مثلّ الأدب الحسيني دوراً مهماً في إحياء تفاصيل تلك الثورة بل كان من أكبر العوامل في التأثير في النفوس خصوصاً إن الثورة كانت عبارة عن مأساة وفاجعة تجلّ عن الوصف كما كان دور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كبيراً في ترسيخ كربلاء بكلّ تفاصيلها في ضمير الأمة وإبقائها حيّة من خلال التأكيد والدعوة إلى تشجيع الشعراء وعقد المجالس الشعرية الخاصة برثاء الحسين وأربعينيته والحثّ عليه، فقد حرصوا (عليهم السلام) أشد الحرص على إبقاء روحية الثورة الحسينية ومبادئها متجدّرة في النفوس وحيّة في الضمائر ولهم في ذلك روايات كثيرة جداً، واستمرت هذه الأشعار في تصعيد روح الثورة في الوجدان الشعبي حتّى أصبح هذا الشعر ما لا يمكن حصره أو تعداده يقول الشيخ محمد جواد مغنبة: «ما عرفت البشرية جمعاء من أبنائها قيل فيه من الشعر ما قيل في الحسين بن علي».

إنّ قيام الإمام الحسين (عليه السلام) هو لطلب الإصلاح بأمة جدّه رسول الله، الذي يعني لكافة المسلمين بكافة أطرافهم وحرركته يجب أن تكون عاملاً لوحدة بين المسلمين لأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قام من أجل الإسلام ولم يقد من أجل شيعة أو سنة، فيجب أن تتشكّل هذه المسيرة عامل وحدة تدرّس فيها قيم الوحدة ويخرج خطابنا عن الخطاب المذهبي لصالح الخطاب الوحدوي والدعوة لباقي فرق المسلمين أن ينهلوا من هذه الجرعة المعنوية والمساهمة في المشاركة بهذا الحفل، وأن لا يحرّموا أنفسهم من هذه الزيارة.

فكربلاء تعني الثورة تعني الحرية تعني مبادئ الخير والصّالح التي جسّدها الإمام الحسين (عليه السلام) على تراها ومثلما أصبحت كربلاء النشيد الحزين لدى الشاعر فقد أصبحت أنشودته الحماسية في التنديد بالظلم وكلّ الثورات التي أعقبت ثورة الحسين استمدت من كربلاء هذا المعنى فأصبحت كربلاء المثال والرمز الرافض للظلم، وهذا ما التمسناه في الحشد الشعبي.

هناك بُعد إنساني في زيارة الأربعين يجب أن يسلط الضوء عليه بشكل واضح، وهو أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قام ضد الظلم ومن أجل تحقيق العدل وضد الإستبداد والقهر واستغلال الناس لذا فإنّ ثورته تتخطى المفهوم الطائفي إلى مفهوم أوسع للقيام ضد الواقع الفاسد ومن أجل الإصلاح في كل أنحاء المعمورة ولأيّ دين انتموا، فقد أعطت الزيارة مفهوماً عظيماً في الحفاظ على القيم الحميدة، لأنّ الإمام الحسين قد انتصر بالأخلاق في كربلاء وانتصرت قيمه، هو لم ينتصر إنتصاراً عسكرياً، بل انتصر بالدم على السيف، فالجميع مدعو إلى تخليد المعاني الإنسانية لثورة الإمام الحسين عليه السلام التي أضحت منارة للأحرار، وسفينة للأبرار.

أيدولوجية المصباح الحقيقي:

طالما نقرأ ونسمع حديثاً مروياً عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يتناقله الخواص والعوام، وهو قوله: «والذي بعثني بالحق نبياً، إن الحسين بن علي في السموات أعظم ممّا هو في الأرض، وأسمه مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح هدى، وسفينه نجاه»⁷، ولكن ما تريد أن تصبوا إليه عقولنا هو الهداية، فأية هداية تمثلت بأفكار الإمام الحسين (عليه السلام)؟

لو أنعمنا النظر في لفظة (مصباح هدى... سفينة نجاه) لوجدناها قد أخذت منحى كبيراً في عالم المادة والمعنى، فلها جنبتان أو لاهما: إنه لقب أطلق للإمام الحسين؛ لأنه يضيء الطريق للعالم، وينير دربهم، والجنبه الأخرى: إن الإمام الحسين هو سفينة الفلاح، والظفر، والنجاح، فحينما يقع الإنسان في المصاعب، والرزايا، والهلكة يتحدث عن النجاه، والخلص، وكما نعلم أن السفينة تنقذ الإنسان من الهلاك، والمصيبة، فالحسين (عليه السلام) هو النجاه في الدارين، فقد أصبحت أيدولوجية كربلاء المقدسة، وأربعينيتها مصباحاً لمن يريد الهداية، وسفينة للنجاه لمن يريد الخلاص من الهلكة، وأن وقعة كربلاء تختلف تماماً عن جميع الوقائع؛ لأن الإمام الحسين قام بنهضة أمام عدو هو في العن مسلم، ويتظاهر بالإسلام، ولكن في الباطن يضمّر العداوة للإسلام، فليس من السهل مقارعة تيارات فكرية تحمل في الظاهر راية الإسلام، وكما نلمسه اليوم من الفكر الذاعشي، فمقارعة الجهل، والظلم عمل في غاية الصعوبة، فوقعة كربلاء هي تحذير، بل إنذار للأجيال القادمة كي يكونوا على حذر في دينهم، وديناهم، وليعلموا أن الدين كما أنه وسيلة للنجاه، والظفر ربما يصبح وسيلة للهلاك، ولهذا يمكن للدين أن يكون سيفاً ذا حدّين، فيكون الدين هلاكاً للأمة فيما إذا لم يتمكن أهله من القيام به، وتلبية أمر الله (تعالى).

نعم، ما زالت كربلاء المقدسة مشعلاً للأمم، بل مصباحاً للضمائر التي ترفض الظلم والجهل، وقد رأيت ماذا فعل الحشد الشعبي من بطولات تضيء درب لعشاق الإمام الحسين عليه السلام، فبنهضة الإمام الحسين عليه السلام عاد الإسلام نظراً؛ وذلك لرجوع الأمة الإسلامية إليها، فالحسين هو الدولة العظمى التي لاتغيب عنها الشمس، فقد توالى انتصارات الحشد الشعبي لرباطة جأشهم، وتمسكهم بالنهضة الحسينية، فقد حرروا مدن العراق بروح عالية؛ لأنهم حملوا شعاراً عظيماً (بالحسين ننتصر).

لقد أصبح الحشد الشعبي الصرخة التي تواجه الظالمين، والباغين، والطاغين، والمستكبرين، فهم لا يساومون، ولا يتنازلون، وهم مصداق الآية الكريمة: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح/29).

إن شعارنا هذا (بالحسين ننتصر) سيجعلنا نعيش الصمود في مواجهة التحديات الفكرية، والثقافية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، والإعلامية، وكما

تعلمون أنّ الحسيني لا يعرف الإنهزام، والتخاذل، بل يملك عُنفوان العقيدة، وصلابة الإيمان، وإباء المبدأ، وشموخ الموقف، بل يحمل شعارات مدوّية يستهلّها ب(هيهات منا الذلّة)، فحشدنا الشّعبي يحمل مبدأ الحسين عليه السّلام: (لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما)، وسيرتدون مبدأ علي الأكبر: (لا تُبالي أن نموت مُحقيّن)، وستكون أرجوزتهم في الجهاد مبدأ العباس عليه السّلام: (وَاللّهِ إِنْ قَطَعْتُمْ يَمِينِي إِنْني أَحَامِي أبدأً عن ديني وَعَن إِمَامٍ صَادِقٍ اليقين)، وهم يبذلون أنفسهم من أجل إعلاء مبدأ القاسم بن الحسن: (الموتُ فيك يا عمّ أحلى من العسل)، فطوبى لمن ركب سفينة النجاة وحسن مأب ...

حينما يتمسّك المسلمون بمقدّساتهم، ويتّخذون من أيدلوجيّة الزيارة الأربعينيّة دليلاً لصراعهم مع أعداء الله تعالى، وأعداء الإنسانيّة الدّواعش الأرجاس، فسوف تنقلهم النّقلة الكبرى، وتصعد بهم إلى القمّة السّامقة، وتبوّأهم مقعد الأستاذيّة للبشريّة جمعاً، ونحن على يقين أنّ هذه الزيارة اليوم تتمكّن أن تفعل ما فعلته بالأمس بشرط أن تنتهيّ لذلك وتلقاها بالعمل، و الجهاد، و الدعوة إلى الله، وتحشيد التّاس لمقاتلة أعداء الله أعني بهم الدّواعش، ومَن لفّ لَقهم؛ لأنّ طبيعة المصباح الحسيني يختلف تماماً عن طبيعة المصاييح الأخرى، والفلسفات الجامدة، فمدرسة الأربعين هي مدرسة العلم، والعمل، والقول، والفعل، فهي ترفض رفضاً باتاً حالة الإنفصام بين العلم والعمل، فحينما نعود إلى الحالة الطبيعيّة ونقرن العلم بالعمل، فإنّ المعجزة التي تحققت بالأمس سوف تتحقّق اليوم لا محالة، والنصر الذي تحقّق للمسلمين الأوائل سوف يتحقّق لنا، وهذا ما لمسناه من الحشد الشّعبي، فهم على الرغم من جهادهم في لهوات الحرب يقومون بحفظ الأمن في الزيارة، وكذلك يقيمون المواكب الحسينيّة لخدمة الزائرين، وهذا الأمر ياباه الأعداء، ويحاولون مراراً وتكراراً للقضاء عليه، وكما وصفهم القرآن العظيم بقوله: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ (البقرة/217)، فهو يشير إلى أنّ أعداء الله عزّ وجلّ يقاتلون معسكر الإيمان؛ لأنّهم متمسّكون بمنهج الله الحقّ، بل يقرّر القرآن الكريم أنّ هذا القتال مستمر متواصل لا يتوقّف، بل يتّخذ له أشكالاً وأساليب مختلفة، و يقرّر أيضاً أنّ الغاية من هذه الحرب المعلنة هو تركيع الجماعة المؤمنة الملتزمة، والكلام جاء بصيغة المضارع، والفعل المضارع يفيد التجدّد والحدوث والاستمرارية، فما دامت هناك جماعة مؤمنة مجاهدة ترفض الباطل فإنّ الحرب عليها قائمة: ﴿و ما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ (البروج/8)، وخير دليل الحرب المعلنة من قبل الكفر العالمي، و أدواته في المنطقة أعني الدّواعش على العراق المقدّس، وعلى حشده الشّعبي المبارك، فالمصباح الحسيني أضحي كتاباً لكلّ زمان، ومكان، بل للعالم أجمع ...

أيدلوجية الأدب الحسيني في الأربعينية:

لقد أطلقت السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) أيدلوجية عظيمة بقيت مدوية في آفاق العالم حينما وقفت أمام الباطل وقالت: « وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يابن مرجانة»⁸ فأبى شجاعة هذه، وأبى بطولة أرت ابنة حيدر العالم، حيث قعد الرجال، وجبن الأبطال، وانبرت هي تدافع وتنافح عن حياض الشهداء حتى شعر الباطل بالخيبة؟

ما أعظم النصر في الزيارة الأربعينية، وما أحلى أيامه المعدودات، فهو نصرٌ ضدّ الباطل، ونصرٌ يعتزّ به الأحرار، ومرفأ العباد تأوي إليه النفوس المتعبة، وتطمئن به القلوب، فأربعينية كربلاء مدرسة الرّوح و الفكر و الضمير، بل هي دورة تكميلية للتّواضع البشريّة، وكذلك حملة تطهيريّة لتصفية الرّواسب المتكلسة في قرارات الإنسان، خلال السنّة، ونحن الآن نعيش النصر الممزوج بنكهة انتصارات الجيش والحشد الشعبي، ويحق لنا أن نسمي هذا العام عام النصر والإصلاح.

لقد أصبحت أيام الأربعينية وقتاً للتربية والنصر على الهوى، وقد علمت أنّ بعض الأمم تخصص أسبوعاً لشؤون التربية، فنسميه أسبوع التربية، أو أسبوع المعارف، فكذلك زوّار أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) خصّهم الله بأيام التربية، وكفّ النفس عن مشتيتها، والجود النفس أقصى غاية الجود، فمن الصّعب أن تجد شباباً في ريعان عمرهم يتهافتون الى الموت وبذل المهج، بل يأنسون به كما يأنس الطفل بمحالب أمه، وأعجب من ذلك أنّهم من خيرة الطلبة، فهم يحملون العلم الذي أوصلهم إلى الجهاد، والامتنال لنداء المرجعية، فهم يحرمون أنفسهم من الحياة، والحرمان هنا وسيلة وليس غاية، فليس المقصود أن يعيشوا ذليلين منكسري القلب في الدنيا، تبرماً بها وسخطاً عليها، كما هي الحال عند بعض متقشفي الهنود، بل المقصود أن يكونوا فوق الدنيا لا تحتها، ويكونوا قادرين على صدّ حبّ الدنيا وموبقاتها، وهذا بابٌ واسعٌ من أبواب الرضا الذي هو أسّ السعادة، فالسعادة في الجهاد؛ لأته بابٌ اختاره الله لخاصة اوليائه، وقد سمعت قولاً لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ طفولتي: « يابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك، فإنّ أيسر ما فيها يكفيك، وإن كنت تريد منها ما لا يكفيك، فإنّ كلّ ما فيها لا يكفيك»⁹، وإنّ أطيب ثمرات الجهاد القدرة على الاستغناء، والقادر على الاستغناء مالكٌ لنفسه التي بين أضلعه ودينه، وهو أبعد ما يكون عن المذلة، فهو استغناءً عن الدنيا بخالق الدنيا، ومن استغنى بالله احتاجت إليه دنياه، فإذا الدنيا التي يتمرّع عبيدها تحت أقدامها، تتمرّع هي تحت قدمي من صرف نظره تلقاء السماء، وبذل مهجته من أجل العقيدة، فبرأينا القاصر أنّ رجال الحشد الشعبي المنضوين تحت راية العراق المقدّس أصبح طموحهم في رضا الله (عز وجل)، لذا صغرت في أعينهم الدنيا، بل تقلص لديهم ما يقتتل عليه النّاس من حولهم، والله درّ الشّاعر:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

إنّ هذا النصر الذي حصل عليه الحشد الشعبي هو بعض جوائز الدنيا، فقد انتصروا، وأصبحوا في علياء الدنيا، وأمّا في الآخرة فلا يمكن أن نحصي جوائزهم، ولكن سيتمتعون بروعة المفاجئة، وضخامة العطاء، وأنه لن يزول، ولا يملّ، فالجهاذ على الحقيقة ليس مجرد شعيرة، بل هو تأسيس حياة جديدة أولها في النفس، وأخرها عند الله عزّ وجلّ.

إنّ الأعمال الوحشيّة التي ارتكبتها الدواعش الإرهابيون إنّما هي تجسيد لأعمال بني أميّة، وقد سبقهم في الجريمة إمامهم وسيدهم الذي قتل رجلاً شهد له الرسول الأعظم أنّه من أهل الجنة، وهو مالك بن نويرة، فبعد قطع رأسه والتمثيل به زنى بزوجه¹⁰، ونحن نعلم أنّ الفكر التكفيري الذي يتبناه الدواعش يعارضه أهل السنّة، فالدواعش فرقة ضالّة، وليسوا مذهباً كما يسمّيهم بعضهم، يعتبرون يزيد بن معاوية قدسياً ورمزاً لهم، والدواعش يتبجحون باتباعهم الشجرة الأمويّة الملعونة في القرآن الكريم، ومن الغريب الطريف أنّهم يعتبرون ارتكابهم القتل والزنى، والأعمال الشنيعة هي التي تقربهم إلى الله زلفى، وسوف يقدمون على الحشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل الأغرب والأطرف أنّهم يحملون معهم عند التفجير، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ ملعنةً وشوكةً، ظناً منهم بأنهم عند الهلاك سيشاركون الرسول الكريم في الأكل على سفرة واحدة!

لقد تطرّق الأدب الحسيني لهذا النصر الذي أصبح عنواناً للأحرار، حيث يقول الشاعر:

أضحت جراحك للأحرار عنواناً يابن البتول وتسمو للعلا شانا
وذي دماؤك في الصحراء ما انكفات كانما النزف حتى اليوم قد رانا
وإن نداؤك في الأفاق منطلق يصغي له الكون أقراراً واذعانا

أيدولوجية الجهاد في أربعينّة كربلاء:

يبدو أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام قد دباهم الله سبحانه بزيارة الأربعينيّة، فيستلهمون القيم والمبادئ، فقد علمتهم العزة والإباء، وقادتهم إلى الجهاد، فهم مستعدّون في جميع بقاع العالم للدفاع عن دينهم المقدّس، وقد شاهد العالم ماذا فعل هؤلاء الأبطال في العراق بفتوى واحدة، وهي فتوى الجهاد الكفائي من المرجع الأعلى آية الله السيد علي السيستاني تطوّع أكثر من ستّة ملايين شخصاً، بل سيصل العدد الى عشرين مليون، فهم يدرّبون أطفالهم ونساءهم، فلم ولن يكثرثوا بجرائم الدواعش، بل هم يأملون أن تأتي فتوى الجهاد العيني كي يخرجوا برمتهم.

إنّ التضحية لأشكّ أنّها سبيل الفائزين، فالتضحية الكربلائية نعني بها الأربعينية، هي قدرة الزائر في الزحف الحسيني على أن يستحضر الله سبحانه في نفسه في كلّ ساعة، بل في كلّ دقيقة، بل في كلّ لحظة، فالعبرة ليست بالضار والنافع، ولا ما يجلب الربح والخسارة، بل العبارة بما يحبّ الله سبحانه وما لا يحبه الله جلّ شأنه، فالتضحية تذكرة تربط أول الدنيا بآخرها، فهناك ترابط في التضحية، فقد أراد الله تعالى ألاّ يسحبنا بعض التفريط إلى بعض، لذا جعل لنا جسراً شقافاً بين الدنيا والآخرة، وبين الجنة والنار أسماه جسر الجهاد، لذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه»¹¹، فقيمة الأمور تُعرف بأثارها، وبمقدار أهميّة الآثار وإيجابياتها تتحدّد أهميّة الأمر وإيجابيته.

إنّ الجهاد بحقيقته ليس إلّا باباً من أبواب الجنة، تلك الجنة التي تهوي أفئدة المؤمنين إليها، يتمناها عشاق الله تعالى، ويقتمون مصاعب الدنيا ويتعرّضون لابتلاءاتها صابرين محتسبين يُصيّرهم أمل الفوز بالآخرة ويُقويّ عزيمتهم حينهم للجنة. هذه الجنة التي كانت هدف عشاق الله والتي لولا الأجل الذي كتبه الله لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إليها. لقد فتحت أبوابها ليدخلها العاشقون. وهذا الباب المفتوح هو الجهاد نفسه، ولكنّ هذا الباب لم يُفتح ليدخل الناس كلهم، ولا ليدخله الأوفر حظاً أو من تُساعده الظروف والصدفة، هو باب لا يدخله إلّا خاصّة الله وأوليائه "فتحه الله لخاصّة أوليائه"، وهذا الباب المبارك جاء نتيجة للتمسك بأيدولوجية الزيارة الأربعينية، فيها ومنها يخرج الجهاد، فهنيئاً للمجاهدين الذين كانوا من خاصّة أولياء الله، ويا لعظمة الجهاد الذي عبّد الطريق إلى الجنة وكان باباً من أبوابها.

إنّ التضحية لا بدّ أن تكون مرآةً ينعكس عليها صفاء العلاقة بين العبد وربّه، فليس المهمّ ضخامة أو ضآلة التضحية، بل المهمّ حقاً هو المبدأ الذي عليه تتمّ التضحية، لذلك حرّم الإسلام التضحية التي تودّي بالنفس إلى الهلكة، وهو مانراه اليوم عند غيرنا مثل عقيدة (السوتي) في الهند التي تلزم أتباعها من النساء بأن يحرقن أنفسهنّ في حالة موت أزواجهنّ، وكذلك عقيدة الانتحار على طريقة (الهاراكري) في اليابان التي تلزم أتباعها من الرجال بأن يبقروا بطونهم في حالة الإهانة، لذا صار لزاماً أن نتأمّل في أفكار هذه الزيارة، فهي طريق الدين الذي ارتضاه لنا عزّ وجلّ، فله الشكر في كلّ لحظة.

الأيدولوجية المستقبلية:

وردت رواية عن معروف بن خربوذ أنّه قال: « ما دخلنا على أبي جعفر الباقر عليه السلام قط إلّا قال: خراسان خراسان سجستان سجستان، كأنه يبشّرنا بذلك»¹²، وسجستان اسمٌ ثان لسجستان، فربما يكون السيّد السيستاني المصداق الحقيقي لذلك الرجل، وبه سيكون النصر الإلهي، واليوم نريد من الجميع التدقيق

والتأمل في كلامه الأخير على لسان معتمده الشّيخ الكربلائي في أحد خطب الجمعة، فقد قال: « إنّ المعارك التي يخوضها العراقيون ضد تنظيم داعش حالياً، هي تمهيد واستعداد للقتال مع دولة الإمام المهدي المنتظر، ليس في العراق فحسب، وإنما في أيّ مكان آخر؛ لأنّ دولة المهدي هي كلّ الأرض... إنّ ما يمرّ به العراق حالياً هو اختبارٌ لظهور دولة الإمام المهدي ومتطلباتها للقتال والتّضحية، وحيث أنّ ظروف البلاد الحاليّة في قتال الإرهاب هي تمهيد لدولة الإمام المنتظر علينا الاستعداد لها منذ الآن وتدريب شبابنا ورجالنا على القتال والتعبئة لأننا لانعرف إلى متى ستستمرّ المعركة ضد داعش.. ولذلك يجب أن يكون هناك تدريب مستمر لمواجهة كلّ الاحتمالات المستقبلية استعداداً لدولة الإمام المهدي»¹³، وهذا يعني أنّ السيّد السيستاني (رعاه ربّي) يدعونا جميعاً إلى الاستعداد لاستقبال عهد جديد، وهو ما بعد انتصارات الحشد الشعبي، فهم الممهّدون لدولة المنقذ العالمي، فدعونا نكون بمستوى المسؤولية، ونتحمّل الخسونة، والحياة القاسية كي نحظى بطلّة المنقذ البهيّة، ونحن متيقّنون أنّ الحياة القاسية لا تدوم، وأنّ الله عزّ وجلّ رؤوف بعباده، فسوف يُظهر وليّه لأنقاذ عباده، وسنحشر تحت رايته يوم القيامة، وتذكّروا أن استعدادنا الرّوحي والبدني سيفرح به الإمام؛ لأنّ أعمالنا كما تعلمون تعرض عليه صباحاً ومساءً، وفي يومي الإثنين والخميس.

إنّ المتأمل لكلام المرجعية العليا يتفائل بالمستقبل الموعود، فإنّ استعدادنا للتدريب، ووقوفنا مع الحشد الشعبي، هو الإنتظار لفرج المنقذ الإلهي، والإنتظار الحقيقي الصّادق، هو ذلك الإنتظار الذي يستتبع العمل، ولا بدّ لنا من التسليم له، وفرش القلوب لظهوره، فهنيئاً لمن يفندي بنائب المنقذ الإلهي، وطوبى لمن يمتثل لأمره، فسوف ترون قريباً أن شاء الله تعالى الفرج.

لسنا مبالغين إن قلنا: إنّ زيارة الأربعينية هي ثمرة من ثمار العقيدة المهدوية التي أبنعت بجهود الزائرين، لذا حان قطافها، ونحن نعجب لأناس لا يرغبون بحكومة الهبة، ولا يمهّد لها، لذا نقول لهم: على عقولكم العفى (العفى تعني التراب)، فكيف لا ترغبوا بحكومة المهدي؟ التي تتلاشى فيها حكومة الجبارين والمستكبرين، ويتفوّض فيها النّفوذ السياسي الداعشي للمنافقين والخائنين، بل تصبح حكومته قبلة للأحرار، وتجتمع فيها طلائع ثورته، ويتوافد المسلمون عليها لينضمّوا إليه، وكيف لا ترغبوا بحكومة قال عنها الباقر عليه السّلام: " إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حقّ إلى أهله ولم يبقّ أهل دين حتّى يظهر الإسلام، وحكّم بين النّاس بحكم داوود وبحكم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فحينئذّ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها ولا يجد الرّجل يومئذّ موضعاً لصدفته وبرّه وتقضي العجوز الضعيفة في المشرق تزيد الغرب لا يؤذيها أحد، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله" ¹⁴، بل سيخرج لنا تابوت السكينة من

إنطاكية، وفيه التّوراة والإنجيل، فيحكم بين أهل الإنجيل بالإنجيل، ويدعوهم إلى اتّباعه، فيسلم بعض ويحارب آخرون، ولا يبقى ذو شوكة وصاحب قوة في الوجود، ولا في العالم سياسة أو حكومة غير حكومة الإسلام، وسياسة القرآن الكريم، وأكثر من ذلك سوف يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويهبط عيسى بن مريم من السّماء فيصلّي خلفه، ويهتف: افتحوا أبواب بيت المقدس، فيفتح له¹⁵.

هنيئاً لمن حظي بالمشاركة في الجهاد المقدّس بدمه، أو ماله، أو لسانه، أو قلمه، فهو جهاد مقتبس من أثر الزحف الحسيني الأربعيني يبعث على الأمل والتّفاؤل بالنّصر، بل هو تمهيد واستعداد للحكومة المهديّة.

لا ريب أنّ للأدب الحسيني أثراً في شحذ الهمم، والشاعر يحرك مشاعر الحشد الشعبي حينما يشدّهم للقتال، ويذكرهم بأثار الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث يقول:

يامن تنأجزند الشّرّ في وطني	إضرب فديتك وكرّ الغدر والفتن
الشعب خلفك يدعو غير مكترث	بالناعقين على الأطلال والدمن
اللاعقين دماء النّاس في صلف	والحاذقين بدس السم في اللبن
حبيبت من فارس بانث بشائره	بوركت من حارس للشعب مرتهن
يا قائداً صولة الفرسان مؤتمناً	صنت الأمانة لم تنكل ولم تخن
حين امتشقت لنور الحق صارمه	أحييت أمجادنا في سالف الزمن

أيدلوجيّة زينب العطاء في أربعينيّة كربلاء:

لقد شاطرت زينب أمّها الزّهراء في ضروب المحنّ والأرزاء، ومنّ دارت عليها رحي الكوارث والبلاء في يوم كربلاء، ومنّ تضافرت عليها المصائب والكروب، وذاقت من النّوائب ما تذوب منها القلوب، ومنّ ناصرت أخاها في جهاده، ولم تضعف عزيمتها بعد استشهاده، ومنّ كانت زينة الأب زينب الكبرى زينة عليّ أمير المؤمنين عليهما السّلام، فبعد عمر عاشته السيّدة الطاهرة بالألام والأحزان من فقدتها لجّدها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ أردفته بمصيبة أمّها الزّهراء عليها السّلام، ووصلته بشهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) في محرابه، ثمّ أعقبته بشهادة الإمام الحسن (عليه السلام) بالسّم، وإلى أن ختمتها بشهادة أخيها الحسين، وشهادة ابنائها وما جرى من المصيبة العظمى في كربلاء، بل واصلت المسير إلى ما بعد كربلاء من السّبي والأسر إلى الشّام، وكذلك عودتها إلى كربلاء في يوم الأربعين، ثمّ إلى المدينة فجائع متلاحقة، ونكبات وآلام متصلة، لكنّها بقيت ثابتة العزيمة على الدّفاع عن نهج آل محمّد، فقد كانت ترفض الباطل، وظلم طاغية زمانها، وتألّب النّاس على رفضه، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد

فكتب إلى يزيد يُعلمه بثقافة زينب العطاء، وإكمال مسيرة أخيها، فكتب يزيد لعامله: « فرّق بينها وبين الناس، فأمر أن يُنادى عليها بالخروج من المدينة، فلما سمعت زينب العزة ذلك الكتاب قالت: قد علم الله ما صار إلينا، قُتل خيرنا، وحُملنا على الأقتاب، فوالله لا حَرَجْنَا وإن أُهرِقت دماؤنا»¹⁶، فلم تأبه سطوة الظالم، ولم تكثر بطغيانه، ولكن أقبلت إليها زينب بنت عقيل (ابنة عمّها)، وقالت لها: طيبي نفساً وفَرِي عينا، وسيجزى الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً؟ إرحلي إلى بلد آمن، ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام وواسينها، فقد خرجت من ديارها مرغمة إلى الشّام، وكي تكون قريبة من بلاط الدولة الحاكمة، وتحت أعينهم، فبعد الخروج، وفي وسط الطريق مرّت بشجرة عُلق عليها رأس الإمام الحسين عليه السّلام، فتذكرت أيام الأسر وعادت إليها لواعج الأسي والحزن، فحمت وثوّقت بالقرب من دمشق في قرية تُسمى (راوية)، في الخامس عشر من شهر رجب عام 62 هـ، فماتت شهيدة على حبّ آل محمّد¹⁷، لذلك سمّيت بالشهيدة، فقد ورد في حديث جدّها المصطفى: «ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً»¹⁸، فقد ختمت العطاء بشهادتها على حبّ أخيها الحسين بعام ونصف تقريباً، وقد أصبحت زينب العطاء نيراسا للشهداء، ومنازلاً لمريدي الحرّية، وهذا نلمسه في المسيرة الأربعينية، فقد رأينا أتباع أهل البيت عليهم السلام قد لبسوا القلوب على الدروع، وبذلوا مهجهم دون منهج الحسين، وبذلك أعادوا أمجاد مولاتنا زينب العطاء.

إنّ أيدلوجيّة السيّدّة زينب عليها السلام تجعل من المؤمنين السائرين على نهجهم أصحاب ثبات عند الهزاهز لا يحزنوا على ما فاتهم، ولا يفرحوا بما عندهم، بل هم في راحة أبدية، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (الحديد/23)، فحينما يتعرّض الوعاء المعدني لضربة معينة فإنّه يهتزّ قليلاً ليس كذلك؟ أمّا إذا أمسكناه بيدنا فلن يهتزّ عند تعرّضه لضربة، فالإنسان غير المتلجّئ لله المتعلّق بهواه يفقد توازنه وهدوءه بضربة واحدة ويبقى مضطرباً وحيراناً لفترة من الزمن، وأمّا المتلجّئ إليه ويكون قلبه ساكناً به، فإنّه لن يضطرب أمام الضربات وسيحفظ اتزانته وهدوءه، فلا بدّ أن نكون أشدّاء عند الإضطراب، فكما تعلمون أنّ الحركة في الأرض الوعرة أو المستوية بالنسبة لدولاب التراكاتور واحدة أمّا بالنسبة لعجلة الدراجة الهوائية فلا، وكذلك وقوف العصفور وطيرانه على غصن الزهرة له أثر، ولكن على الشجرة القويّة ليس له أثر يعتدّ به، وهذا مسلم به، وإنّ أصحاب النفوس الكبيرة، وبسبب سعة صدرهم لا تؤثر فيهم المسائل الجزئية أو الكليّة، فلو تأملنا موقف صاحب النّفس الكبيرة الإمام الحسين (عليه السلام) في ظهر عاشوراء وكل ما كان في أرض كربلاء من أهوال لم يمنعه من الصّلاة بخشوع، وعدم اضطراب، أمّا نحن فلأدنى حركة نخرج عن خشوعنا إن كان موجوداً فعلاً! لذا علينا أن نتوجّه إلى الله تعالى؛ كي يبرزقنا الاطمئنان في ساعة الاضطراب، وأن نستلهم الثبات من الزيارة الأربعينية، لذا نجد الاطمئنان لدى

الحشد الشعبي في قتالهم عن المقدّسات في العراق والشّام، حيث يصفهم الشاعر بقوله:

في الحشدِ شجعانٌ على ساحةِ الوغى يخطون في العراق أبهى الملاحم
صبورين عندّ الوقع، صادقٌ عهدهم أشدّاءُ بنساءً على كلّ ظالم
يفيئون حدّ السيف في كلّ شدّةٍ يزيلون سود المنايا ببيض الصوارم
أسودٌ على الأعداء في كلّ وقعةٍ يبيدونهم بالسيفِ طعناً أو بسحق الجماجم
فتلك حشود النصر قد جائت مشعشعةً غزّاءُ تزهو بنصرٍ ساحقٍ متلاحم
أيدلوجيّة الشعر في الأربعينيّة:

دأب أهل البيت عليهم السلام على تشجيع أتباعهم إلقاء الشعر الحسيني في المناسبات، فهذا الإمام الباقر عليه السّلام نرى حياته منكبّةً ومنكبّسةً بالقضيّة الحسينيّة لتحشيد الامّة لجهاد الظلم، فهو يعلم أنّ كربلاء أصبحت رمزاً للمجاهدين، فقد بقيت أحداث كربلاء تتردّد في قلبه الزكيّ، بل شجّع الشعراء على تخليدها، وسمح بإنشاد الشعر الحسيني في أيام الحج، وكان الشعراء يدخلون عليه لرثاء الحسين (عليه السلام)، فيأذن لهم، لذلك يقول الكميّ: « دخلت على سيّدّي الباقر فقلت: يا بن رسول الله إنّي قد قلت فيكم أبياتاً خاصّةً أفنأذن لي في إنشادها، فقال: هات، فأنشأت أقول:

أضحكني الدّهر وأبكاني والدّهر نو صرف وألوان

لتسعة بالطّف قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفان

فبكى الإمام الباقر (عليه السلام)، فلما بلغت قولي:

وستّة لا يُتجازى بهم بنو عقيل خيّر فتان

ثمّ عليّ الخير مولاكم ذكرهم هيّج أحزاني

فبكى الإمام الباقر (عليه السلام)، وقال: ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه ماء ولو قدر مثل جناح البعوضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنّة، وجعل ذلك حجاباً بينه وبين النّار، فلما بلغت إلى قولي:

متى يقوم الحقّ فيكم متى يقوم مهديكم الثّاني؟

قال: سريعاً إن شاء الله سريع، ثمّ قال: يا أبا المستهلّ إنّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين»¹⁹.

إنّ الشعر الحسيني، وخصوصاً في الأربعينيّة شعراً نو شجون ينبع من أحاسيس صادقة ينتابه البكاء والندب بما جرى على أئمّة أهل البيت عليهم السّلام،

فهو شعر رثاء ممزوج بدموع وبكاء وزفرات لا تجفّ، أضف إلى ذلك أنّه شعراً محرّضاً لأخذ الثأر ومن أبرزها، وأهمّها مصيبة عاشوراء، فالشعر الحسيني عاطفيّ ثوريّ عقائديّ، فأغلب الشعراء ينظمون الشعر الحسيني، بل نكاد أنجزم أنّ أكثر واقعة حصلت في الإنسانيّة، وحظيت بالشعر هي واقعة كربلاء المقدّسة، فقد أصبح الشعر الحسينيّ سنّة في شعر الشعراء، ولايفوتنا ذكر الشاعِر العالم الأديب الشّريف الرضي، فقد جمع بين العلم، والأدب، فقد نظّم خمس قصائد في قضية عاشوراء، بل نستطيع القول أنّها من أهم القصائد الحسينيّة، بل من أعظمها؛ لأنّها أوردت المشاهد المحزنة و الفضاة التي لحقت الأمة من العار الذي لا يطهره مياه العالم أجمع، فقد بلغت قصائده الخمس مائتين وثمانية وثلاثين بيتاً، وأمّا باقي شعره، فكانت مقطوعة في قصائد أخرى (القصيدة من سبعة أبيات فما فوق، والمقطوعة من ثلاثة أبيات إلى سبعة، والنتفة بيتان، واليتيم بيت واحد)، وقد سمعنا من أحد خطباء المنبر الحسيني أنّ الشّريف الرضي ترك زيارة الإمام الحسين عليه السّلام سنين طويلة، وكلّما قيل له: إذهب لزيارة جدك الحسين يقول: لا أستطيع، وفي آخر سنة من عمره ذهب للزيارة، فلمّا وصل قرب الإمام الحسين أنشأ يقول: (كربلا لا زلتِ كرباً وبلا...)، وقبل أن يكمل القصيدة وصل إلى قبر الإمام الحسين، وقبّل الضريح ومات على قبر الحسين (عليه السّلام)، فلم يتحمّل مصيبة عاشوراء، فقد أصبح من الشهداء؛ لأنّ الرسول الأعظم يقول: «ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً»، فالشاعر الذي يموت على موّد آل محمّد لاشكّ يموت شهيداً، ورحم الشعراء الذين سخّروا شعرهم من أجل المقدّسات والوطن، وشحذ الهمم للوصول للنصر، يقول الشاعر مخاطباً الحشد الشّعبي:

افخر بعزك زهواً أيّها البطل فلا لمثلك حشداً بات يكتملُ
حشدُ العراق أسود في عرائنها هو السّنان سيجري خلفه نصلُ
يامن تسامى لشعب أنت حافظه من صولة الحقد قد يضرب بك المثلُ
حشدٌ تسامت مع الأيام سمعته يرعى الذمام وكان السيف والنّصلُ

لا شكّ أنّ المرء يستطيع المرء أن يصل بإيمانه إلى أن يبذل روحه دون أن يتنازل مقدار أنملة عن هذا الإيمان، وعن عقيدته الحسينيّة الراسخة، فيحظى بالسكينة التي حباها الله إياه، وبذلك يزداد إيماناً آخر، وهذه مرتبة لا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم، نعم، إنّهُ الحبُّ لله سبحانه، وهو حقيقة الإيمان، وهذا الإيمان ينعكس فعلاً في حياتهم، فموت السيّد الشّريف الرضي على نهج آل محمّد جعله يرتقي إلى العلياء، لذا بقي خالداً للأبد، لأنّه سخّر شعره في حبّ أحباب الله سبحانه، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السّلام): «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحبُّ أبعاد الخلق منه في الله، ويبغض أقرب الخلق منه في الله»²⁰، وهذا الإيمان العظيم جعل هؤلاء الشعراء الأبطال يختاروا مشقّة التضحية في سبيل إيمانهم على ما فيه

الدّعة والراحة، وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: حتى يكون الموت أحب إليه من الحياة، والفقر أحب إليه من الغنى، والمرض أحب إليه من الصحة. قلنا: ومن يكون كذلك؟! قال: كلكم. ثم قال: أيّما أحبّ إلى أحدكم يموت في حبنا أو يعيش في بغضنا؟ فقلت: نموت والله في حبكم... قال: وكذلك الفقر»²¹.

أيدلوجية القرآن الناطق:

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) حبل الله الذي أمرنا بالتمسك به، وهو عدل القرآن الكريم، فهو يهدي للتي هي أقوم، وهو المفسر للقرآن الكريم، وما زيارة الأربعين إلّا لاستمرار رسالة القرآن الكريم، وليحتلّ القرآن مكانته الصحيحة في حياة المجتمع البشري، وهذا مبتغى الإمام الحسين: «لطلب الإصلاح في أمة جدي»، وما صبر الحسين في صغره لمدة ثلاثة أيّام بلا طعام، ولم يذهب لجده النّبيّ يشتهي الجوع، بل يتصدّق بطعامه ويستمرّ في الصيام، الا لتعليم الصّبر والنّبات، بل جسده بقوله: «هيهات منّا الذّلة» لكلّ طاغوت، فلا يريد منهم جزاء ولا شكوراً، بل يخاف يوماً عبوساً قمطيراً.

إنّ الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكّد على التمسك بالقرآنيين الصامت والناطق، فقد قال: «أما بعد ألا أيّها النّاس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»²²، فلا يمكن للمسلمين أن يكونوا متمسكين بالقرآن، ويتركوا الحسين!!، فهو لا يفترق عنه أبداً، فحيث جدّتم أنفسكم مفترقين عن أحدهما، فاعلموا أنّكم قد افترقتم عن الآخر أيضاً، والنّجاة لا تكون إلّا بالتمسك بهما معاً، فجميع الصفات الكمالية للقرآن الكريم هي ثابتة أيضاً للحسين (عليه السلام)، فتأملوا بعين البصيرة، فالحسين قرين القرآن ومصدق آياته، فهو لا ريب فيه، هدئ للمتقين، مبيّن، وتبيان لكلّ شيء، ويهدي للتي هي أقوم، وهو الفرقان، وإذا ذكر الحسين فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً، ولئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل الحسين لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وكذلك يشتهي رسول الله لربه أنّ قومه اتّخذوا هذا الحسين مهجوراً، وقال الذين كفروا لن نؤمن بالحسين ولا بالذين بين يديه، وهو الحسين العظيم الحكيم المجيد ذي الذكر، فهل من مدّكر؟، وقال الذين كفروا لا تسمعوا للحسين والغوا فيه لعلكم تغلبون، فلماذا لا يتدبرون الحسين أم على قلوب أفعالها؟! فاقروا ما تيسر من الحسين، فإذا أردتم دينكم وديناكم، فعليكم بالحسين، فسوف تسعدوا وتهتدوا، لذا نرى الحشد الشعبي بات مستمسكاً بالقرآنيين، فحظي بالدارين، فحينما ترمجر رياح الموت غاضبة ويعلوا على عصفها صوت الرصاص وتقدح صواعق الحقّ في كلّ بارقة لتعلن

ها قد وجب القصاص فاعلموا أنّهم قدّموا... رجال عاهدوا صدقوا إلى الهيجاء قد نزلوا مابين أشوس ماجدٍ صعبُ المراس غضنفر وأفعسُ يسقي العدى حتفُ الردى بسنانه وحد الحسام الباترُ قد أسرجوا للمجد صهوة جيادهم وتوشحوا لها بالمرهفات البيض والأسل السمرُ فطأطأت لشدة بأسهم أسد الثرى وغيلها والراسيات الصلدُ، فكان التصر حليفهم وقائدهم وعنواناً لصولاتهم إنهم وبكلّ فخر رجال الله من مجاهدي الحشد الشعبي الأبطال في عراق الحسين (عليه السلام).

ثمة زوبعة تظهر بين الفينة والفينة في تحريف زيارة الأربعين، فقد رأيت كتاباً لمؤلف يزعم أنّه من اتباع أهل البيت يريد تحريف حديث الأربعين، فقد زعم الكاتب أنّ لفظة الأربعين الواردة في طيّ كلام الإمام العسكري: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين»، تعني زيارة أربعين مؤمناً، ولا تعني زيارة الأربعين إلى كربلاء المقدّسة!!!، لذا أقول له: أيّها الموالي الملتبس عليه الأمر كلامك التواءً في الفهم يرفضه الذوق اللطيف، فلو كان الغرض كما زعمت، وهو الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمناً لقال الإمام: (زيارة أربعين) بدون الّ التعريف، فالألف واللام العهديّة هي للتنبيه على أنّ زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نصّ عليها الحديث بأنّها من علائم الإيمان، فزيارة الأربعين هي الإنمّودج الأمثل التي ميّزت بين دعوة الحقّ والباطل؛ ولذا قيل: الإسلام بدؤه محمّدي وبقاؤه حسيني، فالمؤمنون الذين يمتّون الحسين عليه السّلام بصلّة، ومشايعة، فهم المؤمنون المعترفون بإمامته، فعلامة إيمانهم هو ولائهم لإمامهم الحسين، والمثول في يوم الأربعين من شهادته عند قبره الشريف، وتجديد العهد، والبيعة له، فطوبى لكم أيّها الزائرون، وطوبى للحشد الشعبي الذي شارك الزائرين، فقد حظيتم بعلامة الإيمان، فقد أظهرتم ولائكم لإمامكم الحسين (عليه السلام)، ورحم الشاعر حيث يقول:

ببسم اللّهِ قد هبّت حشودُ أسودٌ ليس تشبهها الأسودُ
تزيحُ الظلمَ والطاغوتَ جمعاً كسيلٍ لا تقاومُهُ السودودُ
على الأعداءِ بركانُ تراهم وللأطيابِ هم حقاً ورودُ
كأصحابِ النبيّ لهم وفاءٌ وعن هذي المراقدِ هم يذودوا
هُم الدرغُ الحصينُ لأرضِ مجدٍ بها أطهارُنا حصنٌ مشيدُ
هُم الأبطالُ في الساحاتِ دوماً وكلُّ الناسِ تلك لهم شهودُ

أيدلوجيّة إحياء الشّعائر:

إنّ من العادات المستمّرة التي دأب عليها الناس هو الحداد على الميت أربعين يوماً، فإذا كان يوم الأربعين أقيم على قبره الاحتفال بتأبينه يحضره أقاربه

وخاصّته، بل ورد أنّ الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً، فلا عجب لأتباع أهل البيت إذا حزنوا أو بكوا الحسين في أربعينته، فقد بكته السموات والأرضون، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ السّماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسّواد، والشّمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحرمة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً»²³، وهذه العادة لم يختصّ بها المسلمون، فإنّ النّصارى يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم بصلاة الجنّاة ويفعلون ذلك في نصف السنّة وعند تمامها، واليهود يعيدون الحداد على فقيدهم بعد مرور ثلاثين يوماً وبمرور تسعة أشهر وعند تمام السنّة، كلّ ذلك إعادة لذكراه، وتنوياً به وبتأثره وأعماله إن كان من العظماء، فالأمام الحسين شهيد الدّين، وشهيد السّلام والوئام، وشهيد الأخلاق والتّهذيب، فهو أولى من كلّ أحد بأنّ تُقام له الذكريات في كلّ مكان، وتشدّ الرحال للمثول حول مرقد الأقدس في يوم الأربعين من قتله؛ حصولاً على تلكم الغايات الكريمة، فإنّ مزايا زيارة الأربعين لا تُحدّد، وفضائلها لا تُعدّد، ودروسها تحتاجها الأجيال، فأحياء الأربعين من كلّ سنة إحياءً لهضته وتعريفاً بالقساوة التي ارتكبتها أعدائه؛ ولهذا دأبت المسلمون على تجديد العهد في يوم الأربعين من كلّ سنة، فقد ورد التحريض عليها من قبل الأئمة الأطهار، بل اعتبروها من علامات المؤمن، وكذلك اعتبروها إحياءً للأسلام الحقيقي: "أحيوا أمرنا وتذكروا في أمرنا"²⁴.

إنّ للأمام الحسين (عليه السلام) نوراً يجذب أهل السّماء والأرض، فعليه سيماء الأنبياء، وله هيبه جدّه التي تعنو لها الجباه، فلقد وصفه أعدائه بوصف عظيم؛ لشدة نوره، وهيبته حينما أرادوا قطع رأسه الشّريف بقولهم: «لقد شغلنا نور وجهه، وجمال هيبته عن الفكرة في قتله»²⁵، فضربات السيوف، وطعنات الرماح لم تستطع حجب نوره العظيم، بل كان كاليد في بهائه ونضارته، وفي هذا المقام يعجبني قول الشاعر الكبير الكعبي:

ومجرّحٌ ما غيرت منه القنا حسناً ولا أخلق منه جديداً

قد كان بدرأً فاغتنى شمس الضحى مذ ألبسته يد الدماء بروداً

وحينما نظر ابن زياد نور وجه الحسين قال: «ما رأيت مثل هذا حسناً»، فقال له أنس بن مالك منكرأً عليه: «أما أنّه كان أشبههم برسول الله»، بل أنّ يزيد بن معاوية على شدة بغضه للحسين (عليه السلام) قال حينما عرض عليه رأس الحسين الشّريف، وقد دُهل من جمال هيبته: «ما رأيت وجهاً قط أحسن منه»، فقال له بعض من حضر: «إنّه كان يشبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»²⁶.

نعم، إنّ نور الحسين (عليه السلام) له جاذبيّة لا توصف بوصف؛ لأنّ ملامحه مقتبسة من نور جدّه المصطفى، فنوره يملأ عيون الناظرين إليه، وتحنّي الجباه

خضوعاً وإكباراً له، وأمّا عشّاق نوره فهم يرونه بعين البصيرة، لذا تراهم يتهافتون إلى نوره في زيارة الأربعينيّة، بل إنهم يبذلون الغالي والنفيس كي يصلوا إلى ذلك النور، فهم دوماً يردّون شعاراً: يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

ثمّة حقيقة ناصعة لا يحجبها غربال، ومن لم يرها بأَمّ عينيه فعليه تغيير بؤبؤهما، فلم يكن ظهور الحشد الشعبي المقتبس أنواره من نور الإمام الحسين (عليه السلام) مصادفة عمياء، بل هو سنّد للوطن والمقدّسات، في زمن استشرى الشرّ واستخذاء الحقّ، فلولا إرادة الله وفتوى السيد السيستاني لكانت نتائج الوطن والمقدّسات عكس ما هي عليه اليوم، فألف شكرٍ للإمام السيستاني وألف شكرٍ لمن لبّى النداء، فهنيئاً لهم ذلك وبارك الله في سعيهم وزادهم إخلاصاً وعبّةً، رعاهم الله و سدّد خطاهم إلى التصر المؤزر، وسيخلد التاريخ من أرسوا سفن السلام و سقوا شجرة الوحدة بدمائهم من أجل الوطن والمقدّسات والشّعائر.

أيدلوجيّة عشّاق يوم الأربعين:

منذ أن أبصرت أعيننا النور حملنا الوالدان إلى درب مسيرة العشق الحسيني في يوم الأربعين، فرأينا زيارة أربعينيّة الحسين (عليه السلام) ثورة تجسّد معنى الإنسانيّة، فرأينا الزائر ين حملون مبادئاً لا يحملها غيرهم، فهم مبدئيّون أقوياء لا يساومون، ولا يتنازلون، ولا يسترخون، فقد جسّدوا قول الله تعالى: « أشدّاء على الكفار رحماء بينهم»، فمبدأهم الانفتاح والشقّافية في قبول الآخرين، ولكن أشدّاء مع أعداء الإسلام، و أعداء الحق، فلن يقبلوا منهاج الدواعش، ولن يساوموهم أبداً، فزوّار الأربعين عاشوا الصمود والثبات في مواجهة كلّ التحدّيات، الفكرية، والثقافية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، والإعلامية، فقد تحدّوا جبابرة العصر في أيام صدام، وأبي بكر البغدادي. لقد عرفنا عشّاق مسيرة الخلود (الأربعينيّة) إنهم لا يعرفون الانهزام، والتراجع والتخاذل، والضعف والخور، فهم الثابتون الصامدون، الذين يملكون عنفوان العقيدة، وصلابة الإيمان، وإباء المبدأ، وشموخ الموقف، فهم يبذلون الغالي والنفيس من أجل إنجاز المسيرة، بل إنهم يقفون صفّاً لصفّ أمام تأمرات الدواعش، فتارة نراهم في المسيرة، وتارة أخرى نراهم في الحشد الشعبي، فهم يحملون شعار الجهاد والشهادة، وأمّا خدمة عشّاق المسيرة، فقد جاهدوا بالكلمة، وبالمال، وبالروح، فقد سمعناهم يقولون: (لسنا حسينيّين إذا لم نحرك المال في خطّ الدعوة الأربعينيّة، والخير، والجهاد، ولسنا حسينيّين إذا لم نحمل الأرواح على الأُكفّ، وإذا لم نكن عُشّاقاً للشهادة، وإذا لم نسترخص الدم من أجل المبدأ والعقيدة، فنحن خدام زوّار الحسين عليهم السلام، فهم العشّاق المسدّدون من ربّ العزّة، وهم السالكون سبيل الله سبحانه، فقد وصلوا إلى هدفهم في البلوغ إلى رضوان الله تعالى، فلم يستطع الشيطان أن يكون مانعاً في طريقهم، والغريب أنّ الشيطان أقسم أن يحاصرهم من جميع الجهات ولا يتركهم يتحرّكون في طريق المعرفة، والعبوديّة، والولاية، حيث قال: ﴿ثمّ لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيّمانهم و عن شمائلهم﴾ (الأعراف/17)، فلو

تأملنا المصيبة حينما يزيد جلس أمام رأس سيد الشهداء الطاهر، وأخذ يُنشد أشعار الكفر، فهل انتصر يزيد؟ لقد انتصر الحسين (عليه السلام)، والدليل على ذلك هو مسيرة العشق الحسيني في يوم الأربعاء، فالملايين تنهاوى إليه، بل يأتوه حبواً على الأقدام، فأصبحت أربعينته نبأً للأساس للخالدين.

إنّ الحسين سلك سبيل الأنبياء، وأنّ الأنبياء سلكوا سبيل الحسين (عليه السلام)، فأبراهيم الخليل كان سالكاً مع الإمام الحسين بعد أن ضحّى بإسماعيله، وموسى الكليم حُمِلَ إلى كربلاء ليبلغ رشده، وكذلك عيسى عليهم صلوات ربّي عليه، فالحسين (عليه السلام) أخذ بأيدي جميع الأنبياء، فسبيلهم واحد، والرسول المصطفى محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ببلائه أخذ يرَبّي الأنبياء، التربية التي يتمكّن النبي إبراهيم بلوغها لذبح إسماعيله، لقد رغب في أن يهب لإبراهيم الخليل بلوغه في عاشوراء وتمكّن من ذلك، وأحبّ أن يهب لموسى الكليم بلوغه أيضاً، فهل تمكن من ذلك أم لا؟ وأراد أن يجعل الجمادات والنباتات تبلغ رشدها، نعم كان يريد أن تبلغ حتى الحيوانات رشدها، وقد انحنى ظهر كل موجود في هذا العالم لهذه المصيبة المليئة بالحزن والأسى، لذا قال الامام المعصوم: «لقد عظمت الرزية، وجلت و عظمت مصيبتك في السموات على جميع اهل السموات»²⁷، لذا أصبحت أربعينته الحسين عيناً تبكي على الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذت أركان العالم وانحنت لمصيبتها الكائنات، والجميع يروم الالتحاق بعشاق مسيرة الأربعين، كي يلتحقوا بركب الخالدين.

إنّ أصحاب الإيمان قد نالوا حظّهم من الدارين، فهم أكثر طمأنينة من المنافقين أو التاركين للدين، فقد رزقهم الله سبحانه القناعة، والإيمان الحقيقي هو حبّ الحسين (عليه السلام)، فقد جاء في الحديث: «إذا أحبّ الله عبداً قذف في قلبه حبّ الحسين، وحبّ زيارته»²⁸، فقد رأى العالم - على ضنّالة إعلامه في نشر الحقيقة- أيّام أربعينية الحسين (عليه السلام) كيف أنّ الحشود المليونية المؤمنة تنهاوى، بل تتقاتل، بل تضحّي من أجل العقيدة، وطاعة الله سبحانه، فحبّهم للحسين يزيدهم إصراراً على الطاعة، وترك المعصية، فقد جسدوا الأخلاق، والإيمان في طريق الزيارة، فلا يثنيهم عن عزمهم الانفجارات، أو قساوة البرد والحر، فشعارهم: لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفا سيدي ياحسين، ولا شكّ أنّهم منصورون في الدارين ما داموا في طاعة الله سبحانه، فقد قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (غافر/51).

لاريب عندنا أنّ الحسين (عليه السلام) هو اسم الله الأعظم؛ لأنّه لا يمكن أن ينتصر عليه أحد أبداً، وقد علمنا من خلال الروايات أنّ شياطين الأنس والجنّ بكلّ ما لهم من قدرة وقفوا صفاً واحداً لمواجهة الإمام الحسين سابقاً، ولاحقاً، ولكنهم باؤوا بالفشل ولم يتمكّنوا من قطع الطريق عليه للحيلولة دون وصوله إلى هدفه، فلو تأملنا الانتصار الحقيقي، لوجدناه تجلّى في شفاعته، فالحسين (عليه السلام) قد تحمّل هذا

البلاء العظيم من أجل أن يضيء الأجواء المبهمة والمظلمة، ويقضي على الفتن، ويدعو إلى المعروف وينهى عن المنكر ليستنقذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة، فقد أراد تقديم الشفاعة والهداية والأخذ بأيدي العالم نحو العلي، وقد تحقّق له بفضل الله تعالى. لقد صوّر لنا مشهداً من البلاء، بحيث تمكّن كلُّ مخلوق (ما عدا النواصب) من الحصول على الشفاعة كلُّ بقدر وسعه، فالإمام الحسين قام بسحب البساط من تحت أقدام الشيطان، وقتل الفتنة الناجمة عن الظنّ الذي يثيره الشيطان، وما يجلبه على الناس بخيله ورجله، حيث يعدّهم ويُمثّيهم ثم يخلف وعده، وبغويهم، فمهما يفعل الدواعش من الجرائم، فلا نبالي مادام عندنا الحسين، فالانتصار الحقيقي هو الحسين صلوات ربّي عليه، وخير دليل مسيرة العشق الحسيني، وتوافد الملايين إليه في أربعينته، فقد أذهلت العقول، وحارت بها الأفكار.

في كلّ عام لنا بالأربعين واعياً تطبق الدور الأرجاء والسكا
وكلّ مسلمة ترمي بزينتها حتّى السّماء رمت عن وجهها الحبا

الخاتمة:

إنّ أتباع أهل البيت يستقبلون هذه الزيارة بقلوبٍ والهة يعصرها الألم، وعيون باكية تكاد تقطر الدما، ونفوسٍ حزينة تكاد تزهق في ذكرى أربعينته من أظلمة السّماء، وسيد شباب أهل الجنّة ويقدمون العزاء لمولاهم بقيّة الله الأعظم صاحب الزمان، والحشد الشعبي يقتبس أنواره ووجوده وكيانه وشجاعته من الشعائر الحسينية، فيزداد عزماً وبسالة.

ثمّة عوامل تحرّك عواطفهم ومشاعرهم الدينية، وتدفعهم ليقوموا بعمل يواصلوا به سبيل الإمام الحسين، ويعشقوا طريقه، فمشاعر، وعواطف الناس متنوّعة، لذا يتمّ تحريك كلّ نوع من المشاعر والعواطف بواسطة الحادثة المناسبة لها، فحادثة كربلاء أحييت ضمير الأمة الإسلامية، ونهضت بأكبر دور في التاريخ الإسلامي، وغيّرت مسيرة التاريخ الإسلامي، وأعدت هيكله الإسلام الحقيقي، فقد أعطت الإنسانية دروساً في الجهاد والنهضة والمقاومة والإستقامة وعدم الخنوع للظالم، فعشاق كربلاء لا يرضخوا للدواعش، بل إنهم سيقفون موقف أنصار الحسين في بذل مهجهم دون العقيدة المحمّدية، فهنيئاً لهم.

لابدّ من القيام بعمل يثير عواطف المؤمنين، ويجري دموعهم ويغرس العشق والحماس في قلوبهم، فالحسين عبرةٌ وعبرةٌ، فإحياء أربعينته الحسين تخلق الأجواء التي تُبكي الناس، وتثير عزيمتهم نحو الجنان، فهذه المسيرة ضمان للسعادة، ورفض الظلم، والحصول على الجنان، بل على رضوان الله سبحانه، ولاشكّ أنّ للأدب الحسيني دوراً في شحذ الهمم.

لقد تطرّقنا إلى أيّدولوجيّة زيارة الأربعين والأدب الحسيني، وبيّنا الأبعاد الروحيّة والجماليّة، وكذلك العبر، والنتائج، والانتصارات، وكذلك ذكرنا أيّدولوجيّة عشاق يوم الأربعين.

الهوامش:

- 1 - الصدوق، عيون أخبار الإمام الرضا: ج 1 / 59.
- 2 - المجلسي، بحار الأنوار: 329/4.
- 3 - المصدر نفسه: 330/4.
- 4 - دي تراسي، موسوعة مقاتل من الصحراء - مفهوم الأيديولوجيا: 194.
- 5 - الحسيني، مفاهيم علم الاجتماع، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة: 72.
- 6 - جمعت الزيارة الأربعينيّة المسلمين، وغير المسلمين، فهناك الكثير من المسيحيّين والصابئة جاؤوا لزيارة الأربعينيّة.
- 77 - البحراني، مدينة المعاجز: 327/2.
- 8 - المجلسي، بحار الأنوار: 116/45.
- 9 - الكليني، الكافي: 138/2.
- 10 - ابن كثير، البداية والنهاية: 464/9، وكذلك الذهبي، سير اعلام النبلاء: 378/1.
- 11 - الشريف الرضي، نهج البلاغة: الخطبة 27.
- 12 - المجلسي، بحار الأنوار: 243/52، وكذلك: النعماني، الغيبة: 280/1.
- 13 - خطبة الجمعة في الصحن الحسيني بتاريخ: 2015-5-29.
- 14 - الطبرسي، اعلام الوری: 432. كذلك: المفيد، الإرشاد: 384. وأيضاً: المجلسي، بحار الأنوار: 83/52.
- 15 - القندوزي الحنفي، ينابيع المودّة: 387/3.
- 16 - العبيدلي، أخبار الزينبيات: 118.
- 17 - المصدر نفسه: 119.
- 18 - الزمخشري، الكشاف: 220/4.
- 19 - الخزاز القمي، كفاية الأثر: 248.
- 20 - المجلسي، بحار الأنوار: 78/7.
- 21 - المصدر نفسه: 90/7.
- 22 - مسلم، صحيح مسلم: 122/7.
- 23 - المجلسي، بحار الأنوار: 206/45.
- 24 - الكليني، الكافي: 175/2.
- 25 - ابن شهر آشوب، المناقب: 88/2.
- 26 - الهيتمي، مجمع الزوائد: 195/9.
- 27 - القمي، مفاتيح الجنان: 463.
- 28 - المجلسي، بحار الأنوار: 76/98.

المصادر والمراجع:

- 1- الكليني، محمد، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط4، دار الكتب الإسلامية - طهران، 1986م.
- 2- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، الأعلمي، بيروت، لبنان، 1985م.
- 3- ابن شهر آشوب، محمد، مناقب آل أبي طالب، ط1، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1956م.
- 4- عبده، محمد، نهج البلاغة، ط1، دار الذخائر، قم المقدسة، إيران، 1992م.
- 5- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، 1983م.
- 6- المفيد، محمد، الإرشاد، تحقيق، ط2، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م.
- 7- القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط3، إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، إيران، 1998م.
- 8- الهيتمي، علي، مجمع الزوائد، الهيتمي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.
- 9- مسلم، صحيح مسلم، ط1، دار طيبة، بيروت، لبنان، 2006م.
- 10- القمي، الخزاز، كفاية الأثر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1981م.
- 11- تفسير الكشاف، الزمخشري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.
- 12- القندوزي، سليمان، ينابيع المودة، ط3، دار الأسوة، طهران، إيران، 2010م.
- 13- العبيدلي، يحيى، أخبار الزينبيات، ط3، مكتبة المرعشي، قم المقدسة، إيران، 1981م.
- 14- أعلام الوري بأعلام الهدى، الطبرسي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
- 15- ابن الأثير، علي، البداية والنهاية، ط3، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 2003م.
- 16- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ط3، الرسالة، بيروت، لبنان، 1985م.
- 17- الصدوق، محمد، عيون أخبار الرضا، ط1، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، إيران، 2002م.
- 18- دي تراسي، موسوعة مقاتل من الصحراء - مفهوم الأيديولوجيا، ط1، دار القاهرة، القاهرة، مصر، 2003م.
- 19- الحسيني، محمد، مفاهيم علم الاجتماع، ط2، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، 1987م.
- 20- البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، ط1، بهمن، المعارف الإسلامية، قم المقدسة، إيران، 1994م.
- 21- الطوسي، محمد، تهذيب الحكام، ط3، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، 1996م.
- 22- شبر، جواد، موسوعة أدب الطف، ط2، الأعلمي، بيروت، لبنان، 2004م.

التاريخ عن طريق المواقع الإلكترونية للاحتفال بموقعة الطف

منذ ظهور مواقع التواصل الاجتماعي 2007 حتى 2018

أمنية محمد أبو العطا سالم

باحثة أكاديمية

جامعة الرقازيق - جمهورية مصر العربية

التاريخ عن طريق المواقع الإلكترونية

للاحتفال بموقعة الطف

منذ ظهور مواقع التواصل الاجتماعي 2007 حتى 2018

أمنية محمد أبو العطا سالم

باحثة أكاديمية

جامعة الرقازيق - جمهورية مصر العربية

مقدمة:

من شأن التوثيق الإعلامي تقديم منتج إعلامي متنوع ومتطور يعكس النقلة النوعية التي يشهدها القطاع الإعلامي في تحسين طرق الحصول على المعلومة وتكريس القرب في مجال التوثيق الإعلامي والمحافظة على المخزون الحضاري من الذاكرة الإعلامية بمكوناتها الورقية والصورية والسمعية والبصرية والإلكترونية، وتوثيقها وتغذيتها واستمرارها، ووضعها على ذمة الأجيال الحاضرة والمقبلة، وتوظيفها في خدمة التنمية الشاملة لقطاع الإعلام والحفاظ على الرصيد الإعلامي لسد مقتضيات مجتمع المعلومات وما يتطلبه، وتحقيق الجودة وتسهيل وتقديم أفضل المعلومات عن بعد.

وتشهد الاحتفالات التي تعم المدن العراقية الكثير من الأحداث والمفارقات الغربية والتي تنال متابعة واسعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

منهج الدراسة

منهج تاريخي لعرض الأحداث التاريخية وترتيبها وتطورها واتبعت الباحثة من المصادر والمراجع التاريخية وتصنيف المادة العلمية ثم إجراء التحليل اللازم للحقائق التي وردت في المراجع.

ومنهج تحليل المدخلات والمخرجات حيث يعتبر التفاعل بين وحدات النظام والبيئة المحيطة به (خارج وداخل) هو أساس التحليل ومن هنا بالتطبيق على الدراسة محل البحث فإن المنهج المستخدم يعد الأكثر ملائمة لما يتيح من إمكانية دراسة التوثيق الإعلامي للاحتفالات بموقعة الطف.

خطة الدراسة

انقسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وثبتت مصادر ومراجع تناولت في المقدمة أهمية الدراسة والقضايا التي أثارها الدراسة والمنهج المستخدم.

وفي المبحث الأول وصف تاريخي لموقعة الطف.

وفى المبحث الثاني تناول المواقع الإلكترونية لموقعة الطف والتوثيق لها.
وفى المبحث الثالث تحليل تناول مستخدمى مواقع التواصل الاجتماعي لموقعة الطف.

وفى الخاتمة تناولت النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال الدراسة
ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فى الدراسة.

المبحث الأول: وصف تاريخي لواقعة الطف

مدخل:

على الرغم من أن واقعة كربلاء كحادثة تاريخية لم تتجاوز سويغات من الزمن - حيث التقى الجيشان على ما بينهما من تفاوت ملحوظ بشكل كبير في العدة والعدد! ودارت معركة دامية أسفرت عن مقتل الإمام الحسين رضوان الله عليه.

بالرغم من أن عدد القتلى في كربلاء لم يكن كبيراً، لكن بسبب اشتراك حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأل البيت، وقتله ومن معه بصورة بشعة، أشبه بمذبحة في وضح النهار، وتعاطف الناس مع الحسين بن علي بعد استشهاده، فكانت معركة حاسمة ومؤثرة على مسار التاريخ وانعطافاته المتتالية.

فى العام الذى تمت فيه المهادنة بين علي ومعاوية (30هـ) على أن يكون لعلي العراق ولمعاوية الشام فلا يدخل أحدهما على صاحبه بجيش ولا غارة ولا غزو.

اجتمع نفر من الخوارج لدراسة الموقف، وتذكروا ما أصاب إخوانهم في "النهروان" وأزعجهم تفرق الناس بين معاوية وعلي، وقالوا: ما صنع بالبقاء؟ لو قتلنا أئمة الضلالة لأرحنا العباد وثأرنا منهم لإخواننا وتعاهد ثلاثة منهم بجوار الكعبة على أن يتقربوا إلى الله بقتل من كان - في زعمهم السبب في هذا الصراع الدموي الذى توقفت بسببه مسيرة الفتوح التى بدأها أبو بكر وأذكى أوراها عمر رضى الله عنهما¹.

وانتفتت كلمة هؤلاء الثلاثة (عبد الرحمن بن ملجم ، البرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر) على قتل معاوية وعلي، وعمرو بن العاص، في يوم معين وهو يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة 40 من الهجرة، وقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبى طالب وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، ونجح ابن الملجم في قتل أمير المؤمنين علي فقد وجه إليه ضربة بالسيف وهو خارج لصلاة الفجر وهو يقول: " لا حكم إلا الله لا لك ولا لأصحابك يا علي" وتوفى علي كرم الله وجهه يوم الأحد السابع عشر من رمضان من السنة نفسها².

أما معاوية فقد وجه إليه البرك بن عبد الله ضربة أصابته بجراح برئ منها

— وأما عمرو بن العاص فقد منعه المرض من الخروج إلى الصلاة، فأصاب عمر بن بكر خارجة بن حذافة الذي كان يشبهه عمرو بن العاص فقال: " أردت عمرا وأراد الله خارجة".

وقد ذهب هذا القول مثلا — وهكذا ذهب كرم الله وجهه إلى ربه شهيدا - وكانت مدة خلافته أربع سنوات، وتسعة أشهر إلا أياما قلائل، وكانت سنه يوم استشهاده ثلاثا وستين سنة.

ولقد بايع الناس الحسن بن علي بالخلافة عقب استشهاده أبيه

بفطرته يميل إلى المسالمة، ويتجه إلى جمع كلمة المسلمين فقد تبادل الخطاب والرسول مع معاوية بشأن تنازله عن الخلافة لمعاوية بشروط حددت في اجتماعهما بالكوفة في ربيع الأول من العام الحادي والأربعين الهجري، هذا العام سمي بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين فيه بعد زمن من التمزق والفرقة، وهكذا آلت الخلافة أو الملك العضوض إلى معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية — تلك الدولة التي امتدت الفتوح الإسلامية في عهدها من الصين شرقا إلى جبال البرانس في أوروبا غربا³.

لم يكن الحسين قد وافق على تنازل أخيه الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، بعد وفاة معاوية لم يبايع الحسين يزيد بن معاوية بالخلافة⁴.

لم يحترم معاوية الاتفاق بينه وبين الحسن في احترام آل البيت، وعدم نقل الخلافة بالوراثة هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الصالحين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم... وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه⁵.

كاتب أهل الكوفة وفيهم شيعة علي وأنصار الحسين ليبايعونه⁶. كتبوا إليه بعد أن اجتمعوا في بيت سليمان بن صُرد: بسم الله الرحمن الرحيم. سلام عليك؛ فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها. وإنه ليس علينا إمام، فأقبل؛ لعل الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا؛ أخرجناه حتى نُلحقه بالشام إن شاء الله تعالى. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته⁷.

أخذ الحسين طريقه من مكة متوجهاً إلى الكوفة، معتمداً على مبايعته من قبل إثني عشر ألف من أهل الكوفة ظهر فسق يزيد، وحاد عن الدين القويم، ورأى الحسين أن الثورة حتمية ليعيد للدين ثوبه البهي والنقي⁸

نزل الحسين ومن معه من أصحابه وأهل بيته في كربلاء. فلما أحيط بجيش الأمويين قال: ما اسم هذا الموضع؟ قالوا: كربلاء. قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ هي كرب وبلاء⁹.

أرسل إليه عبيد الله بن زياد بن أبيه - وكان عامل يزيد على العراق - رسالة جاء فيها: أما بعد يا حسين، فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحك اللطيف الخبير، أو تنزل على حكمي وحكم يزيد والسلام.

كان ابن زياد يخطب بالناس يحثهم على قتال الحسين: هذا ابن يزيد يكرم العباد، ويبقيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقكم مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم، وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوه وأطيعوه¹⁰.

لما أيقن أن القوم قاتلوه قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتكرت، وأدبر معروفها، وانتشرت، حتى لم يبق منها إلا كصباية الإناء الأخرس، عيش كالمرعى والوبيل.. ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا جُرماً¹¹

منعوا عن الحسين الماء، وناوشوه بالسهام والنبال، وقتلوا أحد أطفاله وهو بين يديه¹².

في صباح يوم الجمعة اشتد القتال بين الطرفين غير المتكافئين، فسقط أصحابه في الدفاع عنه الواحد تلو الآخر، وبقي الحسين وحيداً، لا يقدمون عليه¹³، حتى نادى سمر بن ذي الجوشن: ويحكم تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه تكلتكم أمهاتكم! فحملت الرجال من كل جانب على الحسين، وضربه زرعة بن شريك التميمي ضربة على كتفه اليسرى، وضربة على عاتقه، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمر، وابن انس النخعي فطعنه بالرمح فوق، ثم نزل فذبحه وحز رأسه، وقيل إن الذي قتله سمر بن ذي الجوشن¹⁴.

قتل الحسين بعد أن قاتل ببسالة. وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة وأربعة وثلاثين ضربة الغريب¹⁵ أن الذي قتله توجه إلى عبيد الله بن زياد قائلاً:

أوفز ركابي فضةً وذهباً
فقد قتلتُ الملك المحجبا
قتلتُ خير الناس أما وأبا

وخيرهم إذ ينسبون نسباً

وعن ابن عباس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بنصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم يلتقطه. قلت: يا رسول الله؛ ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم والحسين معي، فبكى الحسين فتركته، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: أتعبه يا محمد؟ فقال: نعم قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء¹⁶.

المبحث الثاني: تناول المواقع الإلكترونية لموقعة الطف والتوثيق لها مكانة علم التوثيق:

يحتل علم التوثيق منزلة رفيعة ومكانة كبيرة في الحياة الإنسانية لأنه يعمل على حفظ الحقوق، طبقاً للقوانين الشرعية، وبه تضبط المراكز القانونية للأشخاص والأشياء، ونورد أقوال العلماء في مكانته كالتالي:

يقول (الونشريسي) في مقدمة كتاب (المنهج الفائق) متحدثاً عن سبب تأليفه علم الوثائق مبرزاً أهميته ومكانته: "فإني لما رأيت علم الوثائق من أجل ما سكر في قرطاس، وأنفس ما وزن في قسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدماء والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكاة للأعمال وأقرب رحماً، وأقطع شيء تنبذ به دعاوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذميمة وتعمى."

ويقول (ابن فرحون): "هي صناعة جليظة شريفة وبضاعة عالية منيفة تحتوي على... مجالسة الملوك والاطلاع على أمورهم وعيالهم، وبغير هذه الصناعة لا ينال أحد ذلك، ولا يسلك هذه المسالك."

ويقول (الهوراري) في شرحه وثائق بناني عن علم الوثائق: فإن علم الوثائق من أجل العلوم قدراً، وأعظمها خطراً، إذ به تنضبط أمور الناس على القوانين الشرعية، وتحفظ دماؤهم وأموالهم على الضوابط المرعية. فالتوثيق عن طريق الكتابة، يحصل في وقت لا نزاع فيه، وتقرر فيه الحقائق على طبيعتها، فعند تقديمها للقضاء، تنطق الكتابة بتلك الحقائق التي سبق إثباتها بدون غرض، أو تميز، أو خطأ أو نسيان¹⁷.

والكتابة في رحاب التوثيق كفتها راجحة، ومتى كانت بعيدة عن التزوير فهي أدق أداء، وأكثر ضبطاً للواقع، ثم هي لا يرد عليها النسيان، فهي دليل هيب مقدماً ليحيط بالواقعة المراد إثباتها إحاطة شاملة، لأنها إنما أعدت لهذه الغرض¹⁸.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾¹⁹.

فالآية نصت على توثيق الدين بالكتابة، فدللت على مشروعيتها في كل حق وشأن له خطر، ومن ذلك الوقف بإثباته وتوثيقه ورسم الإجراءات اللازمة لذلك.

وأما السنة: فما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة."²⁰

ففي الحديث مشروعية كتابة الإنسان ما يوصي به مما له وعليه وما يريد فعله في ماله من وجوه البر والصدقة، والوقف مثله.

والتوثيق معروف عند الفقهاء، فقد دون الفقهاء أحكامه وبينوا أهميته ورسموا الإجراءات اللازمة لإثبات الأوقاف وتوثيقها.

وعليه عمل الناس من زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن بعده من الأجيال المتعاقبة حتى يومنا هذا.

فقال- عز وجل :- (إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)²¹.

التوثيق الإلكتروني:

لا يختلف كثيرا التوثيق الإلكتروني عن التوثيق التقليدي إلا أن لها عدة تعاريف.

أنه مطبوع إلكتروني صادر بشكل دوري لا يختلف عن المطبوعة التقليدية إلا في شكل الإصدار الذي هو الشكل الإلكتروني، أي أن التوثيق الإلكتروني ما هو إلا شكل من الأشكال العادية المتاحة للتوثيق التقليدي.²²

تناول المواقع الإلكترونية لواقعة الطف

تتناول المواقع الإلكترونية كل عام أحداث استشهاد الحسين رضي الله عنه في ذكرى استشهادها ومنها مواقع عراقية أو مواقع مصرية ومواقع عربية.

وما يلي استعراض لأهم ما عرض على المواقع الإلكترونية كتوثيق للواقعة:

شيد لرأس الإمام الحسين ضريحا ومقاما عاليا بوسط القاهرة و الذي يعد الان هو كعبة الكثير من أهل مصر يلجأون إليه من أجل مودة آل بيت الرسول الكريم ومن أجل نيل الكرامات، بدأ المصريين الاحتفال بذكرى استقرار رأس سيدنا الحسين الشريفة الثلاثاء الماضي ويحتفلوا بالليلة الختامية للمولد الثلاثاء القادم.. فكل مولد وأنتم مغرمين بحب آل البيت، فكل عام وانتم حريصون على تعليم أولادكم محبة آل بيت رسول الله، وتعليمهم أنهم عترته وأنهم أحبابه وأنهم أهل رسول الله، وأن من أحبهم فقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن من أعزهم فقد أعز رسول الله وأن من قدرهم فقد قدر رسول الله وأن من وصلهم فقد

وصل رسول الله وأن من ودهم فقد ود رسول الله، علموهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكرنا بهم: "أذكركم الله في آل بيتي.. أذكركم الله في آل بيتي"، علموهم أن صلة آل البيت وودهم واجب... ومدد يا مولانا يا حسين²³.

بقي ملف قتل الإمام الحسين مفتوحاً على مر الزمان بفضل عوامل عديدة منها: أهمية شخصيات الحدث والطريقة الوحشية البشعة التي اتبعها القتل وكثرة الضحايا واختلاف المواقف الإنسانية وتناقضها والملابسات المعقدة التي حفل بها ذلك الملف والهوامش والتعليقات التي ذيل بها، بالإضافة إلى التأثير الممتد لهذه الحادثة والمتجدد عبر السنوات، فهي واقعة غدت تتكرر في كل زمان ومكان وكثيراً ما كانت محور نقاش ونزاع بين التيارات الحزبية والاتجاهات الفكرية المختلفة. وجندت لإلغائها من قاموس الوجود العقول والأقلام والفضائيات وسائر وسائل الإعلام قديماً وحديثاً²⁴.

"لا ريب أن الحسين عليه السلام قتل مظلوماً شهيداً، كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء. وقتل الحسين معصية لله ورسوله ممن قتله أو أعان على قتله أو رضي بذلك، وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهو في حقه شهادة له، ورفع درجة، وعلو منزلة؛ فإنه وأخاه سبقت لهما من الله السعادة، التي لا تنال إلا بنوع من البلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما، فإنهما تربيا في حجر الإسلام، في عز وأمان، فمات هذا مسموماً وهذا مقتولاً، لئلا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء. وليس ما وقع من ذلك بأعظم من قتل الأنبياء؛ فإن الله تعالى قد أخبر أن بني إسرائيل كانوا يقتلون النبيين بغير حق. وقتل النبي أعظم ذنباً ومصيبة، وكذلك قتل علي - رضي الله عنه - أعظم ذنباً ومصيبة، وكذلك قتل عثمان - رضي الله عنه - أعظم ذنباً ومصيبة. والواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع، كما يحبه الله ورسوله²⁵."

المبحث الثالث: تحليل تناول مواقع التواصل الاجتماعي لواقعة الطف

قامت صفحات كبيرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بتغيير صور أغلفتها برمزيات تحاكي قضية الثورة الحسينية.

مجموعة على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك اسمها "علمانيون بلا حدود" تضم أكثر من 200 ألف مشترك غالبيتهم من جنسيات وطوائف مختلفة عبر العالم طرح تساؤلاً للنقاش تحت عنوان "بحلول شهر محرم ماذا يمثل لك الحسين" السؤال كان مجرد من أي صفة للأمام الحسين "عليه السلام".

أحد المعلقين من الجزائر ذكر أن "غالبية الشعب الجزائري كان يغفل حقيقة الإمام الحسين(ع) وثورته بطريقة ممنهجة من القيادات الدينية والسياسية خوفاً من الامتداد الشيعي كما يصفونه لكن التقنية المتطورة التي قربت العالم داخل بودقة صغيرة استطاعت فك طلاسم الغموض الذي يكتنف التعظيم المتعمد على التواصل

لحقيقة معركة الطف ودوافع تلك الحادثة التاريخية ليتبين أن أهداف العدل والإنسانية ونصرة الدين المحمدي ضد السياسات الحاكمة للدول التي تدفع باتجاه تقويض المجتمع ضد المطالبة بالحقوق بالشكل الذي يهدد عروشهم."

مواطن مصري تطرق لحادثة مقتل الشيخ حسن شحاته وعلق قائلاً ان "الظلم والخوف من مطالبة الشعوب بحقوقها وفق منهج الإمام الحسين الذي قال (لم اخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) كان يتحتم على طواغيت العصر ان لا يصل الاندفاع الحسيني داخل أي إنسان يهدد مصالحهم"، واختتم تعليقه بالقول "الحسين (ع) يمثل بالنسبة لي (ثورة إنسانية نحن بحاجة لها في عصرنا هذا."

أحلام من ليبيا قالت في تعليقها على السؤال: "لم اعرف الحسين (ع) ولا نسبه الا منذ عامين ماضيين فبعد ان كان ينتابني شعور بوجود مغالطات تكتمف تلك الشخصية التي تعتبر مثار للجدل داخل المجتمع الليبي بدأت بالبحث عبر الأنترنت عن حقيقة الحسين (ع) وثورته ووصلت لقناعة بأن الحسين (رمز الإنسانية والتضحية)²⁶

كما انتقد نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي وبـ "سخرية" شديدة الاحتفال الديني الذي أقامه نائب رئيس الجمهورية نوري المالكي داخل منزله في المنطقة الخضراء، ولاقت بعض الطقوس الدينية تشبيهات مثيرة لا تمس للشعائر الدينية الإسلامية بحسب التعليقات والتغريدات التي رافقت مقطع فيديو انتشر على وسائل التواصل الاجتماعي.²⁷

كما وثق موقع إلكتروني واقعة الطف بفيديو يجسد أحداث المعركة²⁸.

الخاتمة

واقعة الطف من أكثر المعارك جدلاً في التاريخ الإسلامي فقد كان لنتائج وتفصيل المعركة آثار سياسية ونفسية وعقائدية لا تزال موضع جدل إلى الفترة المعاصرة، حيث تعتبر هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوري في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ.

المعركة تركت آثاراً سياسية وفكرية ودينية هامة. حيث أصبح شعار "يا لثارات الحسين" عاملاً مركزياً في تبلور الثقافة الشيعية وأصبحت المعركة وتفصيلها ونتائجها تمثل قيمة روحانية ذات معاني كبيرة، لمن يعتبرون معركة كربلاء ثورة سياسية ضد الظلم.

وتعتبر معركة كربلاء قصة تحمل معاني كثيرة "كالتضحية والحق والحرية "

من الناحية السياسية لم تكن ثورة الحسين على خلافة يزيد آخر الثورات فقد تلاها ثورة في المدينة المنورة التي انتهت بوقعة الحرة ثم ثورة عبد الله بن الزبير ولم تصبح البلاد الإسلامية تابعة بصورة كاملة لحكم الأمويين إلا في عهد عبد الملك بن مروان وبواسطة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استطاع القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير في سنة 73هـ.

وبرز دور ثورة الحسين بن علي في تغيير مسار التاريخ الإسلامي، حيث كان أداؤه استمراراً لحركة الإمام علي، عندما أصبح الإمام علي خليفة المسلمين لم يعط أي أهمية للفتوحات ومحاربة الكفار خارج الحدود، بينما أعطى الإمام كل الاهتمام للإصلاح الداخلي، كان الإمام يعتقد بأن الإسلام الذي أصبح في الظاهر واسعاً مترامياً، هو كالعين المتورمة حيث يتحرك في داخله نحو الفساد، فلا بد من القيام بعملية إصلاح داخلية. وهكذا أيضاً كانت ثورة حسين بن علي من أجل الإصلاح داخل المجتمع الإسلامي.

نتائج الدراسة:

1. تحوّل قبر الحسين في كربلاء (جنوب العراق) إلى مكان مقدس يؤمه مئات الآلاف من الزوار الشيعة حتى يومنا هذا. ويوم موته في عاشوراء عبارة عن يوم حزن وندم.

التعاطف العالمي مع شخص الحسين، يقول المؤرخ الإنجليزي جيبون: إن مأساة الحسين المروعة؛ وبالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها، لا بد أن تنثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً، وأقساهم قلباً

2. مقتل الحسين بهذه الصورة الوحشية المنزوعة من أسس الإنسانية؛ اعتبر أحد أهم أسباب سقوط الدولة الأموية؛ والتي لم تعمر بعد هذه المعركة طويلاً. بسالة الحسين الذي رفس الملك والاستسلام، وواجه آلاف المقاتلين الحاقدين بصدوره، لم يرض بالذل أو الاستسلام، وليس كما يحاول البعض تصويره؛ بأنه كان يراقب أتباعه يموتون.

3. إن أعداء الحسين قد ماتوا واندثروا، أما هو فلا يزال يعيش حياً في قلوب الملايين من عشاق الحق والمبدأ.

4. يعتبر البعض انتصار يزيد على الحسين؛ تكملة لانتصار معاوية على علي.

5. مذبح كربلاء لم تكن ثورة عادية، فقد فرقت المسلمين، وقصمت رأيهم.

6. كان الحسين فدائياً حقيقياً لا يهاب الموت، أراد أن يحرك الأمة الإسلامية الساكّنة عن اندسار الحق في ركن مهمل. أراد أن يصحح مسيرة التاريخ وأن يقومه، ويعيد للإسلام برده. وضع روحه على راحته؛ فإما حياة كريمة وعزة نفس، أو موت الشهداء.

7. انتشار الخطبة الحسينية: وهي نوع من أنواع الخطابة الدينية عند الشيعة، في نهايتها يذكر مقتل الحسين وأهل بيته، أو إحدى المصائب ونوائب الدهر المرتبطة بالحسين، وقد تتضمن قصيدة شعر في الحسين، أو في الإمام علي والرسول صلى الله عليه وسلم. وقد شهدت الخطب الحسينية تطوراً مع الزمن، لكنها ما زالت أحد أعمدة الأدب الشيعي.

توصيات الدراسة:

1. تعتبر ثورة حسين بن علي من أهم الأحداث التاريخية التي ساهمت في صياغة الثورات التاريخية التي تفجرت على الساحة، بعد حادثة كربلاء، وفي تكوين الخط السياسي العام لمدرسة أهل البيت. ومن هنا لا يمكن لباحث في التاريخ أن يتوفر على دراسة تاريخ الحقبة الأموية، ومما عجت به من ثورات وتناقضات وأحداث عظيمة، مالم يتناول آثار ثورة حسين بن علي في المجتمع الإسلامي بشكل عام.

2. نالت ثورة الحسين بن علي اهتمام الأدباء والشعراء والمؤرخين والكتّاب والمفكرين من مختلف البلدان العربية والإسلامية والاجنبية. والمتبحر في بطون الكتب يجد أن امهات الكتب العربية قد غطت ثورة الحسين ومن بينها: (مروج الذهب) للمسعودي، و(تاريخ الأمم والملوك) للطبري، و(البداية والنهاية) لابن كثير، و(بحار الأنوار) للمجلسي وغيرها، لكن لا توجد دراسات كافية عن التوثيق الإلكتروني للواقعة.

الهوامش:

- 1 عبد الغنى زهرة — الخلفاء الراشدون، جامعة الأزهر الشريف كلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، الزقازيق، 2018، ص385
- 2 المرجع السابق، ص386
- 3 المرجع السابق، ص388
- 4 صائب عبد الحميد — تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، مسار الإسلام بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ونشأة المذاهب، مؤسسة دار المعارف فقه إسلامي، ط2، 2005، إيران، ص514
- 5 سهيل العيساوي — بين فكي التاريخ ، 1999، الكتاب online على موقع <https://books.google.com> ، ص31
- 6 يوليوس فلهوزن - تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، المترجم، محمد عبد الهادي أبو ريده، المركز القومي للترجمة، ط2، ص230
- 7 محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي - أيام العرب في الإسلام، الناشر عيسى البابي الحلبي، 1968، ط3، ص401
- 8 محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الأموية 132-41هـ، دار النفائس، ط7، 2010، ص46
- 9 بين فكي التاريخ، مرجع سابق، ص31
- 10 المرجع السابق، ص39

- 11 مجدى الشهاوى — وصايا ونصائح الصالحين على فراش الموت، مكتبة الصفا، ط1، 2017، ص35
- 12 عباس محمود العقاد - أبو الشهداء الحسين بن على ، نهضة مصر، القاهرة، 2006، ص44
- 13 عثمان بن محمد الخميس - حقة من التاريخ، دار الإيمان، 1999، ص147
- 14 ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة 774هـ - البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990، ص160
- 15 أيام العرب في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص417
- 16 تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص128
- 17 سيد حسب الله ، أحمد محمد الشامى: الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات ص860
- 18 مفتاح دياب: معجم المصطلحات العلمية في علم المكتبات والمعلومات ص861
- 19 البقرة 282
- 20 متفق عليه، فقد أخرجه البخاري واللفظ له 3/ 1005، كتاب الوصايا، باب الوصايا، وأخرجه مسلم 3/ 1249، كتاب الوصية.
- 21 البقرة 282
- 22 حسن عواد السريحي ، منى داخل السريحي، - النشر الإلكتروني دراسة نظرية لبعض قضايا الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، مج 6، ع 2، مايو 2001، ص27
- 23 سيدنا الحسين أساس الحب - اليوم السابع:
- <https://www.youm7.com/story/2018/1/12/%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8/3598316>
- 24 حيدر السلامى — مقتل الحسين، الحوار المتمدن-العدد: 3214 - 13 / 12 / 2010 -
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=23819218:34>
- 25 محمد بن علي بن جميل المطري - قصة استشهاد الحسين:
<http://www.alukah.net/sharia/0/65158/>

26 <https://n.annabaa.org/news23134>

27 الموقع موثق بفيديوهات:

<http://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/031020173>

28 <https://www.arabipress.org/%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%81-%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9>

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا المصادر

1. ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة 774هـ — البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990

ثانيا المصادر العربية والمعربة

2. سهيل العيساوى - بين فكي التاريخ ، 1999، الكتاب online على موقع. <https://books.google.com>
 3. سيد حسب الله ، أحمد محمد الشامى: الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات
 4. صائب عبد الحميد - تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، مسار الإسلام بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ونشأة المذاهب، مؤسسة دار المعارف فقه إسلامي، ط2، 2005، إيران
 5. عثمان بن محمد الخميس - حقبة من التاريخ، دار الإيمان، 1999
 6. عباس محمود العقاد - أبو الشهداء الحسين بن علي ، نهضة مصر، القاهرة، 2006
 7. عبد الغنى زهرة - الخلفاء الراشدون، جامعة الأزهر الشريف كلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، الزقازيق، 2018
 8. محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي — أيام العرب في الإسلام، الناشر عيسى البابي الحلبي، 1968، ط3
 9. محمد سهيل طقوش - تاريخ الدولة الأموية 132-41هـ، دار النفائس، ط7، 2010
 10. مجدى الشهاوى — وصايا ونصائح الصالحين على فراش الموت، مكتبة الصفا، ط1، 2017
 11. مفتاح دياب: معجم المصطلحات العلمية في علم المكتبات والمعلومات
 12. يوليوس فلهوزن — تاريخ الدولة العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، المترجم، محمد عبد الهادى أبو ريده، المركز القومى للترجمة، ط2
- ثالثا الدوريات:
1. حسن عواد السريحي ، منى داخل السريحي، — النشر الإلكتروني دراسة نظرية لبعض قضايا الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، مج 6، ع2 ، مايو 2001
- رابعا المواقع الإلكترونية:
1. سيدنا الحسين أساس الحب - اليوم السابع <https://www.youm7.com/story>
 2. حيدر السلامى — مقتل الحسين ، الحوار المتمدن-العدد: 3214 - 13 / 12 / 2010 - <http://www.ahewar.org> 18:34
 3. محمد بن علي بن جميل المطري - قصة استشهاد الحسين <http://www.alukah.net>
 4. <https://n.annabaa.org/news23134>
 5. <http://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq>
 6. <https://www.arabipress.org>

الشعائر الحسينية
بين التجديد العصري والارتباط التاريخي
بمسيرة الإمام الحسين عليه السلام
دراسة في تأثيراتها الاجتماعية

أ.د. مقدم عبد الحسن الفياض
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة

الشعائر الحسينية بين التجديد العصري والارتباط التاريخي بمسيرة الإمام الحسين عليه السلام دراسة في تأثيراتها الاجتماعية

أ.د. مقدم عبد الحسن الفياض

كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين...

أجرى الحق تبارك وتعالى في مكنونات علمه بأن يكون الناس صنفاً مؤمن وكافر، وومضت مشيئته أن يلدن المؤمن كافرًا وليلدن الكافر مؤمنًا، لحكمة يعلمها فذلك قوله تعالى: ((لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)) (1). وقد أعطى القرآن الكريم دروساً في ذلك، إذ حذر كل أمة من مغبة الكفر والجحود والطغيان والفساد، ولقد كان الاسلام لا سيما في عصر الأمام الحسين عليه السلام يحتاج إلى تضحية جادة من المسلمين ليفضح ما في قلوب الحكام من كره مستحکم للدين ونواياهم المخبأة لهدمه. هذه الطغمة الفاسدة النكراء التي حكمت باسم الخلافة الاسلامية. كما ان الإخلاق إلى الدعة امضاء لما كان يجري على يدي يزيد، والوقوف في وجهه كشف لما يبئته من نية في محق وسحق الكرامات. ان النهضة الحسينية كانت واجباً فرضه الله تعالى ولو أدت الى القتل والاستشهاد، بل ان الاستشهاد كان ضرورة لتجديد حياة الأمة الدينية، وهو صرخة كان لا بد للامام الحسين اطلاقها، لتبقى مدوية على مدى القرون الآتية، تسمعها الأجيال المتعاقبة وتستهلم منها دروس الصمود أمام ظلم الظالمين وطغيان المتحكمين، وهي عنوان المجد والشرف، تبقى نبراساً وضياءً، يثير على مر العصور المتابعة الشعوب المستضعفة في وجه الطغاة المسيطرين في أرجاء العالم.

ويمكن القول إن الخط الالهي المستقيم المتمثل في آل الرسول ص والانحرافات الشيطانية المتعرجة المتمثلة في أعدائهم، لا يزالا في صراع مستمر على الصعيد البشري، فمعارضة الخير لاستثمار الانسان واستعمارها على حساب الطغاة مستمرة باستمرار البشرية، هذا يريد أن يكون الانسان كريماً في حياته حراً منطلقاً من أغلال العبودية إلا الله تعالى، وهذا يسرح الانسان في نزواته وشهواته ولو على حساب التخلي عن كرامته والرضوخ الى ما يمليه حكام العسف والجور (2).

ولما كانت الأمور تجري وفق مقاييس اقتضتها الحكمة الإلهية وضمن القوانين التي أودعها سبحانه في كل شيء، ولما كان تعالى عالماً بهذه الأمة وما يجري لها بعد وفاة خاتم الرسل ص من الظلم والأذى والتشريد لآل بيته الكرام، فإنه قد أودع حب نبيه الأكرم وآل بيته الأطهار في قلوب المسلمين جميعاً بشكل عام، ولدى جماعة مصطفاة منهم على نحو الخصوص، وأجرى بينهم ترابطاً روحياً متيناً، وكان أرواحهم حاضرة عند كل موضوع يُثار حول مظلومية آل البيت عليه السلام.

ولقد اثبت التاريخ بأن الكثير من المسلمين في العراق لم يتراجعوا يوماً عن قضاياهم الإسلامية الكبرى التي تثبت انتماءاتهم العقيدية، وفي مقدمتها قضية الإمام الحسين عليه السلام، ولم يتخلوا عن أئمة الهدى قيد انملة، ولم يجبنوا ولم ينكصوا، ولو قيض الله لأخوتهم في العالم الإسلامي الاطلاع على ما لاقوه في العراق قبل عام 2003، لهماهم ما يرونه من صمود رائع ضربوا به أروع أمثلة الولاء والحب والذوبان في الذات والانصهار في الأئمة الأطهار عليهم السلام. وبعد ذلك التاريخ بقوا على عاداتهم، فما أن يطل عاشوراء بطلته المشرقة إلا وتراهم يتقاطرون ارتئالاً صوب مهوى الأفئدة، لم توقفهم المفخخات، ولم تنثني عزمهم الاحزمة الناسفة، ولم ينكص أحد منهم وهم يتساقطون برصاص القنص والغدر، وعلى الرغم من وقوع مئات الضحايا، إلا أن سيل الزائرين لم ينقطع، بل ازداد عدداً وعزيمةً واصراراً.

وبسياق متصل، نجد من الضروري أن نسلط الضوء في دراستنا على أهمية الشعائر الحسينية وأثارها الفكرية والسياسية والاجتماعية التي امتدت أربعة عشر قرناً تقريباً وستبقى إلى ما شاء الله، وكيفينا ما يمكن تسميته بالظاهرة الحسينية التي يشهدها العالم كل عام، بل أصبحت تتطور وتتسع كل وقت. تلك الظاهرة التي تعكس مدى الترابط الروحي بين المسلمين لا سيما الشيعة مع شعائرهم الحسينية، وتجسد التفاعل الروحي العميق مع الحدث الذي مضى عليه أربعة عشر قرناً تقريباً، تلاحماً إنسانياً وعقائدياً، يدفع إلى التساؤل عن سر هذا الارتباط ودوافعه وأثره على الجوانب الحياتية كافة ومنها الاجتماعية.

وعلى المستوى العام فإن الترابط الروحي للشيعة مع امتداداتهم التاريخية في أنحاء العالم، يأتي عن طريق الشعائر الحسينية وعاشوراء وكربلاء، ثم تأتي مصائب آل البيت (ع)، حيث ان تواريخ المناسبات الدينية خير جامعة لهم عبر العالم في يوم معين وساعات معينة وفي موضوع معين. ففي وقت واحد ويوم واحد العالم بموضوع يستدر الدموع من ملايين المحاجر، إنها رسالة كونية تنتقل عبر الأثير، وبالتالي سيسلط الباحثان دراستهما على الموضوع ليتسنى لهما تقسيمها وبيان أثرها على الجانب الاجتماعي.

المبحث الأول: الشعائر الحسينية قرأت تاريخية للنشأة والتأسيس

أولاً: المعاني التاريخية للشعائر الحسينية

تعد مراسيم الشعائر الحسينية مجموعة من العادات والطقوس الدينية، ذات أبعاد اجتماعية وسياسية وتاريخية عميقة، لها خصوصيتها ومريديها في العالمين العربي والإسلامي، ارتبطت بمأساة كربلاء الدامية الواقعة في 10 محرم 61 هـ، مثلما ارتبطت بتاريخ الشهادة والحزن، فلا توجد أرض مدماة مثل أرض كربلاء ولم يحزن شعب على شهيد مثلما حزن المسلمون الشرفاء والمنصفين على سبط النبي المرسل الإمام الحسين عليه السلام.

إن إقامة الشعائر الحسينية وإشاعة مظاهر الحزن والتفجع على الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه في كل زمان، وبالخصوص في شهري محرم وصفر من كل عام هي أمور طبيعية ملتصقة بضمير شريفة واسعة من هذه الأمة وصميم ذاكرتها العقيدية والتاريخية التي تربطها مع أئمة الحق وعلام الهدى من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل. فإقامتها قطعاً ليس تخلفاً حضارياً ولا انهزاماً فكرياً كما يصور بعض المثبتين والمشككين، بل إنهم يمارسونه بكامل الاعتزاز والجلال لصاحب الذكرى المؤلمة أبي الأحرار الإمام الحسين ع، لأن ثورته المباركة كانت ذات علاقة وطيدة بإقامة الفرائض كالعبادات التي لها آثار دنيوية وأخرى أخروية، والشعائر لها أيضاً دوراً مهماً في التكامل المعنوي للإنسان وتطهير نفسه من الأدران التي قد تعلق به في حياته.

إن البحث في التاريخ لا يقل أهمية عن البحث في المستقبل، وإذا كان هدفنا من البحث في المستقبل تحسين حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها بحيث نظل أمة موجودة ومؤثرة في محيطها، فكذلك البحث في التاريخ إنه الدعامة الأساسية التي يبني عليها مستقبلنا. إن معرفة ماضيها بسلبياتها وإيجابياتها بصورة دقيقة وواضحة هي التي تمكننا من معرفة حاضرنا ومستقبلنا، وأن أية أمة ترغب في البقاء والاستمرار هي تلك التي لا تستحي من قراءة تاريخها وإصلاح ما فسد فيه وقد علمنا الدين أن المعيار الحقيقي في هذا الوجود هو الحق، والله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق. ننطلق دائماً في تقييم مسيرة حياتنا - حاضرنا وماضيها ومستقبلها - بمعيار واحد هو الحق لأنه هو الفضيلة على رأس جميع الفضائل. وكما قال سيد الموحدين الإمام علي بن أبي طالب ع (إن الحق لا يُعرف بالرجال بل يعرف الرجال بالحق، إعرف الحق تعرف أهله) (3).

هذه الظاهرة ليست وليدة الحاضر الراهن، وليست نتاج لحظات آنية عابرة منعزلة عن الظروف الاجتماعية والسياسية، وإنما هي وليدة إسهامات وتطلعات وصراعات تراكمت عبر واقع موضوعي امتد عمقاً في التاريخ الإسلامي وتجذر في الذاكرة، وتداخلت فيه عوامل الزمان والمكان، بحيث كونت وعياً اجتماعياً

امتد إلى عمق الحاضر ليظهر في شعائر وطقوس فولكلورية شعبية عبرت وما تزال عن عمق المشاعر نحو عاشوراء في ذاكرة المسلمين.

إن هذه الشعائر قد بدأت مباشرة بعد الأحداث الأليمة التي حدثت في كربلاء، إذ اجمعت المصادر التاريخية على قيام التوابين بقيادة زعيمهم سليمان بن صرد الخزاعي (ت65هـ) بنصب المآتم الجماعية وتنظيم الشعائر داخل الكوفة مكونين النواة الأولى لانطلاقها بعد الشعور بالندم لعدم النصر والالتحاق بموكب الحسين عليه السلام في كربلاء، عام (61هـ)⁽⁴⁾. وبحسب مصادر تاريخية موثقة، فإن المجاهد الحر المختار بن يوسف الثقفي الذي قاد ثورته حاملاً شعار ((يا لثارات الحسين)) عام 66هـ، كان أول من أقام احتفالاً تابينياً في داره بالكوفة بمناسبة يوم عاشوراء بغض النظر عن أهدافه الأخرى، وأنه أرسل الناديات إلى شوارع الكوفة للندب على الإمام الحسين عليه السلام ⁽⁵⁾.

وولا نعدو الحقيقة بالقول أن ما لاقاه الحسين عليه السلام من بعد قتله من أعدائه وخصومه ما كان يقل عما لاقاه في حياته منهم. إذ نجد أن بني أمية وبني العباس - وهم الخصوم الألداء - الذين اختلفت كلمتهم في كل شيء قد اتفقوا على محاربة الحسين وأهل البيت الطاهر فإن كان الأوائل حاربوه جسداً، فقد حاربه الآخرون روحاً وفكراً وقبراً حتى قال الشاعر حينما قام أزالام المتوكل (205هـ- 247هـ) بحرث قبره:

أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا في قتله فنتبعوه رميمًا ⁽⁶⁾

وعلى الرغم من ذلك ظل مناراً يشع وعلماً يصدح بالحق ويدعو الناس إلى التوحيد وكان هو التحدي الأكبر للظلم والجور والمآمن يلجأ إليه الناس في الخطب والمحن. وتشارك جميع معاني الزيارة في الدلالة على أن الحسين (عليه السلام) الذي ما انحنى لظالم في سبيل الله، أحنى الله سبحانه له كل قوانين الكون قبل الشهادة وبعدها؛ إذ لم يمح قبره هدم الجائرين المتواصل ولم يتفرق عن حبه الناس رغم الأخطار والأهوال التي لاقوها في هذا السبيل وكان القانون القاضي بأن الخوف يؤدي إلى الهزيمة والهدم يسبب الانطماش يجري في الحسين (عليه السلام) على عكس ذلك وكان هادمه بينيه ويشيده ودافع الخوف ينقلب إلى الشجاعة والهزيمة تتبدل إلى نصر فما من مرة يهدم إلا ويزداد الناس حوله التفافاً وإيماناً ويقيناً بأنه باب الرحمة وموضع البركة وتربته مظهر العناية الإلهية.

لقد تطورت تلك مراسم الشعائر من تجمعات ونياح إلى قراءة المقتل بصورة أكثر تنظيمًا ودقة سمي ((مقتل الإمام الحسين)) على يد ابن نما الحلّي (ت645هـ) ثم السيد أحمد ابن طاووس (ت664هـ) في القرن السابع الهجري، وهما أول من وضع كتب المقاتل التي تتحدث عن المآسي الدامية التي وقعت على

أرض كربلاء، واستمر اتباع أهل البيت على عقد مجلس المقتل في حرم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (7).

ومن الشعائر الحسينية المهمة التي تجذب العديد من شرائح المجتمع الإنساني وتجعلهم حلقة واحدة هدفها المواصاة والتعزية هي شعيرة اللطم على الصدور والأجسام، ويقول المؤرخ ابن الجوزي إن أول شعيرة للطم جرت في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (8). وكانت من الإشارات الأولى التي تبين أن شعيرة اللطم قد بدأت في العراق في الصحن الكاظمي المقدس. لكن بني العباس جاهدوا بمحاربتهم للشعائر الحسينية بأشكالها المختلفة، فنرى أن السلطة متمثلة في الخليفة المقتدر عام 313 هـ تأمر بهدم جامع برائثا في الكرخ الذي كان مسلمو بغداد يقومون بتلك الشعائر المباركة فيه (9).

ولكن وخلال الحكم البويهي (334-447 هـ) تغير الوضع بعض الشيء، إذ أشار ابن الجوزي في مؤلفه بأنهم قد ساندوا تنظيم تلك الشعائر، فقد أمر معز الدولة البويهي بغلق الأسواق وليس السواد وتأسيس مواقع خاصة لوضع الجرار المليئة بالماء لتوزيعها على الحارات استذكراً لمصيبة العطاشى من أهل البيت في كربلاء (10). واستمر البويهيون في ذلك، لهذا نرى مدة حكمهم كانت كما يبدو أكثر العهود في ازدهار الشعائر الحسينية في التاريخ الإسلامي.

ولم يستمر الحال، إذ سرعان ما تبدل الوضع بعد سيطرة السلاجقة الأتراك (447-548 هـ) الذين زعموا مساندة المذهب السني وعملوا على نشره وفق فهمهم المتشدد وسيطرتهم على مجرى الأمور في الحكم، ودفعهم حقدهم الطائفي العقائدي إلى إعلان العداء للشيعنة ومعتقداتهم الدينية التي كانت تقام خلصة وبشكل شبه سري في بيوت الشيعة خشية من التنكيل والاضطهاد.

وفي التاريخ الحديث هجم الوهابيون فجأة على مدينة كربلاء في 22 نيسان 1802 واستباحوها قتلاً ونهباً. وسجلوا أبشع جريمة بحق المعتقدات الدينية في التاريخ الحديث، عكست عقيدتهم المتشددة التي وجدها المستعمر لضرب العقيدة المحمدية الأصيلة. إن الهجوم على كربلاء والنجم الأشرف ترك آثاراً كبيرة على الشيعة في العراق وبخاصة على تطور الشعائر الحسينية، حيث ألهمت هذه الحوادث الأليمة حماس الخطباء والشعراء معبرين عن غضبهم الشديد والألم والأسى الذي يواجهونه طوال تاريخهم.

وفي عهد الحكم العثماني للعراق، اختلف التعامل مع الشعائر الحسينية بين والٍ وآخر، إذ نرى داوود باشا (1817-1831) من أكثر الولاة العثمانيين تضيقاً على الشيعة ومنعهم من إقامة الشعائر الحسينية، مما دفعهم إلى العودة إلى السرية في إقامتها، ولم تغير الحال عند وصول علي رضا باشا اللاظ والياً على

بغداد (1831-1842) إذ ضيق على إقامة الشعائر ومنعها بالقوة مصدراً للقوانين الصارمة بحق كل من يقوم بتنظيمها هو والولاة الذين أعقبوه، إلا أن إصرار الشيعة على عقدها دفع الباب العالي إلى التدخل عند الوالي مدحت (1868-1871) مطالباً بعدم التعرض لها خوفاً من ردة فعل شعبية مكلفة للدولة العثمانية (11). وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أخذت الشعائر الحسينية تأخذ طابعاً تنظيمياً أكثر دقة ورصانة ومتنوعة كما هو حالها اليوم.

أما ما يسمى بـ ((الحسينيات)) فقد شرع بنائها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ قم بها العراقيون كمؤسسات دينية ثقافية لإقامة الشعائر الحسينية متخذين من اسم الإمام الحسين عليه السلام شعاراً لها، إذ شيدت أول حسينية في الكاظمية عام 1876 واستمر تشييد الحسينيات، فنرى في كربلاء تم تأسيس أول حسينية عام 1906 من أجل إحياء تلك الشعائر المباركة. وكانت النجف الأشرف من المدن السباقة في التأسيس، حيث شيدت حسينية الشوشترلية عام 1884 وكان فيها أقدم مكتبة من مكتبات النجف في العصر الحديث (12). وبعد احتلال الإنكليز للعراق عام 1917، إتبعوا سياسة المهاندنة والرعاية لتلك الشعائر، بغية مصالح خاصة وعدم إثارة غضب الرأي العام، وعند تأسيس الحكومة العراقية عام 1921، أعلنت أن يوم العاشر من محرم عطلة رسمية وينكس العلم العراقي في جميع بنايات الدولة تكريماً لصاحب الذكرى الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: خلود مصيبة الحسين عليه السلام وشعائره:

إن كل رزء ومصيبة يصاب بها الناس تعفى وتزول بعد قليل من أيام أو شهور أو أعوام، لكن مصيبة الامام الحسين جديدة في قلوب محبيه على مدى الأعوام والدهور، وما زالت ولن تزول حتى ما يشاء الله. والسر في ذلك واضح جلي وهو أن الحسين عليه السلام إنما نهض لإحياء دين الله وشرعية جده رسول الله (ص) وتجديدها، وقد شاء الله وهو (الشكور) أن يبقى ذكر الحسين خالداً في الدنيا، ويعلي درجته في الآخرة جزاء له على تضحياته الجسيمة لإحياء الدين والشرع، ولصبره وثباته المنقطع النظير. وقد تنبأت بذلك الصديقة الصغرى زينب الكبرى، وأعلنت تنبؤها في خطابها ليزيد بقولها له: "فكف كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيناً ولا تدرك أمرنا، ولا يرخص عنك غيرها" (13).

وهذا ما نلمسه في زيارته (عليه السلام) أيضاً، التي كلما تعرضت إلى الضغط، ازدادت واتسعت وانتشرت في الأفاق، كما أن السير لمسافات طويلة واللطم الشديد ونحوها تسبب الآلام والأمراض وقد تشكل خطراً على حياة الإنسان أو صحته العامة إلا ما كان في شعائر أبي عبد الله (عليه السلام) فإننا نرى اندمال الجروح في أسرع من المتصور بحسب المقاييس والمعدلات الطبية (14).

المبحث الثاني: رؤى وأفكار حول المراسم العاشورانية

أولاً: المعاني السامية للشعائر الحسينية:

إن إحياء مصيبة الحسين عليه السلام لها دلالات ومعاني كبرى في المجتمعات الإنسانية ولأن بحثنا يختص في الجانب الاجتماعي، لذلك سنبين الوظيفة الاجتماعية للشعائر الحسينية بنقاط⁽¹⁵⁾:

- 1- إن تجمع أصحاب المهن والحرف لإقامة الشعائر الحسينية، يخلق نوعاً من أنواع المجتمع المهني النقابي يؤدي إلى نتائج اجتماعية طيبة، فعاشوراء تخلق مجتمعاً تمسكه الرابطة التي تجمع كل أفرادها بعدما عملت الظروف على التفريق بينهم، وهذه وظيفة كل التقاليد الاجتماعية. لا سيما التي تتجذر ديناً في أعماق الإنسان. كما أن اجتماع الفئات المتنوعة من أبناء المجتمع في مكان واحد يساعد في رفع الفوارق الطبقيّة والفئويّة.
- 2- إنها تعد من أهم الوسائل التي يتم خلالها تبادل المعلومات التي ترتبط بالأوضاع الاجتماعية لقطاعات الأمة المتعددة.
- 3- تساهم بعض الأحيان في تأمين المساعدات والخدمات الإنسانية.
- 4- تنمية المواهب والقدرات والطاقات في المجالات المختلفة مثل الفنية والإدارية والخدمية. لقد نحتت مأساة كربلاء موقعها الخالد في قلوب الناس وعقولهم من مختلف الطبقات والمستويات الفكرية، لذلك تنوعت صورها لكي يفهمها الجميع، ابتداءً من الشعر والمقالة إلى الخطابة ومجالس العزاء وانتهاءً بالتمثيل أو ما يسمى (التشابه)، بما يتناسب مع قابلية المتلقي سواء كان مستمعاً أو قارئاً أو مشاهداً.

إذاً، ولكي تحقق تلك الوظائف التي لا تنفك تأثيراً على المجتمع الإنساني عامة وليس بما يتعلق بأتباع أهل البيت خاصة، يطرح الباحثان رؤى وأفكار حول المراسم العاشورانية بما يلي:

إن الذي يريد العزة والكرامة والاستقلال يعد نفسه ومجتمعه إعداداً مناسباً، والنهج المحمدي الحسيني هو الإعداد المناسب لكل تلك التطلعات. علينا اليوم أن نفتح على هذه النفحة السماوية التي تفيض بها ملحمة عاشوراء وأثرها الاجتماعي الواضح للعيان، فلنضيء جنبات حياتنا بهذا المصباح الإلهي ونتحدى عواصف النوائب وأمواج النوازل بالاتجاه الواعي إلى سفينة النجاة وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): "كلنا سفن النجاة وسفينة جدي الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع"⁽¹⁶⁾.

ثانياً: الشعائر الحسينية وتوسّع رقعة التشيع في العالم

حملت الشعائر الحسينية نتائج إيجابية كبيرة، تجاوزت في تأثيراتها الحدود المحلية والإقليمية، وانتقلت لتشمل أنحاء مترامية من العالم، إذ أن ممارسة إحياء

ذكر الامام الحسين ع في البلدان التي تحتضن أقليات شيعية أعطى لتلك الجماعات بُعداً إعلامياً واسعاً، استفادت منه لإيصال رسالتها الى أبناء المذاهب الأخرى الذين يعيشون معها في الدول نفسها، وسلّطت الأضواء على ما تعانيه من ظلم تاريخي طويل وقهر وآلام لا تُحتمل، وفي ظل تلك الشعائر ثبتت الشيعة مبادئهم واستطاعوا مقاومة ظالمهم من أي ملة كانوا.

وقد تحولت الشعائر الى مصدر إلهام ذاتي يستفيد منه المغتربون لتوسيع التشيع أفقياً وعمودياً. إذ تتحول المنطقة التي تقع فيها الحسينية الى مركز جذب سكاني لأنباع أهل البيت ع في هذه الدولة أو تلك. وتتطور تجمعاتهم وتتكاثر عددياً، ويزداد تماسك الاجتماعي بعضهم مع البعض الآخر وخلقت الترابط العاطفي. وأعطتهم فرصة سانحة لنشر تاريخ أهل البيت عليهم السلام وعلومهم، وبيان فضلهم، ولا يخفى عظيم الحاجة إلى ذلك؛ لما تعرض له هذا التاريخ من تشويهٍ ودسّ.

وأسهمت الشعائر بحد ذاتها بكل تفاصيلها في البلدان الأوروبية مساهمة فعالة في رواج ذكر الإمام الحسين عليه السلام، وفي إلفات عقول الآخرين الى قضية كربلاء، ومن ثم تجلية صورة الاسلام لمن لا يعرف الاسلام، كما حصل ذلك ويحصل في الوقت الحاضر في السويد وبلجيكا والمملكة المتحدة وغيرها.

ويجد أنصار أهل البيت ع في الشعائر فرصة ينتهزوها لتوجيه الناشئة وتربية الجيل الجديد وتوعيته، وبناء أساس فطري عقائدي متين يستند إليه، فبدلاً من التسكع في الطرقات وبشكل خاص بالنسبة إلى الصبية والشباب يمكن اللجوء إلى ذلك الكرنفالات الأخلاقية الدينية، التي يتعلمون فيها القيم الانسانية النبيلة والقوة العقائدية الراسخة التي تقوي صلّتهم بوطنهم الأم ودينهم وأمتهم الاسلامية جمعاء، وإعداد جيل من الشبان المنضبطين المؤمنين، بدلاً من العبث وارتداد الأماكن المشبوهة أو تضييع الوقت الثمين في المواقع التي تهدم الشخصية والأسرة، انها عمل جماعي يشير إلى الإحياء الاجتماعي وتبادل رفض المنكر وتدريب النفس على الفضيلة والانضباط، إن تلك الشعائر أدت دوراً أساسياً في تثبيت الإيمان العام والعقيدة الشيعية في نفوس الجيل الجديد للمسلمين الشيعة الذين وُلدوا في أوروبا.

ولقد ساعدت الشعائر الحسينية الشيعة الوافدين والمهاجرين الى بلدان العالم المختلفة على التواصل مع مجتمعاتهم المضيفة، وجعلهم يتواصلون مع محيطهم بشكل أقوى، ويقومون علاقات طيبة أساسها التكافل الاجتماعي، من خلال تحويل عادة تقديم الطعام والشراب بأسم عاشوراء الى صورة من صور المساعدات الإنسانية العاجلة لمستحقيها، لتشمل الملابس والاحتياجات الضرورية الأخرى للفقراء والمساكين. وهي نوع من التواصل بين المجتمع ذي العناصر المتنوعة والتقريب بين فئاته، باستشعار العاطفة والحزن والنظر الى المثال المضحى

(الحسين الشهيد)، والعناصر المرتبطة بذلك المثال والالتزام بأخلاقه. لأنها تخاطب البشر كافة، بغض النظر عن الاختلاف والتباين الثقافي بينهم.

كما أن إقامة الشعائر حقق نوعاً من التقارب والوحدة داخل المجتمع الواحد، لان ذلك يعني بأن هناك ما يجمع هؤلاء القوم، وبالتالي فهم يقيمون العزاء مجتمعين، ويمكن أن ينطبق ذلك على التجمعات الشيعية في القارة الأوربية والغرب عموماً، كالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبعض دول أمريكا اللاتينية كالبرازيل. وفي ألمانيا مثلاً قام زوار متحف مدينة كولونيا Köln بوضع رسائل شخصية وجماعية في نسخة الشباك الحسيني المعروض في المتحف، حملت أمنيات وحوائح مختلفة كتبها أصحابها بلغاتهم يرجون فيها شهيد كربلاء كي يشفع في تحقيق أمنيتهم في الحياة الدنيا، وقد وُجد أكثر من خمسة آلاف رسالة تم نقلها من (كولونيا) الى العراق لوضعها في شباك الضريح المقدس(17).

ومما يُلاحظ في السنوات القليلة المنصرمة أن عودة مظاهر الشعائر الحسينية في بلدنا العراق الحبيب بشكل أوسع جماهيرياً وأكثر قوة من السابق، ساهم بما لا يقلل الشك في نقلها وتفعيلها الى الكثير من البلدان العربية والأجنبية، وأدى بالنتيجة في يقظة بعض الشعوب ودفعها للثورة ضد الاستبداد، وأن تكون مناراً لكل الأحرار في العالم. لأن تلك الشعائر أصبحت وسيلة تعريف بليغة لنهضة الإمام الحسين، وبما تحملته من فكر وتعاليم دينية وإنسانية واجتماعية وسياسية، تقتدي بها كل أمة مؤمنة بتأدية، وتسعى لإعلاء كلمة الحق وتطالب بالكرامة ونبذ الرذيلة، وهو ما يدل على عالمية الشعائر الحسينية. لقد ساعدت تلك الشعائر على بعث الحياة من جديد في مجتمعات شيعية تعرضت لشتى محاولات الطمس والتشويه وتهددت بالتغيب والضياع، كما في شيعة نيجيريا وغانا ومصر وغيرها من مناطق القارة الأفريقية، كما أعطت حافزاً روحياً وثورياً لمجتمعات شيعية أخرى كما في تركيا والبحرين ودول الخليج العربي.

وهناك شواهد من التاريخ يمكن أن نسوقها للتدليل على ما أوردناه، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما حصل في 4-5 حزيران 1963 في إيران بما يُعرب بـ (انتفاضة 15 خرداد)، حيث خرج الامام روح الله الخميني الى المدرسة الحوزوية المسماة (الفيضية) يوم العاشر من محرم ليخطب خطبة عصماء كشف فيها المصائب التي حققتها العائلة البهلوية المالكة في إيران، وفضح العلاقات السرية بين النظام واسرائيل وتبعيته للامريكان. وفي فجر اليوم التالي أعتقلته سلطات الأمن، فخرجت الجماهير الحاشدة في أنحاء البلاد كافة في تظاهرات حاشدة واندلعت مواجهات عنيفة ودامية مع جلاوزة الشاه، أدت الى جرح وقتل الآلاف فكانت أيام الشرارة الأولى لانطلاق الثورة الاسلامية فيما بعد للشعب الايراني (18).

وفي مثال آخر نجد ما حدث في انتفاضة صفر 1977 تجسيدا أصيلاً لانبعث الروح الثورية من بين جنبات الشعائر الحسينية، التي عُدت الشرارة الأولى للتحرك الإسلامي في العراق على مستوى المواجهة والمصادمة مع السلطة الحاكمة آنذاك. وقد اندلعت على اثر صدور قرار حكومي يمنع المعزين المشاة من النجف الاشراف إلى كربلاء المقدسة في أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، ما أثار مشاعر الشعب الأبّي بوجه عام، ولم يثنهم عن الاستعداد للخروج والاتفاق على الموعد المعتاد سنوياً، وفعلاً خرجت الجماهير الحسينية من النجف الاشراف وهي تردد عبارات دينية، ما أدى إلى حدوث اصطدامات بين السائرين لأداء الزيارة وقوات النظام على طول الطريق المؤدي الى كربلاء المقدسة وسقط عدد من الشهداء والجرحى وألقي القبض على عدد آخر منهم، وحُكموا بالإعدام. وقد مثلت انتفاضة صفر فصلاً من فصول المعارضة الوطنية وتعبيراً واضحاً عن إرادة الشعب القادر على الثورة وعدم الاستكانة للظلم مهما كان الثمن (19).

وقد حرص المغتربون على تكرارية ممارسة الشعائر الحسينية بشكل سنوي، لما رأوه من فائدتها في الحفاظ على هوية التشيع، وتعزيز شخصية الشيعة المميزة، ولأنها من أضخم المؤتمرات الإسلامية للشيعة في العالم، كما هو الحال في شعائر العاشر من محرم وأربعينية الإمام الحسين ع، التي تجسد كل المثل السامية والبادئ الإسلامية الحقة، حيث يجتمع الناس فيها كاجتماعهم في مكة المكرمة، فتلقت في الوفود من كل بقاع العالم وهم يهتفون (ياحسين)، هذا بلغته العربية، وذلك بالتركية، وثالث بالفارسية، وآخر بالأوردية.

يقول السيد محمد تقي المدرسي أحد مراجع الدين في كربلاء (1957-....) في معرض حديثه عن أهمية الشعائر بالنسبة لشيعة العالم ما نصه " وهذه المواكب هي الناطقة عن قضية الامام الحسين عليه السلام، وقضايا الشيعة في العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال اعدم قبل خمسة واربعين عاماً مسلم إيراني بسيف آل سعود ظلماً وعدواناً، وفي تلك السنة حملت جميع المواكب الحسينية التي وفدت الى كربلاء راية هذا الرجل، وبعد فترة كان النظام البائد في ايران يضطهد العلماء فكانت المواكب الحسينية في العراق تنادي بالدفاع عن علماء ايران، وبعد فترة اخرى حدثت مجزرة ضد الشيعة في لبنان فما كان من المواكب الشيعية في العراق إلا أن نادى بالدفاع عن الشيعة في لبنان." (20).

ومن المعلوم أنّ مذهب الشيعة الإمامية العديد يضم من القوميات والأعراق والجنسيات التي هي بدورها تختلف من حيث الموروث الحضاري والثقافي، ولا يتيسر للجميع مخاطبتهم بالإعلام المكتوب حتى في عصر العولمة، أمّا الشعائر فإنّها أشبه ما تكون في خطابها باللوح الفنية التي يستطيع الجميع أن يدرك مدى روعتها وجمال تعبيراتها، وإن كان هذا الإدراك يختلف بالدرجة وفقاً للوعي الثقافي. لذلك فهي تخلق عامل وحدوي من خلال المشاركة الجماهيرية في

المواساة لأهل البيت عليهم السلام. وهذا مما يؤدي إلى زيادة الألفة والمحبة والتودّد بين المشاركين في الشعائر الحسينية، وتقوية أنفسهم على تحمّل أعباء الحياة، وهذا ما يخلق جوّ الوحدة بين المشاركين، الوحدة في المصاب، والوحدة في الهدف، والوحدة في التسابق لتحصيل الأجر والثواب في المواساة (21).

إن مدرسة كربلاء التضحية كانت وستبقى معيناً ملهماً للثوار والاحرار، كما هو الحال مع أحرار اليمن، الذين أعلنوا مراراً أنهم يتمسكون على الدوام بمبدأ التصدي للطواغيت والمستكبرين والمنحرفين، تأسياً بثورة الامام الحسين بن علي(عليهما السلام) وقاموا خط الارهاب التكفيري الناصبي، ومن ورائهم قوى الاستكبار العالمي والصهيونية البغيضة، ومرتزقتهم من حكام الفتن والانحراف والجاهلية في المنطقة، الذين شر الهزيمة على أيدي أتباع مدرسة التضحية الحسينية وبطولاتهم الفذة (22).

ومما يُلاحظ أيضاً أن هناك علاقة طردية بين نهضات الشيعة على الصعد المختلفة وبين درجة تمسكهم بالشعائر الحسينية في الأماكن والأزمنة المختلفة. وهذا الأمر واضح عبر التاريخ، والأمثلة على ذلك في عصرنا الحاضر كثيرة وجليّة في بلدان كثيرة كالعراق وإيران ولبنان ومنطقة الخليج العربي، وغيرها. ولعل ذلك يعود لأن هذه الشعائر تسلح أصحابها بالبنى الفكرية والقوة الروحية اللازمة لمواجهة تحديات الزمن وصعوباته، فهي ليست مجرد طقوس وشعارات ومعلومات تاريخية كما قد يتوهم البعض (23).

يقول (بندكتي) الباحث في التفاعل المتبادل بين المجتمع اللبناني المعاصر والشعائر الحسينية: "إن مراسيم العزاء الحسيني كانت قد ارتبطت منذ البدء بتاريخ المعارضة السياسية في الإسلام، وتحولت في أحيان كثيرة إلى شكل من أشكال الرفض والاحتجاج ضد الرؤية الأيديولوجية الرسمية وتحولت إلى ضرب من ضروب المقاومة العلنية تارة والخفية طوراً في ظروف القمع والاضطهاد؛ ومن جهة ثانية قد تحولت شعائر العزاء الحسيني إلى منبر للخطاب السياسي والاحتجاج على الأوضاع الجائرة في المجتمع.. حتى أصبحت الغلاف الرمزي الطقسي لمحتويات فكرية حديثة" (24).

فقد استعان بها الإمام المغيّب السيد موسى الصدر (1928-1978) منبراً فعّالاً في نشر آرائه الإصلاحية. وبينت بعض الأبحاث الميدانية فاعلية هذه الاحتفالات في إنعاش روح المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، كما أنها تحولت في عام ١٩٩٥م إلى إطار للقاءات بين الطوائف الدينية لإظهار التضامن الوطني اللبناني. تبين هذه التطورات أن الرموز الإسلامية لا تزال تحتفظ بقوتها الحية، فهي قادرة على التأثير في الخبرة المعرفية والروحية للشعب الشيعي (25).

ومن المثير للاهتمام فيما يتعلق بالشعائر وعلاقتها في توثيق عرى التواصل في المجتمعات، ما يحصل في لبنان من تمثيل واقعة الطف وتجسيد قصة استشهاد الامام الحسين واهل بيته واصحابه في كربلاء، التي تشرح واقعة الطف بشكل مفصل، فإن هناك الكثير من المشاركين في هذه التمثيلية من الفلسطينيين السنتة، وهذا يدل على التقارب والتضامن الاجتماعي _ السياسي الذي افرزه الصراع العربي الاسرائيلي ولعب دورا توحيديا بين المذاهب والاديان (26).

والانتصار العاشورائي الآخر حصل في العراق، البلد الذي ظنّ الدواعش وأسيادهم الصهاينة وبعض دول الغرب وممن يجاهرون في مناصبة العداء للمسلمين الشيعة، ومجنديهم المغفلين الذين دفعوهم لمحاربة ابناء(عاشوراء والنهضة الحسينية الوثابة) في دول محور المقاومة (ايران وسوريا ولبنان واليمن والعراق)، انتقاما من تمسك هذا المحور بعقيدة مكافحة المشروع التوسعي الصهيوني الغربي في العالم الاسلامي. لكن ما جرى في العراق خصوصا أفزع الأعداء، عندما انبرى العراقيون شباباً وشيوخاً واحداثاً لتلبية فتوى المرجعية الدينية الرشيدة في النجف الأشرف بإعلان (الجهاد الكفائي) في حزيران 2014، فكان تشكيل فصائل الحشد الشعبي على هدي مدرسة التضحية الحسينية وملحمة عاشوراء بدايةً لتلاشي تكفيريين داعش واندحارهم واعوانهم(27).

ومن الجدير بالملاحظة أن المسيحيين والصابئة والأيزيديين شاركوا إلى جانب المسلمين في هذه الشعائر، واستخدمت رمزيتها لتحدي الحروب الإرهابية وداعميها

ثالثاً: أفكار إصلاحية حول الشعائر:

عند إجراء الشعائر الحسينية يترافق معها ظهور ممارسات اعتبرها البعض مؤذية للنفس أو تؤدي إلى اضرار اجتماعية ونفسية، وظهرت خلال ذلك مواقف بعض مجتهدى الشيعة ترفض أو تعترض على بعض تلك الممارسات وتبيح البعض الآخر، والسائد على مر العصور والأزمان أن هناك موقفاً واضحاً حيال تلك المسألة ولعل من الضروري إجمال بعض الآراء من الشعائر الحسينية التي ظهرت على مر الزمان(28). وبخصوص عاشوراء الحسين (ع) تكثرت المظاهر الاحيائية والكل يرفع شعار الامام على برامجه ومشاريعه والكل يحاول الالتصاق بالإمام ليضفي المصادقية والشرعية على ممارساته وبرامجه، لذا يجب أن نلاحظ عدداً من النقاط أهمها:

1. لا بد من وضع شروط لأجل سلامة أي ممارسة ومنها الشعائر المذكورة كالاخلاص لله سبحانه والايمن والاعتقاد بإمامة وعصمة الإمام الحسين (ع)، والايمن بثورته الخالدة.

2. تسجيل بعض السلوكيات الخاطئة التي ترتكب بأسم الامام الحسين كأستغلال اسمه في مسألة بناء مآتم أو حسينية. فبعض الناس ولأجل أن يؤسس موكب يسمح لنفسه أن يقهر اي شخص بأن يبيعه أرضه لبناء الموكب وتحت ما يُسمى ب(حوبة الحسين) وأنه اذا لم يبيعه المالك فلينتظر غضب الحسين وانتقامه له ولأبنائه.

3. قد يُستغل اسم الامام الحسين(ع) في التغطية والإخفاء على التجاوزات الشرعية والاخلاقية والتمويه على الناس، وتحقيق الوجهة الاجتماعية والسمعة السياسية.

4. لا بد من التنويه الى بعض الممارسات الخاطئة في اقامة الشعائر الحسينية التي قد تسيء الى قضية الامام الحسين(ع). ولا تمت بصلة الى الواقعة التاريخية الحقيقية.

مما تجدر الاشارة اليه على أثر تطور العزاء الحسيني واتساعه عن طريق اللطم والضرب بالسلاسل وما إليها، أصدر المجتهد السيد محسن الامين (1865-1952) رسالته في تحريم إدماء الجسد والضرب بالسلاسل وبعض المظاهر الاخرى التي تجري في مواكب العزاء أيام عاشوراء، كما أفتى السيد ابو الحسن الاصفهاني (1860-1946) بحرمتها أيضاً⁽²⁹⁾. وما أظهره شباب الكاظمية عام 1941م الى المصلح المجاهد السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (1883-1967) من تأثرهم لهذا التطور اللافت، والذي يكمن وراءه من الإضرار بهذا العزاء وبأهداف سيد الشهداء عليه السلام، فاقترح عليهم تطويره الى إقامة حفلات وإلقاء قصائد تشيد بالذكرى وتؤبن شهداءها. وتبنى هذا الأمر لعدة سنوات، ساهم فيها كثير من أعلام القطر العراقي، وأساتذة الجامعات وقادة الرأي، من شعراء وخطباء، كان لها أكبر الأثر في جذب النفوس اليها، وساهمت بنقل هذه الحفلات حية عبر الأثير عن طريق الإذاعة من صحن الامامين الكاظميين صبيحة العاشر من محرم في كل عام، وكان يحضرها عشرات الآلاف من المستمعين الى جانب الهيئات الرسمية، وممثلي الدول الاسلامية، مما أعطت أروع صورة محترمة لتلك الشعائر⁽³⁰⁾.

إن عبر كربلاء تفيض بهذه الروح، روح إيجابية معطاءة، وبروح الانفتاح والتفاعل والتحدي والتصدي وبروح المقاومة والاستقامة وهذه الروح النقية تتناقض كلياً مع تلك الثقافات الدخيلة والهروب من واقعيات الحياة. ولا يجوز أن نعيش دهرراً على شاطئ الحسين (ع) محرومين من ماء الحياة، من العزم الحسيني والشجاعة الحسينية من العطاء الحسيني ومن الكرم والإيثار والمواجهة والتحدي ومن كل تلك المعطيات التي زخرت بها ملحمة كربلاء الثائرة⁽³¹⁾.

لقد أوضح الإمام الحسين (ع) حقيقة مهمة حينما قال: "ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً". فما

دام الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، فهذا يعني أن ركاب الخوف والرعب والتكاسل يرن على قلوب الناس ويمنع ضمائرهم من الاستجابة به لأي نداء، وهذا ما يجب أن يُرفع (32).

فإذا لم نراقب أنفسنا ونحن نحيي مراسم زيارة القبر الشريف أو ذكره العطر فربما سقطنا في ممارسات متنافية تماماً مع هذه الأهداف، الأمر الذي يصادر قيمة الموسم العاشورائي، ويفشل كل دلالته ومعطياته، وربما سقطنا في ممارسات تحريفية تسيء إلى سمعة الموسم الحسيني، وتلوث صورته، وتفقد نقاوته ونظافته ومعناه الكبير، وربما سقطنا في ممارسات استهلاكية تفرغ التعاطي من مضامينه الأصيلة، وربما سقطنا في ممارسات تحمل ازدواجية قاتلة تجعلنا نعيش مع الذكرى عاطفياً، ونتناقص مع أهدافها، عملياً، وسلوكياً، وروحياً، وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً. هذه أشكال من التعاطي مرفوضة. ولأننا لم نحاسب الممارسات والتطبيقات، ولأننا لم نحاسب مستوى التعاطي، لذا فنحن في حاجة إلى وقفة نقد ومراجعة لكي نشكل من خلالها المفهوم الحقيقي للتعاطي مع هذا الموسم، ولكي نتحرر من كل إشكال الدخيلة والمنحرفة والاستهلاكية، ولكي نصوغ للذكرى حضورها الفاعل والمتحرك في كل واقعنا المعاصر (33).

لعل بعض الناس يرفضون أو يinzعجون حينما تطرح مسألة المحاسبة والنقد والمراجعة لممارسات عاشوراء بدعوى أن كل هذه الممارسة تنطلق بإسم الإمام الحسين عليه السلام، ولنترك للناس أن يعبروا عن مشاعرهم تجاه قضية الإمام الحسين (ع) بأي أسلوب وبأي شكل، فلماذا نحاسب الممارسات؟ ولماذا نحاصر الأساليب؟ ولماذا نشكك في الأهداف والنوايا؟ فالجميع مأجورون وثابون، ثم أن الناس يتفاوتون في مستويات التعبير وفي مستويات الإعلان عن الحب والولاء، وفي مستويات التعاطي مع هذه القضية المأساوية الأليمة، وهل إن استمرار قضية الإمام الحسين (ع) إلا من خلال هذا التعاطي المفتوح.

هذا الكلام فيه الكثير من الصحة، ولكن لا نقبله بهذا الإطلاق، صحيح أن أساليب التعبير متعددة ومتنوعة، فقد يعبر الفقيه وقد يعبر الاستاذ الجامعي الأكاديمي أو الفلاح وقد يعبر الشاب، وقد تعبر المرأة، وقد يعبر الطفل، كل بأسلوبه الخاص، وهكذا يستطيع كل صنف من الناس أن يمارس إحياء عاشوراء بالأسلوب الذي ينسجم معه، نعم هناك من الأساليب ما تنسجم مع كل المستويات، فمجالس العزاء يحضرها الفقيه والعالم والمثقف والتاجر والموظف والفلاح والشاب والمرأة وكل المستويات. والموكب الحسينية يمكن أن تمارس بطريقة قادرة على أن تستوعب كل المستويات وتبقى بعض الأساليب تنسجم مع بعض المستويات ولا تنسجم مع البعض الآخر. كل هذا صحيح، ولكن الشيء غير الصحيح أن تدخل أساليب تتنافى مع أهداف الموسم العاشورائي، وأن تدخل

أساليب تسيء إلى سمعة القضية الحسينية. وأن تدخل أساليب تجهض رسالة كربلاء (34).

المشكلة أن الكثير من المعنيين بهذا الشأن يتحفظون أن يمارسوا دور المحاسبة والتصحيح ودور النقد والمراجعة، ويتحفظون في أن يقولوا الكلمة الصحيحة، وإذا قيل لهم: لماذا انتم صامتون؟ قالوا: إننا لا نتمكن أن نتدخل في قضية الإمام الحسين (ع) الفقهاء الكبار لم يتدخلوا، العلماء البارزون لم يتدخلوا، وربما يقف وراء هذا الصمت عند الكثيرين الخوف من الناس، الخوف من الشارع. كل هذا لا يبهر الصمت، ولا يبهر السكوت، لا بد من الكلمة، ولا بد من الموقف، ولا بد من التصحيح. الفقيه الكبير السيد محسن الأمين (قدس الله روحه الطاهرة) حينما أعلن ثورته التصحيحية لمراسم العزاء، ولمراسم عاشوراء، وأثاروا حوله ضجة، أخرجوه من المذهب، حركوا الشارع ضده، نالته الكلمات بالجرح والقدح والسباب، ولكنه صمد في موقفه، وأصر على تنزيه المراسم العاشورية من كل دخيل، وقد ساند ووقف معه، ودافع عنه المرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني رضوان الله عليه (35).

ومن المهم القول إن مواقف بعض العلماء التي حرمت الشعائر الحسينية فجميعها مبتنية على أساس الظروف الاجتماعية والسياسية وما شابهها حسب ظروف المنطقة. فقد تعرضت الشعائر مثل أي شعائر أخرى في المذاهب الإسلامية الأخرى إلى الاستغلال والتشويه سواء بسبب جهل العامة أو المصالح الخاصة، لذلك فقد تؤدي إلى إساءة متعمدة إلى فكر أهل البيت (عليهم السلام) ومذهبهم. وعليه وجد بعض العلماء من الواجب تهذيبها وعدم الخروج عن الأهداف والغايات التي وجدت لها مثل هذه الشعائر.

إن اعتبار بعض الممارسات المؤذية للنفس مضرّة بها، هو أمر نسبي، فليس كل ضرر حراماً عند العلماء، فإذا كانت مضرّة ضرراً معتداً به فهي حرام، ولكن هناك من يقوم بالشعائر الحسينية ولا يعتبرها ضرراً معتداً به.

ومن هنا فإن على الخطباء الكرام أن يستفيدوا بأقصى قدر ممكن من هذه المناسبة ويوجهوا الأمة إلى القضايا التالية (36):

أولاً: ترسيخ العقائد الإسلامية التي تعصف بها اليوم الشبهات والفتن وترسيخ العقائد يتم في بيان آيات الله سبحانه وتعالى وصفات الرسول وبيان كلماته وصفات وكلمات أهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ثانياً: إشاعة الوعي الديني الصحيح المنبعث من كلمات الوحي النابعة من الكتاب المجيد أو كلمات الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) وهذا الوعي نحن بحاجة ماسة إليه لأن الحوادث والمتغيرات التي تجري في الأمة تحير الناس وتحولهم إلى أناس لا يعرفون كيف يتصرفون في المواقف الصعبة.

ثالثاً: توجيه الناس إلى الخلق الفاضل لأن أعظم المصائب التي ترد إلينا نحن المسلمين إنما هي من الكسل والتخلف والتفرق وعدم التحرك السليم في الحياة. لا بد أن نوجه الناس إلى الخلق الفاضل والآداب الرفيعة مستمدين ذلك من نهج أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وكيف كانت نهضته وثورته وقيامه في ذات الاتجاه الذي كانت عليه رسالة النبي، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: **"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"**

وعلى الخطباء فضلاً عن ذلك أن يكونوا قدوة صالحة للأمة، فلا تختلف أقوالهم ولا تتناقض أفعالهم ولا تنتشت أهوائهم، تكون دعوتهم إلى الله، وليس إلى أنفسهم، ويتجاوزون في هذا الطريق المصالح ويتحدون المصاعب. ومن جهة أخرى على الخطباء حفظهم الله تعالى أن يحثوا على الكتب الدينية وإقامة المشاريع الخيرية، مثل بناء المساجد والحسينيات والمستوصفات والمستشفيات وكل المرافق الاجتماعية التي يمكنهم أن يسعوا من أجل بناءها.

الخطابة قبل أن تكون علماً هي ذوق وفن وهواية ينبغي أن تترسخ في ذهن كمشروع ضخم، تبدأ بالدراسة الوافية الشافية والممارسة الدائمة والتهيئة المتواصلة، ثم حب العمل والانسجام مع الصنعة، والاعتقاد بأنها رسالة راقية، يجب العمل على تطويرها، بحيث يكون الخطيب على أهبة القول دائماً ولا تنتهي بالوصول إلى مرحلة بلوغ درجة الخطيب الجيد، بل تستمر هذه النشاطات كلها حتى نهاية العمر، ومن الغلط الفاحش أن يعتقد الخطيب أنه بلغ درجة الاكتفاء في يوم من الأيام ولنعم ما قال سيدنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بهذا المعنى حيث قال **" لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن إنه قد علم فقد جهل"** (37).

ومن الدروس التي يجب أن يجري التأكيد عليها: عظمة شعيرة الصلاة، فقد جاء في معظم كتب المقاتل أن الإمام الحسين ع طلب تأخير القتال إلى يوم عاشوراء، فقد بعث إليهم أخاه قمر العشييرة العباس ع، فقال: **" إرجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا العشييرة، لعننا نصلي لرينا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم إنني أحب الصلاة"** (38). وحتى في يوم العاشر من محرم حينما قال أشار أحد أنصاره إلى أن وقت الزوال قد حلّ، أجابه الإمام: **"ذكرتني بالصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، هذا لعمرى أول وقتها"**.

وهنا يتبين لنا بأن سبب تأخير الحسين للقتال هو أن الإمام الحسين (عليه السلام) أراد أن يصلي ويدعو الله ويستغفره، لأن الصلاة عمود الدين وقد قُتل (عليه السلام) من أجل الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن أجل إحياء هذا الدين. ثم قام الحسين (عليه السلام) وأذن بنفسه للصلاة، ثم قال **"ويلك يا ابن سعد أنسيت شرائع الإسلام، أتصبر عن الحرب حتى نصلّي وتصلّي بأصحابك ونعود إلى ما نحن إليه من الحرب؟"** (39).

ومن الدروس التي تُعلمنا إياها عاشوراء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأما هاتان الفريضتان فقد كانتا من صميم ثورة الإمام الحسين (ع)، بل الدافع الأوحد لحركة الإمام (ع)، فما قامت الرسالات السماوية إلا على أساسها. يقول رُوحِي فداه: "إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (ص)، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي..."⁽⁴⁰⁾. أما موالاة أولياء الله والبراءة من أعدائهم، فهما فريضتان لهما أهمية كبيرة، وعلى أساسها يحدد الإيمان وعدمه عند المسلم. وقد أوضحهما الإمام الحسين (ع)، وعلم الناس كيفية التعامل مع هذه القضية الخطيرة، وهي معرفة القادة الحقيقيين، وعلمهم كيفية معرفتهم وموالاة طاعة الله ورسوله وابتغاء الصلاح بقوله (ع): "وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد". ثم يبين الإمام (ع) في موضع آخر من هم أهل البيت (ع) وما هو موقعهم عند الله تعالى فيقول: "رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلاته ويوفينا أجور الصابرين". فهام القادة الحقيقيون الذين يجب موالاةهم فإن الله يرضى لرضاهم ويغضب لغضبهم.

وعلى الرغم من المواقف التي شخصها الباحثان أعلاه، فلا بد الاعتراف بأن هناك صوراً سلبية لا بد من السعي لتلافيها، لأن إحياء الشعائر شيء حسن، ولكن لا ينبغي تغليبها على واجب الصلاة، نذكر بعضها: سير بعض المواكب مع عدم مسألة ضبط الوقت بحيث يرفع أذان الصلاة والموكب لا زال في الشارع، علماً أن هذه الحالة قد تراجعت إلى حدٍ كبير. كذلك استغراق البعض في مواكب العزاء (من موكب إلى موكب) بحيث يرجع إلى منزله متعباً، وربما لا يبقى عن الصلاة (وبالذات صلاة الصبح) سوى وقت قصير فيخلد إلى النوم وتفوته صلاة الصبح. وصورة ثانية تتمثل في قيام البعض بشعائر يوم العاشر صباحاً أو قرب الظهرية وامتلاء ملبسه بالدم (ومع غض النظر عن مسألة الإشكال والخلاف في جواز أو حرمة المسألة)، نجد البعض ينطلق في هذا العمل من منطلق الاستحباب، ولكن لا يلتفت إلى أن الحرص على هذا الاستحباب على حساب الصلاة، فتضيع عليه صلاة الظهرين، وربما العشائين بسبب قضاء وقته في المستشفى أو النوم من التعب والعلاج. عافاهم الله تعالى ووفقهم لما يُحب ويرضى.

الخاتمة:

يمكن اجمال مجموعة من الاستنتاجات العلمية بالنقاط الآتية:

- يعد تاريخ الشعائر الحسينية مرتبطاً بصورة ثابتة مع مسيرة الأحداث التي رافقة مصيبة الطف وبقية تلك المراسيم تتصاعد بالتنظيم طوال التاريخ وتبني أسس الثورة الحسينية التي نشأت من أجل تثبيت أسس الإصلاح والتجديد في الفكر الأنسان.

- ضرورة التأكيد على أهمية إقامة الشعائر الحسينية وفق الهدف المنشود منها المتمثل بطرح مصيبة الإمام الحسين عليه السلام كما ارادها الامام بالتأكيد على المراد الاول المتمثل بالإصلاح الفكري التجديدي القائم على الابتعاد عن الغلو والتغير بأهدافها وصولاً لبناء الفكر التربوي.
- التركيز من خلال إقامة وتنظيم الشعائر الحسينية على مدى الترابط الواضح والذي لا يمكن فصلهما بين تلك الشعائر وبين الصلاة، إذ تعد الأخيرة من اولويات الثورة الحسينية واهدافها والعمل على تثبيت اسسها والحفاظ عليها حفاظاً على الدين ومعالم السمحاء.
- من المقومات التي يجب تثبيت اسسها من خلال الشعائر هو تثبيت معالم التربية والتثقيف الاسلامي المتمثل بالحفاظ على معالم الاخلاق والسلوك الانساني بين الشعائر واقامتها خلال مفاصل التاريخ.
- من خلال الشعائر يتم التنبيه ومحاربة المدخلات والغلو البعيد عن الانسانية واهدافها بشجاعة كبيرة والتأكيد على اهداف الثورة وشجاعة قائدها الذي تحدى الظلم والباطل بكل شجاعة ومرؤة هادفاً للإصلاح وتربية السلوك البشري.
- العمل على الاقبال الدولي على تلك الشعائر ونقل اهداف الاسلام المحمدي الاصيل من خلال السلوك العلمي المنظم وطرح القضية لكشف الظلم الواقع على وقع على اهل البيت عليه السلام ونصرة لهدفهم المتمثل بتثبيت حقوق الانسانية ومحاربة الكفر والاستبداد.
- محاربة الافكار الغربية عن الثورة الحسينية وشعائرها يجب ان تكون من الاولويات الى اقامة تلك الشعائر ومنها يتم اصلاح الجوانب الاجتماعية من خلال طروحات علمية قائمة على اسس قرآنية لتثبيت هدف الثورة الحسينية والمراد من الشعائر خلال العصور التاريخية المختلفة.

الهوامش:

- 1 الأنفال.. آية 37.
- 2 محمد مهدي شمس الدين، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، بيروت، 1973، ص 44.
- 3 ابن ابي الحديد المعتزلي، (ت. "654هـ")، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، دار المعارف، 1988، ج 4، ص 29.
- 4 - علي عبد المطلب المدني، الحياة الاجتماعية في النجف الأشرف، 1914-1932، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2004، ص 87.
- 5 - أبراهيم الحيدري، تاراجيد يا كربلاء، دار الساقى للطباعة، بيروت، 1999، ص 51.
- 6 علي بن عيسى الأردبيلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت، 1976، ج 2، ص 262.

- 7 - المصدر نفسه، ص53.
- 8 - ابن الجوزي، ج7، ص23.
- 9 - ابراهيم الحيدري، السابق، ص54- ص55.
- 10 - المصدر نفسه، ص54؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق وتقديم سهيل زكار، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، الجزء 7، ص 211.
- 11 - للتفاصيل ينظر: عبد الحسن الأمين، المنبر الحسيني دوره ومستقبله، دار النور للطباعة، بيروت، (د.ب.ت)، ص69؛ وعن الغزوات واثرها ينظر مقدم عبد الحسن الفياض، غارات القبائل النجدية على العراق في القرن الثامن عشر، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (9)، 2008؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء 3، (القاهرة، 1967)، ص44.
- 12 - ابراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص65-ص69.
- 13 - قصير قليط، المصدر السابق، ص 53.
- 14 - عبد اللطيف البغدادي، المصدر السابق، ص 92.
- 15 - عبد الحسن الأمين، المصدر السابق، ص20-ص263.
- 16 - علي بن عيسى الأربلي، المصدر السابق، ص 255.
- 17 - موقع الحكمة ثقافة وإعلام،
<http://www.alhikmeh.org/news/archives/106394>
- 18 - نعيم جاسم محمد، ايران في عهد حكومة أمير عباس هويدا 1965-1977 دراسة في تطور السياسة الداخلية، بيروت، دار العلوم، 2016، ص ص 91-92.
- 19 - للتفاصيل ينظر: رعد الموسوي، انتفاضة صفر الاسلامية، (قم: مطبعة امير المؤمنين 1983).
- 20 - محمد تقي المدرسي، الشعائر الحسينية اسلوباً ومحتوى،
<http://almodarresi.com/books/680/wc12l5vl.htm>
- 21 - يُنظر: إحسان الفضلي، فلسفة الشعائر الحسينية، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام
<http://iraq.iraq.ir/islam/5/book19/fehres.htm>
؛ حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحربية، أثر شعائر عاشوراء في نشر الفكر الحسيني في أوروبا.. دول شمال أوروبا أنموذجاً، مؤسسة وارث الأنبياء
<http://warithanbia.com>
- 22 - حميد حلمي زاده، أنصار عاشوراء الامام الحسين (ع) وانتصاراتهم المعاصرة
<https://www.alalam.ir/news/2021364>
- 23 - أحمد عبد الرحيم، عناصر القوة في الشعائر الحسينية (٤): الفنون، المرونة، المال، والنهوض، العتبة الحسينية المقدسة الاعلام الدولي
<https://im.imamhussain.org/arabic/articles/5525>

- 24 - روبري بندكتي، الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005، ص 99.
- 25 - المصدر نفسه، ص 137-138.
- 26 - محمد طاهر محمد، الشعائر الحسينية في الدول العربية،
<https://annabaa.org/ashura/1429/067.htm>
- 27 - المصدر نفسه.
- 28 - عبد الحسن الأمين، المصدر السابق، ص 26-27.
- 29 جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، الجزء 2، ص 208.
- 30 صالح بن ابراهيم بن صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام، تحقيق وإعداد الشيخ نبيل رضا علوان، النجف 1395 هـ، الجزء 1، ص 40.
- 31 عبد اللطيف البغدادي، ابتلاء الحسين وصبره وجزاؤه، المنبر الحسيني "مجلة"، (دمشق)، العددان 6-7، السنة الثانية، آذار 2002، ص 89.
- 32 قصير قليط، خطب المسيرة الكربلائية، دار البلاغة، بيروت، 1417 هـ، ص 44.
- 33 عبد الله الغريفي، التعاطي الواعي مع الموسم العاشورائي، مجلة (الحسينية)، البحرين، 1427 هـ، ص 33.
- 34 المصدر نفسه، ص 34.
- 35 حسين بركة الشامي، مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية، بيروت، منارة الإسلام، 2006، ص 206.
- 36 حسن مغنية، آداب المناير الحسينية، بيروت، مؤسسة عز الدين 1415 هـ، ص 75.
- 37 ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، القاهرة، 1991، الهيئة المصرية للكتاب ج 2/ ص 171.
- 38 آغا بن عابد الشيرواني الدريندي، إكسير العبادات في اسرار الشهادات المقتل الملم بمأساة الامام الحسين ع، طهران، 1418 هـ، المجلد 1، ص، 336.
- 39 المصدر نفسه، ص 338.
- 40 عبد الحسين إبراهيم العاملي، سفينة النجاة، دار الحوراء، بيروت، 1407 هـ، ص 98.
- المصادر والمراجع:**
- 1- ابراهيم الحيدري، تراجم كربلاء، دار الساقى للطباعة، بيروت، 1999
- 2- ابن ابي الحديد المعتزلي، (ت. "654" هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، دار المعارف، 1988، ج 4
- 3- آغا بن عابد الشيرواني الدريندي، إكسير العبادات في اسرار الشهادات المقتل الملم بمأساة الامام الحسين ع، طهران، 1418 هـ، المجلد 1.

- 4- أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق وتقديم سهيل زكار، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، الجزء 7.
- 5- ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، القاهرة، 1991، الهيئة المصرية للكتاب ج2.
- 6- حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء 3، (القاهرة، 1967).
- 7- حسن مغنية، آداب المنابر الحسينية، بيروت، مؤسسة عز الدين 1415هـ.
- 8- رعد الموسوي، انتفاضة صفر الاسلامية، (قم: مطبعة امير المؤمنين، 1983).
- 9- روبرت بندكتي، الشعائر بين الدين والسياسة في الاسلام والمسيحية، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005.
- 10- عبد اللطيف البغدادي، ابتلاء الحسين وصبره وجزاؤه، المنبر الحسيني "مجلة"، (دمشق)، العددان 6-7، السنة الثانية، آذار 2002.
- 11- عبد الحسين إبراهيم العاملي، سفينة النجاة، دار الحوراء، بيروت، 1407هـ.
- 12- عبد الله الغزيفي، التعاطي الواعي مع الموسم العاشورائي، مجلة (الحسينية)، البحرين، 1427 هـ.
- 13- علي عبد المطلب المدني، الحياة الاجتماعية في النجف الأشرف، 1914-1932، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2004.
- 14- علي بن عيسى الأردبيلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، بيروت، 1976، ج2.
- 15- قصير قليط، خطب المسيرة الكربلائية، دار البلاغة، بيروت، 1417هـ.
- 16- محمد مهدي شمس الدين، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، بيروت، 1973.
- 17- مقدم عبد الحسن الفياض، غارات القبائل النجدية على العراق في القرن الثامن عشر، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (9)، 2008..
- 18- صالح بن إبراهيم بن صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام، تحقيق وإعداد الشيخ نبيل رضا علوان، النجف 1395 هـ، الجزء 1.

الأبعاد الأخلاقية في واقعة الطف وإمكانية توظيفها في بناء الشخصية الإسلامية

أ.د. موفق عبدالعزيز الحساوي

الجامعة التقنية الجنوبية - المعهد التقني - الناصرية

pdmh2005@stu.edu.iq

ملخص البحث

تعد واقعة الطف في كربلاء والتي استشهد فيها الامام الحسين بن علي عليه السلام في السنة الحادية والستين للهجرة النبوية الشريفة من ابرز الاحداث الكبرى في تاريخ البشرية حيث شكلت منعطفاً كبيراً في حياة المجتمع الاسلامي واصبحت معطياتها وتأثيراتها تتعاظم وتتجدد على مر الاجيال وتؤثر بصور مختلفة في مختلف جوانب الحياة في معظم المجتمعات الاسلامية.

لقد احدثت واقعة الطف تحولاً كبيراً في ماضي الامة الاسلامية وحاضرها ومستقبلها وفي مختلف الجوانب لانها تشكل منعطفاً تاريخياً ورمزا انسانياً خالداً ومدرسة معرفية متكاملة تنهل منها البشرية القيم والمبادئ والاخلاق والعبر قد لا نجد لها مثيلاً في شموليتها وتكاملها وخلودها في جميع الثورات والاحداث الاخرى في العالم.

ولم تحظى أي قضية اخرى على مدى التاريخ كما حظيت به واقعة الطف من البحث والدراسة والاهتمام. حيث ألفت حولها الاف الكتب واجريت عشرات الالاف من البحوث والدراسات وفي مختلف البلدان وعلى اختلاف اللغات والاديان والمذاهب لتناولها وابرار اسبابها ومضامينها ومعطياتها وتأثيراتها ونتائجها. حيث كتب عنها كل من الاصدقاء والاعداء والمناصرون والمعارضون بدون استثناء.

إن واقعة الطف لم تكن حدثاً سياسياً وعسكرياً ودينياً عابراً او محدوداً بين السلطة الحاكمة والمعارضة او صراعاً بين موقفين متضادين فحسب وانما هي عبارة عن قضية انسانية كبرى دخلت في صنعها وابرارها عبر التاريخ مسارات متنوعة وحملت أبعاداً متعددة ذات أطر إنسانية وعقائدية وفقهية وفكرية وثقافية واجتماعية وتاريخية وسياسية مختلفة.

ويأتي هدف هذا البحث من خلال محاولة التعرف على ما يأتي:

1 - مقتطفات من السيرة العطرة والاخلاق الفاضلة للامام الحسين (عليه السلام).

2 - مقتطفات من البعد الاخلاقي لواقعة الطف.

3 - امكانية توظيف الابعاد الاخلاقية لواقعة الطف في بناء الشخصية الاسلامية.

وقد تحدد البحث ببعض ما نقل من مقتطفات عن الابعاد الاخلاقية لواقعة الطف من موروث تاريخي وما كتب عنه في هذا المجال من المصادر العلمية والتاريخية الرصينة والمعتمدة والتي تتميز بالموثوقية والموضوعية. وقد اتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي لغرض تحقيق اهدافه.

وقد اشتمل البحث على عدة مباحث تضمنت ما يأتي:

1 - مقدمة عن السيرة العطرة والاخلاق الفاضلة للامام الحسين (عليه السلام).

2 - مقتطفات من الابعاد العامة لواقعة الطف. 3 - مقتطفات من الابعاد الاخلاقية لواقعة الطف. 4 - الايثار. 5 - الشجاعة. 6- الشهامة والمروءة. 7 - العزة ورفض الذل. 8 - الصبر. 9 - الوفاء. 10 - توظيف الابعاد الاخلاقية لواقعة الطف في بناء الشخصية الاسلامية.

وقد استنتج البحث أهمية توظيف الابعاد الاخلاقية لواقعة الطف في بناء الشخصية الاسلامية لدى الانسان المسلم. واوصى بالاكثار من اجراء مثل هذه البحوث للاستفادة منها وتوظيفها لبناء الاخلاق الفاضلة بين ابناء المجتمع من اجل اصلاحه والارتقاء به. كما اقترح اجراء عدد من البحوث الاخرى المكملة في هذا المجال.

الأبعاد الأخلاقية في واقعة الطف وإمكانية توظيفها في بناء الشخصية الإسلامية

أ.د. موفق عبدالعزيز الحسناوي

الجامعة التقنية الجنوبية - المعهد التقني - الناصرية

pdmh2005@stu.edu.iq

أولاً: مشكلة البحث:

لقد ساعدت التطورات في مجالات الاتصالات والمعلوماتية على نشر الثقافات المختلفة وترويجها بين الشعوب ومحاولة القوى الكبرى تهديم القيم الاخلاقية والدينية لدى ابناء تلك الشعوب وخاصة الاسلامية منها والشعوب التي تنتهج فكر آل بيت النبوة عليهم السلام من خلال محاولة نشر الثقافة الغربية الزائفة البعيدة عن الفضيلة والاصلاح وبذل الاموال الكبيرة من اجل تشويه الفكر الاسلامي الحقيقي ومبادئ ديننا وتشويه الصور الرائعة لعظمانا من خلال اعدادهم خطط طويلة الامد لهذا الغرض وانتظار النتائج على المدى البعيد من اجل السيطرة عليها وابعادهم عن الاخلاق الاسلامية الفاضلة.

فقد أثرت الافرازات السلبية لهذه الحضارة الزائفة البعيدة عن مبادئ و اخلاق وقيم الاسلام الحنيف الذي جاء به الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوارثه من بعده آل بيته الكرام عليهم السلام بدرجة كبيرة والتي قد تصبح مؤثرة بصورة سلبية في فلسفة المجتمع وعاداته و اخلاقه وافكاره وتوجهاته من خلال شيوع بعض الافكار البعيدة عن اخلاق وعادات ومبادئ الاسلام الحنيف مما يؤدي الى انتشارها وشيوعها في المجتمع على المدى البعيد.

وفي ضوء ذلك كان لابد من العمل على تحصين افراد المجتمع بمختلف شرائحهم ومستوياتهم العلمية والثقافية بدرجة عالية من ضد الافكار السلبية المشوهة وافرازات الحضارة الغربية الزائفة من خلال العمل على ايجاد البرامج والخطط اللازمة التي تتعاون فيها جميع المؤسسات التعليمية والاجتماعية والدينية والمساجد لغرس المبادئ الاخلاقية الرائعة للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وائمة اهل البيت (عليهم السلام) ومنها الأبعاد الاخلاقية لواقعة الطف ومحاولة توظيفها في عملية البناء الاخلاقي للشخصية الفاضلة للفرد المسلم. وعليه يأتي هذا البحث محاولة متواضعة من قبل الباحثين ضمن الجهود المبذولة في هذا المجال. نسأل الله القبول والتوفيق.

ثانياً: أهمية البحث:

ان الدين الاسلامي الحنيف الذي انزل تعاليمه السمحاء الله العلي القدير على الرسول الاكرم محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء ليكون منهاجاً حياتياً ودينياً صالحاً لجميع الازمان والاماكن تنهل منه البشرية جمعاء عامة والمسلمين خاصة فيض النبع الالهي العظيم لهدايتهم وبناء شخصياتهم الفاضلة والصالحة والتي تضع رضوان الله سبحانه وتعالى هدفاً ومانراً لها من اجل تحقيق الدور الانساني الكبير الذي رسمه الخالق العظيم للانسان في الارض من اجل بنائها وعمارها واصلاحها لينعم الجميع بالفضيلة والرخاء.

ومن فيض هذه الرسالة السماوية العظيمة وضع معلم البشرية الاول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منهاجاً تربوياً متكاملماً لتربية الاجيال في كل زمان ومكان استقاه من وحي القرآن الكريم الذي يمثل اعظم كتاب في الكون على مر الاجيال نزل من اجل تربية وهداية البشرية وبناء المجتمعات والاطوان على اسس رصينة تتسم بالفضيلة والهداية والايامن بالدور الانساني الكبير في الحياة.

وعمل الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى غرس هذه الافكار والمعتقدات وروح الفضيلة والاخلاق الفاضلة والقيم الانسانية والاخلاقية وصفات الهداية والايامن عند آل بيت النبوة الكرام من الائمة المعصومين (عليهم السلام) الذين توارثوه فيما بينهم وقاموا بنشره وتهذيبه وتعليمه وتربية الناس من خلاله على مر العصور وفي مختلف بقاع العالم الاسلامي.

وقد تميز الامام الحسين (عليه السلام) بكونه صاحب واقعة الطف تلك الثورة الخالدة التي اصبحت منارا يهتدي بها كل من اراد الاصلاح والخلص من الظلم والفساد كما اصبحت مثابة عالية تشع منها القيم والاخلاق الفاضلة والمباديء العظيمة والاصيلة للدين الاسلامي كما اراده الله الخالق العظيم قبل تحريفه من قبل خلفاء المال والسلطان وعبيدهما. فالامام الحسين الشهيد (عليه السلام) في واقعة الطف كان قد أسس لمباديء الشجاعة والايثار والصبر والفضيلة والاخلاق والتصدي للظلم والباطل مهما كانت عدته وعدده وغرس الروح الجهادية والايمانية التي لا تتزعزع مهما تكالبت عليها قوى الشر والظلام والباطل.

لذا ينبغي علينا الاستفادة من المباديء العظيمة لواقعة الطف ودراسة الابعاد العظيمة المختلفة لها ومنها البعد الاخلاقي والعمل على توظيفه والاستفادة من مضمائمه الخالدة لبناء الشخصية الفاضلة للفرد المسلم ووضع البرامج اللازمة لتحقيق هذا الغرض ومشاركة جميع المؤسسات التعليمية والاجتماعية والدينية والمساجد وبصورة تعاونية وتكاملية ومستمرة.

ثالثاً: أهداف البحث:

- يهدف البحث الى محاولة التعرف على ما يأتي:
- 1 - مقتطفات من السيرة العطرة والاخلاق الفاضلة للامام الحسين (عليه السلام).
 - 2 - مقتطفات من البعد الاخلاقي لواقعة الطف.
 - 3 - امكانية توظيف البعد الاخلاقي لواقعة الطف لبناء الشخصية الفاضلة للفرد المسلم.

رابعاً: حدود البحث:

تحدد البحث ببعض ما نقل من مقتطفات عن البعد الاخلاقي لواقعة الطف من موروث تاريخي وما كتب عنه في هذا المجال من المصادر العلمية والتاريخية الرصينة والمعتمدة والتي تتميز بالموثوقية والموضوعية.

خامساً: منهج البحث:

استخدم البحث المنهج التاريخي الوصفي الذي يتسم بالدقة والموضوعية والموثوقية في عملية العرض والتحليل للمباحث التي تضمنها.

سادساً: مباحث البحث:

يشتمل البحث على المباحث الآتية:

المبحث الأول: مقدمة عن السيرة العطرة والاخلاق الفاضلة للامام الحسين (عليه السلام):

الحمد لله الذي أظهر آثار قدرته وأنوار عزته في كل وقت وزمان وحين وأوان وعمر كل عصر من الأعصار بنبي مبعوث يدل الخلق ويرشدهم إليه إلى أن ختم الأنبياء والرسل بالنبي الأشرف والرسول الأكرم محمد صلى الله عليه واله وسلم. وأتبع النبي بالأئمة المعصمون عليهم السلام ليتبعونه في سننه ويحملون أمتهم على طريقته وسمته فلم يخل وقتنا من الأوقات من امام داع إليه بحق أو دال عليه ببيان وبرهان... وكان الامام الحسين عليه السلام هو احد الائمة الخلفاء للنبي صلى الله عليه واله وسلم وتصف الامام بصفة استتمت بسيرة عطرة و اخلاق فاضلة.

إن الأخلاق هي النور الذي يعالج الروح ويشفيها من أمراضها، كما يعالج الطب أمراض البدن، فالأخلاق العظيمة السامية ترافق الرسالة العظيمة التي حملها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى العالمين.

وإذا تأملنا في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نجدها النموذج الأرقى لمكارم الاخلاق، ولذلك يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ويخطابه الباري سبحانه وتعالى بقوله: (وإنك على خلق عظيم) . وسلك الإمام الحسين (ع) نهج جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد رسم نموذجاً رائعاً في المواقف الأخلاقية الخادة، لا سيما التي سجلها في واقعة الطف.. ولذلك نقول: أن تحب أقربائك ليس غريباً، وأن تحب أصدقائك ليس غريباً، وأن تحب من يحقد عليك... ولو باطناً ليس غريباً كذلك، فكل هذا ممكن، ولكن أن تحب عدوك الذي يشهر السيف بوجهك ويتلّهف على قتلك، هذا هو الحب العظيم الذي كان يفيض من قلب الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يخرج صباح عاشوراء إلى ساحة القتال وينظر إلى عدوه ثم يبكي ويطلق البكاء فيظنّ الحاضرون أنه يبكي تفجعاً أو حقداً أو غربة بل كان الإمام (عليه السلام) يبكي لأنهم يدخلون النار بسببه، هذا الذي كان يؤلمه، ما أعظم هذه الروحية، كلها عطاء ورحمة ورأفة وإنسانية.

وموقف آخر من واقعة كربلاء هو قبول الإمام الحسين (عليه السلام) توبة الحر بن يزيد الرياحي، مع أن موقف الحر هو الذي أدى بالإمام إلى الموت والأسر لأهل بيته (عليهم السلام)، وكيف أن الإمام الحسين (عليه السلام) وقف في تلك الصحراء الملتهبة يسقي الماء لجيش الحر ذات ألف فارس الذي جاء لقتاله (عليه السلام). فهذه أخلاق لا توزن بشيء، فلو عرضنا هذه المواقف للعالم لدخل العالم إلى الاسلام عن طريق الإمام الحسين بن علي (عليه السلام).

لقد رسم الإمام الحسين (عليه السلام) لأهل بيته مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وأمرهم بالتحلي بها ليكونوا قدوة لغيرهم، وتوجيه الناس إلى الحق والخير، وإبعادهم عن نزعات الشر من الاعتداء والغرور وغير ذلك.

فقد كتب إليه رجل يسأله عن خير الدنيا والاخرة، فأجابته (عليه السلام): (أما بعد: فإنّ من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس)، وقال أيضاً: (عباد الله اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد لكان الأنبياء أحق بالبقاء.. غير أن الله خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء. (فتزودوا فإن خير الزاد التقوى).

تأمل يا أخي المؤمن إلى هذا الموقف الأخلاقي للإمام الحسين (عليه السلام): فقد جنى غلام جنابة توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب فقال الغلام: يا مولاي، والعافين عن الناس. قال (عليه السلام): قد عفوت عنك، قال: يا مولاي، والله يحب المحسنين. قال (عليه السلام): أنت حر لوجه الله، ولك

ضعف ما كنت أعطيك. هكذا كان الإمام الحسين (عليه السلام) مدرسة أخلاقية واسعة فلنتعلم منها.

المبحث الثاني: مقتطفات عن الأبعاد العامة لواقعة الطف

لا يخفى على أحد أن واقعة الطف تتضمن أبعاداً، ثقافية وأخلاقية وعقائدية، يمكن للمتأمل أن يستفيد منها من تلك النهضة المباركة.

لكن نود أن ننظر إلى واقعة الطف من خلال بعد آخر، وهو البعد المعنوي فهل أن واقعة الطف تنطوي على أبعاد معنوية كما تنطوي على الأبعاد الأخرى.

وفي مقام الإجابة نقول أنه لا يخفى ما للبعد الروحي والمعنوي والاخلاقي من أهمية قصوى، وأثر ذلك على الفرد الإنساني. وواقعة الطف كذلك حيث أنها تشتمل على البعد المعنوي، وهذا يجعلها قضية إنسانية، مضافاً إلى كونها قضية إسلامية، مما يعني أن كل إنسان يعيشها ويتعاطف معها.

ونحاول أن نشير إلى بعض الأبعاد المعنوية لواقعة الطف من خلال الأمور الآتية:

1 - الصراع بين الحق والباطل:

مما لا إشكال فيه أن واقعة الطف تمثل قضية الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، ولكن ليس على مستوى الإسلام والكفر الصريح كما كان يحصل في حركة الأنبياء، بل تمثل الصراع بينهما على مستوى الانحرافات الخالدة التي تنتهي إلى الكفر وإفراغ النظرية الإسلامية من محتواها الحقيقي في داخل المجتمع الإسلامي وهي إلى جانب ذلك تمثل موقف الحق الذي لا شبهة فيه مطلقاً، في الوقت الذي يتعرض فيه الحق إلى هذا القدر من الظلم والاستهتار.

2 - القيم الأخلاقية:

القيم الأخلاقية الإنسانية التي تجسدها هذه الملحمة التاريخية، حيث تمثل مدرسة في هذا الجانب الإنساني العظيم. ولعل سرّ استمرار هذه الملحمة في قدرتها على التأثير والتفاعل هو هذا المضمون الأخلاقي الرائع لها الذي ينسجم مع أوليات الفطرة الإنسانية.

حيث تجسد في تفاصيل مجراها معاني العزة والكرامة والإباء والشجاعة والإيثار والرافة حتى بالأعداء، والشعور بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين والثبات على المبادئ والصبر على النوائب والألام والمصاعب، وبذل الجهد وإفراغ الوسع في هداية الناس وإنقاذهم.

3 - الحجم الكبير للتضحية:

ان الدرجة العالية والحجم الكبير في التضحية والفداء من أجل الإسلام، ومصالح الأمة الإسلامية. فإن واقعة الطف تتميز بهذه الميزة التضحوية العظيمة، حيث لم تكن التضحية بالنفس والمال والولد والأخوة والأصحاب وحدها، بل كان إلى جانب ذلك كله التضحية بالأهل وتعريض النساء إلى محنة الأسر والعدوان، وقد شملتهم العناية الإلهية فأنقذتهم من آثارها ونتائجها المأساوية الأخرى.

كما كانت أيضاً تضحية عظيمة بالجاه والاعتبار وبالنخبة الصالحة وبالعلماء الأفاضل الذين كانوا إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) والذين كانوا من الممكن أن يتحول كل واحد منهم إلى مدرسة عظيمة في المعرفة والأخلاق وإلى هادٍ ومرشدٍ في الأمة.

4 - المأساة المتعددة الأبعاد:

إن واقعة الطف لم تكن ذات بعد واحد، بل فيها أبعاد متعددة يكاد الإنسان يجد في معالمها جميع الأبعاد المأساوية التي يواجهها في حياته الشخصية أو الاجتماعية.

فقتل الأبناء والأخوة والأرحام والأطفال والشباب والشيوخ والنساء، والأصدقاء والأولياء والضعفاء، والقادة والسادة والعلماء، والنهب والسلب والأسر، والتمثيل، والتعذيب النفسي والجسدي، والعدوان المادي والمعنوي بمختلف أشكاله إلى غير ذلك من المعالم كلها نجدها في هذه المأساة المروعة، ويعطي هذا الجانب زخماً روحياً ومعنوياً آخر لهذه القضية العظيمة.

5 - ابن الرسالة والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

إن الحسين الشهيد (عليه السلام) هو ابن الرسالة الإسلامية، الذي تربى في أحضانها، فهو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي كان يوليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عناية خاصة متعمدة ومقصودة بهدف إيجاد التأثير لهذه الواقعة في نفوس المسلمين، وقد كان الإمام الحسين وأخوه الإمام الحسن وأختهما السيدة زينب (عليها السلام) يمثلون الذرية الباقية لرسول الله (ص) إذ لم تكن له ذرية غيرها.

المبحث الثالث: مقتطفات عن البعد الاخلاقي لواقعة الطف

ان سلوك سيد الشهداء (عليه السلام) وسيرته الأخلاقية تعكس سمو نفسه وتربيته في حجر جده محمد صلى الله عليه وآله وأبيه علي عليه السلام، وتجسيده للقرآن الكريم في عمله وأخلاقه.

وقد تجسدت خصاله الكريمة وسجاياه السامية في مختلف الميادين والمواقف في ثورة الطف، منها رفضه القاطع مبايعة يزيد، فخرج من المدينة

وامتنع عن مبايعته حتّى في أقسى الظروف التي مرت به في كربلاء من حصار وعطش ومختلف التحدّيات، بل استقبل الموت بعزّة وشموخ، وسقى الحرّ وجيشه طوال الطريق، وقيل يوم عاشوراء توبة الحرّ بن يزيد الرياحي.

ورفع البيعة عن أنصاره لينصرف من يشاء منهم الانصراف، وكان يعطف على أطفال مسلم بن عقيل بعد شهادة أبيهم، كما صبر على كل المصائب والشدائد التي واجهته في ذلك اليوم ومنها مقتل أصحابه وأهل بيته.

وعلى الرغم من كل تلك المواقف العصيبة والوحدة القاتلة والعطش الشديد، قاتل أعداءه كالليث ولم ترهبه كثرتهم. كان يرى أنّ نهضته قائمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأشار عدّة مرّات أثناء مسيره إلى كربلاء إلى هوان الدنيا وتصرّمها، وبين زهده فيها.

المبحث الرابع: الإيثار

وهو من أبرز المفاهيم والدروس المستقاة من واقعة الطف، والإيثار يعني الفداء وتقديم شخص آخر على النفس، وبذل المال والنفس والنفيس فداءً لمن هو أفضل من ذاته. وفي كربلاء شوهد بذل النفس في سبيل الدين، والفداء في سبيل الإمام الحسين عليه السلام، والموت عطشاً لأجل الحسين عليه السلام، وأصحابه ما داموا على قيد الحياة لم يدعوا أحداً من بني هاشم يبرز إلى ميدان القتال، إيثاراً منهم على أنفسهم.

وفي ليلة عاشوراء لمّا رفع الإمام عليه السلام عنهم التكليف لينجوا بأنفسهم، قاموا الواحد تلو الآخر، وأعلنوا عن استعدادهم للبدل والتضحية. يروي الشيخ المفيد رحمه الله: « أنّ الحسين عليه السلام قال لأتباعه: ألا وإني لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً. فقال له اخوته وأبنائوه وبنو أخيه وابنا عبدالله بن جعفر: لم نفعل ذلك لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي رضوان الله عليه واتّبعته الجماعة عليه فتكلّموا بمثله ونحوه.

لقد قال الحسين (عليه السلام): يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم. قالوا: سبحان الله، فما يقول الناس؟! يقولون إنّنا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا — خير الأعمام — ولم نرم معهم. بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندرى ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: انخلي عنك ولما نعدز إلى الله سبحانه في أداء حقك؟ أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت

قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيك، والله لو علمت أنّي أقتل ثمّ أحيى ثمّ أحرقت ثمّ أحيى ثمّ أدرى، يفعل ذلك بي سبعين مرّة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي.

ووقف بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ظهيرة يوم عاشوراء، عندما وقف لصلاة الظهر، يقونه سهام العدو بصدورهم، وخاض العباس نهر الفرات بشفاه عطشى، ولما أراد تناول الماء تذكر عطش الحسين والأطفال فلم يشرب منه.

ورمت زينب عليها السلام بنفسها في الخيمة المشتعلة بالنار لإنقاذ الإمام زين العابدين منها، وحينما صدر الأمر في مجلس يزيد بقتل الإمام السجّاد عليه السلام فدته زينب عليها السلام بنفسها.

وهناك أيضا عشرات المشاهد الأخرى التي يعتبر كل واحد منها أروع من الآخر، وكل موقف منها يعطي درساً من دروس الايثار للأحرار، فإذا كان المرء على استعداد للتضحية بنفسه في سبيل شخص آخر أو في سبيل العقيدة، فهذا دليل على عمق إيمانه بالآخرة والجنّة وبالثواب الإلهي، قال الإمام الحسين عليه السلام في بداية مسيره إلى كربلاء: « من كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى.

وهذه الثقافة نفسها أي ثقافة الإيثار هي التي دفعت بعمر بن خالد الصيداوي لأن يخاطب الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء قائلاً: « يا أبا عبدالله جعلت فداك قد هممت أن ألق بأصحابك وكرهت أن أتخلف فأراك وحيداً بين أهلك قتيلاً. فقال له الحسين عليه السلام: تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة. فتقدّم فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

كما أشارت زيارة عاشوراء إلى صفة الايثار التي يتحلّى بها أصحاب الحسين، فوصفتهم بالقول: « الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام ».

المبحث الخامس: الشجاعة

ان الشجاعة هي الاقدام عند منازل الخصوم وعدم تهيب المخاطر، واقتحام الخطوب، وتعتبر الشجاعة من الصفات المهمّة التي تميّزت بها شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته، إذ نقرأ عن الاندفاع والحماس المنطعي النظير الذي جسده في سوح الوغى، والتسابق على بذل الأرواح رخيصةً فداءً للدين والمبادئ. ورسمت ملحمة كربلاء - منذ انطلاقتها وحتى مراحلها الأخيرة -

ففيها حدثت مشاهد تتجسد فيها معالم الشجاعة بشتى صورها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالتصميم الذي أبداه الإمام الحسين عليه السلام في معارضة يزيد

ورفض البيعة له، وعزمه الراسخ على المسير نحو الكوفة والتصدي لأنصار يزيد، من أمثال ابن زياد، وعدم انهيار معنوياته لسماح الأخبار والاضاع التي كانت تجري في الكوفة، واعلانه على الملأ عن الاستعداد لبذل دمه والتضحية بنفسه في سبيل إحياء الدين، وعدم الخوف من كثرة الجيش المعادي على الرغم من كثرة عدده وعدته، ومحاصرة هذا الجيش له في كربلاء، مع عدم استسلامه، والقتال العنيف الذي خاضه بعد ذلك مع جنوده وأهل بيته، وصور البطولة الفردية التي أبداها أخوه العباس، وعلي الأكبر، والقاسم، وعمامة أبناء علي وأبناء عقيل.

وتعد الخطب التي ألقاها الامام السجاد وزينب (عليهما السلام) في الكوفة والشام وغيرها من المواقف والمشاهد البطولية تعكس بأجمعها عنصر الشجاعة الذي يعدّ من أوليات ثقافة عاشوراء.

وعلى وجه العموم كان آل الرسول (عليهم السلام) أمثلة خالدة في الشجاعة والاقدام وثبات الجنان، وكانت قلوبهم خالية من الخوف من مواجهة الحتوف، وكانت ساحات القتال في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحروب علي (عليه السلام) في الجمل وصفين والنهروان شاهدا يعكس شجاعة آل البيت عليهم السلام.

وقد اعتبر الامام السجاد (عليه السلام) الشجاعة من جملة الخصال البارزة التي منّ الله بها على هذه الأسرة الكريمة، وذلك لما قال في خطبته في قصر الطاغية يزيد: « فضلنا أهل البيت بستّ خصال: فضلنا بالعلم والحلم والشجاعة والسماحة والمحبة والمحلّة في قلوب المؤمنين، وأنانا ما لم يؤت أحدا من العالمين من قبلنا، فينا مختلف الملائكة وتنزيل الكتب.

وكان لهذه الشجاعة موارد مختلفة، فهي في مجال القول واللسان، وكذلك في تحمّل أهوال المنازلة ومقاتلة العدو، والإغارة الفردية على صفوف جيشه، وكذلك في تحمّل المصائب والشدائد، وعدم الانهيار والقبول بالدنيّة. بديل أنّه لما اشتدّ القتال، قال: « أما والله لا أجيبهم إلى شيء ممّا يريدون حتى ألقى الله تعالى وأنا مخضّب بدمي. حتى أنّ العدو والصيديق قد أثنى على شجاعة الحسين عليه السلام وصحبه وأهل بيته، ألم يخاطب عمر بن سعد قومه بالقول: « الويل لكم، أتدرون من تبارزون! هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كلّ جانب.

وما أمر المجرم عمر بن سعد بالهجوم الشامل على أفراد جيش الإمام ورميهم بالحجارة إلاّ دليلًا على تلك الشجاعة الفريدة.

وكنتيجة لما يتحمّل الحسين (عليه السلام) وأسرته من شجاعة حصّلوا على أكبر عدد من أوسمة الشهادة، يقول عباس محمود العقاد: « فليس في العالم

أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدّة وقدرة وحسبه أنّه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء في مئات السنين .»

ومع أنّ الأرقام التي تذكرها المقاتل عن عدد قتلى العدو نتيجة لهجوم أصحاب الامام عليهم، قد تكون مبالغاً فيها، إلا أن الأمر الثابت الذي لا يمكن إنكاره هو الشجاعة المثيرة لهذه الثلّة المؤمنة، التي بذلت نفسها في سبيل الله، ولم تطاوعها نفسها بترك قائدها في الميدان وحده.

المبحث السادس: الشهامة والمروءة

وتعد من المعالم الاخلاقية والنفسية البارزة لدى الحسين عليه السلام وأنصاره في واقعة الطف، والتي تجسدت في ملحمة عاشوراء، وهذه النفسية التي تجعل الانسان يشمئز من الطغاة، ويرفض الانصياع لسلطان الظلم، ويحب الحرية والفضيلة، ويتجنّب الغدر ونقض العهد وظلم الضعفاء، ويدافع عنهم، ولا يتعرض للابرياء، ويقبل العذر، ويقبل العثرة ويعترف بالحق الانساني للأخرين. هذه الأمور كلها تعتبر من معالم الشهامة والمروءة التي تجسدت على أرض الطف.

لقد رفض سيد الشهداء عليه السلام عار البيعة ليزيد، ولما واجه جيش الكوفة في طريق كربلاء، رفض اقتراح زهير بن القين الذي أشار عليه بمحاربة هذه الفئة من قبل أن يجتمع إليهم سائر الجيش، وقال عليه السلام: « وما كنت لأبدأهم بالقتال »، وهذا نموذج رائع من شهامة الحسين عليه السلام.

ولما لقي جيش الحر بن يزيد الرياحي وقد أضرب بهم العطش أمر بسقيهم الماء هم وخيلهم، على الرغم من أنهم جاءوا لمجابهته واغلاق الطريق عليه، وكان من بينهم علي بن الطعان المحاربي الذي ما كان قادراً على شرب الماء من فرط عطشه، ويروي لنا القضية بنفسه، قال: « كنت مع الحرّ يومئذ فجنّت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية. ثم قال: يابن أخي أنخ الجمل. فأنخته فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: اخنت السقاء. أي اعطفه، فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنّته فشربت، وسقيت فرسي ». وهذا مثال آخر على مروءته عليه السلام.

ولما عزم الحر الرياحي على مفارقة جيش عمر بن سعد والانضمام إلى معسكر الحسين (عليه السلام)، وقف الحر بين يدي الحسين عليه السلام منكسراً معلناً توبته واستعداده للتضحية بنفسه قائلاً: هل لي من توبة؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: « نعم يتوب الله عليك، فانزل »، وهذا نموذج آخر على مروءة الحسين عليه السلام، فهو يقبل عذر المعتذر، ولا يغلق باب التوبة في وجهه.

وفي قيظ يوم عاشوراء واشتداد حر الرّمضاء، لما رأى الحسين عليه السلام هجوم الجيش على خيام عياله صاح بهم يعنّفهم: « ويلكم! إن

لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا في أمر دُنياكم أحرارا ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم». وهذا أيضا شاهد آخر على مروءته وشهامته، فهو ما دام حيّا لم يكن قادرا على رؤية العدو وهو يهجم على عياله، وقد شوهدت هذه الغيرة والحمية من الامام الحسين عليه السلام وأنصاره في ساحة القتال يوم العاشر من المحرم.

وهذه السجّية قد استقاها من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي غلب جيش الشام في صفين، وانتزع منه شريعة الفرات، ثم قال لجنده: « خلوا بينهم وبينه»، ولكن لؤم معاوية الذي ورثه يزيد دعاه إلى منع الماء عن جيش الحسين بن علي عليه السلام.

روى الشيخ الصدوق قدس سره أنّ عبيدالله بن زياد كتب إلى عمر بن سعد: « إذا أتاك كتابي هذا، فلا تمهلنّ الحسين بن علي، وخذ بكظمه، وحلّ بين الماء وبينه». فالحسين عليه السلام قد ورث الشهامة عن علي عليه السلام، ويزيد ورث الخسة عن معاوية.

المبحث السابع: العزة ورفض الذلّ

ما أشدّ الذلّ بعد العز، وما أحرّ الهوان بعد الرفعة، وما أمرّ الصغار بعد الإجلال، وما أقسى السلب بعد العطاء، وصدق رب الأرض والسماء حين قال ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران]:

ان العزة ورفض الذل هي من أهم الدروس الأخلاقية التي ميّزت نهضة كربلاء، ومن أوليات واقعة الطف. قال الحسين عليه السلام: « موت في عز خير من حياة في ذل ». وقال عليه السلام لما عرضوا عليه الاستسلام والبيعة: « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد ».

وفي كربلاء حينما خيروه بين البيعة أو القتال، قال: « ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلة، وهيهات ممّا الذلّة، يابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ».

المبحث الثامن: الصبر

ويعني الثبات والصمود والمقاومة، ومجابهة العوامل التي تعيق الإنسان عن بذل مساعيه في سبيل هدفه، إضافة إلى تحمّل المصاعب والشدائد في سبيل أداء الواجب وإحراز النصر.

وقد رسمت واقعة الطف أجمل صور الصمود والثبات في سبيل العقيدة وتحمّل الصعاب، حتى أضحت سببا لمجد وخلود تلك الملحمة، وكما قال أمير

المؤمنين عليه السلام: « الصبر يهون الفجيرة »، فقد هانت بعين الحسين عليه السلام هذه المصيبة الجسيمة بفعل الصبر والصمود الذي تجسد في يوم عاشوراء، لقد أنزل الله تعالى عليه الصبر بقدر التحديات والمصائب التي ألمت به، وصدق الإمام الصادق عليه السلام « إن الله ينزل الصبر على قدر المصيبة ».

وفي واقعة الطف كان الصبر مشهودا في القول والعمل لدى سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الصابرين الأوفياء، فلما أراد الخروج من مكة إلى العراق ألقى خطبة قال فيها: « رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلانه ويوفينا أجر الصابرين ».

وخاطب أصحابه في أحد المنازل على طريق العراق ليلفت أنظارهم الى خطورة الموقف وصعوبة ما هم مقبلين عليه فقال: « أيها الناس، من كان منكم يصبر على حدّ السيف وطعن الأستة فليقم معنا، وإلا فلينصرف عنا »، ولكن أصحابه لم يبدر منهم إلا ما أحبّ هو من الصبر عند لقاء الأقران، وتحملوا شدة العطش، وضراوة هجوم العدو، نتيجة الصبر والثبات على الشهادة على الرغم من قلّة الناصر، بل كانوا في غاية الفرح والسرور، حتى ان بعضهم كان يمازح في تلك الساعة، كما سيأتي.

وكان الحسين عليه السلام يكرر على أسماعهم ويذكرهم بأهمية الصبر، قائلاً: « صبرا يا بني عمومي، صبرا يا أهل بيتي، فوالله لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم أبدا ».

وعلم درس الصبر للنساء لعلمه باتصافهن بالبرقة وسرعة الجزع عند المصيبة، فقد جمع أخته زينب عليها السلام ونساءه ودعاهن الى الصبر والتحمل قائلاً: « يا أختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ سگان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلّهم يموتون، وجميع البرية يهلكون، ثمّ قال: يا أختاه يا أمّ كلثوم، وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيبا، ولا تخمشن عليّ وجهها، ولا تقلن هجرا ».

وكانت كل لحظة من وقائع الحادثة تعبيرا عن المقاومة والثبات، وحتى الكلمات الأخيرة التي تلقّظ بها سيد الشهداء حين سقط على الأرض إنّما تعكس هذه الروح من الصبر والصمود، إذ قال مخاطبا ربّه: « صبرا على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين ».

المبحث التاسع: الوفاء

الوفاء معناه التمسك بالعهد والثبات على الميثاق والعمل بالواجب الانساني والاسلامي في ازاء شخص آخر جدير بذلك. وهذه الخصلة من أولويات معجم

واقعة الطف ولها في قاموس الشهداء مكانة رفيعة، وهي من أشرف الخصال ودليل على المروءة. قال علي عليه السلام: « أشرف الخلائق الوفاء ».

وكانت واقعة الطف ساحة وفاء من جهة، وغدر من جهة أخرى، وضرب العباس بن علي عليه السلام مثلاً في الوفاء، فقد رفض كتاب الأمان الذي عرضه شمر بن ذي الجوشن عليه. ولم يترك أخاه الحسين وحيداً، وقدم أخوته الثلاثة فداءً له.

وعلى الضدّ من موقف أهل الكوفة الذين كتبوا الى الحسين عليه السلام يدعونه، ولما جاءهم غدروا به، وهبوا لقتاله، وقف آخرون على العهد وضحّوا بأنفسهم فداءً للحسين عليه السلام، وهم الذين أشارت اليهم الزيارة: « السلام على الأرواح التي حلّت بفنائك ».

وأشار الحسين عليه السلام في خطبه وكلماته على طول الطريق الى غدر وخذلان وغرور ونكث أهل الكوفة، ونقضهم العهد، وخلعهم البيعة، وعاب فيهم هذه الصفات. أما الحسين عليه السلام فقد وفى بعهده مع ربّه، وكثيراً ما تطالعنا الزيارات بعبارات، من قبيل: « أشهد أنك بلغت ونصحت ووفيت وأوفيت ».

وخلاصة القول ان واقعة الطف قامت على أساس الأخلاق والمروءة. وكانت جهادا للقضاء على الرذيلة ونشر الفضيلة. وكانت تنتهج الأسلوب الشريف عند مواجهة الخصم، وتحلّى أفرادها بالغيرة والشجاعة والتضحية، والصبر عند الشدائد، والثبات على طريق الحق.

المبحث العاشر: توظيف البعد الاخلاقي لواقعة الطف لبناء الشخصية الفاضلة للفرد المسلم

تعتبر المسألة الأخلاقية من المسائل بالغة الأهمية في مفاهيم وقيم وأحكام هذا الدين الحنيف. حيث يدخل العامل الأخلاقي في كل مرفق من مرفق الحياة التي يدعو لها الإسلام ويحث على رعايته والاهتمام به، سواءً في القضايا الخاصة بالإنسان؛ مثل علاقته بنفسه وبأسرته من زوجة وأبناء، أو في الدائرة الاجتماعية الأوسع مثل علاقته بأرحامه وجيرانه، أو ضمن المجتمع الكبير الذي يبني فيه الإنسان المسلم علاقاته المختلفة مع المسلمين وغير المسلمين، في جوانب الحياة المختلفة؛ اجتماعية، اقتصادية، علمية.

إن رعاية الجانب الأخلاقي في الأمور الاجتماعية أمرٌ واضح التأثير كبير الفائدة عظيم النتائج، وما أوجبنا أن نعيش تعليمات ديننا العظيم في حسن التعامل مع الآخرين وطيب المعاشرة، حتى أن الإمام زين العابدين عليه السلام خصص دعاءً كبيراً؛ ضمّنه مفاهيم رائعة وقيماً رفيعة وأفكاراً سامية في عالم الأخلاق الاجتماعية عرف بدعاء (مكارم الأخلاق)، ما أوجبنا أن نعيش بعض روائعه، مثل قوله عليه السلام: "اللهم صل على محمد وآله وسددني لأن أعارض من

غشني بالنصح، وأجزني من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة... "2. ولهذا لا ينبغي على بيت مسلم أن يخلو من نسخة من الصحيفة السجادية ذات المفاهيم التربوية والأخلاقية الرائعة.

والأخلاق لا تقتصر على الجانب الاجتماعي في العلاقات الإنسانية لأن للجانب الاقتصادي مسيس حاجة إلى المفاهيم الأخلاقية الراقية. إن ابتعاد الإنسان عن قيمه وأخلاقية في ممارساته الاقتصادية ونشاطاته المالية يحولّه إلى وحش بعين واحدة هي المادة حيث ينسى الروح والأخلاق.

إن مما يميّز الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد ذو جانب أخلاقي ينمي في الإنسان المسلم قيم الخير والأخلاق فيبرمج له علاقاته وسلوكه الأخلاقي؛ حيث يجيز له معاملات ويحرّم عليه أخرى ويحثه على سمو في التعامل ويدعوه إلى الترفع عن نمط آخر.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تزول قدما امرئ يوم القيامة حتى يُسأل عن ماله مما اكتسبه، وفيم أنفقه. فيسأل الإنسان عن مصادر ماله كيف اكتسبه، وعن قنوات صرفه لأمواله في أي ناحية وأي نشاط وأي سلوك.

ولقد كان لتمسك التجار المسلمين بقيم الإسلام في التعامل الأخلاقي الأثر الأكبر في دخول أمم واسعة في دين الله أفواجا. فقد كان التجار المسلمون وهم ينطلقون من البصرة ومسقط وحضرموت وغيرها من موانئ البلاد الإسلامية نحو الشرق الأقصى نحو ما يعرف اليوم بجنوب شرق آسيا؛ مثل أندونيسيا والفلبين وماليزيا وغيرها، كانوا يمارسون نشاطهم التجاري في ضوء تعاليم الإسلام العظيم وقيمه الأخلاقية في الصدق وعدم الغش والنصح واعتدال الأرباح وعدم الإجحاف بالمتعامل والسهولة في التعامل، حتى شغف بهم أهل تلك الأصقاع فدخلوا مسلمين طائعين بفضل تعاليم الدين الحنيف التي كان يراها التاجر المسلم، وما أحوجنا وأحوج أسواقنا وتجارنا إلى رعاية مفاهيم الدين في تعاملنا وأسواقنا وتجارنا.

وتمتد تأثيرات مفاهيم الأخلاق الإسلامية حتى إلى النشاط العلمي للإنسان، لأن العلم بحد ذاته طاقة، لا يمكن أن توصف بالخير أو الشر، إلا بعد توظيفها؛ فإذا وُظِّفَت في مجالات خير الإنسان وسعادته وتربيته كانت خيراً وكان العلم نافعاً، وأما إذا استُغلت العلم وطاقاته أيد غير أمينة، ونفوس غير نظيفة وأفكار غير مستقيمة، فقد يتحوّل العلم إلى كارثة حقيقية.

إن أول ما يخترعه الإنسان الغربي المعاصر من مكتشفات عليية، يستغله في الحروب والدمار قبل أن يوظفه في رفع معاناة الإنسانية، إن ما يعرف علم الحروب وآلة الحرب يكفي للقضاء على الجوع والجهل والمرض وإسعاد الإنسان

وإزاحة الآلام عنه. إن الإسلام اعتبر العلم نعمة يحاسب عليها، وعليه زكاة كزكاة المال وزكاته حسن التعامل وحسن التوظيف وحسن النتائج الخيرة التي تتمخض عنه.

إن الإسلام لم ينس قيم الأخلاق حتى في الحروب مع أعداء الدين منذ تعليمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وقادة المسلمين، للجيش الإسلامي في ضرورة مراعاة قيم الإسلام وأخلاق الدين حتى مع أعداء الإسلام ومناوئي الدين! أرأيت إنصافاً كهذا الإنصاف أم قيماً أرفع من هذه القيم، أم سلوكاً أسمى من هذا السلوك؟ "لا تقطعوا شجرة، لا تتبعوا مدبراً، لا تجهزوا على جريح، لا تهيجوا النساء، لا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً ولا مسالماً، لا تستولوا على ممتلكات المسالمين، احفظوا الذمار، لا تشربوا ماءً إلا برضى أهله!!"

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع أعدائه، حيث نادى يوم فتح مكة: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وهكذا كان سلوك أمير المؤمنين عليه السلام في معاركه ومنها في صفين حيث منعه معاوية من ماء الفرات ولما استعاد علي عليه السلام وجيشه السيطرة عليه قال بعضهم نمعنهم من الماء كما منعونا، فقال لهم علي عليه السلام: لا ولكن خذوا من الماء كفايتكم وانصرفوا فقد نصركم الله عليهم ببغيهم. وهكذا كانت أيضاً أخلاقيات الحسين عليه السلام في نهضته الخالدة.

إن الجانب الأخلاقي جانب مشرق ورائع من جوانب النهضة الحسينية. وإذا حاولنا أن نتلمس بعض مصاديق هذا الجانب فيمكن أن نلاحظ ما يلي:

1 - عدم استغلال الحسين عليه السلام موقعه الديني المميز، فهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن علي وفاطمة عليهم السلام ومن نزلت فيه ما نزل من آيات القرآن الكريم وجاء فيه ما جاء من أحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك فإن الحسين عليه السلام لم يجبر أحداً على اللحق به، ولم يصدر فتوى أو حكماً شرعياً يكفر فيه من لم يلتحق به، بل كان يدعو إلى نصرته ضمن مفاهيم الدين وحجة الحق ودليل القرآن والسنة. فمن قبلني بقبول الحق فإله أولى بالحق ومن ردّ علي أصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين".

2 - عدم تضييعه لحق أحد، واهتمامه بحقوق الآخرين، فقد سيطر عليه السلام حينما خرج من مكة على قافلة من الأموال والهدايا بعث بها والي الأمويين باليمن إلى يزيد بالشام، إذ أراد الحسين عليه السلام أن يسقط الشرعية وأن يمنع وصول هذه الأموال التي سوف توظف لشراء الدماء، والتكديل بالصالحين المخلصين، والمزيد من الإفساد في المجتمع.

لكنه عليه السلام مع ذلك لم ينس الذين كانوا مع تلك القافلة ممن كان جمالهم قد استؤجرت إلى الشام، فأعطى أصحابها أجورهم، وخيرهم بين الرجوع إلى اليمن أو مرافقته، ويذكر بعض أرباب المقاتل أن شخصاً واحداً من هؤلاء أدركته الرحمة وبقي مع الحسين حتى كان من الشهداء بين يديه.

3 - حرصه على هداية الآخرين، والسعي المستمر لتوضيح الحقائق وكشف الأمور وبيان الوقائع، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. ومن هنا كانت خطاباته عليه السلام يوم عاشوراء، ثم أذنه عليه السلام لمن أراد أن يخاطب من أصحابه، مثل زهير بن القين وبرير بن خضير. والحسين عليه السلام لم يكن ينتظر من أولئك شيئاً إلا الرغبة في انقاذهم من ضلالهم. فكان ينادي "انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوا وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟"

4 - كارهيته عليه السلام أن يبدأ القوم بقتال. حيث حرص عليه السلام على مفاهيم الإسلام وقيمه في الحروب، وحتى حينما تمادى الشمر في صبيحة يوم عاشوراء بكلامه للحسين عليه السلام: "تعجلت بالنار قبل يوم القيامة" فأراد أحد أصحاب الحسين وهو برير رضي الله عنه أن يرميه بسهم، منعه الحسين من ذلك وقال: "إني أكره أن أبدأهم بقتال"5، بل كان الذين يخرجون للخطابة يتراجعون إلى ورائهم إذا رموا بالسهم إتباعاً لتعليمات الإمام الحسين عليه السلام قبل نشوب المعركة.

5 - حرص الإمام الحسين عليه السلام على الوفاء بالعهد وله كان ذلك في أشد الظروف قساوة، وأكثرها إيلاً ومحنة. فقد التقى الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء برجل اسمه الضحّاك بن عبد الله المشرقي فدعاه إلى نصرته، فاستجاب هذا الرجل ولكنه علّق استجابته على شرط وهو أن ينصر الحسين ما دام له ناصر فإذا نفذ أنصاره ولم يكن هناك فائدة من نصرته انسحب من ذلك! فوافق الإمام الحسين عليه السلام على شرطه هذا.

وهو شرط غريب إذ كيف يمكن لإنسان حظي بشرف الدفاع عن الحسين عليه السلام وعن أهل بيت النبوة، أن يتركهم في ساعة هم أحوج فيها إلى أي ناصر كان أو معين؟ ولكنها النفوس وحظوظها وتوفيقيها!

ولما كان يوم عاشوراء واحتدم القتال حتى استشهد من أنصار الحسين من استشهد، جاء هذا الرجل ليذكر الحسين بشرطه وأنه يريد أن ينسحب من المعركة، فقال له عليه السلام: نعم انج بنفسك إن استطعت! ولكن كيف يكون لك ذلك؛ وكان هذا الرجل قد خبأ فرساً له تحت خيمة انتظاراً لساعة الهرب هذه. ومع غرابة هذا الموقف واستهجانه، فإن الحسين عليه السلام بقي محافظاً على الوفاء بما قطعه على نفسه رغم الظرف القاسي والزمن العصيب.

6 - ثم انظر إلى أخلاق الإمام الحسين عليه السلام التي هي أخلاق القرآن الكريم وأخلاق النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، أخلاق الإسلام وقيم السماء، انظر إلى الإمام الحسين عليه السلام كيف كان سلوكه مع الذين خرجوا لحربه؟ فقد ذكر بعض أرباب المقاتل أن دمعة من عين الحسين عليه السلام نذت يوم عاشوراء، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: أبكي على هؤلاء القوم لأنهم سيدخلون النار بقتالهم لي، وهم من أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم موقف آخر للحسين عليه السلام مع أول كتيبة من الجيش الأموي خرجت لحربه وكانت بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي، وكان الحسين وركبه في طريقهم إلى كربلاء، فصرخ أحد أصحابه: لقد وصلنا الفرات يا بن رسول الله! فيها هو خط أسود يلوح بالأفق، أي هي بساتين النخيل النابتة على ضفاف نهر الفرات التي تتراعى للبعيد بلون أسود من شدة خضرتها. ولكن الواقع أن ذلك السواد كان جيشاً قادمًا، ألف رجل كاد العطش أن يقتلهم، وهم ينادون: الماء الماء، العطش العطش يا بن رسول الله!!

ما كان من الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين، إلا أن قال لأصحابه: اسقوهم الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً، فسقى ألف رجل وألف دابة لهم، وكان آخر من جاء ذلك الجيش رجل اسمه علي بن الطعان المحاربي فلما رآه الحسين عليه السلام رقّ له وقال: انخ الراوية (أي الجمل) فلم يعرف ما يقول الحسين، فقال: انخ الجمل، فلما أناخه أعطاه الحسين سقاء الماء، ولكن شدة عطشه جعلت الماء يتساقط من جوانب فوهة السقاء فقال له الحسين: يا ابن أخي اخنث السقاء (أي ضيق الفوهة) فلم يفهم مراد الحسين، فجاءه الحسين وسقاه الماء بيده.

سابعا: الاستنتاجات:

من خلال ماتم عرضه في مباحث البحث يمكن تلخيص اهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث (على الرغم بان هذه الاستنتاجات غير جديدة لان الابعاد والمعاني والفضائل الكبيرة لواقعة الطف والتي يمكن الاستفادة منها وتوظيفها في جميع مجالات الحياة والبناء السليم للفرد المسلم وخاصة البعد الاخلاقي لهذه النهضة الكبيرة ساطعة سطوع الشمس ومعروفة للجميع ولكننا نذكر بعض منها في حدود هذا البحث) بما يأتي:

1 - تعد الرسالة الاسلامية مدرسة اخلاقية كبيرة مستمرة ومتجددة لهداية البشرية الى الخير والفضيلة.

2 - تمثل شخصية الامام الحسين (عليه السلام) ونهضته الكبرى ضد الظلم والفساد امتدادا شرعيا وحقيقيا للرسالة الاسلامية وقيمها ونعاليمها التي ارادها الله سبحانه وتعالى.

- 3 - تعد الابعاد الاخلاقية التي افرزتها واقعة الطف والتي اقلت بظلالها في المجتمع الاسلامي من اهم الدروس الاخلاقية الكبرى في التاريخ الاسلامي.
- 4 - يعاني معظم ابناء المجتمع الاسلامي في الوقت الحاضر من وجود تأثيرات كبيرة للحضارة الغربية الزائفة التي تحاول تهديم الجوانب القيمية والاخلاقية في شخصية الفرد المسلم.
- 5 - عدم وجود فلسفة تربوية منتظمة ورصينة ومخطط لها لبناء الجوانب الاخلاقية والقيمية في شخصية الفرد المسلم المتكاملة تستلهم المبادئ التربوية الكبيرة للرسالة الاسلامية وائمة اهل البيت (عليهم السلام).
- 6 - أهمية توظيف البعد الاخلاقي لواقعة الطف في الفلسفة التربوية والمناهج الدراسية في مؤسساتنا التعليمية والقنوات الفضائية ووسائل الاعلام المختلفة للارتقاء بالقيم الاخلاقية لابناء المجتمع.

ثامنا: التوصيات:

- في ضوء ماتم عرضه من استنتاجات يوصي البحث بما يأتي:
- 1- توظيف البعد الاخلاقي لواقعة الطف للارتقاء بالشخصية الفاضلة للفرد المسلم وتنمية الجوانب القيمية عنده.
 - 2- أهمية اعداد فلسفة مجتمعية تربوية واخلاقية حديثة للمؤسسات التعليمية والاجتماعية والاعلامية والمساجد للارتقاء بالشخصية الفاضلة للفرد المسلم تستمد افكارها من البعد الاخلاقي لواقعة الطف.
 - 3- توجيه القنوات التلفزيونية الفضائية والبرامج التعليمية والاجتماعية والمساجد لبيان الابعاد الاخلاقية الكبيرة للرسالة الاسلامية واهل بيت النبوة (عليهم السلام) واثرها في بناء الشخصية الفاضلة لابناء المجتمع.

تاسعا: المقترحات:

استكمالا لهذا البحث وتعميما للفائدة يقترح البحث اجراء بحوث ضمن نفس المجال لغرض الاستفادة من التراث الكبير للدين الاسلامي الحنيف والافكار الربانية الخالدة لائمة اهل البيت عليهم السلام وخاصة وتقعة الطف لغرض الاستفادة منها في بناء الجوانب الاخلاقية والقيمية لدى ابناء المجتمع.

مصادر البحث:

1. القرآن الكريم.
2. العقاد. المجموعة الكاملة - الحسين أبو الشهداء (ع) 2: 230.
3. جواد محدثي / موسوعة عاشوراء /: 290.
4. الشيخ المفيد / الإرشاد 2: 91- 92.
5. القندوزي / ينابيع المودة، 2: 165 / الباب الحادي والستون. (ع)،،ط الثالثة، 1416 - 1995 م.

6. على ربانى الكلباىكانى، الإلهيات فى مدرسة آل البيت (ع)، ط1، طهران، 1420هـ-2000م.
7. محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار المعرفة، 4 أجزاء، بيروت.
8. المجلسى (محمد باقر/ت1111هـ-)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، 110 جزء، بيروت، 1983م.
9. محمد بن الحسين البيهقى الكيذرى، حدائق الحقائق فى شرح نهج البلاغة، ط2، 1 مجلد، قم، 1416هـ.
10. الكلىنى الشىخ الكلىنى (محمد بن يعقوب/ت329هـ) أصول الكافى، تحقيق على اكبر غفارى، ط8، 3 مجلدات، طهران، 1388هـ.
11. الشىخ الصدوق (محمد بن على/ت381هـ)، التوحيد، تحقيق هاشم الحسينى، نشر جماعة المدرسين، قم، 1387هـ-1967م.
12. على بن الحسين بن بابويه القمى /ت329هـ، الإمامة والتبصرة، قم 1404هـ-ق-1363 هـ.ش.
13. محمد تقى المدرسى، الإمام الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، دار البصائر، طهران، 1414هـ.
- 14- حسن الشيرازى، كلمة الإمام الحسين (ع)، ط2، دار العلوم، بيروت، 2000م.

لغة الخطاب للمرجعية الدينية وواقعة الطف ودورها في محاربة الإرهاب

أ.د. إنعام قاسم خفيف
جامعة ذي قار

محمود محمد الجبوري
كلية الآداب - جامعة الموصل

لغة الخطاب للمرجعية الدينية وواقعة الطف ودورها في محاربة الإرهاب

أ.د. إنعام قاسم خفيف
جامعة ذي قار

محمود محمد الجبوري
كلية الآداب - جامعة الموصل

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين ناصر المؤمنين الصادقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين.

إن لغة الخطاب الحسيني للمرجعية الدينية المستوحاة من واقعة الطف الموجهة ضد التطرف والارهاب الذي يمثله داعش الارهابي هي لنبذ كل انواع التطرف في الاسلام و تقديم صورة الاسلام المعتدل الذي لا ينخرط في النزاعات السياسية.

لقد كان فحوى لغة الخطاب للمرجعية الدينية هو الحوار المعتدل الذي يدعو للتعايش السلمي الذي اصبح اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية لاسيما في مجتمعات اصبحت تسودها المنازعات والتناحرات وذلك من اجل الوقوف امام كل المخاطر التي تستهدف البشرية جمعاء، وعليه يجب العمل بكل الوسائل لتطبيق مبادئ عالمية الاسلام لارساء اسس السلام العالمي. وذلك من اجل خلق توجه اكثر وضوحا للممارسات الصحيحة في بناء المجتمع والقضاء على النزاعات، ومحاربة التطرف والارهاب. وقامت المرجعية بدعوة كل من يسمح له الظرف من الرجال للتطوع وتلبية نداء المرجعية لسد النقص الحاصل في القوات المسلحة وحولت الانهيار الحاصل و الذي كان وشيكا الى زخم و طاقة لإيقاف زخم الهجمات وأريكت مخططات الأعداء وكانت دافعا قويا لمعنويات القوات العراقية والشعب العراقي في استلهم روح النصر على داعش الارهابي.

وخلال خطبة صلاة الجمعة في كربلاء المقدسة أعلنت المرجعية العليا في النجف الأشرف ممثلة بالسيد علي السيستاني (دام ظله) فتوى الدفاع الكفائي وكانها وضعت تقدير موقف متكامل للوضع الراهن أنذاك من خلال رؤية كل الحقائق والعوامل المؤثرة النفسية والاجتماعية لمحنة الطف واثرها في استلهم روح النصر لمحاربة داعش الارهابي وناقشتها مع وضع التوقعات المستقبلية وأكملت بدراسة الخيارات المتاحة لتضع القرار الملائم الذي يعيد الأمور الى نصابها. فكانت الفتوى قراراً صائباً وحاسماً لتقدير موقف استراتيجي متوافق مع تجليات وتضحيات واقعة الطف اذ كانت نتائجها مؤثرة وايجابية على كافة الصعد.

والهدف من كل هذا هو أن تكون هذه الملتقيات والمؤتمرات العلمية والثقافية موجبة للتوحد ونبذ الصراعات والاختلافات غير الموضوعية، فإحياء فاجعة الطف ليس مسرحاً للنزاعات، وإنما هو لثبوت منهج الإمام الحسين (عليه السلام) الذي قدم نفسه وأهل بيته فداءً للدين الحق، والذي تستوجب منا الالتزام به في وحدة الكلمة والمشاركة الفاعلة في سبيل ذلك من أجل بناء السلام ومحاربة الإرهاب.

هذه سطور للقضية العادلة للإمام الحسين (عليه السلام) جمعت بين أبعاد الفاجعة التاريخية والفكرية فضلاً عن العاطفية والشعائرية، تتبع فيها ذلك التلازم والتفاعل الحقيقي فيما بينهما إلى الحد الذي تركت أثراً تم استثماره في واقعنا المعاصر لمحاربة الإرهاب والتطرف، فنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) إنما هي متجددة فاعلة في الحياة لا يحدها زمان ولا يقيدتها مكان. لأنها تلتفت الأنظار، وهي الأحرى بإظهار عواطف المجتمع الانساني اجمع، وتجذرهما في أعماقهم واستنكارهم للظلم الذي تعرض له الإمام الحسين (عليه السلام)، على امتداد التاريخ، وهي كذلك مدار السؤال والاستفسار من الآخرين لأنها تنبّه على الحدث وتظهر الفاجعة لاستنباط العبر والدروس منها. وكان الامام الحسين عليه السلام حاملاً قيم ومبادئ و اخلاق واهداف عدت من أهم مرتكزات واقعة الطف.

وسعى الامام الحسين عليه السلام منذ بدء ثورته الى ابراز دوره الثقافي والاجتماعي في بناء المجتمع الانساني على وفق اسس قويمه تحفظ له كرامته وتضمن له حق العيش بسلام في مجتمع انساني يقوم على الاحترام والألفة وحياة تملؤها التواد والتعاطف وفعل الخير والتفاعل والانصهار على وفق اسس تفضي الى جعله فاعلاً ومؤثراً لامهمشاً، والأمثلة اكثر من ان تذكر في هذا المقام، فواقعة الطف هي التراث المشترك للانسانية عبر تاريخها لطويل.

واقعة الطف حصلت لتعديل مسار الفكر الديني والإنساني عامة، وإيضاح الضوابط التي ينبغي أن ينهجها طالب الحقيقة وهذا ما حصل في وقتنا الحالي اذ هبت الجموع اتلبي النداء من اجل بناء المجتمع الانساني السليم. فالامام الحسين عليه السلام جاء ليضع اول لبناته في اصلاح المجتمع السوي على اساس السلم والسلام واعطاء الانسان قيمة عليا في المجتمع ولهذا تتجلى رسالته انها رسالة عالمية في اهدافها ومراميها.

وسلام الإسلام هو الذي يقيم العدالة ويوثق العلاقات ويحقق التعارف والتقارب وفي مجال تحقيق السلام العالمي: ترى المرجعية الدينية من خلال الخطاب الحسيني بأنه لا يمكن تحقيق السلام الدائم والمستمر على أسس عادلة بين الدول ما لم يكن مستندا على قاعدة قوية وراسخة هي بناء السلام أولاً في داخل الدولة، لان بناء السلام الدولي وحفظه يعتمد أولاً على كون الدولة في الواقع تعيش بسلام في داخلها وتؤمن بالسلام للدول الأخرى وهكذا كانت توجيهات

المرجعية الدينية التي تهدف للسلام العادل، ولا تنتظر لأي منها نظرة عدا، فالاسلام والمسلمون بنظرها يجب ان ينظروا الى العالم نظرة تعاون وتعارف وبر وسلام، ورفض كل سلم هو استسلام وضعف وانتهاك للحقوق المشروعة. ان عناية المرجعية الدينية بتعزيز حقوق الانسان والحريات الأساسية وحمايتها تنبثق من قناعتها بما تمثله البشرية من كرامة متأصلة وحقوق ثابتة، ويعد حفظ السلم والأمن من اهم مقاصد المرجعية، بل انه الباعث على اصدار الفتوى، والهدف الأول لها. فدور المرجعية الدينية في مجال بناء السلام أضحي ركيزة أساسية، ومن خلال مناهجها تستطيع تطبيق ما من شأنه ان يبني سلاماً دائماً. ان هذه الدعوة إلى الجهاد، تركز في الحوار إلى النقاط المشتركة بينها وبين واقعة الطف الخالدة في ترجمتها ونقلها إلى ارض الواقع

ان السلام هو القاعدة الأساسية للعلاقات التي تربط المسلمين فيما بينهم ومع غيرهم، فالثقافة السلمية تمكن الشعوب من التعاون والتعارف، والثقافة الإسلامية خطاب في السلام إلى جميع البشر، وحرص الإسلام على التمسك بروح السلام لا يتعارض مع المحافظة على مصالح المسلمين لأنه فرق بين السلام والاستسلام ففي الوقت الذي ينهى فيه عن العدوان كما جاء بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (1).

وبعد وصول التنظيمات الإرهابية إلى المناطق الأمنة والأهله بالسكان، وقتلها الآلاف من العراقيين في الموصل وصلاح الدين، وعدم وجود قوات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة على وقف تقدم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة الوضع الأمني الحالي، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة، لذا جاء دعوة المرجعية الدينية لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي ودعمهم بالمال والسلاح، إذ ان تخاذل السياسيين والانقسام بين الكتل والأحزاب السياسية، دفعها لان تأخذ زمام المبادرة في الدفاع عن الوطن والمقدسات والشعب. وتهدف الفتوى الى بيان مفهوم الجهاد في فكر المرجعية الدينية ورؤيتها المستقبلية والمستوحاة من واقعة الطف الخالدة من اجل حماية العراق وإرساء السلام ومحاربة الارهاب. وهكذا وجد السيد السيستاني(دام ظله) نفسه أمام موقف مصيري وحاسم إذ يجب عليه أن يوازن بين القيم والمبادئ التي اتخذها مسارا لسياسته وبين الظروف الجديدة التي فرضت عليه واصبحت تتحكم في مجريات الأحداث.

❖ واقعة الطف ولغة الخطاب للمرجعية في الدعوة الى الجهاد:

كانت لغة الخطاب للمرجعية الدينية بالدعوة إلى الجهاد الكفائي من أجل الدفاع عن الوطن والمقدسات ضد تنظيم داعش الارهابي.. تلك الدعوة التي لقيت اقبالا كبيراً من قبل الشعب العراقي في سبيل الدفاع عن الوطن ومنع الأعداء من ارتكاب جرائمهم بحق الأبرياء من أبناء شعبنا.. وكانت التضحية بالدماء من أجل

الحفاظ على تربة العراق من دنس العصابات الإجرامية. أن فتوى هذه اللغة في الخطاب انقذت العراق، كما انقذت المنطقة حين اوقفت امتداد عصابات داعش وأفشلت مخططاتها، وشكلت انعطافة حقيقية في المواجهة واستعادة المبادرة لصالح العراق وشعبه وتحقيق الانتصارات المتلاحقة وتحرير العديد من المناطق المغتصبة.

والجهاد فريضة إلهية فرضها الله تعالى على هذه الأمة، كما فرضها على من كان قبلها من الامم ذات الرسالات السماوية، فالجهاد والقتال في سبيل الله ورد بالصيغة نفسها التي وردت بها أركان الاسلام الاخرى، بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (2)، ثم ان الله تعالى رغب عباده المؤمنين بالجهاد وحث عليه ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السموات والارض (3).

وأدلة الكتاب على فرضية الجهاد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَعُودُ لَكُمْ ذُنُوبِكُمْ وَبُدِّخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (4) وهنا جمع الله تعالى الجهاد بالمال والنفوس معاً وفي ذلك اعلى المراتب. وبهذا ابان الله تعالى أن حب الله ورسوله والجهاد في سبيله (فرض) وانه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب الى المؤمنين منه (5).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَنْبِشُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (6). وفي هذه الآية قال المفسرين: ما من مسلم الا والله في عنقه بيعة، وفي بها أو مات عليها (7). وهي بيعة على القتال في سبيله، والبيعة ملزمة لمن بايع شرعاً على القدرة والاستطاعة.

أما أدلة فرضية الجهاد في السنة النبوية المطهرة، فأولها وفي مقدمتها أن النبي ﷺ جاهد بنفسه في غزوات عديدة، فالافتداء بالنبي ﷺ أمر واجب شرعاً لقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (8). كما أن النبي ﷺ حث على الجهاد ورغب فيه (9). فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقيين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (10).

وجعلُ الجهاد في هذه الحالة فرضاً كفائياً فيه حكمة بالغة، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضاً عينياً، لتوجب أن ينفرد الجميع للقتال في الاوقات كلها، ولتوجب ايضا ترك المصالح والاعمال، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة(11)

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان". وفي لفظ: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" وجاءت الفتوى لنصرة المظلومين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (12). وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (13). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (14).

فالجهاد حقيقة اسلامية دعا اليها الله تعالى في كتابه الكريم، ورغب فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحرص المؤمنين على القتال. وعده طاعة من أعظم الطاعات، وقربة من أفضل القربات. وان تركه واهماله فيه مذلة ومهانة، وان التولي يوم الزحف من أكبر الذنوب والمعاصي. ان هذه الدعوة إلى الجهاد تركز على النقاط المشتركة بينها وبين واقعة الطف الخالدة التي تشكل أرضية للحوار ومحاوّر للتفاهم.

ودعوة القرآن الكريم الى الجهاد جاءت صريحة جلية فيها تأكيد واضح، فقد وردت لفظة الجهاد واشتقاقاتها أربع وأربعين مرة في القرآن، كما وردت لفظة الحرب واشتقاقاتها أربع مرات، أما لفظة القتال واشتقاقاتها فقد وردت مئة وسبعين مرة(15).

وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"(16) فلبى ابطالنا الغيارى نداء المرجعية وامنتلوا لاوامرها للدفاع عن الارض والعرض والمقدسات.

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم"(17) والجهاد باللسان له مظهران، جهاد بالتحريض على القتال والحث عليه ثم جهاد بالدعوة والتبليغ واقامة الحجة على الكافرين والمنافقين ومن سواهم(18).

وبالرجوع الى احداث واقعة الطف نجد ان الحسين(عليه السلام) قد ابدى نهجا جديدا في التعامل مع الأحداث، فاخذ يتحدث بكلام مباشر عن السلطة الأموية. وطبيعة نهجها وأسلوب تعاملها، وكان حديثه ملؤه التحدي والمواجهة مُبيناً أن قدومه لم يكن لهوى في نفسه ولا رغبة خاصة دفعته للقدوم الى الكوفة، وحديثه يُبين شدة الألم والمرارة التي وضعه فيها أهل الكوفة، وهذا يذكرنا بما عاناه الإمام علي عليه السلام حين تجرع منهم كل أذى بسبب تواكلهم وتخاذلهم، وذلك قوله: " أيها الناس، إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفئ وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيره، قد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتمكم، إنكم لا تلوموني ولا تخذلونني، فان تمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فانا الحسين بن علي وابن فاطمة(عليهما السلام)، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بابي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من أغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنيني الله عنكم." (19). فهو يرى أن المسلمين جميعاً أمام تكليف عام بوجوب النهوض لمواجهة السلطان الجائر المستحل لحرم الله، الناكث لعهد الله المخالف لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله). وهكذا كان موقف المرجعية من الاحداث الجارية على ارض الواقع لمحاربة الارهاب الجائر المستحل لحرّمات الله.

وفتوى الدفاع الكفائي وضعت لتحقيق موقف متكامل للوضع الراهن أنذاك من خلال رؤية كل الحقائق والعوامل المؤثرة ومناقشتها مع وضع التوقعات المستقبلية وأكملتها بدراسة الخيارات المتاحة لتضع القرار الملائم الذي يعيد الأمور الى نصابها. بالإضافة الى تأثير القرار المتخذ على كافة العمليات الجارية وامكانية حسم المعركة مع العدو في كافة جبهات القتال. كانت الفتوى قراراً صائباً وحاسماً لتقدير موقف مصيري يهدف الى تحقيق نتائج مؤثرة وايجابية على كافة الصعد. وقد أثمر عن هذا التواصل والترابط بين منهج المرجعية ومنهج الامام الحسين(عليه السلام) في غاياته ومقاصده على الرغم من اختلاف الأساليب والأزمان. من دون أن يسعى للحرب وإنما فرضت عليه فرضاً. لأن واقعة الطف كانت ارادة ربانية لحكمة بالغة الأثر لايعرف اسرارها الا الله عز وجل.

❖ أخلاقيات وتجليات واقعة الطف والروح المعنوية للمقاتلين:

يقول الامام علي (عليه السلام): "الجنود بأذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم" (20) وهنا يؤكد الخليفة على

أن الجند حصن الدولة المنيع وعزها ضد أعدائها الطامعين بها، وبوجودهم يتوفر الأمن حيث لا تستطيع أي دولة أن تقوم من غير وجود جند يدافعون عنها وعن وجودها فان وجود الجيش أساس لقيام الدولة فالجند هم الحراس الاميون لحماية الأمة وهم اليد اليمنى للحاكم في تنفيذ المهام الإدارية والسياسية والدينية، وعليهم يعول بحماية الرعية وحماية الدين الاسلامي، وتحقيق الامن والامان. ويعد الاهتمام بالروح المعنوية للمقاتلين عاملاً مهماً وحاسماً في كسب المعركة، ولا ريب ان هذا الجانب من اهم انواع الاسلحة التي يمكن للقائد العسكري ان يستعملها داخل الميدان العسكري، وتتوضح رؤية السيد علي السيستاني (دام ظله) في رفع الروح المعنوية من خلال تحريض المقاتلين على رفض الذل والهوان التي من شأنها ان تضعف الفرد وتطيح بشخصيته.

وكان الامام الحسين عليه السلام قبل الوصول الى ارض كربلاء قد قام خطيباً بين اصحابه فقال: " إلا أن أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل وهانئ فقتلوهما وقتلوا أخي من الرضاعة، فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف من غير حرج وليس عليه منا ذمام، فتفرق الناس واخذوا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة" (21).

وعلى هذا نجد ان الحسين(عليه السلام) أراد أن لا يصحبه إنسان إلا على بصيرة ودراية أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم إنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلا من يريد الاستشهاد معه(22)، وتشير الروايات التاريخية: انه (عليه السلام) قال: "أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الأسنة فليقم معنا وألا فلينصرف عنا"(23)، ونستنتج من ذلك انه فعل ذلك لعلمه ان الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله(24).

وهذا ما نجده أيضاً عند الامام علي (عليه السلام) لما وجد إصرار اهل الشام على القتال ورفض كل مبادرات السلام، أخذ يحرض اصحابه على رفض الذل الذي يريده لهم معاوية واتباعه وفي ذلك يقول: " فاقروا على مذلة... او رووا السيوف من الدماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين "(25)، فعدم ممارسة هذه الفريضة أي جهاد الاعداء هو عنوان للذل والهوان، وهذا ما ياباه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين انما اراد لهم العزة لقوله تعالى: " والله العزة ورسوله وللمؤمنين "(26).

وان أول ما اجتهد فيه مقاتلو الحشد الشعبي في ميدان إعداد القوة تركز على الجانب المعنوي، وأهم ما في الجانب المعنوي يتمثل بالقناعة التامة والمطلقة بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها المقاتلين. وهكذا تراءت امامهم عدالة قضية الامام الحسين عليه السلام ومشاهد ومآثرات واقعة الطف برؤية جديدة، وبأن الجهاد انما هو قتال في سبيل الله، ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا. ولا

أعظم من قضية يجد المرء فيها من قضية العقيدة الدينية الراسخة، وأن يعمل من أجلها. وهذا في حقيقته ما يفسر الاندفاع الهائل للمجاهدين في جهادهم، يتحدون عدو لا يعرف الرحمة، غير أن استمساكهم بالحق الذي يجاهدون من أجله جعل كفتهم هي الراجحة في الاتجاه العام. فضلاً عن القناعات الإيمانية الجديدة التي ترسخت في نفوس المقاتلين ودفعتهم الى أن يقدموا أنفسهم للشهادة من غير تردد إذا تطلب الأمر ذلك طاعة وامتثالاً للدروس المستنبطة من واقعة الطف والمواقف البطولية لسيدنا الحسين (عليه السلام) في نهضته التي يقيم فيها الحق ويدحر الباطل.

ولقد رضي الإمام (عليه السلام) بما كتب الله وقدر له، ولم تضعف همته ولم توهن عزيمته ولم ييأس بالاحداث المروعة التي سيواجهها. وعندما غادر المدينة المنورة، عهد إلى اخيه محمد بن الحنفية بوصية وضح فيها هدف خروجه، حيث جاء فيها: "اني لم اخرج اشراً، ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، انما خرجت اطلب الاصلاح في امة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، اريد ان امر بالمعروف وانهي عن المنكر، واسير بسيرة جدي محمد، وسيرة ابي علي بن ابي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين... فانه اولى بالحق، ومن رد علي اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين"⁽²⁷⁾. وكان الإمام عليه السلام يعلم مقدماً بأنه سيفوز بالشهادة في أرض كربلاء، وكان يعلم تفاصيل تلك الفاجعة وأبعادها، ومع ذلك فقد صحب معه نساء الرسالة وعوائل النبوة، حتى يكونوا شواهد عيان ولوازم نجاح دعوته ونهضته المباركة.

وان مما يعزز الجانب المعنوي هذا للمقاتلين المتوجهين لمحاربة اللارهاب استمساكهم بتقوى الله تعالى؛ ويتمثل ذلك أولاً باصلاح النية والتأسي بالامام الحسين (عليه السلام)، بأن يترسخ في نفوس المقاتلين ان جهادهم ينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى من دون أن يشوب ذلك شائبة من رياء، أو غرض من أغراض الدنيا، فالجهاد هنا: "بذل الوسع في القتال في سبيل الله، مباشرة، أو معاونة، بمال، أو رأي أو تكثير سواد، أو غير ذلك"⁽²⁸⁾. وهكذا كانت الجوانب المعنوية لواقعة الطف، وبهذا لا بد من الاستفادة من قيم واقعة الطف الحقيقية كدروس في المفاهيم والمبادئ الإسلامية فنحن عندما نستحضر الواقعة نحتاج إلى أن نتفهم ونتفقه ونتأدب لنجد أنفسنا مع السجاد (عليه السلام) مجاهداً صبوراً شامخاً مضحياً ومع بطلة كربلاء العقيلة زينب (عليها السلام) جريئة شجاعة صابرة محتسبة وهي تواجه المحنة - وأن ننهل من ينابيع هذه الثورة بما جسده من قيم وأبعاد أخلاقية وتاريخية وسياسية شاملة.

وكان قادة الحشد الشعبي ناجحين في التأثير على المقاتلين من خلال دقة تصرفاتهم، وسلوكهم الشخصي المعبر عن حسن الخلق المتمثل بالخلق الحسيني، ومن خلال اتسام هذه السلوكية باليقظة والنشاط أيضاً، واهتمامهم بالقيم الأخلاقية

الرفيعة كما أن طبيعة كلامهم مع أصحابهم واسلوبهم في ذلك تركت أثراً بالغاً في نفوسهم، فلا يزجرون أحداً، وكانوا رحماء بهم، فكسبوا ثقتهم وحبهم وتعظيمهم لهم، وذلك ما عزز الروح المعنوية حتى غدوا طاقة كبيرة قادرة على الفعل الجهادي المبدع وهذا ملاحظناه على ارض الواقع خلال عمليات التحرير.

ان معطيات الروح القتالية للمتطوعين هي رائدة ضمن هذه المفاهيم والقيم الحضارية للإسلام لنبذ كل انواع التطرف والارهاب في الاسلام و تقديم صورة الاسلام المعتدل الذي لا ينخرط في النزاعات السياسية.

وكان من أبرز الأساليب التي اتخذها المتطرفون هي التظاهر بالإسلام والعمل في إطاره من أجل هدمه. ولم يعتمد المتطرفون على مجال واحد في هذا المنحى وإنما عملوا في أكثر من مجال يحقق لهم أغراضهم واتخذ المتطرفون عن الإسلام الصحيح أساليب متعددة وسواء كان المتطرفون تابعين لمنظمات معادية للدين الإسلامي ام المتشددون للحفاظ على الدين الإسلامي فأنها مؤدية إلى نفس النتيجة.

ولهذا فنحن لا نندهش عندما نرى مقاتلي الحشد الشعبي والقوات المسلحة قد كللت راياتهم النصر، فكانت عقيدتهم السليمة، وقياداتهم الحكيمة، الواثقون بنصر الله، ومعنوياتهم الفائقة، وجهادهم في سبيل الله والاسلام، راغبين بالاستشهاد ومن أجل ان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى كانت هذه كلها العوامل الحقيقية لتحقيق هذا النصر، فكلما كان المقاتلون مطمئنين نفسياً حققوا النصر الناجز بإذن الله، وحتى يكون الأمر جدياً والاعتقاد صحيحاً فإن الأمر يقتضي استحضار هذه الاعتقادات في كل لحظة، وفي كل عمل ليتحول الى يقين راسخ في النفوس ويكون عليه التوكل مع ضرورة الأخذ بالأسباب.

وسلام الإسلام هو الذي يقيم العدالة ويوثق العلاقات ويحقق التعارف والتقارب وفي مجال تحقيق السلام العالمي: يرى السيد السيستاني بأنه لا يمكن تحقيق السلام الدائم والمستمر على أسس عادلة بين الدول ما لم يكن مستندا على قاعدة قوية وراسخة هي بناء السلام أولاً في داخل الدولة، لان بناء السلام الدولي وحفظه يعتمد أولاً على كون الدولة في الواقع تعيش بسلام في داخلها وتؤمن بالسلام للدول الأخرى وهكذا كانت توجهات المرجعية الدينية التي تهدف للسلام العادل، ولا تنتظر لأي منها نظرة عدا، فالاسلام والمسلمون بنظرها يجب ان ينظروا الى العالم نظرة تعاون وتعارف وبر وسلام، ورفض كل سلم هو استسلام وضعف وانتهاك للحقوق المشروعة. ان عناية المرجعية الدينية بتعزيز حقوق الانسان والحريات الأساسية وحمايتها تنبثق من قناعتها بما تمثله البشرية من كرامة متأصلة وحقوق ثابتة، ويعد حفظ السلم والأمن من اهم مقاصد المرجعية، بل انه الباعث على اصدار الفتوى، والهدف الأول لها. فدور المرجعية الدينية في

مجال بناء السلام أضحى ركيزة أساسية، ومن خلال مناهجها تستطيع تطبيق ما من شأنه ان يبني سلاماً دائماً.

وكان من الامور المهمة ضرورة التوكل على الله سبحانه وتعالى، والارتباط مع الباري في اوقات الحرب لما لها من اهمية في تقوية الروح المعنوية للقائد والجنود، وطلب النصر والعون من الله سبحانه وتعالى لانه الناصر والمؤيد، وكان الحسين (عليه السلام) قد رفع يديه داعياً وقال: (اللهم أنت تقني في كل كرب وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عن سواك، ففرجته عني وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة)⁽²⁹⁾.

ونقل عن الامام علي (عليه السلام) انه لما كان يوم بدر كان يقاتل ويرجع إلى رسول الله (ص)، فيجده ساجدا ويقول: "يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم" حتى انزل الله نصره على المسلمين، وفتح الله سبحانه على يديه⁽³⁰⁾، وكذلك الامام علي (عليه السلام) في ايام حروبه جسده على ارض الواقع فقد عرف عنه التزامه الوثيق بالتوكل والدعاء والصلاة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³¹⁾، وقوله: واذكروا الله كثيرا: أي ادعوا الله بالنصر عليهم، والظفر بهم، واشغلو قلوبكم والسننكم بذكره⁽³²⁾. وان الله سبحانه وتعالى قد أمر في هذه الآية بالثبات عند قتال الاعداء والصبر على مبارزتهم "فلا يفروا ولا يجبنوا، وان يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على اعدائهم..."⁽³³⁾. ومن وصايا السيد السيستاني للمجاهدين قوله: (واستعينوا على انفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه، كما كان عليه امير المؤمنين علي عليه السلام وقد ورد أنه بلغ من محافظته على ورده انه يبسط له نطع بين الصفيين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماحيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته)⁽³⁴⁾.

ان طلب الذكر في هذا المجال، وهذا الظرف العصيب يحقق أكثر من غرض، فالذكر الدائم لله سبحانه وتعالى له أثر كبير على معنويات المقاتل فيشعره أنه لا يقاتل وحده بل ان الله معه، فهو يلجأ الى ركن شديد، وحصن منيع، فيجعله لا يخاف لقاء العدو، وهذا يؤدي الى بعث روح القوة والشجاعة والاقدام في نفسه فيتأكد من أن دينه هو دين رجولة وحرية ولهذا يجب أن يكون رجلاً حراً⁽³⁵⁾.

وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا غزا قال: "اللهم انت عضدي ونصيري، بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل"⁽³⁶⁾. وكان يدعو بقوله ايضا: "بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، اللهم اياك نعبد واياك نستعين، اللهم كف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً"⁽³⁷⁾. أو يقول:

"اللهم إنا عبدك، وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم" (38). وكان اذا اصاب قوماً دعا الله قائلاً: "اللهم انا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم" (39). وهذا يدل على الجانب الاخلاقي المهم الذي تمسك به المسلمون، قادة وجنوداً، وابتداءً من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بصفته القدوة والمربي وانتهاءً بأصغر جندي في الجيش، وذلك بتواضعهم الشديد لله قولاً وفعلاً وعدم غرورهم مهما بلغ عدد مقاتليهم أو أسلحتهم.

وكان السيد السيستاني يؤكد للمقاتلين أهمية الثبات وضرورة اليقين بأن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، كما أكد القادة الميدانيون لجنودهم هذه المعاني ايضاً.

❖ وصايا المرجعية ومآثرات النصر على داعش الارهابي:

ومن وصايا السيد السيستاني (دام عزه) للمقاتلين قوله: (وعلى الجميع ان يدعوا العصبية والذميمة ويتمسكوا بكارم الاخلاق) (40)، التي وصف الله تعالى بها رسوله بأنه ذو خلق عظيم كما جاء بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (41)، ودعا الرسول (ﷺ) إلى مخالطة الناس بالخلق الحسن بقوله: "اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" (42).

فإن الله جعل الناس اقواما وشعوباً ليتعارفوا (43)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (44) ويتبادلوا المنافع يكون بعضهم عوناً للبعض الآخر، فلا تغلبكم الافكار الضيقة والانانيات الشخصية وقد علمتم ما حل بكم وبعمامة المسلمين في سائر بلادهم حتى اصبحت طاقاتهم وقوامهم واموالهم وثرواتهم تهدر في ضرب بعضهم لبعض، بدلا من استثمارها في مجال تطوير العلوم واستنماء النعم وصلاح احوال الناس. فاتقوا فتنةً لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة، أما وقد وقعت الفتنة فحاولوا اطفاءها وتجنبوا اذكائها.

ثم يكمل السيد السيستاني وصيته بقوله: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا (45) عملاً بقوله تعالى " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا " (46)، واعلموا أن الله إن يعلم في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما اخذ منكم، إن الله على كل شيء قدير (47)،

لقد صور الامام علي (عليه السلام) مصير الأمة الاسلامية بعد وفاة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالاختلاف والتباس الحق بالباطل، وجعل الباطن ظاهر والظاهر باطن، والافتراق عن الحق، فيقول (عليه السلام): "وايم الله، ما اختلفت أمة بعد نبيها، الا ظهر باطنها على حقها، الا ما شاء الله" (48).

هكذا واجه سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي السيستاني التعصب والفرقة ودعى الى وحدة وألفة الأمة الاسلامية والحفاظ على تماسكها.

ومن الوصايا المهمة للسيد السيستاني التي اثمرت نتائجها (واياكم والتسرع في مواقع الحذر فتلقوا يانفسكم الى التهلكة، فإن اكثر ما يراهن عليه عدوكم هو استرسالكم في مواقع الحذر بغير ترو واندفاعكم من غير تحوط و مهنية واهتموا بتنظيم انفسكم والتنسيق بين خطواتكم، ولا تتعجلوا في خطوة قبل انضاجها واحكامها وتوفير ادواتها ومقتضياتها وضمان الثبات عليها والتمسك بنتائجها) (49) قال سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿50﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿51﴾ وَلَا تَهْتُوا فِي ابْتِعَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿52﴾. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانزِلُوا ثَبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ (51). وان من الامور اللازمة في تعبئة الجيش اذا وصل الى مواقع القتال، ان يتقدمه بعض افراد الجيش كطليعة له، ليختبر ارض المعركة، ويعرف مواقع العدو ويجمع المعلومات الممكنة عنه ولضمان سلامة الطريق الذي يسلكه من الكمائن التي يعدها العدو، وهذا هو عمل " دوريات الاستطلاع " في العصور الحديثة.

ومن وصايا السيد السيستاني المهمة للمجاهدين قوله: " ولا تمنعوا قوما من حقوقهم وإن ابغضوكم مالم يقاتلوكم، وقد جاء في سيرة امير المؤمنين (عليه السلام) انه جعل لاهل الخلاف عليه ما لسائر المسلمين مالم يحاربوه، ولم يبدأهم بالحرب حتى يكونوا هم المبتدئين بالاعتداء، فمن ذلك انه كان يخطب ذات مرة بالكوفة فقام بعض الخوارج وأكثروا عليه بقولهم (لاحكم الا بالله) فقال: (كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال لانمنعكم مساجد الله ان تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفياء ما كانت ايديكم مع ايدينا، ولا نبدأكم بحرب حتى تبدأونا به) (52)

ومما جاء عن النبي (ﷺ) انه في فتح مكة قال: "الا يجهزن على جريح ولا يتبعن مدبر ولا يقتلن اسير" (53) ويؤكد المرجع الديني بالمحافظة على اموال الناس بقوله (الله الله في اموال الناس، فإنه لا يحل مال امرئ مسلم لغيره الا بطيب نفسه فمن استولى على مال غيره غصبا فإنما حاز قطعة من قطع النيران، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (54)، وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال (من اقتطع مال مؤمن غصبا بغير حقه لم يزل الله معرضا عنه ماقتا لاعماله التي يعملها من البر والخير لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويرد المال الذي اخذه الى صاحبه). (55)

ويكمل قوله (دام ظلّه) وإياكم والتعرض لغير المسلمين ايا كان دينه ومذهبه فإنهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرض لحرمتهم كان خاننا غادرا، وان الخيانة والغدر لهي اقبح الافعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه.... بل لا ينبغي ان يسمح المسلم بانتهاك حرّامات غير المسلمين ممن هم في رعاية المسلمين، بل عليه ان تكون له من الغيرة عليهم مثل ما يكون على اهله(56)، والتعامل مع أهل الأديان والعقائد يجب أن يكون على أساس التعاون والتسامح والمصلحة العامة والخير للإنسانية جمعاء، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (57). وتفسيرها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوا في الدين في جميع أنواع الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله ﷻ عمّ بقوله جميع من كان ذلك صفته دون تخصيص أو تمييز بعض دون بعض.

فالعقيدة الإسلامية متحررة من التعصب الديني وقد أكد على هذا العلماء والفقهاء بأن الذمي أو المستأمن لو أكره على الإسلام لا يصح إسلامه حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً مثل أن يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه عنه، ولو عاد إلى دين الكفر بعد إسلامه لا يجوز قتله(58).

وهكذا يتبين أن حرية الاعتقاد في الإسلام حق من حقوق الإنسان التي تثبت بها إنسانيته وكرامته التي جاء بها الإسلام، فإقرار الإسلام لحرية العقيدة أمر طبيعي، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (59)، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (60).

إن مسألة السلم والعدل في فكر الإمام الحسين ﷺ واضحة المعالم، إذ أنها تستمد وجودها من عمق الآداب الإلهية وقيم الرسالة المحمدية، فالإمام الحسين ﷺ على الرغم من قصر فترة خلافته والاضطرابات الخطيرة التي شهدتها الأمة الإسلامية وقتئذ، فإنه كان يدعو إلى العدل والتسامح في الإسلام وإنه كان بحق خليفة المسلمين ورجل دولة يريد أن تكون العدالة والتسامح مبدأ له، وهذا الفكر مستمد من فكر والده أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقد أوصى مالك بن الأشتر النخعي بتوخي السلم بقوله ﷺ: (ولا تدفن دعائك إليه عدوك لله فيه رضى، فإن الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وإرع ذمتك بالأمانة...." (61).

الخاتمة:

ان الغاية من اقامة هكذا مؤتمرات ورعايتها أن تكون وثيقة الصلة بحياة الناس وحاجاتهم وآمالهم بحيث يصبح الهدف الأول لها إنجاح عملية السلام والتعايش السلمي ومحاربة التطرف والنهوض بالأمة نحو المستقبل والذي يؤدي بدوره إلى تطوير المجتمع والنهوض به إلى افضل المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها من المستويات.

فالامة الاسلامية اليوم باشد الحاجة الى الوحدة والتماسك، من اجل الوقوف امام كل المخاطر التي تستهدف الامة البشرية جمعاء، لاسيما وانها تمر بظروف عصبية توات عليها المحن والنزاعات والتناحرات من كل حذب وصوب والتي فرضتها قوى الشر والتسلط والاستعلاء في الارض، فالسلام هو النبع الاصيل لاعادة تنظيم العلاقات بما يوفر امكانية حقيقية لمواجهة كل التحديات والصعوبات

فالاسس والقيم الاسلامية الحضارية للتعايش السلمي والقضاء على الارهاب نستلهما من مآثر ومعطيات واقعة الطف والتي تمثل القاعدة الاساس في محاربة الارهاب، فالايامن الحقيقي بمبادئ هذه الواقعة ومعطياتها يؤدي الى اشاعة الوحدة والتفاهم والتعاون والتعاطف والتراحم بين ابناء المجتمع الاسلامي.

فالطريق لبناء السلام غير محدد بطريقة معينة أو بشكل محدد، ومن هنا يمكن القول انه بالامكان للمرجعية الدينية ان تتبنى تحقيق بناء السلام منهجاً وتطبيقاً وبكل الوسائل المتاحة كونها تعد من المقومات الرئيسية في بناء الدولة، وتزداد المرجعية ومؤسساتها أهمية عند أصحاب القرار المكلفين برسم الخطط التنموية للشعوب والمجتمعات التي يتولون زمام الأمور فيها، مما يترتب على المرجعيات الدينية مسؤوليات جسام في تحديد ورسم الخطط الرامية إلى بناء السلام، فعلى هذه المرجعيات الدينية تحديداً تقع مسؤولية التعاون والتنسيق تحقيقاً للأهداف المنشودة، كونها رائدة في أفكارها وأهدافها ومناهجها.

إن الأمن والسلم والسلام أغلى المطالب وأنفسها، وأهم الضرورات وأعظمها، فبالأمن تصان النفوس والأديان، وتحفظ الأموال والأعراض والأنساب، وتقام الحضارات، وتتطور الدول، وتهاب وتتحقق مقاصدها، فتحقق الأمن للبشرية من أعظم وظائف الرسل والأنبياء.

إن هذه البلاد قامت على ما جاءت به شريعة الله عز وجل من العدل والرحمة والخير والفضل، وبسبب ذلك وبما قام به المرجع الديني تبديل، الخوف أمناً وارقاً، وأماناً وطمأنينة، واستقراراً ورجداً في العيش لقد حرص المرجع الديني على تطبيق كل مبادئ الشريعة وأصولها المستمدة من المنبعين الصافيين، والمصدرين الأصليين للإسلام، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هذين المعلمين الرئيسيين، والأساسين تنبع ضمانات البقاء والنصرة، ويتحقق

تبعاً لذلك العدل وإقامة شعائر الله، ونصرة دين الله، مع الأخذ بمعطيات واقعة الطف الحضارية، وحينئذٍ يطمئن الشعب إلى هذا الحكم القائم بهذه الأصول، ويكتب الله عز وجل بين الراعي والرعية الألفة والمحبة والتعاون والتناصح والتكاتف، وتظهر الوحدة في أجلى معانيها، قائمة على هذه المبادئ والأسس التي هي حكم الله وشرعه، وهذه المبادئ أقام المرجع الديني السيد علي السيستاني فتوته عليها، وجمع الله عليه القلوب، وتوحدت البلاد بصورة لا يعرف لها التاريخ المعاصر نظيراً، وامتد هذا صدى هذه الفتوى الى كل انحاء العراق وأبنائه البررة، وأنجاله الميامين، الذين نهلوا من مدرسة الامام الحسين (عليه السلام)، واستمدوا من معينه الصافي، وورثوا عنه القوة والحكمة والساد والرشاد، ولذلك مكّن الله لهم، وحقق النصر.

إن ما قامت به هذه المرجعية المباركة من تصحيح لأوضاع البلد لهو عين المصلحة، وأساس الحكمة، وعدته من واجباتها، ومن أبرز حقوق مواطنيها، ضبطاً للأنظمة، وإعطاء لكل ذي حق حقه، أن منطق المرجعية هو تحقيق الضبط والعدالة، مع تغليب الرحمة والإنسانية، وإن المسؤولية علينا كمواطنين نعيش على الثرى الطاهر، والبلد المبارك أن نعرف نعم الله علينا، وأن نلتزم بهذه الوصايا التي صدرت من ولي الأمر، لما فيها من المصلحة الراجحة، فهي من المصالح المرسلّة التي يراعيها الإمام، فتجب طاعته فيها للمصلحة العامة في التزامها، وأوامر ولادة الأمر واجب التقيد بها، والتعبد لله ما دامت تصب في مصلحة البلاد. وإن أوامر ولي الأمر واجبة الامتثال بأمر الله عز وجل

ترى المرجعية أن دورها يعني الأشراف على امور المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية وهي تكليف وليس تشريف وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزاً سياسياً، لذا فإن الحفاظ على وحدة العراق في نظر المرجعية ليس شأنًا سياسياً فقط بل هي شأن اجتماعي والشأن الاجتماعي يدخل في دائرة اهتمامات المرجعية.

إن فتوى المرجعية أثبتت أن الشعب العراقي شعب حي ومتفاعل من خلال تطوعهم للدفاع عن الوطن وما الانتصارات الأخيرة التي حققتها قواتنا الأمنية وأبطال الحشد الشعبي إلا ثمار هذه الفتوى". أن فتوى الجهاد الكفائي وانتصارات الحشد الشعبي بمثابة رسالة توجه الى العالم تؤكد فيه أن واقعة الطف ولغة الخطاب للمرجعية الدينية مساراً واحداً نحو تحقيق السلام.

إن نهضة الإمام (عليه السلام) أحدثت تحولاً إيجابياً في المجتمع الإسلامي وتفكيره في قضاياها الدينية والدنيوية، وفجرت فيه روح الإسلام المحمدي الحي، ومازالت إلى الآن منهلاً يرتوي منه الأحرار ومناراً يستضاء به في ظلمة الطغيان والارهاب، وفكرًا يوظف في كل زمان ومكان.

وهكذا تبقى واقعة الطف هي واقعة القيم والمعاني السامية ومنابر فخر واعتزاز ورتاء للتجدد والعطاء كونها رمزاً وأثراً حضارياً شامخاً ينبغي أن ننقله إلى العالم أجمع من أجل بناء السلام العالمي. وهذا يفسر سرّ خلود واقعة الطف.

لقد كانت رسالة نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) بمثابة الفتح الجديد للدين الإسلامي بعد أن حرقته السلطة عن مساره وتركته عرضة للتشويه والضياع فلم يبق له إلا الحسين (عليه السلام) وثورته الخالدة

ونسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وأمننا ووحدتنا ووطننا، وأن يرد عنا كيد الكائدين، وإرهاب المعتدين، وضلال المضلين، وأن يوفق ولاة أمرنا إلى ما فيه الصلاح والإصلاح، إنه سميع مجيب.

على الرغم من كل ما تميزت به من الاهتمام فما زالت جوانبها المباركة مدار بحث ودراسة، وذلك لأنها كانت بأمر الله تبارك وتعالى.

ولهذا فإن ثمة مسائل وأمور ينبغي ان تثار من خلال هذا المؤتمر وكيفية معالجتها ومن تلك المسائل التي يمكن مناقشتها منها: ماهو الهدف لتحقيق التعايش السلمي والقضاء على الارهاب وماهي الحلول التي يمكن ايجادها لتتناسب مع المجتمع العراقي الذي مازال في صراعات شرسة؟ وماهو دور المرجعية الدينية في ذلك ودور العتبات المقدسة كونها راعية لهكذا مؤتمرات؟ وماهي الغايات والنتائج والقيم التي ستحدد للقضاء على الارهاب والتطرف في العراق والعالم؟ وماهو دور المجتمع الدولي ومنظماته لمحاربة الارهاب؟ وفي ضوء هذه المسائل سنحاول توضيح مانعنيه بالدعوة لمحاربة الارهاب من خلال تجليات واقعة الطف ثم بيان كيفية انعكاس ذلك على تطوير المجتمع.

الهوامش:

- (1) سورة البقرة، الآية 190 .
- (2) سورة البقرة ، الآية 216 .
- (3) عبد الله ابن المبارك، الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسية للنشر، (تونس : 1972)، 15 .
- (4) سورة الصف ، الآية 10- 13 .
- (5) احمد بن الحسين البيهقي ، شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1410هـ)، 363/1 .
- (6) سورة التوبة، الآية 111 .
- (7) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب ، ط1، (الرياض : 2003). 5/12.
- (8) سورة الأحزاب ، الآية 21 .
- (9) محمد يوسف الكاند هلوي ، حياة الصحابة تحقيق : عادل أنور خضر، دار الجيل ، (بيروت : 2005)، 300 /1 .
- (10) سورة التوبة: 122

- (11) محمد بن أبي سهيل السرخسي ، المبسوط، مطبعة السعادة ، (القاهرة : 1324هـ) ، 3/1 .
- (12) سورة النساء، الآية 75.
- (13) سورة النساء، الآية 74.
- (14) سورة التوبة، 111.
- (15) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، (بيروت : 1986) دار الفكر، ينظر الصفحات : 182-183-196 ، 533-536 .
- (16) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، تحقيق: مصطفى اديب، دار ابن كثير، (بيروت: 1987) كتاب الجهاد والسير ، 2957 .
- (17): محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، (بيروت : 1985) ، 2 / 1124 .
- (18) سيد قطب ، هذا الدين، دار القلم، (دم : 1961) ، 10-11 ؛ د. عبد الكريم زيدان ، اصول الدعوة ، 273 ؛ محمد متولي الشعراوي ، السيرة النبوية، مكتبة التراث الاسلامي ، ط2 (القاهرة : 2001) ، ص 460-462 .
- (19) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص85؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص403؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص502؛ النويري، نهاية الإرب، ج20، ص419؛ القاضي نور الله التستري، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، (قم: 1405هـ)، ج11، ص609.
- (20) عز الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم، (القاهرة: 1959)، 5/39
- (21) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص377؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص496؛ النويري، نهاية الإرب، ج20، ص415.
- (22) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص377؛ المفيد، الإرشاد، ص223؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج1، ص595.
- (23) القندوزي، ينباع المودة، ص406.
- (24) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص377؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص179؛ النويري، نهاية الإرب، ج20، ص415؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص182.
- (25) نهج البلاغة ، 88 .
- (26) سورة المنافقون، الآية 8 .
- (27) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج، ص73، القرشي ، حياة الإمام الحسين، ج2، ص264.
- (28) ابن عابدين : محمد أمين ، حاشية ابن عابدين، المطبعة الكبرى، ط3 (القاهرة : 1324هـ) ، 3 / 336 .
- (29) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص422، المفيد ، الارشاد، ج2، ص96.
- (30) عماد الدين اسماعيل بن عمر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط2 ، مكتبة المعارف (بيروت: 1974م) 3 / 176 .
- (31) سورة الانفال، الآية 45.
- (32) الطبري ، جامع البيان ، 11 / 213 .
- (33) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2 / 317 .
- (34) ينظر: كتاب ومنهم من ينتظر، قصص وثائقية عن شهداء الحشد الشعبي، (صادر عن مركز الحوراء زينب عليها السلام) في العتبة العباسية المقدسة، (2017م)، 2 / 174.
- (35) محمد عبد القادر ابو فارس ، تفسير سورة الانفال، مكتبة المنار ، ط1 (الزرقاء : 1986) ، 100-101 .
- (36) أبو عبد الرحمن الوادعي ، الجامع الصحيح ، 3 / 232 .
- (37) عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، عيون الاخبار، المؤسسة المصرية العامة (القاهرة 1963م) ، 1 / 203 .
- (38) السرخسي ، شرح السير الكبير ، 1 / 226 .

- (39) محمد بن احمد ابو حاتم البستي ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ، ط2 ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت 1414هـ) كتاب السير ، ذكر ما يستعين المرء به ربه جل وعلا على قتال أعداء الله (4745).
- (40) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، 196.
- (41) سورة القلم الآية 4.
- (42) سنن الدارمي، 323/2.
- (43) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، 196.
- (44) سورة الحجرات، الآية.
- (45) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، 196.
- (46) سورة ال عمران / 103 .
- (47) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، 196.
- (48) ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الامالي، تحقيق: مؤسسة دار البعثة، ط1، دار الثقافة، (قم: 1414هـ)، 13.
- (49) ومنهم من ينتظر، 183.
- (50) سورة النساء، الايات، 102-104.
- (51) سورة النساء، الآية، 71 .
- (52) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، 129.
- (53) القاسم بن سلام أبو عبيد، الاموال، تحقيق: محمد حامد الفقي، (دم: دت)، 65.
- (54) سورة النساء، الآية 10.
- (55) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، 112.
- (56) ومنهم من ينتظر، 107.
- (57) سورة الممتحنة، الآية 8.
- (58) للمزيد ينظر : محمد بن إدريس الشافعي، الأم، دار المعرفة، ط2 (بيروت: 1973)، 238/4؛ شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد الشهير بالشافعي الصغير الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: 1938)، 435/6؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي ابن مفلح، الفروع، دار مصر، ط2 (القاهرة: 1967)، 172/6؛ أبو الحسن علاء الدين علي بن عباس ابن اللحام البعلي، القواعد والفوائد الأصولية، السنة المحمدية (القاهرة: 1956)، 47؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، المحلى، تحقيق: محمد منير الدمشقي، دار الطباعة المنيرية (دمشق: 1350هـ)، 329/8.
- (59) سورة يونس، الآية 99.
- (60) سورة هود، الآية 118.
- (61) الإمام علي، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، الدار الإسلامية (بيروت: 1992)، 490/3. للمزيد والاطلاع على عدالة وتسامح الامام علي عليه السلام، ينظر: ابن شهر اشوب، مناقب آل ابي طالب، تصحيح: لجنة اساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية(النجف: 1956) ج2.

تضحيات أهل الأندلس المالكية في إحياء واقعة الطف بمؤلفاتهم وقصائدهم

أ. د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي أ. د. محمد بشير حسن راضي العامري
الجامعة العراقية - بغداد جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

تضحيات أهل الأندلس المالكية في إحياء واقعة الطف بمؤلفاتهم وقصائدهم

أ. د. عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي

الجامعة العراقية - بغداد

أ. د. محمد بشير حسن راضي العامري

جامعة الامام جعفر الصادق (عليه السلام)

مقدمة: توضيح مفاهيم موقعة الطف:

إن ثورة الامام الحسين (عليه السلام) ضد الظلم والقهر والعبودية ولنشر العدل والمساواة والحريات والدفاع عن الاسلام واهله، صارت ثورة عالمية في افكارها وتأثر بها حكام الدول بالتاريخ البعيد والقريب مثل الفيلسوف غاندي الهندي الذي قال: " تعلمت من الحسين (عليه السلام) ان أكون مظلوماً فأنتصر "

كانت الدروس والعبر التي رافقت معركة الطف وطريقة التعامل بقوة السيف مع احفاد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) دون مراعاة للقيم الانسانية وعدم المبالاة في حجم الخسائر والدماء وقطع الرقاب وقذفهم بأبشع الألفاظ الكلام والتشريد الذي طال النساء والكهول والمرضى وقتل الطفولة وهتك الشرف والاعراض صار لها ردود افعال سلبية على الحاكم الاموي، يزيد بن مرجانة وحقده وحقارته وبشاعته في مواجهة حقوق الانسان ومحاربة صوت الحق والتضحية التي دفعت الحسين (عليه السلام) وعياله الى الامام لأصلاح الوضع المتردي في العراق بطلب من اصوات ودعوات شؤيفة لأنقاذ المجتمع الاسلامي، وقد صرح الامام وأوضح في خطبته الشريفة منادياً: " لم أخرج اشرو لابطراء، انما خرجت لأصلاح امة جدي رسول الله "

ان الدافع والهدف الاساس هو عملية الاصلاح الديني والاجتماعي وزرع روح المحبة والأخوة والاحترام والعمل على انقاذ تعاليم الاسلام والحفاظ على وحدة اصول الدين خوفاً عليها من الضياع، وهذا ما حدث في التاريخ الاندلسي ايضاً بعد سقوط الخلافة الاموية في قرطبة cordoba على يد عصابات من قادة جند واقطاع ونبلاء وزعماء القبائل في اعنف مرحلة تدهور وعصر من الظلام في حكم دويلات الطوائف من المدن الاندلسية والتي استولت ونهبت مدن الاندلس من مجموعات اراهبية من الوصوليين المنتفعين وابرزهم: بنو جهور --- قرطبة، بنو عباد --- اشبيلية، بنو زيري --- غرناطة، صمادح --- المرية،

بنو ذي النون --- طليطلة، مرسية --- العامريون، قسطة --- بنو تجيب.

حدثت النزاعات والانقسامات والفتن والنهب للمال العام والخيانة والاتصال بالنصارى وشراء الذمم وانتشار فساد الاخلاق، وكثرة الجوّاري والعزوف عن الزواج وتعدده بين الحكام الفاسدين واتخاذ الالقاب السلطانية الفخمة التي لاتناسب الحاكم في دولته، وغير لائق لسيرته الذاتية، حتى ان الشاعر الاندلسي ابن رشيق القيرواني انشد قائلاً:

مما يزهدني في ارض اندلساً اسماء معتضدٌ فيها ومقتدر
القباب مملكة في غير موضعها كالهر تحكي انتفاخاً صورة الاسد

المبحث الأول: عصر الطوائف بالمدن الاندلسية – الدروس والعبر بالتضحيات:

شهد التاريخ احلك عصر عاش الاسلام في الاندلس في اعنف صراع طبقي وطائفي وعسكري لغايات فردية واطماع بخيرات بلد الاندلس، وقد التفت الامير المعتمد ابن عباد حاكم اشبيلية الى الوضع المأساوي بعد ان استغل ملوك الاسبان هذا التدهور والانقسام الخطير وقد تمكن حاكم مملكة قشتالة الفونسو السادس Alfonso من احتلال مدينة طليطلة واسقاطها عام 478هـ، وقد دق ناقوس الخطر بما يحدث بالاندلس، وقد تعالت الصراخات والنداءات لانقاذ الاسلام من الكفار، وقد انشد الشاعر الاندلسي ابن العسال التطيلي نداء عاجل بابيات تحمل معاني واغراض بقوله:

ياهل اندلساً حثوا مطاياكم فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وأرى ان ثوب الجزيرة ينسل من الوسط

يعني بالثوب مدينة طليطلة قاعدة الثغر الاندلسي الاوسط التي سقطت بغفلة انشغال حكام الطوائف بمصالحهم، وكان لا بد من حل للحفاظ على الاسلام في اسبانيا، وكان للعلماء والفقهاء ورجال الدين عام مواقف بطولية مشهودة وقالوا كلمة الحق في حث الامير المعتمد بن عباد في دعوة اهل المغرب من المرابطين الملتئمين لعبورهم وانقاذ الاسلام واهل في ارض الاندلس، وقال عبارته الحكيمة بالمعاني والهدف وهي " رعي الجمال خير من رعي الخنازير".

لقد كان لاصداء اهل العراق بموقعة الطف في 10 محرم عام 61هـ في دعوة الامام الحسين بن علي (عليه السلام) تشابه الصورة التاريخية في التضحيات والمثل السامي امام المعتمد بن عباد في انقاذ الاسلام، وهي الحقيقة التي لا مفر منها، الجهاد والشهادة من اجل الاسلام واهله والحفاظ على المكاسب، كان العراق مركز الائمة والكوفة عاصمة الخلافة الراشدة الاسلامية وقاعدة الحكم في عصر الخليفة الراشدي الرابع الذي استشهد في مسجدها في منتصف رمضان من اجل كلمة الحق والقيام بالواجبات الاسلامية وقد نال الشهادة بقول امير المؤمنين (عليه السلام): " فزت ورب الكعبة" وقد ضحى من اجل حقوق الانسان، وقد منح الباربي عز وجل ابنه سيد شباب اهل الجنة ابا عبد الله الحسين (عليه السلام) الفوز بالشهادة التي اصبحت لها اصدااء وبصمات ودروس وعبر الفكر الحسيني اكااديمية يتعلم منها

البشر مقارعاً الطاغوت وزمرة بني امية، وذكرها لمدارس وجامعات ووسائل وحلقات انتشرت في كل بقاع الأرض.

نحاول ان نعرض اصداء الثورة الحسينية في الاندلس وهم يعتنقون المذهب المالكي امام المدينة المنورة بعد الاوزاعي والظاهري، اذ تعاطى اهل الاندلس مع الواقعة الأليمة لمدادواة جروحهم وأخطأهم واسفهم والسلطة الاموية بالاندلس غضت النظر عن ممارسة الاحتفالات والذكرى لان اجدادهم ارتكبوا بحق احفاد الرسول الكريم (ﷺ) الشنيعة والجريمة.

انتهز اهل الفكر الاندلسي وتعاطفوا مع مأساة الامام الحسين (عليه السلام) من المؤلفين المؤرخين والادباء من الشعراء والمتصوفة في تخليد العاشر من محرم الحرام في القصائد الشعرية في تأليف الكتب الخاصة بواقعة الطف ومن ابرز اعلام الاندلس الذي اهتم وحرص ودرس وتأثر بشهادة الاحرار سيد الشهداء المؤرخ ابن الأبار وصنف كتابان هما:

-كتاب " معدن اللجين في مرآتي الحسين".

-كتاب " دُرر السمط في خبر السبط".

ويبدو من كلامه ان ابن الأبار دخل التشيع في قلبه ولسانه، وليس بالصعوبة اذ عدد من النصارى الاسبان قد اسلموا وصاروا بالمولدين، ومنهم قلدوا وتأثروا بالاسلام وهم المستعربون الذين امتنعوا عن اكل لحم الخنزير وشرب الخمر وختان الاولاد ووضع الحناء على شعورهم والتكلم والتثقف باللغة العربية وآدابها وارتداء الملابس العربية، فكيف بمسلم يرى ويقرأ ويؤلف عن حفيد الرسول الكريم الذي قال فيه جده (ﷺ) " الحسين والحسين سيدي شباب اهل الجنة" وهو مظلوم لم يعتدي او يسرق او يقتل او يعتدي على حقوق الانسان، وقد اسلم عدد من علماء اسبانيا بعد ثقافتهم بالاسلام واللغة العربية وصنفوا وترجموا في التراث الاندلسي امثال: فرانسكو وكوديرة زيدان، قيل بني امية وغيرهم، هذا حال عطف قلوب بني البشر الذين يبصرون العدل والحق والحرية.

مما يجدر الاشارة اليه دخل الاندلس من اتباع وموالي بني امية واحفادهم الذين اشتركوا في مواجهة الامام الحسين بن علي (عليه السلام) وحربه في معركة الطف في 10 محرم سنة 61هـ من اهم هؤلاء شمر بن ذي الجوشن الكلابي الذي حارب الامام وقتله بيده الأثيمة وسيف الذميمة ثم هرب من الكوفة الى بلاد الشام خوفاً من انتقام المختار بن ابي عبيد الثقفي ودخل الى الاندلس مع طالعة بن شمر القشيري، وكان حفيده الصميل بن حاتم من أكبر القوادفي في الاندلس ووزيراً للوالي الاندلسي يوسف بن عبد الرحمن الفهري (1).

كما ان الوالي عبد الملك بن قطن الفهري الذي أفلت من سيوف بني امية يوم الطف (الحرّة) في 10 محرم سنة 60هـ وكان بني امية تابعوه وكان جزاؤه على ذلك ان صلبوه ومثلوا به سنة 123هـ/ 741م⁽²⁾.

اهتم امراء بني امية في بناء دولتهم في الاندلس نظراً لغناها وخيراتها وموقعها وعزلتها بالبحار وقربها من المغرب الاسلامي، وكان يرى خلفاء بني امية منهم مسلمة بن عبد الملك يؤمن بها وهي ان الاندلس ستكون مستقر دولتهم الثانية⁽³⁾، وبذلك يمكن القول ان الاندلس اموية النفرعة ولم يظهر وينتشر بها مذهب التشيع، اذ سعى امرء الاندلس الامويون في أخماد الثورات والفتن والحركات المناوئة لنظامهم وضرب كل ثورة بقوة اذا كان هاشمية او عباسية او علوية او فاطمية، ومع ذلك ظهرت تيارات وافكار متعاطفة مع ثورة الامام الحسين (ع) ومعركة الطف ومحاولة نشر الفكر الشيعي في الاندلس على مر المراحل والعصور.

البوادر الاندلسية في تابين واقعة الطف ذكرى العشر من محرم الحرام:

لا يمكن عزل الفكر الاسلامي المشرقي عن وصوله الى الاندلس اذ كانت الاخبار والحوادث والمناسبات تصل وتعتبر الى الاندلس اسرع من البرق، كما وصفها ابن بسام الشنتريني صاحب كتاب الذخيرة بقوله اذا انعق غرب في المشرق دوى اصواته في ارض الاندلس، وبذلك يؤكد اهتمام اهل الاندلس باهلهم في المشرق، ومثل واقعة الطف واهميتها وحجمها وثقلها الحربي والانساني والاجتماعي في تاريخ حقوق الانسان، كان لها اصداء واضواء وبصمات في نفوس المسلمين مهما كانت ديانتهم ومللهم ومذاهبهم، فقد ابكت الطير والجماد قبل الانسان فقد عرف اهل الاندلس تفاصيل الجريمة النكراء التي اقترفها نظام بني امية على ريحانة رسول الله (ﷺ) ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ومفخرة الاسلام وقدوة الام المثالية زوجة بطل الخندق الذي ضحي بحياته لانقاذ الرسالة المحمدية الذي قال فيه بني الامة الاسلامية: (ان مدينة العلم، وعلياً بابها ممن اراد العلم فليدخله من بابها) شعر اهل الاندلس بواجبهم الديني في مشاركة العباد في تابين سيد الشهداء ابا الاحرار سيدنا ومولانا ابا عبد الله (عليه السلام)، غير مباليين بالنظام السياسي المعادي للشيعية والذي يتحمل ما اقترفه من ابشع جريمة في التاريخ بحق ال بيت النبوة، فعند الشيعة الامامة العاشر من محرم الحرام عام يوم حداد وحزن واسى وتأمّل ودروس وعبر وسيل لمقارعه ظلم اعداء الاسلام بعيداً عن مظاهر الفرحة والزينة والغناء، فيه تقام المجالس الحسينية والخطب الدينية بذكرى مقتل الامام واهل بيته، ويتوسعون في عمل الاطعمة وتوزيعها على الجميع وتقديم الماء تذكيراً بعبطش الامام وابنه واخته وعوائلهم وكان لاخته الامام العباس ابا الفضل الذي لعب دوراً بطولياً في اطفاء العطش في كربلاء له مكانه في نفوس المسلمين.

حاول احباء ال البيت من العلماء والفقهاء في تقديم ما أمكن في الوفاء للذكرى الاليمة في حث اهل الاندلس في الاحتفال التابيني لواقعة الطف، على ارغم من عدم حصولهم على موافقتهم من الحكام الامويين في الاندلس فهي تجربة في مخاطرة فداء لابي الاحرار سيد الشهداء، وهو موقف سجله التاريخ للفقهاء الاندلسي عبد الملك حبيب (ت 238هـ / 842م) من اعلام وكبار فقهاء قرطبة ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم (الاوسط/ الثاني) الذي يبدو هو كان الاخر متعاطفاً مع الحق والعدل والمساوات في عدم اتخاذ اجراء معاكس على ذلك- ولم يذكر لنا التاريخ الاندلسي بذلك- خاطب الفقيه عبد الملك حبيب الامير الاندلسي عبد الرحمن الثاني بالايبات الحسينية في العاشر من محرم، يذكر الامير على احترام قدسية المناسبة كما جاء:

لاتنسى- لاينسك الرحمن- عاشورا وأذكره، لازالت في التاريخ مذكوراً
قال النبي- صلاة الله تشمله قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في انفاق موسمه الا يزال بذلك العام ميسوراً

بهذه الايبات يصح افكاره بأنبه على مقام به جده اللعين يزيد بن معاوية ويحثه على عمل الموائد والانفاق والاعتذار للبشرية على الجريمة التي اقترفها جده بحق ربحانه الرسول الاعظم وابنته ووالده صلوات الله عليهم وسلامه على ارواحهم الطاهرة يوضح له ان من انفق للثورة الحسينية من اموال وتصدق على الفقراء رد له باضعاف ما انفق، ويبدو ان الفقيه شيعياً بالروح واللسان من حيه بهذه الفقرات الرائعة المعاني (4).

حدث ردود فعل عند اهل الاندلس جراء الصحوة الدينية التي نادى بها فريق من فقهاء الاندلس المعتدلين من الملكية، بنفس الوقت ظهرت روح العداء لمعاوية وابناءه جراء فعلتهم الشنيعة في استخدام العنف المفرط في مواجهة الثورة الحسينية في العاشر من محرم فظهر فريق من الشباب الاندلسي في لعن لبني امية من خلال ماورد بيت من الشعر بقوله (5):

ومن يكن يقدر في معاوية فذاك كلب من كلاب عاوية

المبحث الثاني: بؤادر المؤرخين في التعاطف مع الثورة الحسينية في الاندلس:

ظهرت طبقة من العلماء والمؤرخين مما دفعهم الحق والعاطفة مع ال البيت النبوة ان يهتموا في مؤلفاتهم في ذكرى نصوص تشير الى بؤادر التشيع في الاندلس والاهتمام بفكر الائمة المعصومين، ومن يتابع ويترصّد كتبهم والنصوص التي تحمل صبغة خضراء وشعار العلويون يتهمون بنشر الفكر الشيعي في الاندلس ومن هؤلاء القاضي (قاضي الجماعة) منذر بن سعيد البلوط في الاندلس الذي اقضى في عصر عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله بان له معتقدات شيعية يتهم بها من ابن حيون الحجازي.

التفت الجغرافي المقدسي الى الاندلس ومحاولات نشر المذهب علي ارضه وافكاره المذهبية حيث يسود المذهب المالكي امام المدينة وكتابه (الموطأ) الذي ادخله شبطون ايام الامير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل الى الاندلس وقد شكره الامام مالك واشاد بموقفه، ذكر نصاً مفيداً فحواه (ان الاندلسيين اذا عثروا على شيعة فرما قتلوه) (6).

هذا في القرن الرابع الهجري ايام الخلافة الاموية في الاندلس الذي اشتد العداء والنزاع الحربي مع الفاطميين في المغرب ومصر، اذ هاجما كل منها اسطول الآخر واحراقا في المرية الاندلسية والاسكندرية مما دفع بالحاكم الفاطمي على ارسال التاجر الجاسوس ابن حوقل النصيبي لجمع المعلومات المهمة عن اعداد الجند والاسلحة والمراكز الحربية وعدد قطعات السفن البحرية لغرض مهما جملة الاندلس في اقرب فرصة مباغتته، وقد سجل ابن حوقل جولاته في مدن الاندلس في كتابة صورة الارض فيه معلومات مفيدة واحصائيات مالية وصناعات وتنظيمات عسكرية غاية في الاهمية وهي نادرة في الفائدة مع نصوص ملفقة من أجل كسب عطف الخليفة الفاطمي والحصول على الاموال والهدايا وارضاء مزاحه في تقومه على عدوه الاموي الخليفة الناصر لدين الله الحقيقة التاريخية ان روح العداء بين الخلافة الفاطمية والخلافة الاموية في الاندلس ما كان له ان يصل الى مراحل عسكرية خطيرة بسبب التهور او تدخل بعض الفقهاء والقضاة ذوي التعصب الاعمى والمغالاة والحقد على اتباع آل البيت بدون تفكير وتعقل ذلك التصعيد الفكري الخطير، وصارت الاندلس تحكم بالحزب الاموي الواحد والمذاهب المالكي وحاربت كل التيارات والافكار والمذاهب بعنف كما ذكر لنا التاريخ الاندلسي، اذ ان حادثة الربض في عصر الامير الحكم بن هشام المعروف بالربضي كانت تحمل طابع التشيع في بعض جوانبها من الفقهاء الذين ارتضوا على سيرة الامير في معاقرة الخمر والسهر حتى اذان الصبح في فضائح اللهو والترف والفسق والفجور، فيذكر ان عدد من الشباب الاندلسي المؤمن كان يتالمون كما يشاهدون الانوار الساطعة في ارجاء قصر قرطبة والرقص والغناء مع اذان الفجر فاقترب مجموعة من هؤلاء واخذوا ينادون باصواتهم العالية نداء استغاثة بسم الاسلام (قم يا مخمور الى الصلاة !!) تأكيداً الى انصراف الحكم الاول الربضي الى اللهو والترف وفي قلبه القسوة اذ كان يربط عند باب قصره الف فرس كقوة للطواري عند الحاجة او التظاهر على قوة نظامه، والحقائق تؤكد كيف تعامل مع تظاهرة سلمية للحرفيين اصحاب سوقة قرطبة من الحدادين او الصقيل، عندما قتل جندي من القصر احد رفاقهم بالسيف فهرعوا للقبض عليه وتسليمه للعدالة لكنه اختبىء بالقصر ودافع الامير الحكم الربضي وحماه باطلاً واحرق حي الربض شقنده بقرطبة وقتل اعداد من الابرياء وهرب عدد كبير من العلماء والفقهاء والعامّة الى فاس خوفاً من بطش الامير الحكم الربضي الذي عرف عنه بالبطش.

اما ظاهرة اللعن والشتم والقذف بعبارات ذميمة (ال البيت العلوي) وهي من أبشع ماكان يحدث، فالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز اوقف شتم العلويون من..... عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله وابناءه كما ورد في نصوص كثيرة.

حاول الخلفاء الفاطميون كسب بعض حكام الطوائف وجمع شملهم ونسيان العداء التقليدي لا مبرر له، من ارسال السفارات وخطابات واتصالات وفود من دون جدوى وتحقيق هدف.

التعصب والتطرف موضع رفض من الفقهاء المعتدلين، فالذي ساد في تلك الاونة التعامل بالمثل من خلال مجريات الحوادث التاريخية، وعقلية الحاكم وثقافة تعكس سيرته في التعامل، يذكر في سنة 300هـ قبض على احد ابناء التجار الاندلسيين واسمه ابو جعفر ابن خيرون، وكان من كبار اثرياء القيروان ويملك مسجد وعدد من الفنادق، وتم قتله وذلك بأمر من القاضي المروزي لادانته من قاضي الشيعة (7).

هذا الامر انعكس على نظرة وسياسة الحكم ففي سنة 309هـ امر عبيد الله المهدي بقتل الزاهد الشذوني، وذلك لتلفضه وتطاوله على بعض الصحابة منهم الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ليكون عبرة (8).

ينقل لنا ابن الأيثار حادثة عن عبيد الله المهدي الذي كتب الى سعيد بن صالح امير لكور ابياتاً من الشعر يدعو فيه الى طاعته في التشيع، فكلف سعيد شاعره الاخمش الطليلي بان يرد على ابياته بابيات شديدة اللهجة (9).

لعب الحمويون وينتسبون الى ادريس بن الحسن العلوي في عصر الطوائف دوراً في بث الفكر الشيعي وكان زعيمهم علي بن حمود الذي يتكلم بالبربرية رغم اصله العربي، ونجح في كسب اعداد من البربر (10).

ان دخول اعداد كبيرة من الرحلات العلمية الاندلسية الى العراق مركز التشيع لتتلمذ على خيرة علماء المذاهب في بغداد والكوفة والبصرة وواسط والتاثر بافكارهم وعاداتهم كما ان الاختلاط مع الحجاج من ابناء المذاهب ساهم في التعرف على حقائق تاتر بها بعض اهل الاندلس ونقلوا مفاهيم جديدة ساهمت في تصحيح ما كان مفهوماً خطأ.

التوتر السياسي الذي حدث بين الفاطميون والامويون في الاندلس، والصراع المذهبي والاحقاد والتجاوزات على مؤسسة الخلافة الدينية شكلت نقاط خلاف خطير، وتبادل الاتهامات والشتمات في اعلان الخلافة انتقاماً وعناداً، اذا اصبحت خلافة في بغداد وفي مصر والاندلس، وقد رفض المعز الفاطمي اعلان الناصر لدين الله نفسه خليفة اموي في قرطبة معترضاً على اجرائه معلماً على ذلك بقوله: (واما ما دعا اليه من السلم والكف والموادعه والصلح وهو يزعم انه امير المؤمنين- كما يتمنى دون سلف من ابائه- ونرى ان فرض الله علينا محاربة من

انتحل ذلك دوننا وادعاه، مع ما بين اسلافنا واسلافه ومن مضى من القديم والحديث من ابائنا وابائه من العداوة القديمة الاصلية والبغضة في الاسلام والجاهلية، وما اعتقدوه لنا في الاسلام وطالبونابه من قديم الايام من لعن رسول الله صلى الله عليه واله، وابعاءهم وقتل من قتله على الشرك والكفر بالله منهم، وطلبهم بئارهم ودمائهم وطلبنا نحن اياهم بمن قتلوه منا كذلك في سلطانهم وايام تغلبهم، فكيف بالصلح الذي ذكره بعد هذا النبأ الجليل خطرته؟ يابي لنا ذلك قول الله عز وجل: (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ابناءهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان) (11).

ما انا بالمدهن في دين الله ولا الراكن بالمودة الى اعداء الله ولا بالمخادع في امر من امور الله! (12).

استطرد المعز الفاطمي بقوله بعد تقديم المبررات الدينية والاخلاقية، في عرض النصائح على الخليفة الاموي في قرطبة في العودة الى عقله وخلع منصب الخلافة الديني والديني لانه لا يجوز ان يكون ثلاث خلفاء في ان واحد وهي صحوه وتصحيح موقف بقوله (ارجع بجوابي هذا اليه فما له عندي سواه، ومالي من الامر شئ، ان الامر كله لله عليه توكلت واليه انيب) فان حركني الله اليه وقذف في قلبي حربه وعزوه ملا اشك ان الله عز وجل اراد قطع دابرة واستئصال شافته وتطهير.

الارض من رجسه وحسم ايامه ومدته، والايقذف ذلك في قلبي ويصرف الى من سواه وجهي فلامر هو بالغه فيه وأملا يقذف ذلك في قلبي ويصرف من سواه وجهي فلامر هو بالغه فيه واملاء هو محتج به عليه ومدته سبقت في علمه له..... ونحن ننتظر من الله عز وجل احدى الحسينيين ونرجو منه لنا خير الامرين: اما نصر من الله يعجله لنا عليه فيشفى قلوبنا وقلوب المؤمنين به، واما ان يملى له على ما هو عليه من معاصيه ومنتاونه ومخازيه، ففي ذلك سرور من رأى عدوه عليه فقد كان يقال: حسبك درك امل من عدوك ان تراه عاملا بمعاصي الله ذلك ان المعاصي تعجل الدماراً وتولج عما قليل عذاب النار) (13).

كانت محاولات جادة من المعز الفاطمي للتعبير عن المهه واسفه عما قام الامويون بحق ابا عبد الله الحسين عليه السلام وهو سيتذكر الحادثة التي اصابت بيت رسول الله وقصد تنكير الخليفة الاموي الناصر ان يتقي الله في العدول عن اعلان الخلافة واسقاطه زادت الاوضاع توتراً بين المعز الفاطمي والناصر لدين الله على اثر خطابات بعثها خليفة قرطبة فيها كلام لايناسب فكره مما زاد غضبه ولم يرد الخطابات الاموية وتعود من الشيطان، ومؤمناً بالحكمة: (اذ نطق السيف سكت القلم) (فامر بتجهيز الجيوش الى ارض المغرب لتتبع كل من مال الى بني امية بالقتل واجتياح هم عن جديد الارض فاذا طهرها الله منهم فيما والا من البر

جهزهم اليهم ان شاء الله في البحر تقطع دابرهم واصعلاقمهم عن اخر هم بحول الله وقوته (14).

توتر العلاقات الفاطمة والاموية في الاندلس الذين صاروا يلعنون الشيعة من على منابرهم والكيل بالشتائم المتبادل، الذي زاد الطين بله!!! كما جاء بالنص: (ثم يبلغنا انه يلعننا على منابرهم كلعن سلفه الفسقة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وينكر علينا لعنة، فنحن ان لعناه بكتاب الله لأنه ممن قال الله فيه وهو أصدق القائلين: (الا لعنه الله على الظالمين) ومن اسلافه لعناء رسول الله (ﷺ) لأنه يتولا هم والله عز وجل يقول: (ومن يتولهم منكم فانه منهم) (15).

وهو ان لعنا او شتمنا فبالاقتداء بسلفه الذين كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه واله ويلعنون وصيته (ﷺ) ومازادهم الاشقاء ويزيدهم الازعة عند الله وعند عباده ومقتاً)

اسهامات شعراء الاندلس في تأبين واقعة الطف في كربلاء المقدسة:

ساهم شعراء الاندلس في وصف حادثة الطف في العاشر من محرم بصورة محزنة ومؤلمة ابكت العيون واحزنت قلوب أهل الاندلس لانهم كانوا مطلعين على الشيعة وفرقهم واحزانهم والمهم وما اصابهم من ظلم وحيف واضطهاد ومضايقة وقهر وتعذيب وتشريد وانتقام ومحاربة زعاماتهم، لذا نرى عدد من اعلام العلماء والفاطميين قد دخلوا الى الاندلس بهوية تجار او تلاميذ متصوفة أمثال ابو اليسر الرياضي، وابن هارون البغدادي وابن حوقل كما ادخلوا مؤلفات الشيعة مثل رسائل اخوان الصفا الفلسفية وقد اخلها الى الاندلس ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبي (ت 458هـ) وهي رسائل ذات نزعة شيعية واضحة، حتى انها نسبت الى بعض أئمة العلويين وديوان الشريف الرضي احد احفاد الائمة الاطهار (ت405هـ) وكتاب يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ) ومهيار الديلمي (ت428هـ).

تعالت اصوات الشعراء من اهل الاندلس انشاد الابيات عن فكر الشيعة ومأساة الحسين (عليه السلام) في عصر بني حمود في قرطبة، ونطق ادباء الاندلس بالحق وشرعية الامامة كما ذكر ابن بسام الشنتريني " لا تتم ديانة الا بإمامة" (16).

انشد الشاعر الاندلسي ابو بكر عباة بن ماء السماء الحاكم الامير علي بن حمود الشيعي بقوله (17):

فكل من ادعى معك المعالي كذوب مثلما كذب الدعى
أبي لك أن تهاض علاك عهد هشامى وجد هاشمى

يعد الشاعر ابن دراج القسطلي الاندلسي (ت 421هـ) ممن مدح وبارك بتولي حكم قرطبة امامة الحمود وحقهم في ميراث آل البيت النبوي بقوله:

فأنتم هداة حياة وموت وأنتم أئمة فعل وقيل

وسادات من حل جنات عدن
وانتم خلائف دنيا ودين
جميع شبابهم والكهول
بحكم الكتاب وحكم العقول
ذكر ابن دراج القسطلي مناقب اهل البيت في اسلوب حزين لمراثة
الطف بقوله (18):

ووالدكم خاتم الانبياء
تلد بحملكم عاتقاه
لكم منه مجد حقي كفيـل
على جملة كل عبءٍ ثقيل
ورحبب على ضمكم صدره
اذا ضاق صدر اب عن سليل
ويطرقة الوحي وهنأ وانتم
ضحيعاه بين يدي جبرئيل

وقال الشاعر ابن دراج القسطلي الذي كان شاعر الحاجب المنصور
العامري يحظى باحترامه وعطفه وكرمه في ظل حكم دويلات الطوائف اهتمي
بالامراء الحموريين في قرطبة واتصل بالخليفة القاسم بن ود الادريسي خلال
الفتنة اليربرية بقوله (19):

كم استطيل تضللي وتلذذي
والارض مشرقة بنوري ربها
وارواح في ظلم الخطوب واغتندي
والفجر منبلج لعين المهتدي

سعى ابن دراج الى مدح الحموديين ومنهم محمد القاسم وانهم من منبع
اصالة مطهرة مقدسة من نسل النبوة والامامة بقوله:

يا ابن الوصي على اوصى سميته
الا يضيع سمي جدك احمد

الشاعر العسطلبي يدل ابن دراج جهدا لنيل خطوة وكرم بني حمود لفقدانه
المعيل والمال خلال هذه الحقبة وهي الحقيقة في اغراضه الشعرية بقوله:

في ستة ضعفوا وضعف عدهم
شديد الجلاء رحالهم فتحملت
حملا لمبهور الفؤاد مبلد
افلاذ قلب بالهموم مبدد
وحدث بهم صقعات روع شردت
اوطانهم في الارض كل مشرد

الشاعر ابن ماء السماء تعلق بحب صادق للحموديين لصلة القرابة كما
ذكر ابن بسام انشدنا بقوله (20):

وعندي صريح في ولائك معرق
والى ابن قيس اباك على العلى
لنشيعه محض وبيعته بتل
فخيم في قلب ابن هذه غل

صرح الشاعر ابن ماء بولائه للشبيعة وذكر الامام في الاذان والصلاة بقوله:
ابوكم على كان بالشرف بدء ما
فصلوا عليه اجمعون وسلموا
ورثتم وذا بالضرب ايضا سميه
له الامران ولاه فيكم وليه
وقوله:

صلى عليك الله يا ابن رسوله
ودع الاله ببأسه وعقابيه
ووليه المختص بعد خليله
مالم يزع بالنص من تشريله

انشد الاديب ابن شهيد ابو عامر بن شهيد (ت426ه) الذي عاش في عصر
دويلات الطوائف وامتدح الامير القرطبي الحمودي يحيى المغتلي بن علي حمود
(ت421ه) الذي حكم مدينة مالقة في جنوب الاندلس راغبا بالتشيع بقوله(21):

لئن اخرجتني عنكم شر عصية ففي الارض اخوان على اكارم
وان هشمت حتى امية عندما نهاتا على ظهر المحبة هاشم

اعجب الشاعر الاندلسي عبادة بن ماء السماء (ت421ه) بحكم يحيى
المغتلي الحمودي متعاطفاً معه محاولات اثبات تشيعه بقوله (22):

فها انذا يابن النبوة نافيت من القول اريا غير ما ينفث الضل
وعندي صريح من ولاتك معرق تشيعه محض وبيعته بتل
ووالى ابي قيس اباك على العلى فخير في قلبا بن هندله غل

اكد ابن ماء السماء في ابيات شعرية في رثاء على بن حمود ومدح اخه
القاسم الذي تولى الحكم من بعده في افراطه في المدح والمبالغة البلاغية بقوله
(23):

وحكمه خصصت هام الملوك بها عزاً فلا حر موجود بواديه
مؤيد جاءت الدنيا الى يده عفواً ولبته من قرب امانيه
جلت اياديه حتى ان انفسنا وما ملكناه جزء من اياديه

وحل الشاعر ابو عبد محمد بن سليمان القرطبي المعروف بابن الحناط
الكفيف (ت437ه) وكان قد تنشأ في قرطبة ورجل الى بلاط بني حمود في
الجزيرة الخضراء نظراً للامان والاستقرار والاحترام حب ماانشده (24):

تفرغت عن شغل العداوة وانطعن وحزن الى دار الاقامة والامن
وما عن فلي فارقت نزية أرضكم ولكنني اشفتت فيها من الدفن
وقوله في مدح الشيعة بقوله:

فبوات رحلى ظل اروع ماجد يقول بلا خلف ويعطى بلامن
امام وصى المصطفى وابن عمه الواه فحم المجدين اب وابن

يعنا الشاعر الحناط من الشعراء الشكوى بقوله (25):

امت امير المؤمنين مواجلا سقى صداها غيئه الشؤبوب
المغتلي بالله والملك الذي تاج الفخار براسه معصوب
ان كان عدوا احب ال محمد ذنيا فاتي لست منه اتوب

الشاعر وصنف ابن الحناط رحلاته من قرطبة الى جزيرة الخضراء بالبحر
والتضحيات بقوله (26):

لما تتكبنا المنكب لم نجـدلنا مركبا اهدى سبيلا من السفن
ترامت بنا الاهوال في كل لجة تخيلها جوا تجل بالدجـن
تري السفن فوق الموج كأنها تحدرت من رعن وتوفى على رعن

فبأوت رحلى ظل أروع ماجد يقول بلا خلف ويعطي بلا من
امام وصى المصطفى وابن عمه ابوه، فتم الفخر بين اب وابن

تقرب الشعراء الاندلسيون من بلاط الحموريين ومنهم ابو زيد ادريس بن
مقانا الاشبوني الذي مدح ادريس بن يحيى المعتلي بقصيدته النونية هي (27):

يا بني احمد يا خير الوري لأبيكم كان وفد المسلميين
نزل الوحي عليه فاحبتي في الدجي قومهم الروح الامين
خلقوا من ماء عدل ونقي وجميع الناس من ماء وطين
انظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالميين

أهمية كتاب درر السمط في خبر السبط:

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت
658هـ)، تحقيق: عز الدين عمر موسى، نشر دار الغرب الاسلامي، بيروت،
د.ت.

ذكر بالمقدمة: رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت، فروع النبوة،
والرسالة، وينايع السماحة واليسالة، صفوة آل البيت ابي طالب وشرارة بني لؤي
بن غالب الذين حياهم الروح الامين، وحلاهم الكتاب المبين فقل في قوم شرعوا
الدين القيم، ومنعوا اليتيم ان يقهروا والاليم: ماقدم من ايم آدم اطييب من ابيهم
طينة، ولا اخذت الارض احمل من مساعيتهم زينة لولاهم ما عبد الرحمن، ولا
عهد الايمان وعقد الامان ذؤابه أشابه فصلهم ما شأنه نقص ولا شابه، سرارة
محلتهم سر المطلوب، وقرارة محبتهم حبات القلوب اذهب الله عنهم الرجس
وشرف بخلقهم الجنس، فان تميزوا فبشريعتهم البيضاء، او تحيزوا فلعشيرتهم
الحمراء، من كل يعسوب كتيبة، منسوب لنجيب ونجيبة، نجارة الكرم وداره
الحرم، ذمته العرانيين من هاشم الى النسب الاصرح الاوضح الى نبتة فرعها في
السماء، ومغرسها سررة الابطاح اولئك السادة احبي وأفدي، والشهادة بحبهم أوفى
وأؤدي ومن يكتمها فانه اثم قلبه:

حيها أوجها على السطح غرا وقباباً بيضاً ونوقاً حمراً

ساهم الكتاب في تخليد واقعة الطف، وتفسير ما أصاب آل بيت النبوة،
وعمل على كسب عطف اهل الاندلس في ذكرى العاشر من المحرم وتصحيح
الاحطاء التي بثها اعداء الشيعة وكشف الظلم والطغيان والعبودية والعمل على
الدفاع عن الدين والدنيا والاستفادة من الفكر الحسيني الشريف في بلد الاندلس
وتحقيق شعار التضحيات تخلق وتصنع الانتصارات كما حدث في موقعة الطف
في العاشر من المحرم سنة 61هـ.

اكذ ابن حزم القرطبي على زهده وورعه وعلى روح الايمان العميق
لشخصيته ومن ذلك قوله في كتابه "الاحكام": " واذا تيقنا ان الدنيا ليست دار

قرار، ولكنها دار ابتلاء واختبار ومجاز الى دار الخلود، وضح بذلك انه لافائدة في الدنيا وفي الكون فيها الا العلم بما امر به عز وجل وتعليمه اهل الجهل.. وان كل ما تبشره اليه النفوس الجاهلية من غرض خسيس، خطأ الا ما قصد به إظهار العدل وقمع الزور والحكم بامر الله تعالى وبامر رسوله (ﷺ) واحياء سنن الحق، وافاتة طوابع الجور" (28).

اهتم الفقيه ابن حزم القرطبي بالقيم السماوية واحترام الواجبات التي تقع على عاتق المسلم، لذا نرى انه نقش على خاتمه (29):

يا علي بن احمد اتق الله ترشد

حرص شعراء الاندلس على وصف ابن حزم القرطبي وتمجيده بأبيات شعرية نذكر منها(30):

لما تحلى بخلق	كالمسك او نشر عود
نجل الكرام ابن حزم	وقام في العلم عودي
فتواه حدد ديني	جدواه أورك عودي

الهوامش:

- 1 المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر (1968/1388م).
- 2 المقري، نفح الطيب، ج4، ص28.
- 3 مجهول، كتاب اخبار مجموعة، تحقيق: لافونتي، القنطرة - مدريد، مكتبة المثني، 1867م، ص52.
- 4 ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال وكولان، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص214.
- 5 المقري، نفح الطيب، ج3، ص409.
- 6 احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص236.
- 7 ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص235.
- 8 المصدر السابق، ج1، ص262.
- 9 ابن أبار، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، مصر، 1963، ترجمة رقم 111.
- 10 ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1965، ص142.
- 11 سورة المجادلة، الآية 22.
- 12 القاضي النعمان بن محمد، (ت 363هـ)، كتاب المجالس والمسائرات، تحقيق: القفي، وابراهيم شيوخ، تونس، 1978، ص168.
- 13 القاضي، المجالس والمسائرات، ص168-169.
- 14 القاضي، المجالس والمسائرات، ص170.

- 15 سورة المائدة، ص51.
- 16
- 17
- 18 ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ترجمة 1695.
- 19 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق 1-2.
- 20 المصدر السابق.
- 21 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ق 1- 276/1.
- 22 المصدر السابق، ق 1- 9/2.
- 23 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ق 1- 6/2.
- 24 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ق 1- 396/1.
- 25 نفس المصدر.
- 26 المقري، نفع الطيب، ج1، ص410.
- 27 المصدر نفسه.
- 28 الاحكام في اصول الاحكام، ج1، ص8.
- 29 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ص140.
- 30 المقري، نفع الطيب، ج5، ص126.

معركة الطف بوابة للانتصار على الفساد واجتثاثه

أ.د قتيبة محمد مجيد

قسم التاريخ
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

أ.د خضير نعمة هادي

قسم التاريخ
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

The Battle of Taf is the gateway
to victory over corruption
and its eradication

Professor
Qutaiba Mohammed Majeed

Professor
Khudair Naama Hadi

ملخص البحث

قام الإمام الحسين (عليه السلام) أبو الأحرار بثورته الكبرى والتي جعلها الله سبحانه وتعالى عبرة لأولي الألباب، فدكّ بها حصون الظلم، وقلاع الجور. إذ تعتبر ملحمة كربلاء من أهم الأحداث العالمية، بل ومن أهم ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في ميادين مقارعة الظلم والطغيان، فقد غيرت مجرى تاريخ الشعوب الإسلامية، وفتحت لها آفاقاً مشرقة لمواجهة الحكام الظالمين. ألهمت هذه الملحمة الخالدة عواطف الأحرار، في سبيل تحرير المجتمع من نير العبودية والذلّ، وإنقاذه من الحكم اللاشعري. وعندما نتحدث عن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) لا نتحدث عن إنسان عادي عاش ثم مات، دون أن يكون له أي أثر في الحياة، وإنما نتحدث عن شخصية قدسية خلقت في سماء المجد والعظمة، حتى وصلت إلى أسنى المراتب وأرفع المقامات، فلم يسبقها سابق، ولن يلحقها لاحق في جميع المنافق والفضائل والمآثر والمكرّمات. إنها الشخصية الكبيرة التي تمثل الامتداد الطبيعي لخط النبوة والرسالة في الأرض، وهي الشخصية المعصومة التي تهدي للتي هي أقوم، كما أنها حلقة الوصل بين الأرض والسماء، وباب من أبواب الله التي منها يوتى الحق والعدل. يهدف البحث إلى تسليط الضوء على دراسة الانحراف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في عصر معاوية بن أبي سفيان والتي تمثل الفساد بكافة أشكاله ومعالمه ويضم البحث المحاور التالية: أولاً: الانحراف في السياسية الاقتصادية ثانياً: الانحراف في الفكر الاجتماعي، ثالثاً الانحراف في الفكر السياسي، رابعاً: معركة الطف ثورة ضد الفاسدين والظالمين خامساً: شعارات الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف التي انتصرت على الفساد سادساً: استلهاهم واقعة الطف في مكافحة الفساد في عصرنا الحالي، ثم الخاتمة والمصادر والمراجع. وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

1. إن ثورة الإمام الحسين في معركة الطف كانت ثورة حقيقية ضد الفساد والظلم وكشف الفاسدين الظالمين.
 2. واقعة الطف أعطت مفاتيح للإصلاح العام في كل مفاصل الحياة العامة للمجتمع.
 3. لقد كانت الثورة الحسينية منار لكل المصلحين في العالم وقد ظلت حية بمبادئها العامة.
 4. نحتاج في عالمنا المعاصر إن نستلهم من واقعة الطف الأسس والأساليب للإصلاح وألية القضاء على الفاسدين فقد علمنا الإمام الحسين عليه السلام بدمه الطاهر في واقعة الطف كيفية الثورة واليتها وتطبيقها وما علينا إلا إن نطبقها لغرض الإفادة منها في إصلاح أنفسنا ومجتمعنا.
- ومن أهم التوصيات في هذا البحث جعل معركة الطف خطوط عامة للقضاء على الفساد وتوجيه وسائل الإعلام بتكثيف حملة على الفساد والفاسدين إعلامياً وتوجيه الخطب الدينية أيام الجمع بتثقيف المواطنين على تجنب الفساد بكافة جوانبه.

Abstract

He blew the Grand imam Abu Allah said liberal revolution by the book and make it a

lesson for men of understanding, promise of fortresses and castles, injustice injustice. The epic world of the most important events of Karbala, but one

Tyranny, it has changed the course of history of the Islamic peoples, opened her bright prospects to rebel against injustice and tyranny. This timeless saga has inflamed the emotions of the freemen, to liberalize society from the yoke of slavery, oppression, and save him from enforcing the rule when talking about Imam Hussein Bin Ali bin Abi Talib (peace of Allah) are not talking about normal human being lived and died, without having any impact on life, but talk about personal Holiness Objects flying in the skies of glory and greatness, until I reached my mattress and lift the denominators, unprecedented, and will inflict on later in all qualities and virtues and exploits and bin Mohammed then took. It's great that represent personal natural prolongation of a line of prophecy and the message in the Earth, a profile of the inerrant guide which is doing, it's also a bridge between Earth and sky, Allah sections such as Yield. research aims to shed light on the study of economic, social and political drift in the era of muawiyah bin sufyan which represent corruption in all its forms and its features and includes the following topics. First and second economic policy deviation deviation in social thought and deviation in political thought, IV battle nicer revolt against corrupt oppressors and v emblems of Imam Hussain (as) on the nicest that triumphed over corruption and vi inspired reality nicer in combating corruption in an era Either the current, then the finale and the sources and references, and the research has reached the following conclusions

the revolution of Imam Hussein in the battle of the nicest real revolution was against corruption and injustice and detect corrupt.

the fact nicer gave keys for general reform in all joints of public life Religious revolution was illumined all reformers in the world and has remained in its general principles. We need in our modern world that inspired by the fact the nicest exponents and methods for repair and to eliminate corrupt Imam Hussein had taught him peace in his blood pure in a nicer how revolution and its mechanism and apply what we have but to apply it for use in repairing ourselves and our society .

One of the most important recommendations in this research make nicer battle general lines to eliminate corruption and direct the media to intensify crackdown on corruption and the corrupt media and direct sermons or combine educate citizens on avoiding corruption in all its aspects

معركة الطف بوابة للانتصار على الفساد واجتثاثه

أ.د. قتيبة محمد مجيد

قسم التاريخ
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

أ.د. خضير نعمة هادي

قسم التاريخ
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مقدمة:

لم تكن ثورة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (سلام الله عليهما)، أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً - حسب ما يقول - وإنما أراد تغيير الواقع المرير الذي كانت تعيشه الأمة من جرّاء الحكم الأموي المنحرف عن جميع القيم والمبادئ والأحكام الإسلامية التي جاء بها رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ذلك النظام الأموي الفاسد المتمثل بحكم يزيد بن معاوية الذي أحال حياة الناس إلى جحيم لا يطاق، فقد عبّت البلاد الإسلامية بجميع صنوف الجور والارهاب. فقام الإمام أبو الأحرار بثورته الكبرى التي أوضح الله بها طريق الحق وجعلها عبرة ضد حصون الظلم، فدكّ بها حصون الظلم، وقلاع الجور. تعد ملحمة كربلاء من أهم الأحداث العالمية، بل ومن أهم ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في مجال مقارعة الظلم والطغيان، فقد غيرت مجرى تاريخ الشعوب الإسلامية، وفتحت لها آفاقاً مشرقة للتمرد ع. لقد ألهمت هذه الملحمة الخالدة عواطف الأحرار، في سبيل تحرير المجتمع من نير العبودية والذلّ، وإنفاذه من الحكم اللا شرعي. عندما نتحدث عن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (سلام الله عليهم) لا نتحدث عن إنسان عادي عاش ثم مات، دون أن يكون له أي أثر في الحياة، وإنما نتحدث عن شخصية قدسية خلقت في سماء المجد والعظمة، حتى وصلت إلى أسمى المراتب وأرفع المقامات، فلم يسبقها سابق، ولن يلحقها لاحق في جميع المناقب والفضائل والمآثر والمكرّمات. إنها الشخصية الكبيرة التي تمثل الامتداد الطبيعي لخط النبوة والرسالة في الأرض، وهي الشخصية المعصومة التي تهدي للتي هي أقوم، كما أنها حلقة الوصل بين الأرض والسماء، وباب من أبواب الله التي منها يؤتى. يهدف البحث الى تسليط الضوء على دراسة الانحراف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في عصر معاوية بن ابي سفيان والتي تمثل الفساد بكافة اشكاله ومعالمه ويضم البحث المحاور التالية:

أولاً: الانحراف في السياسية الاقتصادية ثانياً: الانحراف في الفكر الاجتماعي ثالثاً: الانحراف في الفكر السياسي، رابعاً: معركة الطف ثورة ضد الفاسدين والظالمين خامساً: شعارات الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف التي انتصرت على الفساد بكل معانيه الظالمه والباطله التي سلبت حقوق الناس،

سادسا: استلهم العبر والدروس من واقعة الطف في مكافحة الفساد والارهاب في عصرنا الحالي، ثم الخاتمة والمصادر والمراجع.

اولا: الانحراف في السياسية الاقتصادية خلال عصر معاوية بن ابي سفيان لم يكن لمعاوية أية سياسة اقتصادية في المال حسب المعنى المصطلح لهذه الكلمة، وانما كان تصرفه في جباية الأموال وإنفاقها خاضعا لرغباته وأهوائه فهو يهب الثراء العريض للقوى المؤيدة له ويحرم العطاء للمعارضين له، ويأخذ الأموال ويفرض الضرائب كل ذلك بغير حق. فلم تكن هناك سياسة اقتصادية اسلامية عادله بتوزيع الثروة على الناس بالعدالة والتسوية بل اصبحت الاموال توظف لكسب المؤيدين والموالين لسياسته. فقد أشاع الفقر والحاجة عند الأكثرية الساحقة من الشعب، وأوجد الرأسمالية عند فئة قليلة راحت تتحكم في مصير الناس وشؤونهم.

وهذه بعض الخطوط الرئيسية في سياسته الاقتصادية.

1. الحرمان الاقتصادي:

أشاع معاوية الحرمان الاقتصادي في بعض الأقطار التي كانت تضم الجبهة المعارضة له فنشر فيها البؤس والحاجة حتى لا تتمكن من القيام بأية معارضة له، وهذه بعض المناطق التي قابلها بالاضطهاد والحرمان.

1 - يثرب:

سعى معاوية لإضعاف يثرب فلم ينفق على المدنيين أي شيء من المال وجهد على فقرهم وحرمانهم لأنهم من معاقل المعارضة لحكمه، وفيهم كثير من الشخصيات الحاكمة على الأسرة الأموية والطامعة في الحكم، ويقول المؤرخون؟ انه أجبرهم على بيع أملاكهم فاشتراها بأبخس الاثمان، وقد أرسل القيم على أملاكه لتحصيل وأرداتها فمنعوه عنها، وقابلوا حاكمهم عثمان بن محمد، وقالوا له:

إن هذه الأموال لنا كلها، وان معاوية أثر علينا في عطائنا، ولم يعطنا درهما فما فوقه حتى مضى الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها بجزء من مائة من ثمنها، فرد عليهم حاكم المدينة بأقسى القول وأمره.

ووفد على معاوية الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري فلم يأذن له تحقيرا وتوهينا به فانصرف عنه، فوجه له معاوية بستمائة درهم فردها جابر وكتب إليه:

واني لاختار القنوع على الغنى * إذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
واقضي على نفسي إذ الأمر نابني * وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضي
والبس أثواب الحياء وقد أرى * مكان الغنى إلا أهين له عرضي

وقال لرسول معاوية: " قل له:

والله يابن آكلة الأكباد لا تجد في صحيفتك حسنة أنا سببها أبدا.

وانتشر الفقر في بيوت الأنصار، وخيم عليهم البؤس حتى لم يتمكن الرجل منهم على شراء راحلة يستعين بها على شؤونه" (1). لقد قضت سياسة معاوية بنشر المجاعة في يثرب وحرمان أهلها من الصلّة والعطاء (2) وقد جعل معاوية الولاية على الحجاز تارة مروان بن الحكم، وأخرى سعيد بن العاص وكان يعزل الأول ويولي الثاني، وقد بذلوا جهدا في إذلالهم لأهل المدينة وفقدهم.

2 - العراق:

أما العراق فقد قابله معاوية بالمزيد من العقوبات الاقتصادية باعتباره المركز الرئيسي للمعارضة، والقطر الوحيد الساخط على حكومته، وكان واليه المغيرة بن شعبة يحبس العطاء والأرزاق عن أهل الكوفة، وقد سار حكام الأمويين من بعد معاوية على هذه السيرة في اضطهاد العراق وحرمان أهله، باستثناء عمر بن عبد العزيز الذي كان أعدلهم بحيث لم يساو بين العراقيين والشاميين في العطاء بحسب بل زاد في عطاء الشاميين عشرة دنائير ولم يزد في عطاء أهل العراق (3) فقد عانى العراق في عهد الحكم الأموي أشد ألوان الضيق مما جعل العراقيين يقومون بثورات متصلة ضد حكمهم.

3 - مصر:

ونالت مصر المزيد من الاضطهاد الاقتصادي فقد كتب معاوية إلى عامله:

" إن زد على كل امرئ من القبط قيراطا " فأنكر عليه عامله وكتب إليه:

" كيف أزد عليهم وفي عهدهم إن لا يزد عليهم " (4). وشمل الضيق الاقتصادي سائر الأقطار الإسلامية ليشغلها عن معارضة حكمه.

الرفاه على الشام:

وبينما كانت البلاد الإسلامية تعاني الجهد والحرمان نجد الشام في رخاء شامل وأسعار موادها الغذائية منخفضة جدا، لأنها أخلصت للبيت الأموي، وعملت على تدعيم حكمه " فكان الرفاه يعد فيها شائعا، وقد حملوا أهل الشام على رقاب الناس كما المع الى ذلك مالك بن هبيرة في حديثه مع الحصين بن نمير. يقول له:

" هلم فلنبايع لهذا الغلام - إي خالد بن يزيد - الذي نحن ولدنا اباه وهو ابن اختنا، فقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه كان يحملنا على رقاب العرب (5) ..

2. استخدام المال في تدعيم ملكه:

استخدم معاوية الخزينة المركزية لتدعيم ملكه وسلطانه، واتخذ المال سلاحا يمكنه من قيادة الأمة ورئاسة الدولة، يقول السيد مير علي الهندي:

" وكانت الثروات التي جمعها معاوية من عمالته على الشام يبذرها هو وبطانته على جنوده المرتزقة الذين ساعدوه بدورهم على اخفات كل همسة ضدهم (6) وكانت هذه السياسة غريبة على المسلمين لم يفكر فيها أحد من الخلفاء السابقين، وقد سار عليها من جاء بعده من خلفاء الأمويين فاتخذوا المال وسيلة لدعم سلطانهم، يقول الدكتور محمد مصطفى:

" وكان من عناصر سياسة الأمويين استخدام المال سلاحا للإرهاب، وأداة للتقريب فحرموا منه فئة من الناس، وأغدقوه إضعافا مضاعفا لطائفة أخرى ثمنا لضمائرهم، وضمائنا لصمتهم. (7) وجعل شكري فيصل المال احد العاملين الأساسيين اللذين خضع لهما المجتمع الإسلامي خضوعا عجيبا، وكان من جملة الأسباب في فتن السياسة، وسيطرة الطبقة الحاكمة من قريش، كما انه احد الأسباب في وقوع الخلاف ما بين العرب والعجم بل وما بين العرب أنفسهم (8)

3. هبات الأموال للمؤيدين:

أغدق معاوية الأموال الهائلة على المؤيدين له. وقد أسرف في ذلك إلى حد بعيد، ويقول الرواة: أن يزيد بن منبه قدم عليه من البصرة يشكو له ديناً قد لزمه، فقال معاوية: لخازن بيت المال أعطه ثلاثين ألفاً، ولما ولى قال:

وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى (9) لقد وهب له هذه الأموال الضخمة جزاء لمواقفه ومواقف أخيه الذي أمد المتردين في حرب الجمل بالأموال التي نهبها من بيت مال المسلمين، وقد حفل التاريخ ببوادر كثيرة من هبات معاوية للقوى المنحرفة عن الإمام، والمؤيدة له.

4. شراء الأديان:

فتح معاوية باباً جديداً في سياسته الاقتصادية وهي شراء الأديان وخيانة الذمم، فقد وفد عليه جماعة من إشراف العرب فأعطى كل واحد منهم مائة ألف وأعطي الحتات عم الفرزدق سبعين ألفاً، فلما علم الحتات بذلك رجع مغضباً إلى معاوية فقال له:

" فضحتني في بني تميم، إما حسبي فصحيح، أو لست ذا سن ؟

الست مطاعاً في عشيرتي ؟ " بلى..".

" فما بالك خسرت بي دون القوم وأعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك !! " فقال معاوية بلا حياء ولا خجل: إني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك الى دينك " " انا اشتري مني ديني " فأمر له بإتمام الجائزة (10) لقد خسرت هذه الصفقة التي كشفت عن مسخ الضمائر وتحولها إلى سلعة تباع وتشترى.

5. نهب الولاية والعمال:

أصبحت الولاية في عهد معاوية مصدرا من مصادر النهب والسرقه، ومصدرا للثراء وجمع الأموال، يقول انس بن أبي أناس لحارثة الغداني صاحب زياد بن أبيه حينما ولي على (سرق) وهي إحدى كور الأهواز:

أحار بن بدر قد وليت إمارة * فكن جرذا فيها تخون وتسرق

وباه تميما بالغنى أن للغنى * لسانا به المرء الهوية ينطق

ولا تحقرن يا حار شيئا أصبته * فحظك من ملك العراقيين سرق (11).

وقد عانى المسلمون ضربا شاقا وعسيرة من جور الولاية وظلم الجباة، فقد تمرسوا بالسلب والنهب، ولم يتركوا عند احد من الناس فضلا من المال الا صادروه:

6. شل الحركة الاقتصادية:

شلت الحركة الاقتصادية في جميع أنحاء البلاد فخربت الزراعة والتجارة، وأصيب الاقتصاد العام بنكسة شاملة نتيجة تبذير معاوية وإسرافه، وقد أعلن ذلك عبد الله بن همام السلولي فقد كتب شعرا في رفاع وألقاها في المسجد الجامع يشكو فيها الجور الهائل والمظالم الفظيعة التي صبها معاوية وعماله على الناس وهذه هي الأبيات:

إلا ابلغ معاوية بن صخر * فقد خرب السواد فلا سواد

إذا ما قلت اقصر عن هواه * تمادى في ضلالته وزادا (12)

وقد صور السلولي بهذه الأبيات سوء الحالة الاقتصادية وتسلب الولاية على ظلم الرعية ودعا السلطة إلى عزلهم وإقصائهم عن وظائفهم فقد جهدوا في خراب السواد وامتصوا الدماء، واتبعوا الهوى، وظلوا عن طريق القويم.

ثانيا: الانحراف في الفكر الاجتماعي**1. سياسة إحداث الفرقة بين المسلمين**

بنى معاوية سياسته على تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم، وبث روح التفرقة والبغضاء بينهم، إيمانا منه بان الحكم لا يمكن أن يستقر له إلا في تفلل وحدة الأمة، وإشاعة العداء بين أبنائها، يقول العقاد:

" كانت له - إي لمعاوية - حيلته التي كررها وأتقنها وبرع فيها، واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذييل بين خصومه بالقاء الشبهات بينهم، وإثارة الاحن فيهم، ومنهم من كانوا من أهل بيته وذوي قريباه..

كان لا يطيق إن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق، وكان التنافس الفطري بين ذوي الإخطار مما يعينه على الإيقاع بهم (13). لقد شتتت كلمة المسلمين، وفصم عرى الإخوة الإسلامية التي عقد أوامرها الرسول الكريم، وبنى عليها مجتمعه.

2. العصبية القبلية:

وتبعاً لسياسة التحزب والتفريق التي سار عليها الأمويون فقد احيوا العصبية القبلية، وقد ظهرت في الشعر العربي صوراً مريعة ومؤلمة من ألوان ذلك الصراع الذي كانت تخلقه السلطة الأموية لإشغال الناس بالصراع القبلي عن التدخل في الشؤون السياسية، وإبعادهم عما يقننه معاوية من الظلم والجور، ويقول المؤرخون:

إنه عمد إلى إثارة الأحقاد القديمة ما بين الأوس والخزرج محاولاً بذلك التقليل من أهميتهم، وإسقاط مكانتهم إمام العالم العربي والإسلامي..

كما تعصب لليمنيين على المضريين، وأشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد لهم كلمة تضر بمصالح دولته. وسار عمال معاوية على وفق منهج سياسته التخريبية فكان زياد بن أبيه يضرب القبائل بعضها ببعض ويؤجج نار الفتنة فيما بينها حتى تكون تحت مناطق نفوذه يقول ولهاوزن:

" وعرف زياد كيف يخضع القبائل بان يضرب أحداها بالأخرى، وكيف يجعلها تعمل من أجله، وافلح في ذلك (14) وحفلت مصادر التاريخ ببوادير كثيرة من ألوان التناحر القبلي الذي أثاره معاوية وعماله مما أدى إلى انتشار الضغائن بين المسلمين، وقد عانى الإسلام من جراء ذلك أشد ألوان المحن فقد أوقف كل نشاط مثمر له " وخولف ما كان يدعو له النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من التآخي والتعاطف بين المسلمين.

ثالثاً: الانحراف في الفكر السياسي

أقام معاوية دولته على المخاتلة والخداع فلا ظل للواقع في إي تحرك من تحركاته السياسية، فما كان مثل ذلك الضمير المتحجر إن يعي الواقع أو يفقه الحق، وقد حفل التاريخ بصور كثيرة من خداعه، وهذه بعضها:

1 - لما دس معاوية السم إلى الزعيم الكبير مالك الاشتهر اقبل على أهل الشام فقال لهم:

" إن علياً (عليه السلام) وجه الاشتهر إلى مصر فادعوا الله إن يكفيكموه. فكان أهل الشام يدعون عليه في كل صلاة، ولما اخبر بموته أنبا أهل الشام بان موته نتج عن دعائهم لأنهم حزب الله، ثم همس في إذن ابن العاص قائلاً له: " أن لله جنوداً من عسل (15)

وعملت حكومة معاوية على إشاعة الانتهازية والوصولية بين الناس، ولم يعد ماثلا عند الكثيرين منهم ما جاء به الإسلام من إيثار الحق ونكران الذات، ومن مظاهر ذلك التذبذب ما رواه المؤرخون إن يزيد بن شجرة الرهاوي قد وفد على معاوية، وبينما هو مقبل على سماع حديثه أذ أصابه حجر عاثر فأدماه فآظهر تصنعا عدم الاعتناء به فقال له معاوية:

لله أنت ما نزل بك !!؟ ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ هذا دم وجهك يسيل..

إن حديث أمير المؤمنين الهاني حتى غمز فكري فما شعرت بشئ حتى نبهني أمير المؤمنين.

فبهر معاوية وراح يقول:

لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء، وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين، وكماة أهل صفين. وأمر له بخمسائة ألف درهم، وزاد في عطائه ألف درهم⁽¹⁶⁾

وكانت هذه الظاهرة سائدة في جميع ادوار الحكم الأموي ونقل المؤرخون بوادر كثيرة من ألوان هذا الخداع الذي ساد في تلك العصور وهو من دون شك من مخلفات سياسة معاوية الذي ربي جيله على التذبذب والانحراف عن الحق.

يقول ابن ابي الحديد:

" كان معاوية أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه إلا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في أنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلات بها - إي بالذهب - وعليها جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شابا وعند نزق الصبا، وأثر الشيبية وسكر السلطان والإمرة، ونقل الناس عنه في كتب السيرة انه كان يشرب الخمر في أيام عثمان بن عفان (رض) في الشام...

ولا خلاف في انه سمع الغناء، وطرب عليه، ووصل عليه أيضا.

وتأثر به ولده يزيد فكان مدمنا خليعا مستهترا، وتأثر بهذا السلوك جميع خلفاء بني أمية، يقول الجاحظ: " وكان يزيد - يعني بن معاوية - لا يمسي إلا سكرانا، ولا يصبح إلا مخمورا، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء.. (17)

1. سياسة معاوية بن ابي سفيان تجاه أهل البيت (عليهم السلام):

سخر معاوية جميع أجهزته للحط من قيمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم وديعة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والعصب الحساس في هذه الأمة، وقد استخدم اخطر الوسائل في محاربتهم وإقصائهم عن واقع الحياة الإسلامية، وكان من بين ما استخدمه في ذلك مايلي:

1 - تسخير الوعاظ.

سخر معاوية الوعاظ في جميع أنحاء البلاد ليحولوا القلوب عن أهل البيت (18) ويذيعوا الأضاليل في انتقاصهم تدعيماً للحكم الأموي

2 - استخدام معاهد التعليم.

واستخدم معاوية معاهد التعليم وأجهزة الكتاتيب لتغذية النشء ببغض أهل البيت (عليهم السلام) وخلق جيل معاد لهم (19) وقد قامت تلك الأجهزة بدور خطير في بث روح الكراهية في نفوس النشء لعنرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم).

كما وتمادى معاوية في عدائه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فأعلن سبه ولعنه في نواديه العامة والخاصة وأوعز إلى جميع عماله وولاته أن يذيعوا سبه بين الناس، وسرى سب الإمام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد خطب معاوية في أهل الشام فقال لهم:

" أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال لي:

إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة - يعني الشام - فان فيها الإبدال، وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب "وعج أهل الشام بسب الإمام (20)

لقد كان الإمام رائد العدالة الإنسانية والمثل الأعلى لهذا الدين، يقول الجاحظ:

" لا يعلم رجل في الأرض متى ذكر السبق في الإسلام والتقدم فيه، ومتى ذكر النخوة والذب عن الاستلام، ومتى ذكر الفقه في الدين، ومتى ذكر الزهد في الأمور التي تناصر الناس عليها كان مذكوراً في هذه الخلال كلها إلا في علي (عليه السلام) (21)

2. البيعة لابنه يزيد بن معاوية:

وختم معاوية حياته بأكبر إثم في الإسلام وأفظع جريمة في التاريخ، فقد أقدم غير متحرج على فرض خليفة يزيد خليفة على المسلمين يعيثر في دينهم وديارهم، ويخلد لهم الويلات والخطوب،... ويرى الفيلسوف الكبير ابن رشد أن بيعة معاوية ليزيد قد غيرت مجرى الحياة الإسلامية وهدمت الحكم الصالح في الإسلام، قال:

" إن أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح فكأنما وصف أفلاطون حكومتهم في (جمهورية) الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب أن تكون مثالا لجميع الحكومات، ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم، وأقام مكانه دولة بني أمية وسلطانها الشديد ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة حتى في بلادنا هذه - يعني الأندلس (22)

وأعلن الأحرار والمصلحون في العالم الإسلامي رفضهم القاطع لبيعة يزيد، ولم يرضوا به حاكما على المسلمين، وفيما يلي بعضهم.

1 - الإمام الحسين (عليه السلام) وفي طليعة المعارضين لبيعة يزيد الإمام الحسين (عليه السلام) فقد كان يحتقر يزيد، ويكره طباعه الذميمة، ووصفه بأنه صاحب شراب وقنص، وأنه قد لزم طاعة الشيطان، وترك طاعة الرحمن، وظهر الفساد وعطل الحدود واستأثر بالفيء، وأحل حرام الله وحرم حلاله (23) وإذا كان بهذا الضعة فكيف يبايعه ويقره حاكما على المسلمين، ولما دعاه الوليد إلى بيعة يزيد قال له الإمام (عليه السلام):

" أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، معطن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله "

ورفض بيعة يزيد جميع أفراد الأسرة النبوية تبعا لزعيمهم العظيم، ولم يشدوا عنه.

ورفع الإمام (عليه السلام) إلى معاوية مذكرة خطيرة كانت جوابا لرسالته حمله مسؤوليات جميع ما وقع في البلاد من سفك الدماء، وفقدان الأمن، وتعريض الأمة للازمات، وهي من أروع الوثائق الرسمية التي حفلت بذكر الأحداث التي صدرت من معاوية وهذا نصها:

" أما بعد:

فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير، وان الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى.

أما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فانه إنما رقاها إليك الملاقون المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون.

ما أردت لك حربا، ولا عليك خلافا، واني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن الأعدار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين حزب الظلمة.

ألست القاتل حجر بن عدي أبا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا، من بعد ما أعطيتهم الإيمان المغلظة والموائيق المؤكدة، جراءة على الله واستخفافا بعهده.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه، فقتلته بعد ما أمنتته وأعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال.

أولست بمدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أن ابن أبيك، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

الولد للفراش وللعاهر الحجر فتركت سنة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

تعمدا وتبعته بغير هدى من الله ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه فكتب إليه أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم، ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه (صلى الله عليه واله وسلم)

الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف.

وقلت: فيما قلت: انظر لنفسك ودينك ولأمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

واتق شق عصا هذه الأمة، وان تردهم إلى فتنة، واني لا اعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم لنفسك ولديني ولأمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

أفضل من إن أجاهرك، فان فعلت فانه قرابة إلى الله، وان تركته فاني استغفر الله لديني، واسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت: فيما قلت: إنني إن انكرتك تنكرني، وإن اكدك تكدني فكدني ما بدا لك فاني أرجو أن لا يضرني كيدك، وان لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقض عهدك. ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا. فابشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وليس الله بناس لأخذك بالظنة وقتلك أوليائه على التهم، ونفيك إياهم من دورهم إلى دار الغربة وأخذك الناس بببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب ما أراك الا قد خسرت نفسك، وتبرت دينك (24) وغششت رعيك وسمعت مقالة السفية الجاهل واخفت الورع التقى والسلام " (25) لا أكاد أعرف وثيقة سياسة في ذلك العهد عرضت لعبث السلطة وسجلت الجرائم التي ارتكبتها معاوية، والدماء التي سفكها، والنفوس التي أربعاها غير هذه الوثيقة، وهي صرخة

في وجه الظلم والاستبداد " والله كم هي هذه الكلمة رقيقة شاعرة (كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك) هذه الكلمة المشبعة بالشعور القومي الشريف وقديما قال الصابي، " إن الرجل من قوم ليست له أعصاب تقسو عليهم " وهو اتهام من الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية في وطنيته، واتخذ من الدماء الغزيرة المسفوكة عنوانا على ذلك " (26)

صدى الرسالة: ولما انتهت رسالة الإمام إلى معاوية ضاق بها ذرعا، وراح يراوغ على عادته ويقول:

" ان أثرنا بابي عبد الله الا أسدا " (27)

رابعاً: معركة الطف ثورة ضد الفاسدين والظالمين

لما رأى أبو الأحرار (عليه السلام) الصورة المظلمة بكل إبعادها التي تعيشها أمة جده من حقوق مسلوقة وحرمانات منتهكة وصل الحد بها إن يتولى شؤون الناس رجل فاسق على حد تعبير الإمام عليه السلام في نعت الحال المؤلم (إن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معطن بالفسق) والأعجب والأدهى في الأمر إن تصل الوقاحة بسليل البيت الأموي ملاعبة الفردة ان يأمر من ولاء على المدينة المنورة بأخذ البيعة له بالخلافة من حفيد الرسول وإمام الرسالة سيد شباب أهل الجنة ويطلب منه مبايعته فأعلنها أبي الضيم عالية مدوية حية منذ نطق بها الى يومنا هذا ويوم الدين (ومثلي لا يبايع مثله) أعلنها عليه السلام جوابا ورفضاً لبيعة الظالم وسؤالا وتحديدا لموقف من هم على نهجه وشاكلته في مثلية الصلاح والدين كيف يبايعون من مثل يزيد في الفسق والفجور وانتهاك الحرمات.

أنها لوحة للظلم استولت على الناس عموما وعلى أمة الإسلام خصوصا، ارتسمت وتجزرت فسادا وقتلا وجورا وصلت حدا لا يطيقه أو يتحملة منصف غيور عبر عنها الإمام بأروع صورته (أن الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل) نعم تغيرت الدنيا بتغير أهلها حيث تركوا طاعة ربهم ورسوله وأهل بيته وركنوا للظالمين والفاسدين وتكرر أهلها لحقوقهم وأدبر خيرها ولم يرج معروفها فلم يبق فيها من العيش الكريم إلا كمثل ما يبقى في الإناء وعيشا لا كرامه فيه كالمرعى الذي لا فائدة منه، وبلسان العتاب لمجموع من يسمع ويعي يقول عليه السلام: (الا ترون إلى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه) أنها دعوة التغيير الواسعة دعوة تصحيح المسار أنها بداية النصر والفتح العظيم. (28)

هي انتفاضة المظلوم والمضطهد والجائع والمستضعف بكل إشكاله وألوانه، فبعد هذه الصورة (حق لا يعمل به وباطل لا يتناهى عنه) ما ينتظر الغيور أكون في هوان او يرضى العزيز بالذل بلا شك لا يرضى لنفسه ذلك فقرر إمام العزة والإباء بإكمال دين جده وبناء مجده (ليرغب المؤمن في لقاء الله فإني لا أرى

الموت الا السعادة والحياة مع الظالمين الا برما) فراح يجاهد الظالمين رؤوس النفاق كي يرجع نصاب الحق والعدالة إلى امة جده ولم يبالي من الأعداء ولو كانوا ملأ الأرض وان صار يحاربهم وحده، قصد القوم ولسان حاله وطلبه الإصلاح في امة جده وللإصلاح طريقان البيان والسنان، فقد ما عنده من حجج حتى عجز القوم عن مجاراته، فصاروا الى حربيه فلن يبالي و غايته رضا الله وطلب وجهه فراح يحقق الخلود بنفسه المقدسة واهل بيته وأصحابه ونسائه معاً كل له دوره في ملحمة هي وتر في التاريخ والثورات ما شفعت، وقف عليه السلام فردا ووقف أصحابه يرون الحق فيه جليا ويرون وقوفهم والفوز بالشهادة بين يديه منحة ربانية وسطرت في كربلاء أروع صورة للإيثار شارك فيها شيخ وشاب و غلام لم يبلغ سن الرجال وامرأة تستشهد مع ولدها وأخرى جديدة عهد بالزواج تؤثر شهادة زوجها على ضيم يلحق بال بيت الرسالة، ولموقف زينب حظ عظيم من النصر وتغيير وجه المنكر وكشف اللثام عن منافقي الامة وحديث الفتح الحسيني جليّ فبعد ملحمة الطف لم يبق لأحد عذر في قول كلمة العدل امام سلاطين الجور والفساد.. (29)

خامسا: شعارات الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف التي انتصرت على الفساد

لقد كانت شعارات الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء مدوية وقوية ومعبره عن معاني الحرية والكرامة والعزة والشرف، ورفض الاستعباد والاستبداد والذل والخنوع. لقد رفع الإمام الحسين (عليه السلام)، مجموعة من الشعارات المعبرة عن نهجه وفكره و مواقفه الشجاعة في يوم البطولة والفداء، يوم عاشوراء المصبوغ بالدماء.

ان بعض كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، سواء التي نطق بها أثناء مسيره من المدينة إلى كربلاء أم تلك التي قالها في يوم عاشوراء، اتخذت طابع النداء المؤثر الذي يدعو الى الجهاد والكرامة، لأجل إيقاظ الضمائر وصحة الأمة. ويمكن التعرف من خلال هذه الشعارات على الأهداف والأفكار والمعنويات التي كان يتصف بها رجال عاشوراء واعتبار تلك المعالم المضيئة شعارات للثورة الحسينية الخالدة ولل قضية المبدئية التي نهض بها أبو الأحرار(عليه السلام) لنصرة الدين.. ومن هذه الشعارات:

نعم بتلك الجماعة كان الفتح العظيم بدم سبط رسول الله وإخلاصه وإيثار أهل بيته وأصحابه الذين لم يكن لهم شبيه على وجه الأرض كانت بداية النصر.

1. قالها عليه السلام، في مكة قبل الخروج إلى الكوفة أمام جمع من أنصاره وأهل بيته.

(من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله، ناكثا عهده مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغَيَّر عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله) (30).

2. (على الإسلام السلام، إذا بُليت الأمة براع مثل يزيد). (31).
3. (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما). (32).
4. قاله عليه السلام عندما عزم على الخروج من مكة الى الكوفة، مبيِّنا طريق الشهادة الدامي الذي سيسلكه. (انما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) (33).
5. مقتطف من الوصية التي كتبها سيد الشهداء لأخيه محمد بن الحنفية قبل خروجه من المدينة. (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد) (34).
6. ورد هذا القول في كلامه صبيحة يوم عاشوراء مخاطبا جيش الكوفة الذي أراد منه الاستسلام. (هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون) (35).
7. قال هذا الكلام مخاطبا جيش الكوفة حين وجد نفسه مخيرا بين طريقي الذلة والشهادة.

(فهل إلا الموت؟ فمرحبا به). (36).

هذه المجموعة من الجمل المعبرة التي تعتبر بمثابة رمزية شعارات أبي عبد الله الحسين عليه السلام في نهضته وهي تدل على عظمته التي استمدتها من عظمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أضاء للبشرية دربها وحياتها بتضحياتها ووقوفه بكل إباء وصلابة في وجه الظلم والطغيان الأموي وبهذه الشعارات الرائدة الخالدة هز عروش الظالمين والمتآمرين على الإسلام. وكل شعار من شعارات الثورة الحسينية يعتبر مدرسة يتعلم فيها الإنسان كيف يصوغ شخصيته كاملة نزيهة عملاقة، تقف صامدة بوجه الظالمين والمستكبرين بكرامة وعزة.

سادسا: استلهاام واقعة الطف في مكافحة الفساد في عصرنا الحالي

وعلى أساس هذه الانحرافات التي ذكرت وحجم الفساد في سياسية معاوية وثورة الإمام الحسين عليه السلام في الإصلاح والثورة على الفساد والمفسدين، لا يمكن ربط عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، بسياقاتها التاريخية حصرا، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عن ذلك التاريخ، فهي الثورة الإصلاحية الحية التي تفجرت لتصح مسار الانحراف في الأمة الإسلامية، واستمر صداها يتخطى القرون عابرا الأفاق نحو المستقبل. كما لا يمكن ربطها بالإسلام حصرا، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عنه وهي جاءت حاملة لمبادئه، باذلة التضحيات في سبيله. فهي

ثورة إنسانية لكل أبناء البشرية، منبثقة عن الإسلام الذي هو دين الإنسانية المنزل من رب العالمين جميعا، وإيهم جميعا، في كل زمان ومكان.

يمكن استلهم دور معركة الطف في مجال مكافحة الفساد ووفق الآتي

1. ثورة الحسين ثورة على الفساد والمفسدين في كل مفاصل الحياة وتجد في عالمنا اليوم من يتباكي على مظلومة الإمام الحسين عليه السلام وهو من يعمل على نشر الفساد والتستر على المفسدين، وليعلم المتباكين على مظلومية الحسين بأنها انتصار للحق على الباطل والشرك، وانتصار أرادة الخير على إرادة الشر والظلام.
2. الإصلاح والعدالة والمساواة للمجتمع الإسلامي، حيث أن الإمام الحسين (عليه السلام) أعلن ثورته بعدما جارت البلدان الإسلامية من ظلم وجور يزيد والانحراف عن المبادي الإسلامية التي جاءت بها الرسالة المحمدية، ومقولته الشهيرة في ساحة المعركة (أني لم أخرج أشرا ولا بطرا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح لأمة جدي
3. علمتنا الثورة الحسينية كيفية انتصار الدم على السيف، حيث أن ثورة الحسين استطاعت أن تحطم حاجز الخوف المحيط بالشعوب الإسلامية من قسوة وظلم يزيد، ومهدت لقيام الثورات والانتفاضات ضد نظام آل أمية مثل ثورة المختار بالكوفة، وثورة زيد بن علي، وثورة الحسين بن علي الخير في المدينة (المعروفة بواقعة الحرة) واستمرت إلى أن تم إسقاط الدولة الأموية..
4. ان الثورة الحسينية مدرسة فكرية متكاملة المبادئ لا يمكن الخوض بكل أعماقها بسهولة وأن الوفاء لقضية الامام الحسين عليه السلام ليس بالمظاهر والقشريات، بل بجوهر الانتماء الفعلي لمعسكر الحق وأن نكون أشداء على الباطل وأهله رحماء بيننا.
5. الإمام الحسين (عليه السلام) أراد أن يعلن من خلال معركة الطف درس لا ينسى على مر الدهور في الصمود والتحدي والإصلاح والحرية والتمرد على الطغاة وعدم ظلم الآخرين، مضيئا شموع الأمل والإصلاح لهذه الأمة لكي تعيش حياة كريمة حرة شامخة ترفل بالعز والسؤدد
6. ان شيوع الفساد والفاستدين في العراق تحتاج الى الحزم والقوة في إخراج الفاسدين
7. فالإمام الحسين (عليه السلام) يبقى منارا وخالدا على مر العصور وملكا للحياة الإنسانية جمعاء، وأن أعمار الطغاة قصيرة حتما

خاتمة:

1. إن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في معركة الطف كانت ثورة حقيقية ضد الفساد والظلم وكشف الفاسدين.
2. واقعة الطف أعطت مفاتيح للإصلاح العام في كل مفاصل الحياة العامة

3. لقد كانت الثورة الحسينية منار لكل المصلحين في العالم وقد ظلت حية بمبادئها العامة

4. نحتاج في عالمنا المعاصر إن نستلهم من واقعة الطف الأسس والأساليب للإصلاح والية القضاء على الفاسدين فقد علمنا الإمام الحسين عليه السلام بدمه الطاهر في واقعة الطف كيفية الثورة واليتها وتطبيقها وما علينا إلا إن نطبقها لغرض الإفادة منها في إصلاح أنفسنا ومجتمعنا

التوصيات:

ومن أهم التوصيات في هذا البحث

1. جعل معركة الطف خطوط عامة للقضاء على الفساد
2. توجيه وسائل الإعلام بتكثيف حملة على الفساد والفاستين إعلاميا
3. توجيه الخطب الدينية لائمة الجمع بتثقيف المواطنين على تجنب الفساد بكافة جوانبه
4. اخذ العبر والدروس المستنبطة من واقعة الطف في معالجة الجانب الاجتماعي وانحرافاتة عن الصراط المستقيم
5. على المصلحين والمنادين في الاصلاح لواقع المجتمع الالتزام بسيرة الامام الحسين (عليه السلام) واسباب خروجه ضد الحكام الطغاة
6. ثورة الحسين (عليه السلام) ثورة انسانيه عالجت كيفية تخلص الشعوب المظلومة من حكامها الطغاة ونيل الحرية.

هوامش البحث:

- (1) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ) — أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، (بيروت 1417 هـ / 1996م) ج 1 ق 2، ص 73.
- (2) ابن قتيبة الدينوري ابي محمد عبدالله بن مسلم، (ت، 276هـ / 889م) الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: الأستاذ علي شيري، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (بيروت، 1990م) ج 1، ص 151
- (3) ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 328هـ) العقد الفريد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (بيروت، 1404 هـ) ج 4، ص 259
- (4) القرشي، باقر شريف، حياة الامام موسى بن جعفر عليه السلام دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، الناشر، (العتبة الكاظمية المقدسة، 1431هـ)، ج 1، ص 302.
- (5) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت، 310هـ) — تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث، الطبعة: الثانية (بيروت، 1387 هـ) ج 7، ص 38.
- (6) سيد أمير علي، روح الإسلام، ترجمة وتحقيق، امين محمود الشريف، ومحمد بدران، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1961م) ص 296.

- (7) هدارة، محمد مصطفى. اتجاهات الشعر العربي، دار المعارف (مصر، 1963) ص 27.
- (8) شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها وتطورها اللغوي والأدبي، (بغداد، 1952م) ص50
- (9) ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر، شهاب الدين أحمد (ت: 328هـ) العقد الفريد الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، (بيروت، 1404 هـ) ج1، ص194
- (10) باقر شريف القرشي، حياة الامام الحسن، تقديم: الأمام كاشف الغطاء، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1413هـ) ج2، ص153.
- (11) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: 276هـ) الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة (القاهرة، 1423 هـ): ص 462.
- (12) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2008م) ج 2، ص149 - 150.
- (13) عباس محمود العقاد، معاوية في الميزان دار الهلال للطباعة، (مصر، 1956) ص 64
- (14) فلهاو زن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة الدكتور يوسف العض، (دمشق 19٥٦ م) ص 207
- (15) ابن أبي الحديد. عبد الحميد بن هبة الله بن محمد، (ت، 655هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. (مصر، د.ت) ج2، ص23..
- (16) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (المتوفى: 255هـ) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا الناشر: المطبعة الأميرية، الطبعة: الأولى، (القاهرة 1332هـ / 1914م) ص 55
- (17) المصدر نفسه، ص151.
- (18) القرشي، حياة الإمام الحسن، ج2، ص 161
- (19) المرجع نفسه، ج2، ص 161
- (20) محمد كرد علي، الحضارة الإسلامية، ج2، ص145.
- (21) العلوي، النصائح الكافية، ص72
- (22) فرج أنطوان، ابن رشد وفلسفته دار الفارابي (بيروت - لبنان. 1903) ص 60
- (23) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص252، الدينوري، الامامة والسياسة، ج1، ص200.
- (24) تبرت: اهلكت دينك.
- (25) الدينوري، الامامة والسياسة، ج1، ص284؛ الكشي، ابي عمرو محمد بن عمر، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه، احمد الحسيني، مؤسسة الاعلمي، الطبعة الأولى (بيروت، 2009) ص 32، السيد علي خان المدني، (ت، ١١٢٠ هـ) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الثانية (قم، 1397)، ص334.
- (26) باقر شريف القرسي، الإمام الحسين، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة (النجف، 129هـ) ص 338.

- (27) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت: 748هـ) سير أعلام النبلاء المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، (بيروت، 1405 هـ / 1985 م) ج3، ص198.
- (28) بدري البدري، عاشوراء وبداية التغيير، مجلة الولاية، تصدر عن العتبة العلوية المقدسة، فبراير 27، 2017 م، نشرت في الولاية العدد 99
- (29) بدري البدري، عاشوراء وبداية التغيير، مجلة الولاية، تصدر عن العتبة العلوية المقدسة، فبراير 27، 2017 م، نشرت في الولاية العدد 99
- (30) الطبري، تاريخ الرسل، ج 4 ص 297؛ أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (ع) تحقيق وتعليق حسين الغفاري، (قم، د.ت.) - ص 72.
- (31) الطبري، تاريخ الرسل، ج 4، ص 304،
- (32) الطبري تاريخ الرسل، ج3 ص280؛ ابن نما الحلّي الشيخ أبو إبراهيم، محمد ابن الشيخ جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي الأسدي 645 هـ، مثير الأحران منشورات المطبعة الحيدرية (النجف 1369 هـ / 1950 م) ص27، الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت، 1111هـ) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان، 1403 هـ / 1983 م) ج44 ص34
- (33) الطبري تاريخ الرسل، ج: 3 ص، 343،
- (34) المجلسي، بحار الأنوار ج ٤٥، ص7
- (35) المصدر نفسه، ج42، ص9.
- (36) المصدر نفسه، ج ٧٠، ص ٣٩

المصادر والمراجع العربية

أولاً: المصادر العربية

1. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد، (ت، 655هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. (مصر، د.ت.)
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: 630هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، (بيروت - لبنان 1417هـ / 1997م)
3. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ) أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزر كلي الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، (بيروت 1417 هـ / 1996 م)
4. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى (المتوفى: 255هـ) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا الناشر: المطبعة الأميرية، الطبعة: الأولى، (القاهرة 1332هـ / 1914م)

5. الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: 282هـ) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال الناشر: دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، (القاهرة 1960 م)
6. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: 276هـ) الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة (القاهرة، 1423 هـ):
7. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت: 748هـ) سير أعلام النبلاء المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، (بيروت، 1405 هـ / 1985 م)
8. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت: 230هـ) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، (بيروت 1410 هـ / 1990 م)
9. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت، 310هـ) تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث، الطبعة: الثانية (بيروت، 1387 هـ)
10. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت: 709هـ) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية تحقيق: عبد القادر محمد مايو الناشر: دار القلم العربي، الطبعة: الأولى، (بيروت 1418 هـ / 1997 م)،
11. ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 328هـ) العقد الفريد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (بيروت، 1404 هـ)
12. على خان المدني، (ت، 1120هـ) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الثانية (قم، 1397)
13. الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1407 / 1987)
14. ابن قتيبة الدينوري ابي محمد عبد الله بن مسلم، (ت، 276هـ/ 889م) الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخفاء، تحقيق: الأستاذ علي شيري، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى (بيروت، 1990م)
15. الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه، احمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى (بيروت، 2009)
16. المبرد: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الثالثة (القاهرة، 1417 هـ / 1997 م)
17. أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (ع) تحقيق وتعليق حسين الغفاري، (قم، د.ت)
18. المجلسي، محمد باقر، (ت، 1111هـ) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان، 1403 هـ / 1983 م)
19. ابن نما الحلّي الشيخ أبو إبراهيم، محمّد ابن الشيخ جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي الأسدي (ت، 645 هـ) مثير الأحزان منشورات المطبعة الحيدرية (النجف 1369 هـ / 1950 م)

20. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (المتوفى: 733هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة: الأولى، (القاهرة، 1423هـ)

ثانياً: المراجع العربية

21. بدري البدري، عاشوراء وبداية التغيير، مجلة الولاية، تصدر عن العتبة العلوية المقدسة، فبراير 27، 2017 م، نشرت في الولاية العدد 99
22. بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام". الناشران: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ودار الجليل، الطبعة الثالثة (بيروت. 1982)
23. جرجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي مطبعة الهلال، (مصر، 1952)
24. سيد أمير علي، روح الاسلام، ترجمة وتحقيق، امين محمود الشريف، ومحمد بدران، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1961م)
25. شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها وتطورها اللغوي والأدبي، (بغداد، 1952م)
26. عباس محمود العقاد، معاوية في الميزان دار الهلال للطباعة، (مصر، 1956)
27. علايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (مصر، 1939)
28. العلوي، محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، دار الثقافة للطباعة والنشر إيران الطبعة الأولى: (قم، 1412 هـ)
29. فرج أنطوان، ابن رشد وفلسفته دار الفارابي (بيروت - لبنان. 1903)
30. فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة الدكتور يوسف العض (دمشق 1906م)
31. القرشي، باقر شريف، الإمام الحسين، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة (النجف، 129هـ)
32. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، الناشر، (العتبة الكاظمية المقدسة، 1431هـ)،
33. القرشي باقر شريف حياة الإمام الحسن، تقديم: الإمام كاشف الغطاء، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1413هـ)
34. محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2008م)
35. هدارة، محمد مصطفى. اتجاهات الشعر العربي، دار المعارف (مصر، 1963).

القيم الإنسانية المستوحاة من ثورة الإمام الحسين (ع) وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي

أ.د. رباح أحمد مهدي

كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

أ.د. شيام فهمي إبراهيم

كلية التربية للبنات
الجامعة العراقية

ملخص البحث

في هذا البحث حاولنا أن نقف على الصفات والقيم التي أتصف بها الحسين (ع) وأصحابه الذين استلهموها وتعلموها من أبي الأحرار أبي عبد الله الحسين (ع) ولا سيما في المعركة التي تشكل المنعطف الروحي في مسيرة العقيدة الإسلامية، والتي لولاها لكان الإسلام مذهباً باهتاً يركن في ظاهر الرؤوس، لا عقيدة راسخة في أعماق الصدور... ولهذا جاءت ثورة الحسين (ع) في الطف معين لا ينضب للباحثين، بل يتجدد في كل سنة، ونصره يتجدد على مدى السنين، وتستمر شعلته في التوهج وتفيض علينا بالدروس والعبر.

ومن القيم والخصال الإنسانية التي تمثلت في شخصية الإمام الحسين (ع) وأستقى أصحابه منها هي قوة شخصية الإمام الحسين (ع) وصفاتها وقيمتها كالتضحية في سبيل الإسلام والثبات على عظمة المبدأ المحمدي الشريف، والصراحة التي لا تهاب الموت.

لا بد من التوقف طويلاً عند النتائج والآثار التي حملتها والتي لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا ومتجذرة في نفوس وضمائر الملايين، عاماً بعد آخر لذلك فإن نهضة الحسين (ع) لم تكن مذهبية ولن تكون كذلك وشعار تلك النهضة لا زال مدوياً يجسدها بمقولته المشهورة (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم) إن إحياء ذكرى عاشوراء هو للعبارة والاعتاظ وتوضيح الدرس العملي والتطبيق لآيات كتاب الله الأمانة بالثورة على الحاكم الظالم ولو من موقع إسلامه العام، فمجرد كون الحاكم مسلماً لا يمنع من القيام ضده لتصحيح مسار الأمور عندما ينحرف بها عن جادة الاستقامة والهداية والعدل والحق ولذلك نرى القرآن يصرح بأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو الكافر والفاسق والظالم. وعليه فالحسين (ع) أراد بنهضته أن يسن سنة حسنة في الإسلام ليقتدي به كل المسلمين في العصور اللاحقة عندما يعيشون أوضاعاً كالتي كانت موجودة في عصره حيث انتشر الظلم وعم الفساد في الأمة الإسلامية بسبب فساد الحاكم وانحرافه وكلمات الحسين (ع) ان على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع فاسد الذي وصفه سيد الشهداء من ان الحاكم الفاسد رجل فاسق شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبيع مثله. ان هذه عبارات جسدت حكمة كبيرة المعنى والدلالة وكأنها قيلت اليوم ازاء الجموع من العراقيين الذين لبوا نداء المرجعية الرشيدة المتمثلة بفتوى الجهاد الكفائي التي جاءت لردع الزحف الداغشي الإرهابي التكفيري على مدننا وقرانا العزيزة. وأكدت المرجعية الرشيدة بأن العراق وشعبه يواجهان تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً.

القيم الإنسانية المستوحاة من ثورة الإمام الحسين (ع) وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي

أ.د. رباح احمد مهدي

كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

أ.د. هيام فهمي إبراهيم

كلية التربية للبنات
الجامعة العراقية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين. وبعد فإن أهل البيت عليهم السلام يمثلون القاعدة الأساسية للوحدة الإسلامية، فقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وإخلاصهم لله ورسوله، وللإسلام وأهله، وجهادهم في سبيل الله، وسعيهم من أجل إصلاح الأمة في قضاياها العامة والخاصة وعلى أساس مسؤولياتهم الكبرى التي حملهم الله إياها. ومعركة الطف تعدّ بحق البوصلة الحقيقية التي تدلنا على الطريق الصحيح، وتنير أمام السالكين دروب العزة والكرامة والعظمة. فالثورة الحسينية هي نهضة حضارية جمعت فيها أعظم قيم الأرض والسماء، تستلهم منها في كل زمان ومكان قيم ومبادئ إنسانية يقتدى بها الناس إلى يوم القيامة. فهو قائد وأستاذ نتعلم منه العبر والاصول والقيم ومميزات القائد المسلم الذي ضحى بالغالي والنفيس من أجل تثبيت دعائم الاسلام، فالحسين (ع) وكربلاء أوسع من البقعة المكانية التي عُرفت، وأطول من المدة الزمنية التي دارت فيها المعركة، وأعظم مما تصوره بعضهم أنها حادثة تاريخية تنطوي في صفحات التاريخ شأنها شأن بقية الوقائع.

الخ (1)

ففي هذا البحث حاولت أن أقف على القيم الإنسانية التي اتصفت بها الثورة الحسينية والتي لعبت دورا كبيرا في شحذ همم مقاتلي الحشد الشعبي الابطال في تحقيق النصر على عصابات داعش الارهابي، ولولا هذه القيم الراسخة في قلوب الابطال مقاتلين وقادة، لكان الدواعش قد دنسوا الأرض والعرض وعبثوا في الأرض فسادا كما فعلوا في الموصل وتلعفر وغيرها من الأراضي التي احتلواها في بادئ الامر. ولهذا جاءت ثورة الحسين (ع) في معركة الطف لتكون معين لا ينضب للمجاهدين المدافعين عن الأرض والدين والعقيدة الإسلامية التي وضع أسسها الإمام الحسين(ع)، والتي تتجدد في كل عام، ونصره يتجدد على مدى السنين، وتستمر شعلته في التوهج وتفيض علينا بالدروس والعبر لتتبرر طريق المجاهدين المؤمنين بعقيدة الإمام الحسين(ع). فتورة عاشوراء مدرسة تعلم منها

أبناء الحشد الشعبي المقدس أروع العبر، واستلهموا من قصة الإمام الحسين (ع) وأصحابه الأبطال عدداً من القيم الإنسانية التي تحلى بها قادة الحشد الشعبي وكل الخيرين من القوى الأمنية الذين شاركوا إخوانهم أبناء الحشد الشعبي في عمليات تحرير المدن العراقية من دنس الدواعش الانجاس الذين اساءوا للإسلام وانتهكوا كل القيم الدينية والدينية وهي أن نثار الله وحده، ثم للدين، ثم للمبدأ، ثم للعقيدة، ولا نتصر للعصبيات والقوميات والانتماءات التي صاغها الإنسان وفقاً لأهوائه، فقد امتزجت الدماء في معركة الطف، دماء المسلمين وغير المسلمين، ودماء القبائل العربية المختلفة⁽²⁾.

معنى القيم الإنسانية:

تعرف القيم الإنسانية بأنها تلك المبادئ والعادات والأخلاقيات التي نستخدمها، ونستعملها في حياتنا باستمرار، وتشير العلوم الإنسانية الى أن القيم هي تلك الجزئية من أخلاقيات الإنسان وغاياته، التي يسعى إليها سواء لغايات يطلبها الإنسان في داخله، أو متطلبات ذاتية له، إذن فالقيم هي مجموعة الأحكام التي تصدر من العقل، وتوجه الإنسان نحو رغباته، واتجاهاته المكتسبة من المجتمع الذي يعيش فيه، والتي تعمل على تحريك سلوكياته، فهو بناء يبدأ داخل الإنسان، ويعزز وينمو من خلال الحياة وتجاربه التي يمر فيها، وبالتالي تتكوّن القواعد التي تحكم شخصية الإنسان وأسلوبه وصفاته وسلوكياته، والتي ينتج عنها نضوج العقل الذي يميّز بالحكمة، وفن التعامل مع الآخرين مثل: الرحمة، والتعاون، والعدل، والمحبة... الخ.

اما القيم الاجتماعية وهي مجموعة العادات التي يتأثر بها الإنسان، وتصبح جزءاً من سلوكياته وتصرفاته في تعامله الشخصي والاجتماعي، سواء مع أهله أو أقاربه أو زملائه، فهناك أشخاص محبّون للناس، ويتطلعون لمساعدتهم وإسعادهم ودحر الظلم عنهم، ومن هذه القيم: الحرية، المحبة، المساواة. والتعاون، النخوة والكرم والاحاء والمروءة والشجاعة والتضحية والفداء ونكران الذات والثقة الزائدة بالنفس، والصبر، والشجاعة، والحكمة، والقدرة على الفهم الجيد للأمور، والأمانة والصدق، الخ.

هذه القيم كلها موجودة لدى أصحاب الحسين (ع) والتي اكتسبوها من الإمام الحسين (ع). واستلهمها أبناء الحشد الشعبي الاخيار وطبقوها في الحرب ضد داعش الارهابي، وهذا دليل على فهم الحياة والنضج وتطبيق لقيم الإسلام الصحيح القائم على أسس ومبادئ الثورة الحسينية الشريفة. أكدت الدراسات أن الدول التي تسود فيها هذه القيم تكون أكثر نضجاً ورفقياً، وتعتبر مجتمعات ناجحة؛ لأنها تهتم بالعلم والمعرفة، مما يزيد تطور هذه البلدان ونجاحها أكثر من البلدان الأخرى. تُكسب الفرد الأهمية، وذلك عندما تتوفر قيم راقية، وجيدة، وإنسانية نابعة من داخله، كالبعد عن المال الحرام، والإصرار على العمل الشريف، وحفظ

الأمانة، ومساعدة المحتاجين، واحترام الغير، فإن كل هذه القيم سترفع مكانة الفرد بين أفراد مجتمعه، وتزيد ثقتهم به، فيحبّون التقرب له، حيث يمثل قدوة لهم، ويحبّون أن يكونوا مثله في سلوكه وصفاته وقيمه.

فقيم الثورة الحسينية هي مجموعة الأخلاق المستوحاة من الله والإسلام والقران والسنة النبوية الشريفة وأحاديث اهل البيت (ع) التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة. (3)

لقد كان الإمام الحسين (ع) الرائد والمعلم الاول في مسيرة الخير والتحرر والاستقلال والتطور والدعوة للعدالة وحقوق الإنسان ومعاني الشرف والبطولة والفداء، اذ يرى فقهاء الاسلام المرتكزة علومهم على جوهر القران الكريم بان الإمام الحسين (ع) رسالة حق رافض لبوابة الظلم، والمنتصر بالشهادة التي فضلها على الحياة الدنيا، فكان القدوة والرمز الإنساني لكل الشعوب الحرة لكونه مشروع سلام ومنهج يضيئ الدرب بفكره القرآني النير لحفظ كرامة الأمم والشعوب المظلومة. وكما هو معروف فان نور الثورة الحسينية كان خلدا تاريخيا خلاف لباقي الثورات، وهنا يمكن ان نستفيد من دروسها في عملية التغيير في النهج الإنساني للحضارة البشرية وتطورها فلا بد من تصحيح مسار بعض الأفكار التي لم تفهم بعض الحقائق الحسينية في تلك المسيرة التي امتدت سنوات عبر التاريخ وهذا ما يكرمننا أن نستلهم القيم والمبادئ العالية للمعاني التي سار من اجلها امامنا و سطر ركباها العلوي في يوم عاشوراء في كربلاء عام 61 للهجرة إلى عموم البشرية عنوانها التضحية والفداء سعيا الى اقرار العدالة والعدل وإزالة الباطل.

وبمناسبة أيام عاشوراء وفي ظل انتصار الدم على السيف، لننادي لبيك يا حسين وهيبات منا الذلة وستبقى الراية الحسينية شامخة مرفوعة على سارية المرقد الشريف الطاهر بعد ان انتصر الدم على السيف، لإن واقعة أطف أثبتت للعالم أجمع إنها ثورة ومسيرة حق من الحجاز إلى العراق في كربلاء المقدسة تحمل بين طياتها منطق العقل والمنطق المستنبط من واقع الدفاع عن الحق ورفض الظلم مهما كانت عقيدته ومذهبه وقوميته. وتمثل نموذجا فريدا سيظل حيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

القيم الإنسانية المستوحاة من ثورة الإمام الحسين (ع):

من القيم الإنسانية التي تمثلت في شخصية الإمام الحسين (ع) والتي أستقى أصحابه بها، قوة الشخصية من شخصية الحسين (ع) وقيمتها لكي يمدوا بها الأجيال القادمة بالأنوار المشعة والتي لا تزال تنير درب المسلمين المؤمنين على مشارق الأرض ومغربها، والمتمثلة في التضحية في سبيل الإسلام والثبات على

عظمة المبدأ المحمدي الشريف، والصراحة التي لا تهاب الموت، ومن هذه الصفات هي:

1- قيمة الإباء:

من أهم القم التي استقاها أصحاب الحسين (ع) هي قيمة الإباء، إذ علم الحسين (ع) الرجال الرجولة، ونبيل الإباء، في قوله: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد، يا عباد الله إني عدت بربي وربكم أن ترجمون، أعود بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب). ونسمع كيف تتعلم الرجال منه الرجولة في قول مصعب بن الزبير: إذ قال لسكينة بنت الحسين (ع) (لم يبق أبوك لابن حرة عذراً)، وقد استقى أبناء الحشد هذه الصفة الحسينية وفعلاً ابلاوا بلاء الرجال الأبطال في قتال داعش في ساحات الوغى.

2- البطولة:

وهي سمة واضحة عند أبي عبد الله الحسين (ع) ونراها في مواقف كثيرة، منها قوله: (قوموا يرحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه ، فإن هذه السهام رُسلُ القوم إليكم)، فاقتتلوا ساعة من النهار حملة، حتى قُتل من أصحاب الحسين (ع) جماعة ، فعنها ضرب الحسين (ع) يده على لحيته الشريفة وجعل يقول: اشتد غضب الله على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضب الله على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضب الله على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيئهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي.

فنلاحظ في هذه الأقوال بلاغة الروعة في قوله: (قوموا إلى الموت.... وقوله أما والله لا أجيئهم....) فالدعوة إلى الموت كأنها دعوة إلى مأدبة لذیذة، وأنا على يقين كان الحسين (ع) يجدها لذیذة وهو ينازل الباطل ويرتسم له برهان ربه، وهذا ما شاهدناه في ساحات الوغى إذ سطر أبناء الحشد الأبطال أروع البطولات وقدموا أروع الأمثلة في التعامل مع الأطفال والشيوخ العالقين في ساحات المعارك.⁽⁴⁾

3- قيمة الحياة والموت:

لقد أعطى الإمام الحسين (ع) قيمة لمعنى الحياة والموت فكان لا يعطي أي قيمة لها ما عدا قيمة المبدأ، وهو مبدأ الثبات على عهد جده الرسول (ص)، وهذا المبدأ، وهو المجدد لبنانية التوحيد كما قال عنه الشاعر الهندي (معين الدين الحميري) فقد كان الموت يخطف أنصاره الواحد تلو الآخر بمرأى منه ومسمع، وأبناؤه يسقطون من شدة العطش وتضربهم سيوف الأعداء، وحرمةً ينفجَعن وهو يتلوى من الضمأ ومن الألم، وعلى الرغم من ذلك نراه ثابت على مبدئه ولا يلين. وقد اثبتت التجارب اثناء القتال كيف صمد ابناء الحشد الشعبي في ساحات

المعارك ولم يتركوا مواقعهم مؤكدين ومطبقين وصية الإمام الحسين (ع) في قوله: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل... الخ).

4- قيمة العلاقة الإنسانية بين القائد وأصحابه:

في كربلاء تجلت أروع الصور الأخلاقية في قضية العلاقة بين القائد وأنصاره، وكانت كلمات الحسين (ع) لأنصاره تنم عن المؤاساة ونبذ الطبقية حتى مع العبيد، وكذلك كانت أفعاله (ع) معهم، فقد وضع الحسين (ع) خده على خد غلام أحد أصحابه حينما كان يلتقط أنفاسه الأخيرة. وهكذا كان يخاطب أصحابه وأنصاره قائلاً: صبراً بني الكرام، وقوموا يا كرام، ويدعو لجون مولى أبي ذر بتبييض وجهه يوم القيامة، وتطيب ريحه بالحشر مع الأبرار، أو بالتعريف بينه وبين محمد وآل محمد (5).

وهكذا كان أبناء الحشد يتعاملون كأخوة في العائلة الواحدة إذ يساعد كل واحد منهم الآخر أثناء الواجبات القتالية، ويحزنوا عندما يفقدوا أحد زملائهم، فقد كانوا كالبنيان المرصوص يشد ويسند بعضهم البعض الآخر.

5- قيمة العبرة بالنهاية:

لقد أدى الإمام الحسين (ع) رسالة كبيرة للأمة الإسلامية جمعاء، وبقيت عبر العصور تنهل منها الأجيال من مشارق الأرض ومغاربها، وهي بحق انتصار الدم على السيف من يوم عاشوراء إلى يومنا هذا، فهذه الرسالة تضمنت أسمى القيم الإنسانية وأصبحت مرجعاً يُفتدى بها ويرجع إليها الباحثون والعلماء والمفكرون في مجال حقوق الإنسان والنتائج النظرية والعملية التي توصلت إليها، فالإمام الحسين (ع) مارس تلك القيم الإنسانية وعلمها لأصحابه وطلب منهم الاقتداء بها لأنها بحق مبادئ سماوية مقدسة تعلمها من جده الرسول الأعظم (ص). وفعلاً اقتدى أبناء المرجعية الشريفة بالقيم الإنسانية التي جاءت بها الثورة الحسينية المقدسة عندما لبوا نداء المرجعية الشريفة من خلال التطوع في تشكيلات الحشد الشعبي المقدس، إذ تنخى الرجال في التطوع للدفاع عن أرض الوطن والتضحية بانفسهم، فهم بحق أبناء الرجال الذين نصرروا الثورة الحسينية في حينها.

6- قيمة الشهادة:

تناسب حيوية كل أمة وروح الانبعاث في كل جماعة طرداً وعكساً مع انتشار روح الشهادة وتصوراتها بين أفراد الأمة والجماعة ومع كثرة الشهداء الأحياء وندرتهم في تلك الأمة والجماعة. فكلما نما في الأمة عدد هؤلاء الشهداء الأحياء كانت الأمة أقدر على النهوض وأقرب إلى تحقيق أهدافها وذلك بتحقيق قضيتها، وكلما ندر في الأمة عدد هؤلاء الشهداء الأحياء كانت الأمة أعجز عن النهوض وأقرب إلى تكون منالاً سهلاً لأعدائها والمتربصين بها. وهذا قانون

حياتي تاريخي ينطبق على كل الأمم في كل العهود وفي جميع الحضارات ويمكن أن نقدم مثلاً له من حياة الإسلام بين عهد الرسول (ص) وبين عهد الإمام الحسين (ع).

ففي عهد الرسول (ص) كانت روح الشهادة بين أصحابه شائعة، وكان أصحابه يتسابقون لنيل الشهادة بين يدي رسول الله (ص)، فحقق الإسلام والمسلمون انتصارات تجاوزت كل القوانين العادية للتاريخ، لأن عاملاً نوعياً هو عامل الشهادة، غير المعطيات العادية لحركة التاريخ واستمرت هذه الاندفاعية بفضل هذه الروح حتى حققت للإسلام في عهد الخلفاء الأولين انتشاره الأعظم (6).

أما في عهد الإمام الحسن (ع) ومع انتشار الإسلام وانتشار ثقافته ونمو مجتمعه فقد كانت روح الشهادة ضئيلة تشبه النجوم في ظلمات الليل بحيث لم يستطيع كل الظلم الأموي، وكل التحدي الحسيني العلوي الإسلامي، أن يولد إلا عدداً محدوداً من الشهداء تمثل نخبتهم شهداء كربلاء، مما اقتضى من الإمام الحسين (ع) وقد أدرك هذه الحقيقة المرعبة، أن يقوم بثورته العظيمة والانتحارية من أجل أن يفجر في الأمة الإسلامية روح الشهادة من جديد، لتغدو كالنور والهواء، كما كانت في عهد الرسول (ص) ولتستأنف الأمة بهذه الروح جهادها من أجل العدالة والكرامة الإنسانية للمستضعفين، كل المستضعفين في الأرض، ومن هذا المنظور يمثل أنصار الحسين (ع) شهداء كربلاء أعلى ذروة نوعية في سجل الشهادة والشهداء في تاريخ الإسلام كله، لأنهم صمموا على نيل الشهادة التي رزقهم الله إياها في حالة من الهزيمة للأمة، أمام قوى الطغيان، وهذا ما يميزهم عن شهداء العهد النبوي الذين صمموا على نيل الشهادة أيضاً.

ولا تزال الثورة الحسينية تقاوم الاستعمار، فمن منابرها يطلق صوت القرآن، وفي مواكبها تجري خصال محمد وعلي والزهراء (عليهم السلام)، وفي ظلها يعيش كل من هدى الله قلبه للإيمان، ومن شاء أن يتقياً ظلال السلام، وهذه الحقيقة أقضت مضاجع المستعمرين، وأن الاستعمار وأذنايه في بلاد الإسلام يشنون هجوماً واسعاً وحرب عشواء لصدّ هذه الثورة المباركة، وهم يعلمون أن ثورة الحسين (ع) هي القلعة الوحيدة الصامدة بوجه الاستعمار، واستمر الاستعمار وأعدائه بالنيل من القيم الإنسانية التي جاءت بها الثورة الحسينية من خلال مساعدة عصابات داعش ومدعمهم بالسلاح والعتاد ودفعهم لاحتلال مناطق واسعة من أرض العراق الحبيب، ولكن بفضل صمود أبناء الحشد الشعبي الأبطال الذين كانوا يتسابقون للدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات، لأنهم صمموا على نيل الشهادة التي رزقهم الله إياها تلبية لنداء المرجعية الشريفة.

7- الجهاد:

وتتجلى القيم الانسانية لهذه النهضة الحسينية بما حققتة الثورة في حفظ المبادئ الحقه للإسلام التي بشر بها الرسول الاعظم محمد(صلى الله عليه واله وسلم) في عصر الرسالة الإسلامية، بالإضافة الى اهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من اجل الكرامة، فالأثر الذي تركته هذه النهضة المباركة في الفكر المعاصر اذ تمثلت بفتوى الجهاد الكفائي الذي أدى الى تطوع الملايين من أبناء العراق في تشكيلات الحشد الشعبي المقدس، الذي كان ضرورة موضوعية لاتخاذ موقف عسكري مهما كانت الظروف ومهما كانت الخسارة لغرض دحر الدواعش وتطهير الأرض من الدواعش الانجاس من خلال التضحية التي هي من اسمى القيم الاجتماعية والانسانية التي تميز بها سيد الشهداء (ع). اما البعد الاجتماعي الاخر فيقع في مفهوم الجهاد الاكبر حيث قال سبحانه وتعالى: والتائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراعون، الساجدون، الأمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله). وهذا برمته يشكل المكانة العالية لثورة الحسين(ع). (7)

لقد ترك الإمام الحسين (ع) بصماته في أكثر من اتجاه في حركة التاريخ فهو الذي صنع التاريخ من خلال معركة الطف التي كان الحسين أعظم قربانا ملا القلب والزمن بروح نقية لتكون شهادته من نمط اخر ليبيكي من هو مسلم ومن هو خارج الاسلام.

8- المعاملة الحسنة:

ومن القيم الانسانية الاخرى التي تمثل المنهج الاخلاقي للثورة الحسينية، فقد امر الحسين (ع) فتيانه بالتعامل مع اعدائه بالرحمة واللفظ والمروءة والكرم واستسقاءهم الماء بعد ان بلغ بهم العطش. وهذه القيم استلهمها أبناء الحشد الشجاعان من خلال استسقاء المياه للأطفال والشيوخ الناجين من المعارك وتقديم الطعام والشراب لهم ومعاملتهم بالطف والاحترام، وهذا دليل على تمسك أبناء الحشد الشعبي المقدس بالمنهج الاخلاقي للثورة الحسينية.

9- قيمة الهداية:

أكد الإمام الحسين (ع) على مواضع الهداية وعدم اراقة الدماء واحترام النساء وعدم استخدامهن كترس للحماية. ولقد كان للقيم الانسانية والاخلاقية التي جسدها الإمام الحسين (ع) في الثورة اقوى فاعليه واشد اثراً في النفوس وتغيير القلوب بعد ان فضح العدو وكشف غاياته لتتم تعريتها بالوسيلة الشريفة والاداة الطاهرة ليبقى مدرسة لكل من يريد من ثورته هدفا سامياً وغاية عظمى.

10- قيمة الحرية والديمقراطية:

فقد عمل الإمام الحسين (ع) بمنهج عدم الاكراه على مناصرته فترك المجال مفتوحاً لمن يختار، وهذا مما يدل على قيمة الحرية، والديمقراطية في

اختيار الطريق أو الوسيلة الشريفة والصحيحة لخدمة الإسلام والمسلمين، حيث ترك الباب مفتوحاً لمن يختار الانخراط والاضواء تحت لوائه. أما بالنسبة لتشكيلات الحشد الشعبي المقدس فقد ترك الباب مفتوحاً لمن يختار التطوع وفقاً لفتوى الجهاد الكفائي والتي حددت شروطاً للتطوع وبدون اجبار أحد على الانخراط في تشكيلات الحشد الشعبي المقدس. (8)

11- قيمة التقوى والإيمان:

لقد ارتبطت القيم الإنسانية للثورة الحسينية بأهدافها المتمثلة بالتقوى والإيمان واستمدت هذه الثورة قوتها من طابعها الشمولي كونها تعني إعادة الإسلام إلى نصابه الحقيقي من خلال الإيمان بالقيم الإنسانية النبيلة وهي التضحية والشهادة والإصلاح. أما المضمون الإنساني لهذه الثورة فيتجسد بكون قيمها جاءت لمناصرة الضعفاء والمظلومين لكي تبقى حيه تتأجج في النفوس وتصبح نداء لضمير الإنسانية جمعاء، لذا فإن قيمها تركزت على الإيمان والعدل والحرية والحياة ضد الكفر والفساد والظلم والاستبداد، أما القيمة الأسمى فهي الاستشهاد من أجل إرساء دعائم دولة العدل الإلهي بدلاً عن دولة الكفر والطغيان.

الخاتمة:

إن أهل البيت عليهم السلام يمثلون القاعدة الأساسية للوحدة الإسلامية، فقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وإخلاصهم لله ورسوله وللإسلام وأهله وجهادهم في سبيل الله وسعيهم من أجل إصلاح أمة الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قضاياها العامة والخاصة وعلى أساس مسؤولياتهم الكبرى التي حملهم الله إياها ومعركة الطف تعدّ بحق البوصلة الحقيقية التي تدلنا على الطريق الصحيح، وتثير أمام السالكين دروب العزة والعظمة. (9)

ولهذا فالحسين (ع) هو قائد وأستاذ نتعلم منه ميزات وصفات القائد الملهم، فمن خلال البحث الموسع نجد شخصية الحسين (ع) وصفاتها وقيمها تتمثل بها نهضة حضارية جمعت فيها أعظم قيم الأرض والسماء، يُستلهم منها في كل زمان ومكان قيم ومبادئ إنسانية يفقدي بها الناس إلى يوم القيامة، فهي أوسع من البقعة المكانية التي عُرفت، وأطول من المدة الزمنية التي دارت فيها المعركة، وأعظم مما تصوره بعضهم أنها حادثة تاريخية تنطوي في صفحات التاريخ شأنها شأن بقية الوقائع.

ومن القيم والخصال الإنسانية التي تمثلت في شخصية الإمام الحسين (ع) وأستقى أصحابه منها هي قوة شخصية الإمام الحسين (ع) وصفاتها وقيمها كالتضحية في سبيل الإسلام والثبات على عظمة المبدأ المحمدي الشريف، والصرامة التي لا تهاب الموت.

إن ثورة الإمام الحسين (ع) جسدت الإصلاح والهداية لكل البشرية دون استثناء، إذ سعى سيد الشهداء وصحبه الأبرار بتضحياتهم السخية الى بناء مجتمع إسلامي وإنساني متكامل، تسود فيه الاخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وتتحقق فيه العدالة والاخوة والحرية والمساواة والدفاع عن الأرض والعرض ووجعها من القيم الانسانية التي تحفظ حقوق وكرامة الإنسان والتي استلهمها قادة وأبناء الحشد الشعبي المقدس واعتمدوا عليها كدروس في معاركهم الشريفة ضد داعش الإرهابي، ويتضح ذلك في ضوء الهتافات والشعارات التي تعبر عن مدى تمسك أبناء المرجعية الرشيدة في تطبيق مبادئ وقيم الثورة الحسينية المتمثلة في شعار كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، فضلا عن تسمية التشكيلات القتالية بأسماء الفادة العظام الذين كانت لهم صولات وجولات في معركة الطف الخالدة ومنها تشكيل العباس (ع) وتشكيل السجاد(ع) وتشكيل علي الأكبر (ع)، كل ذلك يظهر لنا بوضوح التأثير الواضح والمؤثر لمبادئ الثورة الحسينية الممتد عبر الزمن واستجابة جموع الحشد لنداء المرجعية الرشيدة المتمثلة بفتوى السيد علي السيستاني (دام ظله الشريف) وسيبقى أبناء المرجعية الرشيدة أوفياء للقيم الحسينية والسير على نهجه ونهج أصحابه في الوقوف في وجه الطغيان والظلم الداعشي الإرهابي.

إن الجموع التي تسير الى كربلاء مجددة حبها ووفاءها لصاحب الذكرى العطرة سيد الشهداء وصحبه الأبرار لثورة تعد مدرسة حقيقية تستقي منها الأجيال اللاحقة كل معاني العز والشرف والكرامة الإنسانية وإنقاذ الدين وإحياء الشريعة ورفع البشرية من أدنى ما وصلت إليه الى عالم النور والضياء فثورة الإمام الحسين عليه السلام تحمل الكثير من المعاني والأبعاد والدلالات، فهي ليست تلك الثورة والحركة التي حصلت أحداثها قبل ما يقرب من 1400 عام وانتهت بشكل طبيعي كما تنتهي المعارك التي يقوم بها الإنسان فلا بد من التوقف طويلا عند النتائج والآثار التي حملتها والتي لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا ومتجذرة في نفوس وضمائر الملايين، عاما بعد اخر لذلك فان نهضة الحسين عليه السلام لم تكن مذهبية ولن تكون كذلك وشعار تلك النهضة لا زال مدوياً يجسدها بمقولته المشهورة (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم) إن إحياء ذكرى عاشوراء هو للعبارة والاتعاظ وتوضيح الدرس العملي والتطبيق لآيات كتاب الله الأمرة بالثورة على الحاكم الظالم ولو من موقع إسلامه العام، فمجرد كون الحاكم مسلماً لا يمنع من القيام ضده لتصحيح مسار الأمور عندما ينحرف بها عن جادة الاستقامة والهداية والعدل والحق ولذلك نرى القرآن يصرح بأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو الكافر والفاسق والظالم. وعليه فالحسين (عليه السلام) أراد بنهضته أن يسن سنة حسنة في الإسلام ليقنّدي به كلّ المسلمين في العصور اللاحقة عندما يعيشون أوضاعاً كالتالي كانت موجودة في عصره حيث انتشر الظلم وعم الفساد الأمة الإسلامية بسبب فساد الحاكم وانحرافه وكلمات

الحسين (عليه السلام) ان على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع فاسد الذي وصفه سيد الشهداء من ان الحاكم الفاسد رجل فاسق شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة معن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله. ان هذه عبارات جسدت حكمة كبيرة المعنى والدلالة وكأنها قيلت اليوم ازاء الجموع من العراقيين وهي كانت تنطلق كل جمعة تطالب بالإصلاح ومحاسبة المفسدين وسراق المال العام. ففي هذا البحث حاولت أن أقف على القيم الإنسانية التي أتصفت بها الثورة الحسينية والتي لعبت دورا كبيرا في شحذ همم مقاتلي الحشد الشعبي الابطال في تحقيق النصر على عصابات داعش الارهابي، ولولا هذه القيم الراسخة في قلوب الابطال مقاتلين وقادة، لكان الدواعش قد دنسوا الأرض والعرض وعبثوا في الأرض فسادا كما فعلوا في الموصل وتلعفر وغيرها من الأراضي التي احتلوها في بادئ الامر. ولهذا جاءت ثورة الحسين (ع) في معركة الطف لتكون معين لا ينضب للمجاهدين المدافعين عن الأرض والدين والعقيدة الإسلامية التي وضع أسسها الإمام الحسين(ع)، والتي تتجدد في كل عام، ونصره يتجدد على مدى السنين، وتستمر شعلته في التوهج وتفيض علينا بالدروس والعبر لتتير طريق المجاهدين المؤمنين بعقيدة الإمام الحسين(ع). فتورة عاشوراء مدرسة تعلم منها أبناء الحشد الشعبي المقدس أروع العبر، واستلهموا من قصة الإمام الحسين(ع) وأصحابه الأطهار عدداً من القيم الإنسانية التي تحلى بها قادة الحشد الشعبي وكل الخيرين من القوى الأمنية الذين شاركوا إخوانهم أبناء الحشد الشعبي في عمليات تحرير المدن العراقية من دنس الدواعش الانجاس الذين اساءوا للإسلام وانتهكوا كل القيم الدينية والدينية وهي أن نثار الله وحده، ثم للدين، ثم للمبدأ، ثم للعقيدة، ولا ننصر للعصبيات والقوميات والانتماءات التي صاغها الإنسان وفقاً لأهوائه، فقد امتزجت الدماء في معركة الطف، دماء المسلمين وغير المسلمين، ودماء القبائل العربية المختلفة من بني هاشم وبني أسد وغيرهم في ارض كربلاء، أيضا اليوم التاريخ يعيد نفسه في كل ارض كربلاء اذ امتزجت دماء أبناء الحشد الشعبي الاطهار الذين لبوا نداء المرجعية الشريفة والذين جاءوا من كافة محافظات العراق مع دماء أبناء القوات الأمنية من الجيش والشرطة الاتحادية وأبناء الحشد العشائري الذين كان لهم دورا كبيرا في ضبط الامن في مناطقهم المحررة. فتورة الإمام الحسين عليه السلام هي ثورة إنسانية كبرى بكل أبعادها حدثت في عصر معين لكن إشعاعها وقيمتها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير يشع على كل أمم الأرض مادام الظلم والاضطهاد قائمان في هذا العالم. ولا بد لنا أن نستحضر قيم تلك الثورة الخالدة في كل لحظة من لحظات هذا الزمن. وعندما نستحضر قيم تلك الثورة المجيدة وأهدافها لننهل من نبعها الثر، ونعلمها للأجيال القادمة لكي تكون لهم منارا يبين الطريق امامهم ليزدادوا ثقة وعزيمة بقدرة كل من سلب حقه وامتهنت كرامته وصودرت أماله، ويضعوا نصب اعينهم دروس ثورة الإمام الحسين (ع) لانتزاع ذلك الحق المصادر. (10)

وما دام هذا الدفق يتجدد كالسيل الأزلي ومادام هذا الشعاع المحمدي الخالد يظل يخترق المسافات لينير طريق الحرية والكرامة لكل شعوب الأرض المظلومة، لذا فإن الكتابة عن الحسين (ع) متجددة أيضا وهي كالبحر الذي لا ينتهي تدفقه ولا يجف عطاؤه مادامت شعوب الأرض باقية. لقد نهل الكثير من الكتاب والأدباء والشعراء من ذوي الضمائر الحية المتوقدة من مسلمين وغير مسلمين من معين هذه الثورة الخالدة فأبدعوا وأجادوا في كتاباتهم حول تلك البطولة الفذة، والقيم الانسانية، والنبيل المنفرد في توجهه. وبذلك أيقظوا الهمم والعزائم والضمائر، وحركوا العقول وزرعوا العنفوان في الدماء وأتحفوها بشذرات من الأمل والثقة بالنفس للدفاع عن الأرض التي دنسها الدواعش في فترة انشغال الدولة في أمور البناء والاعمار ليحتلوا المدن العراقية كالموصل وصلاح الدين والانباء وهددوا العاصمة بغداد، ولكن بفضل جهود الرجال الاخيار الشرفاء المؤمنين بعقيدة الإمام الحسين(ع) جاءت فتوى الجهاد الكفائي التي أصدرها السيد علي السيستاني(دام ظلته الشريف) لتحفز الهمم وتوقظ الضمائر من اقصى العراق الى أقصاه، واستجابة لهذه الفتوى الشريفة تطوع الالاف من الرجال الغياري في تشكيلات الحشد الشعبي المقدس الذي استطاع خلال فترة قصيرة إيقاف هذا الزحف الداعشي بفضل سواعد قادة وأبناء الحشد الشعبي الابطال المؤمنين بالمبادئ الانسانية للثورة الحسينية المباركة. لقد أعلن الإمام الحسين (ع) للدنيا كلها وخاطبها قائلا: (أيها الناس أني سمعت جدي رسول الله يقول: (من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا بعهده، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عبادته بالإثم والعدوان، فلم يُغَيِّرْ ما عليه بقول ولا بفعل، كان حقا على الله أن يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ). وقد علمتم أن هؤلاء القوم _ ويشير إلى بني أمية وأتباعهم _ قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفسادَ وعطلوا الحدودَ واستأنثروا بالقيء، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وإني أحقُّ بهذا الأمر. فتورة الحسين (ع) هي امتداد للرسالة المحمدية السمحاء التي ما جاءت ألا لتزيل نظام الرق والعبودية، وتهد صروح الظلم والظالمين الذين نصبوا من أنفسهم آلهة تعبد من دون الله وسخروا كل شيء لأغراضهم الدينية المحرمة التي تتعارض مع أبسط المفاهيم والقيم الأخلاقية وأمروا شعوبهم أن تنقاد كالقطيع لمشيئتهم كما يحدث اليوم في الكثير من الدول التي يزخر بها عالمنا المعاصر. وثورة الإمام الحسين (ع) ما جاءت ألا لتجدد الدم في عروق الشعوب المضطهدة لتحفزها وتمنحها القدرة الإيمانية الخلاقة والنابضة والقادرة على اكتساح تلك العروش الخاوية التي قامت على جماجم الشعوب عبر الزمن. وأخيرا يمكننا القول بان من ضحى بنفسه وماله فهو الذي جسد مبادئ وقيم الثورة الحسينية.

مصادر البحث:

1. السيد محمد علي حسين آل المرتضى، شعراء أهل السنة في العترة، سادات أهل الجنة، دار المحجة البيضاء، ط1، لبنان، بيروت، 2011، ص5-20.

2. عبد الله العلابي، الإمام الحسين (ع)، سمو المعنى في سمو الذات، دار مكتبة التربية، بيروت، 1972، ص29.
3. العلامة الخطيب اية الله السيد محمد كاظم القزويني. زينب الكبرى (ع) 77-81 من المهد إلى اللحد، مؤسسة النبراس للطباعة، النشر، العراق، النجف الأشرف، 1420هـ، ص77-81.
4. الإمام الحسين (ع) من الميلاد إلى الاستشهاد، إعداد هيئة محمد الأمين (ص)، مكتبة الإمام الشيرازي العالمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ص309.
5. الحسين في الفكر المسيحي وانطوان بارا، مؤسسة نور الكوثر، إيران، 2004، ص143.
6. الشيخ توفيق حسن علوية، الحسين لكل المسلمين والعالم وليس للشيعة وحدهم، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص324.
7. أنصار الحسين، للشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات، النشر، بيروت، 1996، ص75-125.
8. مقاتل الطالبين، لابي الفرج الأصفهاني، شبكة الشيعة العالمية، ص29.
9. هاشم معروف الحسني، من وحي الثورة الحسينية، دار القلم، بيروت، لبنان، المجلد الرابع، ص220.
- 10- ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وأثارها الانسانية، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص150.

ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)
أساس الانتصار فى معارك التحرير العراقى
خلال التاريخ المعاصر

أ.د. سمر رحىم
كلية الآداب - الجامعة المستنصرىة

أ.م.د. على عبد المطلب المبنى
كلية التربىة للبنات - جامعة الكوفة

ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)**أساس الانتصار في معارك التحرير العراقي****خلال التاريخ المعاصر****أ.د. سمير رحيم**كلية الآداب - الجامعة
المستنصرية**أ.م.د. علي عبد المطلب المدني**

كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة

مقدمة:

اتخذت ثورة عاشوراء والنهضة الحسينية المباركة مكانها الطبيعي المتميز في ذاكرة الفكر والمؤسسات العلمية خلال التاريخ، إذ انطلقت تلك المنزلة الرفيعة والمكانة العظيمة من الاهداف السامية المرفوعة في مزايا أهدافها والتي اتجهت بصورة لا يمكن الشك نحو بناء الانسان والعمل على الحفاظ على سلوكه القويم وجعله يحظى بأحياء الذات اولاً ومقارعة اصحاب الفكر الظلامي المتسلط الراغب في السطوة على الآخرين والتحكم بمصير الفرد الانساني ثانياً ومن خلال ذلك اتجهت حركة سيد الشهداء وسيد الاحرار الإمام الحسين (عليه السلام) نحو الاصلاح الدائم والتربية المحمدية الراغبة في بناء انساناً حراً قادراً على التحضر والتحرر من قيود الظلم والاستبداد.

يتكون البحث من مبحثين، حمل الأول عنوان " الثورة الحسينية وأثرها السيكولوجي على الواقع الانساني" والذي سلط الأضواء على أثر اهدافها الاصلاحية التربوية على واقع الإنسان ورغبة قائدها العظيم على غرس روح الانتصار والتحرر والتي وجدت صداها في الكثير من المجتمعات المختلفة والديانات المتنوعة وأظهرت بعض الجداول العلمية الذي احتواها المبحث الاول الكثير من الحقائق العلمية لذلك الخط التربوي الاصلاحى الدقيق.

أما المبحث الثاني بعنوان " الشعارات الحسينية وأثرها في السلوك الميداني للفرد العراقي" والذي سلط الأضواء بصورة دقيقة على السمات الاخلاقية الرفيعة التي تميزت ثورة عاشوراء وشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) الوارث لجمع السمات القرآنية والذي جعل ثورته تطبيقاً عملياً في ساحات الجهاد لتلك الاخلاق منطلقاً من الآيات الشريفة المتخصصة في هذا الجانب وأحاديث جده وأبيه المؤكدان على تلك السمات التربوية وقد رسم الباحثان جدولاً علمياً لنماذج من الأحاديث الشعارات الثورية التي رفعت في عاشوراء من قبل اصحاب الامام التي وجدت تطبيقها في الميدان مباشرة والتي إنعكست على اخلاق

المجاهدين في العراق ضد القوى الارهابية المتمثلة بداعش وكانت الثورة الحسينية أساس الانتصار ودعامة الفوز والتطور.

وختم البحث بأهم النتائج العلمية، فضلاً عن قائمة الهوامش العلمية التي اعتمدت من قبل الباحثان في اعداد البحث.

المبحث الأول: الثورة الحسينية وأثرها السيكولوجي على الواقع الإنساني:

تعد الثورة من أسس الإصلاح البشري وبناء القيم الفكرية القائمة على ضرورة الحفاظ على الذات البشرية والعمل على تكريمها وصيائها...، إذ بين الله عز وجل مكانتها الرفيعة الذي يتميز به الإنسان ونفحه من روحه المقدسة واسجد له الملائكة⁽¹⁾ احتراماً منه واعتزازاً له وجعله معدن الاسرار وموضع ثبوته وعرضت الآيات الشريفة تلك المكانة المميزة للإنسان عند بارئها ومنها بقوله تعالى ((وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ))⁽²⁾ وقوله تعالى ((هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا))⁽³⁾ فهذا التكريم الكامل والتقدير الجامع لجمع الفضائل وسمات الشرف للفرد الإنساني.

من تلك المعطيات إنبثقت الثورة الحسينية التي هدفت الى بناء أسس التربية الدقيقة⁽⁴⁾ القائمة على العزيمة والإرادة الواسعة المؤطرة بروح التضحية والعطاء من أجل تثبيت المبادئ الراقية التي لها أثراً مستمرة في الروح البشرية والحفاظ عليها من الأمور المختلفة المؤدية الى إهانتها والنيل من كرامتها على يد مختلف الأفكار المتسلطة على الإنسان وارايدته.

إذاً، دعا الإسلام والقرآن الكريم لمحاربة الاستبداد والتسلط ومقارعة الطغيان عندما يسلط على أبناء الأمة والمجتمع ذلك الوياء البشري القاتل وقوله تعالى ((لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا))⁽⁵⁾.

وفي السياق ذاته، إن الثورة على زمر الارهاب والتطرف وفكر التسلط مرهونة بعقيدة الإنسان وقوة فكره وإن اختلفت الاعداد المتحاربة للوصول الى الهدف المنشود والمرسوم وإن الله سبحانه وتعالى قادراً على نصرهم وقوله تعالى: ((أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ))⁽⁶⁾.

ومن تلك المنطلقات المباركة أسست ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ليكن لها موقفاً سيكولوجي في النفوس البشرية عامة دون انتماء الى قومية معينة أو مذهب خاص، فالثورة وجدت خدمة للفكر البشري المختلف بعد أن وجدوا فيها عظيم العطاء ونيل الاخلاق⁽⁷⁾ المرادة بالحياة والضرورة القسوى للوصول إليه⁽⁸⁾ ولعل وجد الباحثان من الضروري عرض نماذج من تلك الشخصيات الفكرية التي تركت لها أثراً فكرياً منشورة في المكتبات العالمية بما حوته من معلومات علمية

مبنية على مجموعة من المراجع الدقيقة والمعروضة على التحليل الدقيق والابتعاد عن التعصب الفكرى، اذ تمكنوا من الوصول الى الحقائق القائمة على عمق الاهداف (9) والأغراض الاصلاحية التي بذلت من قبل قائدها الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحاب الميامين (10) الذين علموا بصورة مؤكدة بأن الثورة الحسينية ومتطلباتها تعنى رسم العمق التربوي وبناء قيم الخلاص من التسلط والظالمين الذين يعملون على فرض مقومات الظلم والتسلط وينشرون أسس الجاهلية التي حاربها الإسلام وعمل على القضاء عليها بالإصلاح تارة والقوة تارة أخرى، وسببين الجدول رقم (1) ذلك بصورة دقيقة:

جدول رقم (1)

نماذج من المفكرين الذين تركوا آثاراً فكرية بعد تأثر فكرهم بالثورة الحسينية

الملاحظات	اسم الكتاب	البلد	المؤلف
في عام 1975 كان أستاذاً في جامعة تو بينكن	التشيع	الماني	هانز هالم
أطروحة دكتوراه كدراسة تحليلية حول الإمام الحسين (عليه السلام) قدمت في جامعة ايسالا في السويد	الحسين الواسطة	السويد	تورستن هيلن
يقول ابن الحسين ان يقبل ولاية يزيد الذي تصفه المصادر التاريخية بقلّة التقوى الظاهرة وبحب موائد الخمر.	الاسلام الشيعي عقائد وايدولوجيات	بريطانيا	يان ريشارد
ان الإمام الحسين (عليه السلام) كان انساناً صادقاً صالحاً وظاهر القلب، إنساناً كاملاً، وكل حياته للإنسانية وفدى نفسه	الإمام الحسين (عليه السلام)	هندي	كومار

لأجلها ويقول أنا لسيت مسلم ولكني مسلم				
أشار الى الفصاحة والبلاغة في كلام الحسين (عليه السلام) وخطبه مستخدماً كلمات الفصاحة والاقدام والشجاعة والعظمة.	سطوع نجم الشيعة	الألمان	جر هارد كوتسلمان	
أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة اويسالا السويدية ويقول الحسين حلقة وصل بين المسيحيين والمسلمين.	حول الإمام الحسين (عليه السلام)	السويد	يان هانغو سون	
يقول مأساة كربلاء تطبع بدورها تاريخ الإنسانية.	الشيعة في العالم	بريطانيا	فرنسوا تويال	
ان المناظر التي شهدتها بأم راسي ستبقى خالدة في مخيلتي ما دمت على قيد الحياة.	تاريخ ايران	اوربا	سريبرسي	
مأساة الحسين (عليه السلام) تتغلغل في كل شيء حتى تصل الى الأسس وتقول: ان التاريخ قد توقف في كربلاء والنجم منذ ان وقعت تلك	صور بغدادية	بريطانيا	فرايكا ستارك	

0	هانغسون	السويد	الحسين حلقة وصل بين المسيحيين والمسلمين	الفاجعة: الطريق ليس شاقاً للذي يريد المشى نحو كربلاء ويخطو خطى ثابتة نحو الإمام الحسين.
---	---------	--------	---	---

إن قرأت دقيقة للجدول أعلاه، تبين هنا معنى سيكولوجية الفكر المتمثلة بالاطلاع الدقيق على الوظائف العقلية والسلوك ومعرفة الشخصية البشرية والعوامل المؤثرة بها والتي يمكن من خلالها التأثير على المحافظة وتقبل الأحداث التي تبقى ذات أثر وضعي في السلوك الإنساني في فترات طويلة، وهنا وجدت تلك الأسماء نظريات متكاملة في أحداث الثورة الحسينية مبنية على اسرار غيبية وقرارات إلهية واضحة والمراد من المجتمعات المختلفة النهل من ثرى فكرها والتفاعل معها للوصول الى حياة التحضر وبناء فكر الانعتاق من الهيمنة الظالمة والتسلط الاعمى ومن تلك الاقتباسات الواسعة والتأثر وجدت تلك النتائج الفكرية باقلام مختلف الباحثين والمهتمين بروح الاسلام ومسيرة حياته والذين وجدوا في الثورة الحسينية بأطروحة للإنسانية جمعاء اراد من خلالها خير البشرية واعطائها أسس الحياة الصالحة وانعاش كرامتهم بالإعتماد على منهجها والإقتداء بقائدها ودوره المبارك الذي بقى في ذاكرة التاريخ يتجدد في مختلف العصور ويتناوله المبدعين والمختصين بعد أن وجدوا فيه رجل الضمير والوجدان ومؤسس فكر الهداية والانعتاق والذي رسم خطوته بكل صلابه وادراك وتمعن، باذلاً أسمى آيات التضحية والعطاء لكي تبقى تلك المسيرة تعطي ثمارها لمختلف الاجيال الراغبة في البقاء على هدى الحرية والعيش السليم والتحضر والاقدام للذات والمجتمع الإنساني المختلف.

لقد استهدف الإمام الحسين (عليه السلام) في مجمل حركة تلك الابعاد والاهداف أنفة الذكر المترابطة بينها، وقد تمكن سلام الله عليه بهذه التضحية وعظمة العطاء الذي بذله للاسلام وتصميمه القوي للوصول الى الاهداف العظيمة(12).

وفي السياق ذاته، ومن آثار ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) على الواقع الإنساني، إذ مثلت شخصية الإمام القران الناطق الهادي الى سبل الرشاد والاصلاح وجعلت من شخصية فرقان محمدي عظيم ورغم كثرة المقالات والتفاسير عنه وشرحه والتعريف بدقائقه وغوامض حقائقه واعجازه وبلاغته وباهر فصاحته وبراعته لايزال كنزاً مخفياً ولا تزال محاسنه تتجدد وأسراره

تتجلى، وفي كل عصر وزمان يظهر للمتأخر من اشارته ومغازيه مالم يظهر للمتقدم فكأنه يتجدد مع الدهر ويتطور بتطور الزمان⁽¹³⁾.

إن موقف الإمام الحسين (عليه السلام) وخطبه المباركة⁽¹⁴⁾ أصبحت محلاً الى اهتمام المفكرين والباحثين على مر الأجيال⁽¹⁵⁾ بعد أن كان القرآن الكريم وسيبقى يصلي على البشر في كل زمان اسرار الكون وخبايا الطبيعة ودقائق الفطرة، ونهضة الإمام الحسين (عليه السلام) في كل محرم من كل سنة بل في كل سنة تصلي على الكائنات عجائب التضحية وغرائب الاقوام والثبات ومقاومة الظلم ومحاربة الظالم تلقي على العالم دروس العزة والاباء والاستهانة بكل ظالم وتحديه في سبيل نصره الحق والدفاع عن المبدأ والعقيدة، يلقي على الواعين دروس الفداء ويبني اسس الاخلاق المحمدية الكاملة، والسجايا العالية والملكات الزاكية وكل ماجاء به القرآن والسنة من الخلق العظيم والنهج القديم، ولكن جاء بها القرآن قولاً وطبقها الحسين (عليه السلام) عملاً وبرزها للناس يوم الطف عياناً⁽¹⁶⁾.

استطاعت شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وعدت من عجائبه أنه يمتلك قلباً رؤوفاً وعاطفة إنسانية واسعة حق مع من خالفه في الفكر والرأي⁽¹⁷⁾ نجده تحمل عاشوراء في موقف عصيب حيث كانت عيناه تراقبان الاحداث منذ طلوع الشمس وحتى العصر تطالع شبابه وأنصاره ويعمل على وصايا ضرورة الاقدام والتسلح بمبادي الحق القويم، واذانه الكريمتين تسمع أنين النساء والأطفال في تلك اللحظات العاشورائية الرهيبة، ومع ذلك كان يتحمل بصبر عظيم ويعتبره احد المؤرخون دلالة ثابتة على العزم والثبات والاطمئنان "لقد عجبت من صبرك ملائكة السماء"⁽¹⁸⁾.

إن الإطلاع على تلك المفاهيم وذلك النهج العلوي في السلوك والعقيدة المنبثقة من خط أبيه (عليه السلام) ونهج الصواب والثبات على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والذي أتاح للكثيرين أتباع ذلك النهج والثبات عليه⁽¹⁹⁾.

ومن المهم هنا يعرض الجدول رقم (2) نماذج من أسماء الشخصيات العلمية والفكرية من البلدان الاسلامية التي اتبعت مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومنهج الإمام الحسين (عليه السلام) الذي أسسه بدمه وسلوكه.

جدول رقم (2)(20)

نماذج من الشخصيات العلمية في العالم الإسلامي الذين اتبعوا مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

الملاحظات	البلد	اسم المفكر	
كاد يحدث انقلاباً عقائدياً بمجالس الإمام الحسين (عليه السلام).	مصر	حسن شحاته	
ادعوا احرار العالم الى الإقتداء بإمام الاحرار الحسين (عليه السلام).	فلسطين	محمد شحادة	
دمعة على الإمام الحسين (عليه السلام) قادتني الى التشيع.	الأردن	أحمد حسين يعقوب	
يعتبر نفسه شيعياً وان كان مسيحياً وصاحب كتاب الحسين في الفكر المسيحي.	لبنان	انطوان بارا	
كتابه لقد شيعني الحسين (عليه السلام) ومقولة فامنحوني حرية التعبير وسأسيع العالم بأكمله.	المغرب	ادريس الحسيني	
من السلفية الى التشيع والسبب دمعة على الحسين (عليه السلام)، ويقول الالتزام بعقيدة أهل البيت الاطهار (عليهم السلام) فهي العقيدة الاسلامية الصحيحة وغيرها باطلّة.	العراق	صباح البياتي	

اذاً، عند الاطلاع على أثر الحدث الحسيني ونهج آبائه الأطهار عليهم الصلاة والسلام نجد آثارهم الكريمة واضحة على اصحاب الفكر وحملة العلم الذين وجدوا في تلك الرموز الفرقانية المباركة الحاجة الماسة من أجل اتباعها واتخاذها أساساً لبناء الفكر الإنساني ومن أجل الحفاظ على وجود الرسالة المحمدية الأصلية واستمرارها وبرسالة الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته يمكن فهم التفسير الرسالي لتلك الثورة وعرضها على الفكر البشري مما بقيت في وجدانهم في الادوار والعصور المختلفة وتأثر الكثير بها وظلت محط أنظار الأجيال المختلفة ومنبع اصيل للفكر الجهادي والرسالي ومنها يكون لدى ابناء الأمة ورجالها العزم والتصميم والإرادة على التغيير والتضحية والبذل والعطاء وصولاً الى الأهداف السامية المطلوبة للحفاظ على الأرض والعرض وسيبين

المبحث الثاني ذلك الأثر على مجاهدي العراق خلال تاريخهم المعاصر ومحاربتهم الى زمر الارهاب والتفكير المعاصر.

المبحث الثاني: الشعارات الحسينية وأثرها في السلوك الميداني للمقاتل العراقي

إن تسليط الأضواء على الأثر الفكري والمعنوي للشعارات الحسينية ابان ثورة عاشوراء تكون اعطت اشعاعات فكرية وانبعاث لثراث النبوة الخاتمة من جديد بعد أن بذل الأمويون كل جهدهم لتحريفه حيث فرغوا الاسلام من محتواه الأصيل واستبدلوه بكذب على آل بيت النبي (21) (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال مدخلات غامضة وتزييف الأحاديث(22) من أجل البقاء على مقدرات الأمة والسيطرة على أمور السلطة بالقهر والقوة واستعمال عناصر تابعة لهم في إدارة الولايات الإسلامية من اجل المكاسب الإقتصادية وبذل نفوذهم وترسيخ سياسة الشيعة للذعية بالاساليب الدموية التي عرفوا بها، ونحن في دراستنا لتلك الشعارات الهادفة الى زرع روح النصر والتحدي ومقارعة الفتن من قبل اعداء الاسلام المحمدي ورفعها من قبل الإمام الحسين (عليه السلام) وانصاره يقصد منها تأهيل خط الهدى لتبقى معالمه واضحة لمن أراد السير على نهجهم والإهداء بهديهم من قبل المجتمع الإنساني وبها يتم تثبيت السنة النبوية بتدوين الوصي الأكرم الإمام علي (عليه السلام) واملاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأسيس كيان علمي يحملها للأمة رواية ثابتة وتاريخاً يتجدد في ذاكرة الأجيال المختلفة التي رغبت في مواكبة طريق الحرية والخلاص من شتى أنواع الظلم والتسلط من قبل قادة الجور والاستبداد.

وفي السياق ذاته، إن الشعارات الحسينية المتناقلة عبر الأجيال وفي المؤلفات المختلفة بمثابة القلب النابض الذي يضخ مبادئ الثورة الحسينية وافكارها التربوية في جسد المجتمع الإنساني الراغب بالتححرر والانعتاق، مانحاً من خلال ذلك الحياة، فضلاً عن نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة وإحياء فكر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وذلك بإظهار فكرهم وابرار مناقبهم والاشادة بمواقفهم من أجل الإسلام والمسلمين(23).

وفي التاريخ الحديث والمعاصر، استخدم المنبر الحسيني للتذكير والاخبار بتلك الشعارات الثورية والمواقف الحازمة، إذ وضع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الأساس للمنبر الحسيني وذلك بحثهم..... على إقامة المجالس والمآتم الحسينية وإحياء القضية الحسينية بكل الوسائل الممكنة ومنها إنشاء الشعر وإنشاده في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، فالمنبر الحسيني الوسيلة الواضحة واللسان المعبر عن مبادئ الإمام الإصلاحية والمدافع عن مواقفه وأهدافه والمستعرض عن خلفيات الثورة الحسينية، كما يستقرئ معطياتها ونتائجها وتداعياتها ويستجلي المواقف البطولية الواعية التي جسدها سيد الشهداء وأهل بيته الكرام وأنصاره العظام في الدفاع عن الحق والوقوف في وجه الباطل والظلال(24).

تنوعت الشعارات الحسينية في ثورة عاشوراء وانصارها وكانت تعبر عن عمق فكري ثوري هادف من أجل رص الصفوف وشحة الهمم بين المقاتلين في ساحات الجهاد، وقد وجد الباحثان من الإهمية العلمية اعداد جدول رقم (3) يحمل نماذج من شعارات التي القيت في المعركة "الميدان الحسيني" الذي وجد صداه خلال الحقب التاريخية المختلفة وكانت تحمل تلك الشعارات العبر والاهداف المعنوية الواسعة ومنها الحقب المعاصرة.

جدول رقم (3)

نماذج من الشعارات الحسينية (الأراجيز) البطولية الهادفة

ت	اسم المقاتل	الشعار المرفوع
1	العباس بن علي (عليهما السلام)	والله لو قطعتم يميني اني احامي عن ديني.
2	علي بن الحسين (عليهما السلام)	أنا ابن الحسين بن علي البيت ان لا انثني احمي عيالات ابي.
3	أنس بن الحرث الكاهلي	بأن قومي أفة للأقران/ لدى الوغى وسادة في الفرسان.
4	برير بن خضير	ليث يروع الأسد عند الزيري/كذاك فعل الخير من برير.
5	جعفر بن عقل بن أبي طالب	ونحن حقاً سادة الذوائب/هذا حسين اطيب الأطايب.
6	عبدالرحمن بن عروة البدوي	ياقوم ذودوا عن بني الأظهار/بالمشرفي والفتنا الخطار.
7	عبدالله بن الإمام الحسين (عليه السلام)	إن تنكروني فانا ابن حيدرة/ضرغام أباه وليث قسورة.
8	عبدالله بن الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام)	أنا ابن ذي النجدة والأفضال/ذاك علي الخير في الفعال.
9	عثمان بن الإمام علي (عليه السلام)	إني أنا العثمان ذو المفاخر/شيخي علي ذو الفعال الطاهر.
10	الهفهاف بن المهند الراسبي	إني أنا الهفهاف ابن مهند أحمي عيالات محمد (ص).

إذاً، تركت تلك الشعارات أثرها على الفكر الإنساني بعد أن كانت صادرة عن بصيرة وغرض تربوي يشير الى أهمية حدث واقع مطلوب ترده في ذاكرة الأجيال من أجل استسقاء العبرة منه والموعظة وحمل السامع بها على التسليم الكامل بمبادئها واعداد النفوس لتبليغ غاياتها والأخذ بمعالم فكرها. أثرت تلك الشعارات على الفكر العراقي المقاتل خلال المعارك التي خاضها في تاريخنا المعاصر، إذ أعلنت الحرب الوهابية المعاصرة(25) على العراق وإتخاذ سياسة

التحريب المبنية على ذلك الفكر المنحرف القائم على القتل وسفك الدماء والتدمير المنظم لمقدرات العراق فعمل على احتلال مدينة الموصل العراقية بتاريخ 10 حزيران 2014 لتكون نقطة الإنطلاق الثابتة للتوسع واحتلال باقي الأراضي العراقية وبث سمومها العقائدية المنحرفة، فضلاً عن سياسة القتل والتصفية الجسدية والسلب ونهب الممتلكات العامة والخاصة مشكل بذلك حالة من الهلع في المجتمع العراقي وشيع ذلك الصقوت إنهاء قضاء الحويجة واحتلالها من قبل عصابات داعش الدموية والتي تبعد عن العاصمة بغداد بمسافة 240 كم شمالاً⁽²⁶⁾.

استمرت تداعيات ذلك الغزو الوهابي، إذ سيطر العدو على مختلف المناطق واحتلالها في محافظة صلاح الدين التي تبعد 210 كم عن بغداد وكانت الناحيتين التان تعرفان بالصينية وسليمان بك من المناطق التي بذل العدو الداعشي جهوداً كبيرة للسيطرة عليها كونها تحوي على مزيج اجتماعي عراقي لخلق الفتنة بينهما⁽²⁷⁾.

كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف تعتبر صمام الامان لوحدة العراق والحفاظ على ابنائه مما دعاها الى اصدار الفتوى الشهيرية من قبل السيد علي الحسيني السيستاني بتاريخ الرابع عشر من شعبان 1435 هـ والمصادف الثالث عشر من حزيران 2014 للوقوف أمام ذلك الهجوم المدمر والمدعوم من قبل دول اجنبية معارضة للعراق ومن اجل حماية العراق وتحرير اراضيه المحتلة من قبل عصابات داعش الارهابية، فأصدرت الفتوى التي سميت "الجهاد الكفائي" ونصت على: ((المرجعية تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر، من يضحى منكم في سبيل الدفاع عن بلده واهله واعراضه، فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى))⁽²⁸⁾.

من تلك الكلمات التي وجدت آثارها في الشارع العراقي انبثق "الحشد الشعبي" السلاح الذي أخذ على عاتقه البدء بعملية تحرير الأراضي العراقية وتقديم الضحايا والشهداء في سبيل الهدف المعلن والمخطط له المتمثل بحماية الأرض والدفاع عن العرض وجدت الشعارات الحسينية أثرها في نفوس المجاهد والمقاتل العراقي الذي طالما رفع شعارات ثورة عاشوراء لما تحمله من عزيمة وتعكس ثبات على المبدأ والعقيدة الراسخة، فضلاً عن رفع الرايات التي تشير الى اسم الإمام الحسين (عليه السلام) وهم ينشدون الشعارات الحسينية التي ينبثق منها العزم والعطاء وتكون بمثابة الدافع المعنوي للمقاتل في ساحات القتال وكانت تلك الشعارات موجودة على شفاه المجاهدين الذين ينالون شرف الشهادة ونراهم يرددونها بكل شجاعة وبطولة ولذلك اعتبرت الثورة الحسينية أساس الانتصار العراقي وشموخ ابنائه في ساحات الجهاد.

إن الخطاب الحسيني وأثره كان واضح بشكل قاطع في فكر المقاتل العراقي الذي كان يعتبر القضية الحسينية أساس الثورة ومنطلق الجهاد والثبات من أجل الوصول الى الهدف المتمثل بشعارات عاشوراء الهادف الى نصرته الحق ومقارعة الباطل وتقديم جميع أنواع التضحيات وصولاً للهدف بالنصر العراقي على الفكر الوهابي⁽²⁹⁾ الداعشي الذي تحقق على يد القوات العراقية وأبناء الحشد الشعبي في ساحات القتال.

الخاتمة

من خلال عرض المعلومات في البحث يمكن للباحثين تثبيت مجموعة من النتائج العلمية هي:

- كانت ثورة عاشوراء وشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) نموذج وقذوة شخصية الرسول الأعظم (ص) الذي استلهم منه الإمام مبادئ القوة وأسس الحق وتربية المجتمع الإنساني.
- أصبح من الواضح بأن الشعارات الحسينية هي عنواناً للإيمان بالعقيدة الإسلامية وتعد بمثابة دروس تربوية قائمة لهدف ينبغي الأخذ منه للذين يطلبون الحرية ومحاربة الظلم والاستبداد.
- إن الكلمات التي صدرت من أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء لم تكون عاطفية او محط صدفة وإنما قائمة من أجل التذكير بمبادئ الثورة الحسينية التي ينبغي للاحرار التحلي بها والعودة اليها لدفع الهمم في ساحات القتال.
- مثلت الثورة الحسينية وشعاراتها قاعدة علمية نهل منها المقاتل العراقي خلال تاريخنا المعاصر من أجل رفع الهم وتثبيت العزم عند اشتداد القتال مع الاعداء.
- انتصر العراق ضد الفكر الوهابي الداعشي ببركات الثورة الحسينية وشعاراتها المرفوعة والتي وجد المقاتل العراقي وابناء الحشد الشعبي يرفعها في أقسى الظروف حتى عند استشهاده ويعكس مدى تعلق نفسي وروحي بها مما تعكس سكليوجية مباشرة واسعة على النفس والروح ولذلك لطالما شاهدنا تلك الشعارات المباركة مرفوعة تارة ومدونة على الأليات القتالية تارة اخرى وهذا يدل على التمسك والإيمان المطلق بها.

الهوامش:

- 1- تكريم الانسان هو تكريم لذاته الانسانية وعظيم خلقه قال تعالى في سورة هود آية/61 ((هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا))
- 2- النغابن/2.
- 3- هود/6.

- 4- ينظر: حاتم جاسم، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2005.
- 5- النساء/75.
- 6- الحج/39.
- 7- محمد الحسيني الشيرازي، رؤى عن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، 2004، ص 6 وما بعدها.
- 8- محمد الحسيني الشيرازي، ثورة الإمام الحسن (عليه السلام)، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، 2005، ص 34-62.
- 9- الإمام الحسين (عليه السلام) ومبادئ الحق، مؤسسة أنصار الحسين (عليه السلام)، 2011، ص 7-64.
- 10- للتفاصيل ينظر: ذبيح الله المحلاتي، فرسان الهجاء، تحقيق محمد شعاع، مطبعة شريعة، قم المقدسة، 2007، ج 1- ج 2.
- 11- للتفاصيل ينظر: راند علي محمد، الإمام الحسين (عليه السلام) وثورة عاشوراء من وجهة نظر المستشرقين، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية، قم المقدسة، 1968.
- 12- محمد باقر الحكيم، ثورة الحسين، النظر به- الموقف- النتائج، منشورات دار الحكمة، قم المقدسة، دت، ص 39.
- 13- محمد الحسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، تحقيق محمد علي القاضي، قم المقدسة، 2005، ص 207.
- 14- للتفاصيل حول فكرة انهاض المسلمين والحفاظ على منهجهم ينظر: محمد الحسيني الشيرازي، السبيل الى انهاض المسلمين، دار الصادق للنشر، كربلاء المقدسة، 2004.
- 15- ينظر: علي محمد حسين الحكيم، الشعائر الحسينية حقيقتها واهدافها، مشروعتها، النجف الاشرف، دت.
- 16- محمد حسين كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص 208.
- 17- للتفاصيل ينظر: عبد الحسين دستغيب، سيد الشهداء، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص 16-47.
- 18- المصدر نفسه، ص 47.
- 19- مروان خليفات، اكرمتني السماء، الارتقاء المبارك الى العروة الوثقى، مؤسسة الثقليين الثقافية، كربلاء المقدسة، 2001، ص 86-112.
- 20- للتفاصيل ينظر: هشام آل قطيط، سلوا حسيناً عن كربلاء، الشهادة، منشورات الفجر، بيروت، دت، ص 13 وما بعدها.
- 21- سامي البدري، الحسين (عليه السلام) في مواجهة الضلال الأموي واهياء مسيرة النبي (ص) وعلي (عليه السلام)، دار الفقه للطباعة والنشر، بغداد، 2009، ص 10.
- 22- المصدر نفسه، ص 16-17.
- 23- محمد باقر المقدسي، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بيروت، 2011، ص 5.

- 24- المصدر نفسه، ص 24-61.
- 25- للتفاصيل حول الغرامات الوهابية خلال التاريخ الحديث ينظر: سماح عباس جندي، الاعتداءات الوهابية على العراق 1786-1812، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2018.
- 26- ((الانترنت))، كيف سقطت مدينة الموصل، www.Grazeerq.re.
- 27- ((الانترنت))، سقوط اجزاء من كركوك
- 28- ((الانترنت))، فتوى الجهاد الكفائي، al-hashed.net.
- 29- لمعرفة افكار الإنحراف عند الفكر الوهابي ينظر: محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم المقدسة، 1996.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

- 1- هاشم جاسم، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2005.
- 2- ذبيح الله المحلاتي، فرسان الهجاء، تحقيق محمد شعاع، مطبعة شريعت، قم المقدسة، 2007، ج 1- ج 2.
- 3- رائد علي محمد، الإمام الحسين (عليه السلام) وثورة عاشوراء من وجهة نظر المستشرقين، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية، قم المقدسة، 1968.
- 4- سامي البدري، الحسين (عليه السلام) في مواجهة الضلال الأموي و احياء مسيرة النبي (ص) و علي (عليه السلام)، دار الفقه للطباعة والنشر، بغداد، 2009.
- 5- سماح عباس جندي، الاعتداءات الوهابية على العراق 1786-1812، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2018.
- 6- صاحب صادق، الإمام الحسين (عليه السلام)، ومبادئ الحق، مؤسسة انصار الحسين (عليه السلام)، 2011.
- 7- عبد الحسين دستغيب، سيد الشهداء، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- 8- علي محمد حسين الحكيم، الشعائر الحسينية حقيقتها، اهدافها، مشروعيتها، النجف الأشرف، د.ت.
- 9- مروان خليفات، اكرمتني السماء، الارتقاء المبارك الى العروة الوثقى، مؤسسة الثقليين الثقافية، كربلاء المقدسة، 2001.
- 10- محمد الحسيني الشيرازي، السبيل الى انهض المسلمين، دار الصادق للنشر، كربلاء المقدسة، 2004.
- 11- محمد الحسيني الشيرازي، ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، 2005.
- 12- محمد الحسيني الشيرازي، رؤى عن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، 2004.

- 13- محمد باقر الحكيم، ثورة الحسين، النظر به- الموقف- النتائج، منشورات دار الحكمة، قم المقدسة، د.ت.
- 14- محمد باقر المقدسي، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بيروت، 2011.
- 15- محمد الحسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، تحقيق محمد علي القاضي، قم المقدسة، 2005.
- 16- محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم المقدسة، 1996.
- 17- هشام آل قطيط، سلوا حسيناً عن كربلاء، الشهادة، منشورات الفجر، بيروت، د.ت.

ثورة الإمام الحسين مشروع نهضوي للانتصار على الإرهاب (داعش) أنموذجا

أ.د. إسراء حسين جابر

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

Lsraahussan987@gmail.com

م.م. آلاء شفيق وهاب

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

يتضمن البحث الوقوف عند ثورة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها مشروعاً نهضوياً لمحاربة إشكال الإرهاب، فالثورة لدى الإمام لها فلسفة خاصة فهي تعني الجهاد ومواجهة مظاهر الظلم والاستعباد وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي في العدل والمساواة والحرية، ولعل شهادته صلوات الله عليه أسقطت إمبراطورية الشرّ والإرهاب التي أقامها بنو أمية، وكان ذلك إنجازاً لوعده الله بأن ينتصر للمظلوم. فقد أصبحت شهادته (ع) بداية لانطلاق الثورات التي أخذت بثأره (ع) وايقضت في نفوس الأمة روح الجهاد والحماس في تلبية نداء المستغيث ولو على حساب النفس، وهذا ما شهدناه من جهاد وشهادة في سبيل الله وفي سبيل نصرة المظلوم وتحرير الأرض من إرهاب ما يسمى ب(داعش) وذلك على يد قوات الحشد الشعبي التي لبّت نداء المرجعية لتقف الى جانب قواتنا الامنية لتطهير الأرض من اعدائها، وهم انموذج لصوت الثائرين المستلهم من صوت ابي الاحرار عليه افضل الصلاة والسلام.

فتورة الامام الحسين عليه السلام تعد من أبرز وأعظم مظاهر المواجهة والتحدى في سبيل المبدأ والصالح العام، فكان لهذه الثورة هدفاً انسانيًا يتمثل في القضاء على الظلم وإحقاق الحق في العدل والمساواة وفقاً لتعاليم الدين الإسلامي، فضلاً عن أنها حق من حقوق البشرية جمعاء.

ولعل الدماء التي سالت منه صلوات الله عليه وأصحابه قد أسقطت إمبراطورية الشرّ التي أقامها بنو أمية، وكان ذلك إنجازاً لوعده الله بأن ينتصر للمظلوم، ولو بعد حين.

ومما لا شك فيه ان ثورة الحسين تركت بصماتها في كل عصر وزمان لتضيء زوايا الظلام وتقتلع الظلم المغروس من قبل الطغاة، وبقي تأثيرها الى يومنا هذا، حتى اصبح استشهاد الحسين(ع) بداية لانطلاق الثورات التي أخذت بثأره وطالبت بحقوق المستضعفين.

فلم تكن ثورة الحسين(ع) حدثاً عابراً، ولا اتجاهاً تحدد اثره في واقعة الطف، وإنما كانت منطلقاً لحراك سياسي وعقائدي واسع في تاريخ الحركات السياسية والدينية التي عمت المجتمع الإسلامي، وأضحت مثالا يحتذى به وأسطورة حية للمقاومة، وتترتب عليها قواعد العمل المناوئ للدولة الاموية، وكانت منهلاً لحركات اتت بعدها اتمت ما بدأه الحسين(ع) ونهجت نهجه من أجل إضعاف الامويين وزوال دولتهم

ولعل الحشد الشعبي بثورته الجهادية اليوم ما هي إلا أنموذجاً لصوت الثائرين المستلهم من صوت أبي الاحرار وثورته التي تركت أثرها الفعال في نفوس المضطهدين من عامة الناس، والتي كانت جديرة بأن تغير الكثير من واقعا وواقع من سبقنا.

وقد استعدت الدراسة أن نقسمها على محورين وهما كالآتي:

- 1- ماهية الثورة الحسينية وفلسفتها
- 2- اثر الثورة الحسينية في مناهضة إرهاب داعش

ثورة الإمام الحسين مشروع نهضوي للانتصار على الإرهاب (داعش) أنموذجا

أ.د. إسراء حسين جابر

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

Lsraahussan987@gmail.com

م.م. آلاء شفيق وهاب

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مقدمة:

يتضمن البحث الوقوف عند ثورة الامام الحسين عليه السلام بوصفها مشروعاً نهضوياً لمحاربة اشكال الارهاب، فالثورة لدى الامام لها فلسفة خاصة فهي تعني الجهاد ومواجهة مظاهر الظلم والاستعباد وتطبيق تعاليم الدين الاسلامي في العدل والمساواة والحرية، ولعل شهادته صلوات الله عليه أسقطت إمبراطورية الشرّ والارهاب التي أقامها بنو أمية، وكان ذلك إنجازاً لوعده الله بأن ينتصر للمظلوم، فقد أصبحت شهادته (ع) بداية لانطلاق الثورات التي أخذت بثأره (ع) وايقضت في نفوس الامة روح الجهاد والحماس في تلبية نداء المستغيث ولو على حساب النفس، وهذا ما شهدناه من جهاد وشهادة في سبيل الله وفي سبيل نصرته المظلوم وتحرير الارض من ارهاب ما يسمى ب(داعش) وذلك على يد قوات الحشد الشعبي التي لبثت نداء المرجعية لتقف الى جانب قواتنا الامنية لتطهير الارض من اعدائها، وهم انموذج لصوت الثائرين المستلم من صوت ابي الاحرار عليه افضل الصلاة والسلام.

وتعد ثورة الحسين عليه السلام من أبرز وأعظم مظاهر المواجهة والتحدي في سبيل المبدأ والصالح العام، فكان لهذه الثورة هدفاً انسانياً يتمثل في القضاء على الظلم وإحقاق الحق في العدل والمساواة وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي، فضلاً عن أنها حق من حقوق البشرية جمعاء.

ولعل الدماء التي سالت منه صلوات الله عليه وأصحابه قد أسقطت إمبراطورية الشرّ التي أقامها بنو أمية، وكان ذلك إنجازاً لوعده الله بأن ينتصر للمظلوم، ولو بعد حين.

ومما لاشك فيه ان ثورة الحسين تركت بصماتها في كل عصر وزمان لتضيء زوايا الظلام وتقتلع الظلم المغروس من قبل الطغاة، وبقي تأثيرها الى يومنا هذا، حتى أصبح استشهاد الحسين(ع) بداية لانطلاق الثورات التي أخذت بثأره وطالبت بحقوق المستضعفين.

فلم تكن ثورة الحسين(ع) حدثاً عابراً، ولا اتجاهاً تحدد أثره في واقعة الطف، وإنما كانت منطلقاً لحراك سياسي وعقائدي واسع في تاريخ الحركات السياسية والدينية التي عمت المجتمع الإسلامي، وأضحت مثلاً يحتذى به وأسطورة حياة للمقاومة، وتترتب عليها قواعد العمل المناوئ للدولة الأموية، وكانت منهلًا لحركات انت بعدا امت ما بدأه الحسين(ع) ونهجت نهجه من أجل إضعاف الأمويين وزوال دولتهم

ولعل الحشد الشعبي بثورته الجهادية اليوم ما هي إلا أنموذجاً لصوت الثائرين المستلهم من صوت أبي الأحرار وثورته التي تركت أثرها الفعال في نفوس المضطهدين من عامة الناس، والتي كانت جديرة بأن تغير الكثير من واقعنا وواقع من سبقنا.

وقد استدعت الدراسة أن نقسمها على محورين وهما كالآتي:

- 1- ماهية الثورة الحسينية وفلسفتها.
- 2- أثر الثورة الحسينية في مناهضة إرهاب داعش.

المحور الأول: ماهية الثورة الحسينية:

1- مدخل إلى مفهوم الثورة وفلسفتها:

إن الثورة في اللغة تعني الهيجان والوثوب والسطوع، يُقال: ثار الشيء ثوراً وثوراً وثورانا وتثور: هاج.. وثور الغضب حدته والثائر الغضبان، ويقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائره وفار فائره إذا غضب وهاج غضبه.. وثار الدخان والغبار وغيرهما يثور ثورا وثوراناً: ظهر وسطع⁽¹⁾ أما في الاصطلاح السياسي: فهي تعني الخروج عن الوضع الراهن إلى الوضع الأسوأ أو الوضع الأفضل من الوضع القائم⁽²⁾ أما في الاصطلاح الفلسفي: فإنها تعد تغييراً جوهرياً في أوضاع المجتمع.. والتي يقوم بها الشعب.. والهدف منها تغيير النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وتكون الثورة سريعة الحصول في مقابل تطور ركب الحياة إذ تحقق تحولاً مفاجئاً وتبدلاً تاريخياً⁽³⁾

2- ثورة الإمام الحسين عليه السلام:

إن ثورة الحسين واحدة من أهم الثورات في العالم ككل لاسيما العالم الإسلامي بكل طوائفه، فكانت حركة ثورية غاضبة لمناهضة الأمويين وما شهده تايخهم من انحرافات سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية، فقد رفض الامام البيعة ليزيد والإعتراف بسلطانه لما اتصفت به تلك الشخصية من صفات لا تؤهله للإمامة، فضلا عن انحراف السلطة عن نهج الاسلام وتفشي الفساد

ولفتاعته بأن الأوضاع القائمة كلها شاذة وأنها بحاجة إلى تغيير جذري في بنيانها هي التي دفعته إلى الثورة.

ولعل أهداف الامام الحسين(ع) تنطلق من اهداف الاسلام في كل زمان ومكان وهي:

أولاً: صنع (امة رسالية) اي بناء قاعدة جماهيرية تتخذ حمل رسالة الايمان بالله، والالتزام بقوانينه وشريعته منطلق عملها في الحياة
ثانياً: بناء (مجتمع اسلامي) يتخذ الإسلام في علاقاته وأنظمتها وديساتيره مصدراً وحيداً في التشريع ويبني كافة مواقفه وفق القواعد الإسلامية العامة
ثالثاً: تخليص (الحضارة الاسلامية) من التحريفية وناقذها من السقوط (4).

وبما أن كل هذه الأمور لم تعد ممكنة مع النظام القائم آنذاك فقد حمل الإمام السلاح وبدأ الثورة ضده وذلك من أجل إقامة الحكم العادل الذي يصلح الفاسد ورد الظالم كما هو واضح من أقواله عليه السلام:

- 1- ((من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صل الله عليه وسلم) يعامل عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله، الا ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، واطهروا الفساد وأعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرّموا حلاله)) (5)
- 2- ((اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي(ص) أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي(عليه السلام))
- 3- وقوله: ((فسحاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الأثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئ السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء)) (6)

وهي أقوال تعكس المنطلقات الحقيقية لثورة الإمام(ع) وأهم دوافعها وقضاياها المتمثلة في ما يأتي:

أولاً: إعلان الرفض للواقع الفاسد.

ثانياً: السعي للإصلاح والتغيير.

ثالثاً: تأكيد القيم الحقّة في واقع الأمة(7).

فالإمام لم يشن حرباً عدوانية وإنما شنّ حرباً لردّ عدوان قائم وهو عدوان الوضع الشاذ.

3- منطلقات الثورة الحسينية:

المنطلقات التي انطلقت منها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في ثورتهم الرائدة، التي يجب أن ينطلق منها كل مؤمن في حياته وتحركه:

أولاً: الضمير والوجدان الإنساني: وجدان الإنسان يغضب حين يشاهد مظاهر الظلم والحرمان، وضميره يثور حين يرى حياة الجور والاضطهاد. وكل إنسان يحس بوخز الضمير وغضب الوجدان، إذا ما رأى مظلوماً أو مستضعفاً. وإذا لم تقف الأنانية والمصلحية حاجزاً بينه وبين ضميره، فإنه سيثور طبيعياً وسيجد نفسه مضطراً للوقوف إلى جانب المظلوم المضطهد ضد الظالم المعتدي.

ثانياً: المسؤولية الدينية: فالدين يوجب رفض الظلم ومكافحة الجور وعدم الاستسلام للاضطهاد، وكلما كان الإنسان أكثر وعياً بالدين وفهماً لأهدافه، كان أكثر اندفاعاً وأشد ثورية من أجل الدين، وأقوى غيرَةً على قيمه ومبادئه. وهذا هو بالضبط ما جعل الحسين عليه السلام يتحرك ويفجر ثورته بكل عنف وإصرار، منطلقاً من وعيه للمسؤولية الدينية، ومن تفهمه لروح الإسلام وأهدافه.

ثالثاً: العزة والكرامة: أثنى ما يملك الإنسان في هذه الحياة هي كرامته وحرية، فهي الفارق المميز بين الإنسان وبين الحيوان، فالإنسان خلقه الله حراً كما يقول الأمام علي كرم الله وجهه (ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)⁽⁸⁾.

وما يعكسه التاريخ إن الحياة في وعي الإمام هي جهاد ومن لا يجاهد عليه أن يستعد للموت تحت سياط العبودية والذل والقهر، فالجهاد عنده قيمة خاصة، هو الثورة الدائمة في سبيل الله والحق والعدل والحرية

فأصبح الحسين صلوات الله عليه مشروع حضارة، ومنهج انتصار، وخطة عمل، وراية رسالة، فمن أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فليفعل ما فعله الحسين صلوات الله عليه، ليخرج من ذل طاعة الطاغوت، إلى عز طاعة الرحمن.

4. نتائج الثورة الحسينية:

امتد أثر الثورة الحسينية وتداعياتها إلى مستويات عديدة وأصعدت كثيرة، فقد تجاوزت الحدود الزمانية والمكانية، فأحدث مقتل الإمام (ع) صدمة واسعة في المجتمع الإسلامي وترتبت عليه نتائج سياسية وعقائدية لاسيما في مكة والمدينة، ومن ثم الكوفة وكربلاء، فشهادة الإمام كانت بداية للثورة، فمشروع أهل البيت صلوات الله عليه لإنقاذ البلاد والعباد بدأ بشهادة الحسين صلوات الله عليه.

فبعد مدة وجيزة انطلقت الثورات على الحكم الأموي في مختلف بقاع العالم الإسلامي تستلهم منه وتهدي بهديه وتسير على نهجه⁽⁹⁾، والنصر المؤقت الذي لم تحققه ثورة الامام استطاعت ان تجسد نصرا يمتد بامتداد الأجيال نصراً مؤبداً يتمثل في بعث الوعي السياسي وإحياء النزعة الثورية، وبلوغ الفتح⁽¹⁰⁾

ومما لا شك فيه إن هنالك إحساساً مناوئاً للأمويين أخذ يتبلور في المدينة، لاسيما بعد ما حدث في كربلاء وما صاحبه من مآسي شاعت أخبارها بين الخاص والعام، إلى جانب الأسباب التي دعت الامام الحسين(ع) للثورة على الحاكم في دمشق.

لذا كانت ثورة المدينة أو ما تسمى (بواقعة الحرة) أولى الحركات التي جاءت كرد فعل لاستشهاد الإمام (ع)، علماً أنها لم تحمل طابعاً انتقامياً ممن قتل الإمام بقدر ما كانت تهدف إلى القضاء على سلطان الامويين، فكانت هذه الثورة _ وكما يقول أحد الباحثين - ((امتداد لثورة أبي الشهداء (ع) فقد كانت النفوس كالمراجل غيظاً وحنقاً على يزيد لانتهاكه حرمة الرسول (ص) في قتله العترة وسببه الذرية فقد اغممت القلوب حزناً وألماً حينما رجعت سبانيا أهل البيت (ع) إلى المدينة وجعلت نقص على أهلها ما جرى على ریحانة رسول الله (ص) من عظيم الرزايا وفوادح الخطوب، وما عانتها عقائل النبوة ومخدرات الوحي من الأسر والسبي))⁽¹¹⁾، وقد كان السبب المباشر لاشتعال الثورة بعد مرور مدة قليلة من مقتل الإمام (ع)، ذهب وفد من أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية في دمشق يقودهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن أبي عمر المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجالا كثيراً من إشراف أهل المدينة قدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم ثم انصرفوا من عنده... ولكنهم ما أن عادوا من لدنه حتى أعلنوا استنكارهم لحكم يزيد، وجاهروا بشتمه ولعنه⁽¹²⁾.

وقالوا: ((إننا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير... وإننا نشهدكم إننا قد خلعناه، وقام عبد الله بن حنظلة فقال: جنتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم... فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد وولوه عليهم))⁽¹³⁾،

وهذا ما دفع أهل المدينة إلى خلع يزيد ومبايعة عبد الله بن حنظلة الغسيل

ولما علم يزيد بذلك كتب إليهم: (أما بعد، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، وإني والله قد لبستكم فأخلفتكم، ورفعتكم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي ثم على بطني، وأيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها أحاديث تنتج اخباركم مع اخبار عاد وشمود))⁽¹⁴⁾، وكما هو واضح من النص فإن يحمل في طياته تهدياً وهو امر لم يزد أهل المدينة إلا إصراراً على مقارعة يزيد وحكمه

لما قام به من أعمال فاسقة وظالمة وما قام به من قتل لابن رسول الله واصحابه، فطردوا أهل المدينة كل من يوالي يزيد

ولأن يزيد لم يحتمل أن يلتوي عليه أحد بطاعته بعث عمرو بن سعيد أن يذهب لغزو الحجاز، إلا أنه رفض ذلك، فاستعاض عنه بمسلم بن عقبة المري، ولما أخبره يزيد بنيته أخبره مسلم بضرورة إعلامهم ليستعدوا للقتال فانكر يزيد ذلك، فنادى مسلم في الناس بالتجهيز الى الحجاز وليأخذوا ومعونة مائة دينار لكل رجل وانتدب لذلك اثني عشر الف رجل⁽¹⁵⁾، ويُذكر إن أهل المدينة لما ثاروا على بني امية كلم مروان بن الحكم علي بن الحسين (ع) وقال له ((ان لي حرما وحرمي تكون مع حرمك، فقال: افعل فبعث بحرمه الى علي بن الحسين (ع) فخرج في حرمه وحرم مروان حتى وضعهم في ينبع))⁽¹⁶⁾ فلما بلغ خبر ورود الجيش اليهم اشتد حصارهم لبني امية، وقالو: ((والله لا نكف عنكم حتى نضرب اعناقكم او تعطونا عهد الله وميثاقه، إنكم لا تبغون عائلة ولا تدلو لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدونا فنكف عنكم ونخرجكم))⁽¹⁷⁾ فعاهدوهم على ذلك وأخرجوهم من المدينة

وذكر أحد الباحثين إن ((ثورة المدينة ولدت ولادة الثورة الحسينية وواصلت الطريق من بعدها))⁽¹⁸⁾

فكانت ثورة الحسين جديرة بتعبئة النفوس وعدّها للتضحية بالنفوس والابناء من اجل مبادئ الاسلام كما بذلها الامام

الى جانب ثورة واقعة الحرة اتبعها عبد الله بن الزبير بإعلان الثورة عليهم وناصر حاكم الشام العداء، مستغلاً ثورة الحسين(ع) واستشهاده للتشهير بالأمويين والحاكم في دمشق معلنا الانفصال عن دولتهم.

وقد استجاب الناس للثورة التي دعا إليها ابن الزبير إذ كان مبعثها هذه الروح الجديدة التي بثتها ثورة الحسين(ع) في نفوسهم

وقد تميزت ثورة ابن الزبير في مكة بأنها كانت اشد حراجة على العكس من واقعة الحرة التي انتهت بالفشل إذ تمكنت الخلافة الأموية من حسم الموقف بسرعة، إلا أن ثورة ابن الزبير أخذت تتوسع بعدئذ لتشمل الحجاز كله، ثم العراق ومصر، ذلك أن هذه القوات فقدت في الطريق قائدها متأثراً بشدة المرض وتقدم السن، فخلفه في القيادة بناء على وصية من يزيد أحد معاونيه والمتفانين في خدمة السلطة في دمشق الحصين بن نمير السكوني⁽²⁰⁾

وصل الحصين بن نمير بقواته إلى مكة وضرب حولها الحصار، أما ابن الزبير فقد تحصن في الكعبة وسد منافذ المدينة، وازداد مركز ابن الزبير قوة، حين أصبح المعارض الأول للنظام الأموي، والرجل الذي يحظى بتأييد غالبية المسلمين، التي استنكرت إقدام جيش يزيد على غزو مكة، واشتد سخطها حين

أخذت مجانيق هذا الجيش ترمي بقذائفها الكعبة⁽²¹⁾، أقدس بقعة عند المسلمين، وهو يرتكب أول خطيئة كبرى لم يقدم عليها احد من قبل، ولا تعرض لها حتى الغزاة والقاتحون، وسيذكرها التاريخ على إنها انتهاك للمقدسات الإسلامية، ومن المسلمين أنفسهم.

استمر حصار مكة أربعين يوماً احترقت خلالها اغلب أماكنها، ومنها الكعبة، وهو أول حريق يصيبها في الإسلام، وقد أنك الحصار أهلها وأصابهم الأذى⁽²²⁾، لكن محنتهم هذه انتهت بورود خبر موت يزيد⁽²³⁾.

تلا تلك الثورة حركة اسميت بحركة التوابين وهي حركة جاءت بعد سكون النفس والشعور بالذنب من قبل الكوفيين إذ اصبح الدافع المحرك لمناهضة الدولة الاموية وذلك لتكفير عن ذنبهم⁽²⁴⁾، والذي نكتشفه من هذا إن ثم موالين عديدين لأهل البيت(ع)، والحسين(ع) على نحو خاص ثبتوا على ولائهم وحبهم لهم غير أن الفرصة لم تتح لهم لنصرته، أما لأنهم سجنوا أو اختفوا أو انسحبوا تحت تأثير أقاربهم وزعمائهم، وإن غالبيتهم لم يشاركوا في الجيش الذي تقدم لقتال الحسين(ع) ولو أنهم شاركوا في قتله لما رفعوا الثار له⁽²⁵⁾.

وكانت أولى الخطوات التي قام بها سليمان، محاولته استقطاب زعماء الكوفة واستمالة اكبر عدد من جماهيرها⁽²⁶⁾، حين كتب الى الشيعة في المدائن والبصرة يستنهضهم للأخذ بثأر الحسين(ع)، فأجابوه جميعهم الى ما دعاهم إليه⁽²⁷⁾.

كما عدّ التوابون وفاة يزيد بن معاوية وما تبعه من انقسام بني أمية نصراً لهم⁽²⁸⁾، فقام سليمان مخاطباً أعوانه: ((بثوا دعائكم في المصر فادعوا الى أمركم هذا شيعتكم، فإني أرجو أن يكون الناس حيث ملك هذا الطاغية، أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه))⁽²⁹⁾.

وقد أعطت وفاة يزيد دافعاً معنوياً كبيراً للتوابين، مما حفز بعضهم إلى الرغبة في استباق الموعد المحدد لإعلان الثورة، إلا أن بعد نظر سليمان بن صرد ومقدرته السياسية أدى إلى رفض هذه الرغبة، ورأى بأن الدعوة ما زالت غير مستقرة، ولم تترسخ جذورها بعد في نفوس الكوفيين.

ومن جانب آخر كان الحجاز في هذه الأثناء قد خضع لسيطرة عبد الله بن الزبير، الذي فرح كثيراً عند سماعه بأمر التوابين في العراق، فقد رأى بعد أن وافقه أهل الحجاز على مناوأة الأمويين أن ينتزع منهم بلاد العراق التي كانت حينئذ مورد المال والرجال، كما أراد ابن الزبير أن يشغل الأمويين بإخماد حركة التوابين فيصرف أنظارهم عنه، وينتهز هذه الفرصة ليقوي نفسه، ويوطد دعائم نفوذه استعداداً للمعركة القريية الحاسمة⁽³⁰⁾.

وبذلك انتقل العراق إلى سيادة الحزب الزبيري وغدت الكوفة مرتبطة بثورة الحجاز، وتقبل شيعة الكوفة هذه السيادة الجديدة، نكاية بالأمويين لكن بفتور وبشيء من التحفظ، فهي بنظرهم انقلاب على النظام الذي عارضوه طويلاً⁽³¹⁾.

ولم تتوقف الثورات عند هذا الحد فقد اتبع ذلك ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي طالباً بثأر الحسين فاجتمع الآلاف في العراق تحت لوائه، فقام بإعلان ثورته جاعلاً شعاره: ((يا لثارات الحسين)) هذا الشعار الذي أثار الحماس الكبير في صفوف أنصار العلويين الذين كان قسم كبير منهم لم يشاركوا في نصرته الإمام الحسين(ع) بسبب سياسة التضييق التي سار عليها الوالي الأموي عبيد الله بن زياد⁽³²⁾.

وحاول المختار استقطاب الناس برفع شعار الأخذ بثأر الإمام الحسين(ع)، وهو الشعار نفسه الذي رفعه التوابون⁽³³⁾، واتبعهم الشيعة في الكوفة ولكن المختار اختلف عنهم لأنه امتلك برنامجاً سياسياً خاصاً فسعى به إلى تسلم الحكم في الكوفة، وهو الأمر الذي رفضه التوابون⁽³⁴⁾ وكان لسيرة المختار الحسنة أثرٌ كبير في التفاف الناس حوله.

فاستطاع سنة 66هـ أن يسيطر على الكوفة، وطرد عبد الله ابن مطيع والي الزبيريين عنها، ولم يبق أمامه سوى ذلك الجيش القادم من بلاد الشام الذي قاده عبيد الله بن زياد لاستعادة الكوفة لسيطرة دمشق، فكانت فرصة طالما حلم بها المختار فوجه جيشاً يقوده يزيد بن انس، ثم امده بأبراهيم بن مالك الأشتر، فلقى ابن زياد فقتله، وقتل الحصين بن نمير، وتوجه برأس ابن زياد إلى علي بن الحسين(ع) إلى المدينة⁽³⁵⁾، وتتبع المختار قتلة الحسين(ع) فقتل منهم خلقاً عظيماً حتى لم يبق منهم أحد.

أقام المختار حكومة في الكوفة معلناً أول انفصال عن دمشق منذ قيام الدولة الأموية، وبعث عماله إلى مختلف المناطق المجاورة للكوفة، وكانت لثورته أصداء بعيدة المدى سياسية واجتماعية واقتصادية ظهرت نتائجها في الأحداث التي صاحبت الدولة الأموية وكانت اليد الطولى في إضعافها⁽³⁶⁾.

ولعل الثورات التي طالبت بحقوق المستضعفين والقضاء على الفساد والتحرر من العبودية، ماهي خطوات سائرة وراء ركب الحسين(ع)، لذا فان انطلاقة ثورة الحشد الشعبي الجهادية ضد قوة الطغيان (الوجه الآخر ليزيد لعنة الله عليه) التي بالارض فساداً، نهبت وقتلت واغتصبت بسم الدين لذا تكونت تلك القوة لتصحيح المسار والقضاء على الانحرافات السلوكية والاخلاقية واستعادة الارض المنهوبة، هي استلهاً لثورة الحسين عليه افضل الصلاة والتسليم.

لذا سنحاول في المحور الثاني ان نقف عند تعريف الحشد الشعبي وانطلاقته الاولى ودوافعه واهم منطلقاته المستمدة من الثورة الحسينية.

المحور الثاني: أثر الثورة الحسينية في مناهضة إرهاب داعش:

1- العلاقة الجدلية بين الإرهاب والغطاء الديني:

كثيراً ما تواجهنا مجاميع تعتدي على أمن البلاد بغلاف ديني تحاول من خلاله التغرير بالمواطن البسيط وهذا ما حصل في العراق، لاسيما مجاميع داعش الارهابية، التي كان لها الدور السلبي على واقع البلد لولا تدخل المرجعية الطاهرة بفتوتها التي حولت هذا الواقع المرير الى رائحة الانتصار بفضل ايمان ابناؤه من الحشد الشعبي المقدس، والذي يحمل صورة من صور انتصارات واقعة الطف.

و يعد الحشد الشعبي وانطلاقته في سبيل تحرير الارض من دنس الفاسقين نتيجة من نتائج الثورة الحسينية، وهي قوات شبه عسكرية تابعة للمؤسسة الأمنية العراقية، تحمل ايماناً وعقيدة صادقة من أجل الشهادة في سبيل القضاء على الظلم والظالم المتمثل بداعش تلك الحركة التي دخلت أرضنا عنوة واسمت حركتها باسم الدولة الإسلامية، والاسلام براء منها فقد استباحت لنفسها القتل والذبح والاختطاف من دون مبرر، والاعتصاب ونهب الخيرات والتعدي على حقوق البشر.

فتشكلت تلك القوات كرد فعل مواز لتلك القوى الظالمة التي مثلت خطراً كبيراً على الأمن الوطني للعراق ودول المنطقة والعالم، فضلاً عن أنها جاءت استجابة لفتوى المرجعية المتضمنة دعوة المواطنين للجهاد الكفائي أي من يتمكن على حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الأمنية للدفاع عن العراق، وإن مسؤولية التصدي للإرهابيين هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون أخرى أو طرف دون آخر وإن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن وأهله واعراضه وهو واجب كفائي

انطلقت الفتوى في فقد اندرجت الفتوى ضمن الفتوى الجهادية التي كان لها تأثير في حثت المسلمين على القتال في أوقات الازمات حيث تهدد المخاطر الوطن والدين.

وعلى الرغم من الاتهامات التي تلقاها الحشد الشعبي من انصار داعش والمتعاطفين معه من جهات محلية واقليمية، في معارك تحرير تكريت، يثبت اليوم في معارك الانبار بأنه حشد عابر للطائفية.

ورسمت فتوى الجهاد الكفائي مشاهد من التلاحم بين أفراد الشعب العراقي، إذ تطوع الآلاف من العراقيين لقتال "داعش" استجابة لدعوات الجهاد التي اطلقتها المرجعية الدينية. وبموجب ذلك، زحفت الفصائل المقاومة نحو معاقل داعش وهي تردد هتافات (الجهاد الكفائي)، (لبيك يا حسين).

فاندفعت فصائل الحشد الشعبي بشكل مبهز نحو سوح القتال لتحارب العصابات الإرهابية، لتشكل بذلك انعطافة واضحة في تاريخ العراق والعالم اجمع لاسيما في مسار العمليات العسكرية والأمنية التي تستحق الدراسة والتأمل لما شكلته هذه الانعطافة من تغييرات استراتيجية في الاتجاه العام للجهد العسكري والأمني، فهذه القوة الامنية التي انتفضت في لحظة تاريخية حرجة ومصيرية، أعادت صياغة مسار المعارك المحتدمة، وأعدت بناء الروح المعنوية القتالية وضخها بزخم جديد وقوي انعكس على التغييرات التي شهدتها أحداث الحرب على الإرهاب من جرف النصر إلى أمرلي وبيجي وغيرها من المنازلات التي استطاعت فيها القوات العسكرية والحشد الشعبي من كسر شوكة الإرهابيين ودحرهم فقد عير الحشد موازين القوى لصالح قواتنا العسكرية والأمنية، إذ شكل دخوله ارض المعركة فاصلة تاريخية حققت معها قواتنا والحشد الشعبي انتصارات لا يمكن إلا أن نعدها أنموذجاً للروح الحماسية الجيدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً، فالحشد الشعبي أصبح منقذاً لمدن استنجدت به ضمن إعادة بناء اللحمة الوطنية العراقية، فليس من الغريب أن تنطلق الأصوات من أهالي الرمادي طالبةً بتدخل قوات الحشد الشعبي إلى جانب القوات العسكرية وعشائر المدينة للذود عنها، وإيقاف الهجمة الداعشية البربرية على عشيرة البو نمر على سبيل المثال. جاءت انتصارات الحشد الشعبي بمصاحبة قواتنا العسكرية لتدخل لأرواحنا فرحاً غامراً وشعوراً عارماً بالفخر بأبطال من مختلف الأعمار يتمتعون بإرادات صلبة، وإيمان متماسك بما يلقي عليهم من مهام فدائية وصعبة لعل أهمها الدور الاستشهادي في تقدم أفواج الحشد الشعبي لاقتحام المدن والقرى وتحريرها ومن ثم تسليمها لقوات الجيش العراقي، وهذا ما حصل على سبيل المثال في مناطق العظيم والسعدية، إذ كانت أفواج الحشد الشعبي رأس حربة في عمليات التقدم والتحرير واستعادة الأرض المغتصبة، ويمكن القول ان الدور الفاعل والمؤثر للحشد الشعبي أوجع رؤوساً وأغضب أرواحاً لم تكن تتوقع استعادة روح المبادرة بل إنها لم تكن تتمنى أن تطهر الأرض المغتصبة من قبل العصابات الإرهابية، فأخذت تثير الإشكالات والأقويل الباطلة متهمه أبطال الحشد الشعبي الذائدين بأرواحهم عن أرض الوطن، والمقاتلين الأشداء لقوى الشر باتهامات فارغة هدفها التشويش على هذه الانتصارات وإيقاف التقدم المذهل للقوات العسكرية وفض الارتباط المصيري بين الجيش والحشد الشعبي، ورغم ان الحرب وفي كل مكان بالعالم وعلى مدار التاريخ لا بد أن تشهد تجاوزات هنا وهناك إلا أن قوى الحشد الشعبي حاولت بكل ثبات عدم ارتكاب أية أخطاء وصد أية محاولة من هذا الفرد أو ذاك، وحتى بعض الأمور البسيطة التي تتطلبها العملية الأمنية في أماكن محررة حديثاً من قبضة الإرهاب وما يستدعي ذلك من بحث وتفتيش وتأكيد من هويات الأشخاص وعلاقاتهم بالإرهاب لم ترتق إلى مستوى من التجاوز، بل كان أفراد الحشد الشعبي يتعاملون بسلوكيات إنسانية

أثارت إعجاب سكان المناطق المحررة، وهو ما شاهدناه عند تحرير منطقة جرف النصر من التعامل الطيب للمقاتلين مع العوائل والأشخاص الذين كانوا محاصرين بالمنطقة بسبب سيطرة عناصر "داعش"، فرأينا أفراداً من الحشد الشعبي بفصائلهم المتنوعة وهم يحملون رجلاً مسناً أو يمسخون عن وجه طفلة صغيرة مرعوبة قطرات الدمع المتساقطة، مثلما شاهدنا تقديمهم الطعام والماء لهؤلاء المحاصرين، والحقيقة لم يكن هذا مخفياً بل واضحاً وأمام شاشات التلفاز التي نقلت عمليات التحرير الكبرى للجيش والحشد الشعبي للمدن والقرى، وتعامله الإنساني مع سكان هذه المناطق، وعلى رغم من ذلك كله فإن الصورة البطولية المثالية التي شكلها أفراد الحشد الشعبي تزيد من إيماننا بقدرتنا على تحقيق الانتصار ولو طال الزمن، بل نؤكد لنا عدم الحاجة لوجود قوات أجنبية قتالية على أرضنا فما عندنا من أبطال ورجال متحمسين يمنحنا القوة الكافية، حتى أصبحنا نرى شباباً في الجامعات والمدارس وحتى الأطفال يتغنون ببطولات الحشد الشعبي ويتفاخرون بنشر صور الأبطال الذين يقاتلون ويستشهدون دفاعاً عن البلد، وما يدعو إلى الغبطة هو الانتشار الواسع النطاق لروح التحدي والعنفوان عند كل الناس بشكل مثير للإعجاب، ولا نضيف أمراً جديداً إذا تحدثنا عن سريان الروح الانتصارية عند النساء والشيوخ والقوى الاجتماعية المختلفة التوجهات وهو دليل على مدى التضامن الشعبي الوطني في مواجهة القوى الإرهابية، بل إن عائلة واحدة يتطوع أكثر من فرد من أفرادها ضمن أفواج الحشد الشعبي باندفاع عالٍ وفخر شديد. أقول إن الحشد الشعبي أعاد صياغة التاريخ العراقي المعاصر وردم فجوة كانت لتتسع لولا هذه الانطلاقة البطولية ووجه منحنى المعركة إلى النصر والقضاء على الإرهاب.

فإذا كان في قلب كل مؤمن صادق بيتٌ للحسين صلوات الله عليه، وفي ضمير كل مناضل صالح جذوةٌ من حماسة الحسين صلوات الله عليه، وفي يد كل تائرٍ مؤمن راية من رايات الحسين صلوات الله عليه صادقةٌ وحرمة فاعلة فلا بد وان تتمثل بشخصية الحشد

فقد علمنا الحسين صلوات الله عليه أن نكون أسخياء في بذل الدماء، وبخلاء في هدر الكرامات، وأن نكون رحماء مع أصحاب الحقوق، وأشداء مع معتصبيها.

2- منطلقات الحشد الشعبي

جسدت ثورة الإمام دروساً كثيرة وعبراً عظيمة للسائرين على نهجه، بل إن في كل خطوة خطاها وفي كل عمل قام به، ومن كل كلمة نطق بها، مناراً للعاملين المخلصين، وهي مرحلة ما بعد الشهادة إذ استمرت المسيرة الحسينية الجهادية بقيادة بطلة كربلاء زينب بنت علي والإمام زين العابدين (عليهما السلام) وبقية عائلة الإمام الحسين من بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولئك

الأخبار، الذين جسّدوا بخطبهم ومواقفهم الصلبة أهداف الحسين وثورته المباركة فلولاً تلك المواقف، لضاع دم الحسين هدرًا.

والان يواصل الحشد الشعبي جهاده على منوال مسيرة آل البيت، فأصبحت ثورتهم نهضة جديدة منبثقة من نهضته (ع)، فتولدت الشجاعة والصلابة وغلجان الدماء في الابدان، وخروج الجسد من حالة الكسل الى النشاط

ويقول السيد محمد باقر الصدر: ((واقعة الطف لم تكن قضية مأساوية عابرة، حدثت في مرحلة معينة من التاريخ، بل هي صورة متكاملة لتجسيد الصراع بين الحق والباطل، وهي مسرحية واقعية تنبض بالحياة، أدى أدوارها كل صنف من أصناف البشر وبمختلف الأعمار والأجناس، ففيها المعصوم والمرأة والطفل الرضيع والصبي والشيخ العجوز، فيها التائب والعاصي، فيها السمو والرفعة وفيها أيضاً الدناءة والخسة، فهي عبّرت عن حالة أمة انحرف بها الحكام عن جادة الصواب وأبعدوها عن رسالتها وعقيديتها. وان هذه الامة جاءت في ضمير أهلها فماتت، وان كانت الأجساد متحركة، فهذه الواقعة جاءت لتحرك في ضمير الامة وتعيدها نحو رسالتها وتبعث شخصيتها العقائدية من جديد))⁽³⁷⁾. فكانت لهم منطلقات ولدت حركتهم وهي:

أولاً: المنطلق الديني:

لا بد أن نتفق أولاً على أن الثورة الحسينية هي البداية للتشيع والثبات على العقيدة وأن التمسك الشيعي بمرجعيتها جاءت من إيمانه بعقيدته فليس من السهل أن تتبرع الأم بأبنائها أو أن تتخلى الأخت عن أخيها لولا إيمانهم ومواساتهم للسيدة زينب عليها السلام ومصيبتها بستانها وأختها وناصرهم، وليس من السهل ان يضع الانسان الشهادة في سبيل العدل لولا الايمان بمبدأ الثورة الحسينية والايمان بان الحياة جهاد وثورة دائمة ضد الظلم والظالمين

ومن اهم منطلقات الحشد الشعبي هو المنطلق الديني المتمثل بالغيرة على الاسلام من التشويه، فقد كرس داعش / التنظيم الماسوني جل مواقفه بالقيام بكل ما من شأنه ان يحط من قيمة الاسلام والمسلمين، فقد حمل أفكار مقبحة وسلوكيات ظالمة، فقد قتلوا الأسرى كما تقتل الشاة، والاسلام براء منها، فالاسلام يدعو إلى معاملة الأسرى معاملة حسنة، وضربت المدن وقتلت الأبرياء العزل وذبحت الأطفال والنساء من دون وجه حق، فلم يذكر لنا التاريخ، ان المسلمين قاموا في حروبهم بتلك السلوكيات المنحرفة والشاذة، وعليه فهم تنظيم لا يمت للدين أو للثقافة بصلة ولا يشكل ملمحا حضارية يمكن ان نعهده امتداداً للإسلام

فجاء موقف الحشد الشعبي وهم من أبناء الشعب البسطاء ورجال الدين الذين آثروا على أنفسهم مع فلذات أكبادهم الى جانب ثلة من بقية المذاهب والديانات الأخرى من الشرفاء الذين لا يرتضون لأنفسهم المساس بكراماتهم

والتحكم بمصيرهم، لذا قاتل بشراسة ليحافظ على نقاوة الاسلام وعلى القيم الحضارية والانسانية وما تركه لنا الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته الأطهار، فقد رخصت نفوسهم ونذروها للاستشهاد في سبيل الدين والكرامة

ومن الجدير بالذكر إن أغلب المقاتلين هم من الشيوخ ورجال الدين الصادقين الذين تقدموا صفوف الشباب المجاهد وهي جموع تعكس عمق العقيدة

ثانياً: المنطلق الوطني:

إن المنطلق الوطني يتمحور في وقوف الحشد الشعبي بوجه التنظيم الارهابي الماسوني من اجل تطهير العراق من مظاهر العنف، فجهاد الحشد الشعبي جاء دفاعياً التزم بالمتطلبات الوطنية وهذا ما شهدناه حين اندفع الالاف من المتطوعين لتلبية نداء المرجعية الغراء بكل ثقة وصدق وامانة وطنية والنضال في سبيل وحدة المجتمع التي جرفها التنظيم الى مستنقعات الطائفة البائسة والتطلع الى بناء البلاد على اسس الوحدة والسلام والتضامن والاتحاد بين اطراف الشعب العراقي ومكوناته، لتحقيق الامان والتعايش الاخوي.

فالحشد الشعبي انطلق من اعتبارات روحية عامة بعيدة عن الطائفية وهذا ما يعكسه الواقع اذا ان ما تشهده الساحة القتالية شراسة وشجاعة لتطهير اي ارض عراقية من دنس الدواعش بغض النظر عن توجهها وعقيدتها

ومما يزيد في قيمة الحشد انه لايعمل بمفرده بل ان من اهم منطلقاته هي دعم القوات المسلحة لذا فهو ضرورة امنية ودعماً مهما للبلاد، للوصول الى مجتمع متماسك لايفرق بين الديانات او الطوائف.

ثالثاً: المنطلق الانساني والاجتماعي:

إن أهل البيت عنوان مضيئ في الحياة وعنوان شامخ في حركة التاريخ والمسيرة الانسانية، وهم اعلام الهدى وقدوة المتقين، عرفوا بالعلم والحكمة والاخلاص والوفاء وسائر صفات الكمال في الشخصية الاسلامية.

فقد تخرج على منهج آل البيت مئات الشخصيات التي كانت قمة في سمو الروحي والتكامل النفسي والسلوكي وقدوة لجميع بني الانسان، كما يمتاز هذا المنهج بالشمول فهو يراعي الانسان في جميع مقوماته وينظر إليه من جميع جوانبه فلا يقتصر على إلغاء التعاليم والاشارات بل يدعو الى خلق الاجواء السليمة التي تسهم في تعميق المودة داخل الاسرة ومراعاة الحقوق والواجبات وتجنب المشاكل والخلافات

ولعل الحشد الشعبي الذي جاء تلبية لنداء المرجعية لاسيما بعد احتلال داعش للاراضي العراقية في الموصل، ومساندة عوائلهم لهم وتشجيعهم، ما هي الا اشارات انسانية تربوية مستمدة من نهج آل البيت، ف جاء التطوع غيرة ونخوة

عراقية لإنقاذ المظلومين والابرياء من كبار السن والاطفال والنساء، الى جانب التهديدات التي كادت تطال بغداد دفعت بهم للقتال ببسالة من اجل انقاذ المجتمع العراقي والعربي بقوة وعزيمة لا تلين،

فالإجراءات الانتقامية التي تبناها تنظيم داعش في سياسته كفيلة في ارهاب المجتمع لكن اصداء ثورة الحشد الشعبي كانت اقوى دفعا واكثر تنبيها للمشاعر من ان تكبت تحت طائلة القسر الارهابي، فقد اوضح للعالم عوامل الثورة ونبه الغافل وفضح تلك الدعايات المضللة، فقد ثبت امام العواصف، طلبا لمرضاته وجهاداً في سبيله وإعلاء لكلمته وأي صبر اعظم من هذا؟

فقد سطر ابطال الحشد الشعبي اليوم أروع الأمثلة على شجاعة المؤمن القوي، حيث نزلوا الى ميادين القتال كالصاعقة بلا خوف ولا تردد، فالحديث عن شجاعتهم وتفانيهم يعجز القلم عن وصفه.

فلولا الحشد لما كنا اليوم نتواصل في عملنا ونتابع شؤوننا العائلية ونتنقل بسلام، ففعلاً انتم خير مقتد لثورة سيد الشهداء

الخاتمة:

بعد الإنتهاء من مضمون الدراسة التي تكفلت الحديث عن الثورة الحسينية بوصفها مشروعاً نهضوياً للانتصار على الارهاب، تنظيم داعش الإرهابي انموذجاً، فكانت لنا وقفة مع أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي:

- 1- إن ثورة الإمام الحسين (ع) اتخذت معنى الجهاد في سبيل الله، وهو جهاد ليس له وقت أو مكان محددين إذ حملت مبادئاً إنسانية ازاحت معالم الظلم المغروسة في المجتمع، فأصبحت ثورة الحسين شعلة يستضاء بها 0
- 2- ان استشهاد الإمام (ع) يمثل بداية الثورات التي حملت مهمة الأخذ بثأره(ع) الحسين بعد ما سببه مقتل الإمام (ع) من شعور بالإثم في ضمير كل مسلم،
- 3- تركت الثورة الحسينية بصماتها في العقيدة الإنسانية جمعاء ليس الشيعية فحسب فثورة الحسين لا تمثل فئة دون غيرها فهي ثورة للعالم بأسره
- 4- إن الثورة الحسينية مثلما تركت أثارها الواضحة في الثورات التي اتبعت ثورة الامام، تركت أثارها في منطلقات الحشد الشعبي الذي لعب دوراً في تجسيد معنى الولاء للعقيدة والتسلح بمبادئ الامام والتضحية بالنفس في سبيل الحق واحقاقه وفي سبيل رفع الجور والظلم عن المتضررين وفي سبيل تحرير الارض من سطوة المحتل.
- 5- إذا كان الحشد الشعبي قد استلهم مبادئه ومنطلقاته من ثورة الامام الحسين(ع)، فإن ما يُعرف بتنظيم داعش ما هو إلا صورة من صور العداة الأزلي للاسلام وما ادعائهم بأنهم تنظيم الدولة الإسلامية إلى جانب ما يسلكونه من سلوكيات اقرب إلى سلوكيات اليهود، ما هي الا مخطط لتشويه الإسلام والحط من شأنه

أمام العالم ليتمثل أمامهم دين إرهاب لا سلام، وهذه صورة تقف بالمقابل من صورة يزيد (لعنة الله عليه) ومن سار خلفه وهان عليه قتل ابن رسول الله وقطع رأسه وقتل أهله وأصحابه ببشاعة

6- تمثل الصبر والشجاعة في ذوي الأبطال من الحشد الشعبي، وذلك في حث أبنائهم على القتال، فكان للمرأة الدور الأكبر والأمثل فقد ساندت دعوة المرجعية للجهاد وذلك بحث الزوج والأخ والابن للقتال فهناك أمهات لهن أكثر من ابن أرسلتهم جميعا لسوح القتال ونالوا شرف الشهادة، وهناك زوجة لم يدم على زوجها سوى أشهر كانت السبب في زوجها للقتال لنيل الشهادة. فهل تستحق هذه القوات أن تُهاجم أو أن تُنتقد وتُشوه صورتها وهل تستحق هذه المرأة الصابرة أن تسمع عن أبنائها ما يخذش المشاعر ،

هنا اود القول ان ثورة الامام الحسين (ع) وهو ابن بنت رسول الله لم ينج من الاتهامات والظعن والقتل وان نساءه وابناءه لم يسلمو من القتل والسبي فهل نرتجي اليوم أن يسلم ابناء قواتنا في الحشد الشعبي من إتهامات العاجزين وأشباه الرجال.. سلمتم وسلمت البطون التي حملتكم

الهوامش:

- (1) لسان العرب، ابن منظور (مادة ثور)، دار صادر – بيروت، ط7، 2011م: 53
- (2) ثقافة الرئيسة. mawdoo3.com
- (3) المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، ج1، ص382، منشورات ذوي القربى- قم، 1385هـ
- (4) الشهيد والثورة، هادي المدرسي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات – بيروت، ط2، 1982
- (5) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر: 1961، 403/5. وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير تحقيق، خليل مأمون شياح، دار المعرفة – بيروت، 2000م، 502/3
- (6) الفتوح، ابن أعثم، تحقيق، علي شيري، دار الأضواء- بيروت، 1991م، 23/5 ، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، مؤسسة انتشارات علامة – قم، دت، 89/4. ترجمة الإمام الحسين(ع)، ابن عساكر، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، دت: 318
- (7) www.saffar.org ، متابعات ،
- (8) الشهيد والثورة، هادي المدرسي: 13
- (9) الملحمة الحسينية، مرتضى المطهري، تعريب السيد محمد صادق الحسيني، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1992م: 809
- (10) الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ _ موسوعة اهل البيت الحضارية، ط1، 2002م: 274

- (11) حياة الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، ط2، 1419هـ، ج3:449
- (12) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 368/3، والكامل، 102/4
- (13) تاريخ الرسل والملوك، 480/5، الكامل، 550/3
- (14) العقد الفريد، ابن عبد ربة، دار الكتاب العربي- بيروت، د.ت، 137/4.
- (15) تاريخ الرسل والملوك، 371/4، والكامل 112/4
- (16) تاريخ الرسل والملوك، 372/4؛ الكامل، 113/4
- (17) تاريخ الرسل والملوك، 372/4، الكامل، 113/4
- (18) عوامل خلود الثورة الحسينية، محمد الهنداوي، دار المجتبي - قم - إيران، 2006م: 188
- (20) تاريخ الرسل والملوك، 497-496/5، الكامل، 566/3
- (21) الطبري، تاريخ الرسل والملوك 497/5؛ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، دار الكتاب العربي- بيروت، 2004م، 86/3
- (22) التعديل والتجريح، سليمان بن خلف (474هـ)، تحقيق، أحمد البزاز، مراكش، 709هـ، 823/2
- (23) تاريخ الرسل والملوك، 501/5.
- (24) الطبقات، ابن سعد، دار صادر- بيروت، 1957م، 292/4؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، احمد بن علي، (ت463هـ)، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، 1417هـ، 216/1.
- (25) موسوعة الثورة الحسينية لسماوي، محمد نعمة، دار المرتضى- بيروت، 2001م، 7/ 187
- (26) سليمان بن صرد الخزاعي قائد ثورة التوابين، ابراهيم بيضون، مطبعة دار التراث الإسلامي، بيروت، 1974م: 107.
- (27) نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، تحقيق، محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية- القاهرة، 1975م، 529/20
- (28) 10 ثورات في الإسلام، علي حسين الخربوطلي، مطبعة دار الآداب- بيروت، 1968م: 108.
- (29) 10 ثورات في الإسلام: 109.
- (30) الطبقات، 294/4، تاريخ الرسل والملوك، 596/5، 10 ثورات في الإسلام: 110.
- (31) سليمان بن صرد الخزاعي: 113.
- (32) ثورات الشيعة، سعيد رشيد زميزم، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع - مؤسسة الثقلين، ط1، 2006م: 39، حياة الإمام الحسين، القرشي، 3/454.
- (33) تاريخ اليعقوبي، دار صادر- بيروت، د.ت: 179/2
- (34) مروج الذهب، 3/85.
- (35) تاريخ اليعقوبي، 2/176؛ ومقتل الحسين: 260-وما بعدها، والمناقب، 3/285.

- (36) أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، ابو مخنف، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة دار المحجة البيضاء- بيروت، 1420هـ، ص: 48؛ و تاريخ يعقوبي، 176/2؛ والامالي، الطوسي، مؤسسة البعثة- قم، دت: 243- 245؛ و العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون منشورات الاعلمي - بيروت، 1971م، 25/3.
- (37) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق عبد الرزاق الصالحي، مؤسسة ام القرى للتحقيق، بيروت-لبنان، 1423هـ، 2003م، ص354.

المصادر:

- 1- أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، ابو مخنف، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة دار المحجة البيضاء- بيروت، 1420هـ.
- 2- الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ - موسوعة اهل البيت الحضارية، ط1، 2002م
- 3- والامالي، الطوسي، مؤسسة البعثة- قم، دت.
- 4- أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق عبد الرزاق الصالحي، مؤسسة ام القرى للتحقيق، بيروت-لبنان، 1423هـ، 2003م.
- 5- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، احمد بن علي، (ت463هـ)، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، 1417هـ.
- 6- تأريخ الرسل والملوك، الطبري، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر: 1961م.
- 7- تاريخ يعقوبي، يعقوبي، دار صادر- بيروت، دت.
- 8- ترجمة الإمام الحسين(ع)، ابن عساكر، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، دت.
- 9- التعديل والتجريح، سليمان بن خلف(474هـ)، تحقيق، أحمد البزاز، مراكش، 709هـ
- 10- لسان العرب، ابن منظور (مادة ثور)، دار صادر - بيروت، ط7، 2011م
- 11- 10 ثورات في الإسلام، علي حسين الخربوطلي، مطبعة دار الآداب- بيروت، 1968م
- 12- حياة الامام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، ط2، 1419هـ.
- 13- سليمان بن صرد الخزاعي قائد ثورة التوابين، ابراهيم بيضون، مطبعة دار التراث الإسلامي، بيروت، 1974م.
- 14- الشهيد والثورة، هادي المدرسي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات - بيروت، ط2، 1982م.
- 15- الطبقات، ابن سعد، دار صادر- بيروت، 1957م
- 16- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون منشورات الاعلمي - بيروت، 1971م.
- 17- العقد الفريد ، ابن عبد ربة، دار الكتاب العربي- بيروت، دت.
- 18- عوامل خلود الثورة الحسينية ، محمد الهنداوي، دار المجتبى - قم - ايران، 2006م.
- 19- الفتوح، ابن أعم، تحقيق، علي شيري، دار الأضواء- بيروت، 1991م.

- 20- الكامل في التاريخ، ابن الاثير تحقيق، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، 2000م.
- 21- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، دار الكتاب العربي- بيروت، 2004م.
- 22- المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، منشورات ذوي القربى- قم، 1385هـ.
- 23- الملحمة الحسينية، مرتضى المطهري، تعريب السيد محمد صادق الحسيني، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1992م
- 24- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، مؤسسة انتشارات علامة - قم، د.ت.
- 25- موسوعة الثورة الحسينية لسماوي، محمد نعمة، دار المرتضى- بيروت، 2001م.
- 26- نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، تحقيق، محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية- القاهرة، 1975م.

المواقع الإلكترونية

1- ثقافة. الرئيسة. mawdoo3.com

2- www.saffar.org ، متابعات ،

المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف ودورها في محاربة الإرهاب

أ.م.د. عائدة محمد عبيد
جامعة الموصل

علي محمد الجيوري
الموصل

المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف ودورها في محاربة الإرهاب

أ.م.د. عائدة محمد عبيد

جامعة الموصل

علي محمد الجيوري

الموصل

تمهيد:

كونت المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف وفتوى المرجعية الدينية ابرز مظاهر التحدي لمواجهة للإرهاب والتطرف، وهو في أوج قوته وشدة بأسه، وما يملك من مال وحشد للجند والأتباع، وتعددت البحوث والآراء بشأن الحدث من جوانبه المختلفة والمتعددة، وبات صعباً احصاء كل ما كتب لتدوين هذه الواقعة، والنتائج التي تمخضت عنها، سياسياً، وفكرياً، وعقائدياً، وحضارياً، وثبوت منهج الإمام الحسين (عليه السلام) الذي قدم نفسه وأهل بيته فداءً للدين الحق، والذي تستوجب منا الالتزام به في وحدة الكلمة ومن اجل ارساء السلام والمشاركة الفاعلة في سبيل ذلك.

فالمواقف البطولية ودروس الطف اصبحت اعتقاد راسخ في قلوب المقاتلين ممن لبي نداء المرجعية الدينية فاستحضروا في اذهانهم بما جرى للحسين عليه السلام والشهداء من اهل بيته واصحابه في كربلاء فاصبحوا اكثر صلابة وعزيمة وثبات في الموقف بما لامثيل له ومن ثم فإن لواقعة الطف من سعة الافق في معنى التضحية والحرية والانفة والفداء والنبيل، فتجلت تلك الواقعة وعظمة الامام الحسين (عليه السلام) وروح التضحية في سبيل الله ومبادئ الاسلام.

فالامام الحسين (عليه السلام) انموذج المواقف البطولية وشارة الفداء فلمحة الطف هي مأثرة الشهداء تأخذنا بأبعادها اللامتناهية تستجلي حقائق ذلك اليوم العصيب لتبقى رسالة خالدة للاجيال على مر العصور من اجل محاربة الارهاب فانبعث الهتاف الحسيني (إنما خرجت لإصلاح امة جدي) وانبعث نداء الاسلام ليصبح جسد الحسين فداء للثورة، فالحدث الحسيني الذي تجسد في الواقعة ولينطلق النداء المعفر بدمه (عليه السلام) (إنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) فقد ضحى بنفسه واحب الناس اليه من اجل المبادئ ولا شك أن عملية استحضار تلك اللحظات في فكر المقاتلين وما لها من وقع على الذات ما هو الا انعكاس لمعطيات لواقعة الطف في صياغتها وتشكيلها لذا فإن

الخطاب الحسيني كان حكماً ونتيجة اقتضته ظروف المصلحة الفعلية لإعادة المنهج الإسلامي إلى مساره الصحيح.

فاغترفت المرجعية الدينية فتواها من المعطيات الحضارية لواقعة الطف وأخلاقياتها ومن تبعها العذب الصافي، واستلهم مقاتلوا الحشد الشعبي من دروسها التضحيات والبطولات والشجاعة من أجل الإسلام ومن أجل محاربة الارهاب لتحقيق السلام، اقتداءً بأبي الأحرار الحسين (عليه السلام) وحامل لوائه أبي الفضل العباس (عليه السلام). فالتضحيات والبطولات التي قدمها المقاتلون من ابناء الحشد الشعبي والقوات المسلحة هي امتداد لتضحيات واقعة الطف

فالقيم الحضارية والمواقف البطولية لواقعة الطف تبرز القيم الانسانية لفتوى المرجعية التي أنقذت البشرية من الارهاب ورسمت لها مبادئ التعايش السلمي ونبذ التطرف تحقيقاً للتوازن الذي تستهدفه البشرية جميعاً من أجل بناء السلام. وان المنهج الذي تحذوه المرجعية الدينية العليا وتعتمده لا يختلف عن منهج الامام الحسين (عليه السلام) في حقن الدماء وعدم اراقتها إلا بالحق من خلال الالتزام بأخلاقيات الحرب والقتال فسلوك المرجعية هو امتداد للسلوك الحسيني وكان هذا جلياً واضحاً في تعبير المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله) بتوصياته للمقاتلين الابطال.

ويظهر من التوصيات ان المرجعية الدينية ارادت اىصال ابراز منهج الاسلام القويم وهي نقيض الصورة التي رسمها الارهابيون وشو هوها بافعالهم الارهابية فكان جل اهتمام الرجعية حقن الدماء والحفاظ على الانفس ورعاية الحرمات والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة والتي اشار اليها المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله) في اكثر من موضع. فتورة الحسين (عليه السلام) وفتوى المرجعية الدينية لهما من الخصائص يكاد أن يجعلهما خالدتان ابد الدهر

يتجلى البعد الديني والإنساني للنهضة الحسينية في ما حققته الثورة في حفظ المبادئ الحقّة للإسلام والتي حملت معها جميع ما بشر به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في عصر الرسالة الإسلامية أما البعد السياسي والعالمي فيقع في مصاديق الثورة التي استوعبتها أهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من أجل الكرامة والأثر الذي تركته هذه النهضة المباركة في الفكر المعاصر وهكذا نرى تجليات النصر على داعش الارهابي تحققت بفعل التضحيات، فلا لافرق بين طف الامس و حرب اليوم.

ومن وصايا سماحة المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله) قوله:(ان الله سبحانه كما ندب الى الجهاد ودعا اليه وجعله دعامة من دعائم الدين وفضل المجاهدين على القاعدين فانه عز اسمه جعل له حدوداً وأداباً أوجبها الحكمة

واقتضتها الفطرة... فمن رعاها حق رعايتها أوجب له ما قدره من فضله وسنه من بركاته ومن اخل بها احبط من اجره ولم يبلغ به امله⁽¹⁾. ويرى الامام علي (عليه السلام) ان الاقدام على الموت عن رغبة وحب وبلا عجز ولا ملل يجعل الفرد في رؤية يسيرة له، ويبعده عن التردد الذي يعجز عن التقدم والبذل في المعركة، وقد عبر عن هذه الرؤية بقوله: " امشوا إلى الموت مشية سجحا (سهلة) " (2) فقد وصف المرجع الديني الجهاد بأنه دعامة من دعائم الدين

ان تبني هذه الفئات لفكرة محاربة الاسلام قد جعلها ترتكب مجموعة من الاعمال الفاسدة التي تخالف الشريعة الإسلامية، والتي اوجبت على المرجعية الدينية ان يقف ضدها ويضع حدا لها لئلا تاخذ مجراها وبالتالي يصعب السيطرة عليها وقد تمثلت هذه الأعمال في عدة جوانب منها ما ظهر من هذه الفئات من قتل واستباحة لدماء المسلمين التي نهى عنها الدين الاسلامي في كثير من الايات القرانية كقوله تعالى: ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (3)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (4).

وهذا ما دفع السيد السيستاني (دام ظله) إلى العمل على ايقاف هذه الظاهرة من قتل المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ... ﴾ (5).

وجعل الجهاد في هذه الحالة فرضاً كفائياً فيه حكمة بالغة، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضاً عينياً، لتوجب أن ينفر الجميع للقتال في الاوقات كلها، ولتوجب ايضا ترك المصالح والاعمال، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة⁽⁶⁾

فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله⁽⁷⁾. فقد جاء رجل الى رسول الله (ﷺ) يسأله عن الرجل يقاتل للمغنم، وآخر يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال (ﷺ): "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"⁽⁸⁾

وقال رسول الله (ﷺ) مرغياً في المرابطة: "عينان لا تمسهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"⁽⁹⁾.

وقال النبي (ﷺ): "إن هذا الانسان بنيان الله، فملعون من هدم بنيانه"⁽¹⁰⁾. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: "رأيت رسول الله (ﷺ) يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك؛ ماله ودمه"⁽¹¹⁾.

فاذا كان الاسلام قد أعطى مثل هذه الحرمة للانسان عامة فهذا يدل دلالة قاطعة على ضرورة حفظ حياة الانسان وتجنبيها كل ما قد يؤدي بها؛ فإن

المجاهد في سبيل الله أولى بالحرص على حفظ حياته ؛ فهذا المجاهد قوة فاعلة ومهمة في حفظ كيان الأمة ودينها، لذا توجب الحرص على حياته وعدم التفريط بها. وهذه ولاشك مسألة أخلاقية مهمة، فحياة الانسان ثمينة يجدر الحفاظ عليها بكل ما أوتي المعنيون من سعة.

وعندما نقف امام تلك المشاهد لواقعة الطف نفتبس من رحيق تلك النهضة الغنية بالقيم والمثل العليا والتي تعلمنا كيف نعيش احرارا وكيف نموت سعداء منتصرين لو ادركنا اهداف تلك الثورة والمجزرة الرهيبة التي ايقظت المسلمين، فالامام الحسين (عليه السلام) عبرة وعبر وكفانا ان نقف امام كلماته ونجسدها في حياتنا بقوله "أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما." " هيهات من الذل "، قال لابنه زين العابدين(عليه السلام): أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله عز وجل، إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

واقعة الطف تمثل الصورة الحقيقية والتوجه الانساني المحق للسير على منهج السلوك الى الله سبحانه وتعالى، هذه الملحمة التاريخية أثرت وبشكل فطري و عفوي في وقتنا بالحالي لما لها من قيم واهداف، اليوم نحن بحاجة الى كربلاء بحاجة الى الامة القوية الامة التي تفخر بعظماها وتنهل من عمق فكرها ومواقف رجالاتها، هي كربلاء الاباء هي كربلاء الكروب هي كربلاء التضحيات هي كربلاء الموقف هي كربلاء السلام والتعابش السلمي.

فالدور التاريخي الذي لعبته فتوى المرجعية الرشيدة في تعبئة الشعب لمساندة القوات المسلحة كبير فالمساندة التي حصلت عليها القوات المسلحة من الحشد الشعبي والقوات الشعبية الاخرى هي التي مكنت قواتنا المسلحة من الحصول على الفرصة لاعادة البناء والهيكلة والتعبئة في الحرب ضد داعش وان جميع القوات العراقية هي تحت قيادة القائد العام للقوات المسلحة". "المرجع الديني أثبت قدرة فائقة في محاربة تنظيم داعش الارهابي نيابة عن العالم"، مطالباً الجميع بدعم بلاده في هذه المعركة، وهذا لاحظنا على ارض الولقع بأنه "لولا فتوى المرجعية الدينية والحشد الشعبي لسقط العراق بيد الارهاب.

❖ فتوى الجهاد المقدسة وأثرها في استنهاض الهمم من اجل محاربة الإرهاب:

كانت فتوى الجهاد المقدس هي السبيل الى اذكاء روح الجهاد من اجل محاربة الارهاب، فهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى تجليات ومآثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي لاحقاق الحق، فما اشبه اليوم بطف الأمس. والجهاد فريضة إلهية فرضها الله تعالى على هذه الأمة، كما

فرضها على من كان قبلها من الامم ذات الرسالات السماوية، فالجهاد والقتال في سبيل الله ورد بالصيغة نفسها التي وردت بها أركان الاسلام الاخرى، بقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (12)، ثم ان الله تعالى رغب عباده المؤمنين بالجهاد وحث عليه ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السماوات والارض (13).

وأدلة الكتاب على فرضية الجهاد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ يَغْوِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وهنا جمع الله تعالى الجهاد بالمال والنفوس معاً وفي ذلك اعلى المراتب. وبهذا أبان الله تعالى أن حب الله ورسوله والجهاد في سبيله (فرض) وانه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب الى المؤمنين منه (15).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾. وفي هذه الآية قال المفسرين: ما من مسلم الا والله في عنقه بيعة، وفي بها أو مات عليها (17). وهي بيعة على القتال في سبيله، والبيعة ملزمة لمن بايع شرعاً على القدرة والاستطاعة.

ثم اشار سماحته (دام ظلّه) الى ان هناك حدوداً واداباً للجهاد ويجب التفقه بها ومراعاتها... و اشار الى ان من رعاها حق رعايتها سينال الدرجات والثواب، والعكس من ذلك من اخل بها فإن الله يحبط أجره.

أما أدلة فرضية الجهاد في السنة النبوية المطهرة، فأولها وفي مقدمتها أن النبي ﷺ جاهد بنفسه في غزوات عديدة، فالإقتداء بالنبي ﷺ أمر واجب شرعاً لقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (18). كما أن النبي ﷺ حث على الجهاد ورغب فيه (19). فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقيين. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (20).

فهذه كلمات مضيئة في "فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، وأسباب النصر على الأعداء"، وجهها السيد علي السيستاني (دام ظلّه) إلى كل مواطن قادر على حمل السلاح في عراقنا الحبيب للتطوع لإعلاء كلمة الله تعالى، والتي بين فيها الحكمة من مشروعية الجهاد وفضله لمحاربة الارهاب والجماعات المتطرفة التي

جمعت بين الجهل بدين الله وظلم الناس إذ وقف اهالي نينوى والمدن الاخرى العزل عاجزين امام تلك التطورات وامام عدو لايعرف الرحمة والشفقة ونال منهم ما نال فقد انتهك كل القيم الاخلاقية واستخدم كل انواع القتل والتنكيل والابادة والتخريب الوحشي فاباحوا قتل النساء والأطفال والرجال في الموصل وعامة المناطق التي اجتاحتها فاباحوا دماء الناس نتيجة ابتداعهم وتطرفهم اذ يرون من لا يؤمن بمنهجهم وأفكارهم خارجاً عن الدين، إلا ان المرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم فأصدرت فتوى الجهاد الكفائي وذلك لتحقيق السلام الذي اصبح اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية لاسيما في مجتمعات أصبحت تسودها المنازعات والتناحرات وذلك من اجل الوقوف أمام كل المخاطر التي تستهدف الأمة الإسلامية، وعليه يجب العمل بكل الوسائل لتطبيق المبادئ التي أكدت عليها المرجعية الدينية، فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقيين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (21)

وجعل الجهاد في هذه الحالة فرضاً كفايياً فيه حكمة بالغة، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضاً عينياً، لتوجب أن ينفر الجميع للقتال في الاوقات كلها، ولتوجب ايضا ترك المصالح والاعمال، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة (22)

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "فمن اراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان". وفي لفظ: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" وجاءت الفتوى لنصرة المظلومين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (23). وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (24). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (25).

فالجهاد حقيقة اسلامية دعا اليها الله تعالى في كتابه الكريم، ورغب فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحرص المؤمنين على القتال. وعده طاعة من أعظم الطاعات، وقربة من أفضل القربات. وان تركه واهماله فيه مذلة ومهانة، وان التولي يوم الزحف من أكبر الذنوب والمعاصي.

وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد

عصاني" (26) فلبى ابطالنا الغياري نداء المرجعية وامتثلوا لاوامرها للدفاع عن الارض والعرض والمقدسات. وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "جاهدوا المشركين بأيديكم وأسننكم وأموالكم" (27) والجهاد باللسان له مظهران، جهاد بالتحريض على القتال والحث عليه ثم جهاد بالدعوة والتبليغ واقامة الحجة على الكافرين والمنافقين ومن سواهم (28).

بيّنت المرجعية الدينية في فتواها الحكمة من مشروعية الجهاد وفضله لمحاربة الارهاب والجماعات المتطرفة التي جمعت بين الجهل بدين الله وظلم الناس إذ وقف اهالي نينوى والمدن الاخرى العزل عاجزين امام تلك التطورات وامام عدو لايعرف الرحمة والشفقة ونال منهم ما نال فقد انتهك كل القيم الاخلاقية واستخدم كل انواع القتل والتنكيل والابادة والتخريب الوحشي فاباحوا دماء الناس نتيجة ابتداعهم وتطرفهم اذ يرون من لا يؤمن بمنهاجهم وأفكارهم خارجاً عن الدين. وحرّم الإسلام القتل وعاقب عليه وجعل الاعتداء على حياة الإنسان وإزهاق روحه بمثابة العدوان على الله ﷻ، وعده تحدياً سافراً لإرادة الله ومشيئته. ومن وصايا السيد السيستاني التي تندرج ضمن هذه المعاني قوله (واعلموا إنّ من شهد الشهادتين كان مسلماً، يعصم دمه وماله...) (29)

والمرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم الارهابية فأصدرت فتوى الجهاد الكفائي وذلك لتحقيق السلام فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (30)

فقد ساهمت فتوى الجهاد في سد الطريق امام كارثة كادت تحل بالعراق فحالت دون سقوطه، فأوقفت ذلك التقدم الذي وصل الى مشارف بغداد. فكانت الفتوى اكثر شمولية ببعدها الوطني والانساني والمستوحى من الادب الحسيني، إذ عززت معاني الاخوة بعيدا عن الخلافات الطائفية والمذهبية، فهذا دليل على حكمة السيد السيستاني (دام ظله الوارف) الذي يتولى مواقفه على اسس انسانية ووطنية فقد اثبتت الفتوى بامكان العراقيين جميعاً التوحد من اجل محاربة الارهاب. انطلاقاً من مبدأ الدفاع عن الأرض والمقدسات والدماء البريئة وحفظ العباد.

في هذا الإطار تتمحور التقييمات المنهجية لدى المرجعية الدينية بمقارنة الاهداف التي يتوقع ان تحققها عمليات الجهاد لتحقيق الرسالة التي من اجلها اصدرت الفتوى والاطلاع على خطط وأساليب القتال التي سنتبع في قواطع العمليات لاعداد جيل من المقاتلين يتملكون روح التسامح وسعة الافق ورجاحة التفكير ليسهموا في الوصول إلى الفكرة المطلوبة من فتوى المرجعية ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، ولمعرفة مدى كفايتها لتحقيق المحصلة المتوقعة من

اجل بناء السلام والقضاء على الارهاب منهجا وتطبيقا. ويتجلى البعد الديني والإنساني للفتوى في ما حققته في حفظ المبادئ الحقة للإسلام والتي حملت معها جميع ما بشر به الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) في عصر الرسالة الإسلامية أما البعد السياسي والعالمي فيقع في مصاديق الفتوى التي استوعبتها أهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من أجل الكرامة والأثر الذي تركته هذه الفتوى المباركة في الفكر المعاصر، كانت نتيجتها تحقيق النصر على ارض الواقع.

فالفتوى تهدف الى بيان مفهوم الاسس والقيم الحضارية الانسانية والرؤية المستقبلية للمرجعية الدينية وفق مفاهيم الشريعة الاسلامية لإرساء السلام ومحاربة الارهاب، وهذا ما تمخض عن السيد السيستاني في سياسته العامة التي رسمت المعالم الأساسية للسلام والتعايش السلمي والتي كانت شاملة لكل مناحي الحياة وجوانبها فقد كان السلام هدفاً اسمى لدعوة المرجعية لمحاربة الارهاب، فهو الحالة الطبيعية التي يمكن للناس فيها ان يؤدوا رسالتهم في الارض، ويتمكنوا من إعمارها واقامة الخير والاصلاح فيها، وذلك لايتأتى مالم تتحقق مفاهيم الوحدة والسلام والقضاء على الارهاب

فالنداء الذي قصدته المرجعية هو لغرض حشد المتطوعين والأتباع للقتال من اجل الحق ودفاعا عن العراق والمقدسات الدينية، ولإيضاح ما تنشده وتدعو إليه المرجعية الدينية، وذلك ليتناسب مع خلود واقعة الطف التي كان تخطيطها الهياً فكان الطريق الذي سلكته سجلاً حافلاً بكل مضامين الجهاد واتجاهاته، وما أراد السيد علي الحسين السيستاني (دام ظله) تحقيقه، وطبيعة النهج القادم، وأسلوب العمل بموجبه، وتجلى كل ذلك في أحاديثه وخطبه وأقواله فيما هو قادم عليه منذ اصدار الفتوى من النجف الأشرف وحتى وطأت اقدام المقاتلين المجاهدين الابطال الاراضي المحتلة من قبل الارهابيين. وهذا ما يذكرنا بالركب الحسيني الذي خرج من المدينة المنورة لاحقاق الحق، وجبهة الحق دائماً منتصرة، ودائماً في علو، لأن الله ناصرها. وان أنصار الحق فنية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى كما جاء بقوله تعالى: ﴿ تَحُنُّ نَفْسٌ عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (31) فكانت لهم الشهادة خاتمة والجنة موقلاً.

ان البذل والتضحية والسخاء عطاء، ولكن الشهادة في سبيل الله والحق أسمى العطاء. هذه الجبهة المؤمنة رجالاً سمت بهم الهمم العالية إلى اقتحام الأهوال وهانت عليهم المخاطر بالنفس في سبيل حياة المجد والعزة والكرامة، فاستحسنوا التضحية بأنفس الأشياء وأغلاها عندهم وأجلها قدراً وأعلاها.

وضمت وصايا المرجعية بين فقراتها التذكير بحروب الرسول (صلى الله عليه وآله) ضد الكفار والمشركين، وحروب أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) وأخلاقياته في القتال، وقد حث المرجع الديني على الالتزام بنفس

الاخلاقيات، فلما استجاب المتطوعين لنداء المرجعية، كان لابد للمرجعية من اصدار توجيهات وتعليمات للإلتزام بها أثناء عمليات التحرير.

وجاء في الخطبة التي القاها الشيخ الكربلائي قوله (وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم يا ابناءنا في القوات المسلحة تحتكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر) (32) تأسيا بما كان يوصي به الامام الحسين (عليه السلام) فقد كان الامام الحسين (عليه السلام) يعمل على رفع الروح المعنوية من خلال الحث على الصبر في مواطن البأس والثبات في قتال الاعداء

فكان موكب الشهادة يستحث الخطى إلى الجنة يعبد طريقها بالتضحيات ويرصفها بالأرواح وبيلل ثراها بالدماء الزكية التي تجلت في سلاح التضحية والفداء، وقد تحقق كل ذلك وبأروع المواقف المشرفة. وهكذا بدأت طلّاع الحق ممن لبي نداء المرجعية تتأهب للسير إلى ساحة المعركة وهي تعلن ولاءها التام وتفانيها في الدفاع عن العراق ومقدساته.

في هذا الإطار تتمحور التقييمات المنهجية لدى المرجعية الدينية بمقارنة الاهداف التي يتوقع ان تحققها عمليات الجهاد لتحقيق الرسالة التي من اجلها اصدرت الفتوى والاطلاع على خطط وأساليب القتال التي ستتبع في قواطع العمليات لاعداد جيل من المقاتلين يتملكون روح التسامح وسعة الافق ورجاحة التفكير ليسهموا في الوصول إلى الفكرة المطلوبة من فتوى المرجعية ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، ولمعرفة مدى كفايتها لتحقيق المحصلة المتوقعة من اجل بناء السلام والقضاء على الارهاب منهاجا وتطبيقا

فالفتوى تهدف الى بيان مفهوم الاسس الانسانية والرؤية المستقبلية للمرجعية الدينية والمستوحاة من واقعة الطف وفق مفاهيم الشريعة الاسلامية لإرساء السلام ومحاربة الارهاب، وهذا ما تمخض عن السيد السيستاني في سياسته العامة التي رسمت المعالم الأساسية للسلام والتعايش السلمي والتي كانت شاملة لكل مناحي الحياة وجوانبها فقد كان السلام هدفاً اسمى لدعوة المرجعية لمحاربة الارهاب، فهو الحالة الطبيعية التي يمكن للناس فيها ان يؤدوا رسالتهم في الارض، ويتمكنوا من إعمارها واقامة الخير والاصلاح فيها، وذلك لايتأتى مالم تتحقق مفاهيم الوحدة والسلام والقضاء على الارهاب

ويعد الاستنفار من مبادئ الحرب الأساسية والمهمة في المجال العسكري، فمن خلاله تستطيع القيادة إعلان الحرب او عدمه، ويعتمد هذا المبدأ على قدرة القيادة في توجيه الراي العام وتحشيد، والاساليب التي تعتمد عليها في ذلك فقد استطاع السيد السيستاني (دام ظله) ان يجعل من هذه المنطلقات الفكرية وسيلة لاستنفار الراي العام الاسلامي، من خلال تبيان جملة من الاهداف التي تبناها في ذلك كالدفاع عن مصلحة الأمة الإسلامية، والدفاع عن القران الكريم ومبادئ الاسلام السمعاء والدفاع عن الحق.

وتناولت وسائل الإعلام المحلية والعالمية باهتمام كبير بيان المرجعية الدينية العليا المتمثلة بالمرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) وجاءت الدعوة إلى حمل السلاح في خطبة صلاة الجمعة التي ألقاها نيابة عنه ممثله الخاص الشيخ عبد المهدي الكربلائي بتاريخ 2014/6/13 فامتد صدى الفتوى إلى جميع أنحاء البلاد واندفع الناس بحماس كبير من أجل التطوع، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبُغْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (33) ﴾. وقال تعالى: ﴿ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (34).

وجاء في الخطبة التي ألقاها الشيخ الكربلائي قوله (وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم يا ابناءنا في القوات المسلحة تحتكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر) (35)

ولعل من يقف جلياً امام اهداف تلك الجموع المجاهدة ويقطف من ثمارها على عظم بشاعة العدو فقد كانت تجلياتها واهدافها كثيرة جداً، فالاصرار على المسير هي لطلب الشهادة، ونشر العدل والقضاء على الارهاب، ومحاربة كل انواع الفساد، وسيادة المجتمع الاسلامي السليم. عملاً بما قام به الحسين (عليه السلام) حين قال: "ألا واني لم اخرج أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد أمر بالمعروف وانهي عن المنكر" (36). فإن من أعظم نعم الله عز وجل على هذه الأمة أن أنزل إليها خير كتبه، وأرسل إليها أفضل خلقه، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتؤمن بالله، قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (37) كما تكفل لها بحفظ دينها الذي ارتضاه لها، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (38) وكلفها حمل هذه الرسالة العالمية. وقد تأسى الرسول (ﷺ) بالقرآن الكريم في مناقشاته ومحاوراته مع اتباعه او اعدائه، وان أهله واصحابه واتباعه الأخيار قد نهجوا نهجه، واتبعوا طريقته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (39).

والمرجع الديني (دام ظله) احس بأن المجتمع بحاجة ماسة الى غرس قيم ومتطلبات اخلاقيات بناء السلام والتعايش السلمي وفقاً لمناهج الشريعة الاسلامية للنهوض بالامة الاسلامية، وإشاعة قيم السلام والحوار والتسامح والمحبة والالفة بين ابناء المجتمع. قال رسول الله: " لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت ". فالإنسانية متساوية في الخطاب الدعوي الإسلامي، ولذلك نجد أن المرجعية الدجينية دعت إلى تحقيق العدالة

الاجتماعية بين الإنسانية وبالمساواة بين أجناس البشر، وبوحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية.

هذه الأهداف الإصلاحية الإنسانية، حددها المرجع الديني (دام ظلّه) في خطبه وأحاديثه قبيل المعركة وأثنائها لتكون حجة على الحاضرين والغائبين

فإذا عرفنا هذا وما يحيط بالمرجعية الدينية من المخاطر لمواجهة الارهاب وطغيانه، ادركنا عظم هذه المهمة من جهة، ومدى قوة ايمانها وعزمها من جهة اخرى، فلما امرت بالفتوى لم يكن ممن دعتهم الا السمع والطاعة دون أي تردد او خوف او تساؤل، ولم تهزهم او تضعفهم تلك الجموع الارهابية التي اجتمعت بفعل اجنحة خارجية من كل حدب وصوب لتدمير العراق بلد الانبياء والحضارات. وقد استطاعت المرجعية الدينية ان تجعل من المنطلقات الفكرية للامام الحسين (عليه السلام) وسيلة لاستنفار الراي العام الاسلامي، من خلال تبيان جملة من الاهداف التي تبنتها في ذلك كالدفاع عن مصلحة الامة الإسلامية، والدفاع عن القران الكريم ومبادئ الاسلام السحاء والدفاع عن الحق وعن المقدسات.

ولتحقيق ذلك تطلب القيام بعملية استنفار (حشد) للقوات، وهذا ما جعلنا أمام صورة واضحة عن الجهود المبذولة من قبل المرجعية الدينية على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية الغير مستقرة التي شهدتها فترة اصدار الفتوى.

ان هذه المواقف التي عبرت عن حالة العزم والاقدام والثبات لدى الجميع تحمل الدلالات العظيمة وهي الايثار بالنفس في سبيل العقيدة، وقد عبرت عن هذا الايثار الاية القرآنية الكريمة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (40).

ان هذه المواقف الشجاعة تعد تحدياً للارهابيين، واستخفافاً بهم وبجبروتهم وطغيانهم. وان في هذه الدعوة للجهاد ما يوجز الحقيقة بتجليات واقعة الطف كما اثبتت هذه المواقف زهدهم في الحياة وصدقهم واخلاصهم ومودتهم وشجاعتهم بل وسائر الصفات الحميدة التي يمثلونها.

ولم يثن المرجعية المرجعية عن مبادئها ومواقفها ومسؤوليتها مهما كلفها ذلك لقوله تعالى: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (41)، ومن هنا كان للسيد علي(دام ظلّه الوارف) مجموعة من المنطلقات الفكرية الحضارية في فكره التي جاءت في بعدين رئيسيين هما: المنطلقات الشرعية، والدفاع عن مصلحة الامة. هناك مجموعة من المنطلقات الشرعية التي كانت بمثابة القاعدة التي استطاع ان يثبت من خلالها مشروعية فتواه ودعوته للجهاد وهذه المنطلقات لها جوانب عديدة منها الدفاع عن الحق الذي يعد أحد اهم المنطلقات الفكرية الحضارية التي اعتمدها في دعوته للجهاد

ونحن على ارض الواقع كدنا أن نفقد الأمل في التحرير وتخليصنا من تلك الجماعات الارهابية وكدنا أن نفقد العراق ونخسره الى الأبد، لولا فتوى المرجعية المؤمنة بالله تعالى وبحبّ العراق وأهله ومُقدّساته ونخله ومائه وترابه وهوائه، والتي تتحرّك في عروقها ودمها غيرة الدفاع عن كل ذلك ضد أعداء الدين والوطن والإنسانية. واقعة الطف تمثل الصورة الحقيقية والتوجه الانساني المحق للسير على منهج السلوك الى الله سبحانه وتعالى، هذه الملحمة التاريخية اثرت وبشكل فطري وعفوي على ارادة المقاتلين الابطال لما لها من قيم واهداف ذات البعد الطويل حتى يرث الله الارض ومن عليها، فاليوم نحن بحاجة الى كربلاء بحاجة الى الامة القوية الامة التي تفخر بعظماها وتنهل من عمق فكرها ومواقف رجالاتها، هي كربلاء الاباء هي كربلاء الكروب هي كربلاء الفاجعة هي كربلاء الجراح كربلاء المضينة رغم بشاعتها هي كربلاء الموقف هي كربلاء السلام والتعابش السلمي رغم أوجاعها...كربلاء المواقف البطولية من أجل الحياة...

فقد أدركت المرجعية الدينية الحكيمة أنّ الظرف واللحظة الزمانية للبلد تُحتمّ الوقوف صفاً واحداً للتصدي لمغول العصر، الذين كادوا أن يُفتكوا بالبلد ويُحقّقوا مآربهم لولا أن منّ الله تعالى علينا بنعمة الحشد الوطني والفتوى الوطنية للدفاع عن بلدنا من شرّ الأعداء الارهابيين.

لقد ظهر الحشد الشعبي وتكوّن في فترة وجيزة نتيجة لفتوى مقدسة من لدن المرجعية، ألهمت الجماهير وصعدت فيهم الهمة والغيرة والروح الوطنية للحفاظ على العراق بكافة طوائفه وقومياته وتشكلاته الدينية والسياسية والثقافية "مضيفاً" لقد حفظت الفتوى الوطنية للجهاد الكفائي البلد من الإنهيار والسقوط والدمار، وأنقذته والمنطقة من كارثة إنسانية لا مثيل لها، وحققت إنجازاً لا يُصدّقه كثيرون، وأدت من النتائج ما لم تستطع الدولة بهيبتها والحكومة بمؤسّساتها والأحزاب بقياداتها، فقد وقفت بوجه الإرهاب بعد أن شكّلت الحشد الشعبي الوطني، السور الأمين والسد العظيم وصمّام الأمان الذي حفظ البلد والدولة والحكومة والعملية السياسية برمتها، بعد أن فشلت الأحزاب وقياداتها والحكومة في الدفاع عن البلد، لاسيما حين وصل الأمر الى إشترك أطراف من العملية السياسية وممن أنت بهم الديمقراطية الى الحكومة والبرلمان في التأمّر على أبناء البلد ومحاولتهم الإطاحة بالعملية السياسية من أجل تحقيق مآربهم الشخصية والحزبية والطائفية الضيقة، ولكن كُشف أمرهم وبانت نواياهم وأفعالهم الإجرامية القدرة التي كادت أن تُسقط البلد وأهله لولا أن تداركنا الله برحمته".

من هنا نرى إنّ الحشد الشعبي جاء كردّ فعل على قوى ظلامية إندفعت مُستخدمة العنف وسفك الدماء البشرية، لاسيما إنّها لا تُؤمن إلا بنفسها، ومن خالفها فمصيره الموت والفناء من الوجود، لذا فالحشد الشعبي جاء كمُعدّل عقائدي إنساني مُهمّته حفظ النوع والحفاظ على التنوّع، لأنّه جاء ليكون جزءاً من حل على

المستوى الأمني وليس جزءاً من مشكلة مليية بإيمان تام وإقبال كبير، نداء المرجعية في مواجهة خطر الارهاب القادم من وراء الحدود. وسيكتب التاريخ ان الفتوى قد ابهرت العالم اجمع بما حمله من لبي نداءها من عقيدة مخلصه فكانوا قوة ضاربة للدواعش الارهابيين وابوا الركوع الا الله تعالى فارخصوا في سبيله الارواح يتسابقون على بذل الدماء الغالية والنفيسة من اجل احقاق الحق، وهكذا كانت المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف ودورها في محاربة الارهاب.

❖ وصايا المرجعية الدينية ودورها في محاربة الإرهاب:

وقد قام المرجع الديني (دام ظله)، كونه له دور في تأسيس الحشد الشعبي عن طريق فتواه بالجهاد الكفائي، بإصدار توجيهات دينية تنظم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة من تنظيم داعش بالعراق، وتتضمن التوجيهات 20 توصية، تضمنت حث منتسبي الحشد الشعبي على التعامل بالأخلاق الإسلامية وعدم التعرض للناس أو أهالي المنتسبين لداعش (في المناطق المحررة) بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء الكبار بالسن والأطفال والنساء وعدم قطع أي شجرة إلا أن يضطروا إلى قطعها وكذلك معاملة غير المسلمين معاملة حسنة وعدم المساس بهم وغير ذلك مما قاله في توجيهاته الأخرى.

واكد السيد السيستاني على ضرورة التوكل على الله سبحانه وتعالى، والارتباط مع الباري في اوقات الحرب لما لها من اهمية في تقوية الروح المعنوية للقائد والجنود، وطلب النصر والعون من الله سبحانه وتعالى لانه الناصر والمؤيد وهذا ماتمخض عن السيد السيستاني من خلال وصاياه للمجاهدين إذ يوصيهم بقوله: (واستعينوا على انفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه، كما كان عليه امير المؤمنين علي عليه السلام وقد ورد أنه بلغ من محافظته على ورده انه يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماحيه يمينا وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته)(42).

كذلك كان الامام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء يرفع يديه داعياً الله بقوله: (اللهم أنت تقتي في كل كرب وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته عني وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة)(43).

ومن نصائحه (دام ظله) قوله: (وهذا وينبغي لمن قبلكم من الناس ممن ينترس بهم عدوكم ان يكونوا ناصحين لحمايتهم يقدرتون تضحياتهم ويبعدون الاذى عنهم ولا يثيرون الظنة بأنفسهم، فإن الله سبحانه لم يجعل لاحد على اخر حقاً إلا

وجعل لذاك عليه حقاً مثله فلكلّ مثل ما عليه بالمعروف. واعلموا انكم لاتجدون انصح من بعضكم لبعض اذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وإن اقتضى الصفح والتجاوز عن بعض الاخطاء بل الخطايا وان كانت جليلة(44)

ومن الوصايا المهمة للمرجعية ((ولا يظنن احد ان في الجور علاجاً لما لايتعالج بالعدل، فان ذلك ينشأ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة اليها من غير انتباه الى عواقب الامور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد، ولا اطلاع على سنن الحياة وتاريخ الامم، حيث ينبه ذلك على عظيم مايلخفه الظلم من شحن للنفوس ومشاعر العداة مما يهد المجتمع هداة، وقد ورد في الاثر (ان من ضاق به العدل فان الظلم به اضيق) وفي احداث التاريخ المعاصر عبرة للمتأمل فيها، حيث نهج بعض الحكام ظلم الناس تثبيتاً لدعائم ملكهم، واضطهدوا مئات الالاف من الناس، فاتاهم الله سبحانه من لم يحتسبوا حتى كانوا ازلوا ملكهم بايديهم(45)

فهذه الوصايا فيها من المعاني والمضامين والحكمة البالغة تصلح ان تكون منهجاً عاماً للمقاتلين في سوح الوغى، فالجور هو العدول عن الحق، ولا يمكن ان يكون علاجاً لأي امر فقد نهى الله تعالى عنه فالآيات القرآنية الكريمة كثيرة التي تنهى عن الجور والظلم لأن فيه اضطهاد وغبن للحقوق، ويشير المرجع الديني (دام ظله) بان الظلم لايلخف إلا الشحناء والبغضاء ومشاعر العداة ويستشهد بقول امير المؤمنين علي (عليه السلام) ((من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق)) (46) وأكد الخليفة امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) على ضرورة التزام الوالي بالعدل وعد من اسس قيام الحكم الألتزام بتحقيق مبادئ الاسلام. وروي عن الرسول (ﷺ) انه قال: " ثلاث من كن فيه من الولاة ... اضطلع بأمانته وأمره ... إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون غيره... وأقام كتاب الله في البعيد والقريب"(47).

وهناك العديد من الوصايا المهمة للمرجعية الدينية واتي تؤكد على حقن الدماء، وعدم اراقتها، وصيانة الانفس وأداء الحقوق ورعاية الحرمات والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة والسعي الى بناء المجتمع السليم والتعايش السلمي بين ابناؤه، ولا يخفى عن احد ان نهج المرجعية هو نهج الرسول (صلى الله عليه وآله) واهل بيته الطاهرين.

من وصايا السيستاني (فلجهد آداب عامة لابد من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي بها اصحابه قبل ان يبعثهم الى القتال، فقد صح عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال (كان رسول الله ص اذا اراد ان يبعث بسرية دعاهم فاجلسهم بين يديه ثم يقول سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاتغلوا ولاتمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخا ولا صبيا ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرا الا ان تضطروا اليها) (48).

لقد أقر الإسلام قيوداً شرعية على مبادئ القتال في الإسلام تعد بمثابة مبادئ أساسية ينبغي العمل بها في مختلف ظروف القتال. وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي المقاتلين عند توجههم للقتال بتقوى الله وطاعته ومحاسبة النفس (49). ومن التوصيات الأخرى: "أن النبي قال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً" (50). ويروي أنس بن مالك (رضي الله عنه) وصية أخرى للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: "أن رسول الله قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" (51).

ان من المهام الأساسية التي يناط بها القائد العسكري هو إعداد الجيش إعداداً كاملاً، بحيث يكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الأخطار المحيطة به. لذا نجد ان من واجبات الأمير كما جاء في نصوص رسائل الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أحد قادته وامرائه: أمره بتقوى الله الذي لا بد من لقائه يوماً ولا يقاتل إلا من بدأ بقتاله بعد الأعداء إليه ووضع الحجج عليه، وذلك في نص رسالته إلى معقل بن قيس الرياحي (*) عندما عينه قائداً لجيش أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل: "اتق الله الذي لا بد من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من قاتلك" (52) فهذه الاخلاقيات أوصى بها المرجع الديني (دام ظله) وحث على الالتزام بها لما فيها من المعاني والمضامين العالية من أجل تحقيق النصر على الأعداء. فقدره الخطاب الحسيني للمرجعية الدينية على التأثير في فكر المخاطبين، والرقي بها نحو الأهداف المرغوبة.

وتكمن أهمية الوصايا خلال اسهامها في تنمية المعاملة الطيبة والقيم والاخلاق الحسنة، وتساعد المقاتلين المجاهدين على التكيف الاجتماعي بينهم ومن ثم المجتمع. فضلاً عن ترسيخ المفاهيم الاسلامية الحضارية وتفعيلها واهمها مفهوم السلام، كما انها تعمل على تهيئة المقاتلين للتعايش في مجتمع متعدد المذاهب والافكار.

وفي هذا الصدد يوجه السيد السيستاني توصياته للمجاهدين وينصحهم بأن يدعوا العصبية الذميمة ويتمسكوا بمكارم الاخلاق... وان لا تغلبهم الأفكار الضيقة والانانيات الشخصية (53)، إن جميع مبادئ الأديان السماوية تؤكد على مكارم الأخلاق وعلى بناء الصرح الأخلاقي للمجتمعات الإنسانية، وقد وصل هذا الصرح إلى ذروته في الشموخ والتمام على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: "بعثت لأتمم حسن الأخلاق" (54)، وفي رواية أخرى "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (55)، ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائل عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم" (56). ووصف الله تعالى رسوله بأنه ذو خلق عظيم كما جاء بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (57)، فالإيمان

والتدين لا يكمل إلا بالأخلاق. إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (58)، فالأخلاق هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح إلى عمل سلوكي ظاهر، ولذلك نجد ان المرجعية الدينية تربط الأخلاق بتحقيق النصر ربطاً قوياً. وهذا ماتم ملاحظته على ارض الواقع فقد شاهدنا ما يتمتع به ابناء الحشد الشعبي والقوات المسلحة من اخلاق وصفات حميدة في تعاملهم مع ابناء المناطق المحررة والتي كانت سببا رئيسيا في تعاون ابناء تلك المناطق معهم من اجل محاربة الارهاب. وقد اصل المقاتلين من ابناء الحشد هذه المهمة لتترجم في الواقع في أعمال وممارسات وعلاقات، ولهذا كانت القيم الأخلاقية هي المحور الأساسي في عملياتهم العسكرية وفي تحقيق النصر على داعش الارهابي.

❖ دور المرأة الجهادي ومآثرات النصر على الإرهاب:

وكان للمرأة دور بارز في تحقيق الانتصارات على داعش الارهابي، ومن المشاهد النادرة لما كان من تضحيات المرأة في اقتحامها لساحة المعركة ومساندتها للقوات الامنية بكل الوسائل المتاحة. وتقبلها لاستشهاد اخوانها وابنائها وازواجها بالرضا. وبذلك تكون المرأة قد سجلت في معركة الحرب على الارهاب أدواراً متميزة في مشهد النصر والفداء كانت من أنصع الصفحات وأكثرها إشراقاً في التاريخ، وقد تجاوزت المرأة في ذلك طبيعتها المعتادة في الحرص على سلامة أبنائها وازواجها وتمني دفع الغوائل عنهم إلى الحالة الأسمى في التضحية بدفع الأبناء والازواج معاً إلى سوح الوغى وحثهم على الصمود والبسالة فيها، وتقبل استشهادهم فيها بالرضا والاطمئنان. استجابة لنداء المرجعية الدينية. اذ كان من وصايا المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظلّه) للمرأة هي: ((المطلوب ان تحت الأم ابناءها، وأن تحت الزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمان هذا البلد ومواطنيه)) (59).

وهكذا نرى المرأة اليوم صابرة محتسبة تزج بأبنائها وازواجها وإخوتها وأبنائها الى ارض المعركة تلبية لنداء المرجعية من اجل الدفاع عن الوطن، وبهذه الحكمة، وبهذا التدبير أرست المرأة قواعد مجتمع جديد، كانت صورته الظاهرة بياناً للمعاني السامية التي كانت تتمتع بها سيدتنا زينب (عليها السلام). فحب التضحية والفداء بالنفس الذي هو غاية الجود أدى بسيدتنا ومولاتنا الحوراء زينب (عليها السلام) بعد استشهاد أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف للتصدي وحمل راية الإسلام والوقوف بوجه الطغاة والظالمين. فهنا كان دور العقيلة زينب (عليها السلام) التي تتأسمى على الالام وتسيطر على مشاعرها بصورة مذهلة، حيث احتفظت برباطة جأشها واتجهت نحو ابن أخيها، تسليه وتصبّره وتطمئنه، بالمستقبل المشرق لثورة أبيه الحسين، فقالت له: ((مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي واخوتي، فوالله ان هذا لعهدٌ من الله إلى جدك

وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق ناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، فهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً، لغير أبيك سيد الشهداء، لا يُدرس أثره ولا يُحى رسمه على مرّ الليالي والأيام، ولِيَجْتَهَدَنَّ أئمة الكفر.. في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً⁽⁶⁰⁾. ان المواقف البطولية الوجدانية التي قامت بها بطلة كربلاء السيدة زينب (عليها السلام)، مواقف الصبر والعطاء بلا حدود.

وكان للسيدة زينب عليها السلام دوراً كبيراً في إعلاء التّهضة الحسينية في المُجتمعات؛ حيثُ اصبح لها حضورٌ واسعٌ في المُجتمع الإسلامي منذ واقعة الطف حتى يومنا هذا واصبحت مثلاً يحتذى به، ويزخر التاريخ الإسلامي بالكثير من الأمثلة التي تُبين أهمية دور المرأة في النهضة الحسينية.

وإذا كانت المرأة في المجتمع الإسلامي قد أدت دوراً رائعاً بفضل إيمانها بالعقيدة الإلهية التي صاغت منها وجوداً طاهراً وفاعلاً، فإن نموذج المرأة التي اشتركت في واقعة الطف كانت قد بلغت القمة في ذلك الدور، وتآقت في آفاق الإنسانية لتخلد بخلود الموقف، وأصبحت بعد هذه الملحمة البطولية المثل النسوي الذي جسد المبادئ الإسلامية.

ان اهم مرتكز اساسي لبناء وتطور ثقافة المرأة وزيادة وعيها للنهوض بالمجتمع هو توفر الامن والاستقرار السياسي للبلد وبدونها لا يمكن النهوض بواقع المرأة الثقافي والاجتماعي وبالتالي لا يمكن بناء مجتمع متطور ومزدهر. ان التطور والبناء الحضاري لأي مجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور ثقافة ووعي المرأة ومساهماتها الفعالة بهذا البناء ليكون مجتمعاً مدنياً وقائماً على المواطنة وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية والمبادئ الانسانية ولا يمكن لأي مجتمع ان يبني حضارة دون ان تساهم فيه المرأة مساهمة فعالة. ان المرأة هي خط الدفاع الأول عن الأمن القومي للوطن لقيامها بتربية جيل راع وحام للوطن حيث إن النساء والأطفال هم الأكثر تأثراً بتداعيات الاعمال الإرهابية. ولتصبح هذه الأجيال أداة قوية من أدوات محاربة التطرف والإرهاب، وعليها الاستعانة بكافة الوسائل التربوية لبناء شخصية سوية تبني ولا تهدم... وهكذا في مختلف المجالات التي تشغلها المرأة عليها تقديم لبنة مضيئة في بناء مانع قوي عال مانع لاستشراء الإرهاب في المجتمعات. وعليه يجب إنشاء خطاب دعوي مناسب للمجتمعات النسائية لكي تضطلع المرأة بواجبها في تربية الاجيال.

الخاتمة والاستنتاجات:

انبعثت واقعة الطف لتستحضر معها مفردة التحول تلك التي مهد لها الحسين (عليه السلام) وحلقة متدفقة في عمق التاريخ الإنساني لأن الإسلام دين للعالم كله. فما أشبه ولقعة الطف باليوم مع ظهور قوات الحشد الشعبي وتمييزها القتالي وفكرها العقائدي الراسخ، ما هو إلا إستمرار للفكر البطولي (للإمام

الحسين) عليه السلام ولأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في صمودهم ضد القوى السياسية التي ناصبتهم العداوة.

وكان من نتائج عمليات التحرير ان تحولت الآراء من سياسية إلى اتجاهات عقائدية، وأدركوا أن عليهم مقاومة الارهاب فكريا بدلا من اللجوء الى السيف. وما هذه المؤتمرات الا لتنوير الاجيال فكريا من الانحرافات والاتجاهات التي لا تمت للبشرية بصلة، ولم يكن الحشد الشعبي تطوّراً مُفاجئاً بعيداً عن الواقع، بقدر ما هو تعبير عن حاجة مُلحة وضرورة إستراتيجية للأمن الوطني العراقي من جهة، ولحماية منهج الإسلام المُعتدل من جهة ثانية.

لاشك إن تجربة الحشد الشعبي تجربة كبيرة ورائدة في استنهاض همم الشعب والدفاع عن الوطن ومُكتسباته ضد أي إعتداء كان، وقد كانت نتاج واقع المرحلة وعي ونُضج عراقي عظيم، وهي فكرة نيرة للمرجعية الرشيدة لأجل إنقاذ الوطن من الإرهاب، وبالتأكيد ما نلمسه من هذا الفعل التعبوي العراقي أنها كانت سريعة جداً ومُستوعبة للواقع العراقي وهدفها نبيل ووطني، لا يُمكن الشك فيه لحظة واحدة". ان تجربة الحشد الشعبي كانت خير معين للقوات المسلحة في مُحاربة قوى الشر والرذيلة المُتمثلة بتنظيمات داعش الإرهابية ومن يدفعها، وأنتجت لنا صورا زاهية من التماسك والتعاون الاجتماعي في تحرير عديد من المناطق التي دنسها الدواعش الأشرار. ومن حقنا ان نفتخر بمقاتلينا كل يوم وساعة ولحظة، لنباهي بهم الدول وجيوشها بالانتصارات المتلاحقة التي تحققت بفضل تضحياتهم ودماء الشهداء الطاهرة اتي سالت لبيقي العراق شامخاً. لقد حققوا ماتعجز عنه الدول الكبرى من بتحقيقه وفي وقت قياسي، فزرعوا فينا روح النصر وحولوا الانتكاسات الى مواقف مشرفة ورفعة رأس، فبزغت تجليات واقعة الطف لتخرجنا من الظلمات الى النور بإذن الله.

فهنيئاً لأرض كربلاء بكم وهنيئاً للحسين (عليه السلام) بكم الذي قال للظلم: هيهات... لتبعثوا برسالة الى العالم أجمع بأنه لانستسلم ولامكان للارهاب والظلم في بلادنا الحبيبة بلاد الانبياء والمقدسات وثارها الطاهر الذي احتضن اجساد أئمة اهل البيت الأطهار. فابطال التضحيات اسود الوري وأبناء خير الوري محمد المصطفى واحفاد علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)

ان هذه الانتصارات أوضحت حقيقة صبر العراقيين على الشدائد والمحن ورسخت هذه الانتصارات ثقافة الانتصار والامل والتفاؤل والمحبة والتكاتف واصبح العراقيين امام حالة من الاندفاع العالي للالتحاق في صفوف المواجهة الشريفة تلبية لنداء الوطن والمرجعية الدينية العليا التي نادى بالجهاد الكفائي لحماية ارض العراق وشعبه ومقدساته وتراثه

وعلى النخبة المتصدية للخطاب الديني والسياسي والثقافي والاعلامي اليوم مسؤولية كبيرة لبناء ثقافة الانتصارات واتي يجب ان تسود في مجتمعنا من اجل

دعم الجهود الامنية للحفاظ على الامن وروح النصر ولتحصين المجتمع من تغلغل الافكار المتطرفة

لذا يجب على كل من ينادي باسم الحسين عليه السلام أن يعي حجم المسؤولية التي تقع على عاتقه.. قيمة العمل في المنظور الإنساني والأخلاقي، إنما تأتي من رفعة وشرف حملته، فبمقدار الشأن الاجتماعي الذي يتمتع به القادة، تكون للعمل الإنساني قيمة ورفعة، هذا أولاً، ثم نبالة الهدف المنشود وإنسانيته ثانياً. وواقعة الطف تحمل بين جوانبها هذان المعنيين.

مثل البحث عرضاً لحدث دوى صداه في حقبة مهمة من تاريخ الاسلام، ومسيرة حملت رسالة كشفت مواقع الخلل في الاوضاع السياسية والاجتماعية التي مرت بها تلك الحقبة من تاريخ العراق والامة الاسلامية. ان الدعوة الى الجهاد وما تضمن من خطب واحاديث واقوال، وما خصه من شخوص وما احتمله من رؤى يعطي صورة جلية متكاملة لذلك الحدث والنتائج التي اسفرت عنه.

وتتعدد الظواهر الفريدة لهذه الفتوى التي اصدرها السيد السيستاني(دام ظلّه) وفي مقدمتها مبدأ التضحية الذي سنه الاسلام وأتخذه الرسول (صلى الله عليه وآله قاعدة يهتدي بها المسلمون للحيلولة دون استبداد الظلم، وطغيان المستبد. وتبع ذلك انهيار الاطار الدعائي للارهابيين الذين حكموا بطغيانهم متخذين منها وسيلة لاشاعة ثباتهم في السلطة واحتفاظهم بها؛ وان يجعلوا لانفسهم الحق في قمع اي تمرد يقوم ضدهم، لذا فان الدعوة الى الجهاد اسقطت كل ذلك وفتحت الابواب للعمل التطوعي المسلح ضد تلك المجاميع الارهابية وحكمم الجائر القائم على اباداة الناس.

كذلك شكل المسار الذي سلكه ركب المقاتلين المجاهدين معالم متعدده احاطت بالحدث، فقطعوا المسافات الطويلة التي قدموا من اجلها في محاولة دعائيه واسعة بحكم مسافة الطريق الطويلة، وكثرة المناطق المتناثرة هنا وهناك وفي وقت ضج بالناس العزل من اهالي تلك المناطق وممن نزع اليها هروبا من الواقع المرير، وبذلك كسب المقاتلين المجاهدين الابطال التأييد والمسانده.ومن هنا فان اتجاها جديدا اخذ طريقه برؤية حضارية نحو المستقبل الافضل، وحدث اتحاد بين المقاومة والايمان بالقضية التي جاؤوا من اجلها، لم تهدأ حتى زوال الدولة الارهابية. وإلى هذا السر المكين يعزى ما نراه متجسداً في واقعنا إلى يومنا هذا، وسيظل بإذن الله، حيث نرى اللحمة قوية متينة بين المرجعية والمواطنين، ينطلقون في ذلك من أمر الله، ويتعبدون لله بذلك، فهم ولاة أمرنا الأوفياء، وقادتنا الأمجاد يحرسون أشد الحرص على إسعاد مواطنيهم، وتحقيق مطالباتهم، وإحقاق الحق، ونشر العدل، وإقامة حكم الله فيهم، مترسمين منهج سلف هذه الأمة، وهم أقرب الناس إلى شعبيهم محبة وعطفاً وشفقة، وقلوبهم مفتوحة،

وأبوابهم مشرعة، فبادلهم الشعب حبًا بحب، ووفاءً بوفاء، وأثبتت مواقف المحن، وأزمنة الفتن أنهم معدن ثمين، وكنز نفيس، يظهر أصالته في هذه الأزمان، لينحسر عن لحة متأصلة تستعصي على الفرقة والاختلاف بإذن الله.

والأفكار والمنطلقات والمبادئ التي تنتج الانحراف الفكري الذي عانت منه بلادنا الغالية الحبيبة، نتاج عمل طويل، وجهد غير مبارك استهدف به أمن هذه البلاد ووحدتها، سواء الانحراف في جانب المبادئ والأفكار، والأخلاق السيئة التي يستجر إليها شبابنا بأساليب مآكرة، وطرق شيطانية تمثل أعظم المخاطر والمهددات، وهي في جانبها الفكري جذور امتدت، وأصول ظهرت لا يمكن التهوين من شأنها أو التحقير، بل يجب أن نواجهها بتأصيل وتقعيد واجتماع وتعاضد يضيق هذه الفرص الأثمة، ويحول دون مراد هذه الأنفس الضالة المنحرفة، وهي في جانبها السلوكي أخطاء متراكمة، ومستتقات أسنة وإن الموقف الشرعي الصريح المبني على المنقول والمعقول يجب أن يكون قدرًا مشتركًا لدى جميع العقلاء بإدراك الخطر، والتعاون والتعاضد والتكاتف، انطلاقًا من تعظيم النصوص، وقبول مدلولها الذي هو شأن المؤمنين، تلك النصوص التي أوجبت التعاون على البر والتقوى، وتعظيم قدر الولاية وحفظ هيبتها، والتكاتف ضد أي مبطل أو مجرم أو منحرف، ثم حفاظًا على أعز المطالب، وأثمن النعم ما هو قوام الحياة الإنسانية كلها، وأساس الحضارة المدنية أجمعها، ما لا يمكن أن يهنا العيش بدونه، ما هو مسؤوليتنا جميعًا أفراد أو جماعات إنه الأمن بمعناه الشامل، الذي في ظله تحفظ النفوس، وتصلح الأعراض والأموال وتقوم الدعوة إلى الله، فيجب على كل منا أن نقاوم كل مظهر يخلخله أو يسبب زواله، وإذا اضطرب الأمن ظهرت الفتن، والتبس الحق بالباطل، وعمت الفوضى، وهلك الناس.

وإن المعالجات الأمنية التي تعنى بها الأجهزة والدوائر المرتبطة بالأمن لا يقلل من شأنها وقد حققت نجاحات متوالية بفضل الله ومنتته في المجالين، وقدم الرجال الصابرين تضحيات وبطولات فداء لهذا الدين والوطن، وجهادًا في سبيل الله، وأعظم به من جهاد؛ لأنه يحفظ أمن وطمأنينة بلاد الرسالات والأنبياء والأئمة الأطهار والأولياء والصالحين، وثمة جهود أخرى وقائية تجسد حقيقة الأمن الفكري؛ لأن الأمن الفكري يعني الوقاية المسبقة من الانحراف بالوعي المبكر بأخطاره وأثره وتأثيره في المجتمع، إذ إن الأمن على العقول، لا يقل أهميته عن أمن الأرواح والأموال، وما وقع من وقع من الشباب إلا بتلك الجهود من المنظرين وأرباب الفكر، ودعاة السوء والانحراف.

يقال هذا الكلام حينما يسعى بعض أصحاب الأهواء وأتباع الجماعات والأحزاب جاهدين لإحراج هذه البلاد المباركة -حماها الله-، والتأثير بالوسائل التي أصبحت بسبب استخدامها في جانبها السلبي مفاتيح للفتن، من شبكات

ووسائط وغيرها، وتأتي قمة الانحراف، والفتن والإرهاب، حينما لم يسلم من تأثيرهم أحد، حتى تطاولوا على ولاية الأمر، وصوروا الواقع بشكل لا يمت للحقيقة بصلة في أساليب مأكرة، وطرق ملتوية، بل وقلب للحقائق، وفي مثل هذه التخبطات المظلمة سيما من أصحاب الأهواء والتوجهات التخريبية يحصل الضرر والخطر.

ومن الله التوفيق

- (1) مركز الحوراء زينب، من وصايا السيد السيستاني، في كتاب ومنهم من ينتظر الجزء الثاني.
- (2) نهج البلاغة، 97.
- (3) سورة المائدة، من الآية 32.
- (4) سورة الاسراء، الآية 33.
- (5) سورة المائدة 33.
- (6) محمد بن أبي سهيل السرخسي: المبسوط، مطبعة السعادة (القاهرة: 1324هـ)، 3/1.
- (7) أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه: محمد ناصرالدين الألباني (الرياض: د. ت) مكتبة المعارف، ط1، 473.
- (8) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، مكتبة الصفا، (القاهرة: 2003)، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله العلياً (2810).
- (9) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون دار احياء التراث العربي (بيروت: د. ت) كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (1639).
- (10) جمال الدين عبد الله الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، ط1 (الرياض: 1414هـ)، 1/ 346.
- (11) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله (3932).
- (12) سورة البقرة، الآية 216.
- (13) عبد الله ابن المبارك، الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسية للنشر، (تونس: 1972)، 15.
- (14) سورة الصف، الآية 10-13.
- (15) احمد بن الحسين البيهقي، شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد البسيوني زغول، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1410هـ)، 363/1.
- (16) سورة التوبة، الآية 111.
- (17) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، ط1، 5/12 (الرياض: 2003).
- (18) سورة الأحزاب، الآية 21.
- (19) محمد يوسف الكاند هلوي، حياة الصحابة تحقيق: عادل أنور خضر، دار الجيل، (بيروت: 2005)، 1/ 300.
- (20) سورة التوبة: 122
- (21) سورة التوبة: الآية 122.
- (22) السرخسي: محمد بن أبي سهيل، المبسوط، مطبعة السعادة، (القاهرة: 1324هـ)، 3/1.
- (23) سورة النساء، الآية 75.
- (24) سورة النساء، الآية 74.

- (25) سورة التوبة، 111.
- (26) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى اديب، دار ابن كثير، (بيروت: 1987) كتاب الجهاد والسير، 2957.
- (27): محمد بن عبد الله الخطيب التريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، (بيروت: 1985)، 2/ 1124.
- (28) سيد قطب، هذا الدين، دار القلم، (دم: 1961)، 10-11؛ د. عبد الكريم زيدان، اصول الدعوة، 273؛ محمد متولي الشعراوي، السيرة النبوية، مكتبة التراث الإسلامي، ط2 (القاهرة: 2001)، ص 460-462.
- (29) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، 99/2.
- (30) سورة التوبة/ الآية 122.
- (31) سورة الكهف، الآية 13.
- (32) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) بتاريخ 13 حزيران 2014.
- (33) سورة النساء، الآية، 74.
- (34) سورة الاحزاب، الآية، 23.
- (35) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) بتاريخ 13 حزيران 2014.
- 36 () ابن أعثم، الفتوح، 5/ 23؛ ابن شهر آشوب، المناقب، 4/ 89.
- (37) سورة آل عمران من الآية 110.
- (38) سورة الحجر / الآية 9.
- (39) سورة الاحزاب/ الآية 21.
- (40) سورة البقرة، الآية 207.
- (41) سورة المائدة/ 54.
- (42) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، 174/2.
- (43) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 422/5، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الإرشاد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط2، (قم: 1416هـ)، 2/ 96.
- (44) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، 188/2.
- (45) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، 140/2.
- (46) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، 1/ 270.
- (47) الجاحظ رسائل الجاحظ، 2/ 300.
- (48) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، 2/ 53.
- (49) ينظر: ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (مصر: د.ت)، 138/5؛ محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، (الرياض: د.ت) مكتبة المعارف، 3/ 85.
- (50) سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داؤود، سنن أبي داؤود، عمان، لبيت الافكار الدولية، (الرياض: د.ت)، 3/ 37، ابو بكر عبد الله بن محمد أين أبي شيبة، المصنف، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، ط1، (جدة: 2006)، 6/ 475؛ مسلم، صحيح مسلم، 3/ 1357؛ الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد، المعجم الصغير، محمد شكور محمود، المكتب

- الاسلامي (بيروت: 1980)، 311/1؛ ابو عبدالله محمد بن احمدأبن عبد البر القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق: هشام سليم البخاري، (بيروت: 1995) 33/5).
- (51) أبو داود، سنن ابي داؤد، 37/3؛ وينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، المصنف، 475/6؛ ابن داود، سلاح المؤمن في الدعاء، 371/1؛ أبو علي محمد بن أحمد ابن حزم، المحلى شرح المجلى، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: 1997) دار احياء التراث العربي، ط1. 297/7؛ ابن عبد البر القرطبي، 33/5).
- (* معقل بن قيس الرياحي: من بني يربوع، قائد من الشجعان، ادرك عصر النبوة، وكان من امرء الصفوف يوم الجمل توفي سنة 43هـ. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابي محمد ابراهيم، (القاهرة: 1963)، 209/5.
- (52) عز الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم، (القاهرة: 1959) 4، 533؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 380-379/4.
- (53) ومنهم من ينتظر، 196/2.
- (54) مالك؛ الإمام مالك بن أنس، كتاب الموطأ، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط:2، المكتبة الثقافية، (بيروت: 1992م)، كتاب حسن الخلق، ص904.
- (55) ينظر الكاندهلوي؛ العلامة الشيخ محمد زكريا: أوجز المسالك لموطأ مالك، ط:3، دار الفكر، بيروت لبنان: 1980م)، المجلد: 14، ص132.
- (56) القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية (بيروت: 1977)، 310 / 2 ؛ الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، دار الفكر، (بيروت: د.ت)، 63/ 1 ؛ هاشم الحسيني البحراني التولبي (القرن الحادي عشر) ؛ الإنصاف في النص على الأئمة الاثني عشر الأشراف، تحقيق: سلام الزبيدي ويوسف العلي، مؤسسة ام القرى، لبنان، (بيروت: 2003) 84.
- (57) سورة القلم، الآية 4.
- (58) سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبي داود، سنن أبي داود، إعداد: عزت عبيد الدعاس، عادل السيد، ط:1، دار ابن حزم، (بيروت: 1997م)، ج:5، ص42.
- (59) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف لسماحة السيد عبد المهدي الكربلائي في 13 حزيران 2014.
- (60) ابن كثير، البداية والنهاية، 196 / 7، هادي كاشف الغطاء، الملحمة الكبرى لواقعة كربلاء.

تأملات ودروس في خطب الإمام الحسين (ع) يوم الطف الحوار الحسيني أنموذجا

م.م. زينب عبد السلام عبد الحميد أ.م.د. أحمد بهاء عبد الرزاق
كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة

Abstract

The dialogue principle was one of the first principles that accompanied man in the origin of his existence and creation, and that dialogue had preceded the creation of man, when God wanted to create man to be his creation in his land. And about his role and the conflict and negative aspects and positive.

And when we return to the renaissance of Imam Hussein (p) since he left the city, refusing to sell more and until the tenth day of Muharram and before the confrontation of the combat and carefully read the stations that stopped Imam Hussein (p) both in Mecca or in the houses of the road, and until his arrival in Karbala, We find that this blessed renaissance was characterized by the principle of political dialogue and negotiations with political content, and ended with the consequences of the events of armed confrontation, especially after the exhaustion of all political dialogues and the obligation of the other party to reject and combat violence.

In this humble research, we will try to focus on the dialogues that took place on the tenth day of Muharram, ie, before the start of the fighting. These dialogues were recorded in the historical documents and texts of the tenth day of Muharram. These are important documents that reflect the keenness of Imam Hussein on the principle of dialogue and the establishment of arguments and proofs. On the one hand, as well as the state of deterioration and collapse in the human and moral values that the nation was at the time.

The speeches of Imam Hussein (p) were clear in the meanings and the broad indications, and included a wide range of arguments, evidence and evidence should be stopped and contemplated, and it can be said that those words that were mentioned in the speeches of Imam Hussein (p) despite the courage, but it represents a record of dignity and dignity of the nation "He said to the Muslim man:" If you want to put your hands in the hands of any other person, you must put them out of the position of pride and dignity, If you want to acknowledge others, your decision must be based on the affirmation of the hottest T does not approve slaves ".

تأملات ودروس في خطب الإمام الحسين (ع) يوم الطف الحوار الحسيني أنموذجاً

أ.م.د. أحمد بهاء عبد الرزاق

كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة

م.م. زينب عبد السلام عبد الحميد

كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة

مقدمة:

ان ثورة الامام الحسين (ع) هي ثورة تغييرية لأنها انطلقت من اجل تغيير الانسان في مفاهيمه وفقاً لتعاليم الاسلام واهدافه، وهذا الذي دعا الامام الحسين (ع) الى ان يقوم خطيباً من مراحل رحلته الى كربلاء وهو يواجه الجيوش التي جاءت لمقاتلته ليحذرهم وليعظم ويرشدهم لأن المسألة انه كان يريد ان يغير مفاهيمهم، ومفهوم الحرية الذي انطلق من كلام الامام علي (ع): ((لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً))، فانطلق به الامام (ع) من اجل تصحيح المفاهيم التي انحرفت في اذهان الناس، والتي انحرف الواقع من خلالها، باعتبار قوله تعالى: " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "(1).

لا يمكن ربط زيارة اربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) بسياقاتها التاريخية حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عن ذلك التاريخ، فهي الثورة الإصلاحية الحية التي تفجرت لتصح مسار الانحراف في الأمة الإسلامية، ومنهلاً للعباء الانساني، ورافداً حياً وحقيقياً للدروس والموعظة والعبر، واستمر صداها يتخطى القرون عابراً الأفاق نحو المستقبل.

كما لا يمكن ربطها بالإسلام حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عنه وهي جاءت حاملة لمبادئه، باذلة التضحيات في سبيله. فهي ثورة إنسانية لكل أبناء البشرية، منبثقة عن الإسلام الذي هو دين الإنسانية المنزل من رب العالمين جميعاً، وإليهم جميعاً، في كل زمان ومكان.

إن تاريخية زيارة الإمام الحسين (ع) في الاربعين لا تعني ارتباطها بالماضي حصراً، وإن كانت قد حدثت فيه فعلاً ضمن مفهومنا المعاصر، بل إن تاريخيتها تعني أزلية استمرارها. كما هي أزلية وجود الظلم والفساد، وأزلية تحقيق الإصلاح. مثلما أن ثورتها تعني ضرورة وحتمية السعي نحو الإصلاح والتكامل الانساني حتى وإن بلغت التضحيات ذروتها.

أولاً: الحوار في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

يعتبر مبدأ الحوار من اول المبادئ التي صاحبت الانسان في اصل وجوده وخلقته، بل ان الحوار قد سبق خلق الانسان، عندما شاء الله سبحانه ان يخلق الانسان ليكون (خليفته في ارضه) اعلن ذلك للملائكة المسبحين حول عرضه، فبدأ الحوار منهم عن طبيعة هذا المخلوق وعن دوره وعن نوازه وسلبياته وايجابياته(2).

وحدثهم الله عن ذلك كله في ما اختصره القرآن من القصة، وختم الحوار من موقع الوقوف بهم عند حدود المعرفة التي يمتلكونها: ((إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (3)

واستمر الحوار مع مسيرة البشرية والتي تجسدت آنذاك في آدم وذريته، ويحدثنا القرآن عن الحوار الذي جرى بين ولدي آدم (قابيل وهابيل) (4) وكيف تمرد قابيل على إرادة الله ومشينته في قبول قربان أخيه ورفض قربانه، ولم ينفع معه حوار أخيه المعبر، فإتجه إلى أسلوب البغي والعدوان فأقدم على قتل أخيه، ثم ندم على ذلك الفعل الشنيع(5).

وجاء انبياء الله ورسله مبشرين ومنذرين، وكان الحوار هو الأسلوب الذي اتخذوه لهداية البشرية، فكانت الكلمة تقابل الكلمة العنيفة، والموقف المتسامح يواجه بموقف العنف، والحجة والبراهين تقابل باللجاجة والسفاهة(6).

وصبر الأنبياء من موقع الوعي الرسالي لطبيعة المرحلة، وتحملوا المشاق والمكاره من اجل اخراج الانسان من الظلمات إلى النور، ومن الكفر والضلالة، إلى الايمان والهداية، وشاءت مشيئة الله سبحانه وتعالى ان يكون الإسلام خاتمة دينه، والقرآن خاتمة كتبه، والنبي (محمد) بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم انبيائه(7).

فكان الإسلام والقرآن والنبي وتعاليمه السماوية، تحيط بالإنسان، وتؤطر حياته من جميع جوانبها العقيدية والتشريعية والأخلاقية، ولم يكن الإسلام في مقابل الديانات السماوية السابقة منغلقة على نفسه، وإنما كان دين الحوار من خلال القرآن الكريم، ومن خلال النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المجسد لتعاليمه وتوجيهاته، وفتح باب الحوار مع المشركين والوثنيين، والملحدين، فضلاً عن الحوار مع اهل الكتاب(8).

وفي خصوص الحوار مع اهل الكتاب، فقد رسم القرآن منهجاً عريضاً لهذا الحوار يرتكز على قاعدة الجدل بالتي هي احسن، واستثنى الظالمين منهم.

قال تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَآلَهُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾)) (9)

وقال تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾)) (10)

ورغم عدم استجابة اهل الكتاب، لاسيما اليهود منهم لهذه الدعوة المخلصة من النبي (صلى الله عليه وآله) إلا انه لم يترك هذا الأسلوب الإسلامي في الحوار وفي العمل، الذي يسعى إلى القناعات من اقرب الطرق (11)

وبعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استمر مبدأ الحوار ولم تغلق ابوابه، فحاوّر المسلمون بعضهم البعض، واستمر الحوار مع اتباع الديانات الأخرى، وتوسع الحوار بتوسع رقعة الدولة الإسلامية، ليشمل شعوباً يختلفون معهم في عاداتهم وتقاليدهم واعرافهم ومتبنياتهم الفكرية والعقائدية فكانت الحاجة إلى الحوار أكثر واشمل من ذي قبل (12).

وفي عهد خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، والتي كانت بمجملها اياماً عصبية، عصفت فيها الفتن من جميع الجوانب، من فتنة الناكثين لبيعته، الى فتنة معاوية وبنو امية، إلى فتنة الخوارج وما رافقها من سفك دماء الأبرياء من المسلمين وغيرها، ومع كل هذه المحن والمصائب ورغم علم امير المؤمنين (عليه السلام) ويقينه القاطع بأنه على الحق، والحق معه يدور حيث ما دار، إلا انه لم يترك مبدأ الحوار مع جميع هذه الطوائف المناوئة له لعلهم يعودون إلى رشدهم، ويذعنون للحق ويتركون الباطل، ولا يلبسون على المسلمين، ولا يوقعونهم في الفتن، إلا ان دعواته وحواراته كانت تواجه في اغلب الأحيان بعنف مسلح وبطريقة انفعالية بعيدة عن تعاليم الدين الإسلامي وقيمه ومبدأ الحوار الذي وضع منهجه القرآن الكريم، وسار بهدية الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (13).

ثانياً / الحوار من خلال خطبة الامام الحسين الأولى يوم عاشوراء:

عندما نعود إلى نهضة الامام الحسين (عليه السلام) ومن حين خروجه من المدينة رافضاً بيعة يزيد وإلى اليوم العاشر من المحرم وقبل وقوع التصدي القتالي... ونطالع بدقة المحطات التي توقف عندها الامام الحسين (عليه السلام) سواء في مكة او في منازل الطريق، وإلى حين

وصوله إلى كربلاء، نجد ان هذه النهضة المباركة، اتسمت بمبدأ الحوار السياسي والمفاوضات ذات المضمون السياسي، وانتهت بما انتهت إليه من تصدي قتالي، بعد ان استنفذت كل الحوارات السياسية، وجوبت من الطرف الآخر بالرفض والعنف القتالي(14).

ومن خلال تتبع العديد من المصادر التاريخية يلاحظ ان هنالك مجموعة كبيرة من النصوص التاريخية حول هذه الحوارات والنتائج التي انتهت إليها، ابتداءً من الحوار الساخن بين الامام الحسين (عليه السلام) ووالي المدينة الوليد، وانتهاءً بحوار الحسين (عليه السلام) مع عمر بن سعد بن ابي وقاص وما انتهى إليه هذا الحوار(15).

وهنا نتوقف عند الحوارات التي جرت يوم العاشر من المحرم، قبل بدء القتال، وقد سجلت هذه الحوارات ضمن الوثائق والنصوص التاريخية ليوم العاشر من المحرم، وهي وثائق مهمة تعكس مدى حرص الامام الحسين (عليه السلام) على مبدأ الحوار وإقامة الحجج والبراهين من جهة، وحالة التردّي والانهيّار الأخلاقي الذي وصلت إليها الامّة من جهة أخرى(16).

روى الطبري عن ابي مخنف... قال: " ... وكان مع الحسين فرس له يُدعى لاحقاً حمل عليه ابنه علي بن الحسين؛ قال: فلما دنا منه القوم عاد براحلته فركبها، ثم نادى بأعلى صوته دعاءً يُسمع جل الناس: أيها الناس؛ اسمعوا قومي، ولا تُعجلوني حتى اعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولّي، واعطيتموني النصف، كنتم بذلك اسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ((فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ)) (17)؛ ((إِنَّ وَلِيَّيَ اللّٰهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۗ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِينَ)) (18).. ثم حمد الله واثنى عليه، وذكر الله بما هو اله، وصلى على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ملائكته وانبيائه، فذكر من ذلك ما اله اعلم وما لا يحصى ذكره. قال: فو الله ما سمعت متكلماً قط قبله ولا بعده ابلغ في منطق منه؛ ثم قال: اما بعد، فانسبونني فأنظروا من انا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم

وعاتبوها، فانظروا؛ هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ الست ابن بنت نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه أو ليس حمزة سيد الشهداء عم ابي او ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي او لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

قال لي ولأخي: "هذان سيّدا شباب اهل الجنة" فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فو الله ما تعمدت كذباً مذ علمت ان الله يمقت عليه اهله، ويضر به من اختلقته، وان كذبتموني فإن فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الانصاري، او ابا سعيد الخدري، او سهل بن سعد الساعدي، او زيد بن ارقم، او انس بن مالك؛ يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لي ولأخي. أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي فقال له شمر بن ذي الحوشن: هو يعبد الله على حرفٍ إن كان يدري ما يقول فقال له حبيب بن مظاهر: والله اني لأراك تعبدُ الله على سبعين حرفاً، وانا اشهد انك صادق ما تدري ما يقول؛ قد طبع الله على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شك من هذا القول أفنتشكون اثراً ما اني ابن بنت نبيكم فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري منكم ولا من غيركم، انا ابن بنت نبيكم خاصة. اخبروني، اطلبوني بقتيل منكم قتلته، او مال لكم استهلكته، او بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنأدى: يا شبت بن ربعي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، الم تكتبوا إليّ ان قد أينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وطمّت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجنّد، فأقبل قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله بلى والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض؛ قال: فقال له قيس بن الأشعث؛ او لا تنزل على حكم بن عمّك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليكم منهم مكروه؛ فقال الحسين: انت اخو اخيك، اتريد ان يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؛ لا والله لا عطيم بيدي إعطاء الذليل، ولا اقرّ إقرار العبيد عباد الله، اني عذتُ بربي وربكم ان ترجمون، اعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، قال: ثم إنه اناخ راحلته، وامر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه(19).

هذه هي الخطبة الأولى للإمام الحسين في يوم عاشوراء وتليها خطبة ثانية وما بين هاتين الخطبتين هنالك خطب وكلمات قصار لأصحاب الحسين سوف نذكرها بعد وقفة تأمل في هذه الخطبة.

ثالثاً / تأملات في خطبة الإمام الحسين الأولى:

لقد اتسمت هذه الخطبة كغيرها من خطب الحسين (عليه السلام) بالوضوح في المعاني والدلالات، وتضمنت مجموعة كبيرة من الحجج والأدلة والبراهين ينبغي التوقف عندها والتأمل فيها.

أولاً: لقد كانت وجهة الحسين (عليه السلام) عند خروجه من مكة (الكوفة) وكان ينبغي لهذا الجمع الكبير الذي خرج لقتاله في

كربلاء، ان يخرج لاستقباله في الكوفة، الا ان تحول الأوضاع والاحوال وإدبار الناس عن الحق، واقبالهم نحو الباطل، حالاً دون ذلك(20).

ولهذا وجد الحسين (عليه السلام) في تجمع هؤلاء القوم الوضع الأمثل لإقامة الحجّة عليهم قبل القتال، فإذا تكلم الحسين بذلك الوضع، فإن بإمكان جيش الخلافة كآله ان يسمع كلامه، فالجيش يحيط به من كل جانب، وبحسب تعبير الرواية: "فلما دنا منه القوم"(21).

ثم إنه (عليه السلام) اتخذ من راحلته منبراً لخطابه ليراه الجميع، ووظف صوته الجمهوري، الذي توارثه من ابيه امير المؤمنين "ثم نادى بأعلى صوته دعاءً يُسمع جل الناس فكأن الله سبحانه وتعالى قد جمعهم على هذه الصورة ليتمكن الإمام الحسين من إقامة الحجّة عليهم تمهيداً لإنزال العذاب بهم"(22).

ثانياً: لقد انطلق الإمام الحسين في خطابه من أمور معلومة واضحة للجميع وخاصة اهل الكوفة، فكل مسلم ينطق بالشهادتين، ويقر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة، يعرف صلة الحسين النسبية بصاحب الرسالة، وكل مسلم يعرف جيداً ان الحسين (عليه السلام) ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ويعرفون صلة القرابة التي تجمع الحسين (عليه السلام) مع أوائل شهداء الإسلام من أمثال حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار (عليه السلام)(23).

والذين خرجوا لقتال الحسين (عليه السلام) كانوا ينتسبون إلى القبائل العربية التي تعتنز بسلسلة الانسان جيداً، واغلب هؤلاء ان لم يكن كلهم من الكوفة وعاش الكثير منهم فترة خلافة وحكومة امير المؤمنين في الكوفة، والكثير منهم قاتل إلى جانب علي في الجمل وصفين والنهر وان... فكيف يخفى عليهم شخصية من خرجوا لقتاله؟ فلو انهم انصفوا انفسهم لما اقدموا على ما اقدموا عليه(24).

ثالثاً: لقد كان بين هؤلاء الذين خرجوا لقتال الحسين (عليه السلام) من الصحابة، ممن سمعوا حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق الصحابة من أمثال: جابر الانصاري، وابي سعيد الخدري، وسهل الساعدي، وزيد بن ارقم، وانس بن مالك، وقد روى هؤلاء وغيرهم حديث رسول الله بحت الحسنين حيث قال: "هذان سيدا شباب اهل الجنة"(25).

فإذا كان من بين هؤلاء من يكذب الحسين في مقولته - وهي الحق- فيمكنه ان يرجع إلى هؤلاء وغيرهم ممن سمعوا هذا الحديث وغيره من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليخبروه بما سمعوا منه (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم يختتم الحسين هذه الفقرة من خطبته - قبل ان يقاطعه الشمر - وباستغراب وتعجب شديد: "أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي" (26).

نعم إنه لأمر عجيب، ان يقدم انسان مسلم يصلي ويصوم ويتبغى الجنة من عمله، على قتل ابن بنت رسول اله، وابن وصيه، وسيد شباب اهل الجنة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحديثه المستفيض.

رابعاً: لقد كانت للحروب والوقائع ظروفها الموضوعية واسبابها المادية، وقد تكون هذه الحروب لأسباب اجتماعية او سياسية او مادية، وقد تكون لأسباب تافهة لا تستحق ان يراق من اجلها الدماء (27).

وقد خاضت القبائل العربية في جاهليتها حروباً كثيرة، بعضها كان لحماية نفسها واموالها واعراضها ضد غزو من قبيلة أخرى، وبعضها الآخر كان للتأثر او السلب او النهب او العصبية الجاهلية، وجاء الإسلام بتعاليمه ليوحد هؤلاء تحت راية الحق والدفاع عنه فكانت وقائع الإسلام الكبرى ثم تلتها فتوح البلدان البعيدة (28).

وعندما نعود إلى معركة كربلاء، وما سبقها من النفير العام وتجيش الجيوش والقوات لهذه المعركة ونيحت عن الأسباب والمبررات الموضوعية لهذه الحرب، فإننا لا نجد ما يبرر ذلك سوى البغي والعدوان، فكانت هذه الحرب من مصاديق الحرب الظالمة (29).

ولهذا يسأل الحسين (عليه السلام) في مقطع من خطبته عن المبررات الموضوعية لهؤلاء المجتمعين لقتاله فيقول (عليه السلام): "اخبروني، اتطلبوني بقتيل منكم قتلته، او مال لكم استهلكته، او بقصاص من جراحه؟". فلم يجد (عليه السلام) عندهم إلا السكوت القاتل: "فأخذوا لا يكلمونه" (30).

خامساً: وعندما رأى الحسين (عليه السلام) سكوت الخنوع والذل من أولئك القوم، اخذ يذكرهم بعهودهم ومواثيقهم ووعودهم التي قطعوها له من خلال رسائلهم وكتبهم التي اسلوها له وهو لا زال في مكة، والتي الزمته اخلاقياً ودينياً بالقدوم إلى الكوفة استجابة لندائهم، وأداءً لواجبه كإمام لهذه الأمة (31).

ويمكن القول ان الذين كاتبوا الحسين عليه السلام جمع كبير وامة من اهل الكوفة، وتضمنت رسائلهم تلك العبارات الرنانة، فأخذ الحسين يذكر بعض وجوه هؤلاء القوم بتلك الكتب، وبعض تلك العبارات، فنأدي: يا شبت بن ربي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الاشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ ان قد ائنت الثمار، واخضّر الجناب... وإنما تقدم على جند لك مُجند؟ فانكر هؤلاء القوم وبكل صراحة ووقاحة وقالوا: لم نفعل (32).

فقال لهم الحسين (عليه السلام): "سبحان الله بلى والله، لقد فعلتم". ولم يشأ الحسين (عليه السلام) ان يدخل في جدل عقيم مع هؤلاء الذين تنكروا لقيمهم واعرافهم العربية في اخذ العهود والمواثيق فضلاً عن تنكروهم لإيمانهم وإسلامهم بعد تلبسهم بالكذب الفاضح (33).

سادساً: بعد ان وجد الحسين (عليه السلام) إصرار هؤلاء القوم على غيهم وتنكروهم لوعودهم ومواثيقهم، طرح عليهم مشروعه السياسي كحل وسط مرضي للطرفين، فقال: أيها الناس، غذ كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض (34)، وهذا هو المشروع السياسي الذي طرحه الحسين على عمر بن سعد في اجتماعه معه قبيل يوم عاشوراء.

إلا ان مشروع الحسين (عليه السلام) والذي كان يبتغي من وراءه الحيلولة دون وقوع القتال وسفك الدماء بين الطرفين، قابله مشروع بني امية والذي بين بعض ملامحه قيس بن الاشعث بقوله: " او لا تنزل على حكم بني عمّك، فإنهم لن يُروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه" (35).

ولقد اختزل قيس بن الاشعث بقوله: " او لا تنزل على حكم بني عمّك... " كل المشروع السياسي لبني امية في تعاملها مع الحسين (عليه السلام)، والذي كان يتضمن في تفصيلاته المعروضة على الحسين (عليه السلام) ثلاثة عناصر أساسية وهي:

الأول: الاستسلام والكف عن الثورة.

الثاني: التسليم بأصل شرعية النظام القائم.

الثالث: الدخول في مفاوضات وحوار لحل المشكلة السياسية بينه وبينهم (36)

كل هذه البنود الثلاثة اختزلها ابن الاشعث من خلال ما اقترحه على الحسين (عليه السلام) بالنزول على حكم بني امية (37).

سابعاً: بعد ان انهى الامام الحسين (عليه السلام) كلامه مع ابن الاشعث - وكان يحمل طابعاً شخصياً - وجه خطابه إلى تلك الجموع المحتشدة لقتاله وخاطبهم بخطاب اصبح بمرور الزمن وكر الدهور، انشودة لكل الاحرار في العالم، ولكل الثائرين في وجه الظلم والطغيان والإذلال، فقال (عليه السلام): "لا والله لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد"(38)

هذه الكلمات الحسينية وعلى وجازتها تمثل سجل عزّ وكرامة وشموخ للأمة الإسلامية خاصة وللإنسانية عامة، فالحسين (عليه السلام) لا يتكلم ذاتياً، بل يتكلم عن خط في الحياة، للعمل، للحركة، إنه يقول للإنسان المسلم: إذا اردت ان تضع يدك في يد أي انسان آخر، فيجب ان تضعها من موقع العزة والكرامة، وإذا اردت ان تقر للأخرين فيجب ان يكون إقرارك على أساس إقرار الأحرار لا إقرار العبيد(39)، وعلى هذا فإن كل مسلم يمكن ان يحمل هذا الشعار امام كل القوى الغاشمة التي تريد ان تسحق إرادته وتأخذ قراره، وتشل حركته، وتمنعه من ان يختار إن كل مسلم يقول من موقع إسلامه والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، نقولها من موقع حرية القرار في داخل انفسنا حتى لو هزمتنا و ظلمنا وسجنّا... يبقى قرارنا هو قرار المحق وان الهزيمة لا تجعلنا نفقد ثقنا بانفسنا او بقرارنا وارادتنا، وباننا على الحق(40).

ثامناً: بهذا الوضوح في البيان، وبهذه الحجج والبراهين الواضحة، تكلم الحسين مع أقوم، وبتلك الثقة العالية بالله سبحانه اختتم كلامه، والذي لاحظناه من ردود أفعال القوم، تمثل محنة الحسين (عليه السلام) وغرخته بين امة جده رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والتي تمثل غربة الأنبياء والرسل بين قومهم، وتتجسد امامنا صورة نوح وهود وصالح وذو النون وغيرهم من الأنبياء (عليهم السلام) وهم يقيمون الحجج والبراهين والأدلة، ويواجهون بالرفض او القتل(41).

والحسين (عليه السلام) سليل الأنبياء ووارثهم، فنراه يعيش غربة المبادئ والاهداف والقيم بين امة أراد لها الله سبحانه ان تتجسد فيها قيم الحق والعدل، إلا انهم تركوه وراء اظهرهم، واختاروا طريق البغي والعدوان.

لقد كان الحسين (عليه السلام) يتكلم بكلام، ويطرح المفاهيم، ويطرح قضية الإسلام، ويطرح قضية المستضعفين، ويطرح قضية الكرامة البشرية، ولا احد يسمعه، ويقول له شمر بن ذي الجوشن: يا

حسين، ما هذا الذي تقول؟ افهمنا حتى نفهم(42)ويقول للحسين (عليه السلام: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول(43) ؟

فهل كان الحسين يتكلم بلغة أخرى؟ او يطرح مفاهيم مغايرة لمفاهيم الإسلام؟

هذه هي غربة الحسين (عليه السلام) في امة جده، فكل الأمة، والناطقين بالعربية من المسلمين كانوا في جانب، وهو في الجانب الآخر لوحده مع انصاره(44)

لقد كان الحسين غريباً، وغربته مضاعفة، لأنه كان يحمل هم الأمة كلها، ولأنه كان يحس ان الامة كلها غريبة، كانت الغربة تطبق عليه من جميع الجوانب، لا لأنها غربته هو (عليه السلام)، ولا لأنها غربة اهل بيته وصحبه (سلام الله عليهم) بل لأنها غربة شاملة... فكان ألمه اكبر، ومرارته اشد، وغربته اقسى، لأنه يحمل هم الجميع(45)

رابعاً : مبدأ الحوار في خطبة الامام الحسين (ع) الثانية

هل كان الامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء خطبة واحدة متعددة الاجزاء والمقاطع، أو أن له خطبتين فصل بينهما فواصل من خطب بعض أصحابه وبعض الحوادث الجانبية، أو إنها خطبة واحدة تحسب ثلاث خطب؟

رجح بعض المحققين الرأي الاول فيكون النص الذي رواه الطبري في تاريخه والمفيد في الارشاد(46)، هو المقطع الاول من الخطبة عليه السلام، ثم رواه الخوارزمي في المقتل، ابن طاووس في اللهوف(47)، والذي سوف نذكره هنا هو المقطع الثاني والجزء الاخر من الخطبة(48).

وذهب المحقق السماوي في إبصار العين، والسيد المقدم في المقتل، إلى أن كلامه عليه السلام الاول هو خطبته الأولى، وهي تنتهي بنزوله عن راحته... وأن خطبته الثانية هي التي تبدأ بقوله: ((تبا لكم أيتها الجماعة...))(49).

وقال المحقق القزويني: إنها آخر خطبة خطبها عليه السلام، وهي خطبة واحدة تحسب ثلاث خطب(50).

والارجح من خلال سياق كلام الامام عليه السلام والمفردات التي وظفها في خطابه، انها خطبتان، بدأ الامام في خطبة الاولى بتعريفهم وكتبهم، ثم تكلم بعده بعض أصحابه، فلما لم يجد عليه السلام من القوم أي استجابة، بل وجد عندهم الاصرار والعناد، والبغي والعدوان... عندها خطب خطبته الثانية التي اشتدت فيها لهجة التقريع والتوبيخ لهم، ومهما يكن من أمر، فإن هذه الخطبة – الثانية – لم يذكرها الطبري في تاريخه، ولا المفيد في إرشاده، وإنما ذكرها الخوارزمي في المقتل وابن عساكر في تاريخه، وابن طاووس في اللهوف – بتفاوت – ونقلها هنا برواية ابن طاووس في اللهوف(51).

قال: ((قال الراوي: وركب أصحاب عمر بن سعد لعنهم الله، فبعث الحسين عليه السلام برير بن خضير، فوعظهم فلم يستمعوا، وذكرهم فلم ينتفعوا، فركب الحسين عليه السلام ناقته - وقيل فرسه - فاستنصتهم فأنصتوا، فحمد الله وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلى على محمد (ص) وعلى الملائكة والرسول، وأبلغ في المقال، ثم قال: "تبأ لكم أيتها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا واليهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علنا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتد حناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم" (52).

"فهلا - لكم الولايات - تركتمونا والسيف مشيماً والجأش ضامرٌ والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطير الدبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشرار الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الأثام، ونفثة الشيطان، ومطفئ السنن. أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟ أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشحت عليه أصولكم، وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث شجاً للناظر وأكلة للغاصب، ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة، والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية: من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر" (53).

ثم قال: أما والله لا تلبثون بعدها إلا كرهت ما يركب الفرس حتى يدور بكم دور الرحى ويقلق بكم قلق المحور عهدٌ عهدُه إلي أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنين يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسومهم كأساً مصبرة، فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير (54)، ثم نزل عليه السلام ودعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرتجز، فركبه وعبى أصحابه للقتال (55).

خامساً: تأملات ودروس وعبر من خطبة الامام الحسين عليه السلام الثانية يوم عاشوراء:

لقد تضمنت هذه الخطبة الشريفة - على وجازتها - أفقاً واسعة من المعرفة، وكم هائل من القيم والمفاهيم الثورية، بالإضافة إلى ما لا حد له ولا يعلمه إلا الله من الآسى والحسرة والالام من الامام الحسين على أولئك الناس الذين ينتسبوا إلى أمة جدّه (ص) ويدينون بالاسلام ويتخذون منه شعاراً لهم.. إلا أنهم سلّوا سيوف البغي والعدوان في وجه آل رسول الله (ص) وواجهوا ابن بنت نبيهم (ص) وأقدموا على ما لا تقدم عليه أمة من الامم من حق رموزها ومقدساتها الدينية (56).

ولو أردنا أن نتوقف عند كل كلمة، أو كل مقطع من مقاطع هذه الخطبة – وهي آخر خطبة للحسين عليه السلام – لاحتجنا الى دراسة موسعة ومؤلف مستقل ليستوعب معاني الكلمات، ومفاهيم الخطبة وسياق الاحداث التي تشير إليها، ولهذا كله سوف نتوقف عند بعض فقرات هذه الخطبة، لاستلهاهم بعض الدروس والعبر منها لعلنا نأخذ بقبس منها تنير لنا دروب الظلام، وترشدنا الى نور الهداية والرشاد، وتحرك فينا نوازع الخير، وتوقظ في اعماق نفوسنا الاحساس بالعزة والكرامة(57).

أولاً: نلاحظ في مفردات وأسلوب بيان هذا الخطاب الحسيني حالة التأوه والتوجع والاسى والحسرة ' الى جانب النقد والتقريع، والعقاب والتفريع، والتذمر والشكوى، قد فاضت على لسان الامام الحسين عليه السلام الهادر، وهي حالة اتصف بها هذه الخطبة دون غيرها من خطبة السابقة، فنجد عليه السلام يكثر من عبارات الاستفهام، والانكار، والتعجب، مصحوبة بترادف بين الفقرات، بايقاع شجي حزين، وعاطفة ثائرة جياشة، تستمد دوافعها من نفس كبيرة، وعقيدة راسخة، وعزم لا يلين، وعزة وشموخ وإباء، تأبى الاستسلام أو الاقرار بالأمر الواقع(58).

ولو أردنا ان نقارن بين أسلوبه عليه السلام البياني والوصفي في هذه الخطبة، وبين أسلوب القران التصويري في الوصف والانكار والتعجب... وبين فصاحة وبلاغة النبي (ص) في خطبة، وبين ما سطره والده الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في نهج البلاغة، لوجدنا ان كلام الامام الحسين عليه السلام وفي هذه الخطبة بالذات، قبس من نور القران الكريم، وصدى لكلمات النبي (ص)، وتوظيف لروائع علي عليه السلام البلاغية(59).

ثانياً: كما نلاحظ في الخطبة الحسينية – من حيث المحتوى السياسي والديني والاجتماعي – جملة من الحقائق وتقسيم منطقي رائع، وبتشبيهات واقعية تحول المفاهيم الى امور حسية أو قريبة منها، فنجد عليه السلام يقول: ((تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا والهيّن فأصرخناكم موجفين، سللتم علنا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتد حناها على عدونا وعودكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم)) والتب في اللغة يعني: الاستمرار في الخسران، والترح يعني الهلاك والانقطاع(60).

والامام عليه السلام يدعو على هؤلاء الجماعة – وهم مستحقون لذلك – باهلاك والخسران والانقطاع، بعد أن شاهد إصرارهم على البغي والعدوان، ولم تنفع فيهم النصائح والمواعظ والبراهين والحجج، وما أشبه هذا الدعاء الحسيني، بدعاء نوح عليه السلام على قومه بعد أن يبس من إصلاحهم.

قال تعالى: **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا *** (61).

وقد تكرر دعاء الحسين عليه السلام على هؤلاء القوم في وسط خطبته حيث قال عليه السلام: ((فسحفاً لكم...))، وختم عليه السلام خطبته بالدعاء عليهم فقال: ((اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأساً مصبرة، فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)) (62).

وهذه الدعوات الحسينية على هؤلاء القوم، قد استجيبت، وأنزل الله سبحانه بهؤلاء القتلة عذابه في الدنيا قبل الآخرة.

ثالثاً: ثم يشير الامام عليه السلام بقوله: سللتم علينا سيفاً... الى أعظم ردة وانقلاب حضاري يمكن أن يحصل في حياة الامم والشعوب، بل قلما نجد لها مثيلاً في تاريخ الحضاري البشرية، الامام الحسين عليه السلام يذكره بهذه الحقيقة فيقول لهم: إن الله هداكم بجدي رسول الله، ورزقكم به (ص) هذا السلطان الواسع على وجه الارض، وجعلكم به أئمة وسادة في الارض... فهذا السلطان (السيف) لنا في ايمانكم، ولكنكم تخاذلكم عن نصره أبي وأخي من قبل، وغمدكم سيوفكم عن نصرتهم، وما أنتم اليوم تسلون السيف الذي جعله رسول الله (ص) في ايمانكم، بوجه ابن بنت رسول الله (ص) وتقاتلونه به، وقد كان احري بكم أن تقاتلوا بهذا السيف معاوية بن ابي سفيان من قبل الى جانب أبي وأخي - وتقاتلون - يزيد بن معاوية اليوم جانبي (63).

الخاتمة:

اعطى الامام الحسين (ع) الله تعالى كل شيء وبلا حدود وقدم التضحيات التي لم يشهد التاريخ ولم يشهد مثيلاً لها فكان عطاؤه بلا حدود وبلا نهاية فكان علينا ان يكون عطاوناً للامام الحسين (ع) ومشاركتنا ومواساتنا بلا حدود وحتى نكون بمستوى الحب والولاء للعظمة الحسينية.

ان العظمة التي نجدها في الامام الحسين (عليه السلام) لانجدها في اي شخص آخر على مر التاريخ هذه العظمة انما جاءت لأن الامام الحسين (ع) تفانى في الله.

وان هذه العظمة هي عظمة الهيئة لذا تكون باقية اذن عظمة سيد الشهداء الامام الحسين (ع) هي من عظمة الله (سبحانه وتعالى) لذا علينا ان نربط انفسنا بالله وبهؤلاء الاطهار الذين ارتبطوا بالله سبحانه وتعالى.

وما بقاء جمهور اتباع اهل البيت (ع) في الحياة وحضوره الفاعل واعتراف الاخر بقوة دوره ونقل موافقة الامن بركات حزمه من الاسرار الالهية

والتخطيطات الحكيمّة لقادة التشيع وزيارة الاربعين المقدسة واحدة من بين تلك الاسرار الالهية العظيمة التي جسدت جميع من اثار وبركات. السلام عليك يا ابا عبد الله وعلى اصحابك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا.

هوامش ومصادر البحث:

1. سورة الرعد: آية 11.
2. الصدر: محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين (ع)، ص 112.
3. البقرة: 30.
4. انظر الآيات: 27 إلى 31 من سورة المائدة.
5. شعيب: تحرير العقل الإسلامي، ص 26-27.
6. الصدر: محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين (ع)، ص 114.
7. العروي: مفهوم العقل، ص 218.
8. المصدر نفسه، ص 219.
9. العنكبوت: 46. وانظر سورة البقرة آية: 136.
10. آل عمران: 64.
11. الحوار في القرآن: 15 مرجع سابق.
12. ابو سليمان: أزمة العقل المسلم، ص 138-140.
13. فضل الله: الندوة، 56/4.
14. القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، 14-15/1.
15. فضل الله: الندوة، 58/4.
16. الفرحي: النهضة الحسينية، ص 98.
17. يونس: 81.
18. الأعراف: 196.
19. الطبري: 424 /5 - 426؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: 206 - 209 بتحقيق الشيخ اليوسفي؛ والكامل في التاريخ: 2 / 561 - 562.
20. المدرسي: الامام الحسين (ع)، ص 126.
21. الفرحي: النهضة الحسينية، ص 101.
22. لتفاصيل: مقتل ابي مخنف هامش صفحة: 207 - 208 بتحقيق الشيخ اليوسفي.
23. الحلّي: معالم المنهج الاصلاحى، ص 146.
24. القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، 22/1.
25. الصدر: محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين (ع)، ص 118.
26. القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، 24/1.
27. مطهري: الملحمة الحسينية، ص 105.
28. مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص 403.
29. الفرحي: النهضة الحسينية، ص 105.
30. مطهري: الملحمة الحسينية، ص 107.

31. الشاهرودي: الثورة الحسينية، 10/1.
32. المصدر نفسه، ص 12.
33. الفرحي: النهضة الحسينية، ص 106.
34. الطبري: 5 / 401 - 402.
35. مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص 405.
36. شمس الدين، محمد مهدي: عاشوراء: 1 / 212 - 213 (بتصرف).
37. مطهري: الملحمة الحسينية، ص 109.
38. المفيد في الإرشاد: 2 / 98.
39. الفرحي: النهضة الحسينية، ص 106.
40. فضل الله، محمد حسين: من وحي عاشوراء: 88 - 90 (بتصرف) ط. دار الملاك - بيروت، (1996م - 1417هـ).
41. مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص 408.
42. الخوارزمي، مقتل الحسين: 1 / 356.
43. الطبري: 5 / 426، والإرشاد للمفيد: 2 / 98.
44. شمس الدين، عاشوراء: 1 / 173 بتصرف.
45. المرجع نفسه: 1 / 175 - 176 بتصرف.
46. الطبري: 5 / 424-426، والإرشاد: 2 / 97-98.
47. الخوارزمي، مقتل الحسين: 2 / 8-10؛ ابن طاووس، اللهوف: 42-43.
48. مع الركب الحسيني: 4 / 258؛ القرشي، حياة الامام الحسين: 2 / 184 - 195.
49. إِبصار العين: 32 - 35.
50. القزويني، فضل علي: الامام الحسين وأصحابه: تحقيق أحمد الحسيني، ط. قم، 1415هـ).
51. مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص 411.
52. نقلاً عن: المصدر نفسه، ص 412-413.
53. الشاهرودي: الثورة الحسينية، 16/1.
54. الحلّي: معالم المنهج الاصلاحى، ص 146.
55. تاريخ ابن عساكر - ترجمه الامام الحسين عليه السلام - تحقيق المحمودي: 317 - 320.
56. مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص 415.
57. الشاهرودي: الثورة الحسينية، 21/1.
58. المدرسي: الامام الحسين (ع)، ص 128.
59. الحلّي: معالم المنهج الاصلاحى، ص 148.
60. انظر مفردات الراغب للاصفهاني، ومجمع البيان للطبرسي.
61. نوح: 26 - 27.
62. المدرسي: الامام الحسين (ع)، ص 130.
63. الاصفى، تأملات في الخطاب الحسيني: 184 مرجع سابق.

بيبلوغرافيا المقتل الحسيني

أ.م. د. علي محمد ياسين

كلية العلوم الإسلامية- جامعة كربلاء

ملخص البحث

تعود جذور كتابة المقتل الحسيني إلى زمن الحادثة الأليمة التي استشهد فيها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب سنة 61 هجري-680 ميلادي ، مع جمع من أهل بيته وأصحابه المخلصين، إذ دَوّن من شهد هذه الواقعة تفاصيلها وأحداثها التي تحولت بمرور الزمن إلى ما يشبه التقليد الأدبي الثابت والمختلف عن نظام تدوين السيرة الذي يبدأ -عادة- من تاريخ ولادة الشخص المكتوب عنه وينتهي بنهاية حياته.

في حين يبتدئ نظام كتابة المقتل الحسيني من اللحظة الزمنية التي قرر فيها الإمام الحسين ترك المدينة المنورة بسبب الضغوط التي مارسها الولاة الأميون لإجباره على مبايعة (يزيد بن معاوية) وتلبية لمطالب أهل الكوفة الراضين بدورهم لهذه البيعة من خلال آلاف الكتب التي أرسلوها لاستقدام الحسين كي يقود هذا الرفض الشعبي.

كما يشتمل نظام المقتل على ذكر المنازل التي نزلها الإمام الحسين وأصحابه الكرام في هذه الرحلة الشاقة حتى وصوله أرض كربلاء واستشهاده مع جلّ مرافقيه من الرجال في واقعة غير متكافئة القوى والتجهيزات، ولا ينتهي عند هذه النقطة وإنما يسرد رحلة سبي النساء والأطفال إلى دمشق انتهاء بعودتهم إلى ديارهم.

وتحاول هذه الدراسة تغطية المؤلفات التي تناولت المقتل الحسيني قديماً وحديثاً مع وصف موجز لهذه المؤلفات المنشورة ومعرفة أماكن طباعتها وأسماء مؤلفيها وما إلى ذلك من أمور تنطلق من أن البيبلوغرافيا هي جزء من علم التأليف المستند إلى الوصف والتنظيم والتقصي والتعريف المنظم للمؤلفات تسهيلاً لمهمة البحث العلمي حولها.

بيبلوغرافيا

المقتل الحسيني

أ.م. د. علي محمد ياسين

كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء

مقدمة

تعدّ حادثة عاشوراء ومقتل الإمام الحسين حفيد الرسول الأكرم وابن الخليفة الرابع من أهم الحوادث التي عرفها التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري، وقد دفع هول هذه الحادثة الأليمة وعظمتها وأهميتها بعض الرواة الذين عاصروها إلى تدوينها، وكان الناجون من المجزرة كالإمام السجاد (عليه السلام) من أهم هؤلاء الرواة الذين حفظوا تفاصيل الحادثة من الضياع ومن التحريف الأموي فيما بعد.

ومع أن كتب التاريخ الإسلامي قد نقلت وقائع وأحداث سبقت وتبعت حادثة كربلاء إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور لون خاص من التدوين المتعلق بحادثة استشهاد الإمام الحسين على أرض كربلاء، وقد عرف هذا اللون بـ (المقتل الحسيني) ولعل أقدم المدونات التي وصلت إلينا هي النسخة المنسوبة لأبي مخنف المتوفى سنة 157 هجري، ثم توالى التصنيف وتعدد في القرون التالية وحتى يومنا هذا، مشكّلاً ظاهرة تستدعي القراءة والتحليل.

وقد توصلنا في دراسة سابقة إلى مسوّغات ثقافية وأدبية تبيح لنا إدراج المقتل الحسيني جنساً أدبياً إسلامياً له شروط ومواصفات ومواضع إبلاغية وأدبية مخصصة تكسبه صفة النوع الأدبي المحدد من جوانب متعدّدة كالبناء والبث والتلقي والاصطلاح والاستجابة لمناهج النقد الأدبي المعروفة⁽¹⁾، كما أبرزت الدراسة المذكورة قدم الجذور التاريخية لكتابة المقتل الحسيني حيث تعود الأصول الأولى إلى زمن واقعة الطف نفسها، إذ كتب أبو القاسم الإصبع بن نباتة المجاشعي التميمي (وهو من أصحاب الإمام علي في صفين وممن أدركوا واقعة كربلاء) النسخة الأم لأحداث هذه الواقعة، وقد اعتمد أبو مخنف لاحقاً على هذه النسخة لتدوين المقتل المشهور والمنسوب إليه⁽²⁾.

وبمرور الزمن تكاثرت تأليف المقائل المكتوبة باللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى كالفارسية والأوردية والإنجليزية، وتعدد كتابها في العصور الحديثة بفعل الطباعة وتطور وسائل التواصل البشري، وقد حافظ أغلب هؤلاء الكتّاب على التقاليد الأدبية الشكلية لنظام كتابة المقتل الحسيني، كابتداء السرد القصصي للواقعة من لحظة خروج الإمام الحسين من المدينة المنورة؛ بسبب

الضغوط السياسية التي اتبعتها الأمويون ومناصروهم ضد الإمام لإجباره على أخذ البيعة ليزيد بن معاوية، وكالحرص على الاستحضار الرمزي للبعد الترويعي المفجع لهذه الواقعة التي لا يمكن استعادة مضامينها بعيدا عن حدود نوع من التواصل الجمعي المحقق بوسائل عديدة تأتي قراءة المقتل الحسيني في مناسبات معلومة كأيام المحرم والزيارة الأربعينية في مقدمة هذه الوسائل، وكاختتام نظام المقتل -زمنيا- لا بلحظة استشهاد الإمام الحسين ومفارقته الحياة يوم العاشر من محرم سنة 61 للهجرة، وإنما بعودة السبايا من أهل بيت النبوة للمدينة المنورة بعد رحلة شاقة ومؤسفة لا تليق بمقامهم بين الناس ولا بمنزلتهم في النفوس، وكان هذا النظام الزمني الدائري لا الخطي محيل على الاستمرار والديمومة وليس على التتابع والتقطع.

إن الكثرة اللافتة لكتابة المقتل الحسيني في أيامنا هذه يشكل ظاهرة ثقافية تستدعي التحليل والاستقصاء المعرفي لإدراك أبعادها؛ إلا أننا لا نجد -مع كل هذا- دراسات أكاديمية تتكفل بأن تأخذ على عاتقها محاولة تحليل هذا النتاج ذي الطبيعة الأدبية والوقوف على مرامييه ومقاصده وأبعاده، ولذا يأتي هذا البحث استكمالا لدراسة لنا سابقة حول إمكانية تجنيس المقتل الحسيني ورغبة منا هذه المرة في تفعيل الاشتغال البيبلوغرافي حول هذا الجنس الأدبي الإسلامي الطابع الشيعي الخصوصية، وذلك من خلال فهرس عام يهدف إلى حصر تأليف المقتل الحسيني التي كتبها كتّاب مختلفون في أزمنة وأمكنة مختلفتين، من أجل إعطاء صورة تقريبية للمعطيات المستقراة من هذا الإحصاء البيبلوغرافي الذي اعتمدنا فيه مجموعة من المرتكزات والأسس المنهجية المتبعة في مثل هذه البحوث .

وكان أهم ما في هذه المرتكزات هو: تسليط الضوء على وصف المادة البيبلوغرافية المنشورة عبر وصف أولي يستقيم وحجم هذا البحث من خلال الاعتماد على زمن النشر ومكانه، وعدد الطبعات التي وصلت إليها أيدينا، وعدد الصفحات وما إلى ذلك من أمور تتعلق بالطباعة، كما اعتمدنا عند عرض المنشور على معيار الترتيب الهجائي وانطلاقا من حروف أول كلمة ضمن العنوان الرئيس للمنشور.

وقد استبعد هذا التصنيف البيبلوغرافي الكتب التي كتبت عن واقعة كربلاء لكنها لم تخضع للنظام الذي تخضع له كتب المقاتل، ومن هذه الكتب على سبيل المثال: رأس الحسين.. من احتزّه؟ من طاف به؟ أين دفن؟ لظاهر آل عكلة(3)، وكتاب: جزاء أعداء وقتلة سيد الشهداء في دار الدنيا للسيد هاشم الناجي(4)، وغيرها من الكتب الكثيرة التي تعرضت لحادثة كربلاء من قريب أو بعيد لكنها لم تلتزم بالنظام البنائي الخاص بالمقاتل الحسينية، وكما نوهنا إليه.

إن هذا البحث غير مسبوق في مجاله، ولعل الحاجة لمثله من البحوث والدراسات ماسة وكبيرة في أكاديمياتنا التي تعاني نقصا واضحا في الأرشفة

والرصد والتبويب المعرفي لأغلب العلوم التي تدرسها هذه الأكاديميات، وقد اقتضت طبيعته الاقتصار على وضع قائمة رئيسة بكتب المقاتل مرتبة بحسب حروف الهجاء العربية.

وقد ختمت هذه القائمة بمجموعة ملاحظات تتعلق بالملاحم العامة التي من الممكن أن نخلص إليها من خلال هذه القائمة التي ضمت العشرات من الكتب التي اتخذت من قضية استشهاد الامام الحسين وأهل بيته وصحابته الكرام مادة ترتكز إليها في الوصول إلى المتلقين، وكالاتي:

أولاً: ببيلوغرافيا المقتل الحسيني

- أعظم المصائب في مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب، تأليف وتحقيق الحاج الشيخ محمد أمين الجامعي، خاتم سبز، قم ط 1 1381 هجري، والطبعة الثانية ، انتشارات معتبر، قم 1389 هجري، 233 صفحة.
- الإمام الحسين - عليه السلام- سيرة ومقتل، تأليف: هادي المدرسي، إصدار: دار القاريء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط 1 1425 هـ - 2004م، عدد الصفحات 111.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت، لبنان، ط 2 1418 هـ - 1998م.
- تذكرة الشهداء (مقتل الإمام الحسين عليه السلام) تأليف: آية الله حبيب الله كاشاني، ترجمة وتحقيق: سيد علي جمال أشرف مؤسسة مدين، قم، ايران، مطبعة سرور ط 1، 1426 هـ - 2006م، عدد الصفحات 540، المقدمة من 11 - 13.
- ترجمة الامام الحسين من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، تصحيح واستدراك العلامة آية الله الشيخ محمد رضا الحيدري، مركز الثقافة الجعفرية للبحوث والدراسات، قم- إيران ط 1 1437 هجري
- ثار الله الملحمة الكبرى لمقتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه، تأليف: قاسم الجابري، انتشارات أنوار الهدى، قم، ايران ط 1، 1424 هـ - 2003م، عدد الصفحات 400، المقدمة من ص 5 - 8.
- الثورة الحسينية (مصارع الحق) تأليف: الشيخ فاضل المالكي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1394 هـ - 1973م عدد الصفحات 264، المقدمة (أربع صفحات).
- الحسين حفيداً وشهيداً، السيرة الكاملة للحسين منذ ولادته حتى استشهاده، الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2007م، د. ط

- الحسين عليه السلام قتيل العبرة، بقلم: الشيخ عبد الزهراء الكعبي، من منشورات رابطة النشر الاسلامي، كربلاء، العراق، مطبعة دار السلام، بغداد، المقدمة من ص 3 - 17.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تأليف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ج3، المكتبة السلفية، القاهرة (د. ت).
- شهادة الحسين - عليه السلام - برواية محمد بن جرير الطبري تلخيص وتعليق السيد محمد حسين الحسيني الجلالى، تحقيق وتدقيق: السيد أحمد نعمة الموسوي، الناشر: ديوان الكتاب للثقافة والنشر، بيروت، لبنان ط1، 1427هـ - 2006م عدد الصفحات 384، المقدمة من ص 9 - 14 ومقدمة المحقق من ص 5 - 7.
- الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام، تأليف: محمد الريشهري ومحمود الطباطبائي نجاد وروح الله السيد الطباني، إصدار: مركز بحوث دار الحديث، قم، ايران، ط1، 1433هـ - 2012م، عدد الصفحات 147، المقدمة من ص 11 - 19.
- عاشوراء، تأليف: آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط1 1412هـ - 1991م، الطبعة الثانية 1416هـ - 1995م، الطبعة الثالثة 1418هـ - 1998م. جزءان، المقدمة من ص 17 - 29.
- عبرات المصطفين في مقتل الحسين عليه السلام، تأليف: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ايران، ط2، 1417هـ - 1996م، ج1 عدد الصفحات 472، والجزء الثاني عدد الصفحات 391، المقدمة من ص 5 - 11.
- عساكر الأحران في مقتل الغريب العطشان، إعداد: عبد الجبار عباس الخطاط بإشراف: الشيخ عبد الصاحب عودة الهادي، دار المرتضى للطباعة والنشر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم 1417هجري، عدد الصفحات 109، المقدمة من ص 4 - 5.
- فاجعة الطف أو مقتل الحسين المأخوذ من أقدم المصادر التاريخية الإسلامية، تأليف: السيد محمد كاظم القزويني، الناشر: مكتبة الألفين، الكويت، ط1، 1413 - 1992م، عدد الصفحات 79، وطبعة مؤسسة البلاغة، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، عدد الصفحات 79، وطبعة الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط12، 1422هـ - 2001م.
- فاجعة كربلاء أو مقتل الحسين عليه السلام، تأليف: محمود مراد الحائري د. مط، ط4، 1431هـ 2010م، عدد الصفحات 86.
- الفوادم الحسينية والفوادم البيئية، تأليف: الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل العصفور الدرزي البحراني، تحقيق: السيد حسن علوي طاهر الموسوي

- الدرازي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ - 2007م، عدد الصفحات 781، المقدمة من ص8 - 9.
- في رحاب مقتل الحسين، السيد ياسر نعمة العلوي الساري، أنوار الهدى، قم، ط1 1417هـجري بحدود الـ 280 صفحة
- قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، تأليف: الشيخ المفيد، دار المرتضى، بيروت، لبنان. ط1، 1425هـ - 2004م، عدد الصفحات 141.
- اللطيف في التصنيف في شرح السعادة بشهادة صاحب المقام الشريف مقتل سيد الشهداء الإمام الحسين. تصنيف: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسيني. إعداد: مسلم رضائي دار الصديقة الشهيدة سوريا. ط1 - 1430هـ - 2009م. عدد الصفحات 67. مقدمة الأعداد من ص5 - 12.
- اللهوف في قتلى الطفوف. تأليف: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الناشر: أنوار الهدى. المطبعة مهر. ط2 - 1423هـ - 2002م. عدد الصفحات 200. وهناك طبعة المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف 1369هـ - 1950م. عدد الصفحات 93. المقدمة من ص5 - 11.
- لواعج الأحزان في مقتل الحسين عليه السلام. تأليف السيد محسن الأمين العاملي. تحقيق السيد حسن الأمين. دار الأمير للثقافة والعلوم. بيروت - لبنان. ط1 - 1996. عدد الصفحات 198.
- - مصارع الشهداء ومقاتل السعداء. تأليف الشيخ سلمان بن عبدالله آل عصفور. تحقيق الشيخ علي آل كوثر. إصدار مجمع إحياء الثقافة الإسلامية. المطبعة بإصدار إسلام. قم - إيران. ط1 - 1422هـ - 2001م عدد الصفحات 383. المقدمة من ص11 - 16.
- مصرع الحسين للشيخ عبدالوهاب الكاشي. انتشارات الشريف الرضي. ط1 - 1394هـ - 1974م وهناك ط2 - 1399هـ - 1979م وهناك ط3 - 1401هـ - 1981م المطبعة مير - قم. وهناك ط4. دار الزهراء. بيروت - لبنان 1408هـ - 1988م. عدد الصفحات 263. المقدمة من ص7 - 8.
- المصيبة الراتبية (أصداء المقاتل والشعائر الحسينية). المؤلف: د. الشيخ محمد جمعة بادي. ط2 - 432. د مط. عدد الصفحات 672.
- معركة السماء في أرض كربلاء. تأليف الحسين أحمد السيد. دار العلوم للطباعة والنشر. لبنان. ط1 - 1429هـ - 2008م. عدد الصفحات 400. المقدمة من ص11 - 14.
- مقتل آل هاشم في كربلاء. تأليف السيد محمد علي الحسيني البقاعي اللبناني. دار الكتاب الإسلامي. مطبعة الأمير. قم - إيران. ط1 - 1425هـ - 2004م. عدد الصفحات 46. المقدمة من ص5 - 7.
- مقتل أبي عبدالله الحسين عليه السلام من موروث أهل الخلاف. تأليف: زهير علي الحكيم. المجلد الأول - الناشر: أهل الذكر. المطبعة ظهور. ط1 -

- 2005م. عدد الصفحات 658. المجلد الثاني. عدد الصفحات 668. والمجلد الثالث. عدد الصفحات 556. المقدمة ص8.
- مقتل الإمام الحسين عليه السلام. تأليف آية الله العظمى محمد رضا الطبسي النجفي. حققه وعلق عليه الشيخ محمد أمين الأميني. دار الولاية. بيروت - لبنان 1425هـ - 2004م. عدد الصفحات 408. وهناك طبعة مؤسسة محيين للطباعة والنشر. قم - إيران. ط1 - 1424هـ - 2003م. عدد الصفحات 408. مقدمة التحقيق من ص7 - 34. المقدمة من ص33 - 34.
 - مقتل الإمام الحسين عليه السلام من كتاب تأريخ الخلفاء لمؤلف مجهول (القرن الثالث - الخامس الهجري). تحقيق رسول جعفریان. الأعداد والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. المطبعة ستارة - قم. العدد الرابع السنة السابعة عشر - 1422هـ - 2001م. عدد الصفحات 250.
 - مقتل الإمام الحسين عليه السلام و أهل بيته وأصحابه المظلومين. تأليف السيد محمد جواد الشوكي. مركز التوزيع: منشورات مكتبة الغدير. أهواز - إيران (د.ت). عدد الصفحات 286. ط2 منشورات اسماعيليان، قم (د.ت).
 - مقتل الحسين (ع) ومصرع أهل بيته وأصحابه بكر بلاء، المشتهر بـ(مقتل أبي مخنف) مطبعة الألفين، الكويت ط2 1987م، بحدود الـ 230 صفحة، وبدون تحقيق أو تعليق.
 - مقتل الإمام الحسين عليه السلام. تأليف الشيخ إبراهيم النصيراي، 1418هـ - 1997م، (د. مط) عدد الصفحات 60.
 - مقتل الإمام الحسين عليه السلام السيد عادل العلوي، مطبعة النهضة، قم - إيران، ط1 1426هـ - 2006م. عدد الصفحات 104. المقدمة من ص3 - 18.
 - مقتل الإمام الحسين عليه السلام. تأليف: الشيخ مرتضى عباد. المطبعة العلوية. النجف الأشرف. ط4 - 1417هـ - 1996م. عدد الصفحات 251. المقدمة من ص5 - 6.
 - مقتل الإمام الحسين، أو واقعة الطف. تأليف آية الله السيد محمد تقي بحر العلوم تقديم وتعليق وإضافات حسين تقي بحر العلوم. انتشارات المكتبة الحيدرية. قم - إيران المطبعة شريعت ط1 - 1426هـ - 2005م. عدد الصفحات 480. مقدمة التحقيق من ص7 - 23.
 - مقتل الإمام الحسين بن علي حققه ورتبه وخرّج مصادره أحمد سعيد الشريف، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط1 1398هـ - 1978م.
 - مقتل الإمام الحسين عليه السلام، رواية عن جدّه، تأليف قيس بهجة العطار، الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط1 1430هـ - 1999م. عدد الصفحات 635. المقدمة من ص7 - 23.

- مقتل الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام. تأليف: السيد محمد حسين الجلالي الحائري. تحقيق السيد رحيم الحسيني الحائري. إعداد الشيخ أحمد الحائري الأسدي مركز الطبع والتوزيع. مكتبة العلامة ابن فهد الحلّي - كربلاء - العراق. ط1 - 1434هـ - 2013م.
- مقتل الإمام الحسين عليه السلام المسمى بـ (مثير الأحران ومثير سبل الأشجان). تأليف: ابن نما الحلّي (جعفر بن محمد بن نما الحلّي). تحقيق معين الحيدري. التوزيع مكتبة طريق المعرفة. النجف الأشرف - العراق. ط1 - 1433هـ - 2012م. عدد الصفحات 545.
- مقتل الإمام الحسين الميسّر، منشورات الفجر، بيروت، ط1 2007م، وهو عبارة عن 124 صفحة مزينة بالصور التوضيحية والكتاب خاص بالأطفال ومختوم بذكر زيارة وارث.
- مقتل الحسين (ع)، أبو مخنف الأزدي، تعليق الحسن الغفاري، مطبعة قم، د. ت، ط، فهرس بحسب الموضوعات وبحدود 395 صفحة منها 4 صفحات بقلم المعلق.
- مقتل الحسين بروايت [كذا] شيخ صدوق، إمام حسين وعاشورا أز زبان معصومان، ترجمة محمد حسين سردوردي، طهران، نشر هستن نما 1381 هجري ... والكتاب بالعربية والفارسية.
- مقتل الحسين، الفاضل الجليل الحاج عبد الهادي عبادي، مكتبة العبادي، عبادان، د. ط، د. ت (الكتاب ذو طبعة تجارية)
- مقتل الحسين، عرض وثائقي موجز لأحداث واقعة كربلاء، مختار من بحار الأنوار، إعداد مجمع الفكر الإسلامي ط2 1423
- مقتل الحسين ومسير السبايا. تأليف: الشيخ عبد الزهراء الكعبي. إعداد الشيخ محمود الشريفي. انتشارات: المكتبة الحيدرية. قم - إيران. ط2 - 1426هـ - 2005م. المطبعة شريعت. عدد الصفحات 160. وهناك طبعة بعنوان مقتل الإمام الحسين عليه السلام إصدار دار المرتضى. بيروت - لبنان. ط1 - 1424هـ - 2003م. وهناك طبعة دار المعارف - النجف الأشرف 1392هـ - 1972م. وهناك طبعة دار الأمير - النجف الأشرف - 1418هـ - 1997م. مقدمة المعد من ص3 - 8.
- مقتل الحسن والحسين عليهما السلام لابي الفرج الأصفهاني. أخرجه وحققه وعلق عليه مصطفى مرتضى القزويني. إصدار: دار العلوم للنشر والتوزيع - لبنان. ط2 - 1423هـ - 2002م. عدد الصفحات 112. مقدمة المحقق من ص7 - 13.
- مقتل الحسين عليه السلام. تأليف السيد عبدالرزاق الموسوي المقرم. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف 1368 هجري، (طبعة 1) ومنشورات دار الكتب

- الإسلامية، النجف، 1956م (طبعة 2) ومطبعة النجف، 1964م (طبعة 3) ومطبعة الآداب، النجف، 1972م (طبعة 4) ...
- كما صدر الكتاب نفسه عن: دار الأضواء - بيروت - لبنان. ط 4 - 1424هـ - 2003م. عدد الصفحات 407. وهناك طبعة أولى من مؤسسة النور للمطبوعات - بيروت - لبنان 1423هـ - 2002م. عدد الصفحات 424. وهناك طبعة أولى الناشر: المكتبة الحيدرية، قم - إيران 1425هـ - 2004م. عدد الصفحات 436.
 - مقتل الحسين للخوارزمي أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم. تحقيق الشيخ محمد السماوي. تصحيح دار أنوار الهدى. المطبعة مهر - قم - إيران. ط 3 - 1425هـ - 2005م. جزءان الجزء الأول 358 صفحة والجزء الثاني 309 صفحة. مقدمة الناشر من ص 3 - 5.
 - مقتل الحسين عليه السلام من أمالي السيدين الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين ابن هارون في أماليه المعروفة بـ (تيسير المطالب) والإمام المرشد بالله يحيى ابن الحسين بن اسماعيل في أماليه الاثنيينية والخميسية استخرجه وبوبه وخرج أحاديثه وقدم له عبدالرزاق بن محمد حسين حرز الدين. منشورات دليل ما قم - إيران. ط 1 - 1431هـ - 2010م. عدد الصفحات 183. المقدمة من ص 5 - 8.
 - مقتل الحسين عليه السلام للسيد جواد شبر. حققه ونقحه ولده محمد أمين شبر. الناشر: انتشارات الشريف الرضي. مطبعة شريعت - قم - إيران. ط 1 - 1420هـ. عدد الصفحات 119. المقدمة من ص 3 - 39.
 - مقتل الحسين عليه السلام، وقيام المختار لابن أعم الكوفي. الناشر: انتشارات أنوار الهدى قم - إيران. المطبعة مهر. ط 2 المنقحة 1424هـ - 2003م. عدد الصفحات 368. المقدمة من ص 7 - 8.
 - مقتل الحسين عليه السلام رواية الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه. قدم له وحققه السيد محمد رضا الحسيني الجليلي. إصدار دار زين العابدين لإحياء تراث المعصومين. قم - إيران 1432هـ - 2011م. عدد الصفحات 106. مقدمة المحقق من ص 5 - 12.
 - مقتل الحسين عليه السلام عرض وثائقي موجز لأحداث واقعة كربلاء. مختار من بحار الأنوار. الناشر: مجمع الفكر الإسلامي. المطبعة شريعت - قم. ط 2 - 1423هـ - 2003م. عدد الصفحات 196.
 - مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب. تأليف الإمام الطبراني. حققه وعلق عليه محمد شجاع ضيف الله. دار الأوراد للنشر والتوزيع - الكويت. ط 1 - 1413هـ 1992م. عدد الصفحات 149.

- مقتل الحسين عليه السلام للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. تحقيق هادي الهلالي. الناشر: انتشارات الشريف الرضي. المطبعة مير - قم. ط1 - 1419هـ - 1998م. عدد الصفحات 75.
- مقتل الحسين عليه السلام في منابع أهل السنة. تأليف محمد علي حيدر. مركز النشر سنابل - قم - إيران. ط1 - 1429هـ - 2008م. عدد الصفحات 654.
- مقتل الحسين عليه السلام قام بترتيبه عبد الهادي العبادي. مطبعة شريعت منشورات مكتبة العبادي. عبادان - إيران. عدد الصفحات 198. المقدمة من ص3-4.
- مقتل الحسين عليه السلام على لسان جده رسول الله من كتب العامة. تأليف الشيخ قيس بهجة العطار. منشورات الرافد للطباعة والنشر - قم - إيران. ط1 - 1430هـ - 2009م. عدد الصفحات 124.
- مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء المشتهر بـ (مقتل أبي مخنف) لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي. انتشارات: المكتبة الحيدرية - قم - إيران. عدد الصفحات 156. وهناك طبعة أخرى من هذا الكتاب من منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف. عدد الصفحات 144.
- مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء المشتهر بـ (مقتل أبي مخنف). استخراج وتنسيق وتحقيق كامل سلمان الجبوري. دار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان. ط1 - 1420هـ - 2000م. المقدمة من ص3 - 14.
- مقتل الحسين وأنصاره. تأليف د. نجاح الطائي. الناشر: دار الهدى لإحياء التراث قم - إيران. ط1 - 1428هـ - 2007م. المقدمة من ص5 - 6، ط2 دار الهدى، بيروت 2011م، بـ 400صفحة....
- مقتل الحسين يوم عاشوراء. تأليف الشيخ فاضل عباس الحياوي. دار الاعتصام للطباعة والنشر. المطبعة مهر قم. ط1 - 1416هـ - 1995م. عدد الصفحات 135. المقدمة من ص5 - 8. وهناك الطبعة الثانية المنقحة. سنة الطبع 1412هـ - 1992م. المطبعة نمونة - قم. المقدمة من ص1 - 3.
- المقتل الحسيني المأثور. تأليف الشيخ محمد جواد الطبسي. منشورات ذوي القربى. قم - إيران. ط1 - 1427هـ - 2006م. عدد الصفحات 303. المقدمة من ص5 - 7. وهناك طبعة ثانية. الناشر دار السميع لطباعة والنشر - 1428هـ - 2007م. قم - إيران.
- مقتل سيد الأوصياء وسيد الشهداء عليه السلام. تأليف الشيخ عبد المنعم الكاظمي. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان. ط1 - 1414هـ - 1993م. المقدمة من ص5-6.

- مقتل سلطان العاشقين الحسين صلوات الله وسلامه عليه. تأليف السيد حيدر الحسيني. دار الأسفار - بيروت - لبنان. ط2 - 1428هـ - 2007م. عدد الصفحات 166.
- مقتل سيد الشهداء وأهل بيته النجباء وأصحابه الأوفياء. تأليف محمود الشريف. منشورات الشريف الرضي. المطبعة مير - قم. ط1 - 1415هـ - 1994م. عدد الصفحات 160. المقدمة من ص1 - 2.
- مقتل سيد الشهداء وأهل بيته النجباء وأصحابه الأوفياء، ويليهِ مصرع الحسين في الأدب والقريض الشعبي، الشيخ محمود الشريف، مكتبة فدك، قم، ط1 2008م بحدود الـ304صفحة
- مقدمة في مقتل الإمام الحسين عليه السلام. تأليف محمد الحسيني. توزيع دار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان. ط1 - 1430هـ - 2009م. عدد الصفحات 78.
- الملحمة الحسينية. تأليف الأستاذ مرتضى المطهري. تعريب السيد محمد صادق الحسيني. ثلاثة أجزاء. الناشر: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان. ط3 - 1423هـ - 2003م. عدد صفحات الجزء الاول 282 صفحة، والجزء الثاني 257، والجزء الثالث 382.
- الملهوف على قتلى الطفوف. تأليف: رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس. تحقيق وتقديم الشيخ فارس تبريزيان الحسون. الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر - بيروت. ط1 - 1425هـ - 2005م. عدد الصفحات 264. وهناك طبعة دار الأسوة للطباعة والنشر. طهران - ايران. ط3 - 1422هـ - 2001م. عدد الصفحات 264.
- منتخب المقاتل في مقتل الحسين عليه السلام وأصحابه البواسل. تأليف: عبد الأمير حسن الربيعي. الناشر: آثار دانشوران - قم. ط1 - 1389هـ ، عدد الصفحات 184صفحة.
- من قتل الإمام الحسين عليه السلام. تأليف الشيخ كاظم مصباح. إصدار: دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ط1 - 1428هـ - 2007م. عدد الصفحات 656. المقدمة من ص5 - 8.
- موسوعة مقتل سيد الشهداء عليه السلام. اهتمام: مركز الخيمة للدراسات الاستراتيجية. منشورات الخيمة - طهران - ايران. ط1 - 1430هـ - 2009م.
- نفة الحزين لمقتل الإمام الحسين عليه السلام. بقلم عامر الكربلائي، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع - النجف الأشرف، ط1، 1430هـ - 2009م، عدد الصفحات 160.

- نفس المهوم في مصيبة سيد الشهداء الحسين المظلوم. تأليف الشيخ عباس القمي. الناشر المكتبة الحيدرية. قم - إيران. ط1 - 1421هـ - 2000م. عدد الصفحات 644.
- وقعة الطف لأبي مخنف، لوط بن يحيى الغامدي الكوفي المتوفى 158هـ، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي ب 280صفحة، مؤسسة النشر الإسلامي (د.ط) 1417 هجري
- وقعة الطف لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي. تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي. الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام. ط2 - قم - 1427هـ - 2006م. المقدمة من ص13 - 18.
- يوم الحسين. النص التاريخي لمقتل سيد الشهداء عليه السلام. بقلم د. الشيخ فاضل المالكي. إصدار مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية. عدد الصفحات 383. المقدمة ص7.
- يوم الطف، مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين الشهيد، تأليف: هادي النجفي، مطبعة مهر، قم، ط1 1413هـ 211صفحة والمقدمة من ص9- ص10.

ثانيا: الدلالات العامة لببيلوغرافيا المقاتل الحسينية:

هناك بعض الدلالات العامة التي من الممكن أن تكشف عنها هذه الببيلوغرافيا المتعلقة بمجموعة الإصدارات المطبوعة المتعلقة باستشهاد الإمام الحسين ومقتله على أرض كربلاء سنة 61هـ، أما هذه الدلالات فهي :

أ- على وفق الإحصاء الببيلوغرافي الذي أجملنا من خلاله ما وقع تحت اليد من كتب المقاتل التي زادت على الثمانين مطبوعا، مع عدم استبعاد وجود مطبوعات أخرى لم نصل إليها؛ فإن كتب المقتل ظهرت في الأسواق مع معرفة العرب لفن الطباعة، وكان الظهور الأول لكتب المقاتل في المطابع الحجرية الموجودة في مدينتي النجف وكربلاء، فيما ظهرت كتب المقاتل مطبوعة في أربعينيات القرن الماضي، ثم اطرده الاهتمام بطباعة كتب المقتل لا سيما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

ب- إن كتابة المقتل الحسيني فن ذو طبيعة أدبية إلى حدّ ما، وإن هذا الفن يعود إلى زمن الواقعة ذاتها حيث كان الناجون من عسكر الإمام هم أصدق الرواة وأوثقهم في نقل الأحداث، غير أن أقدم التدوينات التي وصلت إلينا عن كتب المقاتل هي التدوينات التي كتبها أبي مخنف ت 157هـ، وابن أعثم الكوفي ت 324 هـ، والخوارزمي ت 568 هـ.

ت- إن كتاب المقتل الحسيني وهو الكتاب الوحيد الباقي من كتب المؤرخ الشيعة المعروف أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي المنحدر من سلالة والنت الرسول الأكرم ثم عليا (عليه السلام) هو أقدم ما وصلنا من كتب المقاتل التي

تعود تاريخ كتابتها إلى زمن الحادثة حيث فقد مثلا الكتاب المنسوب للأصمغ بن نباتة، وهو معمر من معمر العربي، وأحد أصحاب الإمام علي الذي شهد معه صفين⁽⁵⁾.

ث- كما أن كتاب أبي مخنف هذا يعد من أكثر كتب المقاتل انتشارا فقد طبع طبعات عديدة في كل من المدن الآتية: النجف، كربلاء، بيروت، الكويت، قم، طهران، من دون أن يقع تحت أيدينا مطبوعا واحدا طبع في العواصم العربية الأخرى، كالقاهرة وعمان والرياض والرباط وتونس وغيرها.

ج- في حين اختلفت كتب المقاتل الأخرى في عدد طبعاتها التي تراوحت بين طبعة واحدة وأكثر من طبعة لكنها ظلت محافظة على مكان النشر مع زيادة مطردة عرفتها مدينة قم دون غيرها كما توضح القائمة، وذلك بسبب الدعم الحكومي لمثل هذه الكتب المستلهمة لمبادئ الثورة الحسينية، فضلا عن كثرة الطلب لهذه الكتب في هذه المدينة المعروفة بتعدد حوزاتها العلمية التي يقصدها طلبة العلوم الدينية من مختلف الأرجاء.

ح- توضح القائمة من خلال أسماء المؤلفين أو المحققين المختلفين بأن كتابة المقتل الحسيني هي عملية شبيهة إلى حد ما بكتابة أي جنس من أجناس الأدب المعروفة، فما أن يتوافر لكاتب المقتل القدرة والقابلية والمعرفة التاريخية اللازمة والمنضبطة حتى يقوم بذلك موظفا أسلوبه الخاص في إدراج الأحداث والحقائق بطريقة تستهوي المتلقي الذي يقصده هذا المؤلف، ويسعى إلى التأثير بوجدانه وعواطفه.

خ- وربما بسبب تنوع المتلقي واختلاف درجة وعيه التي على أساسها يتوجه كاتب المقتل؛ فإن اختلافا بينا نلاحظه في طريقة صياغة المقاتل وتشكيلها، إذ يوثق (المفكر نجاح الطائي) مثلا أسانيد مقتله الموسوم: مقتل الحسين وأنصاره بأسانيد من كتب التاريخ المعتمدة ويشذ هذا المقتل عن بقية المقاتل بالابتداء من تاريخ ولادة الإمام الحسين مما يجعل من مؤلفه هذا أقرب إلى البحث التاريخي المنهجي وبأسلوب قصصي سردي غلب عليه تحليل الأحداث وقراءتها بعين المفكر الناقد.

د- في حين كان المقتل الموسوم: مقتل سيد الشهداء وأهل بيته النجباء وأصحابه الأوفياء، ويليه مصرع الحسين في الأدب والقريض الشعبي، للشيخ محمود الشريفي مبتدئا بذكر فضل زيارة عاشوراء، وحافلا بذكر القريض الذي قيل في الإمام الحسين، فيما جعل نهاية المؤلف لذكر الشعر الشعبي الذي قيل في مصيبة سيد الشهداء! وربما كان الدافع التجاري سببا في ذكر هذا اللون من الشعر الذي يقبل عليه قراء المقاتل ومستمعوهم من الطبقات الشعبية المنتشرة في القرى والأرياف العربية في جنوب العراق وفي الأهواز.

ذ- أما الشيخ محمد حسين الجامعي صاحب المقتل الموسوم: أعظم المصائب في مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب فيعزز مؤلفه بإشادات العلماء وتقريظهم لكتابه الذي يقسمه إلى قسمين تاريخيين رئيسيين، الأول: من موت معاوية حتى غداة عاشوراء، ويشتمل على ثلاثة فصول تتعلق بحركة الامام الحسين من المدينة المنورة إلى كربلاء، والثاني: من غداة عاشوراء إلى مقتله (ع) ويشتمل على ثلاثة فصول أيضا، هي: قتال الأنصار، وقتال بني هاشم، ومقتل الإمام الحسين، ثم يختم مؤلفه بذكر الزيارة المنسوبة إلى الناحية المقدسة.

ر- ويضع آية الله العظمى محمد رضا الطبسي النجفي مؤلفه الموسوم: مقتل الإمام الحسين عليه السلام بعشرة أجزاء يسميها مجالس لتكون بعدد أيام عاشوراء.

ز- أما صاحب كتاب تذكرة الشهداء حبيب الله كاشاني فيجعل كتابه من خمسة أقسام (مجالس) ضم الأول كيفية قبول الشهادة في عالم الذر، وبحث الثاني بعض خصائل الحسين، وتعلق الثالث بذكر الترغيب في بكاء الحسين وتناول الرابع خروج الحسين من المدينة فمكة فكربلاء، وجعل الأخير خاصا بالحوادث المتأخرة عن استشهاد الإمام كحرق الخيام وسلب العيال ورحلة السبي والرجوع إلى المدينة ثانية.

س- ولم يرغب الأطفال-وهم أمل مستقبل الأمم- عن بال كتاب المقاتل، إذ من الممكن عد المقتل الموسوم: مقتل الإمام الحسين الميسر كتابا موجها للأطفال وللنشء بأسلوب سهل وبسرد تاريخي واضح ومزدان بالصورة التوضيحية الملونة والمجسدة للمشاهد المهمة من واقعة الطف، ولم تنس مؤسسة الفجر ببيروت، وهي التي نشرت هذا الكتاب أن تختمه بزيارة وارث.

ش- كشفت عنوانات كتب المقاتل عن تنوع في صياغة العنونة، فهناك من اكتفى بعبارة (مقتل الإمام الحسين) وحدها وهناك من أطل ونوع في هذه العبارة وهناك من اعتمد التسجيع في صياغة العنوان لجلب انتباه القارئ.

ص- إن ما تسعى إليه هذه الكثرة الوافرة من كتب المقاتل وتأليفها لا يمكن أن ينحصر في الاستذكار الرمزي لهذه الفاجعة المدمية والمؤلمة في التاريخ الإسلامي، وإنما يجب أن تقرأ هذه التأليف ضمن نظريات التواصل الحديثة التي تجعل من الملفوظ (فعل كلام) يتجاوز نفسه ليكون فعل اتصال قادر على إثارة المتلقي ودفعه من خلال الملفوظ اللغوي إلى تجذير انفعالات عاطفية ووجدانية خاصة، وإلى تثبيت قنوات عقائدية معينة، وإلى توطيد علاقة متلقيه من الأفراد بتراث المجموعة التي ينتمون إليها، وما إلى سوى ذلك من أمور أخرى⁽⁶⁾

الهوامش:

- 1 (ينظر، د . علي محمد ياسين: المقتل الحسيني جنسا أدبيا إسلاميا، مجلة دواة، مج1ع6 ، 2015، ص 11 وما بعدها.
- 2 (ينظر، المصدر نفسه، ص 12
- 3 (ينظر : طاهر آل عكلة: رأس الحسين.. من احتزّه؟ من طاف به؟ أين دفن؟ دار السلام، بيروت، ط1 2009م.
- 4 (السيد هاشم الناجي: جزاء أعداء وقتلة سيد الشهداء في دار الدنيا، مطبعة داننش، قم، ط1 1418هـ.
- 5 (ينظر، آغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط2 1988م، ج22، ص23-24.
- 6 (ينظر: د . علي محمد ياسين: المقتل الحسيني جنسا أدبيا إسلاميا، مجلة دواة، مصدر سابق، ص14.

المصادر والمراجع:

- آغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط2 1988م، ج22.
- د. علي محمد ياسين: المقتل الحسيني جنسا أدبيا إسلاميا، مجلة دواة، مج1ع6 ، 2015م.
- طاهر آل عكلة: رأس الحسين.. من احتزّه؟ من طاف به؟ أين دفن؟ دار السلام، بيروت، ط1 2009م.
- السيد هاشم الناجي: جزاء أعداء وقتلة سيد الشهداء في دار الدنيا، مطبعة داننش، قم، ط1 1418هـ.

**ثقافة سلوكيات القيادة الرؤيوية
في شخصية الإمام الحسين (ع)
دراسة في أنثروبولوجيا الإدارة**

أ.م.د. عدنان مطر ناصر

قسم الاجتماع - كلية الآداب
جامعة المنشى

م. جنان شهاب أحمد

كلية الإدارة والاقتصاد - قسم الإدارة
جامعة القادسية

The culture of visionary leadership behaviors
in Personality Imam Hussein
Study in the anthropology Administrative

Assistant Professor Dr

Adnan M. Nassir Al-Muthanna

University- College of Arts.

Department of sociology

lecturer

Jenan shehab ahmed

Al-Qadissiya University

ملخص البحث

شكل هذا البحث بكافة جوانبه اضافة علمية جديدة لاثرء المعرفة بالمفاهيم الحديثة للانثروبولوجيا الادارية ومنها القيادة الرؤيوية لدى احد ابرز رموز المسلمين، فاخذت من قيادة سبط رسول الانسانية (ص) الامام الحسين(ع) وممارساته ميدانا نستشرف منه مضامين ابعاد القيادة الرؤيوية والتي اخذ الغرب يتنبه لها مؤخرا، معتمدا منهجية علمية تستند الى افتراض اساس ان المكنوز الفكري والتطبيقي لقيادة المسلمين مستوعب لما جاءت به النظريات الحديثة في القيادة الادارية لا بل يتفوق عليها من خلال اربع مباحث جسدت مضمون البحث فاوضح المبحث الاول منهجية الدراسة، والثاني المرتكزات الفكرية للقيادة الرؤيوية، اما المبحث الثالث فكان المرتكزات الفكرية للامام الحسين بن علي ابن ابي طالب(ع) في حين كان المبحث الرابع ماخلص اليه البحث من نتائج وتوصيات.

Abstract

This study all aspects formed a new scientific breakthrough to enrich the knowledge of modern concepts of Administrative anthropology, including the visionary leadership of the Muslim symbols taken from the leadership of the tribe of the prophet of humanity of Imam Hussein and practice arena foresee him the contents of visionary leadership and dimensions, which took the West wakes her recently accredited methodology scientific based on the assumption the grounds that hoard intellectual and applied to the leaders of the Muslims comprehended what brought by modern theories in the administrative leadership does not even outdone by four Investigations embodied the content of the study He explained first topic methodology of the study, and the second the intellectual underpinnings of the leadership of visionary, while the third section was the cornerstones of intellectual Imam Hussein bin Ali Ibn Abi Talib while the fourth section study findings and recommendations.

ثقافة سلوكيات القيادة الرؤيوية

في شخصية الإمام الحسين (ع)

دراسة في أنثروبولوجيا الإدارة

أ.م.د. عدنان مطر ناصر

قسم الاجتماع - كلية الآداب

جامعة المنى

م. جنان شهاب أحمد

كلية الإدارة والاقتصاد - قسم الإدارة

جامعة القادسية

مقدمة:

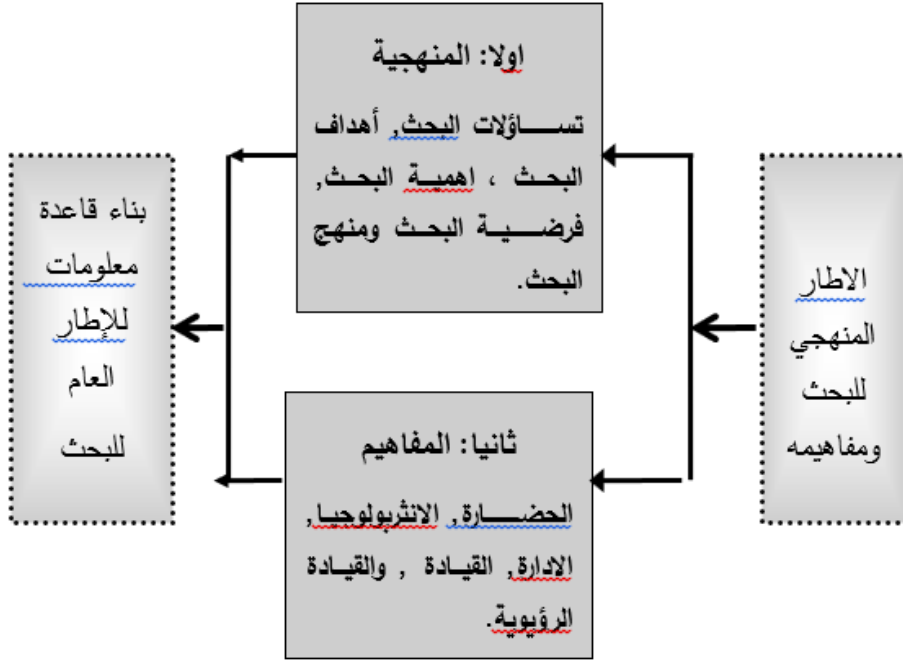
اعتبر الكثير من المفكرين الاجانب والعرب في العقود الاخيرة من القرن الماضي بان سمات القيادة الادارية ذات اصل غربي بحكم الحضارة العلمية التي سادت اوربا مؤخرا دون ان يمحسوا في حقيقة هذا القول، فصاروا ينظروا بان جذور القيادة الادارية الناجحة من الغرب بمؤشرات او دلالات لا اصل لها في الواقع العملي دون القيام بعملية واسعة في التنقيب والبحث في الارث التاريخي والثقافي الغربي والاسلامي ليروا بام اعينهم بان هذا المكتشف (الجديد- القديم) في الادارة هو من اصل اسلامي عربي وليس من ابداع العقل الغربي وعلى هذا الاساس جاءت فكرة الدراسة للبحث في اصول القيادة الادارية مركزا على القيادة الرؤيوية وابعادها تنقيبا وكشفا لها لدى مفكري الغرب وعظماء المسلمين، فاتخذت من قيادة وفكر الامام الحسين(ع) حقلًا لذلك.

المبحث الأول: منهجية ومفاهيم البحث:

يهدف هذا المبحث إلى توضيح المنهجية التي اعتمدت في البحث الحالي من حيث البناء النظري وصولاً إلى آليات وإجراءات التطبيق، فضلاً عن عرض المفاهيم ذات الارتباط المباشر بالبحث.

الشكل من إعداد الباحثين.

والشكل (1) يوضح أسلوب عرض المبحث:



أولاً: المنهجية:

1- تساؤلات البحث:

ينطلق البحث من التساؤلات الآتية:

- 1- ما هي المرتكزات الأساسية والمفاهيمية لموضوع البحث؟
- 2- ماهي الأبعاد السلوكية للقيادة الرؤيوية؟
- 3- ماهي مؤشرات أبعاد القيادة الرؤيوية في المجالين الفكري والتطبيقي للامام الحسين(ع) التي تدل على تجسيد الفكر الاسلامي لهذا الانموذج القيادي الحديث؟

2- أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث بالآتي:

1- التركيز على اهمية تكثيف جهود الكتاب والباحثين على دراسة فكر سيد شباب اهل الجنه وسبب الرسول الاكرم(ص) الامام الحسين(ع) وممارساته الميدانية التي تمثل قاعدة انطلاق فكرية لعموم أنشطة الحياة، لاسيما حقل القيادة في مجال الادارة .

2- حداثة نمط القيادة الرؤيوية الذي لايزال بكارا في الادب الغربي حيث لم تتبلور أبعاده بشكل متكامل لكنها في فكر الامام الحسين(ع) موجودة ومحددة وتحتاج الى من يسعى للبحث والتقصي عنها وتبويبها لدراستها بشكل منهجي.

3- أهداف البحث:

1- توضيح مفهوم الانثروبولوجيا، والقيادة الرؤيوية وابعادها في الفكر الاداري المعاصر.

2- تحديد ابعاد القيادة الرؤيوية في فكر الامام الحسين(ع) لتوضيح الجذور التاريخية التي جسدها الحضارة الاسلامية عن هذا النوع القيادي الحديث.

4- فرضية البحث:

تتحدث فرضية البحث عن تقديم الامام الحسين(ع) من نظريات وممارسات في القيادة تتطابق مع ما دعى اليه فكر الانثروبولوجيا الادارية المعاصر من ابعاد للقيادة الرؤيوية المتمثلة ب(الرؤية، التمكين، الاتصالات، والابداع) بل يفوقها.

5- منهج البحث:

يشار إلى منهج البحث بأنه تصميم يمكن من خلاله وضع الخطط لجمع المعلومات التي تجعل البحث يبين أغراضه بطريقة مبسطة ومترابطة ونظامية. ومما لا شك فيه إن موضوع البحث وأهدافه تلعب دوراً مهماً في اختيار منهجه، وعلى وفق أهداف البحث الحالي تم اختيار المناهج الآتية:-

أ- **المنهج التاريخي:** يهتم الأسلوب التاريخي أو الوثائقي بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار. ويستخدم هذا الأسلوب في دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن قصير أو طويل فهو مرتبط بدراسة الماضي وأحداثه كما قد يرتبط بدراسة ظواهر حاضرة من خلال الرجوع إلى نشأة هذه الظواهر والتطورات التي مرت عليها والعوامل التي أدت إلى تكوينها بالشكل الحالي. والأسلوب التاريخي مستمد من دراسة التاريخ حيث يحاول الباحثون فهم الحاضر من خلال دراستهم للأحداث الماضية والتطورات التي مرت عليها والأسلوب التاريخي يدرس الظاهرة القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها فيصفها

ويسجل تطوراتها ويحلل ويفسر هذه التطورات استنادا إلى المنهج العلمي في البحث الذي يربط النتائج بأسبابها وليس الهدف من هذا الأسلوب فهم الماضي فقط ولا شك أن فهم الماضي مفيد بحد ذاته ولكن الوقوف عند أحداث الماضي والإفادة منه في فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل ليؤدي إلى تحقيق هدف الإنسان في تطوير حياته وأساليبه فالأسلوب التاريخي إذن يدرس الماضي من أجل الاستفادة منه في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل (مرسلي: 2011، 8).

ب- المنهج الوصفي: يعد الخلاف بين علماء المنهجية في تحديد مفهوم المنهج الوصفي اشد من اختلافهم في تحديد مفهوم اي منهج اخر، وذلك بسبب عدم اتفاقهم اساسا على الهدف الذي يحققه المنهج الوصفي، وهل هو وصف مجرد للظاهرة المدروسة؟ ام انه يتجاوز الوصف الى توضيح العلاقة ومقدارها، ومحاولة اكتشاف الاسباب الكامنة وراء الظاهرة. فيرى البعض ان المنهج الوصفي هو اسلوب من اساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن الظاهرة المدروسة او موضوع محدد من خلال فترة او فترات زمنية معلومة وذلك من اجل الحصول على نتائج عملية يتم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة، وتعتبر وحدة (الفكرة) من ادوات التحليل الوصفي الملائمة جدا لتحليل مضامين الادبيات الفكرية ومنها الادارية والقيادة الرؤيوية (العزاوي، 2008:97).

ولتحقيق آلية ماتقدم تم قراءة المصادر العلمية الخاصة بفكر الامام الحسين(ع) والفكر الانثروبولوجي الاداري المعاصر مع تصنيف الافكار والطروحات او الممارسات في ابعاد محددة لمحاكاة هذه الابعاد مع بعضها بالاستناد الى منهج (الفكرة).

ثانيا: المفاهيم:

1- الثقافة: اختلف الانثروبولوجيون في كيفية تعريف الثقافة بدقة، فهناك رؤى مختلفة حول دورها في السلوك البشري، وذلك بسبب عدم تطوير نظرية كاملة عنها حتى الوقت الحاضر. فاذا نظرنا الى مفهوم الثقافة في المعاجم العربية نجد انها اتت من الاصل اللغوي (ثقف) والتي تعني صار حاذقا فطنا، وثقف الانسان ادبه وهذبه علمه، ثم نحتت كلمة الثقافة وقصد بها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها، واستعملت الكتابات الانثروبولوجية الكلمة بمعنى واسع، اذ يشمل كل انجازات العقل البشري بل وكل مايصدر عن الانسان من قول أو فعل أو فكر وكل ماكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد واساليب للسلوك وقيم تسود في المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا المعنى أوسع بكثير مما جاء في المعاجم العربية (ابو زيد، 2004، 14)، ومن أقدم تعريفات الثقافة واشملها نجد تعريف

السير (ادوارد تايلور) في كتابه (الثقافة البدائية) الذي طبع في عام 1871 وتوالت طبعاته في القرن الماضي وهو يرى ان الثقافة هي الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان فهو عضو في مجتمع وكل ما اوجده الانسان على الارض من مخترعات ومبتكرات (مؤنس، 1998، 394)، وهذا التعريف على بساطته نستطيع ان نستخلص منه بعض العناصر الهامة التي تميز الثقافة بانها (كل مركب) وهذا الكل يتألف من عدد من المكونات التي قد تختلف في طبيعتها ولكنها تندمج معا في وحدة عضوية متماسكة ومتكاملة.

2- الانثروبولوجيا:

ان لفظة الانثروبولوجيا (Anthropology) كلمة انكليزية مشتقة من الاصل اليوناني المكون من مقطعين: انثروبوس (Anthropos) ومعناها الانسان، ولوجوس (locos) ومعناها علم وبذلك يصبح معنى الانثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الانسان" أي العلم الذي يدرس الانسان. ولذلك تعرف الانثروبولوجيا بانها العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ويقوم باعمال متعددة ويسلك سلوكاً محدداً، وهو ايضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة ويحاول التنبؤ بمستقبل الانسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الانساني الطويل، ولذا يعتبر علم دراسة الانسان علما متطورا يدرس سلوك الانسان واعماله (الشماس، 2004: 9-10).

3- الادارة:

لا يمكن القول بوجود تعريف واحد متفق عليه بين كافة الكتاب والباحثين في مجال الادارة، وانما تعددت تعريفات الكتاب وتباينت في عديد من جوانب تركيزها بحيث عكست معاني كثيرة للادارة. فمنهم من عرفها بالعملية ذات الوجهين احدهما العلم والآخر الفن. ويتمثل العلم في مجموعة القوانين والنظريات والمبادئ الادارية. بينما يتمثل الفن فيما يتمتع به الافراد من مواهب وقدرات ومهارات والتي تمكنهم من الاختيار والتنفيذ السليمين من بين مجموعة النظريات والقوانين والمبادئ المتاحة ولا بد للادارة الناجحة من الجمع بين الاثنين (العلم والفن).

ويعرفها البعض على انها الشرارة الحيوية التي تهتم بوضع الاهداف وتحقيقها عن طريق قيادة وتوجيه وتنسيق العمل بين مجموعة الافراد وتنمية قدراتهم وتخطيط وتنظيم ورقابة عمليات التنفيذ للتأكد من اتجاهها نحو تحقيق الاهداف (محمود، 2011: 24-26).

4- القيادة: leadership concept.

ترتبط أصول القيادة في الفكر اليوناني القديم بالمصطلح Lead بمعنى يبدأ أو يقود أو يحكم، أما كلمة قائد Leader فتعني الشخص الذي يوجه أو يرشد أو يهدي الآخرين، بمعنى أن هنالك علاقة بين شخص، وأشخاص آخرين يقبلون التوجيه (Chin et al.، 5385: 2010)، وجاء في لسان العرب لابن منظور ان القيادة مشتقة من الفعل قاد، يقود، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها، فالقود من الأمام والسوق من الخلف، ومنها الانقياد ومعناه الخضوع ومنها قادة جمع قائد (ابن منظور، 2000: 315)، هذا بالنسبة لمعنى القيادة لغةً أما اصطلاحاً فتعددت تعريفات القيادة في أدبيات الإدارة بحسب المجالات والمنطلقات الفكرية الرئيسية للباحثين والكتاب، وقد أخذت القيادة إطارها الحقيقي في مجال الإدارة في النصف الثاني من القرن العشرين إذ عدت من المجالات التنظيمية البارزة التي تحتل أهمية كبيرة عند علماء السلوك التنظيمي وذلك لمساهماتها المباشرة في تحديد طبيعة المناخ التنظيمي السائد وأنواع العلاقات القائمة بين أفراد المنظمة (Noi & Daft، 379: 2001)، وهناك تعريفات أكدت تركيز القيادة على الرؤى المستقبلية والمتمثلة بقدرة القائد في التأثير بالتابعين من خلال توضيح الرؤى الإستراتيجية وحثهم على الإيمان بها وفهمها والاعتماد على القيم التي تدعم الأفكار والرؤى للتأثير في سلوك الآخرين (Hill، 2001:1).

5- القيادة الرؤيوية: Visionary Leadership Concept

يمكن القول أن من موجبات القيادة ضرورة توجيهها المستقبلي بالاعتماد على الأفراد العاملين لديها، وبذلك تضمن التأثير عليهم لينتقلوا من واقع منظماتهم الحالي إلى مستقبل يتواءم وتوجههم ورؤيتهم المستقبلية، لكن نظرة القادة تتباين على اختلاف رؤاهم لما هو مقصود بالتوجه المستقبلي.

وتبعاً لعدد من القادة التقليديين، فإن الانتقال إلى الواقع المستقبلي هو مجرد إجراء روتيني للوصول إلى هدف، كما هو الحال في قيادة سيارة على طريق معتاد، أما الرؤيويين فإنهم يرون أن هناك حاجة لوضع رؤى وأهداف وطريقة وصول ممكنة التحقيق وبصورة استثنائية غير معتادة، إن مثل هؤلاء القادة يدركون تماماً الاختلافات الأساسية بين الطريقة التي تسير عليها الأمور الآن وما يجب أن تكون عليه مستقبلاً، هم يدركون تماماً حالات العجز والقصور التي تهيمن على الوضع الحالي ولديهم الرغبة الشديدة والولع في الوصول إلى الوضع الامثل عن طريق استباقهم الأحداث واستشراف العوامل المؤثرة على المستقبل، عادة ما يطلق على هؤلاء بالقيادة الرؤيويين.

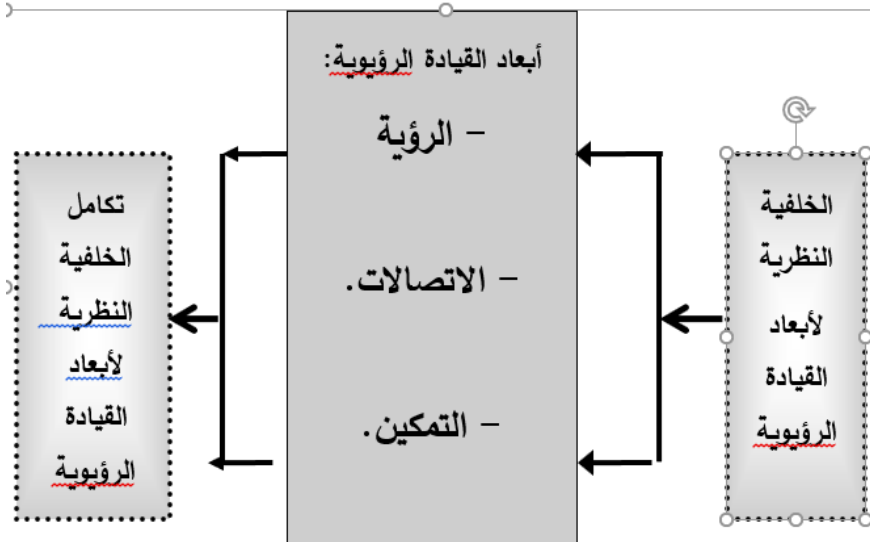
وفي هذا السياق ورد في الأدبيات التي اعتنت بالموضوع العديد من التعاريف التي تحدد مفهوم القيادة الرؤيوية، فقد عرف (Colton، 1995، 37) (

القيادة الرؤيوية بأنها تلك القيادة التي تضع الغايات والأهداف للأفراد والمجاميع، التي لا تشخص ما نحن عليه فقط ولكن أيضاً ما نطمح أن نكون عليه مستقبلاً من خلال استشرافها للبيئة المحيطة بها ومحاولة بناء الفرص المستقبلية وفق واقع البيئة الحالية من خلال تفويض وتمكين التابعين لديها، أن القائد الرؤيوي وفق نظرة Colton هو الذي يلهم (Inspire) ويتحدى ويقود ويوجه ويُمكن، وفي التوجه نفسه ذهب (Nanus، 1992، 101) إلى أن القيادة الرؤيوية هي القيادة التي لا ترى العالم بالأبيض والأسود وإنما تعمل في الميادين الرمادية وأنها تسعى لتحقيق الأهداف من خلال عدم التأكد والضبابية والسعي لمشاركة ومكننة العاملين لتحقيق أهداف منظماتها وتوجهاتها. في الوقت الذي يجد (Fullan، 2002، 113) القيادة الرؤيوية من خلال القائد الرؤيوي الذي يُعد المعلم الكبير الذي يمتلك القدرة على الإيصال وإقناع الأتباع، وإلهامهم للعمل وتمكينهم من القيام بالأعمال من أجل تحقيق الرؤية بكل حماسة وجد، ووصفها أيضاً بأنها القدرة على زرع الرغبة الحقيقية في الأتباع لتحقيق الغايات.

المبحث الثاني: المرتكزات الفكرية لأبعاد لقيادة الرؤيوية:

يهدف هذا المبحث إلى توضيح الخلفية النظرية لأبعاد القيادة الرؤيوية، والشكل (2) يوضح أسلوب عرض المبحث:

الشكل (2) أسلوب عرض المبحث الثاني - الشكل من إعداد الباحثين.



- الأبعاد السلوكية للقيادة الرؤيوية في الفكر المعاصر:-

شهد العصر الحالي تطورات ودراسات عديدة حول تحديد أبعاد القيادات الرؤيوية، فنجد اتفاق من قبل اغلب الباحثين وفق ماتيسر من المصادر التي تم الحصول عليها حول أبعاد محددة لاعتقادهم بإمكانية توظيف هذه الأبعاد لبناء قيادة رؤيوية.

إذ نجد اتفاق كل من (Kouzes & Posner)، 2002، (96 و Safi)، (2003 و Admes)، (2005 و Wofford)، (2004 و Vandenberg)، (Sadmann، 1995) على الأبعاد التي جاء بها (Mintzberg، 1989، 292-304). ونلاحظ اتفاق (Kouzes & Posner)، 1995، (96 و Admes)، (2005 و Safi)، (2003) على الأبعاد المحددة كافة من قبل (Mintzberg، 1989، 292-304) وكالاتي:

1. الرؤية Vision.
2. الاتصالات Communication.
3. التمكين Empowerment.
4. الابداع Creativity.

أولاً: مفهوم الرؤية (Vision Concept)

يشير المعنى الاصطلاحي لكلمة الرؤية على وفق ما ورد في قاموس (Webster) بأنها القدرة على رؤية شيء لا يمكن رؤيته إلا من خلال التصور الذهني والإدراك والمقارنة (Wilson)، 1992، (18). ويشير (النعمي، 2003، 4) إلى أن الرؤية "لا تعني الهدف وإنما هي نقطة موجهة تدل (ترشد) حركة المنظمات باتجاه معين". في حين يرى (السويدان، 2004، 69) بأن القيادة الرؤيوية هي صورة ذهنية تصف الحالة المستقبلية المرغوبة، أنها القدرة على رؤية إلى ما بعد الواقع أي القدرة على أن نبذع ونخترع ما لم يوجد كي نصل إلى ما لم نصل إليه بعد.

يعرف (ميرخان، 2003، 54) الرؤيوية بأنها التفكير والتصوير الذهني للحالة المستقبلية لتوجيه المنظمة، وتتأطر في ضوء معتقدات الإدارة العليا وقيمها وسلوكها بالشكل الذي ينسجم مع متغيرات البيئة المستقبلية، ويصف (Daft، 2003، 105) بأنها فن تصور الأشياء غير المنظورة وأنها قلب الإستراتيجية. ويعرف (السالم، 2005، 72) الرؤيوية بأنها المسار المستقبلي للمنظمة الذي يحدد الوجهة التي ترغب في الوصول إليها،

ويجد (حمود واللوزي، 2008، 336) الرؤيوية بأنها تشير إلى المستقبل الذي يتأمل الشخص في بنائه أو تحقيقه بهدف تحسين الأوضاع الحالية.

1-1: أبعاد شخصية القائد الرؤيوي.

ترتبط العملية القيادية بالعديد من المواصفات والقدرات التي يتسم بها القائد الرؤيوي، وهي التي تتركز هذه الصفات حسب وجهة نظر العديد من الباحثين والكتاب المعنيين بموضوع القيادة الرؤيوية بما يأتي:

ا. قوة التخيل.

إن قوة التخيل هي إحدى الصفات المميزة للقادة الرؤيويين وقد أصبح هذا المفهوم أي قدرة التخيل جزءاً من ثقافة العديد من الشركات وتطور في العديد من المنظمات المختلفة وقد تحول بالنسبة للعديد من المنظمات من تخيل إلى أمر ممكن ثم إلى أمر واقع (Seth Kahan، 2002، 5)، إن قدرة التخيل هذه قد حققت النجاح للعديد من المنظمات اليابانية وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إذ إن قدرة التخيل هي ليست منبثقة من مجرد تخيل غير قابل للتطبيق فهي نابعة من تخيل ابتكاري يستند على أرض الواقع، وبهذه الطريقة تمكنت العديد من المنظمات اليابانية من إحراز التقدم من خلال ابتكار العديد من الصناعات www.lieghbureau.com.

عليه يمكن القول انه من الضروري أن يكون القائد الرؤيوي قائداً تخيلياً يستطيع استعمال التخيل والمهارات التصورية للتفكير بما وراء الأفكار المقبولة لما هو عملي، وما هو التطبيق الفوري الحاصل في الأوضاع الراهنة لغرض استنتاج الأفكار التي تصلح لمستقبل أفضل وهذا ما وجدناه في المنظمات اليابانية عندما استطاعت التقدم في صناعات عدة بعد الحرب العالمية الثانية.

ب. قوة استنباط الرؤية من التخيل.

من الصفات المهمة للقائد الرؤيوي هي قدرته على استنباط الرؤية من التخيل واقتراح (Glickman، 1998، 59) ان تنتج الرؤية للقائد تنتج من ممارسة التخيل الفكري الشعوري، ان التخيل الشعوري يشير إلى ميل الفرد لرؤية العالم، في هذه الحالة فان المنظمة والنشاطات المرتبطة بها بحاجة إلى عدم بقائها على ما هي عليه، وهذا يعني إمكانية القيادة وقدرتها لتحريكها نحو الأفضل وتطويرها.

ومن وجه نظر الباحثين فالرؤية التي يمتلكها القائد لا بد أن تتصف بقدرة تخيلية واضحة ومتكاملة توفر طرقاً إبداعية لتحسين أداء المنظمات وان هذه الرؤية يجب أن تستخلص وتنبثق من التجارب السابقة وتنبثق منها ولكنها تتجاوز التقاليد وتسعى لربط الماضي بالفعل والذي سيتخذه الأفراد لتحقيق التغيير.

ج. قدرة تحمل المسؤولية الاجتماعية.

من أهم ما يميز القائد الرؤيوي وحسب وجهة نظر (Kotter & Heskett، 1992، 65) هو تحمل المسؤولية الاجتماعية وهذا يمكن أن يتجسد من خلال نوعية وجودة الخدمات التي تقدمها منظماتهم وجودتها، كذلك العناية بطريقة لا تؤثر فيها على البيئة، فضلاً عن دور المنظمة في التنمية الاجتماعية في البلد الذي تنشط فيه وهذا ما فعلته شركة (Anita Riddick) التي وضفت بلايين الدولارات في نشاطات صناعة مواد التجميل في العالم وتمتلك هذه الشركة اليوم ما يزيد عن (1700) متجر يقدم الخدمة أكثر من (84) مليون زبون في (49) سوقاً مختلفة.

د. التحفيز.

يعد التحفيز اليوم من ضروريات عمل المنظمات، إذ أصبح فنا يدرس ويعلم ولم يعد قضية ترتبط بالنواحي الطبية والاحتساب فقط، هناك العديد من الباحثين المعنيين بالتحفيز وظهر العديد من النظريات حول التحفيز تنفق أغلبها على أن التحفيز هو وصول العاملين في منظمة ما إلى حالة الشغف والتلهف والسرور بإعمالهم، إي تحريك العاملين لأداء العمل ذاتياً (السويدان، 2004، 95). ويُعد التحفيز من أحد مظاهر القيادة الرؤيوية التي تتمثل بقدرة القائد الرؤيوي على تحفيز التابعين وإلهامهم من خلال ربط أهداف المنظمة باحتياجات الأفراد وقيمهم واهتماماتهم والاحتكام للغة إقناع ايجابية، وينشأ التحفيز كذلك من خلال تحقيق انتصارات على المدى القصير والطويل. ويستلزم تحقيق الانتصارات الاعتراف بشكل واضح بكفاءة العاملين ومكافاتهم لأنهم جعلوا تحقيق الانتصارات ممكناً (Kouzer & Posner، 2002، 173)، وقد ركز (Nadler، 1998، 196) على تحفيز العاملين وإلهامهم وذلك للوصول إلى لنتائج ايجابية لذا يعمل على مساعدة العاملين من خلال التأثير على سلوكهم وبشكل مباشر من خلال الاعتماد بشكل رئيسي على المكافآت المالية، والتقدير والاعتراف بأدوار العاملين وجهودهم في نجاح المنظمة وتطورها.

هـ. قوة الشخصية.

أكد (Cline M. O'Neill، 1997)،

(www.boulderassociates.com/firm/leadership)

www.pda-us.com

على أن أهم صفة يتصف بها القائد الرؤيوي هي قوته للقيادة الشخصية، على الرغم من إننا جميعاً نواجه وباستمرار تحديات تمثل مسؤولية صعبة في بناء

التوازن بين العديد من أوجه حياتنا سواء بإبعادها المادية والجسمية والذهنية والعاطفية والروحية.

وان التوجه المفرط نحو اتجاه واحد في حياتنا ببناء نوعاً من حالة عدم التوازن والاستبعاد، ومثال ذلك التركيز المفرط على العمل واستبعاد الجوانب الروحية والعاطفية والجسمية والعلاقات العامة، مما ينعكس ويؤثر على ميادين التطوير البشري، لذلك فان مهارات القيادة الشخصية بالنسبة للقائد الرؤيوي.

ثانياً: الاتصالات (Communication).

نشأت الاتصالات منذ نشأت الحياة على الكرة الأرضية، فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي يحتاج للتواصل مع غيره من بني جنسه لمواجهة قوى الطبيعة، وللتفاهم حول أساليب المعيشة وطرائقها، وقد تنوعت في ذلك الوقت طرق الاتصال سواء بالإشارات أو الرموز التي تدل على اقتراب الخطر والاستعداد للحرب أو غيرها من الوسائل الاتصالية التي كانت في ذلك الوقت (عزت، 1992، 132). فالاتصالات لغة من وصل الشيء بالشيء وصلأ وصله ووصولاً وصله: أي بلغه وانتهى إليه، وأوصله واتصل: أي لم ينقطع عنه (الفيروز آبادي، 1987، 138)، أما الاتصالات في الاصطلاح (Compunction) فمشتقة من الأصل اللاتيني (Communare) التي تعني جعل الشيء عاماً (To Make Common)، أو تقاسم الشيء (To Share)، أو نقله (To Transmit) (العدواني، 1998، 137).

ونجد لدى العديد من الباحثين آراءً حول توضيح مفهوم الاتصال، إذ يرى (المطيري، 1990، 193) أن الاتصال هو تلك العملية الهادفة إلى نقل وتبادل المعلومات في حركة مستمرة بين مختلف المستويات في التنظيم الإداري وعلى أساس هذه البيانات المتبادلة ودرجة ديناميكياتها تتخذ القرارات الإدارية، وإذا توقفت أو ضعفت تأثرت الإدارة بالضرورة نتيجة لذلك، أما (العثيمين، 1993، 6) فيجد الاتصالات بوصفها نقل وتبادل وتفهم المعلومات والآراء والمشاعر، توحيداً للفكر واتفاقاً للمفاهيم، بهدف تحقيق أهداف معينة، أما (العديلي، 1995، 501) فيرى أن الاتصال هو عملية سلوكية بين إنسان وآخر، أو بين مجموعة من الأفراد وآخرين، تتضمن معلومات وأفكار تستعمل عدة أساليب في سبيل تحقيق أهداف مرغوبة، في حين يشير (عودة، 1996، 81) أن الاتصال ما هو إلا سلوك أنساني اجتماعي تبادلي يقوم من خلاله طرف ما (المرسل) باستخدام الرموز الشفاهية أو الكتابية أو المرئية أو الصوتية أو غير اللفظية لأجل توفير ونقل وتوصيل معلومات أو آراء أو أفكار أو خبرات (موضوع الاتصال) إلى طرف أو أطراف آخرين (المستقبل أو المستقبلين)، ذلك بغرض الأعلام أو الحصول على استجاباتهم أو التأثير في سلوكياتهم أو تحريكها نحو وجهة معينة، والوصول إلى وحدة فكر بين الأطراف جميعها، وفهم مشترك لموضوع الاتصال، بينما وجد

(النعيمة، 2008، 56) أن الاتصال هو فن مهارة التواصل مع الآخرين، عن طريق الاستماع لأرائهم ونقل الأوامر والتوجيهات وتبادلها مع الأفراد والتشكيلات في المستويات الأعلى والأدنى داخل المنظمة، في بناء العلاقات وتوطيدها مع الجهات الخارجية - سعياً باتجاه تحقيق الترابط والتجانس بين الأطراف المختلفة لانجاز الأهداف المطلوبة في أفضل صورة ممكنة.

وبعد تبين أهم ما ذكره بعض مفكري الإدارة حول الاتصالات نجد إن الاتصالات كبعد للقيادة الرؤيوية ما هي إلا عملية التواصل والتبادل بين أطراف متعددة أو بين طرفين أحد هذه الأطراف يكون مرسلاً للمعلومات أو الأفكار والأوامر والآخر هو مستقبل لهذه الأفكار، من خلال اعتماد الطرفين على مجموعة متعددة من الوسائل يتم اختيارها على وفق ما يتناسب وإيصال المعلومات بدقة ووضوح وبدون غموض وبلغة يسهل فهمها من الطرفين، في ضوء دراستنا الحالية نجد أن الأطراف المشاركة في الاتصال هي: (القيادة الرؤيوية مع التابعين، بصفتها مرسل ومستقبل بصورة تبادلية العلاقة، بمعنى يمكن أن يكون المرسل في وقت ما هو مستقبل في وقت آخر)، وعادة ما يكون مضمون أو محتوى الرسالة هو محاولة إيصال الرؤية من قبل القائد إلى التابعين بصورة تمكنهم من تنفيذ هذه الرؤية على وفق ما هو محدد لها.

ثالثاً: التمكين Empowerment.

ورد في الأدبيات التي عنت بموضوع التمكين العديد من التعاريف التي تحدد أطر التمكين من إذ المفهوم والأبعاد والفلسفة، ومن التعاريف المهمة للتمكين هو ما قدمه كل من (Bowen & Lawler، 1992، 31) والذان يعدان من الرواد في العناية بظاهرة التمكين، فقد أكدوا أن المقصود بالتمكين عند المستوى العملي والتشغيلي مشاركة المعلومات مع الأفراد العاملين في الخط الأول بخصوص أداء المنظمة والمعلومات الخاصة بالمكافآت المرتبطة بأداء المنظمة وكذلك المعرفة التي تمكن الأفراد من فهم الأداء المنظمي والمشاركة فيه مع منح العاملين قوة اتخاذ القرارات المؤثرة في التوجه المنظمي، أما دراسة (Ivancevich، et. al، 1997، 488) وزملائه فتؤكد على أن التمكين هو عملية تعزيز اندماج الأفراد في أعمالهم، لاسيما التصميم والتدفق والتفاعلات وصنع القرارات.

أما المفهوم الذي أورده (Griffin، 1999، 499) عن التمكين فهو عملية تأهيل الأفراد العاملين لتحديد أهداف العمل الملقاة عليهم مسؤولية إنجازها وصنع القرارات اللازمة لذلك واتخاذها، فضلاً عن حرية التصرف في معالجة المشكلات التي تواجههم وحلها ضمن مجالات السلطة والمسؤولية المتاحة لهم من قبل المستويات الإدارية الأعلى، وعرفه (Robbins، 2002، 9) بأنه إعادة تشكيل العلاقة بين القادة وأولئك الذين هم مسئولون عن قيادتهم، وغالباً ما يطلق

على القادة في ضوء هذه العلاقة مصطلحات مثل(الناصحون والمدربون والراعون أو المنسقون) ويطلق على التابعين في ضوء ذلك بالمشاركين. وتتميز هذه العلاقة بعدم وضوح الحدود بين أدوار القادة والعاملين، وأكد روبنس أن صنع القرار قد تم تحويله في هذه العلاقة من الأدنى نحو الأعلى وبتجاه مستوى التشغيل إذ يعطى العاملين حرية صنع القرارات والمشاركة في اتخاذها وحل المشكلات فيما يخص العمل. ضمن التوجه نفسه يجد كل من (حمود واللوزي، 2008، 256) بأن التمكين ما هو إلا القدرة على انجاز الأداء الذي يحول إلى إقصاء القيود كافة غير ضرورية أمام العاملين في انجاز أدائهم، وهو بهذا المفهوم يعني إزالة مسؤولية ورقابة من قبل الإدارة إلى رقابة مجموعة العمل كما أنها تتضمن إزالة سبل الرقابة عبر مفهوم الثقة بالعاملين وإطلاق طاقاتهم وفعاليتهم نحو الانجاز.

من خلال المفاهيم السابقة نستنتج بأن التمكين هو عبارته عن تفويض الصلاحيات للأفراد وخلق العمل بإعطائهم المزيد من الحرية لأداء مهامهم بما يقل اعتمادهم على الإدارة في إدارة نشاطهم ويعطيهم السلطات الكافية في مجال المشاركة في صنع القرارات واتخاذها.

رابعا: الإبداع Creativity .

يؤكد معظم الباحثين على أن العناية بالتفكير الإبداعي يعبر عن حاجات المجتمعات لزيادة وتنمية ثروتها البشرية من العلماء والقادة والإداريين، ويرى الكثير من المعنيين بهذا المجال أن الإبداع عملية أساسية في التنمية والتقدم، إذ انتقل مركز العناية من مجرد توجيه العناية بالشخص الذي لديه القدرة على النقد والتحليل، إلى العناية بالشخص الذكي الذي لديه القدرة على إعطاء الأفكار الجديدة والمتنوعة لحل المشكلات التي تعترض منظماتنا، وذلك بهدف مواجهة تحديات العصر، وعلى عاتق هؤلاء المبدعين (القادة والمرووسين) عبء تطوير منظماتهم وتقديمها متحملين في ذلك الكثير من المصاعب والمشاق النفسية والاجتماعية (عبادة، 2002، 5).

فالإبداع لغة (هو مصدر للفعل أبداع إي ابتكر، كما جاء في المعجم الوسيط هو من بدعه بدعاً أي أنشأه على غير مثال سابق، وبدع صار غاية في صفته خيراً كان أو شراً (فضل الله، 1986، 79)، أما الإبداع في اللغة الانكليزية فإن كلمة (Innovation) جاءت في اللاتينية (Innovate) والتي تعني يجدد وجاء في معجم العلوم الاجتماعية أن كلمة إبداع ويعني (إي فكرة أو سلوك أو يعني جديداً يختلف نوعياً عن الأشكال الموجودة (الدهان، 1989، 15). وقد رأى (Drucker، 1985، 30) الإبداع بأنه عملية تغيير في ناتج الموارد، أو بلغة الاقتصاد والتغيير في القيمة، الرضا الناتج عن الموارد المستخدمة من قبل المستهلك. ويحدد (Gillfoord) الإبداع بأنه عملية ذهنية تتضمن الطلاقة،

والمرونة، والأصالة والإثراء بالتفاصيل (Lytton، 1985، 45). وقد وجد العالم (Torunce) أن الإبداع ما هو إلا عملية الإحساس بالمشكلات أو الثغرات في المعلومات وصياغة الأفكار أو الفروض فضلاً عن اختيار وتعديل هذه الفروض، وإيصال النتائج، وهذه العملية تقود إلى العديد من الانتاجات المتنوعة اللفظية وغير اللفظية الحسية المجردة (المعاني، 1990، 43)، وأوضح (هيجان، 1999، 18) بأن الإبداع عبارة عن قدرة عقلية تظهر على مستوى الفرد أو الجماعة أو المنظمة إذ انه عبارة عن عملية ذات مراحل متعددة ينتج عنها فكرة أو عمل جديد يتميز بأكبر قدر من الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات والاحتفاظ بالاتجاه ومواصلته.

وعليه يعرف الإبداع المبادأة التي يبديها الفرد في قدرته عن التخلي عن السياق العادي للتفكير، وإتباع نمط جديد من التفكير.

وبناء على ماتقدم ذكره من اراء الباحثين والكتاب حول سلوكيات القيادة الرؤيوية المتمثلة بـ (الرؤية، التمكين، الاتصالات، والابداع) نستنتج الى ان هنالك علاقة طردية بين القيادة الرؤيوية وزيادة فاعلية المنظمة في مواجهة أي صعوبات او مشاكل اذ يهتم القائد بدوافع وحاجات المرؤوسين ويتكيف معهم بحسب تلك الحاجات والدوافع اذ انه انموذج جيد في قيادة المرؤوسين داخل المنظمة من خلال استخدامه تلك السلوكيات.

المبحث الثالث: المرتكزات الفكرية للإمام الحسين (ع):

اولاً: نبذة عن حياة الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام):

ولد الإمام الحسين (ع) بالمدينة في الثالث من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت مدة حملته ستة أشهر، و لما ولد جاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستبشر به و أذن في أذنه اليمنى و أقام في اليسرى فلما كان اليوم السابع سماه حسينا و عق عنه بكبش و أمر أن يخلق رأسه و يتصدق بوزن شعره فضة كما فعل بأخيه الحسن (عليهما السلام). كنيته: أبو عبد الله لقبه: الرشيد و الوفي و الطيب و السيد الزكي و المبارك و التابع لمرضاة الله و الدليل على ذات الله و السبط و أعلاها رتبة ما لقبه به جده صلى الله عليه وآله في قوله عنه و عن أخيه الحسن أنهما سيذا شباب أهل الجنة و كذلك السبط لقوله صلى الله عليه وآله حسين سبط من الأسباط. اما نقش خاتمه: (حسبي الله و أن الله بالغ أمره) و لعله كان له عدة خواتيم هذه نقوشها.

كرمه و سخاؤه عليه السلام: دخل الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد و هو مريض يقول و اغماه فقال و ما غمك قال ديني و هو ستون ألف درهم فقال هو علي قال إني أخشى أن أموت قبل أن يقضى قال لن تموت حتى أقضيها عنك فقضاها قبل موته. و روى ابن عساكر في تاريخ دمشق أن سانلا خرج

يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب و أنشأ يقول: لم يخب اليوم من رجاك و من حرك من خلف بابك الحلاقة فأنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقة و كان الحسين واقفا يصلي فخفف من صلاته و خرج إلى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرر و فاقة فرجع و نادى بقنبر فأجابه لبيك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما تبقى معك من نفقتنا؟ قال مائتا درهم أمرتني بتفريقها في أهل بيتك فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها و خرج يدفعها إلى الأعرابي و أنشأ يقول: خذها فإني إليك معتر و اعلم بأني عليك ذو شفقهلو كان في سيرنا الغداة عصا كانت سمانا عليك مندقهلكن ريب الزمان ذو نكد و الكف منا قليلة النفقة فأخذها الأعرابي و ولى و هو يقول: مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا و أنتم أنتم الأعلون عنكم علم الكتاب و ما جاءت به السور من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في جميع الناس مفخر.

قتل عليه السلام شهيدا في كربلاء من أرض العراق عاشر المحرم سنة 61 من الهجرة بعد الظهر مظلوما ظمان صابرا محتسبا. قال المفيد يوم السبت و الذي صححه أبو الفرج في مقاتل الطالبين أنه استشهد يوم الجمعة لعمر 57 سنة عاش منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين أو سبع سنين و شهورا و مع أبيه أمير المؤمنين 37 سنة و مع أخيه الحسن 47 سنة و بعد وفاة أخيه نحو عشر سنين و هي مدة خلافته و إمامته (الطائي، بلا: 1-32).

ثانياً: سلوك و ممارسات الامام الحسين (ع) في القيادة:

ان الانسان المعاصر اصبح يفكر بطريقة مختلفة عن الماضي و يحتاج الى ان يفهم الاسلام بأدوات تفكيره، لان الذهنية لغة و لا تستطيع مخاطبة ذهنية الانسان الا باللغة التي يفهمها و المفردات التي يتصورها، و على هذا الاساس يجب تطوير اسلوب طرح الفكرة الاسلامية باللغة التي يفهمها الانسان المعاصر و التي يشعر الفرد المسلم بالاكتماء اسلاميا من خلال النماذج الطاهرة التي يمتلكها تاريخه الاسلامي و عليه سوف يتم عرض ماتيسر جمعه من بحر ممارسات الامام الحسين (ع) المجسد لأبعاد القيادة الرؤيوية قبل (1400) عام.

1- بعد الرؤية في سلوك الامام الحسين (ع):

كان للإمام الحسين خطبة في يوم عاشوراء قال فيها (ايها الناس قال رسول الله (ص) من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله ناكثا عهده، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان، فلم يغير عليه بفعل او قول، كان حقا على الله ان يدخله مدخله، الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تولوا عن طاعة الرحمن، و اظهروا الفساد و عطلوا الحدود، و استأثروا بالفئ، و احلوا حرام الله، و حللوا حرامه) (الستر اوي، 2004: 33) فمن هذه الخطبة نستنتج ان للإمام الحسين رؤية مستقبلية و التي انطلق منها الانبياء العظام لهداية مجتمعاتهم مستندة

على قاعدة اصلاح الانحراف في المجتمعات وهي قضية مشتركة في كل المجتمعات التي بعثوا اليها، فليست مسألة التوحيد أو انكار الخالق هي الاساس، لان بعض المجتمعات كانت تؤمن بالخالق ولكنها تكفر به عمليا عندما تنحرف عن تعاليم رسله ورسالته لتتوافق مع مصالحها وهواها وهي نفس الانحرافات التي واجهها الامام الحسين (عليه السلام) فكانت المهمة التي اخذها على عاتقه (ع) هي النهوض بامة الاسلام من خدرها واعادتها الى الصراط المستقيم، اعادتها الى فطرتها، والى عقلها، بارجاعها الى الله عز وجل بعد ان انحرفت عن دينه.

وحتى انه (ع) كان على بصيرة من امره وبينه من شأنه، فذكر في خطبته وهو في مكة قبل توجهه الى العراق: (الحمد لله وماشاء الله ولا قوة الا بالله، خط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاه، وما وهلني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لي مصرع انا لاقيه، كإني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكر بلا، فيملأن مني اكراشا جوقا واجربة سغبا، لامحيص من يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين) (المعلم، 2006، 172) فيدل ذلك ان الامام الحسين عليه السلام كان على علم تام ورؤية كاملة بمصيره.

2- بعد الاتصال في سلوك الامام الحسين (ع):

قال الامام الصادق (ع): (ان لجدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تنطفئ الى يوم القيامة) وراء تلك الحرارة وذلك الحماس المتواصل ثقافة تتحدى كل عوامل التطور الزمني والمكاني، وتفرض نفسها في مختلف الجهات والابعاد (الستراوي، 2004: 18-19). لانه ضحى بالنفس والنفيس فبعد الاعذار والانذار وقطع الحجج من اجل الله وحده لا شريك له لم يكن يطمع بملك ولم يسع لنيل سلطان وانما القصد والغاية هو الله تعالى وحب الخلق ولانه عشق الحق والعدالة والقيم الانسانية والفضائل والمد والشرف وقام دونها وقاوم في سبيلها فقد كافاه الله بالرضوان ومحبه القلوب وعشق الضمائر وامتلاك الشعور لدى المؤمنين والاحرار، وعند كل عاشق للكرامة والحرية وان لم يكن مؤمنا بالحسين كامام من مسلم او كافر لانه يؤمن به كقائد من اجل الانسانية ورفع الظلم واقامة العدل، ولا غرابه لو مجده المسيحي وقارنه بما يعتقد انه مخلص للعالم كالسيد المسيح (ع). ولا بدع لو اهتدى بسناه غاندي محرر الهند لانه وجد فيه روحا عظيمة حققت عملا معجزا عجز عنه كل احد سواه (المعلم، 2006، 186)

وبذلك كانت ثورته (ع) رسالة ثقافية لخصت كل رسالات السماء نابغة من المعطيات الدينية واصول العقيدة الاسلامية اراد ان يوصلها الى كل الانسانية في مختلف الازمنة والامكنه تجاه قضاياها الحيوية وابعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

3- بعد التمكين في سلوك الامام الحسين (ع):

اهتم الامام الحسين (عليه السلام) باختيار النخبة من الاهل والاصحاب اكثر مما اهتم بالعدد من خلال تمكين ومشاركة الاصحاب في اتخاذ القرارات المؤثرة في ادارة المعركة، فقد ذكر (الحسيني، 1429: 268-269) خطبة الامام (ع) ليلة المعركة مع اهل بيته واصحابه (اما بعد فاني لا اعلم اصحابا اولى ولا خيرا من اصحابي ولا اهل بيت ابر ولا اوصل من اهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا الا واني اظن ان يومنا من هؤلاء الاعداء غدا الا واني قد رايت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل غشيكم فاتخذوه جملا..... فان القوم انما يطلبوني ولو اصابوني لهُو عن طلب غيري.... الخ (الخطبة). فاراد (ع) ان يتخذ الاصحاب قرارهم بارادتهم دون غط نفسي او تأثير خارجي وحينها يكون الدافع لموقفهم مع الحسين هو ايمانهم بالله ورسوله واهل بيته ودفاعا عن الدين وقيمته والاستشهاد مع راية الحق التي يحملها الامام الحسين (ع) (الستر اوي، 2004: 48)

فالامام اعطاهم حق الاختيار اما ان يبقوا معه او يتفرقوا لانه حاول ان يتخذ من اصحاب العقيدة النموذج الامثل للقتال والمواجهة والتخلص من الفئة غير العقائدية والضعيفة والهزيلة التي تسقط قبل المواجهة. بالاضافة الى انه لم ينس دور المرأة في المعركة وهيا لهذا الدور من خلال النسوة الانصار والمؤيدات، كما لم ينس ايضا دور الشباب وصغار السن في المشاركات المتنوعة.

3- بعد الابداع في سلوك الامام الحسين (ع):

ان الانقلاب الفكري والاجتماعي الذي أنتجه معاوية كان خطيرا جدا، فهو يشبه الى حد كبير الوضع الذي صنعه فرعون مع بني اسرائيل والمجتمع المصري ودين الله الذي جاء به يوسف من قبل، فاقتضت الحكمة الالهية ان يقوم اوصياء الرسول (ص) بما كان يقوم به اوصياء الانبياء بالتصدي لهذا الوجود المنحرف فتصدى الامام الحسين بخطة لتحقيق التغيير مرتكزا على امرين (البدرى، 2009، 497-500):-

أولاً: السكوت في عهد معاوية والعمل سرا لنشر احاديث النبي (ص) في اهل البيت ريثما يموت معاوية.

ثانياً: التحرك العلني للإمام الحسين بعد موت معاوية وكانت خطواته ثلاثة:

1- الإعلان عن عدم اعطاء بيعة ليزيد وان كلفه ذلك حياته، لان بيعته تعني اقرار المنهج التحريفي للاسلام.

2- الانطلاق من مكة في الحركة كونها المكان الوحيد الذي يقصده المسلمين من كل الاقطار للحج والعمرة، فهو بامس الحاجة الى مكان كهذا من اجل كسر الطوق المفروض على الحديث الصحيح مضافا الى تحركه على اخيار الامة القادمين من الاقطار لطلب نصرتهم.

3- الهجرة الى الكوفة بصفتها البلد الممتحن والقاعدة الشعبية له وفيها بقية تلاميذ الامام علي عليه السلام وحملة خطبه واحاديثه واخبار سيرته.

وبناء على ما ذكر في اعلاه فان الامام الحسين عليه السلام قاد معركة الطف بقيادة ميدانية ناجحة وبالمقياس العسكري على ارض المعركة من حيث الاعداد الموضوعي والقتالي، وخطط عليه السلام للاحداث بروية وعقلانية، واستخدم كل ما يمكنه لتحقيق النجاح، ولكن قدره كان ان تكون الحقائق على ارض الواقع غير كافية لكسر شوكة الخصم بالمفهوم العسكري، ولكنه نجح في التمهيد لاسقاط الانظمة الفاسدة، وهياً الظروف الكافية للتعجيل بانهيار الهيكل الفاسد المرتد القابل للانهيار اصلا لانه قائم على المنكر ولان الحسين عليه السلام اراد ان يغلب المعروف على هذا المنكر.

ثالثاً: التطابق الفكري والعقائدي والسلوكي بين الدواعش وقتلة الامام الحسين(ع):

يوجد تطابق كامل في السلوكيات والعقائد والأفكار والوحشية بين خوارج العصر الجدد المتمثلين بـ(الدواعش) وقتلة الإمام الحسين -ع- في مجزرة كربلاء الدموية الكارثية الرهيبة، فما فعله وأرتكبه الجناة المتوحشون لجيش يزيد بن معاوية ضد الإمام الحسين وآل بيت النبوة الطاهر والقلّة من أتباعه المخلصين الأخيار من سلوكيات وحشية مقرّفة، ومن التوغّل في السفالة والندالة والخسة والدناءة يفعله ويرتكبه اليوم الدواعش تجاه العباد في العراق وسوريا وأفغانستان ولبنان وغيرها من البلدان. لانهم يسировون وفق الخلافة الجائرة والوحشية ليزيد بن معاوية، اضافة الى سيرهم وفق منهج خوارج التاريخ في التكفير للمسلمين، وفي التوحش والعدوان والدموية التي رفضها الامام الحسين (عليه السلام) محي الاسلام بعد أن كاد لا يكون هناك اسلام لتولي يزيد الحكم الذي عاث بالارض فساداً، فنهض ضد طغيانه لكونه مثلاً لجميع الفضائل ومكارم الاخلاق، فكان(عليه السلام) من أعبد الناس وأزهدهم، اذ انبعث صوته بالفتح العظيم فاستوعب صده جميع انحاء العالم الاسلامي، وهو ينادي بفجر جديد ويوم جديد، ليستأنف فيه الانسان المسلم رسالته، ويبدأ تاريخه، ويبنى كرامته ويعدل سلوكه وينفض عنه غبار الذل وعار العبودية وينطلق في ميادين التحرر ليساهم في بناء الحضارة ويدخل موكب التاريخ.

ومن خلال القراءة المستفيضة لأحداث كربلاء يمكننا أن نخرج أكثر وعياً و فهماً لحركة المسلمين وطبيعة الأدوار التي قاموا بها والتي تُشكّل لنا المرشد والموجه في عملنا الجهادي والسياسي والإجتماعي، انطلاقاً من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة" (عيون اخبار الرضا: ج2، ص62). ونحن بحاجة إلى عاملي العقل والعاطفة لصياغة هذه الخلفية، بحيث يكون العقل كالمسطرة الحازمة والدقيقة في الفصل بين معقدات الأمور، وتكون العاطفة كالشحنة المكثفة من الطاقة التي تدفع الإنسان للصمود أمام الآخرين.

المبحث الرابع الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

- 1- اتباع مفكري وباحثي علم الاجتماع والإدارة في تحديدهم لسلوكيات القيادة الرؤيوية للابعد الأربع التي استعملت على نحو واسع وهي (الرؤية، الاتصال، التمكين، والابداع)، واتضح من ذلك ان جلهم يتفقون على ان هذه السلوكيات الأربع تعد مقياسا ناجحا للقيادة الرؤيوية.
- 2- ان الفكر الشامل والاداري للامام الحسين (ع) المؤكد على الجوانب الاخلاقية وسلوكيات القائد الرؤيوي في العمل قد سبق الفكر الاداري المعاصر المؤكد على تلك الجوانب بمئات السنين الا ان الاختلاف ظهر في التوسع والافق والثبات الواضح لفكره (ع) فلم يبلى هذا الفكر الوضاء بل يتجدد جيل بعد جيل بشهادة الاوربيون قبل العرب.
- 3- حملت الممارسات العملية للقائد الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) مبادئ الدستور الالهي، اذ انها كانت قيادة إلهية وليست مبنية على اساس السيادة والقوة والجاه، مما زاد تمسك الاتباع به من المسلمين المرتبطين روحيا وفكريا بالاسلام ومبادئه في تغيير العالم والانحراف الذي اصاب الامة.
- 4- التوافق في مسألة ابعاد القيادة الرؤيوية بين الاسلام والادارة الحديثة بعد فشل العديد من النظريات الادارية المادية لكن الاختلاف في اعطائه(ع) معنى القيادة الاسلامية الحقيقية للقائد في كل زمان ومكان بما يرضي الله اولا ورسوله ثانيا ونفسه ثالثا لانه (ع) اراد الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي وهذا هو دور القائد الرسالي.

التوصيات:

- 1- تضمين المناهج التدريسية كتاب عن قيادة الامام الحسين (ع) للقيادة الميدانيين يدرس في الكليات ذات العلاقة لما لهذه الشخصية من تأثير في حياة الامة

- الاسلامية من جهة ولحاجة مكاتباتنا العربية والاسلامية لمثل هذا المرجع او المصدر من جهة ثانية.
- 2- اعداد مؤتمرات ودورات وندوات بالتنسيق مع المرجعيات الدينية للمذاهب كافة لتبصير السياسيين والاكاديميين وقادة المنظمات الحكومية بأبعاد وممارسات القيادة الرسالية(الرؤيوية) في فكر الامام الحسين (ع).
- 3- البحث والتقصي اكثر في هذا الفكر النير للامام (ع) مع تشجيع طلبة الدراسات العليا للخوض في موضوع القيادة في فكر الرسول الاكرم محمد (ص) الائمة الاطهار (ع).
- 4- استحداث مركز علمي بأسم الفكر الرؤيوي للامام الحسين(ع) يرتبط بجامعة الاسلامية يعمل على التباحث والتنسيق مع الجامعات المحلية او العربية او الاجنبية لتحقيق التفاعل العلمي المشترك.

المصادر العربية:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد، 12، ط2000، 1.
- 3- البدري، سامي، الحسين(ع) في مواجهة الضلال الاموي واحياء سيرة النبي(ص) وعلي(ع)، ط2، مؤسسة طور سينين للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 2009.
- 4- ابو زيد، احمد، هوية الثقافة العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004.
- 5- الحسيني، عبد الصاحب ذو الرياستين، لماذا نهض الامام الحسين(ع)، ج2، ط1، مطبعة ثامن الحجج، قم، ايران، 1429هـ.
- 6- حمود، خضير كاظم، اللوزي، موسى سلامة، مبادئ إدارة الأعمال، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.
- 7- الدهان، أميمة، الإبداع والسلوك الإبداعي للعاملين في المنظمة، مجلة تنمية الرافدين، عدد (26)، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، العراق، 1989.
- 8- السالم، مؤيد سعيد، منظمات التعلم، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2005.
- 9- السويديان، طارق، وفيصل عمر باشرحيل، صناعة القائد: فنون ومهارات وسلوكيات إدارية وتربوية وتاريخية لمنهجية صنع القادة برؤية إسلامية مستفيدة من النظريات الحديثة، ط3، قرطبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2004.
- 10- الصفار، حسن، الحسين ومسؤولية الثورة، ط7، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1991.
- 11- الطائي، صالح جاسم، القول الجازم في الحسين (ع) سبط من الاسباط، مكتبة دار الكتب العلمية، بغداد، بلا.

- 12- عبادة، أحمد، الحلول الابتكارية للمشكلات، ط1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، 2001.
- 13- العثيمين، حسن سعيد، الاتصالات الإدارية: ماهيتها - أهميتها - أساليبها، ط2، مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض، السعودية، 1993.
- 14- العدواني، عبدالستار محمد علي، تطوير نظام المعلومات الإدارية بالتركيز على تطبيقات تقانة المعلومات الحديثة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، 1998.
- 15- العدلي، ناصر محمد، السلوك الإنساني والتنظيمي، منظور كلي مقارن، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1995.
- 16- العزاوي، رحيم يونس، مقدمة في منهج البحث العلمي، ط1، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2008.
- 17- عزت، محمد فريد محمود، وسائل الإعلام السعودية، النشأة والتطور، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1992.
- 18- عودة، محمد أمين، معوقات الاتصالات في المنظمات، جامعة الكويت، الكويت.
- 19- فضل الله، فضل الله علي، المقومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي وأثرها في توجهات الإبداع الإداري، المجلة العربية للإدارة، عدد(3)، السنة (10)، عمان، الأردن، 1986.
- 20- الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1987.
- 21- محمود، علاء الدين عبد الغني، ادارة المنظمات، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.
- 22- مرسلي، رافيق، الاساليب الحديثة للتنمية الادارية بين حتمية التغيير ومعوقات التطبيق، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، 2011.
- 23- المطيري، ثامر ملوح، فلسفة الفكر الإداري والتنظيمي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1990.
- 24- المعاني، أيمن عودة، اثر الولاة التنظيمي على الإبداع الإداري لدى المديرين في الوزارات الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1990.
- 25- المعلم، محسن علي، الحسين(ع) في موكب الخالدين، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

26- ميرخان، خالد حمد أمين، العلاقة بين الأساليب المعرفية ورأس المال الفكري وتأثيرها في التوجه الاستراتيجي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، العراق، 2003.

27- مؤنس، حسين، الحضارة دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

..... -28

29- النعيمي، قاسم محمد، المستقبل والاقتصاد في الدراسات المستقبلية، جامعة صنعاء، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد، العدد 16، 2003.

30- هيجان، عبد الرحمن، المدخل الإبداعي لحل المشكلات، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 1999.

المصادر الأجنبية:

- 1- Bowen، D. E. & Lawler، E. E.، (1992)، The Empowerment of Service Workers: What? When، Why and How، Sloan Management Review، Vol. 33، N. 3.
- 2- Chin، M. & Ramayah، T & Cyril، E. (2010); "Does Transformational leadership style foster commitment to change ?the case of higher education in Malaysia"، Journal of procedia social and behavioral sciences، 2، 5384-5383.
- 3- Colton، (1995) ، Vision، National formal. (www.usenet4all.ed/pass.txt).
- 4- Daft، Richard L. (2003) ، Management، 6th. Ed.، South-Western College Publishing، Ohio، U.S.A.
- 5- Daft، R. & Noi، R.A (2001); "Organizational Theory Behaviour "، Harcourt College Publishers، U.S.A 2001.
- 6- Fullan، M.، (2002) ، "The Change leader. Educational leadership، (www.site.ace.org/pubs/forasite).
- 7- Glickman، C.، (1998) ، Revolutionizing Americas Schools، San Francisco: Jossey_ Bass، www.ivsl.org.
- 8- Hill، C.W. & Lumpkin (2001); "Strategic Management theory"، 5th ed، New York.
- 9- Ivancevich، John M. & others، (1997) ، Human Resources management، 6th ed، Homewood، Illinois، Richard، Irwin، Inc.

- 10- Kotter, J.P. & Heskett, J.L., (1992), Corporate Culture and Performance, www.kotter.org.
- 11- Kouzes, J.M. & Posner, B.Z., (2002), The Leadership Challenges, 3rd ed, Jossey-Bass, San Francisco, CA.
- 12- Kouzes, J.M. & Posner, B.Z., (2002), The Leadership Challenges, 3rd ed, Jossey-Bass, San Francisco, CA.
- 13- Mintzberg H. and Westley, F., (1989), "Visionary leadership and strategic management", Strategic Management Journal, Vol17, No32.
- 14- Nadler, D.A., (1998), Champions of Chang:How CEOs and their Companies are Mastering the skill of radical change, Jossey-Bass, San Francisco.
- 15- Nanus, B., (1992), visionary leadership: creating a compelling Sense of direction for your organization, San Francisco, CA: Jossey -Bass.
- 16- Seth Khan, (2002), Visionary Leadership, Leigh Bureau, (www.leighbureau.com/).
- 17- Wilson, Ian, (1992), Realizing the Power of Strategic Division, Long Range Planning, U. S.A.
- 18- www.boulderassociates.com/firm/leadership.

قيم الشهادة بواقعة الطف عند الأدباء العرب وتجليات النصر على داعش

نضال علي عبود الربيعي أ.م.د. ندى موسى عباس الموسوي

قسم التاريخ
كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة ديالى
nadaa.mosawi@yahoo.com

باحثة - معاونة روضة السلاطين
kreeme1951@gmil.edu.iq

ملخص البحث

يتمحور البحث حول أدبيات عدد من الأديباء العرب (مسلمين ومسيح) اللبنانيين والسوريين والمصريين حصريا، للاستشهاد بأقوالهم وأشعارهم وكتاباتهم عن وقعة الطف على أرض كربلاء. وتصوير المعاني والقيم المستخلصة من هذه الموقعة. وقد تم اختيار اثني عشر أديبا عربيا رتبوا بحسب التسلسل الزمني لتواريخ وفياتهم، وهم جبران خليل جبران وسليمان بن أبراهيم الصولة وأدوارد نيقولا مرقص وعباس محمود العقاد وطه حسين وقيصر معتوق وعبد الحميد جودت السحار وبولس سلامة وأمل دنقل وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي ونزار قباني وجورج جرداق.

قيم الشهادة بواقعة الطف عند الأدباء العرب وتجليات النصر على داعش

أ.م.د. ندى موسى عباس الموسوي

قسم التاريخ
كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة ديالى
nadaa.mosawi@yahoo.com

نضال علي عبود الربيعي

باحثة - معاونة روضة السلاطين
kreeme1951@gmail.edu.iq

مقدمة:

إن البعد الإنساني الذي أكتنف واقعة الطف جعلها تتعدى حدود الزمان والمكان، وعلت بمبادئها السامية وقيمها النبيلة، حتى أصبحت رمزاً للعطاء والتضحية لكل ثائر حر صاحب حق، وباتت عنوان لكل ثائر منتفض ضد الباطل والظلم والجور والاستعباد في كل بقاع العالم من أي دين وطائفة وجنسية وقومية. ومضرب المثل لقيم الرجولة والنبل والمبادئ والأخلاق والتعاليم الدينية السماوية والثبات عليها مهما كانت المغريات والضغوطات الدنيوية.

يتحور البحث حول أدبيات عدد من الأدباء العرب (مسلمين ومسيح) اللبنانيين والسوريين والمصريين حصرياً، للاستشهاد بأقوالهم وأشعارهم وكتاباتهم عن واقعة الطف على أرض كربلاء. وتصوير المعاني والقيم المستخلصة من هذه الموقعة. وقد تم اختيار اثني عشر أديبا عربيا رتبوا بحسب التسلسل الزمني لتواريخ وفياتهم، وهم جبران خليل جبران وسليمان بن أبراهيم الصولة وأدوارد نيقولا مرقص وعباس محمود العقاد وطه حسين وقنصر معتوق وعبد الحميد جودت السحار وبولس سلامة وأمل دنقل وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي ونزار قباني وجورج جرداق.

المحور الأول: قيم الطف عند الأدباء العرب

من الطبيعي أن يبحث أي قارئ قبل الخوض بما تركه الأدباء والشعراء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين والعلماء والدارسين والباحثين، عن سيرهم الذاتية أولاً، لمعرفة العوامل وتشخيص الأسباب التي كانت وراء أدلائهم بأرائهم ومفاهيمهم وأقوالهم وأشعارهم بواقعة الطف وهي غالباً ما تكون متأية من طبيعة اهتماماتهم الفكرية والثقافية فضلاً عن الأدبية المفعمة بالمشاعر والأحاسيس.

أصبح من المتداول استعمال واقعة الطف كرمزا متفردا للرفض والتحرر عند الشعراء ومادة للتأمل في تشكيل الوعي عند الشعوب المتحررة، وقد وظفها الأدباء والشعراء العرب واستنطقوا منها صور لفلسفتهم ورؤاهم في العدل والحياة

والموت والخلود والحرية، وتعددت أتساقات الكتابة ومقاصدها إلى عدة أبعاد منها البعد العاطفي الممزوج بالأسى والسرد المأساوي والبعد التنظيري والرؤيوي والاتجاه التحفيزي الرافض لكل الظلم والاستبداد ومغذياً لكل شعور ثوري بحيث صار الشاعر يتكئ على رمزية الإمام الحسين (عليه السلام) ومعجم واقعة الطف الثري من أجل تصدير فكرته الحاملة لقضايا الشعوب.

لقد وجد الأدباء (كتاب وشعراء) في واقعة الطف مادة دسمة المعنى غزيرة الإلهام عميقة الفكرة متسعة الأفاق، تغذي مشاعرهم وتلهب أحاسيسهم وتنمي عواطفهم بكل اتجاه. متعددة الأبعاد متنوعة المقاصد. أنها ساحة بحجم الكون لا تخضع للبعد الجغرافي وتتعدى الزمانية بكامل أبعادها؛ فمدلولاتها حاضرة في أي زمان ومكان، متشعبة بالمبادئ السامية والقيم النبيلة التي نثرها الإمام الحسين (هنا وهناك) يستنبط منها رموز الفضيلة والشموخ والإباء والتضحية والعطاء، وهي في الوقت ذاته رمز للحزن والمأساة وصورة للغدر والحد المتأصل في النفوس اللئيمة. وباختصار شديد فإن كربلاء مادة غنية بمدلولاتها.

لقد انبثقت كل الرؤى والفلسفات عن معاني وقيم معركة الطف من رحلة الإمام الحسين (عليه السلام) في واحد محرم سنة 61 هـ / 680 م باتجاه أرض كربلاء، تلك الرحلة الصحراوية التي كانت تفرس قيم النبل والمبادئ الإنسانية في رحلة الموت وصنع الخلود، من قبل أحدى وسبعين نفساً سيدبحون من أجل هذه الغاية. ولم تستطع كل السياسات المضادة أن تطمس آثار هذه الواقعة التي ظلت وستظل إلى أبد الأبد صرخة مدوية في سجل الحرية يعود إليها الأحرار كلما اشتبكت عليهم الأحقاد وسلطان الخراب.

من بين أهم التساؤلات التي أثيرت بالبحث هو ما السبب الذي يدفع بالعديد من المفكرين والعلماء والمصلحين فضلاً عن الكتاب والصحفيين والأدباء والشعراء من كل الأديان والجنسيات على مر التاريخ ان يبداوا تعاطفهم ومشاعرهم الرقيقة الجياشة ووجهات نظرهم في فلسفة قيمة واقعة الطف؟! لا سيما وان الأدب يبحث عن الخلود ولذلك فهو يتعامل مع الحقائق الإنسانية الخالدة، التي لا تتبدل ولا تتغير أضف إلى ذلك أن الأدب شمولي موسوعي له متنوع في العلوم يأخذ من كل شيء طرف، لكونه لغة جماعية يخاطب كل أفراد المجتمع الإنساني.

المحور الثاني: الأدباء العرب الذين ذكروا واقعة الطف

1- جبران خليل جبران (1883 - 1931 م):

كان جبران خليل جبران كاتباً وشاعراً ورساماً وفيلسوفاً مفكراً، لبناني عربي الأصل مسيحي ماروني هاجر أحد أجداده إلى لبنان. وهاجر صبياً برفقة

أسرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فأعتبر من أدباء المهجر بعد اكتسابه الجنسية الأمريكية وذاع صيته الأدبي فيها، توفي جبران خليل جبران في نيويورك بداء السل وتشمع (تليف) الكبد وسرطان الكبد ونقل جثمانه بحسب وصيته ودفن في صومعته بلبنان. ﴿1﴾

عرف جبران خليل جبران بخياله الخصب الواسع وبفكره ذا الطابع الفلسفي المميز. وقد أكتسب ثقافة واسعة في الأدب والشعر الرومانسي والصوفي والملحمي، باطلاعه على الفلسفة اليونانية لاسيما الفلسفة الأفلاطونية والأساطير اليونانية والسومرية الكلدانية العراقية والفرعونية المصرية. ﴿2﴾ كما أتقن جبران خليل جبران العربية والسريانية والإنكليزية والفرنسية. ودرس الرسم ونال جائزة الفنون في التصوير من باريس وأصبح عضو بجمعية المصورين الإنكليزية. ﴿3﴾

لم يخفي جبران خليل جبران ميوله للكتابة في الديانتين المسيحية والإسلامية؛ فلم يتردد في إعلان حبه للنبي محمد (عليه واله أفضل الصلاة والسلام) واحترامه للإسلام وتمنيه بعودة مجده، وقد ظهرت هذه الميول في مؤلفاته " النبي " و " حديقة النبي " و " مواكب الشعوب "، ورسائله، وقد أبدى تفاعله مع قضايا عصره، كإعلان موقفه بكرهيته للحكم العثماني في رسالته المعنونة " إلى المسلمين من شاعر مسيحي " قوله: " أي والله صدقوا فأنا أكره الدولة العثمانية...لأنني أحب الإسلام وعظمة الإسلام، ولي رجاء برجوع مجد الإسلام...أنا أجل القرآن ولكني أزدرى من يتخذ القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين خذوها يا مسلمون كلمة من مسيحي أسكن " يسوع " في شطر من حشاشته ومحمداً في الشطر الآخر ! ان لم يتغلب الإسلام على الدولة العثمانية فسوف تتغلب أمم الإفرنج على الإسلام، إن لم يقم فيكم من ينصر الإسلام على عدوه الداخلي؛ فلا ينقضي هذا الجيل إلا والشرق في قبضة ذوي الوجوه البائخة والعيون الزرقاء " . ﴿4﴾

من أقوال جبران خليل جبران المشهورة في الإمام الحسين (عليه السلام) مقولته: " لم أجد أنساناً كالحسين سجل مجد البشرية بدمائه " . ومقولته: " إن الحسين مصباح منير لجميع الأديان " . ﴿5﴾

2- سليمان بن إبراهيم الصولة (1414 - 1889م):

إن أصل الشاعر السوري المسيحي الديانة من دمشق، لكنه تنقل ما بين دمشق والقاهرة والجزائر، وقد لازم الشاعر عبد القادر الجزائري مدة ثلاثين سنة. له كتاب " حصن الوجود الواقى من خبث اليهود " . ﴿6﴾

ذكرت المصادر أبيات له في كربلاء يقول فيها:

لا قارق الكرب المؤيد والبلا من لا ينوح على الشهيد بكربلا

إن لم تنح منا العيون فهي الحشا مهج يفتت نوحهن الجنديلا

فعلى الشهيد وآله آل الرضى مني السلام متمماً ومكملاً ﴿7﴾

3- أدوارد نيقولا مرقص (1878 - 1948 م):

هو كاتب وأديب وشاعر وصحفي سوري الجنسية مسيحي الديانة، ولد ومات في اللاذقية (غرب سوريا). عمل معلماً طوال حياته حتى أحيل على التقاعد سنة 1940 م، وقد أتقن اللغة العربية (فهماً وأدباً) واللغة الفرنسية، وجمع بين التدريس والكتابة والترجمة والأدب والشعر والصحافة؛ فكتب العديد من الأبحاث وحرر الكثير من المقالات كما زكى (قيم) العديد من الأبحاث التاريخية والأدبية واللغوية، وألقى خطب عدة. ﴿8﴾

وقد أصدر جريدة "المنتخب" الأسبوعية قبل الحرب العالمية الأولى، أما جريدة "النهضة الجديدة" فأصدرها بعد الحرب. وفي سنة 1932 م أنتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، كما أنتخب عضواً في المجلس الأعلى لمعارف اللاذقية سنة 1928 م. ﴿9﴾

ترك أدوار مرقص تراثاً يصبوا إلى ثمانين مجلداً باللغة العربية، منه ما هو مترجم عن اللغة الفرنسية كمثّل كتاب "فن التعريب عن الفرنسية" وكتاب "تاريخ الحرب العظمى" و"أسرار الموت"، وعدد من الروايات الفرنسية المترجمة التي ترجمها إلى العربية مثل "غيرة النساء" و"في ظل الموت" و"بين الصحوة والهديان"، وفي علوم اللغة والأدب والنقد ألف كتبه "ذخيرة المتأدب" و"كفيل البيان والشعر" و"الغرر" و"الأدب العربي في ماله وفي ما عليه". ﴿10﴾

يبين أدوار نيقولا مرقص في قصيدته عن الحسين (عليه السلام) بوضوح أن القيم والفضائل هي أسباب الخلود لمعركة الطف:

قدم الزمان وذكره متجدد في كل قلب بالفضيلة حاشد
 وخلود كل فضيلة بخلود من لولاه لم يكن الزمان بخالد
 أيه دم الشهداء سل متدفقاً وأسق القلوب ببارق وبراعد
 إن القلوب الممحلات اذا ارتوت منه زهت بمكارم ومحامد
 يا غرة الشهداء من عليائها لوحى عليهم كالضياء العاقد
 موسومة بدم الشهادة فهي لا تنفك تدمي مثل زند فاصد
 كيفما يسيروا في الحياة بنهجه لا يخضعون لغاصب ومعاند
 ركب الحسين إلى الفخار الخالد بيض الصفاح فكان اكرم رائد

حشد الطغاة عليه كل قواهم وحموا عليه ورداً ماءً بارداً
وتخيلوه يستجيب إليهم أما أحسن من الظماً بالرافد
تأبى البطولة أن يذلّ لبيغيهم من لم يكن لسوي الإله بساجد
أيها بهم سبّط النبي وعنده جيشٌ من الإيمان ليسَ بناقد
حسبُ الفتى من قوة إيمانه ولكربلاء عليه أصدقُ شاهد
ولأن قضي بين الأسنة ظامياً فلسوف يلقي الله أكرم وافد
ولسوف يسقيه النبي محمد كأساً تفيض من المعين البارداً ﴿11﴾

4- عباس محمود العقاد (1889 - 1964 م) :

يعتبر عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد من الأدباء المصريين المسلمين المكثرين في الكتابة والتصنيف والأبداع، وأصبح عضواً في المجامع العربية القاهرة ودمشق وبغداد. لقد أنصرف العقاد إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأنقطع عن تولى الوظائف الحكومية التي تنقل بعدد منها. ﴿12﴾

أقبل الناس يقرؤون ما ينشر العقاد وظل اسمه لامعاً لمدة نصف قرن، أخرج خلالها ثلاث وثمانين (83) كتاباً، في جوانب متنوعة من الأدب الرفيع نذكر منها كتابه " عن الله " و " ماذا يقال عن الإسلام " و " التفكير فريضة إسلامية " و " ساعات بين الكتب " و " المرأة في القرآن " و " مراجعات في الأدب والفنون " و " رجعة أبي العلاء المعري " و " ابن الرومي " و " ابن نواس " و " سعد زغلول " و " هتلر " و " سارة " و " مجمع الأحياء " ومجموعة العبقريات " عبقرية محمد " و " عبقرية علي " و " عبقرية الصديق " و " عبقرية عمر " و " عبقرية خالد " و " الصديقة بن الصديق " و " إبليس " و " عرائس وشياطين " و " ديوان العقاد ". ﴿13﴾

لقد كتب العقاد عن ثورة الإمام الحسين قائلاً: " ثورة الحسين واحدة من الثورات الفريدة في التاريخ، لم يظهر نظير لها حتى الآن في مجال الدعوات الدينية أو الثورات السياسية... فلم تدم الدولة الأموية بعدها حتى بقدر عمر الإنسان الطبيعي، ولم يمض من تاريخ ثورة الحسين حتى سقطها أكثر من ستين سنة ونيف " ﴿14﴾ لقد كان الحسين بنظر العقاد: " ينبوع شهادة لا يقرن بها ينبوع في تاريخ البشر أجمعين ". ﴿15﴾

وكتب العقاد يقول في أرض كربلاء: " فهي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة. ولكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظاً من الفضيلة. لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن

أسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين (عليه السلام) فيها " { 16 }

5- طه حسين (1889 - 1973 م) :

يعد طه حسين علي سلامة من كبار المحاضرين المصريين المسلمين بالأدب العربي وقد أحدث تجديد في مناهجه. كان طه حسين كفيفاً لكنه كان واعي مجتهد حتى نال شهادة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة بموضوع " ذكرى أبي العلاء المعري " سنة 1914 م. وشهادة الدكتوراه من جامعة السوربون الفرنسية بموضوع " فلسفة ابن خلدون " . { 17 }

أشتغل طه حسين بالصحافة، وعين محاضراً بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم أصبح عميداً للكلية ثم وزيراً للمعارف، وخلال فترة وزارته جعل التعليم الثانوي والفني مجاناً، كما عين عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق ورئيساً لمجمع اللغة بمصر. { 18 }

ترك طه حسين عدداً من المؤلفات التي ذاع صيتها منها " الأدب الجاهلي " و " في الشعر الجاهلي " و " مع المتنبي " و " مع أبي العلاء في سجنه " و " الأيام " و " علي هامش السيرة " و " علي وبنوه " و " عثمان " و " رحلة الربيع والصيف " و " أحاديث " و " حديث الأربعاء " و " أحاديث " و " مستقبل الثقافة في مصر " . وشغف طه حسين بالأدب اليوناني وترجم بعض الكتب فيه منها " نظام الأثينيين لأرسطو " و " آلهة اليونان " و " صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان " و " دروس التاريخ القديم " . وقد ترجمت عدد من كتبه الى عدد من اللغات الأجنبية. { 19 }

ذكر طه حسين الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: " كان الحسين يتحرق شوقاً لاغتنام الفرصة وأستأناف الجهاد والانطلاق من الموضع الذي كان أبوه يسير عليه؛ فقد أطلق الحرية بشأن معاوية وولاته، إلى حد جعل معاوية يتهدده، إلا أن الحسين ألزم أنصاره بالتمسك بالحق " . { 20 }

6- قيصر معتوق الغساني (1912 - 1973 م) :

حصل الشاعر اللبناني دكتوراه بالطب سنة 1940 م من النمسا. وعمل طبيباً في المستشفى الملكي في البصرة سنة 1941 م. وكان يواظب على حضور المنتديات الأدبية في مدينتي النجف الأشرف والحلة. وقد غلب عليه في أشعاره تمسسه للقضية العربية وتأثره بالفلسفة والنقد الاجتماعي. { 21 }

ألقى قيصر معتوق قصيدته " العقيدة الخالدة " في أربعينات القرن المنصرم، ومن أبياتها عن واقعة الطف حيث يقول:

فَهُوَ الحُسَيْنُ حَفِيدُ الوحي مَنْ وَجَدَتْ فِيهِ العَقِيدَةُ كُلَّ القصدِ والأملِ

وَهُوَ الحَفِيدُ لجدِ العُرْبِ قاطبة وهو الخليفة في حقِّ بلا جدلٍ
ضحى الحسينُ بنفسِ عزٍ مطلبها لينسف الظلمَ بالبرهان والمثلِ
والمرء يقضي لكي تحيا عقائدهُ والأخذُ بالظلم يغني أعظمَ الدولِ ﴿22﴾

7- عبد الحميد جودة السحار (1913 - 1974 م):

عرف الأديب المصري المسلم عبد الحميد جودة السحار بشغفه لقراءة
وكتابة القصص منذ أن كان صغيراً يلعب مع صديق عمره الكاتب نجيب محفوظ،
﴿23﴾ حتى أصبح كاتب قصص مثيرة ومشوقة وروائي سرديات واقعية،
وسيناريست بارع ترك خلفه الكثير من العناوين للمسلسلات التاريخية الدينية
والأفلام للسينما المصرية، وقد شارك في وضع سيناريو فلم " الرسالة "
العالمي. ﴿24﴾

لقد أستطاع الأديب عبد الحميد السحار برواياته وقصصه استيعاب مشاكل
وتحولات والتناقضات السياسية والاجتماعية التي مرت بها مصر، وعالجها
بدراما ناجحة تميزت بأسلوبها الجذاب. ومع انه قد تخرج من كلية التجارة ونال
شهادة البكالوريوس من جامعة فؤاد سنة 1973 م، لكنه بدأ حينها بكتابة القصص
الاجتماعية القصيرة بمجلتي " الرسالة " ومجلة " الثقافة ". ﴿25﴾

أتجه عبد الحميد السحار فيما بعد إلى كتابة القصص الاجتماعية الطويلة
والروايات التاريخية والسيناريوهات للأفلام والمسلسلات المتنوعة ابتداء من سنة
1943 م منها التاريخية: " أحسن بطل الاستقلال " و " أميرة قرطبة " و "
المسيح عيسى بن مريم " و " قصص الأنبياء " و " السيرة النبوية " و " نور
الإسلام " و " محمد رسول الله " و " حياة الحسين " و " عمر بن عبد العزيز " و
" بلال مؤذن الرسول " و " أبو ذر الغفاري " و " سعد بن أبي وقاص " و "
أبناء أبو بكر ". ومنها الاجتماعية كمثل " أم العروسة " و " الحفيد " و "
المستنقع " و " درب المهابيل " و " النصف الآخر " و " مراتي مدير عام " و "
المظ وعبد الحمولي: و " الشارع الجديد " و " خفقات قلب " و " آدم إلى الأبد "
و " صدى السنين " و " فات الميعاد " و " ليلة عاصفة " و " كشك الموسيقى " و
" في الوظيفة " و " في قافلة الزمان " و " النقاب الأزرق " و " قلعة الأبطال " و
" ثلاثة رجال في حياتها " و " هذه حياتي " و " وكان المساء " و " أنا الشعب "
و " همزات الشيطان " و " جسر الشيطان " و " شياطين الجو " و " عمالقة
البحار " ونظم أناشيد للقوة الجوية والقوات البحرية، وساهم بإنشاء " لجنة النشر
الجامعيين " وقبيل وفاته أصبح رئيس تحرير مجلة السينما. ﴿26﴾

جاء قول عبد الحميد في كتابه " حياة الحسين " قوله: " لم يكن بوسع
الحسين ان يبائع يزيد ويرضخ لحكمه؛ لأن مثل هذا العمل تسويغ الفسق والفجور

وتعزيز أركان الظلم والطغيان وإعانة الحكومة الباطلة. لم يكن الحسين راضياً على هذه الأعمال حتى وأن سبى أهله وعياله وقتل هو وأنصاره " (27) }

8- بولس سلامة (1928 – 1979 م) :

كرس الشاعر اللبناني المسيحي بولس سلامة جزءاً مهماً من شعره في ذكر أهل البيت بديوانه " عيد الغدير " الذي عرف بملحمة الغدير، ويعتبرها معظم نقاد الأدب العربي أول ملحمة عربية. وقد بلغت حدود ثلاثة وخمسمائة (3500) آلاف بيت شعر من البحر الخفيف موزعة على أربعين (40) فصلاً (قصيدة) وقد دمج معها قصائده المسماة بـ " علي والحسين " (23) } وكان بولس لما عزم على تأليفها قد تناول تاريخ الإسلام ودرس المراجع التاريخية منذ بدء الدعوة المحمدية المباركة حتى يوم كربلاء. وذكر أنه تقيد بالتاريخ جهد الاستطاعة، وأنه قلما أعتمد مؤرخي الشيعة إنما رجع إلى الثقات من مؤرخي السنة وذلك قطعاً للظنون والشك والريبة والشبهات. ومن الجدير بالذكر ان لبولس العديد من القصائد غير هذه الملحمة، في أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأبنة الإمام الحسين (عليهما السلام) (28) }

كان بولس يعمل قاضياً لكنه قضى أربعين (40) سنة على فراش المرض. ويذكر أبنة رشيد ان والده كان يجمعهم هو وأخوته ليلقي عليهم قصائد نظمها بهذه المناسبة الأليمة فكان يوم العاشر من محرم هو مجلس عاشورائي بحق في بيتهم؛ فكان والده يحدثهم عن معنى عاشوراء والثورة الحسينية، وكيف أفندى الإمام الحسين دينه بحياته وحياة أقرب الناس له من أصحابه وعائلته. (29) }

مما يذكره رشيد عن والده انه أثناء نظمه لمصرع الحسين (عليه السلام) كانت دموعه تنهمر وتبلل وسادته، وعندما سأله عن سبب ذلك يقول رشيد كان جوابه الكامل الذي لا أنساه: " يا بني نظمت الليلة مصرع الإمام الحسين في كربلاء، لقد كنت الليلة في كربلاء "، أي انه أنتقل بخياله ووجدانه إلى كربلاء. (26) } وينقل رشاد عن أبيه عن ليلة نظمه ليلة مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) وقد أطلق عليها بـ " الليلة الرهيبة " (30) } قوله:

بكيت حتى وسادي نش من حرق وضج في قلبي أحوال منتحبي

أنا المسيحي أبكاني الحسين وقد شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

لا يستوي في لقاء النار شاهدها والمرتمي فوقها جذعاً من الحطب (31) }

يقول بولس في مقدمة ملحمة عيد الغدير: " رب قائل يسأل لم آثرت علياً دون سواه من أصحاب محمد بهذه الملحمة، ولا أجيب لأن الملحمة هي جواب عليه "، (32) } لقد أتهم بولس بأنه ضل الطريق لأنه كتب ملحمة عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه

السلام) فكان رده: " إذا كان التشيع تنقصاً لأشخاص أو بغضاً لفئات أو تهوراً للمزلق الخطرة فلست كذلك، أما إذا كان التشيع حباً لعلي وأهل البيت، وثورة على الظلم وتوجعاً لما حل بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ فإنّي شيوعي ". ﴿ 33 ﴾

كما نجد أن رشيد ابن بولس سلامة يقول متأثراً بأبيه: " أجد نفسي من جهة أقف من أعماق قلبي مع مصيبة الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار وأصحابه، وأنحني من جهة أخرى في مقابل العظمة التي تضمنتها هذه المصيبة الناشدة للحق والإصلاح ومن أجل استمرار الإيمان. ارتفعت في كربلاء صرخة فغذاها دم الحسين حتى تسمعها القلوب ويندهش العقل والفكر ". ﴿ 34 ﴾

يقول بولس سلامة في ملحتمه " عيد الغدير "

أي فضل لشاعر منك يعتام اللالي يصوغ منها رثاء
شاعرٌ مقعدٌ جريحٌ مهيضٌ كل أيامه غدت كربلاء ﴿ 35 ﴾
وقوله:

فأسم عيسى على الشفاء حبيب طاب وقعاً على القلوب ندياً
أتأس بأبن البتول فيوليني عزاء وبلسماً معنوياً
بجراح الحسين في كل جرح يجد الصبر كهفه الأزل
جلجل الحق في المسيحي حتى عُذَّ من فَرَطِ حُبِّهِ عَلَوياً ﴿ 36 ﴾
وقوله:

سيكون الدم الزكيّ لواءً لشعوبٍ تحاول استقلالاً
ينبت المجد في ظلال البنود الحمر يهوى نسيجها سربالاً
فإذا أعصر النؤومة تصحو من كراها وتحمد العزّالاً
سوف تبكي على الحسين البواكي ويُرَى كل محجر سلالاً
ليت شعري لِمَ البكاء وذاك اليوم عيد يشرف الأجيال
مأتم القاتلين لا مأتم القتلى يسيرون للخلود عجالاً
فيكون القتل بالطفّ للأحرار رأساً وللهدى مشعلاً
وأراني في صدر كل نبيلٍ شاد لي في جفونه تمثالاً ﴿ 37 ﴾

وقوله:

أنزلوه بكربلاء وصكّوا حوله من رماحهم لأسوارا
لا دفاعاً عن الحسين ولكن أهل بيت الرسول عادوا أسارى
قال: ما هذه البقاع فقالوا كربلاء فقالوا لا كنت دارا
ها هنا يشرب الثرى من دمانا ويثير الجماد دمع العذارى
بالمصير المحتوم أنبأني جدي وهيئات أذفع الأقدار
ان خلت هذه البقاع من الأزهار تصبح قبورنا أزهارا
أو نجوماً على الصعيد تهاوت في الدياجير تطلع الأنوار
تتلاقى القلوب من كل صوب فوقها والعيون تهمي ادكارا
من رآها بكى ومن لم يزرها حملّ الريح قلبه تذكارا
كربلاء ستصبحين محجّاً وتصيرين كالهواء انتشارا ﴿ 38 ﴾
ذكرك المفجع الأليم سيغدو في البرايا مثل الضياء اشتهارا
فيكون الهدى لمن رام هدياً وفخاراً لمن يروم الفخارا
كلّمّا يذكر الحسين شهيداً موكب الدهر ينبت الأحرارا
فيجيء الأحرار في الكون بعدي حينما سرت يلئمون الغبارا
وينادون دولة الظلم حيدي قد نقلنا عن الحسين الشعارا
فليمت كل ظالم مستبد فإذا لم يمت قتيلاً تواری
ويعودون والكرامة مدّت حول هاماتهم سناءً وغارا
فاذا أكرهوا وماتوا ليوثاً سجّل الحق للأسود انتصارا ﴿ 39 ﴾

وقوله:

غاص نيرون في دماء النصارى فحباهم زرع الخلود نميا
وأراق العبيد مهجة أهل البيت فأستشهد الحسين أبيا
ومضى للهلاك وغد زياد ولواء الحسين ظلّ عليّا
دمه السمح جلّل الدهر فخراً وجرى في العصور خصباً وريّا

كلما أعوز الميامين عزم لمسوه فعاد غصاً طرياً
من خلال التاريخ زيّقه لأعداء يبقى دم الحسين زكياً ﴿40﴾

9- أمل دنقل (1940 – 1983 م):

عمل الشاعر المصري العربي الصعيدي أمل فهيم أبو القاسم محارب دنقل موظفاً حكومياً في عدة وظائف، منها المحكمة وكمارك السويس والإسكندرية ومنظمة التضامن الأفرو آسيوي، ولكنه ورغم الأعباء الوظيفية هذه لم يترك كتابة الشعر، لعدة أسباب لعل في مقدمتها ان دنقل كان قد بدأ بنشر شعره منذ أن كان طالباً في الثانوية، وان والده مدرس اللغة العربية وهو من علماء الأزهر الشريف كان شاعراً. ﴿41﴾

عايش دنقل ثورة مصر في سنة 1952 م كما عايش الانكسار سنة 1967 م وأحداث السلام سنة 1977، ولذلك أصدر دواوينه السياسية ذات الطابع القومي العروبي. ومنها ديوانه " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " سنة 1969 م، وديوانه " التعليق على ما حدث " سنة 971 م، وديوانه " مقتل القمر " سنة 1074 م، وديوانه " العهد الآتي " سنة 1975 م وكان ديوانه " أوراق الغرفة 8 " هو آخر دواوينه كتب أبياته وهو بغرفة المستشفى سنة 1983 م. ﴿42﴾

كتب دنقل في قصيدته " من أوراق أبو نواس " يقول:

كنتُ في كربلاء

قال لي الشيخُ ان الحسينُ

مات من أجل جرعة ماء

وتساءلتُ كيف السيفُ استباحت بني الأكرمينُ

فأجاب الذي بصّرتَه السماءُ إنه الذهب المتلألئُ في كل عينُ

إن تكن كلماتُ الحسينُ

وسيفُ الحسينُ

وجلالُ الحسينُ

سَقَطَتْ دون أن تُنقذَ الحقَّ من ذهب الأُمراءِ

أفتقدر أن تنقذَ الحقَّ ثرثرة الشعراءِ

والفراءُ لسانٌ من الدم لا يجدُ الشفتين ؟ ! ﴿43﴾

10- توفيق الحكيم (1898 – 1987 م) :

كانت بداية ظهور تيار المسرح الذهني في تاريخ الأدب العربي الحديث، للكاتب المسرحي والأديب الروائي المصري توفيق الحكيم؛ فقد أسهم بقدر كبير في تعميق الوعي والرؤية النقدية للحياة والمجتمع؛ فالمسرحيات وفق هذا التيار صالحة للقراءة أكثر من صلاحيتها للتمثيل، لكونها مليئة بالرموز والدلالات التي يمكن أسقاطها على الواقع في سهولة من دون تعقيد أو غموض فضلاً عن خياله المتميز وتوفيقه بين الرمزية والواقعية. وفي ذلك يصرح توفيق الحكيم انه يقدم مسرح داخل الذهن ويجعل الممثلين أفكاراً من المعاني تتحرك في عقول القراء. ومثال لأشهر مسرحياته في هذا الاتجاه هي مسرحية الكهف لسنة 1933 م. ﴿ 44 ﴾

شارك توفيق بصغره بثورة 1919 م المصرية، ودرس القانون وأطلع على المسرح في مصر وفرنسا. عمل وكيلاً للنائب العام ومفتشاً للتحقيقات ومديراً لمصلحة الإرشاد الاجتماعي ومديراً لدار الكتب المصرية، ومديراً لإدارة الموسيقى والمسرح، ورئيساً لاتحاد كتاب مصر وعضواً في كل من مجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدرجة وكيل وزارة ومستشار بجريدة الأهرام وعضو مجلس إدارتها، ومندوب مصر بمنظمة اليونسكو في باريس. وقد حصل على الكثير من الجوائز. ﴿ 45 ﴾

ترجمت عدد من مسرحياته ورواياته إلى اللغة الفرنسية، كمثل مسرحية " شهرزاد " و " الملك أوديب " ومن الروايات رواية " عصفور من الشرق " و " سليمان الحكيم " و " عدالة وفن " و " عودة الروح "، كما حولت عدد من رواياته إلى أفلام سينمائية كمثل " المرأة التي غلبت الشيطان " و " الأيدي الناعمة " و " يوميات نائب غي الأرياف " و " الرسالة " وغيرها من القصص القصيرة منها " يا طالع الشجرة " و " الطعام لكل فم " و " شمس النهار " و " مصير صرصار " و " أشواك السلام "، ونظم ديوان شعري بعنوان " رحلة الربيع والخريف " وكذلك كتب توفيق عدد من المقالات الفكرية والشبابية والاجتماعية والسياسية المؤثرة. ﴿ 46 ﴾

كتب توفيق الحكيم بحق الإمام الحسين (عليه السلام) يقول: " يبقى الإمام الحسين (عليه السلام) على مر الدهور ذلك المثال الأعلى للتضحية والفداء من أجل المبدأ القويم ". ﴿ 47 ﴾

11- عبد الرحمن الشرقاوي (1921 – 1987 م) :

درس عبد الرحمن الشرقاوي الحقوق وبدأ حياته كمحامي. لكنه تركها وأنصرف إلى الكتابة كصحفي في عدد من المجلات والصحف والجرائد المصرية كمجلة الطلبة والفجر وصحيفة الجمهورية وجريدة الأهرام. ثم شيئاً فشيئاً صارت أدبياته تنمو وتنضج في التأليف المسرحي والسيناريوهات فضلاً

عن نظمه للشعر، وكان فكر الشرقاوي خلال ذلك يتعمق ونظرته تتوسع أكثر فأكثر. وقد شغل الشرقاوي منصب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف وسكرتير منظمة التضامن الآسيوي الأفريقي وأمانة المجلس الأعلى للفنون والآداب. { 48 }

كتب الشرقاوي وصيته لأولاده: " لن أترك لكم مالاً ولكن تركت لكم ثروة من المبادئ والقيم ". مما لاشك فيه إن الشرقاوي بوصيته هذه يقصد انه ترك كتبه بمسرحيتي " الحسين ثائراً " و " الحسين شهيداً " سنة 1969 م، وكتاب " علي إمام المتقين ". وروايات أخرى زاخرة بالقيم والمعاني النبيلة، وقد تحولت إلى أفلام ومسلسلات منها " الأرض " - فلم سنة 1954 م - و " الشوارع الخلفية " - فلم ومسلسل 1958 م - ورواية " قلوب خالية " سنة 1956 م و " الفلاح " سنة 1967 م. ومسرحية الفتى مهراّن وكتاب " محمد رسول الحرية ". { 49 }

من أبرز أقوال الشرقاوي في الإمام الحسين (عليه السلام) قوله: " الحسين شهيد طريق الدين والحرية، ولا يجب أن يفتخر الشيعة وحدهم باسم الحسين، بل أن يفتخر جميع أحرار العالم بهذا الاسم الشريف ". وفي إهدائه لسيناريو مسرحية " الحسين شهيداً " لأمه كتب يقول: " إليّ ذكرى أمي مسرحيتي " الحسين ثائراً " [مسرحية الحرية] و " الحسين شهيداً " [مسرحية ثار الله] لقد حاولت من خلالها أن أقدم لقارئ عصرنا ولمشاهد المسرح فيه أروع بطولة عرفها التاريخ الإنساني كله... إلى ذكرى أمي التي علمتني منذ طفولتي أن أحب الحسين ذلك الحب الحزين الذي يخالطه الأعجاب والإكبار والشجن، ويثير في النفس أسىً غامضاً، وحنيناً خارقاً إلى العدل والحرية والإخاء وأحلام الخلاص ". { 50 }

يرى الشرقاوي في مسرحيته " الحسين شهيداً " ان سبب السهام والرمح التي نالت من الإمام الحسين (عليه السلام) والخيول التي داست جسده الطاهر بحوافرها ليس كراهية لهذا الجسد الذي فارقت الحياة، إنما هو بحقيقته خوفاً من ثورة أطلقها وسعياً لقتلها، ولكن هذه الثورة لم تنتهي ذلك ان الروح التي فارقت الجسد المضرج بالدماء حملتها؛ فباتت ثورة لا تنطفئ ويخشها كل يزيد. فقد أجرى الشرقاوي هذا المعنى على لسان الإمام الحسين (عليه السلام) بهذا المقطع:

فلتذكروني، لا بسفككم دماء الآخرين

بل فأذكروني بانتشال الحق من ظفر الضلال

بل فأذكروني بالنضال على الطريق

لكي يسود العدل فيما بينكم

فلتذكروني بالنضال

فلتذكروني عندما تغدو الحقيقة وحدها

حيرى حزينة

فلتذكروني عندما تجد الفضائل نفسها أضحت غريبة

وإذا الرذائل أصبحت هي وحدها

الفضلى الحبيبة ﴿ 51 ﴾

ويستمر في قوله بهذا المقطع:

فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعة

وأرتضى الإنسان ذله

أنا سأذبح من جديد

وأظل أقتل من جديد

ألف قتله

سأظل أقتل كلما سكت الغيور

وكلما غفا الصبور

سأظل أقتل كلما

رغمت أنوف في المذلة

ويظل يحكمكم يزيد ما

ويفعل ما يريد

وولاته يستعبدونكم وهم شر العبيد

ويظل يلعنكم وإن طال المدى جرح الشهيد

لأنكم لم تدركوا ثأر الشهيد

فأدركوا ثأر الشهيد ﴿ 52 ﴾

ولعل من أشهر مقاطع مسرحية " الحسين ثائراً " والتي تسمى أيضا بـ " مسرحية الحرية " هو حوار الكلمة والتي يجري فيها الكلام على لسان كل من الوليد بن عتبة والي المدينة والإمام الحسين (عليه السلام) جاء فيها:

الوليد: نحن لا نطلب إلا كلمة ! ((فلتقل بايعة)) وأذهب بسلام لجموع الفقراء؛ فلتقلها وأنصرف يا ابن رسول الله حقناً للدماء؛ فلتقلها... أه ما أيسرها... إن هي إلا كلمة

الحسين (عليه السلام) منتفضا: كبرت الكلمة ! وهل البيعة الا كلمة !
 ما دين المرء سوى كلمة
 ما شرف الرجل سوى كلمة
 ما شرف الله سوى كلمة !
 مروان بغلظه: فقل الكلمة وأذهب عنا
 الحسين (عليه السلام): أتعرف ما معنى الكلمة
 مفتاح الجنة في كلمة
 دخول النار على كلمة
 وقضاء الله هو الكلمة
 الكلمة لو تعرف حرمة زاد مذخور
 الكلمة نور وبعض الكلمات قبور
 بعض الكلمات قلاع شامخة يعتصم بها النبل البشري
 الكلمة فرقان ما بين نبي وبغي
 بالكلمة تنكشف الغمة
 الكلمة نور ودليل تتبعه الأمة
 عيسى ما كان سوى كلمة
 أضاء الدنيا بالكلمات و علمها للصيادين فساروا يهدون العالم !
 الكلمة زلزلت الظالم
 الكلمة حصن الحرية
 إن الكلمة مسؤولية
 إن الرجل هو الكلمة
 شرف الرجل هو الكلمة
 شرف الله هو الكلمة ﴿ 53 ﴾

12- نزار قباني (1923 – 1998 م):

ينحدر القباني إلى أسرة عربية حجازية، يرجع نسبها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام). انتقلت الأسرة إلى العراق ومنه إلى

بلاد الشام. وفيها شارك والده بالمقاومة الوطنية ضد الانتداب الفرنسي وكان منزله مكان لاجتماع قطاب المعرضة خلال هذه الفترة. أما جده أبو خليل القباني فهو رائد مسرحي مشهور لكونه أدخل الفن المسرحي الى الأدب العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. { 54 }

بدأ الشاعر العربي نزار قباني حياته دبلوماسياً وشاعراً؛ فقد كتب الشعر منذ ان كان بسن السادسة عشر (16) من عمره، كما درس الحقوق وأصبح دبلوماسياً يتنقل كسفير بعدد من عواصم الدول كالصين وإنكلترا وإسبانيا وتركيا وغيرها. لكنه فيما بعد قدم استقالته وأنصرف لكتابة الشعر الرومانسي والعاطفي الذي غلب على شعره حتى سمي بشاعر المرأة وله الكثير من القصائد المغناة. وقد أسس دار نشر له لينشر قصائده وأعماله. { 55 }

لم يقتصر قباني في نظم الشعر على الجانب العاطفي؛ فقد تغلغت الجوانب السياسية والوطنية إلى نفسيته، وتغلّبت المشاعر القومية لديه وبدأ تظهر في شعره الثوري المنفض. كمثل " القصيدة الدمشقية " و " يا ست الدنيا بيروت " و " هوامش على دفتر النكسة " التي بسببها منعت أشعاره بالأعلام العربي لا سيما بعد ان كتب قصيدتيه وهو مقيم في لندن وهما " متى يعلنون وفاة العرب ؟ " و " المهلولون " و " يوميات سيف عربي " و " عنتره ". { 56 }

تعتبر أبياته في قصيدته " هل للحسين مع الروافض من نسب " أشهر وأقوى قصيدة للقباني في الإمام الحسين (عليه السلام) يقول بها:

سأل المخالف حين أنهكه العجب هل للحسين مع الروافض من نسب
لا ينقضي ذكر الحسين بثغرهم وعلى امتداد الدهر يُوقدُ كالأهب
وكأنَّ لا أكلَ الزمانُ على دمِ كدم الحسين بكرِلاء ولا شرب
أولم يُجنْ كَفَّ البكاء فما عسى يُبدي ويُجدي والحسين قد احتسب
فأجبتة ما للحسين ومالكم يا رائدي ندوات آلية الطرب
إن لم يكن بين الحسين وبيننا نسبٌ فيكفينا الرثاء له نسب
والحر لا ينسى الجميل ورده ولان نسى فقد أساء إلى الأدب
يا لائمي حب الحسين أجننا وأجتاح أودية الضمائر واشرابُ
فلقد تشرب في النخاع ولم يزل سريانه حتى تسلط في الركب
ومن مثله أحيى الكرامة حينما ماتت على أيدي جبايرة العرب
وأفاق دنياً طأطأت لولاتها فرمى لذاك ونال عالية الرتب

و غدى الصمود بإثره متحفزاً والذل عن وهج الحياة قد أحتجب
أما البكاء فذاك مصدر عزنا وبه نواسيهم ليوم المنقلب
نبكي على الرأس المرتل آية والرمح منبره وذاك هو العجب
نبكي على الثغر المكسر سنه نبكي على الجسد السليب المنتهب
نبكي على خدر الفواطم حسرة وعلى الشبيبة قطعوا إرباً إرب
دع عنك ذكر الخالدين وغبطهم كي لا تكون لنار بارئهم حطب ﴿ 57 ﴾

من الملاحظ عن نزار قباني انه كان يستعين بواقعة الطف لمادته الشعرية
كلما أحتاج ان يضع يديه على جرح الأمة النازف، ﴿ 58 ﴾ عندما تحل النكبات
ويجتاحه الوجد منها والحزن والأسى. كما في قصيدته " إفادة في محكمة الشعر "
والتي ألقاها في مهرجان الشعر التاسع 1969 م؛ فيقول في بعض أبياته:

سكن الحزن كالعصافير قلبي فالأسى خمرهٌ وقلبي الإناء
أنا جرحٌ يمشي على قدميه وخيولي قد هدها الأعياء
فجراح الحسين بعض جراحي وبصدري من الأسى كربلاء
يتذكر القباني واقعة الطف بكربلاء في كل حزن عربي؛ ففي قصيدته التي
يرثي فيها الرئيس جمال عبد الناصر يقول:

وكم من إمام ذبحناه
وهو يصلي صلاة العشاء
فتاريخنا كله محنةٌ
وأيامنا كلها كربلاء

في سنة 1973 م رثى نزار قباني طه حسين بقصيدة أسماها " أرم
نظارتك ما أنت أعمى " ألقاها بجامعة الدول العربية حيث يقول:

إنني في حُمى الحسين وفي الليل
تشتد الأحزان بي فأنادي
أه يا مصر من بني قحطان
حبسوا الماء عن شفاه اليتامى
وأراقوه في شفاه الغوان

ويفاجأ نزار قباني سنة 1985 م عند حضوره لبغداد الذين دعوه لمهرجان المربرد الخامس العراقي بحضور وزير الثقافة وعدد من المسؤولين، بقصيدته المعنونة " جلودنا مختومة بختم كربلاء " وليبدأ ثورته الحسينية ضد حكومة بغداد التي لم تستدعيه بعد هذه القصيدة لأي مهرجان في العراق. ومن ضمن ما قال في هذه القصيدة ":

مواطنون دونما وطن
مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن
مسافرون دون أوراق
موتى دونما كفن
مواطنون نحن في مدائن البكاء
قهوتنا مصنوعة من دم كربلاء
حنطتنا معجونة بلحم كربلاء
طعامنا... شرابنا
عادتنا... راياتنا
زهورنا... قبورنا
جلودنا مختومة بختم كربلاء
يبدأ نزار قباني مشاركته الجنوب اللبناني بمقاومته الاحتلال الصهيوني بكربلاء وينتهي بها، إذ يقول في قصيدته المسماة بـ " قصائد مغضوب عليها ":

سميتك الجنوب
يا لابساً عباءة الحسين
وشمس كربلاء
يا شجر الورد الذي يحترف الفداء
يا ثورة الأرض ألتقت بثورة السماء
يا جسدا يطلع من ترابه
قمح وأنبياء
سميتك الجنوب
يا قمر الحزن الذي يطلع ليلاً من عيون فاطمة

يا سفن الصيد التي تحترف المقاومة
يا أيام عاشوراء
و يا مآذن الله التي تدعو إلى المقاومة
يا لعلعة الرصاص في الأعراس
يا فصائل النمل التي تهرب السلاح للمقاومة
ويستمر نزار قباني في تشبيه الوجد العربي بكربلاء؛ ففي قصيدته المسماة
بـ " منشورات فدائية على جدران إسرائيل " قوله:
نأتي بكوفيّاتنا البيضاء والسوداء °
نرسم فوق جلدكم °
إشارة الفداء
من رَجَم الأيام نأتي...كانبثاق الماء
من خيمة الذلّ الذي يعلكها الهواء
من وَجَع الحسين نأتي
من أَسَى فاطمة الزهراء
من أُحْد...نأتي ومن بَدُرٍ
ومن أحزان كربلاء
نأتي...لكي نصحِّح التاريخ والأشياء
ونطمس الحروف...
في الشوارع العبريّة الأسماء
وفي القصيدة المسماة " آخر عصفور يخرج من غرناطة " يقول نزار
قباني:

ظلي معي
حتى يظل البحر محتفظاً بزرقاته
ظلي معي فلربما يأتي الحسين
وفي عباءته الحمائم والمباخر والطيوب
ووراءه تمشي المآذن والربا

وجميع ثوار الجنوب
 ويشبه نزار قباني مذبحة قانا سنة 1996 م بمذبحة كربلاء بقوله "
 كل من يكتب تاريخ قانا
 سيسميها على أوراقه
 كربلاء الثانية
 وفي قصيدته التي أسماها " من قتل مدرس التاريخ " يقول نزار قباني:
 من أين يأتينا الفرح
 وكل طفل عندنا
 تجري على ثيابه
 دماء كربلاء

13- جورج سجعان جرداق 1931 - 2014 م:

أشتهر الشاعر والكاتب المسيحي اللبناني جورج سجعان جرداق بحبه وعشقه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان إعلامياً عرف بنقده الساخر المحبب. كتب في عدة مجلات في بيروت والقاهرة. ومنها مجلة " الحرية " و " الجمهور الجديد " و " الكفاح العربي " و " الأنوار " و " الصياد " و " الشبكة "، كما كان له برنامج إذاعي صباحي. ﴿ 59 ﴾

وضع جرداق كتابه " فاغزر والمرأة " وقد نال شهرة واسعة، وهو صاحب القصيدة المغناة " هذه ليلتي ". ثم تفرغ بشكل نهائي للكتابة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأخرج موسوعته " الإمام علي صوت العدالة الإنسانية " في خمسة أجزاء. ﴿ 60 ﴾

يقول جورج وهو الأديب المسيحي اللبناني عن الإمام الحسين (عليه السلام): " ذلك الغيور الذي كان يهتم بناموس الناس إلى هذا الحد ولم يتوان لحظة عن القتال في الذود عن نسائه و عياله والآخرين، حينما بقي وحيداً في ساحة القتال، وجلس على الأرض من فرط جراحات السيوف والرماح ورأى أشقياء الكوفة يهجمون على خيام عياله من كل جانب ورفع يده الحديدية المضرجة بالدماء وصاح بهم: يا شيعة آل أبي سفيان ! ان لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم ". ﴿ 61 ﴾

حين سئل جورج جرداق عن أوجه الشبه بين الحسين وعلي ! ولماذا اختار علياً ليكتب عنه ولم يختار الحسين ؟ أجاب: " وجدت ان الحسين عليه السلام هو خط طبيعي لأبيه وأشرت إلى ذلك وتحدثت عن فسق معاوية وجرمه

كما من ظلم يزيد وبطشه، وأن العدالة المتوافرة في علي من عادات عربية أصيلة كحب الخير والمساعدة والنخوة والشهامة والكرم والرجولة والشهادة والبطولة والفروسية والشجاعة والعدل والأنصاف والثقافة والأدب والفكر والعلم والدين أي الزهد ومخافة الله التي عند علي هي نفسها متمثلة بالحسين “ {62}

وفي نص آخر يقول جورج جرداق: ” حينما جند يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، كانوا يقولون له: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسين فكانوا يقولون: لو أننا نقتل سبعين مرة؛ فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضاً “ {63}

الخاتمة:

لقد تم اختيار اثنتي عشر مفكراً وأديبا عربيا من مصر وسوريا ولبنان من الديانتين المسيحية والإسلامية، لعرض آرائهم وأقوالهم ونظراتهم الفلسفية والأدبية في تقييمهم للقيم النبيلة والمعاني السامية للمبادئ الأخلاقية التي حملتها واقعة الطف بين طياتها، والتي عرضوها بكل جرأة أدبية لتكون مفاتيح لأي انتفاضة أو حركة ثورية ضد الظلم والطغيان والعبودية.

إن واقعة الطف ليست يوتوبيا خيالية؛ فالكتابة عنها واقعية وهي خلاصة رحلة تاريخية لواقعة حقيقية، والتماس هؤلاء المفكرين والأدباء آراءهم وأفكارهم وقيمهم في كتاباتهم وأشعارهم من هذه الواقعة التي وجدوا ضالتهم فيها، كانت بمثابة المدينة الفاضلة لهم وهذا ليس غريبا أمام عشقهم للحرية وانتفاضاتهم الثورية والإصلاحية الكامنة في نفوسهم. وهو ما يمكن ملاحظته خلال الكشف عن سيرهم الذاتية.

لقد حددت مساهمة الأدباء برؤاهم الفلسفية أو الفكرية أو الدينية عن واقعة الطف هوية الإنسان الحضارية لمعاصريهم من المتقنين بصورة جلية واضحة، لاسيما وأنها هوية مجيدة مقدسة خالدة؛ فهي على كل حال تذكير لمن يخوض الصراع المادي والروحي، وقد توسعت هذه الرؤى في معانيها كمنهج ليشمل كل مجالات الحياة.

من الملاحظ أن عدد غير قليل من العرب ذوي الديانة المسيحية قد أبدوا رأيهم وأعجابهم بالقيم التي حملتها واقعة الطف! والأمر المرجح هنا عدة احتمالات منها عامة ومنها خاصة لاسيما وان مأساة الإمام الحسين قد ألهمت وأثارت أحاسيس ومشاعر إنسانية عالمية هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هناك من وقف يحارب مع الإمام الحسين (عليه السلام) بواقعة الطف وهو يدين بالديانة المسيحية! كما ليس من المستغرب أن تذكر مأساة كربلاء المسيحيين بمأساة صلب نبيهم، وأن كان شبه لهم فيه؛ فأنها على كل حال نهاية مأساوية

واقعة، وهي تشبه مأساة عدد من الأنبياء والمصلحين كنبى الله يحيى (عليه السلام).

الهوامش:

- 1- الزركلي: الأعلام، ج 2، ص ص 110 - 111؛ نعيمة: جبران خليل جبران، ص ص 13 - 26.
- 2- القوال: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، نصوص خارج المجموعة، ص ص 11 - 15.
- 3- الزركلي: م. س والجزء والصفحة؛ القوال: م. س، ص 209.
- 4- القوال: م. س، ص ص 208 - 209.
- 5- شبير: أدب الطف أو شعراء الحسين (ع)، ج 1، ص 19؛ مجلة الموسم، العدد 13، م 4، سنة 1992 م، ص 354.
- 6- شيخو: تاريخ الآداب العربية، ج 2، 289؛ الزركلي: م. س، ج 3، ص 121؛ شبير: م. س ج 8، ص ص 89 - 91.
- 7- شبير: م. س، ج 8، ص ص 89 - 91.
- 8- الزركلي: م. س، ج 1، ص ص 282 - 293؛ شبير: م. س، ج 10، ص 44.
- 9- شبير: م. س والجزء والصفحة.
- 10- م. ن والجزء والصفحة.
- 11- م. ن، ج 10، ص 43.
- 12- م. ن والجزء والصفحة.
- 13- العقاد: أبو الشهداء ابن علي (عليه السلام)، ص 76.
- 14- م. ن والصفحة.
- 15- م. ن، ص 145.
- 16- الزركلي: م. س، ج 3، ص ص 231 - 232.
- 17- ضيف: الأدب العربي المعاصر.
- 18- حسين: الأيام، ص 37.
- 19- الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص 22.
- 20- الباوي: عمالقة الأدب العربي المعاصر، 62.
- 21- الناهي: دراسات أدبية.
- 22- الطريحي: مواسم الحسين (ع)، م 104، ص 604.
- 23- الزركلي: م. س، ج 3، 285؛ النحاس: حوار مع عبد الحميد السحار، موقع البوابة لايت، 7 / مارس، 2018 م.
- 24- مرسي: أنفال وظلال، ص 18.
- 25- خليفة: الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة، ص 120.
- 26- م. ن والصفحة.
- 27- م. ن والصفحة.
- 28- سلامة: م. س، ص ص 26 - 27.
- 29- م. ن، ص 312.

- 30- م. ن والصفحة.
- 31- شمس: حياة الشاعر المسيحي بولس سلامة، موقع الولاية الإخبارية؛ سلامة: رشاد سلامة يدعو المجتمع الإنساني للاقتداء بشخصية الإمام الحسين (ع)، موقع وكالة برائنا، موقع شفقنا.
- 32- سلامة: عيد الغدير، ص 27.
- 33- م. ن، ص 28.
- 34- شمس: م. س والمواقع.
- 35- سلامة: م. س، ص 259.
- 36- م. ن، ص 294.
- 37- م. ن، ص ص 261 – 262.
- 38- م. ن، 263.
- 39- م. ن، ص 312.
- 40- مجلي: أمل دنقل أمير شعراء الرفض.
- 41- الرويني: الجنوبي أمل دنقل.
- 42- دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص 313 – 314.
- 43- الغرفي: أمل دنقل عن التجربة والموقف.
- 44- يوسف: تنمة الأعلام للزركلي، ص ص 95 – 97.
- 45- م. ن والصفحات.
- 46- منصور، أنيس: توفيق الحكيم، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9660، 10 / مايو، 2005م.
- 47- يوسف: م. س، ص 75.
- 48- الشاروني: مبدعون وجوائز، عبد الرحمن الشرقاوي.
- 49- الحسين ثائراً، ص 5.
- 50- م. ن، ص 129.
- 51- م. ن، ص 131.
- 52- م. ن، ص ص 30 – 31.
- 53- الربيع والصيف، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، 1433 م، ص ص 21 – 39.
- 54- جريدة البناء، 1629، 20 / 8 / 2018، ص 5.
- 55- غبرة: روائع نزار قباني، ص ص 5-19.
- 56- أبي صعب، بيير: نزار قباني شاعر الغواية والغضب السياسي، جريدة الأخبار اللبنانية، العدد 512 / 29 / 2008 م.
- 57- عبد الفتاح، وائل: القارئ أولاً، جريدة الأخبار اللبنانية، العدد 512 / 29 / 2008 م.
- 58- موقع نزار قباني: سيرة حياة نزار قباني، 3 / تشرين الأول / 2011 م.
- 59- مؤسسة السبطين العالمية، معجم السبطين للشعراء المعاصرين.
- 60- جرداق، جورج سجعان: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، علي وحقوق الإنسان، دار ومكتبة صعصعة، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، 1423 هـ / 2003 م.
- 61- موقع الديوان، لبنان: قصائد جورج جرداق.
- 62- موقع شيوه برس: متابعات، القاهرة، سكاى نيوز.

المراجع:

- 1- باقري، سوسن: عبد الرحمن الشرفاوي الكاتب المصري حياته وأدبه، رسالة ماجستير، جامعة آزاد الإسلامية، كرج.
- 2- الباوي، محمد: عمالقة الأدب العربي المعاصر، دار الأرقم، بلا مكان النشر، بلا رقم الطبعة 2007 م.
- 3- الجندي، أنور: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، بلا مكان النشر، الطبعة الثانية، بلا سنة النشر.
- 4- حسين، طه: الأيام، دار المعارف، القاهرة، 1963 م.
- 5- خليفة، كما سعد: الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة تحليل ونقد، مكتبة العبيكان الرياض، الطبعة الأولى، 1428 هـ / 2007 م.
- 6- دنقل، أمل: الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1407 هـ / 1987 م.
- 7- الرويني، عبلة: الجنوبي أمل دنقل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1985 م.
- 8- الزركلي، خير الدين: الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عشر، 2007 م.
- 9- الشاروني، يوسف: مبدعون وجوائز، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003 م.
- 10- شبر، جواد: أدب الطف أو شعراء الحسين (ع)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ودار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى، 1388 هـ / 1969 م، 1409 هـ / 1988 م.
- 11- الشرفاوي، عبد الرحمن:
أ- الحسين ثائراً، مسرحية الحرية. مطبعة روز اليوسف، بلا مكان الطبع، بلا رقم الطبعة 1984 م.
ب- الحسين شهيداً، مسرحية ثار الله. مطبعة روز اليوسف، بلا مكان الطبع، بلا رقم الطبعة 1984 م.
- 12- شيخو، الأب لويس: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين منشورات دار المشرق، بيروت، 1991 م.
- 13- سلامة، بولس: عيد الغدير، مكتبة الروضة الحيدرية، مطبعة النسر، بيروت، 1949 م.
- 14- ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، بلا رقم الطبعة 1961 م.
- 15- الطريحي، محمد سعيد: مواسم الحسين (ع)، موسوعة المواسم، من وحي ربيع الشهادة، دار الرافدين، بيروت، المجلد 104، 2014.
- 16- العقاد عباس محمود: أبو الشهداء ابن علي (عليه السلام)، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر الطبعة الثامنة، 2006 م.
- 17- غيرة، رياض أجود: روائع نزار قباني، دار الإسراء للنشر والتوزيع، جبل عمان، العبدلي (عمان) الطبعة الأولى، 2006 م.
- 18- الغرفي، حسن: أمل دنقل عن التجربة والموقف، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1985 م.
- 19- القوال، أنطوان: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران نصوص خارج المجموعة، دار الجيل، بلا مكان الطبع، الطبعة الأولى، 1414 هـ / 1994 م.

- 20- مجلي، نسين: أمل دنقل أمير شعراء الرافض، كتاب المواهب، القاهرة، 1986 م.
 21- مرسي، أمين: أنفال وظلال، دار السلام للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى، 2009 م.
 22- الناهي، غالب: دراسات أدبية، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، بلا رقم الطبعة، 1954 م.
 23- نعيمة، ميخائيل: جبران خليل جبران، مؤسسة نوفل، بيروت، الثالثة عشر، 2009 م.
 24- يوسف، محمد خير رمضان: تنمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية 1422 هـ / 2002 م.

المجلات والجرائد:

- 1- جريدة الأخبار اللبنانية، العدد 512 / 29 / 2008 م.
 2- جريدة البناء، بيروت، العدد 1629، السنة 20 / 8 / 2018.
 3- جريدة الشرق الأوسط، العدد 9660، 10 / مايو، 2005 م.
 4- مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الخامسة عشر العدد الأول.
 5- مجلة الموسم، هولندا، لاهاي، أكاديمية الكوفة، العدد 13، المجلد 4، سنة 1412 هـ / 1992 م.

المواقع:

- 1- البوابة لايت: حوار مع عبد الحميد السحار، برنامج كاتب وقصة، التلفزيون المصري، 7 / مارس / 2018 م.
 2- شفقنا ووكالة براتا: رشاد سلامة يدعو المجتمع الإنساني للاقتداء بشخصية الإمام الحسين (ع).
 3- مؤسسة السبطين العالمية: أشعار نزار قباني.
 4- موقع نزار قباني: سيرة حياة نزار قباني، 3 / تشرين الأول / 2011 م.
 5- الولاية الإخبارية: حياة الشاعر المسيحي بولس سلامة، بقلم حسين شممص.

الطف والحشد: درس وعبر دراسة اجتماعية لتأصيل الفعل لمقاوم

أ.م.د. رسول مطلق محمد

قسم علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة بغداد

د. سوزان محمد

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

الطف والحشد: درس وعبر

دراسة اجتماعية لتأصيل الفعل لمقاوم

أ.م.د. رسول مطلق محمد

قسم علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة بغداد

د. سوزان محمد

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مقدمة:

كانت الحرب على الإرهاب من المنظور الغربي- الأمريكي، حرب على الإسلام، قد بوشر بها، من على شاشات التلفاز وعبر محطات البث الفضائي، من خلال بث مشاهد الرعب والهلع المرتسم على ملامح الناس المدنيين في أمريكا خلال انهيار برج التجارة العالمية في 11/ أيلول/2001، واستتبع تلك الصور والمشاهد بخطابات متلفزة لابن لادن وأتباعه وهم جالسون أمام مغارة أفغانية والى جانبهم سلاحهم، وهكذا أخذت حرب الصور تتصاعد وتيرتها، لاسيما بعد احتلال العراق من القوات الأمريكية في نيسان عام 2003، وعلى هذا النحو استمرت المحطات الفضائية باستعراض صور تعذيب الجنود الأمريكيين والتمثيل بهم، وسط أصوات تكبير متعالية، أو يافطات سوداء مكتوب عليها: لا اله إلا الله، ويلفت النظر ان هذا الاستعراض المتكرر لتلك المشاهد كان يجري من دون رقابة، ويُجبر لصالح من يريدون ان يشوهوا صورة الإسلام والمقاومة الإسلامية والوطنية الشريفة وتدني سمعتها واتهامها بالإرهاب، الا ان المقاومة الإسلامية والوطنية لم يثنها شيء عن عملها ولم تتردد في استهداف أعداء الدين والوطن، فإن المقاوم- أياً كان تعريفه - يختلف إلى حد كبير عن الإرهابي. فهو يدرك ان فعله مرفوض ومدان طبقاً لمعايير معينة قانونية أو عرفية تضعها البلدان الغازية وعلى رأسها أمريكا خدمة لمصالحها البغيضة، كما يدرك بأنه لا يوقع الأذى بالناس الأبرياء كما يفعل الإرهابي.

فالمقاوم نذير الموت، يرى في الجهات أياً كانت: الجيوش الغازية والمحتلة أو الجماعات التكفيرية المتطرفة المسلحة (القاعدة وأخواتها) أعداءً مرشحين لعقوبات يوقعها عليهم فهم-الإرهابيون- بالنسبة له مجرد أجساد مرشحة للقتل والحرق، بصب جام غضبه عليهم، في لحظة حاسمة لمجرد ان يقول (المقاوم) بأنه موجود ويكون صوتاً مدوياً للدفاع عن أرض الوطن وعن وحدة الشعب وحرماته وعن كل المقدسات، فهو رقم صعب في معادلة القوة وان له تأثير مهم في مسيرة الأحداث، وان الفوضى التي صنعها الاحتلال وعملت داعش وأخواتها على أدامتها وحرصت على ان تستمر لتعُم في المجتمع ضرورة لإلقاء الحجة على المعتدين، بأنكم دمرتم بلدي، وإثبات انه قد اختار ان يكون موته سلاحاً..

حكم بالموت عليهم به.. لأنهم -الإرهابيين- في وجهة نظر المقاوم يفتقرون إلى حق الحياة لأنهم غاصبين ومخربين. وان العدو في نظره يستحق كل مبررات التدمير، وإذا كتب له ان يعيش، وان يحفظه الله، ويحفه بأمنه وسداده، فإنه سيبحث عن آخر عدو إرهابي محتل أو غاصب ليقتص منه وليكون مرشحاً للموت. وبذلك يُجيز المقاوم لنفسه حق الاقتصاص من كل معتدٍ. فالمقاومة والجهاد حق تقره كل الأديان والشرائع السماوية بل ان ذلك الحق في بعض الأحيان يرقى إلى مستوى الواجب والتكليف المقدس(*) .

قبالة ذلك يكون المقاوم أو المجاهد والمدافع عن أرض الوطن والمقدسات، في موضع الغموض من وجهة نظر الآخرين ممن لم يطلعوا على حقيقة عمله الذي يستدعي السرية والكتمان. إذ يتداخل مصطلح الجهاد ومقاومة الإرهاب مع مفاهيم مثل: الانتقام، والنضال، والكفاح، والثأر، والثورة... الخ. وكلها مفاهيم تتبلور معانيها حول استخدام لعنفٍ شديدٍ لكن مبرراته وتفسيراته تختلف. فأن موقف المقاوم أو المجاهد الذي يقتل جنود الاحتلال أو الإرهابيين والتكفيريين ويستهدف المعتدين والمتطرفين، يكون موقفاً مقبولاً، بل ومشرفاً على الرغم من التباس ذلك الفعل أو الموقف وامتزاجه بعنفٍ مطلوبٍ موجه إلى الهدف. مثلما ان العنف المستخدم من جيوش الاحتلال أو الإرهابيين للنيل ممن يحاول الوقوف بوجههم أو يقاومهم. هو عنف مرفوض ومدان، فثمة فارق مهم هو ان عنف جيوش الاحتلال وعنف الإرهابيين والقتلة هو عنف أهوج، موجه نحو أناس أبرياء، مجهولين بالنسبة له، ليس لهم معه علاقة شخصية تبرر موتهم. خلاف العنف الذي يوجهه المجاهد والمقاوم، ضد الإرهابيين المعتدين، والغاصبين، والتكفيريين، فهو -المقاوم- يعرف ما يريد ومن يريد ويعرف وجهته جيداً. فالمقاوم يجعل حياة المعتدين في متناول يده، وفي دائرة حقه المشحون ضد الإرهابيين المعتدين، فهو قد أصدر عليهم حكمه بالموت. فالمجاهد المقاوم للإرهاب يمتلك اليقين الكافي بمشروعية سلوكه لذلك فهو يحرص على ان يكتب على جبينه كلمات دينية، أو وطنية نابعة من حقيقة مشروعه السامي وعقيدته الصادقة مثل: يا الله، الله أكبر، لا اله إلا الله، لبيك يا وطني، عاش الوطن، نحن فداءً للوطن، مثلما كتب المجاهد (المقاوم) العراقي على جبينه لبيك يا الله.. النصر لنا.. هيهات منا الذلة.. لبيك يا عراق.

المبحث الأول: المقاومة وفق المنظور الديني والدولي

- الرؤية الغربية للمقاومة:

تعد الحرب وبلا منازع، الظاهرة الأشد عنفاً بين كل الظواهر الاجتماعية، ولأنها تبدو على درجة من العمومية، بوصفها أقصى صور الصراع البشري، سنحاول وبشكل مختصر(*)، بيان موقف الحضارة الغربية من مقاومة الحروب، ويمكننا القول ان ذلك الموقف يشتمل على جنبتين: احدهما جنبه دينية

موضوعية، ففي اللاهوت المسيحي موقف مهم تجاه الحرب والمقاومة، وهو موقف أصيل وقوي، إذ لعنتها ورفضتها بالقول: من يضرب بالسيف فإنه سوف يموت⁽¹⁾، وتأتي قوة ذلك الموقف من خلال تجريم المعتدي-الضارب بالسيف- وسيكون مصيره الاعتداء عليه بمثل ما اعتدي به -الموت-، أما قانون الحرب والمقاومة في التوراة فهو: في حالة الغزو يجب على الجميع ان يقاتلوا، وعلى العكس من ذلك الحروب العدوانية يقوم بها المتطوعون⁽²⁾، ونلاحظ هنا أيضاً وجه من أوجه الحرمة ومنع الاعتداء على الآخرين، وبذلك الصدد أيضاً يشير الكتاب المقدس إلى حرمة القتل بقول النبي عيسى (ع)⁽³⁾:

"وسمعتم أنه قيل: عينٌ بعينٍ وسنٌ بسنٍ. أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له الخد الآخر؛ ومن أراد محاكمتك لياخذ ثوبك، فأترك له رداءك أيضاً؛ ومن سخرك أن تسير ميلاً، فسر معه ميلين. من طلب منك شيئاً، فأعطه. ومن جاء يقترض منك، فلا تردّه خائباً"

مثلما يؤكد علماء اللاهوت ان إصرار عيسى (ع) على عدم استعمال العنف واضحاً في جميع مراحل حياته، ولم يعيش المسيح بدون استخدام للعنف فقط، بل انه علم ذلك أيضاً لتلامذته وأتباعه (الحواريين)، من خلال وصاياه العشرة التي لم يسبق لها مثيل إذ وجهها إلى شعب عانى من القهر المستمر لأكثر من قرنين على يد غزاة أجنبية⁽⁴⁾، أما الجنب الثانية فهي: أيديولوجية انتهازية تتمثل في الدور السياسي للإيديولوجيا أكثر وضوحاً من دور الأديان، وعلى هذه الشاكلة يمكن للمسيحية تبرير حصر السلطة في يدي شخص واحد، ويكون التقاؤها عرضياً مع مصلحة ذلك القائد⁽⁵⁾، بغض النظر عن تطابق أفعاله أو ابتعادها عن تعاليم الدين، إذ ما لبثت الكنيسة إلا ان تجد نفسها مضطرة إلى ان تتصالح مع السلطة من أجل تمرير أفعال بعض الحكام الإعتدائية وتسويغها ومنحه نوع من المشروعية، إذ يحاول الفيلسوف نيكولو ميكافلي^(*) تمرير تلك القضية بالقول: ان كل حرب تعتبر عادلة عندما تكون ضرورية. وهذا يمكن ان يرتبط بما يسمى أحياناً بـ (تقديس الحرب)، وهي حالة تعبر عن نوع من الاندماج بين حالة العسكرة والكنيسة، أو ما يدعوهُ المؤرخون الحداثيون بـ (الإصلاحي الإكليريكي للمقاتلين غير المتدينين)، وهي جزء من سياسة إضفاء البعد الروحي على الفظائع والأعمال الوحشية للمعتدين⁽⁶⁾، وهنا يمكننا ان نلمس وقاحة الفكر الغربي المتطرف (وليس المطلق) الذي استطاع ان يتلاعب بنصوص مقدسة وتزييف الوقائع من أجل خدمة مصالحه التوسعية، فكيف لا يمكنهم الفقر على الاتفاقيات، والأعراف الدولية؟!!!! طالما ان القانون الدولي خلال حقبة العصر الوسيط استطاع ان يبني مفاهيم حول الحرب الدفاعية أو الاعتداء، انطلاقاً من معيار السيادة، فيمنح الحق بالقيام بالحرب ضد أي كان، ومقدرة الرد على أي تحدٍ، فالمنظور الدولي وفق ذلك يرى بأن حدود أي دولة هي الخط الذي تستطيع الانطلاق منه لاجتياح بلد مجاور أو الخط الذي يهاجمنا منه المعتدي⁽⁷⁾. والمعيار

في الحروب هي حدود الدولة، فإذا تم عبورها نحو الآخرين كان اعتداءً، وإذا عبرها الآخرين علينا كان دفاعاً.

الرؤية الإسلامية للمقاومة (الجهاد):

كما هو معلوم ان الإسلام دين سلام لا حرب، وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان، إذ يعترف بها ويقرها العدو قبل الصديق، فالإسلام يدعو إلى العمل وإلى الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى⁽⁸⁾، لذلك أدان جميع علماء المسلمين (بمختلف مذاهبهم) والدول الإسلامية الهجمات الإرهابية الانتحارية التي وقعت في أمريكا يوم 11/أيلول/2001 أو ما يسمى بغزوة مناهاتن، واعتبرتها أعمال ضد الإنسانية كونها موجهة ضد المدنيين والناس الأبرياء وهو فعل يتقاطع مع التعاليم الإسلامية السمحاء، إذ كانت حياة الرسول الكريم محمد (ﷺ) مثلاً أعلى في التسامح والمحبة والسلام، مثلما أمره الله بذلك (عدم جواز أكره الآخرين) على الإسلام بقوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (9)، ودعوة الباري عز وجل إلى السلام والأمان وعدم شيوع مظاهر الحرب والعداوة في المجتمعات الإنسانية بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (10)، وتمثل رفض القوى الإسلامية للإرهاب في مواقف حيث صدرت العديد من الفتاوى الشرعية التي تحرم استخدام العنف والإرهاب ضد الناس الأبرياء، انطلاقاً من التوجه الإنساني النبيل لفصائل و فرق المقاومة الإسلامية، رغم تبنيها لأعمال الجهاد والمقاومة لأي احتلال أو قهر أو عدوان، إذ ان الإسلام رفض الحرب بكل صورها وأشكالها، إلا الحروب الدفاعية التي ممكن ان تقوم للدفاع عن الأرض، أو الوطن، أو دفاعاً عن المقدسات كالدفاع عن بيضة الإسلام كما يعبر عنه بعض الفقهاء، أي حينما تتعرض العقيدة الإسلامية للأخطار، فانه تعالى حرم البدء بالقتال اعتداءً على الآخرين بقوله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (11). وضاعف الله الأجر في مثل تلك الحروب، إذ فضل المجاهد على القاعد - غير الملتحق - بتلك الحروب، كما في قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} (12)، وأعطى منزلة علياً لمن يقتل فيها وهي منزلة الشهادة كما في قول الرسول الكريم محمد (ﷺ): (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون وطنه فهو شهيد) نستخلص مما تقدم بأن الإسلام قد تعامل مع مسألة الحرب والقتال والمقاومة كضرورة من الضرورات الاستثنائية، لدفع الضرر، أو رد الاعتداء، لذا نجد ان العقيدة الإسلامية قد حثت، وألزمت المسلمين بعدم الإسراف في القتل، أو إلحاق الأذى بالآخرين أو الاعتداء عليهم.

المنظور/المسوغ الدولي للمقاومة (للجهاد):

كان الاستعمار وإلى عهدٍ قريبٍ يُعد عملاً مشروعاً، ويجيزه القانون الدولي، مما أسهم ذلك في تعدد وتنوع أشكال وصور ذلك الاستعمار، بتعدد صور وأساليب قهر الشعوب واضطهادها، فظهرت العديد من الأنظمة الاستعمارية التي يجيزها ويقرها القانون الدولي منها: الانتداب، والتبعية، والحماية الدولية (الوصاية) والضم⁽¹³⁾، إذ بإمكان الدول المستعمرة ان تتدخل في الشؤون الداخلية لتلك البلدان أو الأقاليم الواقعة تحت سيطرتها، وتضع كل مقدرات تلك البلدان بأيديها. وفي خضم معاناة الشعوب المحتلة، أو التي تعاني من التسلط الاستعماري التوسعي، ظهر حق تقرير المصير في القرن العشرين، وقد أقر مؤتمر السلام العالمي المنعقد في مدينة باريس عام 1919 هذا الحق⁽¹⁴⁾.

وتعد المقاومة التي يقوم بها السكان المدنيون في المدن عملاً شرعياً لمقاومة الاحتلال، ويوصف الأفراد القائمون بالمقاومة بوجه سلطات الاحتلال (بالثوار) أو المقاومون؛ ويطبق عليهم أحكام القانون الدولي في عمليات مقاومتهم للاحتلال⁽¹⁵⁾.

كما وتعد المقاومة، أو الكفاح المسلح كما يسميها بعضهم الوسيلة الأكثر استخداماً والأجدي نفعاً لدى الشعوب لممارسة حقها في تقرير المصير حيث لا قيمة للوسائل السلمية مع الممارسات التعسفية للقوى الاستعمارية والعنصرية، إذ ان المقاومة تعني الاستخدام المشروع للقوة المسلحة من أجل نيل الاستقلال. وقد نصت المادة الأولى من اللائحة المتعلقة بقوانين الحرب البرية وأعرافها في مدينة لاهاي 18 تشرين الأول 1907 على ما يأتي:

أ- قوانين الحرب وحقوقها وواجباتها لا تنطبق على الجيش فقط؛ وإنما تنطبق على الوحدات المتطوعة للمقاومة إذا توافرت فيها الشروط الآتية^(*):

- 1- أن يكون على رأس الوحدات المتطوعة شخص مسؤول عن مرؤوسيه.
- 2- أن تحمل السلاح علناً.
- 3- أن تكون لها شارة مميزة ثابتة يمكن تمييزها عن بعد.
- 4- أن تلتزم هذه الوحدات في أثناء تنفيذ عملياتها العسكرية بقوانين الحرب وأعرافها.

ونصت المادة الثانية من اللائحة المذكورة على ما يأتي⁽¹⁶⁾:

- 5- ان يحملوا السلاح علناً. ولا يجوز لهم إخفاء أسلحتهم أو التظاهر بأنهم غير محاربين وعندما يقترب العدو يجهزون عليه.

6- ان يراعوا -المقصود المقاومين- قواعد الحرب وأعرافها، فلا يجوز ان يستخدموا الأسلحة المحرمة دولياً أو ذات التدمير الشامل، أو قتل الأسرى.

ولو دققنا النظر، في البنود أعلاه هل لنا ان نسأل كم كان تمسك جيوش الاحتلال المعتدية الغاشم بهذه البنود!!!

وهكذا على وفق هذه القرارات والشروط المذكورة آنفاً إذا ما قاوم المدنيين الاحتلال؛ فإنهم لا يعدون إرهابيين. مع ملاحظة أن الدول الغربية التي تدعي في العادة احترامها للقانون الدولي ولحقوق الإنسان تفسر مبادئ القانون والحقوق على هواها ومصالحها. فهي على سبيل المثال تعد المقاومة الفلسطينية إرهاباً ولا تنظر إلى إرهاب الجهة التي تمارسه الكيان الإسرائيلي بوصفه كذلك. ثم إنها تنظر إلى بعض حركات المقاومة التحررية مثلاً على انها إرهاباً، وليس حركات تحررية.

المبحث الثاني: مفهوم المقاومة

- التداخل المغلوط، والتمييز المطلوب:

ثمة مفاهيم عديدة، قد تتداخل مع مفهوم المقاومة مما يؤدي أحياناً إلى ضبابية في المفهوم، ربما تصل إلى حد الخط بينها، لاسيما لدى أصحاب الثقافة المغايرة (من غير العرب والمسلمين)؛ لذا ينبغي تمييزها عن مفهوم المقاومة على أنها مفهوم قائم بحد ذاته؛ ومن هذه المفاهيم:

1- **الإرهاب (Terror)**: مصطلح يرجع أصله إلى كلمة لاتينية هي (Ters) وتعني الترويع والرعب، أو الهول وفي الفرنسية تقابلها كلمة (Terrorisme) والكلمتان مترابطتان من حيث المعنى والمدلول اللغوي، وقد أدت التطورات التاريخية إلى شيوع الصيغة المستخدمة حديثاً في الفقه السياسي⁽¹⁷⁾.

يُعدّ الإرهاب أخطر ظاهرة اجتماعية تواجهها المجتمعات الحديثة ذلك أنها تتجاوز البعد الشخصي إلى حد جعل الظاهرة حالة اجتماعية تؤثر في جماعات صغيرة أو كبيرة داخل المجتمع. وإن من سمات عصرنا هذا هو التداخل المعقد بين التوصيفات أو التفسيرات الغائية للفعل الإرهابي؛ إذ بقدر ما نتابع من توجهات تُدين الإرهاب وتستهجنه، نتابع في ذات الوقت توجهات تضعه في مصاف مفاهيم أخرى؛ لعل أقربها مقاومة الاحتلال والجهاد وغيرها. ولو أمعنا النظر لوجدنا أن الغرب قد مارس هذا الخط المفاهيمي المقصود، بعدة مقاومته للنازية والفاشية مثلاً أمراً مشروعاً، فيما عدّ مقاومة الآخرين للاحتلال، والاستعمار، والعنصرية الصهيونية، أعمالاً غير مشروعة وهي إرهاب في نظره، إذ ان الغرب وضع لنفسه معايير لا يعترف بها لغيره، ويريد فرضها على

النظام العالمي؛ لذلك يعطي البعض توصيفاً للإرهاب: بأنه محاولة لنشر الذعر والرعب لإغراض سياسية، في حين يعرّف المقاومة: هي كل قول أو فعل مضاد للاستعمار، والهيمنة الأجنبية، أما بطرق سلمية إتباعاً للأصول القانونية أو عن طريق الكفاح المسلح، لإرجاع الأرض، وسلامة العرض، وكف الأذى عن الوطن، بشرط عدم جعل الأبرياء وقوداً لأي عمل عسكري(18). وفي ذلك الصدد يورد المفكر السيد بحر العلوم مقارنة بين الإرهاب والمقاومة بالقول(19):

" لا يمكننا شطر الإرهاب إلى شطرين، بحيث نُسَمي الشطر الأول إرهاباً شرعياً، ونُسَمي الشطر الثاني إرهاباً غير شرعي، أو نقول ان الإرهاب الشرعي، هو المقاومة، والإرهاب اللاشرعي التكفيري وذلك لعدم إمكانية إضفاء صفة المشروعية على عمل تستكره الأخلاق الإنسانية والأعراف البشرية، فضلاً عن القوانين وما استقر في المجتمعات من القياس والتفريق بين القانوني واللاقانوني"

وهذا يعني أنه ليس بالإمكان تبرير أي فعل أو تسويغه فالفعل الباطل لا يمكن ان يُحقق المقبولية عند الآخرين، مثلما لا يمكن إنكار الفعل الحق، رغم بعض المحاولات البائسة لخلط المفاهيم وتبرير الفعل اللاشرعي، وتجريم الأفعال الشرعية، تحت أي ذريعة أو لأي عذر كان، فالسرقة؛ هي سرقة وهي فعل حرام ومنبوذ، ومدان وفق كل الشرائع السماوية، فلا يمكن للبعض ان يبرر فعل السرقة للشارق بدعوى صعوبة الحياة والعوز المادي. أو عدّ ذلك الفعل المخزي مقاومة للاحتلال، فهل يستحق المجرم ان يكون مقاوماً؟! وأي مقاومة هذه التي أبطالها سُرّاق!!

ورغم كل هذا يجب ان لا ننساق وراء تعميم المبدأ على أمور استقرت في الواقع الدولي وقررتها الشرائع السماوية، فأى بلاد تقع تحت ظلم الاحتلال وويلاته، أو تهدد بانتهاك حرمة أراضيها أو تدنيس مقدساتها واستباحة دماء المواطنين الأبرياء فيها يكون لزاماً على شعبها وأبنائها ان يُمارس شتى الوسائل والأساليب لإخراج المحتل وطرده من بلادهم، بشرط ان لا يتورطوا بقتل الأبرياء وسفك دماء الشعب الأعزل بدعوى المقاومة.

2- **العدوان Aggression:** ويعني استخدام القوة المسلحة من جانب دولة بوجه سيادة دولة أخرى، أو وحدتها الإقليمية أو استقلالها السياسي، أو بأي أسلوب آخر يتناقض وميثاق الأمم المتحدة(20).

3- **الجهاد:** لغةً هو الجد والجهد، الطاقة والمشقة، وبلوغ جهد الإنسان غاية الأمر الذي لا يآلو على الجهد فيه(21)؛ والجهاد والمجاهدة: استنقاع الوسع في مدافعة العدو. ويعني اصطلاحاً: هو بذل كل جهد ممكن لدفع العدو ودراً خطره وليس للعدوان على الآخرين وتهديد حياتهم أو ممتلكاتهم(22)، والجهاد نوعان: جهاد بمحاربة الظلم والاضطهاد ونشر الإسلام والدفاع عنه. وجهاد

بمجاهدة الشيطان والنفس وردعها عن ارتكاب المعاصي؛ وهو ما يسمى (بالجهاد الأكبر) وفي هذا يقال إن النبي محمد (ﷺ) عندما عاد من إحدى المعارك قال لصحابته: (لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه (23) من حيث إن الجهاد الأكبر هو الأكثر صعوبة والأكثر أهمية في الصراع ضد الغرور والأنانية والشر (24). إذن الجهاد بمعناه الإسلامي ليس لأغراض الاعتداء على الآخرين والتوسع بأسم الإسلام وإنما هو الدفاع عن الإسلام؛ ويكون الجهاد موجهاً ضد أشخاص معينين.

- 4- **العنف السياسي: (political Violence):** وهو كل عمل يتضمن الهجوم على الآخرين بقصد السيطرة عليهم بالقتل، والتدمير، والإخضاع لإحداث تغيير في السياسة في نظام الحكم أو في أشخاصه (25). لذلك نلاحظ كثيراً ما يُخلط بين العنف السياسي وبين المقاومة بسبب التقارب والتشابه القائم بينهما كاشتراكهما في استخدام القوة والتهديد باستخدامها.
- 5- **أما المقاومة فهي:** التي يقوم بها مجموعة من السكان المدنيين في المدن عملاً شرعياً لمقاومة الاحتلال، ويوصف الأفراد القائمون بالمقاومة بوجه سلطات الاحتلال (بالتوار) ويطبق عليهم أحكام القانون الدولي في عمليات مقاومتهم للاحتلال (26).

وتعد المقاومة، أو الكفاح المسلح كما يسميها بعضهم الوسيلة الأكثر استخداماً والأجدى نفعاً لدى الشعوب لممارسة حقها في تقرير المصير حيث لا قيمة للوسائل السلمية مع الممارسات التعسفية للقوى الاستعمارية والعنصرية، إذ المقاومة تعني الاستخدام المشروع للقوة المسلحة من أجل نيل الاستقلال.

- 6- **الحشد:** لغة هو أسم، وحشدَ (فعل)، حشدَ يحشد، حشداً، والفاعل هو (حاشد)، والمفعول به محشود، حشدَ الجنود للمعركة أي جمعهم، وحشدوا للأمر: اجتمعوا له، وحشدت الجماعة: اجتمعت وخفت للعمل المشترك وللتعاون (27).
- 7- **الحشد الشعبي:** وهو تشكيل نظامي، عراقي، وطني، وهو جزء من القوات المسلحة الأمنية العراقية، ويأتمر بإمرة القائد العام للقوات المسلحة ومؤلفة من حوالي (67) فصيلاً، تشكلت بعد فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقتها المرجعية الدينية في النجف الأشرف، وذلك بعد سيطرة ما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش الإرهابي) على مساحات واسعة في عدد من المحافظات الواقعة شمال بغداد، وأقر قانون هيئة الحشد الشعبي بعد تصويت مجلس النواب العراقي بأغلبية الأصوات لصالح القانون (28).

الهوية المُنتبسة للمقاومة:

تمثل المقاومة في الفكر السياسي، مكانة مُنتبسة. تتأرجح في التوصيف بين شرعية تقتنصها، وشبهة إرهاب تُلصق بها وتقيم في منزلة التشكيك(*) بين معترف بها ومنكر لها(29). وهذا الالتباس لم يأت من فراغ طبعاً، فأن المقاوم ليس كغيره، من الآخرين الذين يرضون بالأمر الواقع، بل هو يبقى دائماً صوتاً صادحاً بحقيقة التحرير، وعرقٍ ينبض، ونفسٌ يتردد، فكما يقال ما ضاع حق قط وراءه مطالبين، وعن أي حق نتكلم؟! ومع أي مطالبين؟! انه حق التحرير، حق الاستقلال، حق حفظ السيادة، حق الحفاظ على وحدة الصف الوطني، والذود عن المقدسات، أما المُطالبين به فهم رجال صدقوا فيما عاهدوا الله عليه، أنهم رجال المقاومة الأبطال (رجال الحشد الشعبي)، وانطلاقاً من حقيقة ان الحقوق المعنوية أكبر قدراً وأعظم شأناً لدى المجتمعات البشرية، من الحقوق المادية، فالاعتداء على الرموز الأساسية للأمة مثل: الدين، والوحدة المجتمعية والوطنية، واللغة، والتاريخ، والمقدسات، أشد وأعظم من نهب ثرواتها واحتلال أراضيها، لان المال يمكن ان يسترد، والأرض يمكن ان تستعاد، إلا ان الاعتداء على الرموز الأساسية للمجتمع، أخطر وأعظم من حيث أنه يأتي البناء من قواعدهِ، ويسلب الأمة هويتها، ويُغَيِّب ذكورتها، ويمسح ثقافتها، ويزيل حضارتها، فالمقاومة للحفاظ على الرموز والمقدسات، هي مقاومة للحفاظ على العراقة والأصالة هي مقاومة للحفاظ على مقومات بناء الأمة والمجتمع، وأسباب ديمومتها، فمثل هكذا نوع من المقاومة تستنفر كل القوى، وكل الإمكانيات، ولا يُغلى عليها مال أو جهد بل تستحق لأجلها ان تُزهق الأرواح، وهذا في السياق الإنساني، فما بالنا بالسياق الإسلامي أو الإيماني (العقدي)، الذي يؤكد على ان المقاومة هي حالة الدفاع عن المصالح، أو الأهداف التي يمتلكها الإنسان بالفطرة، فما ان يشعر الإنسان بخطرٍ أو يحس بظلم وقع عليه، فيندفع ذلك الإنسان فطرياً لمجابهة ذلك الخطر، ولدفع حيف ذلك الظلم الذي وقع عليه، فالمقاومة ليست كلمة عادية، وليست عملاً محدوداً، بل هي تعني الكثير، مثلما تمنح الكثير. إذاً المقاومة تتطلب تضحية وفداء وبذل النفس الغالية، مثلما الإرهاب يقوم بالتفجير والتدمير من اجل إرهاب الناس وترويعهم، فالعنف سمة مشتركة بين الأمرين: (الإرهاب والمقاومة) إلا انه المسؤولية الجنائية تختلف طبعاً بين الأمرين فمن يفجر نفسه لترويع الآخرين وإرهابهم مدان وعمله مرفوض، ولا يتمتع بالشرعية، لكن من ينذر نفسه استبسالاً لرد الحق المُغتصب، ولدفع الحيف والظلم الذي وقع عليه وعلى أبناء شعبه وأبناء جلدته من الإرهاب أو الاحتلال المُعتدي الغاشم عمله مبارك ومقبول شرعاً وقانوناً. وهكذا ان التداخل بين الإرهاب والمقاومة أوجَد ضبابية سواء على الأفق السياسي أو على مستوى الحياة الاجتماعية، ومواقف الناس من فكرة المقاومة.

الحرب على الإرهاب... حربٌ من ضد من؟!!

في الواقع ان الولايات المتحدة الأمريكية لما شرعت في مطاردة ما يسمى بتنظيم القاعدة، غداة اعتداءات 11 ايلول/سبتمبر 2001، كانت قد حشدت الوسائل العسكرية والسياسية الهائلة لمقاتلة/ ومحاربة الإسلام ككل، وليس تنظيم القاعدة (المحسوب ظلاً على الإسلام) فحسب، ودليل ذلك ما أطلقه جورج بوش في خطابه الأول بعد تلك التفجيرات بالقول رداً على تلك الاعتداءات لنجعلها حرباً صليبية: Crusade War، رغم اعتذاره فيما بعد وعدّها هفوة لسان، ومحاولته لتعديل صياغة كلامه السالف، بالمضي إلى احد مساجد المسلمين في مدينة واشنطن، ودخوله للمسجد وهو منسحق القلب حافي القدمين، ليمحو عن الأذهان الانطباع الذي تركه!!⁽³⁰⁾، إلا ان هذا الأسلوب وهذه الهفوة لا تنمان إلا عن مواقفه البغيضة المشحونة بالحقّد على الإسلام والمسلمين، وتحديداً وفي مقدمة هذه الدول إيران والعراق، كونهما من الدول المارقة(*)!! وهما الدولتان الشرق أوسطيتان اللتان تمثلان (محور الشر)، وتشكلان البديل الحالي لموسكو القديمة، إذ ان جورج بوش قد صرح أمام منظمة الحلف الأطلسي بتاريخ: (6/ تشرين الثاني/ 2001) بالقول: إننا لن نكلّ حتى نجد الفرق الإرهابية الشاملة، ونعتقل أفرادها ونهزمها!⁽³¹⁾، ويبدو ان جنود بوش قد تلاقفوا تلك الخطبة، وطبقوا فحواها بحق الشعب العراقي أبشع تطبيق لدرجة ان أفعال الجيش الأمريكي وعلى رأسه الحكومة الأمريكية هي محط انتقاد واستهجان حتى من المجتمع الأمريكي⁽³²⁾، فهل ان العراق يعد من الفرق الإرهابية الشاملة!؟

قبالة ذلك كله نلاحظ خطابات أزلام القاعدة التكفيرية، التي يعمدون من خلالها إلى ممارسة نوعاً من عمليات غسيل الدماغ يضمن له تحويل بعض الطلبة والشباب المتشددین إلى أدوات للقتل، مستعدين لتحويل أجسادهم إلى قنابل انفجارية خدمة لما يسمى بالقضية الجهادية حسب زعمهم، ولهذا الأمر تهباً للقاعدة عدد من الطرائق للسيطرة على أنصارهم والمتحمسين لهم، وخير ما يجسد ذلك خطابات الطبيب المصري أيمن الظواهري (الأب الروحي للقاعدة) في كتابه: فرسان تحت راية النبي، فلو لحظنا النصوص الواردة فيه وأشهرها (وصية محمد عطا) (*) تلك الوصية المسكونة بالإيمان المتعصب والمتطرف، لدرجة يسوّغ له أن يقتل ركاباً أبرياء ويحيا موته الأتي أشبه بالإشباع الذي يسوقه إلى سبيل الله وهو ينتحر ليلقي الله إذ جاء في نص تلك الوصية⁽³³⁾:

"في لحظة الاقتحام، أضرب ضرب الشجعان الذين لا يرغبون في العودة إلى هذه الدنيا، وضح الله اكبر ذلك ان هذه الصيحة تدخل الرعب في نفوس الكافرين]...]. واعلموا ان جنات الخلد زينت بكم بأبهي حلها، وان الحوريات ينادينكم: تعال يا صديق الله وقد ارتدين أجمل حلينهن، وإن أنعم الله علي واحد منكم بضحية ليذبحها، فما عليه سوى إتمام التضحية]...]. ولا تجادلوا أحداً منكم في هذا، وإنما لكم الإصغاء والطاعة(*) وإن تذبجوا أحداً، جردوا من قتلتم، لان

تلك هي سنة النبي (ﷺ)، ولكن بشرطه واحدة ألا تصرفكم الغنيمة عن الأهم. وهو التنبه للعدو، وخياناته وهجماته"

وعلى شاكلة غيره من المتطرفين الدينيين، هم أتباع أسامة بن لادن وهو الأب الروحي لهم، إنما يُعد في النهاية نتاج تنشئته وخبراته في الحياة، ونتاج الديانة العالمية التي ورثها/أو بالأحرى تدرب عليها في معسكرات السي أي إيه (C.I.A) التي مارست دوراً كبيراً خلال حقبة الثمانينيات من هذا القرن حين قامت وبالتعاون مع المخابرات الباكستانية، وآخرين (المملكة السعودية العربية، وانكلترا، وآخرين غيرهم)، بتجنيد الأصوليين الإسلاميين الأكثر تطرفاً، وتدريبهم وتسليحهم بالأسلحة الخفيفة وإعداد ما يسمى بالأفغان العرب الذين تم إعدادهم لضرب الروس في أفغانستان⁽³⁴⁾، واليوم قاموا بإعادة تقديمها وفقاً لأغراضهم الخاصة، فهم بتقديمهم لعصابات داعش التكفيرية من بعد تنظيم القاعدة الإرهابي إنما هم يقدمون أساساً (مسوغاً) شرعياً للحرب والإرهاب ويساوون بين هجماتهم الانتحارية والشهادة وهو ما يتطلب فهم المصادر الدينية والتاريخية لاعتقادهم وقيمهم ومخططاتهم، فهم قاموا باختطاف الإسلام لصالح أغراضهم غير المقدسة⁽³⁵⁾.

المبحث الثالث: حصاد المقاومة

العلاقة التبادلية بين الشعب والمقاومة

الشعب إدام (*) المقاومة (أبطال الحشد الشعبي):

تشير معظم تجارب الشعوب التي شهدت أعمال مقاومة مسلحة، من أجل نيل استقلالها وحريتها، إلى أهمية الحاضنة الشعبية-أبناء الشعب- كضرورة أساسية لبقاء وديمومة حركات المقاومة الوطنية التي تنبثق من الداخل الوطني، وتكاد هذه التجارب تتفق رغم خصوصية كل تجربة منها على مسلمة واحدة تتلخص في تلك المعادلة والعلاقة الطردية ما بين تصاعد أعمال المقاومة الوطنية من جهة وبين سلامة نسيجها الشعبي من جهة أخرى⁽³⁶⁾. وتكمن أهمية وصعوبة هذه المعادلة بين المقاومة والاحتلال فيمن يكسب ودّ الشعب وحشد الرأي العام الشعبي وال جماهيري لصالحه، فالشعب هو العنصر الحاسم في هذا الميزان، والشعب كحاضنة للمقاومة يُمثل سلاح ذو حدين لا يمكن تركه، فالعلاقة بين الشعب ورجال المقاومة هي علاقة حتمية، وضرورية إذ يُشبه "ماو تسي تونغ" زعيم المقاومة في الصين الشعبية، رجال المقاومة كالأسمك، والشعب هو البحر الذي تتكاثر فيه تلك الأسماك، وبدون البحر لا تستطيع هذه الأسماك أن تسبح، لذا نرى كل من طرفي الصراع يسعى جاهداً لضمان كسب هذا العامل المهم - الشعب- أو على الأقل تحييده وربما إخرجه من معادلة القوة، وإذ يسعى أي احتلال أو اعتداء إرهابي فور إنجازه الصفحة العسكرية مباشرة ليقوم بإنجاز

الصفحة الاجتماعية بغية ضمان فك الحصار والعزلة التي تواجهها قواته بعد دخولها البلاد عنوة، فيحاول النفاذ من أية ثغرات عرقية، أو طائفية، أو عقد تاريخية لتفجير النسيج الاجتماعي من الداخل وتآليب السكان على بعضهم البعض بزرع الشكوك والمخاوف أو تعظيمها(37). فيما يُمضي ما يسمى تنظيم داعش الإرهابي إلى تشويه صورة القوات الأمنية الوطنية من (الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية) في أذهان الناس في المناطق التي سيطروا عليها بغية تشكيل قاعدة وحواضن اجتماعية لهم، ففي الوقت الذي يسعى فيه المقاومون الشرفاء (أبطال الحشد الشعبي والقوات المسلحة) إلى كسب ود الشعب، تسعى عصابات داعش التكفيرية إلى إيجاد ثغرات في جسد ذلك النسيج الاجتماعي من أجل اختراقه، والعمل على تفكيكه، وإذكاء نوع من الفتنة التي تؤدي إلى تقاطع الرؤى بين مكونات الشعب الواحد، من خلال تشويه صورة أبطال المقاومة الوطنية، في أنظار الناس والمجتمع، وإظهارهم بصورة المدمرين، المخربين، القتل الذين يستبيحون أموالكم ويستحيون نساءكم!!! وهم الذين يعيقون مشاريع الأعمار والبناء التي يسعى المد العربي والإقليمي لتقديمها لكم!!! وهذا النهج ذاته انتهجته قوات الاحتلال من قبل ففي بداية عام 2003 حاول جيش الاحتلال الأمريكي وبعد أن أستشعر خطورة التصدي له في البداية بشكل موحد، تمزيق وحدة الصف العراقي، عبر إطلاق وعود كاذبة تتعلق بإصلاحات مستقبلية وإجراء تغييرات في وضع البلاد، وإتاحة الفرص لعمل الحزبي والتعددية الحزبية بدعوى حرية العمل السياسي، وتقوية الأطراف العشائرية، وغيرها من الإجراءات التي تصب في مصلحة جيش الاحتلال حينذاك، وتساعد على تمزيق نسيج الشعب العراقي، كون تلك الإجراءات والتدابير كانت تعد الخطوة الأولى لجيش الاحتلال على خارطة سياسة فرق تسد. لدرجة ان الاحتلال قد نجح في بعض الأحيان في دفع الناس على التقاعس عن العمل الجهادي، وجعلهم عوارض بشرية تقف في طريق فصائل المقاومة الوطنية الشريفة(*) عن طريق عدم التعاون معهم، هذا ان لم يقوموا بالإبلاغ عنهم!!!

- أهمية المقاومة:

على الرغم مما يؤكد بعض الباحثين والمختصين، بأن المقاومة الشريفة تكون على عدة أنواع وأشكال ومنها المقاومة السلمية، التي تؤمن بأن التحرر من جور الاحتلال وظلمه لا يكون حصراً على المقاومة العسكرية-حمل السلاح- والمواجهة المباشرة، وإلا ما نجح الزعيم الهندي (المهاتما غاندي) وأتباعه الثوار الهنديين في تحرير الهند من ظلم الاحتلال البريطاني، بوسائل سلمية تكاد تكون أقرب إلى الخيال، إلا ان بعض الاعتداءات والاحتلالات، لا تجد معها المقاومة السلمية نفعاً، ما لم تصاحب تلك المقاومة، بأعمال عسكرية تُجبر المُحتل على الخروج المبكر من البلاد، وتجبر المُعتدين (الدواعش) على التسليم وإلقاء السلاح، وتقطع الطريق أمام مخططاتهم البغيضة والذنيئة الساعية إلى تدمير

البلاد وجعل الفرقة بين أبناء الشعب فضلاً عن سعيهم لتشويه الإسلام المتسامح وقيمه الاجتماعية، لذلك يمكننا القول بأن المقاومة العسكرية جديرة بأن تكون لها الأهمية الرئيسية لأسباب عدة منها:

- 1- إذا نظرنا إلى المقاومة العسكرية، من ناحية قوتها وشدتها، لوجدنا انها أكثر تهديداً لأي محتل أو عصابات داعش التكفيرية، وأعظم فتكاً بالعدو، مما توقعه من أضرار مادية، وبشرية تدفع بالدواعش إلى التسليم أو على مغادرة البلاد.
- 2- ان المقاومة العسكرية، تترك الدواعش، وتشل حركتهم، وتضيق عليهم الخناق، فتقطع عليهم طريق تطبيق أجنداتهم التكفيرية المتطرفة الخبيثة.
- 3- ان عصابات داعش التكفيرية مجاميع قذرة، وهمجية، وتفترق إلى الحنكة العسكرية والتعاملات المهنية، بسبب همجيتها، فلا ينفع معهم الحوار أو التفاوض كونهم مجرمين وقتلة ماجورين، فما لم يذوقوا وبال نار أبناء البلد الحقيقيين (أبطال الحشد الشعبي) لم يتمكن البلد من استعادة عافيته.
- 4- ان المقاومة العسكرية المتمثلة (بالحشد الشعبي) والقوات الأمنية من الجيش والشرطة وجهاز مكافحة الإرهاب، هي مفخرة للبلد ورفع شأنه في المجتمع الدولي، فرجال المقاومة يصنعون المجد والتاريخ الوطني للبلد بأناملهم الشريفة.
- 5- تُسهم المقاومة والتصدي العسكري في خلق رؤية وطنية موحدة وهدف مشترك، يتمثل في الموقف من العصابات التكفيرية (داعش)، مما تُسهم في خلق حالة نوعية من رص الصفوف وتوحيد الكلمة، فالقاعدة السوسولوجية تقضي بأنه خلق عدو تعني تجميع الداخل.
- 6- السعي إلى رفع مستوى المعيشة، عن طريق تقديم الخدمات للمواطنين أثناء الأزمات وتأمين حياتهم وحماية أرزاقهم، فضلاً عن رعاية عوائل شهداء المقاومة، ومتابعة قضايا الأسر والمواطنين المخطوفين لدى عصابات داعش التكفيرية والسعي لإطلاق سراحهم وتحريرهم.
- 7- المقاومة الوطنية والإسلامية (الحشد الشعبي) وكما هو معلوم، لم تكلف خزينة الدولة. فهي قوة دفاعية شبه مجانية، عرفت كيف يكون الدعم، وكيف يوظف لخدمة الوطن، وكيف تفوز المقاومة الوطنية بجائزة التحرير بعد ان رصت الصفوف مع الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية، فهي تدافع عن أرض الوطن وعن المقدسات بلا تبحر⁽³⁸⁾.

ماذا بعد طرد الاحتلال؟!!!

ما إن يختم المقاومون جولة صراعهم ضد المحتل، حتى تبدأ جولة أخرى. فالمجتمع الذي أختل نظام الحياة فيه بتأثير الصراع الداخلي، لا بد ان يستعجل العودة إلى وضع يمارس فيه الناس أنشطتهم، ويسهمون كلاً على حسب طاقته في إعادة بناء ما خربه المحتل أو العصابات الداعشية التكفيرية، سواء على صعيد البيئة المادية، أو على صعيد ما حرص على أشاعته من قيم وسلوكيات خاطئة حين جعلوا من مجتمعنا بيئة ينمو فيها العنف، والإرهاب، والحقد، والتطرف، والتكفير... وحين صادر شعور الناس بالأمن، وشعورهم بالحرية، واغتال أحلامهم، وتآمر على مستقبلهم... في الجولة التالية للصراع... تتعاطم الحاجة لكل جهد ولكل خبره. ولدى المقاومين الذين شغلهم صراعهم ضد المحتل أو ضد عصابات داعش التكفيرية... خبراتهم ينبغي ان لا تُهمل... ومن لا خبرة له... ينبغي ان لا تغلق دونه أبواب العمل والعطاء.

ففي المجتمعات المأزومة، حيث الحروب، والنزاعات، والكوارث الإنسانية، وحيث الكراهية وانهيار الضوابط والمنظومات الأخلاقية، وحيث البحث عن أمل في خضم ركاب الانهيارات، والمشكلات الاجتماعية وفشل محاولات استعادة الوضع الطبيعي، يكون البشر في العادة حطب الأزمات، وأولى ضحاياها فهم غالباً، الجنود الذين يدفع بهم إلى ميادين الحرب والصراع الملتهبة، وهم أيضاً الذين تستغل طاقاتهم واندفاعاتهم وعواطفهم الجياشة لخوض مأساة ما بعد الحرب.

فحين تضع الحروب أوزارها... وتقف دوامة العنف، ويستعيد الناس وعيهم، تبدأ معاناة أخرى للمقاتلين المشتركين في الدفاع عن الوطن، فإذا بهم يكونوا ضحايا مرة أخرى لمفرزات الحرب من: الفقر والبطالة، والتهميش والإحباط وغالباً ما تتأخر المؤسسات الرسمية في الاستماع لمعاناتهم وتشخيص مشكلاتهم، ولذلك تزداد مشاعر الألم في نفوسهم.

يؤكد علماء الاجتماع على ان مرحلة ما بعد الصراع تعني ان هناك أعداداً من المقاتلين -المقاومين- ينبغي استيعابهم... وتحويل قدراتهم العسكرية إلى قدرات مدنية مُنتجة. إذ بدون ذلك -الاحتواء لرجال المقاومة- وكما يقول العالم الفرنسي كوستاف لوبون ما ان تنتهي مشكلة الحرب تبدأ مشكلة البطالة، سيواجه المجتمع ومؤسسات الدولة جيشاً من العاطلين (39) الذين تضيق بهم شبكة الحماية الاجتماعية: **social safety net** ونواحي الشارع... ولاسيما وان إمكانات الدولة في المرحلة الانتقالية غالباً ما تكون محدودة وتعاني من مشكلات اقتصادية، وإدارية، فضلاً عن سوق يفتقر إلى حجم مناسب وتنوع كافٍ من فرص العمل. وتزداد الأحوال صعوبة حين تكون خطط الأعمار والتنمية في المراحل الأولى لتنفيذها. ان مرحلة ما بعد الصراع لا تقل تعقيداً عن مرحلة

الصراع ضد المحتل... ففي الأولى نضال من أجل استعادة الحياة الطبيعية التي كان الإرهاب الداعشي البغيض قد دمرها وعكّر صفوتها ونقائها، يمكن القول ان المقاومين يتألفون من أصنافٍ متعددة إذا أخذنا بنظر الاعتبار معيار الخبرة. فهناك من كانوا طلبة ولم تتح لهم فرص الدخول إلى سوق العمل، وهناك ثالثاً كبار سن لم تعد لديهم القدرة البدنية ولا النفسية لمزاولة أي عمل، إضافة لتلك الأصناف، هناك المعوقون (الجرحي) بمختلف درجات عوقهم.

ان كل صنف من تلك الأصناف يحتاج إلى برامج تأخذ في الاعتبار خصائصهم العمرية والجسدية، والنفسية، وخبراتهم السابقة، ورغباتهم، بل وأن تنظر بعناية إلى ظروفهم الأسرية، وتوزيعهم من نواحي السكن. فضلاً عن مستوياتهم التعليمية وغير ذلك.

المبحث الرابع: الطف والحشد وحدة الهدف وتعدد الأدوار:

كان شعار الإمام الحسين (عليه السلام) يوم خرج في يوم العاشر من شهر محرم الحرام لعام (61) هجرياً هو طلب الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن دعواته للتحرر ونبذ الظلم والعبودية، وعدم الخضوع للمفسد الذي يعيث بالأرض فساداً ويجور على الناس جوراً.

وفي حزيران/2014 بعد سقوط عدد من المحافظات والمدن العراقية، بيد ما يسمى تنظيم داعش الإرهابي وبدأ يمارس أفعاله المشينة من قتل وسفك وتدمير واعتداء على الأبرياء والمدنيين العزل، واغتصاب النساء، والقتل والتكفير لكل من لم يقف معهم أو يؤيدهم ولم يكتف داعش الإرهابي عند هذا الحد بل راح يشوه الفكر الإسلامي، من خلال تجنيده للصبيّة والأطفال، وممارسته لعملياتٍ مُنْهَجَة لغسل الأدمغة والعقول، تحت ذريعة الجهاد في سبيل الله!، ليعيد للأذهان الأفعال والممارسات الأموية المُنْحَرَفَة التي كان يزيد ابن معاوية يمارسها بحجة انه سليل النبوة وانه الإمام المُفْتَرَض الطاعة!!!

وفي خضم هذا الواقع المرير الذي كان سائداً وسادت فيه قيم الانحراف والتحريف ليحل إسلام بني أمية محل الإسلام الحق لم يكن أما الإمام الحسين (عليه السلام) وبعد ان استنفذ كل خيارات الإصلاح، سوى ان يخرج ثائراً مُنتَفِضاً بوجه قوى الشر والطاغوت رافعاً شعار (هيهات منا الذلة) وبعد ان يُنْست منه قوى الطاغوت بالإغراء والإغواء، فلم يبع آخرته بدينياه ليعلمنا أفضل الدروس والعبر منها:

- ان المواجهة أفضل طريقة لإثبات الحقوق وانتزاعها.
- ان قوة العزيمة والثبات هما من يجلبا النصر ويحققانه.
- ان النصر المعنوي لا المادي (انتصار الدم على السيف) هو الذي يحسم المعارك، ويثبت الحقوق المسلوبة، ويعظم المظلومية، ويخلد الذكرى.

- ذلك النصر لا يتحقق إلا بالتضحية والإيثار.
- اعتماد النوع لا الكم) والوثوق بالأصحاب والأنصار وإن قلَّ عددهم.
- إلقاء الحجج وقطع دابر اللوم المستقبلي (حادثة طلب سقاية عبد الله الرضيع) هو من يكسب الرأي العام التاريخي، ويعظّم تحقير العدو.
- فضلاً عن المزيد من الدروس المتنوعة، في الأخلاق، وفي العسكرية وفنون الحرب، وفي المروءة، وفي الشجاعة والثبات، وفي كل ما هو صالح ومفيد.

- الحشد الشعبي ومدرسة الطف:

لو قارنا بين الماضي الذي تمثّل بدعوة الأمام الحسين (ع) يوم الطفّ عندما وقف الأمام (عليه السلام) ينادي (هل من ناصر ينصرنا) وبين الحاضر المتمثّل بدعوة سيليل الحسين السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) ينادي بصوت العقيدة لجهاد الدواعش الإرهابيين (خوارج العصر)، فكانت التلبية بأنواعها المختلفة وبأعلى المستويات بالغالي والنفيس، ومن خلال هاتين التليبتين يمكننا ان نفهم أهميّة، بل وجوب الإصلاح في التشريع الإسلامي ووجوب التصدي للفساد والمفسدين في أي زمن ومكان.

فما أن صرّح (السيد علي) بفتوى الجهاد الكفائي، حتى لبي واستجاب المؤمنون من كل حذب وصوب لتتدافع تلك الجموع الغفيرة وتتزاحم على تسجيل أنفسهم مشاريع تضحية وفداء تلبية لنداء المرجعية الرشيدة، وللذود والدفاع عن أرض الوطن والمقدسات، وعن أعراض الناس ودمائهم، فأثبت المؤمنون حملة الأمانة الدائمة التي طالما رددوها في مجالسهم "يا ليتنا كنا معكم" ليتزجموها واقع فعلي حقيقي طالما حلموا به (نصرة معسكر الأمام الحسين)، ولا يريدون من جهادهم وتلبيتهم جزاءً ولا شكوراً من أحد أو من جهة ما سوى طلب وجه الله، بتلبية نداء العقيدة والدين، ليتصدوا لقوى الشر والطغيان ويوقفوا القتلة الفجرة من الظالمين الدواعش عند حدهم، وليفكوا الأسر عن المدن والمناطق التي اغتصبوها، مُضحين بكل ما يملكون وبالغالي والنفيس، وبدمائهم الزكية، ليجيبوا داعي الله (ألا من ناصر ينصر هذا الدين).

فإن كان الأمر كذلك فلماذا هذا الموقف النافر الرافض من الحشد؟! فلو لحظنا التشابه بين الواقعتين عبر المقاربة بين الماضي الحاضر لوجدنا ان كلتا الملحمتين هي عبارة عن نظم أخلاقية حملها البحث تجعلنا أمام قضية مهمة هي: لماذا نقرأ التاريخ؟ ولماذا نستحضره بقادته ورجالاته؟ من الطبيعي ان يكون التماهي مع الايجابي وتقويم السلبي لتحسين الواقع المعاصر، فسنجد ثمة لغزاً إعلامياً ممكن ان نقف عند أعتابه هو: لماذا لا يريدوننا ان نقرأ التاريخ؟ وما الذي يخيفهم من التاريخ؟ وهذا التاريخ له القدرة على توحيدنا ويبدو هذا هو مصدر

القلق بالنسبة لهم؛ لأنه سيكشف الكثير من الدجل الذي صاغوا مواضعه حتى اظهروا ان واقعة الطف كانت معركة أبناء عم..! إعلاميو تلك المرحلة أمثال (شريح القاضي) و(شيث بن ربيعي) وغيرهم، كل يعمل إعلامه على كيفه، بما يراه حتى أنهم سعوا ان يفصلوا الواقعة الشريفة عن الدين ليجعلوها حرباً من أجل سلطة والحكم، حالهم حال من قرأ فتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الرشيدة اليوم بأنها فتوى طائفية ووضعت لمحاربة أبناء مكون معين... (40)

- مقارنة بين الحشد الشعبي وواقعة الطف الخالدة

يمكننا القول ان معركة الحشد الشعبي وواقعة الطف هما وجهان لعملية واحدة، بل هما -المعركتان- الامتداد الطبيعي لتهج رسول الله محمد (ﷺ)، كون الحشد هو وليد معركة الطف، لتلاقي العديد من المواقف والتفاصيل وتشابهها بين الواقعتين، ومن أوجه التقارب والتشابه بينهما ما يأتي:

- الحرب الإعلامية الموجهة ضد الواقعتين، فلو قارنا بين ما قيل عن (واقعة الطف) المقدسة وما قيل عن (فتوى تشكيل الحشد) المبارك، لوجدنا كيل لافتراء والاتهامات قد تشابه وتساوى في غزارة الحرب الموجهة والمضللة، فقد اتهم الأمام الحسين (ع) في قيامه بأنه خرج لطلب كرسي الحكم!! وكذا الحال مع الحشد المبارك قيل عنه ان مُحْتَل غاصب يروم السيطرة على المُدُن لينهب خيراتها.

- ان في كلتا الحربين فكراً متطوراً ومعاني إنسانية عالية وحياة حرة مليئة بالمحبة. فكان الأمام الحسين (عليه السلام) يتصرف طبقاً لنهج جده رسول الله (ﷺ) (أدفع بالتي هي أحسن) أي التخلق بأخلاق القرآن الكريم القويم وكذلك كان السيد علي (دام ظله) في حالة تلبس، وتطبيق، وتماهي، كبير مع تلك الدروس الحسينية، فكيف لا وهو ربيب مدرسة أئمة أهل البيت (عليهم السلام): فطالما لَوَّحَ بغصن الزيتون ورفع شعار (هؤلاء أنفسنا)، رغم هذا الخط السياسي (الأموي) المُنحرف ممتد من واقعة الطف حتى اليوم.

- ضم حشد أصحاب الحسين أعراق، واديان، وملل، وألوان مختلفة ففيه العبد والحر، والخادم والسيد، وكذا حشد اليوم ففيه المسلم وغير المسلم من النصارى، والصابئة، والعرب والكرد... الخ.

- مثلما حاول معسكر الكفار ان يشوه هدف ثورة الحسين الإصلاحية بإثارة الأراجيف والأباطيل وتأليب الناس ضده على انه خارجي!!! حاول معسكر الكفر والنفاق (الدواعش) ان يصوروا حرب الحشد اليوم ضد الدواعش على أنها حرب تستهدف أبناء مكون معين وتستبيح اعرضه وأمواله.

- صرخة الحسين عليه السلام وهو يدعو أعدائه للهداية وترك الغواية وركب طريق الحق فكان يقابلهم بالإحسان، حتى ان البعض أشكّل على ذلك بالقول كيف يبكي الحسين على أعدائه يوم عاشوراء؟ واعداء شُبْهة واعتراض بعض

الباحثين بأن ذلك يخالف ما ورد من تعاليم الله في القرآن الكريم بالنسبة لوجوب إقامة حدود الله على المخالفين لأوامره. فكيف يمكن أن تأخذ الإمام الحسين (ع) الرأفة على أعداء الله فيبكي عليهم، وجواب درأ تلك الشبه إن الإمام الحسين (ع) هو سبط النبي محمد (ﷺ) وربيب بيت النبوة المبارك، وقد خاطب القرآن النبي محمد (ﷺ)، فقال له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَٰلِكَ الْخَبِيثِ أَسْفَاهُ﴾ (41) وقال تعالى أيضاً مخاطباً نبيه الكريم ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (42) وقد كان رسول الله محمد (ﷺ)، يُحارب المُشركين ويقتل فراعنتهم ولكنه يتحسر أيضاً على عدم قبولهم للحق وللدين. وهناك آيات عديدة أخرى تشير إلى هذا المعنى فلا غرو إذا اقتدى الحسين (ع) بأخلاق جده (صلوات الله وسلامه عليه وآله الأطهار) مثلما نهل السيد علي (دام ظله) من فيض نبع الحسين (ع) الزاخر بالإنسانية.

- أيضاً من آثار وثمار نداء الطف وصوت المرجعية في نداء الحشد، هو تنبيه الأمة وإيقاظ الضمائر وتنبيه الناس للخطر المُحدق بهم والسعي للنيل من وحدة الصف، مما أسهم نداء الحق في خلق حالة من إذكاء الوعي الجمعي وتنبيهه للمخاطر التي توجب حالة الوحدة والاندماج بين أبناء الوطن.
- التنبيه المبكر للإمام الحسين (ع) وقطعه للطريق أمام مخططات بني أمية وعصاباتهم الإجرامية الفاجرة التي حاولت خداع الناس وتظليلهم عن طريق تسربلهم بالدين المُزيف، فكان خروجه وقيامه بمثابة حرباً استباقية لتنزيه الأمة وحفظها من أرجاسهم، وهذا ما تنبهت (به وله) المرجعية الرشيدة لمحاولات الدواعش فكانت تُدرك وتعي الأبعاد التي تكونت منها ولأجلها عصابات داعش الإرهابية وسعيها للخراب وتلك الحرث والنسل.
- وفي يومنا هذا ومع كل تهديد لمنهج أو عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) أو لحرمات أو مقدسات الإسلام، فكما ذاد أصحاب الحسين (ع) بأنفسهم فإن هنالك اليوم حشد آخر يسطر أروع الملاحم في جهاده، وهو يدافع عن الأرض والمقدسات، وعن حرمات الإسلام ليضاهي فعل أصحاب الحسين في ذلك الزمن، وبين الواقعتين (الطف والحشد)، دروس تضحية، وأيمان، وعقيدة، وفداء، وثبات ونصر، خطها مخيم الأصحاب ورفعتها بطولات رجالات الحشد.

الهوامش:

(*) كما حدث في حالة فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقتها المرجعية الدينية في النجف الأشرف متمثلة بأية الله السيد علي الحسيني السيستاني وأيده بذلك معظم المراجع والعلماء. فكان ذلك في يوم 14 من شهر شعبان لعام 1435 هجرياً الموافق ليوم 13 من شهر حزيران ميلادياً لعام 2014، بعد ان أدركت المرجعية العليا خطورة ما يسمى بتنظيم داعش الإرهابي الإجرامي الذي حاول بسط سيطرته على عدد من المناطق في المحافظات الشمالية والغربية

في العراق والذي هدد وتوعد باحتلال العاصمة بغداد ومحافظات الجنوب، مما دفع بالمرجعية الدينية لتبني ذلك الموقف التاريخي بإطلاق "فتوى الجهاد الكفائي"، على لسان ممثل المرجعية الدينية في العراق الشيخ عبد المهدي الكربلائي بحمل السلاح لقتال الإرهابيين دفاعاً عن العراق وشعبه ومقدساته.

- (*) للاطلاع أكثر وبشكل تفصيلي راجع كتاب جاستون بوتول المذكور في المصدر أدناه.
- (1) جاستون بوتول، **الحرب والمجتمع: تحليل اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية**، ترجمة عباس الشربيني، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 27.
- (2) جاستون بوتول، **الحرب والمجتمع**، المصدر أعلاه، ص 34.
- (3) كتاب **الحياة، حياة وتعاليم ومعجزات السيد المسيح من مولده إلى صعوده**، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 2006، ص 69.
- (4) د. حامد البياتي، **لعبة الإرهاب: هجمات 11 أيلول والتحالفات الجديدة**، ط 1، مؤسسة الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 23.
- (5) بول كلفال، **الدين والإيديولوجيا: آفاق جغرافية**، نقله إلى العربية: فرج عوني، منشورات السوربون/ باريس، ط 1، تونس، 2010، ص 169.
- (*) نيكولو دي برناردو دي مكيافيللي كان مفكراً وفيلسوفاً وسياسياً إيطالياً إبان عصر النهضة أصبح مكيافيللي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف مكيافيللي منه أن يكتب تعليمات لحكام، ونُشر الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فُصلت نظريات مكيافيللي في القرن العشرين (موقع ويكيبيديا).
- (6) نعم تشومسكي، **الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية**، تعريب: أسامة إسبر، ط 1، 2004، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية/الرياض، ص 352.
- (7) جاستون بوتول، **ظاهرة الحرب**، ترجمة: إيلي نصار، دار التتوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2007، ص 16.
- (8) جون اسبزينو، **الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام**، ترجمة: مصطفى حسين عبد الرزاق، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2006، ص 19.
- (9) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 256.
- (10) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 208.
- (11) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 190.
- (12) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 95.
- (13) شارل روسو، **القانون الدولي العام**، ترجمة: شكر الله خليفة، مؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص 142.

(14) د. سهيل حسين الفتلاوي، الإرهاب والإرهاب الدولي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص 238.

(15) د. سهيل حسين الفتلاوي، الإرهاب والإرهاب الدولي، المصدر نفسه، ص 262.

(*) ذكرنا سابقاً وفي بعض المواضع من ذلك البحث عن سياسة العالم الغربي التي تقوم اليوم بسن الأنظمة والقوانين، بما يخدم أغراضهم الخاصة وتوجهاتهم السياسية، فهم اليوم وببساطة يستطيعون تقديم أساساً (مسوغاً) شرعياً للحرب والإرهاب، وهذا ما يمكننا ان نلاحظه كدليل من خلال إطلاعنا السريع على بنود اتفاقية لاهاي المذكورة أعلاه، والتي تدعو إلى ممارسة أعمال المقاومة جهراً، وهذا ما لا يمكن حدوثه فكل فريق مقاومة، لا يريد ان يفضح أمره أمام الآخر، كما ان الوضع العراقي لا يسمح بذلك، وفي نفس الحين يجب ان لا نغفل بان أعمال المقاومة والجهاد تتطلب سرية تامة والاعتماد على عنصري المباغتة والمفاجأة لإرباك العدو المقابل.

(16) د. سهيل حسين الفتلاوي، المصدر أعلاه، ص 262.

(17) د. رسول مطلق محمد، صورة الإرهابي لدى المواطن العراقي: دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، قسم علم الاجتماع، 2008.

(18) المفكر السيد حسين عز الدين بحر العلوم، مجتمع اللاعنف، ط1، مؤسسة معرفي للطباعة، الكويت، 2004، ص 180 وما بعدها.

(19) المفكر السيد حسين عز الدين بحر العلوم، المصدر نفسه، ص 171 وما بعدها.

(20) د. صالح جواد كاظم، مباحث في القانون الدولي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد 1991، ص 27.

(21) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت، 1983، ج1، ص 286.

(22) مجموعة مؤلفين، الإرهاب والسلام، مؤسسة البلاغ، ط1، 2004، بغداد، ص 56.

(23) العلامة البيهقي، كتاب الزهد الكبير، بيروت، 1996، ج2، ص 165.

(24) جون أسنيزيتو، الحرب غير المقدسة الإرهاب باسم الإسلام، ترجمة مصطفى حسين، ط1، دار الحوار للنشر، 2006، ص 43.

(25) د. سهيل حسين الفتلاوي، الإرهاب والإرهاب الدولي، مصدر سابق، ص 133.

(26) المصدر السابق، ص 262.

(27) قاموس المعاني الجامع: معجم عربي-عربي، النسخة الالكترونية، 2018، باب: (ح، ش، د)، ص 14.

(28) استرجعت المادة وبتصرف من موقع: ويكيبيديا الالكترونية، 2018.

(*) ففي الوقت الذي نجد فيه ان الحكومة العراقية اعترفت بتشكيلات الحشد الشعبي وعدتها جزء من المنظومة الأمنية العراقية الرسمية، وأصدرت لها قانون خاص بها، نجد ان بعض

- وسائل الإعلام العربية والأجنبية فضلاً عن بعض الوسائل والجهات المحلية تتعها بـ (مليشيا الحشد) هذا ان لم تردفها بكلمة المجرمة!!!
- (29) مجموعة باحثين، الدولة والمقاومة: في ظل الأوضاع الدولية الراهنة، دار المعارف الحكومية، ط1، لبنان، 2010، ص27.
- (30) جيلٌ كييل، الفتنة: حروب في ديار المسلمين، ترجمة: نزار أورفلي، دار الساقى، ط 1، بيروت، 2004، ص 151.
- (*) **الدول المارقة:** كمفهوم أو مصطلح سياسي ثمة استخدامان لهذا المصطلح، الأول دعائي، ينطبق على أعداء مصنفين مسبقاً وفق اعتبارات خاصة، والثاني موضوعي يطبق على دول لا تعد نفسها مقيدة بالأعراف الدولية.
- (31) جيلٌ كييل، الفتنة: حروب في ديار المسلمين، مصدر سابق، ص 145.
- (32) نعوم تشومسكي، **مداخلات**، ترجمة: محمود برهوم، ونوال القصار سرياني، ط2007، ص1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص25 وما بعدها.
- (*) **محمد عطا:** هو شاب مصري احد منفذي هجمات 11/أيلول/2001 وهو قائد ما يسمى بخلية هامبورغ في ألمانيا، إذ كان يعمل مهندس ويرتدي الملابس الغربية الحديثة، ويحلق ذقنه، ويحمل حقيبة على كتفه، إلى ان التقى بباقي أعضاء الخلية فأصبح عطا هو قائد المجموعة، وهو صاحب القرار حول من يسمح له بالالتحاق بالمجموعة المنفذة للهجوم ومن لا يسمح له، إذ كان قوي الشخصية وله سمات القائد. ولمعلومات أكثر عن هذا الموضوع اقرأ كتاب:
- روبرت كلاين، **جيش محمد عطا**، دراسة ترجمها: حسن الشريف وكاميران حوج، ونشرتها منشورات الجمل، ط1، 2006، ألمانيا - بغداد.
- (33) جيلٌ كييل، الفتنة: حروب في ديار المسلمين، مصدر سابق، ص 139.
- (*) إذ يعمد أمراء القاعدة لجعل أتباعهم يخضعون لهم خضوعاً مطلقاً، ويكونون رهناً لإشارتهم، فهم يطيعونهم طاعة عمياء.
- (34) نعوم تشومسكي، **الصدمة**، ترجمة وتعريب: سعيد الجعفر، ط2002، ص1، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ص15.
- (35) جون إسبزيو، **الحرب غير المقدسة:** مصدر سابق، ص12.
- (*) **إدام:** وتعني ما أديم به الطعام من ماء أو مرق أو غيره، وتعني الديمومة والاستمرارية. حول معلومات أكثر راجع كتاب د. فليح الركابي، **إدام الفن**، المركز العلمي العراقي/ بغداد، لبنان، 2011.
- (36) د. خالد المعيني، **المقاومة العراقية وشرط استعادة الحاضنة الشعبية**، بحث منشور على شبكة الانترنت، ص1، استرجع بتاريخ، 2012/5/12.
- (37) د. خالد المعيني، **المقاومة العراقية وشرط استعادة الحاضنة الشعبية**، نفس المصدر، ص3.

(*) في بداية الاحتلال الأمريكي للعراق بعد نيسان عام 2003 ظهرت فصائل مقاومة عراقية وطنية وإسلامية هاجسها مقاومة الاحتلال وعدم إعطائه فرصة التدخل في إدارة شؤون البلاد ليجبروه على الانسحاب بعد ان اسقط النظام، لكن بعد اعتقال واستشهاد البعض منهم في سبيل الوطن، عمدت بعض الأجنادات الإقليمية والدولية على دعم وإمداد بعض العصابات والسراق ليستتروا بعمل المقاومة وليشوخوا سمعتها في عقول وأذهان الشعب فما كان من الشرفاء الا إلقاء السلاح واعتزال العمل الجهادي الشريف خوفاً على سمعته.

(38) مجموعة باحثين، الدولة والمقاومة: في ظل الأوضاع الدولية الراهنة، مصدر سابق، ص41.

(39) د. كريم محمد حمزة، محاضرة أقيمت على طلبية الدراسات العليا/الدكتوراه في قسم علم الاجتماع: كلية الآداب جامعة بغداد، العام الدراسي 2010/2009، مادة المشكلات.

(40) علي حسين الخباز، قراءة انطباعية لبحث الشيخ عماد الكاظمي: يوم الحشد الأكبر، موقع كتابات في الميزان، ص3، 2018، ص3.

(41) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 6.

(42) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية 8.

المصادر بحسب ورودها في الدراسة:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- جاستون بوتول، الحرب والمجتمع: تحليل اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية، ترجمة عباس الشربيني، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
- 3- كتاب الحياة، حياة وتعاليم ومعجزات السيد المسيح من مولده إلى صعوده، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 2006.
- 4- د. حامد البياتي، لعبة الإرهاب: هجمات 11 أيلول والتحالفات الجديدة، ط1، مؤسسة الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- 5- بول كلافال، الدين والإيديولوجيا: آفاق جغرافية، نقله إلى العربية: فرج عوني، منشورات السوربون/باريس، ط1، تونس، 2010.
- 6- نعوم تشومسكي، الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية، تعريب: أسامة إسبر، ط1، 2004، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية/الرياض.
- 7- جاستون بوتول، ظاهرة الحرب، ترجمة: إيلي نصار، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2007.
- 8- جون اسبزيتو، الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام، ترجمة: مصطفى حسين عبد الرزاق، دار الحوار، سوريا، ط1، 2006.
- 9- شارل روسو، القانون الدولي العام، ترجمة: شكر الله خليفة، مؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، 1982.

- 10- د. سهيل حسين الفتلاوي، الإرهاب والإرهاب الدولي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.
- 11- د. رسول مطلق محمد، صورة الإرهابي لدى المواطن العراقي: دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، قسم علم الاجتماع، 2008.
- 12- المفكر السيد حسين عز الدين بحر العلوم، مجتمع اللاعنّف، ط1، مؤسسة معرفي للطباعة، الكويت، 2004.
- 13- د. صالح جواد كاظم، مباحث في القانون الدولي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1991.
- 14- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، 1983، ج1.
- 15- مجموعة مؤلفين، الإرهاب والسلام، مؤسسة البلاغ، ط1، 2004، بغداد.
- 16- العلامة البيهقي، كتاب الزهد الكبير، بيروت، 1996، ج2، ص165.
- 17- قاموس المعاني الجامع: معجم عربي-عربي، النسخة الإلكترونية، 2018، باب: (ح، ش، د).
- 18- من موقع: ويكيبيديا الإلكترونية، 2018.
- 19- مجموعة باحثين، الدولة والمقاومة: في ظل الأوضاع الدولية الراهنة، دار المعارف الحكومية، ط1، لبنان، 2010.
- 20- جيلّ كيل، الفتنة: حروب في ديار المسلمين، ترجمة: نزار أورفلي، دار الساقى، ط1، بيروت، 2004.
- 21- نعوم تشومسكي، مداخلات، ترجمة: محمود برهوم، ونوال القصار سرياني، ط2007، 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- 22- روبرت كلاين، جيش محمد عطا، دراسة ترجمها: حسن الشريف وكاميران حوج، ونشرتها منشورات الجمل، ط1، 2006، ألمانيا - بغداد.
- 23- نعوم تشومسكي، الصدمة، ترجمة وتعريب: سعيد الجعفر، ط2002، 1، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة.
- 24- د. فليح الركابي، إدام الفن، المركز العلمي العراقي/ بغداد، دار ومطبعة البصائر، لبنان، 2012.
- 25- د. خالد المعيني، المقاومة العراقية وشرط استعادة الحاضنة الشعبية، بحث منشور على شبكة الانترنت، استرجع بتاريخ، 2012/5/12.
- 26- د. كريم محمد حمزة، محاضرة أقيمت على طلبة الدراسات العليا/الدكتوراه في قسم علم الاجتماع: كلية الآداب جامعة بغداد، العام الدراسي 2010/2009، مادة المشكلات.
- 27- علي حسين الخباز، قراءة انطباعية لبحث الشيخ عماد الكاظمي: يوم الحشد الأكبر، موقع كتابات

دور النهضة الحسينىة فى تعزيز الهوية الوطنىة

أ.م.د. قاسم شعىب السلطانى

كلىة العلوم السىاسىة
جامعة النهرىن

ىحىى شعىب عباس

باحث قانونى

دور النهضة الحسينية في تعزيز الهوية الوطنية

أ.م.د. قاسم شعيب السلطاني

كلية العلوم السياسية
جامعة النهرين

يحيى شعيب عباس

باحث قانوني

مقدمة

لطالما ثار نقاش بين الأكاديميين حول معنى الهوية الوطنية ومكوناتها ومقوماتها وأنواعها ومدى توفرها لدى الشعب العراقي بل ذهب قسم منهم وخصوصا المستشرقون الغربيون إلى نكران وجودها لدى العراقيين بسبب انه هنالك هويات فرعية عديدة، ولاسيما ان كل دور الجوار فيها نفس الهويات الفرعية لكنها لا تعاني ما نعاني، فضلاً عن ذلك ان أعظم دولتين في العالم أمريكا وروسيا لديها واثنيات وعرقيات واديان تفوق ما موجود في العراق ولا توصف لهذا الوصف القاسي من انعدام الهوية في عراقنا.

ولغرض إثبات مجانبتهم الحقيقة بتناسيهم او إغفالهم بان العراق أول دوله على وجه الخليقة ولا بد أن تكون له هوية حضاريه تاريخيه مميزه، وان أهم ما اطر الهوية الوطنية العراقية هو النهضة والثورة الحسينية المباركة التي أضافت أبعاد جديدة لهذا المعنى، من هنا جاء اختيارنا " دور النهضة الحسينية في تعزيز الهوية الوطنية العراقية " موضوعاً للبحث لمل له من أهمية في تبيان الدور الذي مارسته النهضة الحسينية في رسم ملامح هوية عراقية تستمت مفاهيمها من النهج النهضوي للثورة الحسينية، ويتابع أهم المفاهيم والمبادئ الأخلاقية التي تركتها النهضة الحسينية على الهوية والمجتمع العراقي، ان الإشكالية التي يحاول البحث الإجابة عنها تتمثل في " هل كان للمشروع النهضوي الحسيني وعلى مدى تاريخه الطويل دوراً في رسم ملامح هوية عراقية جامعة ". من خلال تتبع خطة البحث يمكننا الإجابة عن هذه الإشكالية، إذ تكونت خطة البحث من ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الهوية الوطنية معناها ومقوماتها

المبحث الثاني: النهضة ومعانيها ومقوماتها

المبحث الثالث: تجليات الهوية الوطنية، تم الاستعانة بكثير من المصادر الأجنبية والعراقية والأطاريح والرسائل الجامعية، وبعض الأبحاث والمقالات في الصحافة

وأرجوا من الله أن يكون هذا البحث خطوة في طريق بناء هوية عراقية جامعة... اللهم أمين.

المبحث الأول

الهوية الوطنية معناها ومقوماتها

المطلب الأول الهوية لغة واصطلاحاً الهوية لغة: (1)

هُوى: بمعنى سقط المنحدر بسرعة فائقة او الانحدار عبر سفح مائل بسرعة شديدة.

هُوى: بمعنى أحب وعشق الآخر وتجسداً لمعنى الارتباط المباشر به لشدة تعلقه.

ومن الشعراء والأدباء من سمي العشق بالهُوى ومنهم من سمي المعشوق هوى.

الهوية اصطلاحاً:

إن مصطلح الهوية حديث نسيها حيث ظهر هذه المصطلح في القرن الماضي بعد تطور الوضع السياسي للدول المتحررة والمناضلة في سبيل نيل استقلالها والتحرر من الاستعمار الجاثم على صدورها (2).

ولعل ظهور القطبية السياسية والعسكرية للمعسكرين الشرقي والغربي سبباً مهماً في تصنيف الدول التي تميل شرقاً أو غرباً، ولذلك اجتهد الباحثون في تعريف هذا المصطلح وذهبوا لذلك بعيداً مفسرين هذ المصطلح حسب اعتقاداتهم الدراسية والسياسية والاجتماعية (3).

فمنهم من يرى ان الهوية تعني الأحاسيس الفردية او الجماعية للذات الإنسانية، نتيجة الوعي للذات نفسها بأنها لديها خصائص مميزة تختلف عن غيرها وتبدو (متميزة جداً) فالطفل حين يولد تكون لديه عناصر تكون الهوية لعلاقته مع والديه ومن حوله ولكن حين وصوله إلى مرحلة الوعي تصبح هذه العناصر جزء من هويته لارتفاع درجة وعيه بها، وعليه يجب ان يعرف الفرد انه لديه شعور بالتميز عن الآخرين(4).

بينما ذهب باحث آخر إلى ان الهوية هي صراع بين عوامل خارجية اجتماعية تكون تجارب وطروحات وبين عوامل داخلية مثل (الأنا) في النفس البشرية. فالإحساس بالهوية هو مركب من المشاعر المادية ومركب من مشاعر الانتماء والتكامل والإحساس بالوجود وهي بهذا ليست شيئاً جامداً وانما هي حقيقة متغيره طبقاً لمتطلباتها الخاصة بالنفس البشرية من تمثّل نقص واصطفاء. وهي بذلك في حركة مستمرة لبيان خصائصها (5).

ويرى باحث آخر:

بان الهوية تبدأ من الطفل من نعومة اظفاره منذ انفصاله عن أمه ويبدأ الاحتكاك بعائلته ومحيطه وهي بذلك يكتب اللغة والشعور القومي والديني من المحيط وبذلك تظهر أولى ملامح الهوية الثقافية المتماثلة أي (الثقافة الواحدة) (6).

ويرى باحث آخر: بأن الهوية هي مجموعة الوثائق والمستمسكات التي يحملها الشخص في محفظته والذالة على اسمه ولقبه وديانته ودولته وهي بهذا نبعث من المعنى الولائي المتعارف عليه بالارتباط الروحي للفرد مع الجماعة أو ألامه أو الأرض والديني وتحصل الهوية مجرد رابطة قانونية موثقة لمجموعة أوراق (7).

ومن خلال ذلك يظهر لنا مفهوم آخر ان الهوية بمعناها الشرقي تختلف عن معناها الأوربي الغربي، ان الهوية في مجتمعنا العربي الشرقي الأمة والمجتمع والوطن بصيغته الجمعية، ويمكن للفرد من اكتساب هويته من خلال انتسابه لهذه الجماعة، فهو لا يملك هوية فردية وشخصية دون إحساسه وانتمائه للهوية الجمعية.

اما في الغرب فان الأساس هو الخصائص الفردية للشخص وتكوين هويته الذاتية المفردة ومن ثم تجمع هويات الأفراد لتظهر لنا الهوية الجمعية (8).

ولعل هنالك أسباب فلسفية مرتبطة بحركة التاريخ تطور الحضارة، فالبلدان ذات الحضارات العريقة تأخذ بالمبدأ الأول أما الدول المتأخرة (الحديثة) والمكون مجتمعها من جنسيات وقوميات مهاجرة تأخذ بالمبدأ الثاني (9).

إذن الهوية هي: مجموعة الصفات والمميزات التي يتميز بها فرد معين او جماعة معينه او دولة معينه ولا يمكن معرفتها إلا بالمقارنه مع مثيلاتها من الافراد والمجتمعات والدول (10).

وهنا لا بد من الإشارة إلا ان الصفات والمميزات لا يقتصر منها على الجيد محسن بل قد تكون الصفات غير الجيدة مميزه ايضاً لفرد او مجتمع او دولة، لان الأشياء لا بد لها من أصداد في الهوية كما يقول فردريك انجلز (11).

وبعيداً عن الغوص في التفاصيل والتعمق بالبحث بما يبعد التفسير الموضوعي عن هدفه، ويعطي لكل باحث الاسترسال بطرح أفكاره، التي قد تبدو للقارئ بأنها صياغة لتأثر الباحث بهويته الفرعية وقد يصبح منظراً للهوية الفرعية ان وقع في شرك الاستغراق.

وعليه يمكن تعريف الهوية بأنها علاقة المواطن بالدولة لأنها شيء واقعي وملمس، يمكن لأي منا تلمسه وتجريبه بعيداً عن الكلام النظري المملئ بالمصطلحات والعبارات غير المفهومة (12).

المطلب الثاني: معنى الوطنية

يعني مفهوم الوطنية الانتماء والولاء إلى حالة الاندماج والتوحد مع كيان معين يكون مقبولاً فيه وفق معايير محددة كالجماعة او الوطن ويجب أن يكون واضحاً ان يداخل الانتماء مع الولاء ليخرج لنا مفهوم واضح محسوس يمكن

تلمسه من خلال روح المواطنة والمساهمة في المواقف التي تتطلب حضوراً مميزاً (13).

ان مفهوم الوطنية لا يمكن الحصول عليها بطرق سلبية كالإكراه أو الانتساب أو الشراء، فأنها أحاسيس داخلية كامنة في ذات الإنسان يمكن ترجمتها عن طريق حالات المساهمة والأفعال الحميدة النابعة من الثقافة العامة المكونة لرابطة المواطنة (14).

ويذهب قسم من الباحثين إلى إن الوطنية هي مجموعة المشاعر التي تنظم الحقوق والواجبات بين الفرد والمجتمع أو الفرد والوطن تتيح لنا علاقة رائعة ورابطة منظمة تسمى (المواطنة). ولذلك يمكن أن نعرف المواطنة بأنها أرقى حالات الارتباط الوطني بين الفرد والوطن برابطة روحية وديمقراطية تميز في أحيان كثيرة وتفسر ارتفاع وانخفاض الوعي الوطني لدى الأفراد والمجتمعات (15).

وقد يشمل معنى الوطنية إلى المداليل التالية:

- الوطن: وهي حقيقة الأرض أو الإقليم الذي نعيش عليه السكان أو المواطنين ويمكن تحديده بمجموعة حدود طبيعية وصناعية مرسومة ومعلمه دولياً. وقد تمثل الأرض وحدها مفهوم المواطن (16).
- الموطن: هو الشخص الذي يعيش على تلك الأرض أو الإقليم ويرتبط مع الأرض لمجموعة روابط ومشاعر ذاتيه وقانونية قومية لا دينية.
- المواطنة: وهي العلاقة التي تربط المواطن بالوطن وهي تمثل أعلى صيغ الديمقراطية والوطنية (17). وعليه فلا يمكن تصور وطنيته بدون وطن ولا تصور مواطن على غير أرضه ولا مواطنه بدون توفر هذان العاملين الرئيسيين، قد ينكر علينا احد هذا القول بان هناك الآلاف ولد خارج أوطانهم لكنهم يشعرون بالوطنية، ان الوطنية بما تقدر رابطة روحية ذات علاقة ربانية مرت في دم الإنسان وتناقلت معه من نسل إلى نسل ومن جيل إلى جيل، باعتبار إن الإنسان خلق من أديم الأرض وان الإنسان ابن بيئته وهو مزيج التربة والطبيعة (18).

المطلب الثالث: معنى الهوية الوطنية

إن مفهوم الهوية الوطنية هو دمج للمفهومين السابقين (الهوية والوطنية) فأنا بتأخير او عدم ذكر (الوطنية) فإن المفهوم يبقى عاماً غير محققاً، فإن يكون مفهوماً للهوية الشخصية، أو الهوية القومية، أو الهوية العرقية، أو الهوية الدينية، وهذه جميعاً أجزاء أساسية مجموعها يؤدي إلى مفهوم واسع هو الهوية الوطنية (19).

ان الهوية الوطنية مفهوم يولد مع الإنسان منذ صباه ويكتسبها من المكان الذي يولد فيه ويعيش فيه مع العلم ان الانتماء للوطن او الوطنية قد تظهر من مسافات بعيدة يعيشها الفرد بعيداً عن وطنه كما في حالة المهاجرين العراقيين الذين يعانون أكثر من غيرهم من مرض (الحنين للوطن) (20).

ويرى احد الباحثين بان الهوية الوطنية هي انتماء للذات والوطن (بشراً و حجراً) وهي تعبير فلسفي عبر وحدة الترابط بين الفرد وذاته ومعتقده ودينه، وهي الهوية الوحيدة التي يضحى فيها الإنسان من اجل بعده، ولوحظ ان اسمى واشد حالات التضحية لسعادة تلك التي تكون من اجل الوطن وهي تفسير عن أعلى حالات المد الوطني في نفس الإنسان (21).

ان وجود هويات مختلفة لدى الإنسان لا تجعل منه انساناً ضعيفاً متشرذماً غير قادر على القيام بواجباته تجاه هوية بل انها عوامل قوه تساعد على الأخذ بجمع جميع عناصره القوة الموجودة في هوياته الفرعية الفردية والمجتمعية والدينية والقومية لتعهد جميعها في بوتقة الهوية الأسمى أو الأعلى وهي الهوية الوطنية (22).

ان الهوية الوطنية تمثل خط الدفاع المتقدم والقوي لدى المجتمع والوطن لاعتبارات إشكالية في ذهن الفرد وليس واقعاً ملموساً وهي بهذا تحرك خط الدفاع الجمعي ضد المخاطر الخارجية ولذلك نلاحظ ان الأعداء يحاولون دائماً إضعاف الهوية الوطنية، وتفتتها ليسهل لهم الوصول إلى وسط التفكير المجتمعي وضربه من الداخل بعبارات وأفكار غريبة عن هويته الأصلية (23).

وقد يغير قسم من الباحثين ان جوهر الهوية الوطنية واهم عناصرها هو (العصبية) وهو حالة تربط المجتمع بالفرد او العكس بدون حالة تميز في الصفات وان هذه العصبية هي حالة من حالات الدفاع والأمن الباطني الغرائزي ليست مستندة الى قرارات عقلانية او تصورات مسبقة، وليست مدعاة للكسب او الحصول على المميزات وهي بذلك لا يعنى صاحبها بنتائج العملية، فهي فعل غرائزي تعني خالص للوطن فقط بغض النظر عن الانتماءات الجانبية (24).

ان الهوية الوطنية أصبحت اليوم لا تمثل حدود الدولة السياسية والجغرافية بل تمتد الى ابعد من ذلك بكثير الى أبناء تلك الهوية الذين يعيشون في مشارق الأرض او مغاربها ويشعرون بالانتماء والولاء لها والحنين لترابها، ولذلك فالهوية الوطنية أصبحت من فلسفة بناء الدولة وحركتها السياسية في الواقع الداخلي لاحتوائها على مجموعة هويات فرعية او على الصعيد الخارجي لكونها الواجهة الشرعية الذي يمثل الجانب التاريخي والحضاري والثقافي للدولة (25).

المطلب الرابع: أنواع الهوية وسماتها

أولاً: أنواع الهوية

- الهوية الشخصية: وهي الهوية التي تتضمن ابرز القيم الشخصية للفرد أفكار ومعتقدات وصفات جسمانية والانفعالات واتجاهات مختلفة تميزه عن غيره من الأفراد (26).
- الهوية الاجتماعية: وهي مجموعة الصفات والمميزات التي يتميز بها مجتمع عن مجتمع اخر ويمكن ملاحظتها بوضوح، كالشجاعة والكرم والامانه والصدق ويمكن ان تتكون من مجموع صفات الأفراد.
- الهوية الجمعية: وهي مجموعة الصفات التي يتميز بها مجموعة من المجتمعات المتقاربة عقائدياً ودينيّاً واثنيّاً ولغويّاً ويصبح لديها هوية جمعيته مشتركة لمجموع هذه الأفراد والمجتمعات.
- الهوية الثقافية: وتعني أنماط السلوك والمعتقدات والقيم والأدب والخرافات والمنظور العام للأمر إذا كان مرناً أو جامداً والذي يميز جماعة أو مدينة أو دولة (27).
- الهوية الدينية: هو شعور الفرد بآنتماءه لدين معين أو مذهب معين وإحساسه الداخلي نمو هذا الدين ومشاعره، وتبدينه لجمع الأفكار التي يوردها هذا الدين (28).
- الهوية القومية: هي مجموعة المميزات والصفات التي يشعر بها المواطن تجاه قوميته وعرفه وحسن انتمائه والتمسك بها والدفاع عنها.

ثانياً: سمات الهوية الوطنية وعناصرها

أ- تتميز الهوية الوطنية لمجموعة من السمات أهمها.

- السمة الشخصية: وتعني السمات التي توجد لدى الفرد قبل العمر، الجنس، العرق، القرابة.
- السمة الثقافية: الصفات التي توجد لدى الجماعة مثل القبيلة، القومية، اللغة، الدين، الحضارة (29).
- السمة الإقليمية: الصفات التي توجد لدى الشعب مثل الجوار، المدينة، المحافظة، البلدة، الإقليم، القارة.
- السمة السياسية: وهي الصفات المتمثلة بالاتجاه السياسي أو الانشقاق ضمن جماعة، القيادة، القائد، الفكر الايدلوجي، المصلحة السياسية (30).
- السمة الاقتصادية، الصفات المتعلقة لمصالح الجماعة الاقتصادية مثل العمل، الوظيفة، المهنة، مجموعة العمال، الصناعة، الزراعة، النشاط الاقتصادي.

- السمة الاجتماعىة: مجموعة الصفات المنظمة لعلاقات الفرد مع الجماعة او الجماعة مع أخرى مثل الأصدقاء، الزملاء، النادي، المناسبات(31).
- ب- العناصر:

تتكون العناصر من نوعين مهمين (32):

- العناصر المادىة:

وتمثل العقارات والأسواق، السكن والممتلكات وكذلك القدرات والقابلىة الاقنصادىة والمادىة والمعرفة العقلىة وغيرها.

- العناصر التارىخىة:

وتمثل الأحوال التارىخىة، الممىزة، الإبطال التارىخىون، الثورات، الاسم والولادة، وكذلك الآثار التارىخىة، والعادات والتقالىد والقوانىن والمراحل التارىخىة المهمة التى تشكل انعطافات تارىخىة.

ثالثا: مواطن صنع الهوية الوطنىة وبنائها:

- العائلىة: هى المكان الأول الذى يفتح المولود عىنه وفىها يتلقى لغته ودىنه وحبه وكره وتعد إلام الصالحة الركىزة الأولى فى بناء هوىة الطفل وهى المدرسىة كما وصفها الشاعر(33):

الأم مدرسىة إذا أعددتها

أعددت شعبً طىب الأعراق

- المدرسىة: وهنا ىندمج جانبى التربىة والتعلىم فى صقل شخسىة الطفل عبر استمراره بالدراسة لمدة 12 عام ىتم فىها صقل ثقافته الخاصة بالتفاعل مع مآتلف ثقافات زملائه الأآرىن وجورها فى بوتقة الهوية الوطنىة المشركة(34).

- الجيش: تعد المؤسسة العسكرىة أرقى مصانع بناء الهوية الوطنىة التى تصقل هوىة الجندى بعد اتآاها التنوع الفكرى وتطورها وىث روح الحب والتضحىة للوطن بغض النظر عن أى خصوصىة، خاصة اذا لم ىتدخل العامل السىاسى فى إدارة المؤسسة العسكرىة (35).

المبآث الثانى: النهضة ومعانىها ومقوماتها

المطلب الأول: معنى النهضة

أولاً: المعنى

ىقصد بالنهضة الحسىنىة المباركة، مجموعة حالات الأفكار والتعبىرات والتغىىرات التى أصابت المجتمع الإسلامى بعد استشهاد سىد الشهداء عىه السلام،

وسبى أهله وقتل عياله وأصحابه، وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي (36).

ويمكن أن تكون المحتوى الأولى والأسس الأولى للنهضة قد سبق عملية الخروج من المدينة المنورة إلى كربلاء نهاية سنة 60 هـ تزامناً مع الخلافة غير الشرعية لإمبراطور بني أمية يزيد بن معاوية (37).

ولذلك بدأت خطب الإمام الحسين (ع)، واتجاهاته الفلسفية والإصلاحية أخذت منهجاً جيداً بعد تحرره من المعاهدة التي عقدها الإمام الحسن (ع) مع معاوية بن ابي سفيان (38).

إن المفهوم الإصلاحي للنهضة جسده الإمام سيد الشهداء (ع) بدعوته المستندة الى التكليف الإلهي باعتباره إمام الزمان المعين من الله سبحانه وتعالى والمشروعية الجماهيرية باعتباره الطرف الآخر من المعاهدة المنكوثة من قبل سلطة يزيد (39).

ان حالة الصراع المستمر بين دعاة الخير وأهله وبين أتباع الشيطان المستكبر اللعين، ولذلك فقد شهدت كل عصور الإنسانية صراعاً بين المعسكرين بوسائله المتاحة من دعوى بالحسنى ومساعدته الناس ودعوتهم إلى الله الواحد الأحد وبين ما يدعو إليه معسكر الشيطان من فسوق وفجور وشرك،— كانه لكل نبي من كل زمان أو ولي عدد من الشياطين من الجن والإنس (40).

ومن خلال ذلك كان الإمام الحسين (ع) ونهضته ومعسكره يمثل معسكر الخير الإلهي الممتد لحما ودما وعقيدا لرسول الله (ص) وبين معسكر الاستكبار الشياطيني الذي تتمثل سلطة الطلقاء من بني أمية وقائدهم الشيطان الرجيم (41).

وبعد بزوغ شمس الإسلام سعى الرسول (ص) وال بيته (ع) الى تطبيق وتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى في دعوته بالحسنة والمجادلة بالنهي أحسن ومساعدة الناس وإرشادهم الى طريق الحق من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح كل فاسد من أمور المسلمين وعدم الهوان والجزع والتعدي الواعي المبني على الأساس الصحيح من القواعد الإسلامية التي أمر بها الله (42).

ثانياً: أسباب النهضة

- 1- انحراف خط الإسلام المحمدي الأصيل (43).
- 2- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.
- 3- تسلط الطلقاء على رقاب المهاجرين والأنصار.
- 4- استعباد المجتمع الإسلامي والمسلمين وتحويلهم عبيداً للحاكم (44).
- 5- تحويل الإسلام الى إمبراطوريات ومملكات وتكديس الأموال من الزكاة والصدقات وإنفاقها على المجون.

6- إعادة الإسلام إلى عهد الجاهلية الأولى.

7- ظهور الإقطاعات وتوزيع المغانم بين أفراد العائلة.

ثالثاً: أهداف النهضة

لقد أدرك الإمام الحسين (ع) خطورة الأوضاع الصعبة التي تعيشها الأمة الإسلامية جراء الحكم المستبد لبني أمية وتداعيات تولي يزيد شؤون الدولة وهو المعروف بتجبره وفسوقه، ولأن الأمة قد تاهت بين النفي والقتل والإقصاء والإعلام المظلل تجاه أهل البيت حتى أصبحت الأمة مصابة بمرض الشك بمعتقداتها.

هل يزيد على حق ولماذا سكوت أهل البيت؟ (45)

ولهذا كانت الأمة بحاجة لصدمة عنيفة توقدها من سباتها العميق وكان ثمن الصدمة روح أقدس شخص وآخر أولاد الأنبياء على سطح الأرض.

رابعاً: نتائج النهضة الخاصة: هي:

- إنهاء كل أشكال الهيمنة واستبعاد المسلمين.
- كسر وهدم مشاعر الخوف والهلع من القتل التي مارسها الطغاة.
- الهام المجتمع الإسلامي في روح الانتفاضة والثورة.
- إظهار الطاقات الكامنة والمكبوتة والمهجرة من أتباع أهل البيت في الثقافة والأدب والعلوم الأخرى.
- إعادة الإسلام إلى الطريق القويم الذي حاد عنه.
- إعادة تفعيل وإعلاء شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي تجاهله الطغاة(46).
- لا عز إلا بالله ولا خير أو شر إلا بأمر الله سبحانه وتعالى، وإن الروح بأمر خالقها تعالى.
- رفع حالة الشك التي أصابت الأمة حينما ساوت أمير المؤمنين (ع) بمعاوية والحسين (ع) بيزيد والحق والباطل.

خامساً: نتائج النهضة العامة

- حققت النهضة رد فعل كبيره وصدمه في الشعور الذاتي للمسلمين لتخليهم عن نصره ابن رسول الله(47).
- الشعور بالندم لتخلفهم عن الفتح.
- كشف حقيقة حكام بني الضلالة كونهم خلفاء المسلمين وإن (السبايا) هن من أهل بيت النبوة.

- انتهاء حاله الشك لدى المسلمين جراء قيام الإمام الحسين بنهضة وان سلطه الأمويين غير شرعيه(48).
- ظهور حاله التمرد والجرأة على السلطة غير الشرعية وقيام الثورات في الكوفة والبصرة والمدينة ومكة.
- ظهور الطاقات الكامنة لدى علماء المسلمين من عشاق مدرسه أهل البيت في كل العلوم، وظهور مايعرف بأداب والثقافة العاشورائيه.
- ظهور قيادات سياسيه جيده تبنت فكر أهل البيت ولا تخشى السلطة.
- ازدياد ملحوظ في رفض الظلم في ألامه الإسلامية والانتفاضة بوجه الظلم عند الضرورة(49).
- شعور كل الثوار بالعالم على اختلاف مشاربهم بحالة الزهو الثوري عند سماعهم كلمة كربلاء والمناداة باسم الحسين (ع).

المطلب الثاني: حملة الهوية

يعتقد الكثير من الباحثين الاكاديميين ان الهوية الوطنية العراقية ظهرت بتأسيس الحكومة العراقية في عام 1921م بأعتبار ان هذا المفهوم (الهوية الوطنية) مفهوم سياسي حديث بأخذ اللون السياسي في كثير من مناقشاته بعيداً عن كل المعطيات الأخرى(50).

على الرغم من ان الكثير منهم الباحثين يغيرون المفهوم بسكن الشعور الباطني غير الملموس للشخص ولا يمكن ترجمته للواقع الا بالولاء للوطن مرة او قد يذهب للحكومة الحاكمة رغم عد شرعيتها(51).

وترى ان من اكثر الطاعنين بالهوية الوطنية العراقية من الدول الحديثة التكوين التي لا يتجاوز عمرها 100 سنة او الكيانات السياسية القبلية التي أسسها الاستعمار.

لقد حاول الكثير من الباحثين أمتناعاً بان كلمة العراق لم تطلق الا بعد الاحتلال البريطاني عام 1918م، وكان لم يكن لاي وجود قبل ذلك، لا سومر ولا بابل لا كوفة ولا بصرة(52).

ان الكثير من الخطب والاسفار في التاريخ وردت باسم صريح (العراق) قبل أن تنشأ مئات الدول والكيانات بعد ذلك (53).

ولا يعتقد الكثير من الباحثين بان من الحق ان يطلق على العراق (امة) بمفهومها الحضاري التاريخي والسياسي المؤثر لانها كما يعتقد اول دولة في العالم عرفت معنى القوانين والحكم وتوزيع السلطات وحقوق الأفراد وواجباتهم.

ولذلك البعد الحضاري والتاريخي كان الاختيار الإلهي لتكون هذه الدولة وأرضها مسقطاً لرأس منات الآلاف من الأنبياء والرسل، وأن وفاتهم كانت على نفس هذه الأرض التي نطوها بأقدامنا.

وعليه كان البعد الإلهي معقوداً مرة أخرى لتكون دعوة الإمام الحسين (ع) من كربلاء السماء ولتكون دعوته عراقية بالأساس ومنها إلى باقي العالم.

إن الهوية الوطنية العراقية كانت موجودة قبل الحسين (ع) ولكنها أطرت بإطارات إسلامية محمدية، تشع بقوة وتستمر إلى يوم القيامة، عبر منظومة عظيمة وموجهة بتسديد الهي من الأئمة الأطهار (ع) وأخرهم الإمام الحجة القائم (عج) (54) ولهذا ظهرت مجموعة من المميزات التي أرساها الإمام الحسين (ع) بثوراته ونهضته العظيمة، وعلى اطمئنان كامل منه عليه السلام ومن أبنائه عليه السلام بأن هنالك (استعداد للنهضة) والدفاع عنها والتضحية في سبيلها (55).

إذاً لا بد للحمل الثقيل الطويل زماناً من رجال ونساء اقوياء ليحكمون التمحيص والظلم والاذى الذي سيجري عليهم، وهو صقل حقيقي لمعدن الهوية (56).

وان اهم هذه المميزات للهوية الوطنية العراقية:

أولاً: الشعائر الحسينية المقدسة.

ويقصد بها مجموعة الأعمال والفعاليات التي يقيمها الشعب العراقي في شهر ي (محرم وصفر) استذكارا واستعباراً للحدث الأليم الذي وقع للحسين (ع) واهل بيته واصحابه على وجه الخصوص والإعمال والفعاليات التي تخص اهل بيت الرحمة خلال السنة استذكراً لهم وتنفيذاً لقوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) (57).

ولهذه الشعائر ذروتين عملاقين، أحدهما ليلة ويوم العاشر من محرم ومنها مراسم (ركضة طويريج) والثانية مراسم زيارة الأربعين في العشرين من صفر من كل سنة (58).

وتأتي أهمية الشعائر من ناحيتين:

- انها تم التوجيه لها إلهياً وعبر عن أعمالها وفوائدها القائمين عليها رسول الله (ص) وأمير المؤمنين والزهاء والحسن والحسين لغته وزينب الكبرى (عليهم السلام) وما فيها من الأجر والثواب.
- انها تمثل روح الثورة المتجدد كل عام والذي يكاد يوقض كل جرح غائر ويطلق على النفس النائمة.

إن هذه الشعائر العظيمة تأتي تطبيقاً للمفهوم الإصلاحية الذي خطه الحسين (ع) واستشهد من اجله، لأنها على العموم تمثل مصداقاً لأمر الله تعالى (للأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر) وان التأكيدات التي صدرت من اهل البيت (ع) وخصوصاً بعد الثورة على لسان السيدة زينب (ع) والإمام السجاد (ع) والإمام الباقر (ع) الذين حضروا وعاصروا الإنجاز الثوري⁽⁵⁹⁾.

يمثل لنا مفهوم الواضح لطريق الثورة وجدوا أهدافها المستمرة وتأشير مواطن الخلل والنجاح والتوجيه الصحيح للمجتمع بعد ان حققت الدماء الطاهرة (فعل الصدمة)، لم يكن معنى الشعائر الحسينية يتجه نحو الجانب العاطفي فقط كما يتصوره البعض خطأ فهل التسديد الإلهي والعصمة الإلهية لاهل البيت بعيدة عن العلم والتطور الممتد لليوم الموعد بقيام المطالب بثأر الحسين (ع)⁽⁶⁰⁾.

ان المفهوم العاطفي للشعائر يناسب زماناً معيناً ومكان معين وأشخاص معين، فنحن لا نستطيع ان نفهم غير العربي علمية الثورة وأهدافها السياسية الأصلية والحالية مباشرة اذا ما علمنا ان جانب الأول والمباشر هو الحرارة في القلوب النظيفة المطمئنة التي لم يضاهي الشيطان اللعين وجنوده. وعليه كان الآلاف الأجانب من كل دول العالم القديم والحديث الجرتة مراسم العزاء وتصور مدى الخسة والنذالة التي كان يحملها أعداء الله⁽⁶¹⁾.

يقول احد المفكرين الأجانب: ((لا يمكن ان يكون هؤلاء الملايين الذين زادو عن عشرين مليون (عام 2016) عن خطأ وهم يرتدون السواد ويبيكون))⁽⁶²⁾.

ان دم الحسين (ع) وجريمة قتل الرضيع (ع) ودمعة بنت رسول الله (ص) هي التي تهز شفاف كل قلب سليم، وتهز عروش اعلى الطغاة، ولذلك سعي الطغاة الى منعها والتعقيم عليها، وإعدام وتشريد القائمين بها، لكنها تأخذ طابعاً سرياً عظيماً، لتخرج بصورة عملاقة في الطول عنيفة في التأثيرات النفسية منطلقاً عظيماً لثورات كبرى كما حصل عام 1991م وعام 2003م في العراق حيث عبرت الجموع الزائرة ملايين المحبين وامتدت سفرة الكرم الحسيني (ع) لمسافات طويلة بعد الحرمان لثلاثين عاماً⁽⁶³⁾.

يفسر علماء الاجتماع الأجانب عملية الاشباع الطبيعي (الجسد والعقل والقلب) وان الوحيد منها الذي لا يملأ هو إشباع القلب الذي يستمر الى ما لا نهاية، وكذا كان حب الحسين (ع) وتفاعلاً حقيقياً للمشاعر وطريقاً لحب الله تعالى وتنضيداً لعبوديته وطاعته وتنفيذاً أوامره حياً يغور لا يشبع منه مطلقاً⁽⁶⁴⁾.

ان الشعور الذي يمتلكه الأفراد، أثناء تأدية المشاعر هو شعور ظاهري في التعامل مع الآخرين⁽⁶⁵⁾، ولذلك تؤكد مصادر علمية بتسجيل اعلماء معدلات الالتزام بالقانون والإعمال الخيرية والتبرع في سبيل الله وانخفاض حاد في مستوى الجريمة⁽⁶⁶⁾.

وتسجل الشعائر شعورا باطنياً بتهديب النفس واخذ الاستعدادات للذوبان في حب الله بعد مراجعة ما مضى من أعمال الناس، ولذلك يزداد في كل عام، الساعيين نحو الحسين (ع) في كربلاء المقدسة او المتتورين بثورة المبارك⁽⁶⁷⁾.

تعنقد ان المشاعر التي تقام في البلدان الإسلامية، تمثل امتداداً وتقليداً وأنعكاساً للأعمال الاصلية مدينة كربلاء المقدسة⁽⁶⁸⁾.

ان الارتباط بالمكان والزمان المعنيين كل عام تضيف جواً واقعيّاً على المشاعر بحيث وانت في حرم الامام الحسين (ع) او أخيه العباس (ع) عند كل زيارة او في شهري الحزن كأنك في يوم العاشر من محرم سنة 61هـ أو انك تشم رائحة الشهادة واصوات السيوف وندب الحسين (ع) هل من ناصر ينصرنا⁽⁶⁹⁾.

وبذلك تعنقد ان هذه الروح الزمانية يشعر بها كل من تفاعل مع الأحداث سنوياً. وان من توقع الشعور بالثورة والتضحية من قبل المحبين والقائمين بالشعائر، سعت الحكومة السابقة لمنعها والتعتيم عليها ومعاقبة القائمين بها⁽⁷⁰⁾.

المبحث الثالث: تجليات الهوية الوطنية

ان البعثات الإلهية عبر الرسالات السماوية المتعاقبة وأخيرها رسالة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مولانا المصطفى محمد (ص) والتي جمعت كل التعاليم الواردة والإحكام الصادره من الله عبر تبليغات الأنبياء والرسل وكتب الله المجيدة في التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم والزبور وكانت جميعها تبلغ بتوحيد الله سبحانه ورفع المستوى الأخلاقي لخليفة الله في الأرض الذي جعل كل الخلائق في طاعته.

ولذلك فان الله سبحانه وتعالى قد جعل نبينا الاكرم (ص) أعظم وأكرم شخصية نزلت سطح الأرض الى يوم القيامة وانه اعظم مصلح بشري نقل تعاليم السماء وبلغها بخلقه القراني رغم وسائل التعذيب والقهر التي عانى منها⁽⁷¹⁾.

ان مدد التكليف الإلهي للنبوة محددة منطقاً لمجموعة محدودة من السنين يبلغ فيها الرسول تعاليم الله وتعاليمه للأمة بالتي هي أحسن ولكن بعد وفاته فان لا بد من وجود شخصية تكمل ما بدأ به هذا الرسول او النبي المرسل⁽⁷²⁾.

ولهذا فقد جعل الله سبحانه أهل بيت النبي (ص) هم او حيائه من بعد يقومونه بإكمال تعاليم الرسالة وتفسير القران المتجدد الى مر العصور والذي تطور درره يومياً وملايين المعاجز التي لم تكشف لحد الآن وقال سبحانه وتعالى ((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا))⁽⁷³⁾

وقال النبي محمد (ص) ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي))⁽⁷⁴⁾ وعليه فان العدل الحقيقي للقران الكريم هم حملته ومفسريه وحاملي

اسراره التي امتلكوها بالتتابع فقط الائمة المنصبين من الله (بالحب) أي المعينين من الله تعالى.

وكان للائمة الأطهار (ع) تكاليفهم الإلهية في دعوة الأمة الى الصلاح ومحاربة الفساد فيها ومخالفة تعاليم القرآن الكريم ولذلك فقد محى سيد الأوصياء امير المؤمنين (ع) سيفه في محراب الصلاة واستشهد الإمام الثاني الإمام الحسن (ع) مسموماً وتلاه اخوه الحسين (ع) وأولاده المظلومين (ع).

لقد كان تكليف الإمام الحسين (ع) تكليفاً عظيماً مميزاً عن باقي الأئمة في ارتفاع درجة القسوة لدى أتباع الشيطان في قتل الإمام الحسين (ع) وأهل بيته والتمثيل بأجسام وسبي نسائهم وعيالهم بعد ان أراد (ع) الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (75).

ان الثورة الحسينية المباركة ونهضتها المجيدة قد حققت انعطافاً متميزاً وعظيماً لمسيرة النبوة بعد انحراف مساراتها القويمية من خلال تسلق مجموعة من الوصولين وأصحاب المصالح للحكم عبر وسائل غير شرعية بالقتل أو السم أو تصفية المعارضين للسياسيين الذين دخلوا الإسلام متأخراً بقوة السيف لا بالإيمان الصحيح وهم ما يطلق عليهم (بالطفاء) (76).

ولهذا وقف الحسين (ع) قوياً بالإسلام وتعاليمه السامية طالبا للإصلاح ولهذا تعرض الامام الحسين (ع) لابشع مجزرة شهدتها التاريخ ولذلك هنالك من يقول ان الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء.

ان المسيرة الحسينية هي امتداد طبيعي للمسيرة النبوية باعتبار ان الحسين هو امام الامة في عهده واليه ترجع السلطات جميعها بتكليف (اللهي ونبوي) حيث قال رسول الله (ص) ((الحسين والحسين امامان ان قاما او قعدا)) (77).

وهو امتداد طبيعي لابيه امير المؤمنين وجده رسول الله (ص) وجده إسماعيل وجده إبراهيم وجده نوح وجده آدم.

ان الثورة الإصلاحية للإمام الحسين (ع) كانت ثورة عملاقة مختلفة الاتجاهات والروى في الصلاح الكامل للفساد الذي سرى في مفاصل الأمة، ان الارتدادات التي خلقها الثورة الحسينية سوف تستمر الى قيام الى يوم الدين، لانه مازال يجول في المسرح (ابليس وجنوده) وان الصراع بين قابيل وهابيل وأولادهما وأحفادهما سوف يستمر. كان من الواضح الفلسفة التي انتهجها يزيد وأتباعه في طريقه الحكم بإبعاد المسلمين وإخراج دين مظهره الخارجي الإسلام وباطنه الجاهلية الأولى ومزاعمها الدنيوية وعليه يذهب قسم من فلاسفة التاريخ ان اللجوء إلى (أفكار أحاديه) هي أحسن طريقه للذهاب بالمجتمع المتدين نحو الضفة الأخرى له (78).

لقد استغل السياسيون الجهل بالإسلام وتعاليمه ورجاله للدول المحررة حديثاً من السير بها نحو طريق مخالف للنهج الصحيح الذي أراده الله.

وان هذا النهج الاستغلالي لا بد ان ينكشف ويذول القناع عن وجه الحاكم البائس، بعد ان يعرف المنهج الإلهي الصحيح ولذلك دائماً ما يصحب بثورات عظيمة كبيرة.

كانت النهضة الحسينية المباركة قد بنيت على استعداد غيبي غير طبيعي مسدد ببركات السماء حيث كانت كل معالمها ربانية وكان دروسها إنسانية بحته تعطي ثمارها لكل المتذوقين لطعم الحرية والشجاعة والاثيار والصدق والإيمان بالله سبحانه وقدره.

لقد أعادت النهضة الحسينية الرسالة المحمدية الى الطريق الصحيح الذي أوجده النبي محمد (ص) بالدماء الزكية والأرواح الخالدة وبصريحات الأطفال عطشاً وبكاء عبد الله الرضيع جوعاً وبصراخ العيال من لسح سيات الجلادين (79).

ولقد يتصرف مفهوم الكثيرين الى ان الهوية تعنى فقط بمفهومها السياسي الذي في القرن العشرين فقط دون النظر الى المفاهيم والمؤثرات الأخرى الدينية والثقافية والاقتصادية والتي ينبغي عدم إهمالها كونها خاضعة الى مفهوم الصراعات وظهور النتائج بعدها.

ان المفهوم النهضوي الحسيني قد اطر وبرزت الهوية الوطنية العراقية بمعالم ذهبية جديده رفعت من مفاهيم الهوية السابقة بان أضفت عليها سمات جديدة من التضحية والإيثار والشجاعة والنبيل.

أن مأساء كربلاء الخالدة عجنت المشاعر العاطفية للشعب العراقي بقطرات دماء الحسين (ع) وأصبح الحزن الحسيني يغلف كل مشاعر الحياة للعراقيين فلاحهم وعاملهم رجالهم ونساءهم وأطفالهم في المهود (80).

كانت مشاعر العراقيين أصلاً منعمة بأهات الإحزان السومرية على ضفاف دجلة والفرات وأمست تراتيل الأمهات على مقابض المهود تحاكي الم وحزن ام عبد الله الرضيع (ع) وكانت ام لمقتول تصيح لتواسي صرخات زينب (ع) وام كلثوم ورقية والرباب وليلى ورملة وام البنين (ع)

وأصبح الحزن العراقي يذكر في الأفراح والإحزان ويذكر التاريخ انه دعبل الخزاعي زار يوماً من الأيام الرضا (ع) وطلب منه القاء الشعر وطلب منه انه يلقي بطريقة اهل العراق الحزينة مجلساً حسينياً عاشوراء يمتاز به فقط أهل العراق.

هذا ما يميز محي اهل البيت العراقيين من غيرهم من المسلمين وإعطاءهم هوية الله ورسوله واهل بيته يواسيهم يوم القيامة ويعانوا قائدهم المولود⁽⁸¹⁾.

المطلب الأول: معالم الهوية الوطنية العراقية الحسينية

أولاً: المحبة والعشق لآل المصطفى.

يتميز أهل العراق عن غيرهم من المسلمين الآخرين لعشقهم للنبي الخاتم محمد (ص) وأهل بيته الكرام عليهم السلام وتطبيق وصيته فيهم أتباعهم وانهم السبيل ولدراسة وفهم القرآن الكريم وهم الطريق الوحيد إليه.

لقد كان اعتقاد أهل البيت عليهم السلام وسيدهم أمير المؤمنين (ع) بان محبيهم من أهل العراق وان يدافع عنهم هم العراقيون ومن يرفع رايتهم حاضرا ومستقبليا هم العراقيون وان الدين الصحيح ومنهجه، القويم هو في العراق في العاصمة الكوفة او في الجنة في كربلاء او في الجنائن في سامراء او في الكاظمية المقدسة.

ان ايمان العراقيون بولاية وحب أهل البيت (ع) يبدو من خارج عن الإرادة الذاتية للإنسان، وإنما هناك أبعاد الهية اختير من خلالها العراقيون ليكون اول البلدان في العالم موقعا لمولد الأنبياء والرسل والأوصياء ومزارا لقبورهم الطاهرة الشريفة كما في الموصل وبابل والنجف والبصرة والديوانية وان أهل العراق هم اكثر شعوب الأرض استعدادا للتضحية في سبيل الدين والوطن⁽⁸²⁾.

قال أمير المؤمنين (ع) فيهم:

" انتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأس، والباطل دون القاس بكم أضرب المدبر وارجوا طاعة المقبل " ⁽⁸³⁾. وهناك العديد من أقوال أهل البيت فيهم وحبهم للعراق وحب العراقيين لهم وان هذا الحب والالتزام قد دفع منه انهار من الدماء الطاهرة الشريفة على مدافع الولاء والتضحية من بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) ولحد الآن تحت سيوف وحبال الطغاة والجلادين⁽⁸⁴⁾.

ثانياً: الشجاعة الحسينية المتفردة.

ان العراقيين يتميزون عن غيرهم بامتلاكهم الشجاعة الأصلية الممزوجة بالدماء والولاء والتضحية الحسينية فأصبحت الشجاعة ممزوجة بالتضحية والاعتدال ولذلك كانت الانتصارات نهاية معاركهم. ولذلك سيطرة العراقيون كل يوم عشرات البطولات المتفردة التي أعجبت العالم غير الإملاء التي تظهر في التفاز وميزت العراقيون بفضون شجاعتهم وتميزها في المحافل الدولية كالدراسة والمسابقات العسكرية⁽⁸⁵⁾.

ثالثاً: الأدب الحسيني.

ظهر بعد الواقعة الشريفة في يوم الطف عام 61هـ نوعاً جديداً من الشعر و الأدب العربي وطريقة ألقائه ونوعية والتوجه والطرح ووصف حالات الشجاعة والبطولة وحاله الحزن والسبي والتيتيم والعطش التي عانها أهل البيت.

وقد قاد هذا التوجه مجموعته بارعة من الشعراء الفطاحل كالفرزدق ودعبل الخزاعي والكميت والسيد حيدر الحلي (86). لقد أدى هذا النوع من الرثاء موجة من الهجوم الإعلامي الواسع هذا لطغاة والنواصب بحيث أعلنت أحكام الإعدام على هؤلاء الشعراء ومنعت قصائدهم من التداول (87). ونحن نعلم انه لولا الشعر لما بقيت ملامح للنهضة كون الشعر هو ديوان العرب وان الشعر تناول جميع مفاصل النهضة.

رابعاً: المنبر الحسيني:

ظهرت كذلك بعد الثورة الحسينية مفهوماً جديداً للدروس الحوزوية يتم من خلالها طرح دروس الدينية الفقهية وفصول من المأساء الحسينية بأسلوب جديد ظهر على ايدي مجموعة من أساتذة وطلاب الحوزات العلمية والذين يمتلكون إمكانيات علمية وخطابية وصوتية تجذب الآخرين (88).

ولقد تطور المنبر الحسيني بعد التطور العلمي التكنولوجي والفضائي ووصول الصوت الحسيني لكل العالم ولكل بيت ولكل فرد وقد ترتب على ذلك ظهور أجيال متميزه من العلماء والخطباء والروايد وظهر طبقة مثقفة من الشعراء الحسينيين الذين رفدوا المنبر بقصائدهم.

لقد خطا الكثير بأن النهضة الحسينية هي عبرة ودمعة كما يفهما البسطاء من الناس على الرغم من ان الدمعة الزينبية قد هزت عرش الطاغوت يزيد في دمشق في عقر داره لكن درر النهضة ما زالت مخفية ولم تستخرج منها الا ما نستطيع عقولنا من إدراكه، فالمتناول والمنجز والمعروف هو ما استطعنا من تحقيقه وبحثه والتوصل اليه (89).

لما كانت الثورة والنهضة الحسينية إلهية ونبوية والاراد منها لله فلا بد ان يكون عطاءها الهي أنساني متميز ومستدام ليوم القيامة واليوم الموعود الذي تملأ فيه الأرض قسطاً وعدلاً بعد الثأر لصاحب هذا اليوم من قتله جده الحسين (ع) وأتباعهم وأشياعهم (90).

لقد لعب المنبر دوراً خطيراً في نشر الوعي السياسي والفقهي والعلمي بين الشعب حتى أصبح المنبر منطلقاً للعمل للثورة وان الروح الحسينية الثورية تشع ضياءً للحرية والشهادة والانتصار وهذه جبال لبنان تطيح بالاستكبار العالمي وصنيعته إسرائيل. (91)

خامساً: الصبر والصلابة:

يذهب قسم من فلاسفة علم الاجتماع ومنهم د. انجليز في كتابه (تطور العائلة) بان الشعوب ذات التجارب القاسية سيكون مهياً بصورة قوية لتحمل المصاعب والمهمات الملقاة على عاتقها... ومهياً لأخذ دورها في مرحلة الظهور، كما لا يمكن تصور شعبا وأرضاً كأرض العراق تحملت أعباء أنواع عدة من الغزو الأجنبي والاحتلال والصراع على أراضيها وتدمير حضارته وحرقت ممتلكاته⁽⁹²⁾.

هي بذلك اكتسبت أعلى أنواع الصبر الحر واكتسب الشعب اعلى درجات القوة والصلابة والتحدي التي يعجز أي شعب على تحملها، فلا يمكن ان يتصور شعب يخوض ثلاث حروب عالمية في ثلاثين سنة ويخرج كالأسد وغيره يخوض حرباً لساعات يبقى بين منها عشرات السنين⁽⁹³⁾.

المطلب الثاني: إشرافات الهوية الوطنية:

قد يوجد العديد من مميزات الثورة الحسينية من ثروتها ولالئها التي مازالت في قاع عمق النهضة الذي سوف يأتي محل لاستخراجها ولكننا في بحثنا المبسط نحاول ان ندرج مانستطيع تقيده في هذا المبحث.

وسنحاول ايراد بعض الاشرافات الملموسة من قبل الشعب والامة من مكارم النهضة الحسينية والتي مازالت مستمرة وتتجسد يومياً في واقعا المعاصر في الجوانب السياسية والعسكرية لشدة ترابطها ولان الجانب العسكري هو ترجمة حقيقية للواقع السياسي.

أولاً: الجانب السياسي:

لقد ادت النهضة الحسينية مباشرةً الى رفع الوعي السياسي للشعوب وتميز الشعب العراقي بالارتفاع المفرط لديه حتى أدى الى قيام الثورة في الكوفة والبصرة ورفض النظام الحاكم في دمشق بوصفه نظام غير شرعي⁽⁹⁴⁾.

وفي العصور القليلة الماضية وخاصة في القرن الأخير، لقد ساعد الشعب العراقي الاحتلال العثماني في قتاله ضد المستعمر الجديد (بريطانيا) لمعرفته بهذا الاستعمار من خلال الأعمال القذرة في الهند وإيران ومعرفته بمخططاته السيئة الصيت.

ان هذا الوعي الحسيني لم يكن يقلق حكومة العراق فقط، بل كان يقلق جميع الطواغيت في العالم وخصوصاً الغربي منه لانه الوحيد الذي يحاول الوقوف ضد توجهات الإسلام.

ان الطغاة من تربية المدرسة المادية والذين لا يؤمنون بطاقات وكوامن الشعوب ينكرون او يبجلون معنى الروح في النهضة الحسينية والمد الذي قد تولده من ازدياد حالة الزخم المدوي⁽⁹⁵⁾.

ثانياً: الجانب العسكري:

يعتبر السياسيون في العالم ان الجانب العسكري وعناصر السوق وقوة الردع هي من وسائل النمط السياسي، نحن نجد ان أوسع تعبير عن القدرة العسكرية مايسطره اليوم أتباع الحسين (ع) من العراقيين من المتطوعين في الحشد الشعبي والذي لبوا نداء مرجعيتهم الرشيدة وهم يرفعون رايات المجد الحسيني وينادون فوق سواتر العز (لبيك يا حسين) او مايسطره عشاق الحسين (ع) من الدفاع عن حرمة رسول الله في الشام ولبنان (96). لقد أدى هذا الدور لأبناء وعشاق الحسين(ع) السلام في رفع القدرة القتالية والجاهزية العسكرية لاي طارئ وتحرير جميع لأراضي المغتصبة في صلاح الدين.

وامرلي وجرف النصر وبيجي والفلوجة (97) ان هذه التنامي في القدرات العجيبة لم يكن من نتائج المدراس والأكاديميات العسكرية والمناورات العسكرية الباهظة الثمن وانما من نتائج عاشوراء الحسين وارض كربلاء، ان هذا الانجاز قد أخاف أعداء العراق من تنامي القدرة في الصناعة العسكرية والسوق العسكري المدني المبني على الدعم اللوجستي الحسيني غير الحكومي المتمثل بقوافل ومواكب الحسين الموجودة في الخطوط المتقدمة من الجبهة.

ان تجسيد الهوية الوطنية لأبناء العراق يمكن وجوده في فصائل الحشد الشعبي المتكون من كل الطوائف والملل والعشائر والمدن لم يميزهم عرق او دين فالهم عراقي وكرامة العراق غايتهم. (98)

ان النهضة سوف تستمر بإنتاج عشرات القادة والمقاتلين ممن يستعدون لذلك اليوم الموعود الذي ننتظره وهم يعملون بشكل واضح ومؤمن اجل ذلك، ولذلك بهذه الروح لم يستطع العالم بمخابراته وأسلحته المدمرة والأموال الكثيرة من الوقف بوجه الصولة العراقية الحسينية وهزم كل الطغاة.

الاستنتاجات:

يظهر لنا من خلال البحث مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات يمكن دراستها مستقبلاً وتقديم الحلول وهي:

- يعتقد قسم من الباحثين ان العراق لا يملك هوية وطنية واضحة ونحن لا نعتقد ذلك لكون العراق دولة قبل ان تخرج الهوية الى الوجود في بداية القرن العشرين.
- لا بد لأول دولة في العالم عمرها أكثر من 7000 سنة في القدم لا بد منطقياً ان يتميز عن غيره لمجموعة من المميزات الذي أعطته هذا القدم في التاريخ والحضارة.
- الهوية الوطنية معناه مجموعة المميزات التي تميز شعب وقوم ودولة عن دولة اخرى والوطنية هو مدى التزام وولاء هذا المواطن تجاه وطنه.

- أن الهويات الفرعية العراقية هي مصدر قوة للهوية العراقية وليست مصدراً للتقسيم والولاء الخارجي.
- أن الهوية الحسينية تم مناقشتها وفق المفاهيم المطروحة الان في الساحة العلمية والسياسية وظهر ان منظر (هوية لا يمكن التكهن بعمرها ومميزاتها) لأبعادها الإلهية والغيبية.
- يمكن لنا لمس الواقع الميداني لظهور الهوية الحسينية وتميزها من انتشار اسم الحسين(ع) في وسط البيت الأبيض الأمريكي ورفع اللافتات بأسمه لكون الاسم الثاني للرئيس الأمريكي، فلا بد للعاقل ان يسأل عن معنى هذا الاسم،فضلا عن الضجة التي حققتها الملاكم العالمي (محمد علي كلاي) في تغيير اسمه واعتناقه الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت(ع) ورفعت ملايين اللافتات بسم (علي) (ع).
- لم تسقط الهوية الوطنية الحسينية يوماً ولم تسجل تراجعاً على العكس بل سجلت تطوراً غير طبيعياً وها هم حملتها يهزون العالم باسمه في عاشوراء.
- ظهور تناغم كبير في أداء المشاعر الحسينية كالتي يحيها العشاق لسيد الشهداء في العراق و دول اخرى كما في مصر حيث أحيا محبو السيدة زينب(ع) ذكرى ولادتها عام 2011 لمجموع زاد على 2مليون محب قرب مشهدها المقدس في القاهرة ونحن نعلم ماذا تمثل القاهرة الأزهرية في الدين والتاريخ.

المقترحات:

- الاستفادة من عوامل النهضة الحسينية في ترسيخ معنى الهوية الوطنية العراقية لان الهوية الحسينية هوية أصيله إلهية إنسانية خالدة والمفاهيم السياسية للهويات الأخرى تتغير دائماً.
- اخذ الاستعداد الكافية لمواجهة الغزو الثقافي الغربي في إلغاء الهوية ومعانيها ومحاربه ركانزها عبر تشخيص موطن الضعف ومعالجتها ومناقشة الأخرى عبر الحوار العلمي.
- أن تاخذ الدولة على عاتقها مسؤولية النشر الوعي النهضوي الحسيني وترسيخ معانيها وهويته لأنها هي الأصلية وباقي المعالم متغيره لان الحسين خالد الى يوم الدين.
- إبراز الدور المؤثر للمرأة الحسينية في النهضة الحسينية ومثالها السيدة زينب (ع) باعتبارها صوت الثورة والناشر لها إعلامياً والمطالبة بحقوق الله ضد الطغاة ولكون المرأة أكثر من نصف المجتمع.

الهوامش والتعليقات:

- (1) مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ترتيب خليل موسى، بيروت، دار المعرفة، ، 2005 ص34.
- (2) الكيس ميكشلي، الهوية، ترجمة: علي وطفة، دمشق، دار النشر الفرنسي، 1993، ص7.
- (3) احمد غالب محي جعفر الشلالة، الهوية الوطنية العراقية إشكالية البناء والتطور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، 2010، ص7.
- (4) حبيب صالح مهدي، دراسة في مفهوم الهوية الوطنية، مجلة دراسات إقليمية، العدد13، مركز الدراسات الإقليمية -الموصل، 2009، ص242.
- (5) الكيس ميكشلي، المصدر السابق، ص19.
- (6) علي محمد علوان، الأسباب الخارجية لأزمة الهوية الوطنية، نشرة شؤون عراقية، العدد4، مركز الدراسات السياسية والقانونية -جامعة النهرين، 2009، ص52.
- (7) حازم صباح احمد الدوري، صراع الهوية الوطنية في تونس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية -جامعة بغداد، 2004، ص5.
- (8) إسراء علاء الدين نوري، الأسباب الداخلية لازمة الهوية الوطنية، نشرة شؤون عراقية، العدد4، مركز الدراسات السياسية والقانونية -جامعة النهرين، 2009، ص36.
- (9) جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ، بغداد، المكتبة العصرية، 2010، ص326.
- (10) لؤي خزعل جبر، الهوية الوطنية العراقية، بغداد، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، 2008، ص26.
- (11) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص214.
- (12) عبد الجبار محمد العبيدي، الوطن والمواطنة والهوية الوطنية، نشرة دراسات سياسية وقانونية -جامعة النهرين، 2011، ، ص13.
- (13) فائز طه اللهبيي، إشكالية بناء الهوية الوطنية العراقية، مجلة دراسات إقليمية، الموصل، العدد13، ص59، 2009.
- (14) عبد الحسين شعبان، جدل الهويات في العراق، بيروت، الدار العربية للمعلومات، 2010، ص22.
- (15) عامر حسن فياض، العراق وشقاء الديمقراطية المنشودة، عمان، دراسات للنشر والتوزيع، 2003، ص47.
- (16) عبد الصمد سعدون، جدلية العلاقة بين الهوية والمواطنة في تفعيل التنمية المستدامة، مجلة دراسات إقليمية، الموصل، العدد13، 2009، ص61.
- (17) محمد عبد الجبار الشبوط، الهوية الفرعية وبناء الدولة الديمقراطية الحديثة، مجلة المواطنة والتعايش، العدد 5، بغداد، ملاكز وطن، 2007، ص27.
- (18) حسين درويش العادلي، لماذا المواطنة والتعايش، مجلة المواطنة والتعايش، العدد 1، مركز وطن للدراسات، 2007، ص11.
- (19) حاتم حميد محسن، موجز في العولمة، دمشق، مطبعة كيوان، 2008، ، ص97.

- (20) بركة بهجت احمد، دور الهوية الوطنية في تعزيز المصالحة الوطنية، مجلة شؤون عراقية، بغداد، العدد 4، 2009، ص31.
- (21) إبراهيم الياس داقوقي، مفهوم الهوية الوطنية، بحث منشور على شبكة الانترنت، 2005/9/14.
- (22) إبراهيم الجبوري، الهوية والثقافة الفرعية في العراق، بحث منشور في جريدة المؤتمر الوطني العراقي، في 25/1/2010.
- (23) طارق حرب، الهوية الوطنية العراقية /مقال منشور على موقع سومر نيوز في 5/4/2010/.
- (24) وهيب الشاعر، الاردن الحالي، الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، ص17.2
- (25) احمد غالب الشلّة، المصدر السابق، ص74.
- (26) علي وتوت، في سؤال الهوية العراقية، بغداد، المطبعة الحضارية، 2008، ص27.
- (27) كيولس سليم بطرس، اراء وأفكار الحوار المسيحي والإسلامي والعيش المشترك، بحث منشور على موقع الحوار المسيحي الإسلامي في 15/7/2009..
- (28) منتصر مجيد حميد، كيانات العراق ومقومات البناء والنشوء، المجلة العراقية للعلوم السياسية، العدد 1، 2008، ص94.
- (29) صموئيل هنتغتون، التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة:حسام خضير، دمشق، دار الرازي، 2005، ص94.
- (30) رشيد الخيون، الأديان والمذاهب في العراق و، اربيل، مطبعة سبحان، 2008، ص486.
- (31) خضر عباس عطوان، المتغير الكردي في العلاقة بين العراق وتركيا، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهدين، 2010، ص63.
- (32) سليم مطر، الذات والجريمة: إشكالية الهوية في العراق والوطن العربي، بغداد، مركز دراسات الأمة العربية، 2008، ص302.
- (33) احمد شوقي، ديوان احمد شوقي، القاهرة، مطبعة بولاق، 1976، ص78.
- (34) قاسم شعيب عباس السلطاني، دور المتطوعون الشباب في انتصارات الحشد الشعبي، مؤتمر العمل التطوعي / وزارة الشباب والرياضة، بغداد، 2016، ص2.
- (35) عبد اللطيف احمد رشيد، التجنيد والخدمة الإلزامية دليل المواطنة الصالحة، مجلة نداء الحرية، بغداد، مركز نداء الحرية للتنمية والتطوير، 2007، ص170.
- (36) محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الصول الكافي، ت 329 هـ، ج3، ص548.
- (37) المصدر نفسه، ص556.
- (38) احمد أمين، منحى الإسلام، ط3، القاهرة، مطبعة الشروق، 1943، ج1، ص27.
- (39) الكليني، المصدر السابق، ص87.

- (40) أضواء على نهضة أبو الشهداء، بحث منشور على موقع العتبة الحسينية المقدسة، 2016.
- (41) عباس الذهبي، أبعاد النهضة الحسينية، قم، دار الرسالة، 2007، ص11.
- (42) عبدالله اليوسف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مقال منشور على موقع عاشوراء الإلكتروني في 2015/3/7.
- (43) عبد الرزاق محمد علي، النهضة الحسينية أسبابها ونتائجها، بحث منشور على موقع العتبة الحسينية المقدسة.
- (44) الشيخ جعفر النوستري، الخصائص الحسينية ومزايا المظلومية، بحث منشور على موقع وارث الأنبياء في 9 رمضان 1437هـ.
- (45) الثورة الحسينية وأثرها في حياة المسلمين، موقع عاشوراء الإلكتروني، في 7 محرم 1432 هـ.
- (46) رائد الزركاني، أهداف الثورة الحسينية، بحث منشور على موقع العتبة الحسينية المقدسة 2013/12/24.
- (47) النهضة الحسينية خفيات ونتائج، موقع العتبة الحسينية المقدسة، في 2011/11/22.
- (48) عصام حاكم، النهضة الحسينية في استراتيجيات الحرية، بحث منشور على موقع عاشوراء الإلكتروني في 2013/6/9.
- (49) خضر ابراهيم حيدر، 93 عام على فاجعة تهديم قبور البقيع، بحث منشور في مجلة شعائر، العدد77، عام 2016..
- (50) علي كاشف الغطاء، سعد صالح في مواجهة الوطنية، مطبعة الراية، بغداد، 1989، ص168.
- (51) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني الى قيام الجمهورية، ط2، بغداد، مطبعة دار الحيلة، 2002، ص44.
- (52) حسين درويش العادلي، نحو عراق جديد، دار الشؤون الثقافية العراقية، بغداد، 2002، ص64.
- (53) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص214.
- (54) محمد صادق الصدر، الغيبة الكبرى، قم، مطبعة بني الزهراء، ص75.
- (55) عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسين، بغداد، قوس النور للمطبوعات، 2002، ص304.
- (56) مصطفى محمد غريب، شهداء الشعب شهداء الوطن، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، 2009/ 2/ 4.
- (57) احمد جويد، أهمية الشعائر الحسينية في نظر المشرع العراقي، بحث منشور في موقع مقالات، 2015/3/17.
- (58) محمد الشيرازي، أهمية المشاعر الحسينية واجرائتها، مقال منشور على موقع السيد الشيرازي.
- (59) عبد الرزاق المقرم، المصدر السابق، ص326.

- (60) إيمان الشايب، تطوير المنبر الحسيني الى عمل مؤسساتي، مقال منشور على موقع جهيئة الالكتروني في 28/ 12/ 2013.
- (61) جيهان مصطفى، سباق في الغرب على اعتناق الإسلام، مقال منشور على موقع طريق الإسلام في 7/ 10 / 2014.
- (62) حافظ الكرمي، الغرب يدخل الإسلام، مقال منشور على موقع الإسلام ويب في 4/ 2 / 2014/.
- (63) أسامة التحفي، أقوال المستشرقين وعلماء الغرب في ثورة الحسين (ع)، مجلة سلسلة المعارف الإسلامية، العدد42.
- (64) شهاب الدين العذاري، المنهج التربوي عند اهل البيت، بحث منشور على موقع سلسلة المعارف الإسلامية، العدد 42.
- (65) تقرير إخباري عن ازدياد عدد الزائرين إلى كربلاء، قناة روسيا اليوم في 13 / 12 / 2014.
- (66) موقع نبأ، ازدياد حالة الجريمة في العالم، منشور على موقع نبأ في 2/2/2016.
- (67) تقرير إخباري ازدياد أعداد الزائرين الى كربلاء، قناة العالم الإخبارية في 21 صفر 1436 هـ.
- (68) حلال الربيعي، حقوق عاشوراء، مقال منشور على موقع حوار متمدن في 25/11/2011.
- (69) جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص214.
- (70) محمد علي عباس، رسالة الثورة الحسينية إلى حكام العرب، مقال منشور على موقع نبأ الالكتروني في 5 محرم 1428.
- (71) مايكل هارت، الخالدون المائة، أعظمهم محمد رسول الله (ص)، ترجمة انيس منصور، القاهرة، المكتب المصري الحديث، 1983، ص 13.
- (72) الحكمة من بعثة كل الأنبياء الى بني إسرائيل، بحث منشور على موقع مركز الفتوى في 20/ 4/ 2004، .
- (73) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية.
- (74) احمد بن حنبل، مسند الامام احمد، الموقع الالكتروني لشبكة الشيعة العالمية.
- (75) أصحاب الرسول الأعظم شهداء بين يدي الإمام الحسين، بحث منشور على موقع السيد الشيرازي في 1 محرم 1432.
- (76) هند مصطفى شريفي، أحداث ما بعد الفتح، بحث منشور على موقع الالوكة في 1/12/ 2014.
- (77) المجلسي، المصدر السابق، ج16، ص75.
- (78) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص38.
- (79) عبد الرزاق المقرم، المصدر السابق، ص38.

- (80) حسين سرمك حسن، الحزن في الغناء العراقي: انين يمتد من سومر الى الجبايش، مجلة الموروث العدد 68، 2013.
- (81) سامي البدري، اهل الكوفة بين حقد الامويين والعباسيين الى ثناء اهل البيت، بحث منشور على موقع العتبة الحسينية المقدسة في 2014/11/29.
- (82) مدح اهل البيت للعراق، موقع الكفيل الإلكتروني، بحث منشور في 2014/4/8.
- (83) العلامة المجلسي، المصدر السابق، ج 3، ص 317.
- (84) ابو مهدي المهندس، برنامج عفوان، عرض على قناة بلادي الفضائية يوم 13 / 6 / 2016.
- (85) سعيد حمو، مقترح تشكيل فوج مشاة جبلي المجلة العسكرية، العدد 47، 1973 ص 18.
- (86) رثاء اهل البيت بين الشعراء الفرس والعرب، بحث منشور على موقع إذاعة طهران الالكترونية، في 2011/ 12/2.
- (87) علي حسين يوسف رثاء الإمام الحسين (ع)، لمحة تاريخية، بحث منشور على موقع درر العراق في 2014/4/7.
- (88) نضير الخزرجي، المنبر الحسيني ومراحل تطوره عبر التاريخ، بحث منشور على موقع نبأ في 2010/ 12/2.
- (89) فضيلة المحروس، المنبر الحسيني والقراءة الفردية، بحث منشور على موقع منتديات ياحسين في 2013/11/1.
- (90) عادل حسين عبد، الإمام الحسين (ع) عبرة واعتبار، بحث منشور على موقع عاشوراء في 2014/6/15.
- (91) مرتضى القزويني، الحسين عبرة وعبرة، مداخلة في مؤتمر منشور على موقع أحداث وإخبار يوم 22 ذي الحجة 1430.
- (92) كرار حيدر الموسوي، الإمام الحسين (ع) صرخة ونهضة، بحث منشور في موقع الحوار المتمدن في 2015/7/ 31.
- (93) احمد القاسمي، العراق من الغزو المغولي الى العراق الموحد، بحث منشور على موقع الحوار المتمدن في 2010/8/4.
- (94) كامل سلمان الجبوري، حركة الجهاد وموقف النجف، بحث منشور على موقع الملحق الوثائقي لثورة العشرين، في 2014/7/ 12.
- (95) حازم حسين، انتفاضة الشواف في الموصل، مجلة افاق عربية، العدد 16، 1986.
- (96) حسن مخلوف، دليل الفصائل المسلحة داخل سوريا، بحث منشور على موقع سياسة في 2014/4/1.
- (97) قاسم شعيب السلطاني، يحيى السلطاني، العقيدة العسكرية للحشد الشعبي، المؤتمر الأول للحشد الشعبي، 2015، ص 22.
- (98) قناة DW الألمانية تقرير نشر في 2016/7/12.

أثر واقعة الطف بمنهج الحشد الشعبي ودورها في صناعة هويته

أ.م.د. هناء كاظم خليفة
قسم التاريخ - كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

أثر واقعة الطف بمنهج الحشد الشعبي ودورها في صناعة هويته

أ.م.د. هناء كاظم خليفة

قسم التاريخ - كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من ارسل رحمة للعالمين محمد واله وسلم، وبعد قال تعالى في محكم كتابه الكريم "فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا".

وعليه لا بد من القول اولاً ان الحشد الشعبي جاء نتيجة تأصيل عقائدي وطني تمتد جذوره الى عشرات السنين لشعب قاوم المحتل بروح جهادية، لذا يمكن القول أن الروح العراقية كان على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الوطن والدفاع عنه، فلم يكن الحشد الشعبي رد فعل سطحي وعفوي بل هو رد فعل تأسيسي في بنية مشروع الحشد الفكري والسياسي، فهو ينظر إلى داعش أنه خطر دائم ومستمر.

وباستمرارية التنظيم الارهابي واستمرارية دعمه من القوى الاقليمية والدولية، لذلك فإن مواجهته تحتاج إلى بنية متينة قادرة على مواجهة داعش الارهابي ومعرفة أبعاد تمدده السياسي، والطائفي، ومواجهة اهدافه تأصيلياً، فيجب ان يتعاطى مع الحشد الشعبي كمشروع متكامل يحتاج إلى حشد المقومات كلها الثقافية والسياسية والاعلامية والتربوية والعسكرية، اي ليس فقط بالسلاح وانما بإطار تكاملي من اجل النهوض بهذه المواجهة.

والملفت ان روح الجهاد التي اعتمدها ابطال الحشد كانوا قد استمدوها من تاريخهم المجيد وما سطره ابطال واقعة الطف الخالدة فألهمتهم بطولاتها بكل شخصياتها فكانت دافعا ومحركا يحدو بهم لتحقيق الانتصارات وان كان ثمن ذلك ارواحهم الشريفة، ولم يكتفوا بذلك وانما سعوا الى ان يكون العديد من اسماء فرقهم والويتهم وكتائبهم وتحمل اسماء واقعة الطف وابطالها فبعث ذلك في نفوسهم الحمية والايثار والتضحية واحياء مبادئ الطف فكانت معاركهم طفاً اخر ضد منافقي وارهابيي عصرهم .

أهداف البحث:

1- توضيح مدى الترابط بين اهداف واقعة الطف والحشد الشعبي.

- 2- بيان اهمية اسماء واقعة الطف وابطالها سلام الله عليهم بتشكيل وحدات الحشد الشعبي البطل.
- 3- التعرف على اليات واقعة الطف باتخاذ شخصية الامام العباس "عليه السلام" كنموذج قيادي واثره على فرق الحشد الشعبي.
- 4- ذكر بعض النماذج البطلة من شهداء الحشد الشعبي وتسليط الضوء على بطولاتهم.

خطة البحث:

اعتمدنا في تقسيم بحثنا هذا الى مبحثين وهذه المقدمة مع خاتمة اودعنا فيها ابرز النتائج التي توصلنا اليها.

اما المبحث الاول فقد جاء بعنوان **(الامام العباس "عليه السلام" هوية الطف الخالدة)** "دراسة تحليلية لبعض الروايات" اذ اعتمدنا على البعض القليل من الروايات وناقشناها بشئ مفصل من التحليل والدراسة الاكاديمية منطلقين من منطلق ان العديد من وقائع الطف بحاجة الى اعادة كتابة بطريقة تحليلية منهجية.

اما المبحث الثاني فقد حمل عنوان **(الحشد الشعبي بين التاصيل والانجاز)** سلطنا الضوء من خلاله على خط الحشد الشعبي في مقاومة الظروف والازمات المختلفة، ثم تناولنا البعض من فصائل الحشد الشعبي التي استمدت اسمها من واقعة الطف وابطالها سلام الله عليهم مثل "لواء ابي الفضل العباس، وكتائب كربلاء، وكتائب السجاد، وكتائب سيد الشهداء، وسرايا عاشوراء، وسرايا العتبات، ولواء علي الاكبر" اذ جاء ذلك بعنوان (الطف وانعكاساته على الوية الحشد الشعبي) وانهيينا المبحث بـ(الطف معراج الحشد الشعبي ونواة هويته) ذكرنا نبذة عن بطولات البعض من ابطال لواء علي الاكبر سلام الله عليه من باب ذكر الامثلة لا الحصر.

وختمنا البحث بذكر نبذة مضيئة من سفر الخالدون من شهداء هذه الفصائل ودورها في تحقيق النصر.

مع قائمة بالمصادر الاولية والمراجع الثانوية التي اعتمدناها في توثيق معلومات البحث.

ومن الله التوفيق.

المبحث الأول: الامام العباس "عليه السلام" هوية الطف الخالدة

"دراسة تحليلية لبعض الروايات"

نود الاشارة اولا الى ضرورة تفحص مايلي من الاحداث وموقف الامام الحسين "عليه السلام" منها، بعدها سنقف عليها بشيء من التحليل المتفحص. اذ

تتمحور هذه الفقرة بطلب الامام العباس رخصة القتال من اخيه سلام الله عليهما ولم يتحرك الا بأمر اخيه. وبهذا يكون قد صرح بمدى الالتزام وعدم قطع الامر دون اخيه وقائده سلام الله عليهما.

ولا بأس ان نبدأ بهذه الرواية، منوهين الى انه كان كل من أراد الخروج لساحة المعركة ودع الحسين " عليه السلام " وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه: وعليك السلام ونحن خلفك. (1) ويقرأ قوله تعالى: "فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا". (2)

فعلى سبيل المثال عندما برز ابنه علي الاكبرين الحسين وقاتل قتالا شديدا وقتل جمعا كثيرا ثم رجع إلى الحسين " عليه السلام " وقال يا ابا العطش قتلتني وثقل الحديد قد أجهدي اجابه قائلا: قاتل قليلا فما أسرع الملتقى بجذك محمد "صلى الله عليه وآله" ويسئلك بكأسه الأوفى فرجع إلى موقف نزالهم. (3)

ولما برز أحمد بن الحسن المجتبي " عليه السلام "، وهو ابن سبعة عشر سنة، ولم يزل يقاتل، حتى قتل منهم ثمانين رجلاً، ثم رجع إلى الإمام " عليه السلام "، وقد غارت عيناه من العطش وينادي: يا عمّاه هل شربة من ماء، أنقوي بها علي أعداء الله وأعداء رسوله؟ فقال له الإمام " عليه السلام ": يا بُنَيَّ اصْبِرْ قَلِيلاً تَلْقَىٰ جَدَّكَ مُحَمَّدًا الْمُصْطَفَىٰ " صلى الله عليه وآله "، فَيَسْفِيكَ شَرْبَةَ لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً. (4)

وغيرها الكثير من مثل هذه المواقف، لكن ياترى هل كان الامر نفسه مع العباس سلام الله عليه؟

فقد رأى العباس جميع عسكر الحسين " عليه السلام " قد قتلوا وإخوانه وبني عمّه، بكى وأن إلى لقاء ربّه، إشتاق وحنّ، فحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين " عليه السلام "، وقال: يا أخي هل رخصة؟ فبكى الحسين " عليه السلام " بكاءً شديداً حتى ابتلت لحيته المباركة بالدموع، ثم قال: يا أخي كُنْتَ الْعَلَامَةَ مِنْ عَسْكَرِي، وَمَجْمَعِ عَدَدِنَا، فَإِذَا أَنْتَ عَدَوْتَ يَوْوُلُ جَمْعُنَا إِلَى الشَّتَاتِ، وَعِمَارَتُنَا تَتَّبَعْتُ إِلَى الْحَرَابِ. فقال العباس: فذاك روح أخيك يا سيدي قد ضاق صدري من الحياة الدنيا، وأريد أخذ الثأر من هؤلاء المنافقين. فقال الحسين " عليه السلام ": إِذَا عَدَوْتَ إِلَى الْجِهَادِ فَاطْلُبْ لَهُوْلَاءِ الْأَطْفَالِ قَلِيلاً مِنَ الْمَاءِ. (5)

لا بأس ان نقف وقفة تأمل لما سبق ذكره مسطين الضوء على ما يلي من الامور

1- لقد وقفت عجلة الزمن وكان هدوء وصمت مطبق قد حل بساحة المعركة فلا اصوات سهيل الخيل، ولا وقع الاقدام، ولا شدة الحر، ولا مقدار العطش كان له اي معنى امام لقاء الاخوين سلام الله عليهما.

- فالاثنتان واقفان يتبادلان الحديث واية حديث، اذ تمنى الحسين ان يطول الوقت باخيه ويؤجل منيته وينعم بقربه الى جانبه، لكن هذا لم يدم طويلا اذ قطعه العباس بكلمتين احدهما جدا مريحة للحسين وهي ابتداء العباس بكلمة (يا اخي) ولعله تمنى ان يكررها مرارا ولا يأتي بالكلمة الاخرى وهي (هل رخصة؟) كم كانت مؤذية لحسين العباس سلام الله عليهما.
- 2- لم يجد العباس بدا من قولها وقد شاهد وحدة اخيه، اذ اظهرت الرواية ان العباس جاء لاخيه وهو على اتم ما يكون من مظهر الفارس المقاتل الحامل للواء ورايته تزرف بيده مستعدا لمواجهة معسكر النفاق وان بقي وحيدا مع الحسين "سلام الله عليهما" لانه وحده معسرا بكامله.
- 3- بكاء الحسين في هذه اللحظة مثير للكثير من التساؤلات فاخيه العباس مازال حيا بالقرب منه، ويبدو انه اطال البكاء حتى ابتلت لحيته الشريفة فهل اراد ابقاء العباس لفترة اطول معه بيكائه الطويل هذا؟ او ربما كان يفكر وهو يبكي ما السبيل لبقاء اخيه وتثنيه عن الذهاب. او ربما احتاجه اكثر من اي وقت مضى ليشكوا اليه ضيق صدره الشريف، او لعله ادرك ان ساعة فراق اخيه له قد حانت وبدأت سلسلة البكاء من قبل الاستشهاد.
- 4- الملفت ان كل الذين سبقوا العباس سلام الله عليهم عندما كانوا ينزلون ساحة الوغى ويشكون شدة الحر والعطش كان الحسين سلام الله عليه يشجعهم ويطمأنهم بأنهم قريبا سيشرّبون من ماء الجنة، وسيسقيهم الرسول "صلى الله عليه واله وسلم" شربة ماء لا يظمؤون بعدها ابدا، الا العباس "عليه السلام" فلم يقل له ما قاله لهم، هل لعدم شكوى العباس العطش؟ ام انه رافض ذهابه نصا ومضمونا؟
- 5- المعروف ان العباس كان اخر من استشهد قبل الحسين "عليهما السلام"، اي لم يبق من معسكر الحسين الا على السجاد "سلام الله عليه" وهو عليل كان في الخيمة، فاذا كان الامر كذلك فما هو قصد الحسين من قوله: فَإِذَا أَنْتَ عَدَوْتَ يُوُولُ جَمْعُنَا إِلَى الشَّنَاتِ، وَعِمَارَتُنَا تَنْبَعُثُ إِلَى الْحَرَابِ؟ اليس في ذلك اشارة واضحة ان العباس وحده جيش بكامله للحسين، وان بقائه حيا انما يعني بقاء عسكر الحسين بالرغم من كل الشهداء. ام انها محاولة اقناع عليها تفلح مع العباس وتثنيه عن رأيه لملاقات الاعداء؟ او لعلها ومضة خطرت عند الحسين بان العباس لو بقي حيا سيعوض كل الخسارات التي لا تعوض من استشهاد الاهل والاصحاب، لان العباس خير من يمثلهم جميعا.
- 6- يبدو ان العباس "عليه السلام" قد ادرك عمق الحزن الذي دار بالحسين، ولم يرغب في زيادة العبء عليه ولا يكون جزء منه، وهو الذي كان يخفف عنه دائما لذا سرعان ما حرك تلك المشاعر الرقيقة بقوله: فداك روح أخيك يا

سَيّدي، فهو مازال يؤكد ان قائده وسيده الحسين لهذا فهو مازال ايضا ينتظر الاذن منه للنزول للمعركة.

7- لم يبق امام الحسين الا ان يطرق باب اخر وهو تكليف العباس بمهمة جلب الماء للاطفال العطاشى عليها تبقية حيا لفترة اطول، او ربما انه كان يدرك تماما ان مسألة المجيئ بالماء لا يقوم بها الا شخص مثل العباس، فلا ننسى ان في المرات السابقة التي كان يأتي بالماء لم يكن العباس سلام الله عليه وحده، بل كان مع اصحابه فيوكل كل منهم بمهمة الدفاع والاخر يملئ القرب حتى يتم ايصال الماء، وكم من شهيد وشهيد قد قضى نحبه في هذه المهمة.

والان كل تلك العملية على العباس سلام الله عليه القيام بها، وما كان منه الا ان استعداد لذلك دون مناقشة الامر والاستجابة له ومواجهة الجمع الكثير من معسكر النفاق.

8- لعل سائل يسأل يا ترى ما موقف معسكر الشمر وهم على مرأى من لقاء الاخوين سلام الله عليهما هل كانوا ينظرون وينتظرون ما سيأتيهم، ام انهم لم يجرؤا من التقدم نحو الحسين وهو برفقة العباس.

وعلى اية حال فقد ذهب العباس "عليه السلام" ووعظهم وحذرهم، فلم ينفعمهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون: العطش العطش، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة، وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات، ورموه بالنبال فكشفهم، وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلاً حتى دخل الماء. فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء، ذكر عطش الحسين وأهل بيته، فرمى الماء وملاً القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجّه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كلّ جانب، فحاربهم حتى ضربه نوفل الأزرق على يده اليمنى فقطعها، فحمل القربة على كتفه الأيسر، فضربه نوفل فقطع يده اليسرى من الزند، فحمل القربة بأسنانه، فجاءه سهم فأصاب القربة وأريق ماؤها، ثم جاءه سهم آخر فأصاب صدره، فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين: أدركني. (6)

من المفيد التركيز على ماياتي من امور كشفتها هذه الرواية وهي:

1- كان العباس سلام الله عليه واثقا من القيام بالمهمة التي انيطت به من قبل اخيه وسيده الحسين "عليه السلام" بجلب الماء. لذا لم يتمكن معسكر النفاق من منعه وملئ القربة، بل اتم ملئ قربه وخرج من النهر متوجها نحو الخيمة، اي انه قد قطع مسافة عن النهر لم يبال بمن احاط به من أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات.

2- لقد بقي العباس اخر من يقاتل بين يدي الحسين "عليهما السلام" اي اطول من بقى في معسكر اخيه وهو حامل للواء، ولم نجد رواية تذكر او تصرح انه

اشتكى لآخيه من العطش، كما رأينا الباقيين من بيت النبوة والأصحاب ممن كان يقاتل ويأتي للحسين شاكياً العطش فيأخذ منه سلام الله عليه تلك الكلمات من التصبر والتحمل والوعد بخير الجزاء.

الا ان ذلك لم يكن مع العباس سلام الله عليه ابداً، الا انه لم يشكوا العطش؟ بالتأكيد كلا فنييران قلبه احمر من الجمر الا ان خوفه على حسينه كانت اعظم من الانشغال في ما كان يحتاجه بدنه، فتفكيره وطاقته كلها للحسين لهذا ما كان منه ان يرتوي عند تمكنه من لمس الماء بيديه الشريفتان الا ان رمى به. لعله ارتسمت على يديه صورة اخيه الحسين وكبده الحرى عطشا، وربما مع ذلك سمع اصوات الاطفال وهم يلوثون في خيامهم وينادون العطش العطش، ولربما ايضا انه كان مكلف بمهمة عليه ان يؤديها بعيدا عن اهتمامه بنفسه ولو للحظة ليطفى نار العطش قليلا ويتقوى بها لمواجهة اعداء الله.

3- لقد عاش العباس حياته مع اخيه الحسين "عليهما السلام" وكل لحظة كأنها اخر لحظة من حياته فكان دوما الحامي المدافع المطيع الى غير ذلك مما يطول قوله في هذا المقام، الا ان اخر لحظة حقيقة قد حانت وجاء ميعادها فما كان من العباس الا ان نادى اخيه (ادركني) بالطبع اراد ان يتزود منه ويتلذذ بقربه وينعم بحنانه الذي طالما عاش في كنفه، وقد حفظت ذاكرته كل تلك السنوات التي عاشها في معه فلا بأس بدقائق يقربها عينه الاخرى التي بقت لترى بها سيدها وتطوي سجل طالما احبه وهو بالقرب من اخيه. وعلى اية حال فإنه على ما يبدو انهم قد قطعوا يديه ورجليه حنقا عليه، لما أبلى فيهم وقتل منهم فلذلك سمي السقاء. (7)

ولما رآه الحسين (عليه السلام) مصروعاً على شاطئ الفرات بكى، وأنشأ يقول:

تَعَدَّيْتُمْ يَا شَرَّ قَوْمٍ بِفِعْلِكُمْ وَخَالَفْتُمْ قَوْلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أ
مَا كَانَ خَيْرُ الرُّسُلِ وَصَاكُمُ بِنَا أَمَا نَحْنُ مِنْ نَجْلِ النَّبِيِّ الْمُسَدِّدِ أ
مَا كَانَتْ الرَّهْرَاءُ أُمِّي دُونَكُمْ أَمَا كَانَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدُ
لُعْنَتُمْ وَأُخْزِيْتُمْ بِمَا قَدْ جَنَيْتُمْ فَسَوْفَ تُلَاقُوا حَرَّ نَارٍ تُوقَدُ (8)

وفي الخبر انه عندما جاءه سهم وأصاب صدره الشريف، وانصرع عفيراً على الأرض يخور في دمه، نادى: وا أخاه وا حسينا وا أبتاه وا علياه ونادى: يا أبا عبد الله عليك مني السلام.

فلما سمع الإمام "عليه السلام" نداءه قال: وا أخاه وا عباساً وا مَهْجَةً قَلْبَاهُ، فأتاه كالصقر إذا انحدر على فريسته، ففرّقهم يميناً وشمالاً بعد أن قتل سبعين

رجلاً منهم، ونزل إليه. وقال بحقه "عليه السلام": "جَزَاكَ اللهُ مِنْ أَخٍ خَيْرًا، لَقَدْ جَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ. وبكى الحسين "عليه السلام"، وأنشأ يقول:

أخي يا نُورَ عَيْنِي يَا شَقِيقِي فَلِي قَدْ كُنْتَ كَالرُّكْنِ الوَثِيقِ
أَيَا ابْنَ أَبِي نَصَحْتَ أَخَاكَ حَتَّى سَقَاكَ اللهُ كَأَسَأَ مِنْ رَحِيقِ
أَيَا قَمْرًا مُنِيرًا كُنْتَ عَوْنِي عَلَى كُلِّ النَّوَابِ فِي المَضِيقِ
فَبِعَدِّكَ لَا تَطِيبُ لَنَا حَيَاةً سُنْجَمُ فِي العُدَاةِ عَلَى الحَقِيقِ
أَلَا لِلَّهِ شُكُوَائِي وَصَبْرِي وَمَا أَلْفَاهُ مِنْ ظَمَأٍ وَضِيقِ

ثمّ صاح الحسين "عليه السلام": "وا قِلَّةَ ناصِراءِ، يَعِزُّ وَاللهُ عَلَيَّ فِرَافِكَ ثُمَّ بَكَى بكاءً شديداً.

في رواية: انه لما جاء الحسين "عليه السلام" إلى أخيه العباس انتحى عليه ليحتمله ففتح العباس عينيه فرأى أخاه الحسين يريد أن يحمله، فقال له: إلى أين تريد بي يا أخي؟ فقال "عليه السلام": "إِلَى الخَيْمَةِ. فقال: أخي، بحقّ جدك رسول الله "صلى الله عليه وآله" عليك أن لا تحملي، دعني في مكاني هذا. فقال الحسين "عليه السلام": "لِمَا ذَا؟ قال: إني مستح من ابنتك سكيّنة، وقد وعدتها بالماء ولم آتها به، والثاني: أنا كبش كتبتك ومجمع عددك، فإذا رأني أصحابك وأنا مقتول فلربّما يقلّ عزمهم، ويذلّ صبرهم. فقال "عليه السلام": "جَزَيْتَ عَن أَخِيكَ خَيْرًا حَيْثُ نَصَرْتَنِي حَيًّا وَمَيِّتًا.

فوضعه في مكانه ورجع إلى الخيمة، وهو يكفكف دموعه بكّمه، فلما رأوه مقبلاً أنتت إليه سكيّنة ولزمت عنان جواده وقالت: يا أبتاه هل لك علم بعمّي العباس، فعندها بكى الحسين "عليه السلام" وقال: يا بِنْتَاهُ إِنَّ عَمَّكَ العَبَّاسَ قُتِلَ وَبَلَغَتْ رُوحُهُ الجَنَانَ. وولده، ولم يبق غيره وغير النساء والأطفال وغير ولده المريض، نادى: هَلْ مِنْ ذَابٍ يَدْبُ عَن حَرَمِ رَسُولِ اللهِ؟ هَلْ مِنْ مُوَجِّدٍ يَخَافُ اللهُ فِينَا؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهُ فِي إِعَانَتِنَا، هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللهِ فِي إِعَانَتِنَا؟ (9)

وفي بعض الكتب المعتبرة أنّ من كثرة الجراحات الواردة على العباس "عليه السلام" لم يقدر الحسين "عليه السلام" أن يحمله إلى محلّ الشهداء، فترك جسده في محلّ قتله ورجع باكياً حزيناً إلى الخيام.

وتركه في مكانه لسرّ مكنون أظهرته الأيام، وهو أن يدفن في موضعه منحاذاً عن الشهداء ليكون له مشهد يقصد بالحوائح والزيارات، وبقعة يزلف إليها الناس وتزلف إلى المولى سبحانه تحت قبتّه التي ضاهت السماء رفعة وسناء، فتنتظر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأمة مكانته السامية ومنزلته عند

الله تعالى، فتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد والزّيارات المتواصلة، ويكون " عليه السلام " حلقة الوصل فيما بينهم وبين الله تعالى، فشاء حجة الوقت أبو عبد الله " عليه السلام " كما شاء المهيمن سبحانه أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخروية فكان كما شاء وأحباً. (10)

ولا بأس من لفت الأذهان الى ما يلي من نقاط:

1- لم يودع العباس اخيه الحسين الا عند ادراكه بقرب منيته وانقضاء اجله فنادى: يا أبا عبد الله عليك منّي السلام.

2- ما اقسى نسمات الهواء الحارة تلك التي حملت وداع العباس اخيه الحسين، ذلك النداء الذي هز الحسين سلام الله عليه فما كان منه الا ان يأتيه مسرعاً، و بأية حال كان مجيئه؟ جاء كالصقر لا يرى الا اخيه و مُهَجَّةً قَلْبَهُ، رغم الالوف المحيطة بيه فقد انتزعه منهم انتزاعاً، اذ عز عليه فراقه.

3- ولو وقفنا عند رواية لقاء الاخوين ومحاولة الحسين ان يحمل اخاه كعادته عند استشهاد الاخرين ماذا نرى؟ نرى عينا قد قتحت اجفانها كي تفر برؤية معشوقها الحسين وهو بهذا القرب منه. وبعد التاكّد منه جاء سؤاله الذي افطر قلباً للحسين كان العباس يحيه الى أين تريد بي يا أخي؟ فأجابه مقتضياً بكلمة واحد لا سواها الى الخيمة. وكان الحسين قد غارت كل قواه ولم يكن لديه من القوة ليقول الكثير من الكلام، وقد خنقته العبرة وهذا المنظر الذي طالما حاول ان لا يعيشه ولا يراه.

4- ان العباس " عليه السلام " كان يعلم من اخيه نفسه الزكية الابية التي تآبى تركه بمكانه وانه سيحمّله للخيام لا محالة، لذا اقسم عليه بأحب الخلق لديه بجده الرسول المصطفى " صلى الله عليه واله وسلم " الا ان يتركه بمكانه.

5- اردف العباس سلام الله عليه بعد القسم عدد من مبرراته التي حاول بها اقتناع الحسين بعدم حمّله، لا سيما وانه قد استنفهم منه طلبه هذا بقوله: لِمَا ذَا؟ عندها برر انه بعدم تمكنه من اصال الماء لسكينة وال بيته سلام الله عليهم فانه لا يريد حمّله للخيمة.

والذي اثارنا هو المبرر الاخر الذي دار حول انه سلام الله عليه كيش كتيبته ومجمع عدده، فإذا رأني أصحابك وأنا مقتول فلربّما يقلّ عزمهم، ويذلّ صبرهم.

فعن اي عدد يتكلم سلام الله عليه، واي كتيبة وعن اي جمع و هو اخر من بقي من المعسكر؟ لا سيما وان الحسين قد اكد بقوله: جُزِيْتُ عَنْ أَخِيكَ خَيْرًا حَيْثُ نَصَرْتَنِي حَيًّا وَمَيِّتًا. اذ لم يبق الا الحسين. فهل قصد العباس بقوله هذا ان الحسين هو الجيش كله؟ فاراد ان يدرك عن اخيه النظر اليه اذا ما كان في الخيمة مع

الشهداء وما يسببه ذلك من قلة العزم لشدة ألم الفراق في وقت كان الحسين سلام الله عليه بأمس الحاجة الى كل ما بقي من قوته.

او لعله تمنى ان يكون هناك من فتح الله قلبه للاسلام فيلبي نداء الحسين عندما نادى: هَلْ مِنْ ذَابٍ يَدْبُ عَنْ حُرْمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ هَلْ مِنْ مُؤَجَّدٍ يَخَافُ اللَّهَ فِينَا؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللَّهَ فِي إِعَانَتِنَا، هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ فِي إِعَانَتِنَا؟! (11)

هذا مع التنويه الى ان الحسين لم يطلب الغوث الا بعد استشهاد العباس عليه السلام، بالرغم من استشهاد اهل بيته واصحابه وانفراده باخيه الا انه كان يمثل جيش وحده ولم ينكسر ظهره الا بعد استشهاد العباس فسلام الله عليهما.

6- استجاب الحسين لطلب اخيه وعاد للخيام وهي المرة الاولى التي يعود فيها وحيدا، وقد ادرك تماما انه الان وحده لا احد يشد ظهره ويتقوى به.

المبحث الثاني: (الحشد الشعبي بين التاصيل والانجاز)

لا بأس ان نبدا بماورد في شأن الاوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (12/رمضان/1435هـ) الموافق (11/تموز/2014م)

"الظروف الصعبة والحساسة التي يعيشها العراقيون جميعا وهم يواجهون الغرباء فان اهم ما تمس الحاجة اليه هو وحدة الصف ونبذ الفرقة والاختلاف". (12)

كما جاء في نفس " ان الدعوة للتطوع في صفوف القوات العسكرية والامنية العراقية انما كانت لغرض حماية العراقيين من مختلف الطوائف والاعراق وحماية اعراسهم ومقدساتهم من الارهابيين الغرباء، ومن هنا نؤكد على جميع المقاتلين في القوات المسلحة ومن التحق بهم من المتطوعين الذين نشيد بشجاعتهم وبسالتهم في الدفاع عن بلادهم وشعبهم ومقدساتهم.... نؤكد عليهم جميعا ضرورة الالتزام التام والصارم برعاية حقوق المواطنين جميعا " (13)

و ورد بشأن الاوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة للممثل المرجعية الدينية العليا السيد احمد الصافي في (21/شوال/1436هـ) الموافق (7/اب/2015م)

"يمر بلدنا الحبيب العراق بأوقات عصيبة ويعاني من ازمات متنوعة أثرت بصورة جديّة على حياة المواطن، وكانت لها تداعيات كبيرة على معيشة الكثيرين منهم". (14)

لذا فان تأسيس الحشد الشعبي جاء خط مقاومة في ظروف مختلفة، وأزمات متعددة ولكن بالأجمال فإن فتوى المرجعية أعطت الشرعية لهذه التشكيلات بعد ان كان بعضها موجودا لكنه يفتقر إلى الشرعية او الغطاء القانوني على الاراضي العراقية، فيما يحاول البعض ان يجعله طارئاً على العراق في ظل الظروف الامنية والعملية السياسية، فهو أصبح جزء من تاريخ المقاومة العراقية التي عرفت عبر التاريخ القديم والمعاصر، فضلا عما قامت به الحوزة العلمية والشعب العراقي خلال القرن العشرين من مواجهة الاحتلال البريطاني ومقاومته. (15)

فقد جاء الحشد الشعبي نتيجة تأصيل عقائدي وطني تمتد جذوره الى عشرات السنين لشعب قاوم المحتل بروح جهادية، لذا يمكن القول أن الروح العراقية كان على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الوطن والدفاع عنه، فلم يكن الحشد الشعبي رد فعل سطحي وعفوي بل هو رد فعل تأسيسي في بنية مشروع الحشد الفكري والسياسي، فهو ينظر إلى داعش أنه خطر دائم ومستمر وباستمرارية التنظيم الارهابي واستمرارية دعمه من القوى الاقليمية والدولية، لذلك فإن مواجهته تحتاج إلى بنية متينة قادرة على مواجهة داعش الارهابي ومعرفة أبعاد تمدده السياسي

والطائفي، ومواجهة اهدافه تأصيلياً، فيجب ان يتعاطى مع الحشد الشعبي كمشروع متكامل يحتاج إلى حشد المقومات كلها الثقافية والسياسية والاعلامية والتربوية والعسكرية، اي ليس فقط بالسلاح وانما بإطار تكاملي من اجل النهوض بهذه المواجهة. (16)

فضلا عن أنه جيش رديف للجيش العراقي وله عقيدة عسكرية وقاتلية ثابتة وواضحة. ولهذه العقيدة الفضل في حسم الكثير من المعارك العسكرية ضد داعش، بما ان الدافع الديني ركيزته الأساسية إلى جانب الدفاع الوطني في تكوين العقيدة، فإن الاستجابة الواسعة لمتطوعي الحشد الشعبي لنداء الوطن والمرجعية هو ترجمة حية لأهمية الموروث الديني والوطني في الجهاد والوطن، فضلا عن العقيدة العسكرية القتالية للحشد الشعبي هي جزء لا يتجزأ من عقيدة الشعب الناجحة في حسم المعركة ضد تنظيم داعش الارهابي، وتمتع الحشد الشعبي بمظلة عقائدية مستندة إلى فتوى الجهاد الكفائي مما يؤهله للتمتع بأخلاقية قتالية عالية للدفاع عن الوطن والمقدسات والعرض والمال. (17)

وبسبب الاقبال الشديد من المتطوعين الملبين لنداء المرجعية وعدم قدرة اللجان الشعبية على استيعاب او احتواء الاعداد الهائلة من المتطوعين الملتحقين كتدريب وتسليح وتمويل ونقل وأن تكون تحت إدارة او إمرة الدولة، فقد صادق مجلس الوزراء على مرسوم ينظم عمل قوات الحشد الشعبي في قتالها ضد داعش

في 2014/10/28 لذا تم تشكيل مديرية تابعة لجهاز الامن الوطني تحت عنوان (هيئة الحشد الشعبي). (18)

الطف وانعكاساته على الوية الحشد الشعبي

سنسلط الضوء في هذه الفقرة على دور واقعة الطف في تشكيلات قوات الحشد الشعبي واثرها في استمداد اسماء فصائلها من واقع الطف متمثلا بشخصياته البطلية سلام الله عليها، او من اسم الطف نفسه وغير ذلك مما له علاقة بهذا الامر، كما نود الاشارة الى ان ماسنذكره هو ليس كل تشكيلات الحشد الشعبي البطل وانما مجرد ذكر امثلة فحسب.

فمؤسسة الحشد الشعبي* تحوي على 42 فصيلا. (19)

والتي تضم اكثر من 120 الف مقاتل، فيما اعلنت لجنة الحشد الشعبي ان عدد المتطوعين في عموم البلاد منذ ايامه الاولى بلغ مليوني و 500 الف فقط. (20)

وسندقق في هذه الفقرة على مسألتين مهمتين: الاولى رايات فصائل الحشد الشعبي وعمقها المستوحاة من واقعة الطف، والثانية اهم الفصائل المشاركة في العمليات العسكرية.

ولنبداً بالاولى: ليس من العسير علينا ان ندرك بان فصائل الحشد الشعبي في معظم تشكيلاته قد استوحى من معركة كربلاء شعاراته فاخذ يجسدها في الويته ايدانا بخلق ذلك الشعور عند المتلقي بانهم انما سائرون على نهج الامام الحسين "عليه السلام"، وان طف الحسين سلام الله عليه هو طريقهم لتحقيق النصر والوصول الى اهدافهم، وعليه فأننا نستطيع ان نتلمس ذلك من خلال اخذنا لنماذج تمثل فصائل الحشد الشعبي من الفرقة، والكتائب، والسرايا، واللواء على سبيل المثال وليس الحصر.

فشعار فرقة العباس "عليه السلام" القتالية قد كتب عليها يا ابا الفضل العباس "عليه السلام"، وقد توسط هذا الشعار كف مشيراً باحدى اصبعيه الذي اخذ شكل قلم والاخر بندقية وهما في وضع اشارة النصر.**

اما كتائب سيد الشهداء "عليه السلام" فقد توسط شعاره قبة الامام الحسين عليه السلام برائيتها الحمراء وعلى جانبي القبة بندقيتان، ويعلو الشعار قوله تعالى "نصر من الله وفتح قريب".***

في حين ان شعار سرايا عاشوراء قد اتخذ من الذراع القابضة على بندقية رمزا له، وقد كتب اسفلها لن ترقع امة امامها الحسين "عليه السلام".****

واتخذ لواء علي الاكبر "عليه السلام" شعاره من توسط اسم الامام علي الاكبر سلام الله عليه وعلى جانيه علم العراق وراية الامام الحسين "عليه السلام" الحمراء *****

اما في ثانيا: فالحديث فيها عن اهم الفصائل المشاركة في العمليات العسكرية تحت مسمى الحشد الشعبي ضد تنظيم داعش فهي: (21)
لواء ابي الفضل العباس "عليه السلام":

يعد النواة الاساسية لعصائب أهل الحق، شارك في الصراع السوري ولواء ابي الفضل العباس "عليه السلام" الذي يتكون من عصائب اهل الحق والتيار الصدري وكتائب حزب الله في العراق، قد أسهمت بشكل واسع في معارك تحرير امرلي وقضاء بلد وجرف الصخر وتكريت وغيرها. لا سيما و ان عصائب أهل الحق قد استقلت من جيش الامام المهدي بشكل تام في 2008 م، وأمينها العام الحالي الشيخ (قيس الخزعلي) ويقدر عدد افرادها بأكثر من عشرة الاف مقاتل، نفذت العديد من العمليات ضد القوات الامريكية. (22)

كتائب حزب الله: تضم توحد لواء ابي الفضل وكتائب كربلاء وكتائب السجاد وكتائب زيد بن علي:

وهي كتائب عسكرية تشكلت في العراق بعد عام 2007، لا يوجد لهذه الكتائب أية علاقة بحزب الله اللبناني المعروف، تشكلت هذه الكتائب اثر توحد لواء ابي الفضل وكتائب كربلاء وكتائب السجاد وكتائب زيد بن علي، حيث شاركت في المقاومة المسلحة ضد الوجود الامريكي، ولها مشاركة فعالة في معارك ديالى وبابل وسامراء والفلوجة وصلاح الدين.

كتائب سيد الشهداء:

تأسست كتائب سيد الشهداء بالتزامن مع فتوى الجهاد الكفائي، ويقدر عدد افرادها ما بين 3-4 الاف مقاتل ولها مشاركة واسعة في معارك سامراء وامرلي. (23)

سرايا عاشوراء:

بدأت سرايا عاشوراء عملها بالتزامن مع فتوى السيد السيستاني كجناح عسكري للمجلس الاعلى الاسلامي العراقي وعدد افرادها نحو 5 الاف ويمتلكون خبرة قتالية اكتسبوها من منظمة بدر وشاركوا في معارك منها معركة قضاء بلد.

سرايا العتبات:

تأسست سرايا العتبات بعد فتوى الجهاد الكفائي وهي سرايا عسكرية تابعة للمقامات الشيعية الدينية؛ وتتألف من سرايا عدة أهمها: سرايا العتبة العباسية)

ويقدر عدد افرادها ب 5الاف عنصر شاركوا في معارك جرف الصخر وقضاء بلد، وسرايا العتبة العلوية) ويقدر عناصرها (ب 1000 الف مقاتل) وقد شاركت مع سرايا العتبة الحسينية) المؤلفة من 1000الف مقاتل والتي شاركت في معظم معارك الحشد الشعبي. (24)

فرقة العباس القتالية:

بما اننا جعلنا لهذا البحث مدخلا مميزا بذكر الامام العباس "عليه السلام"، لذا ارتأينا ان نفصل في ذكر فرقة الحشد الشفبي التي تشرفت بحمل اسمه الطاهر الا وهي فرقة العباس القتالية

اذ تعتبر فرقة العباس القتالية الفصيل الابرز في وحدات الحشد الشعبي التي كانت تضي طابعا رسميا على هيكليتها منذ ان بدأت في محاربة تنظيم داعش في حزيران 2014. وهي تضم 7,310 عنصر في الخدمة الفعلية وما بين 35000 و40000 عنصر احتياطي.

واصبحت الفرقة التي هي في الخدمة الفعلية منظمة ضمن هيكلية عسكرية عراقية نموذجية الى حد ما وتضم:

- هيئة فرقة تضم فرعا استخباريا يقوم بتشغيل طائرات بدون طيار ومعدات متخصصة اخرى (مثل كاميرات كهروضوئية بعيدة المدى).

- لواء مدفعية يشمل كتبتين واحدة للذخائر المطلقة بواسطة مدفعية انبوية (مزودة بمدافع ميدان من عيار 130 ملم وطراو ام - 46) ومدافع هاوتزر من عيار 122 ملم طراز دي 22.

- واخرى كتيبة مدفعية صاروخية مجهزة بقاذفات متعددة الصواريخ من نوع بي ام 14 عيار 107 ملم وقاذفات متعددة الصواريخ حديثة تعمل وفق منظومة رعد -1 عيار 240 ملم

- كتيبة مغاوير ممكنة تستقل ناقلات جنود مدرعة مدولبة.

- لواء مشاة ممكن يدعى (الكفيل) مع مجموعة الاليات المدرعة.

- لواء اليان للمشاة يطلق عليهما (العلمي، وام البنين)

- لواء احتياطي يضم 3000 عنصر احتياطي بجهوزية عالية غير مدرجين ضمن قائمة اعضاء الخدمة الفعلية البالغ عددهم 7310 عنصر.

وقد اثبتت فرقة العباس القتالية انها احدى اكثر القوات التطوعية فاعلية في العراق ويرجع احد الاسباب لذلك الى ان الفرقة قد تلقت باستمرار اوامر من سلطات القيادة الوطنية العراقية - اي رئيس الوزراء حيدر العبادي وقيادة العمليات المشتركة-

واعلنت فرقة العباس انها تعمل تحت السلطة الكاملة لوزارة الدفاع وتتلقى اسلحتها الثقيلة من الحكومة وستعيدها اليها بناء على طلبها، ولن تسعى الى التمتع بصلاحيات الاعتقال وملتزمة بحل نفسها بناء على طلب الحكومة.

ويتم توفير الموارد لفرقة العباس من خلال مزيج من التمويل من وزارة الدفاع العراقية ومؤسسات العتبات ولجنة الحشد الشعبي التابعة لرئيس الوزراء التي بدأت تعمل منذ حزيران 2014 ويتلقى القسم الأكبر 4,203 او مايعادل 57% من العناصر التي هي في الخدمة الفعلية والبالغ عددها 7310 عنصر مخصصاتها الشهرية من احتياطي العتبات المالية ما يساوي 2,52 مليون دولار شهريا اذ تلقي جميع المتطوعين البالغ عددهم 4,203 شخص مبلغ ال 600 دولار كراتب فضلا عن الخدمات المعيشية الاساسية. (25)

لواء علي الاكبر:

لواء علي الاكبر تابع لفرقة العباس القتالية و فرقة الامام علي القتالية تسجل تحت لواء علي الاكبر ما يقارب 4500 متطوع في هيئة الحشد الشعبي، ويدعم هذا اللواء من العتبة الحسينية والمتبرعين فقد شارك في معارك (جرف النصر، وبلد، وسامراء، وتكريت، والبشير، وبيجي) ويتلقى اللواء الاوامر من المرجعية وهيئة الحشد الشعبي. (26)

الطف معراج الحشد الشعبي ونواة هويته:

سنذكر في هذه الفقرة نماذج من الابطال الشهداء السعداء الذين تشبعت نفوسهم بمبادئ الطف فعكسوا بذلك هويتهم العاشورائية واطهروا حقيقة نواة الحشد وماهية هويته، وما سنذكره ما هو الا امثلة فقط ممن انتسب الى الفصائل التي سبق وان ذكرناها سابقا ولواء علي الاكبر بالتحديد.

ولا بأس ان نبدأ بكلام الشهيد السيد عبد الرضا علي مهدي الفياض الذي كان احد ابطال فرقة الامام علي "عليه السلام" والذي استشهد في الموصل بتاريخ 2016/10/31. (27)

من كلامه للمجاهدين الابطال: "كنا نسمع في الروايات ان اصحاب الامام الحسين "عليه السلام" في ليلة عاشوراء كانوا مستبشرين، فنستغرب لقوتهم، الان لمسنا هذا على ارض الواقع.

الان المقاتلون عندما يبدأ الهجوم يستبشرون، فتجسدت حقيقة اصحاب الامام الحسين "عليه السلام" اليوم في هذه المعركة، واقول كلمة واحدة: من لم يشارك بهذه المعركة سيعض اصبع الندامة". (28)

ومن الشهداء الشهيد كنعان سالم داود العاشور من سكنة محافظة البصرة و مواليد 1988 استشهد في قاطع الفلوجة بتاريخ 2016/5/23 واحد ابطال لواء

علي الاكبر" عليه السلام". (29) كان احد افراد فوج عاشوراء بل من ابرز قياديين هذا الفوج. (30)

والذي تفاجىء في احد الايام وهو في مكان التحاقه بصوت رخيم كان قد افتقده كنعان لايام وصل الى ارض الفلوجة لاجله، فلم يستطع ان يتركه لوحده. ما ان التفت كنعان وراءه حتى رأى والده وسمع كلماته: جئت لامتع ناظري ببطولات فلذة كبدي. اجابه كنعان: يزيدني فخرا سرورك بي يا ابي. بعد ذلك لبي نداء الاسلكي ان الساتر الامامي بحاجة الى لعتاد اكثر، اسرع ليتقدم الابطال. كادت السماء ان تميد اعظاما لبطولته وهيبته بينهم.

واذا بابيه يلوح من بعيد نفر من الابطال والجميع ينادي كنعان كنعان ودون وعي من والده ان نادى معهم كنعان بأنفاس لاهثة وخطوات متسارعة شق طريقه وسط المجاهدين، كان قد توسطهم كنعان وقد بلغت روحة التراقي، ترمل بدم الشهادة فيعد ان اوصل لهم العتاد تقدمهم حاول الاخرون منعه من التقدم فالمعركة بحاجته، الا ان هناك من ينتظر قدومه.. هي الجنة اعدت له بعد اصابته برصاص قناص جبان خشي المواجهة الا من بعد، فاستشهد كنعان حين كانت معركة تحرير الفلوجة في العفوان، وارتفع في عليين ليشارك الشهداء والصالحين مقعدهم عند ذي العرش مكين. (31)

والشهيد حسن رومي جسوم المنصوري من سكة محافظة بابل ومواليد 1960 واحد ابطال لواء علي الاكبر" عليه السلام" استشهد في قاطع الفلوجة بتاريخ 2016/6/27. (32)

اب لثمانى بنات وولد واحد والذي ما برحت زوجته ان تشبهه من الالتحاق بالحشد والذي كان يعاتبها ناهر فعلها "لا يامراة من المفترض ان تشدي من عزمي للذهاب ما هذا منك ولا فعلك". (33)

كان يزج نفسه في الخط الامامي للهجوم، ويتوغل الى داخل المناطق المحتلة، ويتمنى الشهادة حتى انه عندما كان يتكلم مع زوجته هاتفيا من ارض المعركة وهي تخبره قائلة: ستبقيني حائرة ماذا افعل بعدك؟ رد عليها بمرحة: اين الشهادة يا ام علي؟ وهل انا وجدتها؟ وكيف لي ان القاها؟

اصيب بشظية في قلبه ونزف الكثير من الدم ورغم اجراء عملية له الا انه نعم بالشهادة. (34)

والشهيد احمد علي سهيل من سكة محافظة البصرة ومواليد 1968 احد ابطال لواء علي الاكبر" عليه السلام" استشهد في قاطع بلد بتاريخ 2014/12/10 ياطول سجدته التي رافقته على مدى طويل في حياته، ولم يمنعها ازيز الرصاص على السواتر، كان ينطلق منها باسم الحسين.

لاسيما وانه تعلم ان ظمأ المشاعر لا يروى الا على ضفة الحسين" عليه السلام"، فبرع في رثائه وبكائه. وعلى السواتر لم يتخذ رفيقا معه الا ابا الشهداء "عليه السلام". كان يحيي باقامته المجالس ورفع الشعارات الجهادية موات النفوس، ويمطر العيون بصوته الشجي رحمة. اما قلوب المجاهدين فكانت بما يقدمه لها تستنشق البشري بالظفرو (كان حقا علينا نصر المؤمنين) تتجسد في كل كلمة واه يرتفع بها صوت احمد مع رفقائه، فلا يزيدهم ذلك الا ايمانا ونورا. واذا عكر هدوء الليل وقطع تسبيح المجاهدين وابل الرصاص واصوات الانفجارات والقذائف لا يرى احمد الا رافعا صوته الجميل بجمل تستنهض الهمم، فيثب الليوث على العدو وثبة لا يرى بعدها الا اجساد العدو متفرقة ومترامية.

وقرب العسكريين" عليهما السلام" اختار نقطة الوصال شهيدا. وما زالت مدينته ترفع من على مكبرات الصوت قصائده التي قرأها بينهم. نعم ان من يحتضن الحسين في قلبه سيخلده الحسين. (35)

والشهيد حسين جعفر طه المبارك من سكنة محافظة البصرة واحد ابطال لواء علي الاكبر" عليه السلام" استشهد في قاطع مكحول بتاريخ 2015/11/15 كان قد عاد الى بيته بعد التحاقه بوحده وقد انهكته بعد المسافة بين شمال العراق وجنوبه، وقد ازداد حنينه لازقة مدينته وفيها ارتفعت رايات الثأر لابي الاحرار "عليه السلام" واعتلى صوت مآذنها ترانيم العشق الحسيني في ايام العزاء لسيد الشهداء "عليه السلام".

ما ان لاحت له مشارف الدار حتى شمر عن ساعديه ليعين والده في نقل ما تجمع من المطر داخل الغرفة الى الخارج. وبعد اربعة ايام فقط قضاهما مع والديه نفذ لهما جزءا من وعده لهما في بناء غرفة لاختوته مجاورة لغرفة سكنهم الوحيدة. ليعود مرة اخرى ويكمل وعده الاخر لاقرانه المجاهدين. وكان قد امسك بيد امه بعد ان اتمت صلاتها مخاطبا اياها بصوته الفتى مودعا: امي ان كنت تحبيني فعلا، فأدع لي ان يجري علي ما جرى على الحسين الشهيد يوم عاشوراء... ثم رجاها ان تهدي بعضا من خطواتها في كل زيارة اربعينية واوصي من يتشرف بالمشي لقبلة الاحرار بذلك.. احتضنته امه مودعه: بني قرّة عيني، يعز علي فراقك، لكنه اهون من ان ننتهك في اعراضنا بني كما سميتك حسين وهبتك للحسين "عليه السلام"

وصلت السيارة لتقلهم الى جبهات القتال في جبال مكحول.. وهناك وصلت المواجهات الى اوجها وكل من حان دوره للعودة لاهله رفض العودة ومن كان في داره قطع اجازته ليلتحق بركب الابطال خشية تفويت فرصة الهجوم وفرحة الانتصار.

مقياس الحرارة يشير الى عدة ارقام تحت الصفر المثوي، والمكان قمة جبل مكحول. وقد هم حسين ليسبع وضوءه بما تبقى من ماء تحت الطبقة المتجمدة وتقرب الى الله بركعتين ظن انهما الاخيرتين، توجهما متضرعا اليه بكلمتين الهي خذني اليك. وفي تلك الاثناء كانت السماء قد تلبدت بغيوم سوداوات فتذكر والديه واخوته وما سيحل بغرفتهم لو امطرت السماء؟ وفي البصرة كانت تلك الليلة مظلمة موحشة بين جدران الغرفة شعرت الام بفراغ كبير لغياب ولديها (صادق وحسين) فلقت عليهم، تمننت لو تعرف اي بطولات يسطرونها الان. وكانت تتاسى بام المصائب واهل البيت عليهم السلام.

وعلى قمة الجبال تصاعدت في نفوس مقاتلي لواء علي الاكبر "عليه السلام" لانهاء العدو. وعند صلاة الفجر وصلت الى جعفر والد حسين عبر اتصال هاتفي اسرع بالعودة الى داره وكان قد صلى الفجر في المسجد، يجر قدميه بوهن شديد وقد غلت مراحل الحزن في قلبه وعندما راته زوجته بهذه الحال غسقت عينها دمعاً وهي ترى زوجها يحمل ما تمناه ولده فسالته احدهما ام كلاهما فداء لابن الزهراء؟

اجابها: جرح صادق واستشهد حسين مع اثنين من ابناء عمه. وبعد مضي ثلاثة ايام على استشهادهم، تم تحرير المنطقة بالكامل واستطاع الابطال المجاهدون وبينهم تسعة من اقارب الشهيد الملبين لنداء المرجعية الدينية العليا، من احضار الجثامين العطرة للشهداء الثلاثة ومن معهم من الشهداء بعد بقاءها ثلاثة ايام مطروحة في العراق. تماماً كما حل بالحسين "عليه السلام" وانصاره في ارض الطفوف. (36)

الشهيد حسين حسن عباس من سكنة محافظة كربلاء مواليد 1989 استشهد في قاطع بيجي بتاريخ 2010/6/21

كان ابن كربلاء وربيب العشق الحسيني، وشعلة العباس وخليفة الحر الرياحي. لم يحتمل مرارة الذل، كان قد اسرع الى داره يبحث عن نقود بين ملابسه ادخرها ليوم الفاقة. وهو في تلك الحالة كانت قد راته زوجته، فسارعت زوجته تساله عما يبحث؟

اجابها وهو يشد على يدها بانه سيلحق بأبناء مدينته وجيرانه الى الجبهة، ومن اجل ذلك هو يبحث عن النقود لشراء بدلة عسكرية وسلاح.

وبهدوء اخرجت النقود واعطته قائلة: اذهب فأنا الان لا انظر اليك بعين الزوجة الخائفة من فكرة فقدائك بل انظر بمرارة الزمن لسيدتي زينب "عليها السلام" وهي تودع اخوتها وحماتها، فما انا من سيدتي زينب ومن انت من الحسين "عليهما السلام"، والا ما الفائدة من عبارة رددناها كثيرا بلسان الولاية

"ياليتنا كنا معكم".. اذهب فأنا لن امنعك من نصرة الحق وتأدية الواجب فقد حان وقت الاختبار وكل منا سياخذ دوره.

لم يشرّد كثيرا بعباراتها سوى انها اعطته اسبابا اخرى للرحيل، فمضى بأبهى حلة للموت، بثيابه العسكرية وسلاحه الذي اشتعل بفتيل بسالته، ولم تهدأ روحه منذ صحوة جهادها حتى لفظ آخر الانفاس مرردة عبارة اغاظت الاعداء "لبيك يا حسين". (37)

الخاتمة

لقد سلطنا الضوء على بطولة واحدة فحسب من بطولات احد اعظم قادة الطف الا وهو الامام العباس "عليه السلام" الذي احيا الانسانية بجد وفائه فكان منها يطبق ومثالا يحتذى به وملهما يستلهم منه مبادئ القيادة والشجاعة والوفاء.

بما ان الظروف التي احاطت بالعراق من ارهاب وتخريب وما نجم عن ذلك من اصدار المرجعية الدينية للجهاد الكفائي والذي أنتج تلك الانتصارات العظيمة وتحرير للمدن العراقية بل واعمارها بعد مسك اراضيها.

كل ذلك لم يأت من فراغ، لان الارضية الذهنية والتعبئة النفسية والتربية الحسينية كانت متأصلة في نفوس الابطال الذين ضحوا بما لديهم لتلبية نداء المرجعية الدينية.

لا بد من الاشارة الى ان هوية الحشد الشعبي باتت معروفة انها انما تنطلق من مبادئ الثورة الحسينية الخالدة، انطلقوا للدفاع عن المقدسات كلها بلا اجر ولا جزاء فلا يريدون جزاء ولا شكورا، لذا عمل الكثير من الرعيل الاول ممن التحق بالحشد الشعبي ان يتكفل حتى بتجهيز مستلزماته التي من المفترض ان تجهزه بها الدولة لا سيما على سبيل المثال ملابسه العسكرية وعتاده.

لتاثر فصائل الحشد الشعبي بواقعة الطف وشخصها الخالدة، لذا فإنهم لم يكتفوا بالاعتراف من نبع المبادئ العاشورية، وانما صرحوا بتاثرهم هذا من خلال اتخاذ اسماء للالوية والفرق والكتائب من ملحمة عاشوراء، فكان على سبيل المثال لا الحصر لواء الطفوف، لواء ابي الفضل العباس "عليه السلام"، و لواء علي الاكبر "عليه السلام"، وفرقة العباس القتالية، وكتائب كربلاء، وكتائب الامام السجاد "عليه السلام"، وكتائب سيد الشهداء "عليه السلام"، وسرايا عاشوراء، وغير ذلك.

اظهرت ساحات القتال التي خاضها ابطال الحشد الشعبي بطولات قلما نجدها في التاريخ لا سيما الحديث والمعاصر، وهم يتمنون الشهادة ويرددون شعارات كربلاء محاولين اقتفاء طريق الامام الحسين واهل بيته واصحابه عليهم

سلام الله، غير مبالين بكل التزاماتهم، واضعين نصب اعينهم أحد الحسنين: اما النصر واما الشهادة.

اظهرت المواقف التي جمعت ابطال الحشد الشعبي بعوائلهم عمق التفهم ومقدار التشجيع والقوة التصبر فضعنا بينهم اذ لم يعد بمقدورنا ان نميز بين من أكثر من الاخر قوة وصبر وعطاء هل هو المقاتل ام عائلته؟

هكذا هي التربية الحسينية التي اعطت صورة قل نظيرها في الوجود صادحة بصوت عالي ان الحسين نبع العطاء وبه تتوحد الامم وتستقل.

الهوامش:

- (1) ابن شهر آشوب: محمد بن علي ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت،588هـ)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (النجف الأشرف-1956)، ج 3، ص 250.
- (2) الأحزاب: الآية 23.
- (3) ابن نما الحلّي: محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله، (ت،645هـ)، مثير الأحران، (النجف الأشرف-1950)، ص 51.
- (4) البيهقي: جعفر، الأخلاق الحسينية، (قم المقدسة-1418)، ص269؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، ط3، (قم المقدسة-1995)، ص 564 - 565.
- (5) العلامة المجلسي: محمد باقر(ت،1111هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط2،(بيروت-1983)، ج45، ص41؛ البحراني: الشيخ عبد الله (ت،1130هـ)، العوالم، الإمام الحسين (ع) العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال الإمام الحسين (ع)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع)،(قم المقدسة-1407)، ج17، ص284؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، ص 566 - 567.
- (6) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج45، ص42.
- (7) القاضي نعمان المغربي: ابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت،363هـ)، شرح الأخبار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجليلي، ط2،(قم المقدسة-1414)، ج3، ص193.
- (8) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج45، ص41.
- (9) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 40 - 43؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، ص 568 - 572.
- (10) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، موسوعة شهادة المعصومين (ع)،(قم المقدسة-1380)، ج 2، ص 260 - 262.
- (11) ابن اعثم الكوفي: أبي محمد أحمد(ت،314هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت-1411)، ج5، ص101.
- (12) مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي في العراق تاريخ وجهاد، (مؤسسة هم - 2017)، ج1، ص181.
- (13) مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي في العراق تاريخ وجهاد، ج1، ص181 - 182.
- (14) مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي في العراق تاريخ وجهاد، ج1، ص183.
- (15) الهاشمي: محمد صادق، رؤية في الحشد الشعبي، خط المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف، مركز العراق للدراسات، (العراق-2015)، ص 57.

- (16) مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي الرهان الاخير، ط 4،(العراق: دار الطباع للنشر والتوزيع، 4102 م)، ص 27.
- (17) مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي الرهان الاخير، ص 30.
- (18) ينظر ملحق رقم(1)، الامر الديواني رقم (24 لعام 2014)
- (19) مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي الرهان الاخير، ص 026
- * ينظر ملحق رقم(2)
- (20) جاسم: منى كاظم، موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاعلام،2016، ص29.
- ** ينظر ملحق رقم(3)
- *** ينظر ملحق رقم(4)
- **** ينظر ملحق رقم(5)
- ***** ينظر ملحق رقم(6)
- (21) العطواني: جمعة ومحمد صادق الهاشمي، شيعة العراق مصادر القوة والتحديات، العراق، (مركز العراق للدراسات- 2014)، ص 89.
- (22) جاسم، موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية، ص 29.
- (23) جاسم، موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية، ص 30
- (24) جاسم، موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية، ص 31.
- (25) <https://www.washingtontinstitute.org/view>
- (26) جاسم، موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية، ص 32.
- (27) مجموعة باحثين، ومنهم من ينتظر، جمع وتحقيق: مركز الحوراء زينب"عليها السلام"في العتبة الحسينية المقدسة، الاشراف العام: السيد سعد الدين هاشم البناء،(كربلاء المقدسة- 2017)، ج2، ص10.
- (28) مريم الخفاجي، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 33.
- (29) سارة محمد علي، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 61.
- (30) سارة محمد علي، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 67.
- (31) سارة محمد علي، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 71-72.
- (32) ايناس حسن المعموري، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 77.
- (33) ايناس حسن المعموري، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 79.
- (34) ايناس حسن المعموري، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 81-82.
- (35) مريم الخفاجي، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 113-117.
- (36) سارة محمد علي، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 150-157.
- (37) نغم المساماني، ومنهم من ينتظر، ج 2، ص 175-177.

قائمة المصادر والمراجع القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

- 1- ابن اعثم الكوفي: أبي محمد أحمد(ت،314هـ). الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت-1411).
- 2- البحراني: الشيخ عبد الله (ت،1130هـ). العوالم، الإمام الحسين (ع) العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال الإمام الحسين (ع)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع)،(قم المقدسة-1407)،ج17.
- 3- ابن شهر آشوب: محمد بن علي ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت،588هـ). مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (النجف الأشرف-1956).
- 4- القاضي النعمان المغربي: ابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت،363هـ). شرح الأخبار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، ط2،(قم المقدسة -1414).
- 5- العلامة المجلسي: محمد باقر(ت،1111هـ). بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط2، (بيروت-1983).
- 6- ابن نما الحلبي: محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله، (ت،645هـ). مثير الأحران، (النجف الأشرف-1950).

ثانياً: المراجع الثانوية

- 7- البياتي: جعفر. الأخلاق الحسينية، (قم المقدسة-1418).
- 8- مجموعة من الباحثين. الحشد الشعبي في العراق تاريخ وجهاد، (مؤسسة همم - 2017).
- 9- مجموعة من الباحثين. الحشد الشعبي الرهان الاخير، ط 4،(العراق: دار الطباع للنشر والتوزيع، 4102 م).
- 10- مجموعة باحثين. ومنهم من ينتظر، جمع وتحقيق: مركز الحوار زينب"عليها السلام"في العتبة الحسينية المقدسة، الاشراف العام: السيد سعد الدين هاشم البناء، (كربلاء المقدسة-2017).
- 11- العطواني: جمعة ومحمد صادق الهاشمي. شيعة العراق مصادر القوة والتحديات، العراق، (مركز العراق للدراسات-2014).
- 12- الهاشمي: محمد صادق. رؤية في الحشد الشعبي، خط المقاومة في العراق التأسيس والاستشراف، مركز العراق للدراسات، (العراق-2015).

ثالثاً: الاطاريح والرسائل الجامعية

- 13- جاسم: منى كاظم. موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،كلية الاعلام،2016.

رابعاً: الموسوعات

- 14- موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، ط3،(قم المقدسة-1995).

15- موسوعة شهادة المعصومين (ع) ، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، (قم المقدسة - 1380) .

خامسا: مواقع الانترنت

<https://www.washingtonintute.ovg/view/16>

الملاحق

ملحق رقم (1)
ينظر جاسم، موضوعات الحشد الشعبي في الصحافة العربية، ص 27

جمهورية العراق
مكتب رئيس الوزراء
العدد: م. ر. ن. ٢٥ / ١٧٨ / ٢٠١٤
التاريخ: ١٨ / ١٢ / ٢٠١٤

Republic of Iraq
Prime Minister's Office

(مع مساعدة قرائنة المسلمة بواسطة لاجرا لاجاب))

أمر ديواني / ٤٧

استناداً الى احكام المادة (٧٨) من دستور جمهورية العراق ،
وبناءً على قرار مجلس الوزراء رقم (٣٠١) لسنة ٢٠١٤ ، ولمقتضيات المصلحة العامة ،
قررنا ما يأتي:-

اولاً:- استحداث هيئة ترتبط برئاسة مجلس الوزراء باسم (هيئة الحشد الشعبي) ،
تتولى المهام الآتية:-

١. إدارة الحشد.
٢. التدريب.
٣. التجهيز والتسلح.
٤. التوزيع على قواطع العمليات.

ثانياً:- ينفذ هذا الامر ابتداءً من تاريخ صدوره.

نوري كامل المالكي
رئيس الوزراء
٢٠١٤/٦/

صورة ضوئية عنه الى /

- الوزارات كافة - مكتب الوزير / للتفضل بالعلم .. مع التأكيد.
- المحافظات كافة - مكتب المحافظ / للتفضل بالعلم .. مع التأكيد.
- الجهات غير المرتبطة بوزارة كافة / للتفضل بالعلم .. مع التأكيد.
- مكتب القائد العام للقوات المسلحة / للتفضل بالعلم .. مع التأكيد.
- الامانة العامة لمجلس الوزراء - مكتب الأمين / للتفضل بالعلم .. مع التأكيد.
- إضبارة اللجان.
- إضبارة الكتب الصادرة.

ملحق رقم (2)

شعار هيئة الحشد الشعبي



ملحق رقم (3)

شعار فرقة العباس "عليه السلام" القتالية



ملحق رقم (4)
شعار كتائب سيد الشهداء "عليه السلام"



ملحق (5) سرايا عاشوراء



ملحق (6) نواء علي الأكبر



الدروس والعبر لواقعة الطف وأثرها على الواقع العراقي

أ.م.د. ماهر صبري كاظم

قسم التاريخ - كلية الآداب

الجامعة المستنصرية

الدروس والعبر لواقعة الطف وأثرها على الواقع العراقي

أ.م.د. ماهر صبري كاظم

قسم التاريخ - كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

مقدمة:

عند فتح كتب التاريخ والبحث عن تلك الواقعة التي هزت مشاعر جميع المسلمين وغيرهم من الديانات الاخرى بل اشادت الانسانية بموقف تلك المجموعة الصغيرة يتراسها سيد الشهداء الامام (الحسين بن علي رضي الله عنه) وموقفهم البطولي في التضحية والاستشهاد من اجل قضية ومبدأ، ان تلك الواقعة التاريخية على الرغم من البعد الزماني والمكاني لها الا ان تأثيرها الروحي والفكري فاق كثير من التضحيات الانسانية في التاريخ واصبح تأثيرها على العالم يتجدد كل عام بتلك الواقعة الاليمة، الا ان تأثيرها الاكبر على الواقع العراقي المعاصر في جميع الاحداث الدينية والسياسية والاجتماعية وبشكل قوي وفعال، جاء ذلك نتيجة التاثر بالقضية الحسينية التي اصبحت نموذج حي ومثالي لقياس كل القضايا الحياتية واليومية بمنصور حسيني لحل الكثير من المعوقات والمشاكل التي يواجهها الفرد العراقي.

هنا اراد الباحث البحث عن الواقعة التاريخية للقضية الحسينية المتمثلة بواقعة الطف وعن الاسباب التي ادت الى تاثر الفرد العراقي البسيط بها اكثر بكثير من الوقائع التاريخية الاخرى التي احدثت تغير كبير في التاريخ الاسلامي الا ان تأثيرها انقضى بعد مدة من الزمن.

لذا قسم الباحث عمله البحثي الى ثلاث مواضيع رئيسية:

اولاً: واقعة الطف تاريخياً: حيث يتناول به الباحث من الجانب التاريخي تحديداً في السنوات التي ادت الى حدوث هذه الفاجعة بأسلوب محايد ومتجرد من الميول العاطفي على القضية الحسينية قاصداً التذكير بالواقعة التي ادت الى استشهاد سيد الشهداء الامام الحسين (ع) مسترسلاً الوقائع والاحداث.

ثانياً: الدروس والعبر من واقعة الطف: ففيه يحاول الباحث استخلاص النتائج الاجابية والمفيدة من تلك الواقعة التاريخية بأسلوب علمي ممنهج بعيد عن العبارات الحماسية بل يحاكي الواقع ويستلهم من الماضي، حيث ان لتلك الواقعة الكثير من الفائدة على الانسان من خلال النتائج التي استخلصت من

التضحية الحسينية لتكن اساساً في الحياة واستذكارها سنوياً لأنها أصبحت رمزاً للإنسانية جمعاء.

ثالثاً: أثر واقعة الطف على الواقع العراقي: اراد الباحث التركيز على النقاط المؤثرة في القضية الحسينية محاولاً تفسير اثر تلك الواقعة على الفرد العراقي في الكثير من القضايا الحياتية المعاصرة منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالدرجة الاساس الدينية، فعلى مدى التاريخ تجسدت القضية الحسينية في حياة الناس وانعكست بصورة مباشرة على الكثير من جوانب الحياة العامة والخاصة واصبح تفسير جميع الاشياء من منظور حسيني.

وفي ختام البحث الخاتمة وهي اهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث بالمعلومات التاريخية والفكرية والواقعية والفلسفية، فضلاً عن هوامش والمصادر المستخدمة في البحث.

واقعة الطف تاريخياً:

ان شخصية الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) معروفة، حيث منذ ولادته في عام (4هـ) ترعرع في كنف جده الرسول محمد(ص) فقد كانت له منزلة كبيرة وحباً شديداً مما قضى ست سنوات من طفولته في عهد جده الكريم وست وثلاثون عاماً قضاها مع والده امير المؤمنين(ع) ولازمه اياه خلال فترة حكمه في الساحة السياسية والاجتماعية، فقد وقف الى جانب ابيه في معاناته بأعادة هيكلة المجتمع وبناءة وفق الاسس الاسلامية الصحيحة وتأييد ابيه ونصرته ومواجهة المعارضة الاعلامية التي كانت تبث الاكاذيب ومقاومة جبهة الاعداء، فقد خاض الامام الحسين(ع) مع ابيه حرب اهل الجمل وخاض معركة صفين في عام (37هـ) فكان له اثر بارز من خلال خطبه الحماسية التي اثاره حماس المقاتلين الى حد كبير ولا يقل ذلك عن اثره في معركة النهروان في عام (38هـ) اذ اسهم الامام الحسين (ع) اسهاماً فعالاً في جميع الاحداث والحروب في عهد ابيه امير المؤمنين(ع)⁽¹⁾.

وفي عام (40هـ) دبر الخوارج مؤامرة بقتل الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) على يد عبد الرحمن بن ملجم فأزدادت الهموم والمآسي على امامنا الحسين (ع) ورغم كل ذلك لم يتخلى عن المبادئ التي عاشه من اجلها، واحترم رأي اخيه الحسن(ع) والتزم بأوامره ولم يخالفه حو الهنذة التي حدثت مع معاوية بن ابي سفيان بل التزم برأي اخيه غير ان الاحداث السياسية قد تغيرت يعد عام (49هـ) التي تمثلت باستشهاد اخيه الحسن(ع) بدس السم اليه في طعامه ولم يبقى سوى الامام الحسين(ع) معارضاً للسلطة الحاكمة الاموية فأصبح مصدر قلق للحكم الاموي من خلال معارضة ذلك الحكم الذي انحرف عن المسار الصحيح

وقد ظهرت بشكل واضح من خلال الرسائل المتبادلة بين الامام الحسين (ع) وبين معاوية بن ابي سفيان تاكد بأن المواجهة الحتمية قريبة الحدوث واصبح التخندق واضح بين الطرفين، وازدادت الامور سوءاً بعد ما استولى الامام الحسين(ع) على قافلة تجارية فيها اموالاً لمعاوية بن ابي سفيان وكبار البيت الاموي بأنفاق وصراف تلك الاموال على فقراء المسلمين وَايْتَامِهِمُ وَالْمَحْتَايِينَ مِنْهُمْ، غير ان الحدث الاكبر هو رغبة معاوية بطلب مبايعة ابنه يزيد بن معاوية على خلافة المسلمين فكان ردة فعل الامام الحسين(ع) بالرفض الشديد مع اصحابه المؤمنين ومن تلك اللحظة اشتد الصراع من سياسي الى عسكري وادركت القيادة الاموية بان تلك الفئة القليلة تشكل خطراً كبيراً لان عامة الناس تتبعهم ولن تستجيب لامرهم حتى تستخدم القوة العسكرية معهم، ففي عام (60هـ) توفي معاوية بن ابي سفيان الذي اوصى ابنه يزيد بحسن المعاملة مع الامام الحسين (ع) لما له من منزلة عند قومه ويتبعه عدد كبير من المسلمين وتميل اليه القلوب، فكان موقف الامام الحسين (ع) بالرفض القاطع بقوله: ((... ومثلي لا يبايع مثله...)) فخرج الامام من حرم الرسول (ص) المدينة المنورة في عام (60هـ) متجهاً الى مكة المكرمة مع عياله واهل بيته ثم رحل الى العراق ملبياً اهل الكوفة بحكم واجبة كأمام للامة ووجب عليه رعاية شؤونها وتدبير احوالها مؤكداً ذلك بقوله: ((...اني لم اخرج اشراً ولا بطراً وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي، اريد ان امر بالمعروف وانهي عن المنكر...)) لذلك اصطحب معه اهله وعياله ليكون لهم هذا الدور الكريم في نصرة الدين واحقاق الحق، ومن اشهر اقواله في ذلك الصراع بقوله: ((...ان كان دين محمد لم يستقم الا بقتلي يا سيوف خذيني...)). حتى جاءت لحظة الاستشهاد في العاشر من محرم في عام (61هـ)⁽²⁾.

الدروس والعبر من واقعة الطف :

ان تلك الحادثة التاريخية لها اصدائها في المجتمعات الانسانية ودائماً نأخذ من التاريخ الدروس والعبر ولهذه الحادثة الاليمة في التاريخ الاسلامي لها الكثير من المواقف والعبر التي يمكن الاستفادة منها في الحياة البشرية عموماً، لذا علينا تركيز الاضواء على جوانبها وجوهرها وهو ان الحق مهما تكالبت عليه الظروف والاحداث يبقى شامخاً عالياً بل ويصبح رمزاً يقنّدى به وعنواناً للبطولة والشجاعة، فأن الامام الحسين(ع) علم بأن الموت قريباً عليه ومؤكّد وانه مطارد من قبل الحكم الاموي في المدينة المنورة او مكة المكرمة فأختار ان يستشهد في العراق ليكون خالداً عبر الازمنة والاماكن فكان اختياره شديد الذكاء، ففي كلا الحالتين هو منتصر فأذا اجتاز العوائق وعبر الى الكوفة انتصر وبذلك يحدث التغيير المطلوب واذا استشهد عند حدود العراق في كربلاء كما هو متوقع فبذلك تكون للشهادة طعم ولون وهدف وغاية اي ان يستشهد من اجل المبادئ والقيم التي سعى اليها. كل ذلك يعطينا الامام الحسين (ع) درس في الحياة بأن على كل انسان ان يجعل له هدف يسعى اليه وان يكون هذا الهدف نبيل ومشروع وعند

تحقيقه يستفاد منه الاخرين وبذلك تتحقق الرغبة الانسانية ويتحقق الضمير الانساني(3).

نجد في الاونة الاخيرة من تاريخ الشعوب ان بني البشر يسعى الى تحقيق الشهرة والمال ولكن من خلال تجارب الافراد في الحياة نجد انهم عندما يصلون الى هذه المرحلة تحل عليهم الضياع وعدم الاستمتاع بالحياة بل نجد الكثير منهم في شتات وكانت نهايتهم مأساوية ومنسية لانه هدفهم لم يلبي هدف النفس البشرية وهو اعلان الحق والدفاع عنه ومساعدة الاخرين ورفع الظلم عن بني البشر ولو بكلمة او موقف ونجد ذلك مطابق على الكثير من الشخصيات صاحبة مبادئ وقيم ومفيدة للاخرين.

من الرسائل التي نستشفها عن استشهاد الامام الحسين (ع) بأن كل انسان يستطيع ان يطيل في عمره على الرغم من قصر عمره الجسدي الا ان عمره الروحي وذكره يبقى مادام هنالك حياة الدنيا بسبب الاعمال المنجزة والاهداف المحققة على مدى التاريخ وهذا واضح في كثير من الشخصيات التي رحلت الا ان ذكرها باقية لان اعمالهم حبة ومفيدة لبني البشر وتتفاوت قوة ذكراهم على مدى اعمالهم وانجازاتهم وتحديداً للذين يقدمون حياتهم مقابل مبادئهم وهذا واضح في شخصية الامام الحسين (ع) (4).

ومن الدروس الاخرى التي يستفاد منها شبابنا في الوقت الحاضر هو ان لا يبيع قضيته ولا يتنازل عن مبادئه وان يبقى كريم النفس عزيز ذو شخصية لا يتراجع عن اهدافه مهما كانت الظروف التي تحيط به، لذا وجب ان يبقى صابراً مناضلاً حتى تتحقق الامنيات كلها وغير منقوصة، لاننا تعلمنا من الامام الحسين (ع) بأن الله وهب لنا الحياة ومنح لنا كل شئ لكي نعيش بكرامة وعز ومجد ولا نركع الا لله الواحد الاحد الصمد، فمهما كانت القوى الباغية كبيرة ومتعددة الوجة الا ان قوة الله اكبر من ذلك كله.

اما العبرة التي نستخلصها من موقف الامام الحسين (ع) بأن الظلم مهما طال لا بد ان يظهر الحق ولا بد لليل ان ينجلي ويظهر الفجر وللتاريخ شواهد كبيرة عن ذلك فهنالك مسألة جدا مهمة وهي انك اذا كنت على يقين بأن الحق معك ومؤمن بقضيتك فلا تراجع لان الله تعالى ينصر المؤمنين ولو بعد حين(5).

كذلك اعطتنا القضية الحسينية على ضرورة الترابط الاجتماعي وضرورة التواصل مع الاهل والاصدقاء لان الدنيا فيها الكثير من الاحداث والمواقف العصبية والقاسية لذا على الانسان ان يكون اجتماعياً مع اهله بدءاً من الوالدين للذات اوصى بهما الله وخصوصاً الام ثم الاخوان والاخوات والاصدقاء المقربين والابناء لان هذه المجموعة هم سندا للحياة بعد الله تعالى ولان الانسان مولوداً اجتماعياً فعليه ان يكون اجتماعياً.

اما الرسالة الموجة الى المرأة هي ان تكون سناً لآخيها وزوجها وولدها وان تكون وفيه لهم وان لا تتخلى عن القضية الاساسية التي من اجلها قامت الحياة وان تكون صابرة محتسبة مناصرة لدينها وان لا تبحث عن زينة الحياة الدنيا او ملهياتها وفتافت الاشياء بل تكون شمعة تنير طريق الحق وتسهل الصعب وتكون جزء من البطولة والشهامة بل وتسعى اليه وتشجع عليه لان تأثير المرأة في المجتمع كبير وخطير في نفس الوقت فصالحها من صلاح المجتمع وتقدم الشعوب وخير قدوة لنا السيدة فاطمة بن محمد (ص) والسيدة زينب (ع).

ان التسامح الديني من الدروس والعيير الاسلامية في القضية الحسينية، فمهما يكن الاختلاف الديني والثقافي والمذهبي الا ان عليه ان يكون متسامحاً مع بني البشر وان يظهر بالشكل المرجوا من كل مسلم بدون تعصب وتحيز بل يكون وسيطاً كما كان الرسول الكريم (ص) واهل بيته عليهم السلام⁽⁶⁾.

أثر واقعة الطف على الواقع العراقي:

عند العودة بالتاريخ للاحداث التي جرت على الامام الحسين (ع) واهل بيته نلاحظ ان لاهل العراق جزء كبير من هذه الحادثة المؤلمة، فكما هو معرف عندما سمعوا اهل الكوفة بامتناع الامام الحسين (ع) عن بيعة يزيد بن معاوية ارسلوا له الرسائل بنصرته ووافدوا اليه الرسل يدعونهم اليهم ويستعجلونهم للقدوم ليبايعونه بالخلافة عوضاً عن يزيد بن معاوية، فقد ارسل الامام الحسين (ع) ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب الى اهل العراق وبعث معه كتاباً بذلك، وعند وصوله الى الكوفة كتب الى الامام الحسين (ع) يخبره بأن اهل الكوفة قد بايعوا ويطلبون قدوم الامام اليهم، غير ان الاحداث السياسية تغيرت باستقدام والي البصرة على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد الذي امر بقتل مسلم بن عقيل ومحاصرة الامام الحسين (ع) من شرب الماء مع اهل بيته وقتلهم جميعاً⁽⁷⁾.

كل تلك الاحداث اثرت بشكل كبير على اهل العراق منذ ذلك التاريخ البعيد حتى الوقت الحاضر لاستشعار العراقيين بخضلان امامهم الحسين (ع) وعدم مناصرته في ذلك الزمن الماضي اضافة لذلك حبه الشديد للرسول الكريم (ص) واهل بيته الشرفاء من احفاد الرسول وعترة اهل بيته، وكما هو معروف ان القوة والبطش للحكم الاموي كان هو السائد والفارض في مجريات الاحداث مما اوقعت الاسف في نفوس العراقيين وحملوا انفسهم مسؤولية ما حدث باعتبارهم شجعوا الامام الحسين (ع) على القدوم الى الكوفة، واصبحت هذه الحادثة درساً قاسياً لاهل العراق على حتمية نصره المظلوم وان كان الظالم قوياً⁽⁸⁾.

فقد اثرت تلك الحادثة الاليمة بالعراقيين لان القادم اليهم هو فلذة كبد رسولهم محمد (ص) وكان قصدهم بالمجئ وخاصة اهل الكوفة فضلاً عن ان الشهيد الامام الحسين (ع) استشهد على ارض العراق (كربلاء) فاصبح الامام الحسين (ع)

جزءاً لا يتجزء من النسيج العراقي وكأنما اراد الله ان يكرم اهل العراق بان يكون مرقد الامام الحسين (ع) في كربلاء.

ان شجاعة الامام الحسين(ع) المتفردة شجعت العراقيين بامتلاكها وتقليدها عبر الزمن واندمجة الشجاعة الاصلية بالولاء والتضحية الحسينية والاعتدال لذلك كانت الانتصارات نهاية معاركهم لذلك تميز العراقيون بالبطولات المتفردة في كل ميادين القتال وميزت بها العراقيين بفنون شجاعتهم في المحافل على الاصعدة كافة.

من الاشياء التي انعكست على اهل العراق منذ تلك الاحادثة حتى الوقت الحاضر هو ازدياد محبة وعشق النبي (ص) والال بيته الاطهار وتطبيق وصيته فيهم بأتباعهم وهم الطريق الوحيد للنجاة وفهم القران ورضا الله تعالى، فمنذ ذلك الزمان كان امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يوصي باهل العراق وان من يدافع عن اهل البيت ويرفع رايتهم حاضراً ومستقبلاً هم من العراقيين، حيث ان ايمان العراقيين بولاية وحب اهل البيت يبدو انها خارجه عن ارادة البشر بل ان هنالك ابعاد الالهية اختار العراق واهله ليكون اول البلدان في العالم موقعاً لمولد الانبياء والرسول والاصياء ومزاراً لقبولهم الشريفة وان اهل العراق هم اكثر شعوب الارض استعداداً للتضحية في سبيل الدين والوطن. هنالك العديد من اقوال اهل البيت فيهم وحبهم للعراق وحب العراقيين لهم وان هذا الحب والالتزام قد دفع منه انهار من الدماء الطاهرة الشريفة على مبدا الولاء والتضحية بنفس المنهج للامام الحسين (ع) ضد الطغاة والحكام الظلمة.

ظهرت على الساحة العراقية بعد الثورة الحسينية المتمثل بالمنبر الحسيني الذي يمثل الدروس الحوزوية يتم من خلالها عرض الدروس الدينية الفقهية واستذكار الدروس والعبر لحادثة الطف والمأساة الحسينية بأسلوب جديد على ايدي من العلماء والفقهاء الذين لديهم امكانيات خطابية تجذب الاخرين، وقد تطور المنبر الحسيني من جيل الى اخر واصبح اليوم يصل الى كل انحاء العالم بفضل التطور العلمي والتقنيات الحديثة بظهور اجيال جديدة تفتخر بهم الامة الاسلامية من العلماء والخطباء وطلاب العلم وظهور طبقة مثقفة من الشعراء الذين انشدوا للامام الحسين (ع) بقصائدهم الحماسية. لقد اثر المنبر الحسيني اثراً كبيراً في نشر الوعي السياسي والفقهي والعلمي بين الناس حتى اصبح المنبر الحسيني قاعدة تنطلق منها الحث على العمل والثورة على الجهل ممزوجة بالثورة الحسينية تشع منها ضياء الحرية والشهادة والانتصار.

فمنذ ذلك الوقت اثرت القضية الحسينية في جميع طبقات المجتمع العراقي حتى الوقت الحاضر الذين حرصوا على ذكرى استشهاد الامام سنوياً رغم البعد الزماني لهم الا ان هذه الذكرى تجدد كل عام بل ويزداد المؤيدين له لان وقائع الحادثة حزينة تحديداً منع الامام واهل بيته من شرب ماء الفرات للمضايقة عليه

واجباره على الاستسلام فتولدت عند العراقيين حرقه في النفس لنصرة المظلوم واطعام الطعام للزائرين والحرص على سقي الناء لهم واکرامهم لنصرة القضية الحسينية. ومن المكاسب التي كسبها العراقيين على اثر القضية الحسينية وانعكاسها على الواقع العراقي هو الاعتزاز بالهوية الوطنية من خلال رفع الوعي السياسي للاهل العراق والقيام بالكثير من الثورات وازدياد الوعي الحسيني بشكل عام غير ان الطغاة من المدرسة المادية لا يؤمنون بطاقات الشعوب وينكرون معنى الروح في النهضة الحسينية، فان ذلك المد الحسني اقلق العالم خصوصاً الطواغيت والعالم الغربي وكل كارين الاسلام.⁽⁹⁾

فقد تآثر العراقيون بهذة الفاجعة الحزينة واصبحوا يرددون اقوال الامام الحسين (ع) منها: ((...هيهات منا الذلة...)) وقد قاموا بعدة ثورات مستلهمين روح الشهادة من امامهم وقائدهم سيد الشهداء الامام الحسين (ع)، واستمرت تلك الثورات منذ ذلك التاريخ حتى العصر الحديث من اهمها ثورة العشرين في عام 1920 والثورة الشعبانية ضد الحكم الدكتوري الصدامي في عام 1991، وحتى الوقت الحاضر كثير من الشباب ينطلقون من المفهوم الحسيني في تحليل الاحداث ونظرتهم للحياة محاولين تقليد شيخصة الامام الحسين (ع) نتيجة حبهام لامامهم الشهيد الحسين (ع) وتآثرهم بالتجربة الحسينية مؤكدين على السير بنفس المبادئ والقيم التي اكد عليها امامهم واوصى بها. ان ما يقلق العالم اليوم هو ازدياد اتباع الامام الحسين (ع) وتشكيل وحدات جديدة تناصر الحسين (ع) وكل محببة بالمتطوعين من ابناء الحشد الشعبي والذين لبوا نداء المرجعية الرشيدة منادين بنفس العبارات القديمة منذ من 1440 عام وهي (لبيك يا حسين) وهم عاشيقين للرسول(ص) والال بيته الطاهرين مجندين انفسهم بالدفاع عن العرض والارض لنصرة الاسلام ضد الخارجين عن الملة الاسلامية وعن كل القيم والمفاهيم الانسانية لذا هم امتداد للخص الحسيني في الجهاد من اجل قضية ومبدأ وقد برهنوا للعالم بشجاعتهم وتضحياتهم مؤكدين ان النصر يأتي بالايمان مستمدين روح الانتصار من سيد الشهداء الحسين واهل بيته الطاهرين وانعكس ذلك على ساحة الجهاد مما ادى الى فرار العدو من كل ميادين القتال تاركين ورائهم جرائمهم البشعة الحاقدة على العراق واهله. فقد تجسد في الحشد الشعبي قوة منطلقة من المد الحسيني ومن عاشقوا الحسين ومن كربلاء قاهرة للظلم والطغاة، فقد تجسدت فيهم الهوية الوطنية لان فصائلهم تتكون من مختلف الطوائف والاديان والمدن يعملون سوية بنفس واحد ولهدف واحد لذلك انتصر الحشد الشعبي ونجح في اثبات ان القضية الحسينية في نفوس اهل العراق ولم تنتهي الصولة حتى تنتهي الطواغيت والظلمة واحلال السلام والعدل وعمار الارض والبناء والعمل كما دعا لها الله تعالى ورسوله الكريم(ص) واهل بيته الطاهرين.

فاصبح الواقع العراقي متأثر بتلك الحادثة الى درجة استذكارها سنوياً واستلهم الدروس والعبر منها وتعميمها في الحياة اليومية مؤكدين على القيم

والمبادئ والشرف رغم الجوع والعطش والفقر مستذكرين مأساة الامام الحسين (ع) وصبره وجهاده رغم انه كان قادراً ان يكون بأحسن حال الا انه رفض مغريات الدنيا واستبدالها بمبادئ الحق والشرف، فأصبح الامام الحسين (ع) رمزاً للتضحية والاباء، ان الثورة الحسينية كانت وستبقى على يد جيل جديد من الشجعان الاصلاء الثورين خاصة من اهل العراق يعملون بروح امامهم الحسين (ع) من اجل المبادئ والقيم فهي نفس الثورة لكن بروح الجيل الجديد الحسيني الذي لن تستطيع طغاة العالم انهاءها لانها عقيدة اصيلة امتزجت بدماء جديدة (10).

قصيدة الشاعر الجواهري (فداءً لمثواك) جاء فيها(11):

فِدَاءً لِمَثْوَاكَ مِنْ مَضْجَعِ تَنْوَرٍ بِالْأَبْجَجِ الْأَرْوَاعِ
بِأَعْبَقٍ مِنْ نَفْحَاتِ الْجَنِينِانِ رُوحًا وَمِنْ مِسْكِيهَا أَضْوَعِ
وَرَعِيًّا لِيَوْمِكَ يَوْمَ "الطَّفُوفِ" وَسَقِيًّا لِأَرْضِكَ مِنْ مَضْرَعِ
وَحُزْنًا عَلَيْكَ بِحَبْسِ النُّفُوسِ عَلَى نَهْجِكَ النَّيِّرِ الْمَهْيَعِ
وَصَوْنًا لِمَجْدِكَ مِنْ أَنْ يُدَالَ بِمَا أَنْتَ تَأْبَاهُ مِنْ مُبَدَعِ
فِيهَا أَيُّهَا الْوَتْرُ فِي الْخَالِدِينَ فِدَاءً، إِلَى الْآنَ لَمْ يُشْفَعِ
وَيَا عِظَّةَ الطَّامِحِينَ الْعِظَامِ لِلْأَهِيْنَ عَنْ غَدِهِمْ قُتِّعِ
تَعَالَيْتَ مِنْ مُفْرَعِ اللَّحُتُوفِ وَبُورِكَ قَبْرِكَ مِنْ مَفْرَعِ
تَلُودِ الدُّهُورِ فَمِنْ سَجْدٍ عَلَى جَانِبِيهِ وَمِنْ رُكْعِ
شَمَمْتِ تَرَكَ فَهَبَّ النَّسِيمِ نَسِيمِ الْكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ
وَعَفْرَتِ حَدِيٍّ بِحَيْثُ اسْتِرَاحَ حَادُّ تَفْرَى وَلَمْ يَضْرَعِ
وَحَيْثُ سَنَابِكُ خَيْلِ الطُّعَاةِ جَالَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْشَعِ
وَحَلَّتْ وَقَدْ طَارَتِ الذِّكْرِيَّاتُ بِرُوحِي إِلَى عَالَمِ أَرْقَعِ
وَطَفَّتْ بِقَدْرِكَ طُوفَ الْخَيْالِ بِصَوْمَعَةِ الْمُلْهِمِ الْمُبْدَعِ
كَأَنَّ يَدًا مِنْ وَرَاءِ الضَّرِيحِ حَمْرَاءَ " مَبْتُورَةَ الْإِصْبَعِ "
تَمُدُّ إِلَى عَالَمِ بِالْخُنُوعِ وَالضَّرِيحِ ذِي شَرَقِ مُتْرَعِ
تَحْبَطُ فِي غَابَةِ أَطْبَقَاتٍ عَلَى مُذْبَبٍ مِنْهُ أَوْ مُسْبَعِ
لِتُبْدَلَ مِنْهُ جَدِيْبِ الضَّمِيرِ بِأَخْبَرِ مُعْشَوْشِبِ مُمْرَعِ
وَتَدْفَعُ هَذِي النُّفُوسَ الصِّغَارَ خَوْفًا إِلَى حَرَمِ أَمْنَعِ

وقد انتشرت قصائد الثراء للامام الحسين (ع) منذ استشهاده الى يومنا هذا في جميع مدن العراق على أن الشعراء قد صدقوا ألبابهم وأرواحهم بحب أئمتهم، ينقادوا بروح و بأخلاق أئمتهم فهم يحبونهم الحب الشديد الذي يكونه لأئمتهم في تهذيب طبائعهم وتصفية عقولهم ومشاعرهم إلي استشعار التقوى وعبادة الله حق آل البيت لخدمهم صلوات الله عليه، وهو حب دفعهم دفعا منهم إلى الزهد في ومن أولئك الشعراء السيد مسلم الحلبي

الذي عاش في القرن العشرين وله قصيدة في رثاء الامام الشهيد الحسين(ع) يقول فيها(12):

- لقى الحسين لنا في سيره سيراً - قد اوسعها الوري بحثاً وتدويناً
- قد سنّها مثلاً اعلى لكل علا - دروس عزّ وابقاها قوانينا
- لقد مضيت وقد خلفتها مثلاً - بقين فينا مثال العز والعظم
- دروس تضحية للمؤمنين بها - اذا مضت امم تلقى الى امم
- خلتها مثلاً للعز سامية - لها بصفة سفر المجد تخليد
- دروس تضحية للناس واضحة - ما شاب ايضاحها لبسٌ وتعقيد

الخاتمة:

ان للقضية الحسينية دروس وعبر للانسانية لما فيها من ميادئ واهداف وقيم عليا لانها تعدت اسباب التضحية الذاتية الفردية واصبحت عالمية والدليل على ذلك ان هذة الذكرى على الرغم من البعد الزمني لها الا انها استمرت حتى الوقت الحاضر وستدوم حتى قيام الساعة وكذلك بعدها المكاني الا انها انتشر ذكراها وتأثرت بها كل بقاع العالم حتى من مختلف الاديان والمذاهب اذ ان القضية الحسينية عظيمة ولها دلالات ومعاني و عبر تزداد يوماً بعد يوم وتتجدد نظرة بني البشر لها رغم ان وقائعها التاريخية ثابتة الا ان تفسيراتها مختلفة.

اما اذا عدنا الى الحادثة التاريخية فنجدها قد اثرت بشكل كبير على الواقع العراقي حتى الوقت الحاضر، فأننا نجد ان اهل الكوفة لم يخضلوا امامهم كما يصور له بعض المستشرقين والمغرضين من المؤرخين المسلمين بل على العكس انهم ايدوا ما فعلوه الامام الحسين (ع) وسانده بكل ما لديهم من قوة لكن لسياسة البطش والانتقام للحكم الاموي لعب اثر كبير ومؤثر في مجريات الاحداث وحال دون ذلك، فاستفادة الامة من تلك الحادثة بأن لا تكون اداة بيد السلاطين الطغاة وعدم الخنوع للباطل مهما كانت قوته وجبروته.

ان القضية الحسينية تكمن قوتها بتضحية فرد من اجل ان تعيش الامة بكرامة لذا اصبح ذلك الفرد الواحد المتمثلة بشخصية الامام الحسين (ع) رمزاً للتضحية والنضال من اجل احياء امة وانتصار الكلمة على السيف، فقد انتصرت كلمة (لا) على الظلم والطواغيت، فكما هو معروف ان تنتصر القوة على الضعف لكن في هذة المعادلة انتصرة القلة على الكثرة وانتصرت الكلمة على السيف وانتصر الفرد على الجماعة وبالتالي انتصر الحق على الباطل. فقد اعطت لنا تلك القضية الحسينية دروس وعبر وهي نصرة المظلوم على الباطل واحقاق الحق والعدل بدل الظلم والفساد وان تسود الحقوق والحريات بدل القمع والاضطهاد، وان

نرعى الشباب واستحواذ ارائهم بدل القمع والكبت، وان نسعى لتوزيع الثروات بدل ان تكون في ايدي عدد محدود من الافراد، كذلك العمل على الوحدة والابتعاد عن الفرقة لانها تؤدي الى الضياع والتهلكة. ان للتاريخ دروس وعبر، فالقضية الحسينية اعطتنا قوة الارادة والضمير الحي الذي فيه صوت الانسانية وان قيمة الحياة الدنيا زائلة لا محال مهما طالت والقيمة الحقيقية باعمال الانسان التي تخلده لا بسنوات عمره او ما كسبه من اموال، بل تعلمنا بأن للشهادة معاني اخرى غير التي عرفناها سابقاً خاصة عندما تكون برغبة الشخص وبايمان كبير والسعي من اجل المجتمع لا من اجل النزوات الزائلة، وتجسد ذلك بتضحيات الحشد الشعبي وبآثار الحميدة للمد الحسيني على اهل العراق بتعزيز الهوية الوطنية والانطلاق من القاعدة الحسينية لتحقيق الاهداف النبيلة المرسومة مسبقاً بالرعاية الالهية، بل ان تحمل مسؤولية امة والدعوة لاصلاح المجتمع والمضي للرفع المعوقات عن نهوضها وذلك يتطابق مع ما يريد الله جل جلاله ليني البشر بأن يحملوا الامانة ويسعوا للحفاظ عليها ويعملوا على البناء واعمار الارض لان حقيقة الانسان هو خلفه الله على هذه الارض وان الانسان مخلوق لتلك الغاية ولم يخلق عبثاً، لذلك اعطانا سيدنا وامامنا الحسين (ع) هذا الدرس العظيم.

الهوامش والتعليقات:

(1) ينظر: الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير(ت:310هـ/922م)، تاريخ الطبري-تاريخ الامم والملوك 4ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، م3، ص22-163. ابي الفداء، الملوك المؤيد عماد الدين(ت:732هـ-1331م)، تاريخ ابي الفداء-المختصر في اخبار البشر، 1ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص245-266. جاسم، سامي حمود الحاج، تاريخ الدولة الاسلامية 37هـ/132هـ-دراسة في التاريخ السياسي، 2ط، بغداد 2010، ص37-49.

(2) ينظر: ابن الاثير، ابي الحسن علي بن ابي الكرم(ت:610هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، 5ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، م3، ص368-422. ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل الدمشقي(774هـ/1372م) البداية والنهاية، تحقيق: سهيل زكار، 1ط، دار صادر، بيروت، 2005، ج2، ص2167-2208.

(3) العقاد، عباس محمود، ابو الشهداء الحسين بن علي، بلا طبعة، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ص29-37. سكر، حيدر كريم، قراءة نفسية لاحاديث الامام الحسين(ع) في واقعة الطف، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد43، ج5، ص174-181.

(4) ينظر: النجدي، حميد، الشهادة والاشهاد في امامة اهل البيت عليهم السلام، 3ط، مطبعة سيد الشعداء، كربلاء، 2008، ص8-49. عبد الرزاق علاء، الابعاد التربوية في الشخصية الحسينية- مآثر الحياة ومثل الشهادة، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد43، ج5، ص88-102. هفتادار، حسن رضائي و محمد جواد، الاسس القرآنية لنهضة عاشوراء، مجلة السب، العدد6، السنة الرابعة -كربلاء، 2018، ص54-60.

(5) الموسوي، علي ابراهيم، شذرات من السيرة الفكرية والسياسية لاهل البيت(عليهم السلام)، 1ط، مطبعة الفتح، بغداد، 2017، ص180-183. الغنطوسي، عبد الرحمن وسلام عبود

- حسن، تأملات ومواقف انسانية وتربوية من ثورة الامام الحسين (ع) واثرها في اصلاح الفرد والمجتمع، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد43، ج5، ص67-76.
- (6) ينظر: زين العابدين، علي بن الحسين(ت:94هـ/712)، رسالة الحقوق للامام زين العابدين، تحقيق: حازم ناظم فاضل، بلا طبعة، مطبعة الرفه- المكتبة العصرية، 2000، ص15-29.
- (7) ابن خلدون، عبد الرحمن(ت:808هـ/1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط3، دار الكتب العلمية، 2006، م3، ص26-27.
- (8) مدح اهل البيت للعراق، موقع الكفيل الالكتروني، بحث منشور في 2014/4/8. يوسف، علي حسين، رثاء الامام الحسين(ع) - لمحة تاريخية، بحث منشور على موقع درر العراق، بتاريخ 2014/4/7.
- (9) حسين، حازم، انتفاضة الشواف في الموصل، مجلة افاق عربية، العدد16، 1986. عبد، عادل حسين، الامام الحسين(ع) عبرة واعتبار، بحث منشور على موقع عاشوراء، بتاريخ 2014/6/15.
- (10) جاسم، تاريخ الدولة الاسلامية، ص92-184. الموسوي، كرار حيدر، الامام الحسين صرخة ونهضة، بحث منشور على موقع الحوار المتمدن، في 2015/7/31. السلطاني، قاسم يحيى، العقيدة العسكرية للحشد الشعبي، المؤتمر الاول للحشد الشعبي، بغداد، 2015، ص22.
- (11) ينظر الرابط ادناه : www.mufakerhur.org
- (12) مسلم، فارس عزيز، رثاء الامام الحسين (ع) في ديوان السيد مسلم الحلّي، مجلة مركز بابل، العدد 1، 2011، ص259.

**الإيثار بين
أصحاب الإمام الحسين عليه السلام والحشد الشعبي
من وجهة نظر نفسية**

أ. م. د. أنوار محمد عيدان السوداني

قسم علم النفس

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

الإيثار بين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام والحشد الشعبي من وجهة نظر نفسية

أ. م. د. أنوار محمد عيدان السوداني

قسم علم النفس

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

الفصل الأول: أهمية البحث والحاجة إليه:

أعطت واقعة الطف للبشرية أبعاداً إنسانية تجاوزت مفهوم (الحق والباطل / الظالم والمظلوم / الثائر والحاكم) وتجاوز أثرها كل حدود الزمان والمكان والتصوير، فبعد أكثر 1400 سنة مازالت فاعلة كمنظومة إنسانية، اجتماعية معاصرة حفرها الإمام الحسين وأصحابه عميقاً في الوعي الجمعي للبشرية فأصبحت المقياس الذي يقيس آلية كل شيء.

فواقعة الطف منظومة معرفية لسلوكيات ومشاعر مثالية في تأسيسها، إلهية في منطلقاتها وطبقت على أرض الواقع كـ (إنكار الذات، الإيثار، التضحية، الإقدام، الشجاعة، الصبر، المساواة والعدل، والمشاركة الوجدانية) ... وغيرها من المفاهيم التي لو توزعت على البشرية جمعاء لتفخر بها الأمم، والتي هي جوهر الوعي البشري عن سواه، حيث تحول الإمام الحسين وأصحابه من أشخاص استشهدوا في سبيل الحق إلى قيم معرفية مطلقة تجاوزت الوجود المادي كأشخاص، وتجاوزت الوجود المبتدئ بقي كثورة ضد انحراف في الدين الإسلامي فأصبح أي مفهوم يرد علينا من أعلاه نرده إلى الإمام الحسين وصحبه السبعين، كالكلمات المفتاحية للبشرية جميعها والتي من ضمنها مفهوم الإيثار الذي هو من أسمى درجات الكرم وارتفاع مفاهيمه والتي لا يتمتع بها إلا من هم في غاية التوافق مع الذات والآخر من خلال وضوح الرؤية للقدوة والمثال من الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام وأهل بيته الأطهار)، وقال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) عن الإيثار (الإيثار أعلى المكارم) وعنه (الإيثار شيمة الأبرار) وعنه (الإيثار غاية الإحسان) وعنه (الإيثار أعلى مراتب الكرم وأفضل الشيم) وعنه (الإيثار أفضل عبادة وأجل سيادة) وعنه (الإيثار فضيلة والاحتكار رذيلة) (ميزان الحكمة للريشهري، ج1، ص12) وقال الإمام الصادق حين سُئِلَ عن أفضل الصدقة فأجاب (جهد العقل) بالاستناد إلى قوله تعالى:

{ وَبُؤْرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } (صدق الله العظيم) سورة الحشر (الآية9)، وإذا ما تناولنا واقعة الطف من منظور علم النفس الاجتماعي نلاحظ أنها تمحورت حول موضوعين رئيسيين:-

الأول: هو التعصب والكرهية وما يترتب عليه من عدوان وتحيز.

الثاني: هو التسامح والمحبة والتجاذب وما ينشأ عنهما من ثقة وإيثار (عبد الله، 1988).

وما زالت العوامل التي تدفع الإنسان ليؤثر الآخرين على نفسه، كثيرة الجدل نظرياً فمثلاً يرى باتسون Batson أن السلوك الإيثار يمكن أن يحدث بصورة ثابتة بشرط ارتباطه أو يسبقه حالة نفسية في الاهتمام والتعاطف، والذي عرفه بأنه استجابة انفعالية واعية تتميز ببعض المشاعر مثل ملاحظة ومتابعة الشخص المحتاج للرعاية والاهتمام، وقراءة مشاعر الآخرين بأن تضع نفسك مكانه، ويحدث التفاعل والتعاطف من خلال تبني منظور الآخر الذي يعاني من مشاكل أو متاعب ويكون التبني في حالات القرابة أو الصداقة أو الألفة أو التشابه مع الآخر، وانعدام ذلك يؤدي إلى عدم القدرة على التعاطف يؤدي لكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية كما أن جذور الإيثار والمشاعر الايجابية المتولدة عنها تكمن في أساليب المعاملة الوالدية (Batson , 1991).

ولأهمية موضوع الإيثار حاولت دراسات كثيرة البحث عن العوامل التي قد تؤثر بالسلوك الايثاري فقد توصل الباحثين إلى عدة عوامل تؤثر في رغبة أشخاص معينون تكون لديهم رغبة أو ميلا للمساعدة والإيثار للآخرين فقد تكون الحالة المزاجية احد تلك العوامل إذ إن المزاج ليس سوى حالة من الانفعالات والمشاعر العامة السلبية والايجابية فقد أظهرت العديد من الدراسات ان الأشخاص السعداء والأشخاص ذات المزاج الجيد أكثر ميلا للإيثار والمساعدة (salovey 1991) , (mayer 1991) , (forgas1998) , (R.A. Baron 1997) , فقد فسر الباحثين هذه النتائج على إن المزاج الايجابي والسعادة تساعد على الانتباه إلى الجوانب الايجابية والسارة والمعززة في الحياة بصفة عامة كما إن الذين يتمتعون بمزاج جيد لا يفكرون في تكاليف تقديم العون (Isen etal.1998) في المقابل يركز أصحاب المزاج الردي أو الحزين بالدرجة الأولى على مشاكلهم الذاتية وعليه تنخفض إلى حد كبير احتمالات تطوعهم لتقديم الإيثار والمساعدة (Bierhoff 1988) ولكن بدون شك المزاج السلبي الذي قوامه الشعور بالذنب يقود الفرد إلى تقديم العون (Tangney 1991) لكي يكافئوا أنفسهم بمشاعر ايجابية بعد تقديمهم مساعدة للآخرين (Schroeder et al 1988) (Dovidio allen and Schroeder 1990),

وتوصل الباحثين إلى عامل آخر يؤثر في الإيثار وتقديم المساعدة وهو الفروق الجندرية فقد أظهرت الدراسات إن الذكور في المواقف الخطرة أكثر استعدادا لتقديم المساعدة والإيثار في المواقف التي تتطلب عناية لأجل طويلة

(A.M. Mcguire1994) (Belansky and Boggiano1994)

كما توصلت دراسة (Eagly and Growley 1986) في نتائجها بعد مراجعة نتائج عدة دراسات الى عدم وجود فروق جوهرية بين الذكور و الإناث في تقديم المساعدة والإيثار في المواقف الخاصة Deaux and Lafrance (1986)

يرى دوكس ولافرانس وبطريقة مقنعة ان فهم تأثير الهوية الاجتماعية الجنسية على السلوك الايثاري إذ يتطلب الأخذ بنظر الاعتبار النظام الاجتماعي الذي يحتضن تلك الهويات بعبارة أخرى فهم الهوية الجنسية الاجتماعية يتطلب دراسة وفهم الثقافة والبناء الاجتماعي والمكانة الاجتماعية Deaux and Lafrance (1986)

وتوصل الباحثين إلى عدة شواهد تربط الجينات بسلوك الإيثار والمساعدة إذ يبدو أن تأثير الجينات على الإيثار والمساعدة غير مباشر بل من خلال الاستجابة التضامنية أو التعاونية المعتمدة على التقمص الوجداني اثر المشاهدة (Hofman1990) وان الجينات تعطي الفرد القدرة على التواصل العاطفي والوجداني مع الآخر (R.Buck and ginsburg1991)

إما العامل الأكثر أهمية في التأثير بالإيثار والمساعدة والذي تناولته الدراسات هو عامل الشخصية الايثارية الذي يجعل بعض الأشخاص لديهم رغبة في الإيثار وتقديم المساعدة فقد درس الباحثين أشخاص بهدف تحديد السمات الثابتة والدائمة نسبيا لديهم والغاية هي دراسة الأشخاص المعروفين بسلوكهم الايثاري لاكتشاف ما يجعلهم مختلفين عن غيرهم فقد تضمنت عدة دراسات إجراء مقابلات مع أشخاص تم إنقاذهم من معسكرات الاعتقال النازية في إثناء الحرب العالمية الثانية (London 1970 Oliner and Oiliner 1988) وكان هدف الدراسات هي تحديد سمات شخصية هؤلاء الأفراد فقد توصلت دراسة لندن 1990 إلى تحديد عدد من الخصائص هي روح المغامرة وتمثيل قوي وتوحد مع نموذج أبوي لدية معايير أخلاقية عالية مناسبة لهذا النوع من السلوك إما الدراسة الثانية قارنت بين مجموعة أشخاص منقذين لمن كانوا في معسكرات الاعتقال ومجموعة ثانية تم إنقاذهم ومجموعة ثالثة من غير المنقذين وأظهرت نتائج هذه الدراسة إن مجموعة المنقذين تميزت بدرجة عالية من المسؤولية الاجتماعية وكانت هذه المجموعة أكثر تعاطفا مقارنة بغير المنقذين كما وجدت الباحثون ان المنقذين يتمتعون بعلاقات اجتماعية أوسع كثيرا من غير المنقذين وعلاقات تعلق مسؤولية نحو الآخرين من غير الأصدقاء وإفراد العائلة Oliner

(and Oliner 1988) أما دوافع المنفذين الكامنة خلف أول فعل للانقاذ فكانت متباينة فهناك من أشار إلى التعاطف الناجم عن مشاهدتهم وهم فى حالة مؤلمة ويرتجفون من البرد وكانت نسبة هؤلاء 37% إلا إن آخرين ونسبتهم 11% ذكروا عوامل تتعلق بالمبادئ الإنسانية ولكن الأغلبية ذكروا الضغوط الاجتماعية الصادرة من أعضاء من جماعتهم. (Oliner and Oliner 1988)

ويرى باتسون 1988 إن من الممكن ان تكون دوافع بعضهم فى الحفاظ على صورة ايجابية للذات ولكن باتسون يقبل أيضا احتمالية إن تكون دوافع بعضهم ايثارية محضة وتوصلت دراسة اوانر واولنر 1988 إلى سمات شخصية الفرد الايثاري وهى التعاطف (التقمص الوجداني) والمسؤولية الاجتماعية ومستوى منخفض من الذاتية (Bierhoff et al)

كذلك بحثت عدد من الباحثين دراسة تقديم المساعدة والإيثار أو التضامن فى فى المواقف غير العفوية حيث يكون لدى المتضامن أو المساعد قدر من الوقت لاتخاذ قرار بشأن متى وكيف يمكنه تقديم المساعدة المطلوبة. وقد بينت دراسات ماريان راديك بارد وكارولين زان واكسلر من المعهد القومى الأمريكى للصحة النفسية، أن جزءا كبيرا من اختلاف الأطفال فى درجة التعاطف مع الآخرين يرجع الى كيفية تدريب الإباء لأطفالهم، فقد تبين أن الأطفال الأكثر تعاطفا مع الآخرين هم من تضمن تدريبهم لفت انتباههم بشدة لما يسببه تصرفهم من الأم لشخص آخر، مثال أن يقال لهم(انظر كيف جعلتها تشعر بالحزن بدلا من قول(كان سلوكك سيئا فيه شقاوة، كما تبين أيضا تعاطف الأطفال مع الآخرين بتشكيل مع رؤيتهم لردود فعل الآخرين مع شخص يشعر بالألم والأسى فمع محاكاتهم لما يرونه، ينمو معهم مخزون من استجابات التعاطف(Batson 1991).

فان ذلك يكون عن طريق التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة اذ ان التنشئة تكون مستمرة مدى الحياة وفيها يستدمج الأفراد القيم والمعايير الاجتماعية و تعلم ادواره فى المجتمع (دور الأب , دور الأخ , دور الصديق , دور المواطن الخ) وهى تعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لادوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعى معها ويكون فيها استدماج ثقافة المجتمع فى بناء شخصية الأفراد.(زهران , 2000)

فمن خلال مؤسسات لتنشئة الاجتماعية (الأسرة , المدرسة , ثقافة المجتمع , الأصدقاء , وسائل الإعلام , ودور العبادة) ففي مجتمعنا تكون كل ومؤسسات التنشئة الاجتماعية مساهمه فى إكساب الفرد سلوك الإيثار فالفرد منذ الصغر وفى أول مؤسسه للتنشئة الاجتماعية يكون مطلع لاستدماج قيم الرسول محمد (ص) والأنمة وبالخصوص الإمام الحسين فالأفراد يتربون على إقامة المجالس الحسينية

ويسمح لهم منذ الصغر المشاركة في المجالس الحسينية والخدمة في المواقب الحسينية والاطلاع على مبادئ الإمام الحسين في هذه المجالس والمواقب

ومن أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) هم أفراد من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار والطوائف آمنوا بمبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) وقاتلوا واستشهدوا معه في معركة الطف كانوا مع الحق ضد الباطل وقد أثنى الإمام الحسين (عليه السلام) عليهم وقال عنهم ((فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً في أصحابي ولا أهل بيت أبرأ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيراً* فهم أصحاب سيد الشهداء الأوفياء الذين عزموا على الاستشهاد معه وكانوا أنموذجاً للإيمان والشجاعة والتضحية والإيثار، تعد وصف أحد الباحثين* أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) بصفاتٍ امتازوا بها وهي:

- الطاعة الخالصة للإمام، الشجاعة الفريدة، الصبر والتحدي.
- التنسيق التام مع القيادة (مع الإمام (عليه السلام) لا يقتلون إلا بإذنه).
- تحدي الخطر واستقبال الشجاعة، الجد والعزم، التوجه الإلهي
- التعلق بالله والإيمان به والانقطاع عن كل شيء، الدقة والتنظيم والانضباط.
- النضج السياسي والثقافي، الالتزام والوفاء بالعهد، الإصالة والتحرر
- الاستغناء عمّا سوى الله عزّ وجل.
- الاشتراك في الميادين الحربية والسياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية منذ الطفولة.
- النظرة الشمولية للأمر، صنّاع حركة مصيرية، اليقين والبصيرة.
- الاستحاقة على الحق، تجلّي دور المرأة في المواجهة
- البناء الجسمي والروحي المتناسب مع رسالة الطف.*

وأبناء الحشد الشعبي هم فتية آمنوا بالله ورسوله وأهل بيته واقتدوا بالإمام الحسين (عليه السلام)، ففي 13 حزيران عام 2014 أطلق المرجع الشيعي السيد علي السيستاني (دام الله ظله) دعوة لمساندة الجيش العراقي أمام حرب ضد تنظيم داعش، وكانت الفتوى (فتوى الجهاد الكفائي) الذي أصدرها المرجع الديني وهو أعلى مرجعية شيعية في العراق ولكن لم تكن موجهة إلى الشيعة فقط أو فئة مقلدي المرجع صاحب الفتوى فقط (الإمام السيستاني (دام الله ظله)) ولم تكن موجهة إلى فئة جغرافية أو طائفية أو منطقية معينة بل هي كانت ولحد الآن موجهة لجميع العراقيين ولكل ألوان طيفهم، فمن يقدر على حمل السلاح للدفاع عن العراق ككل ومقدساته ككل دون تمييز أو استثناء لمكون عن آخر أو لمنطقة عن أخرى لأن داعش يهدد الجميع. وقد استجاب العراقيين ككل لهذه الفتوى (أكثر من مليونين ونصف مليون متطوع لبّو نداء المرجعية، هذه الاستجابة السريعة كانت صدمة

حقيقية غير متوقعة للدواعش بعد ان سكرتهم نشوى استباحتهم للموصل (أهم وأكبر مدينة في الموصل) (الأحرار، العتبة الحسينية، 2015/5/21) وتؤكد الأطراف الرسمية الحكومية والاجتماعية على الدور الاستراتيجي والفعال لقوات الحشد الشعبي* في المساندة الميدانية لقواتنا المسلحة على مستويين اللوجستي والميداني من جانب وعلى مستوى الثبات العقائدي بمواجهة شراسة الهجمة الظلامية والتكفيرية المتوحشة على أرض العراق أرض المقدسات، واستعادت روح الانتصار التي كانت وما زالت سمة القوات العراقية بكافة صفوفها (بالصبر والجلد والثبات والتضحية والإيثار) لوئد فتنة التقسيم والاحتراب، وأصبح الحشد الشعبي أقوى رابط وعنصر توحيد للعراقيين والعراق كما أن الحشد لم يقتصر على بطولات الرجال فالكثير من الأمهات آلت على نفسها ان ترافق القوات سواء تداوي أو تطبخ أو تجهز احتياجات المقاتلين أو تدعم وتشد أزهم بالإضافة الى بطولات أمرلي، وأم قصي أو الشهيدة (أميمة جبارة) من البطلات العراقيات، حيث يحار العقل في تفسير هذا الصمود وهذه الشجاعة والإيثار في مواجهة الخطر وتأطيراً لما تقدّم تتجلى أهمية البحث الحالي كونه تسليطاً للضوء على صفحة تاريخية، اجتماعية، إنسانية، دينية نفسية في مفهوم أو نظرية الإيثار، بدأ من واقعة الطف التي أخطتها الإمام الحسين (عليه السلام)* بدمه ودماء عياله وأصحابه وتحوله الى نسق اجتماعي وسلوك إنساني ونظرية علمية لها تطبيقات عملية وشواهد حياة الى يومنا هذا، بصورة حققت مفهوم العالمية Globalization لكل شعوب الأرض، وما تجربة الحشد الشعبي إلا وهي التطبيق العملي والحقيقي لهذه النظرية التي استكملت مفهوماتها من حيث المتدخلات المعرفية وأسلوب معالجتها والنتائج المبنية أو المتوخاة من النظرية.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي للتعرف على استلهاهم أبناء الحشد الشعبي الإيثار من الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه في واقعة الطف من منظور نفسي.

تحديد المصطلحات:

أولاً: الإيثار

تعريف الإيثار في علم النفس:

1- عرفه ويسب 1972 Wispe انه صفة مركبة تتضمن العطاء والتعاطف والهبة (Wispe ,L:1972)

2- تعريف هوفمان Hoffman، أن الإيثار يشكل عام مثل سلوك المساعدة يزيد من رفاهية الآخرين دون اهتمام ملموس بالمصلحة الذاتية للشخص نفسه (Eisenberg-bery 1982).

3- عرفه ميدلارسكي (Mildarsky) ان الإيثار فئة فرعية من المساعدة تشير إلى أفعال المساعدة التي تعرض الفرد لبعض التكلفة ولقد لا تحقق له أي مكسب (إبراهيم، 1990).

4- أما باتسون Batson 1991 فيتضمن نية المساعدة والإفادة للآخر مع عدم بروز تعزيز خارجي ودافعية الفعل هنا تكون موجهه تجاه هدف يتضمن زيادة سعادة ورفاهية الآخر.

5- الإيثار: يشير إلى سلوكيات المساعدة التي تتضمن تكلفة مرتفعة (العناني، 2007).

أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)

أفراداً آمنوا بمبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) وقاتلوا واستشهدوا معه في معركة الطف في كربلاء سنة 61 هجرية، تذكر الروايات في بعض المصادر إنهم (70 فرداً)، وبعض المصادر تذكر أنهم (82 فرداً) بغض النظر عن العدد فهم أفراد من كلا الجنسين بمختلف الأعمار ومن طوائف مختلفة (موسوعة عاشوراء للشيخ جواد محدثي).

ثانياً: أبناء الحشد الشعبي:

قوات عسكرية مساندة للجيش والشرطة العراقية وتعمل معها، لبوا نداء المرجعية، وتم تشكيلها بطرف طارئ وهي أحد المؤسسات الأمنية تعتمد بالدرجة الأساس على متطوعين بأعمار مختلفة من كافة أطراف الشعب العراقي هدفهم حماية العراق ومقدساته والعراقيين من خطر التنظيم الإرهابي داعش. (منصور وعبد الجبار 2017)

الفصل الثاني: الإيثار من وجهة نظر علماء النفس

أن المتتبع لتراث علم النفس الاجتماعي يلاحظ أنها تدور حول موضوعين رئيسيين الأول هو التعصب والكراهية وما يترتب على ذلك من تمييز وعدوان على الآخرين، والثاني هو موضع التجاذب والمحبة وما ينشأ عنهما من ثقة وإيثار (عبدالله، 1998).

والبحث عن العوامل التي تدفع الإنسان ليؤثر الآخرين على نفسه، يدور الجدل النظري في هذا المجال في اتجاهات عدة، اذا ترى نظرية التحليل النفسي هناك طريقتين مترابطتين لنمو السلوك الايثارى وهما

أ- عن طريق تطوير بنية الشخصية وخاصة الأنا الأعلى

ب- عن طريق تنشيط ميكانزمات الدفاع النفسي

تقتفي الطريقة الاولى اثر نمو السلوك الايثاري في تاريخ الفرد , ويعتبر هذا النمو نتيجة للتغيرات في البنية النفسية الداخلية للشخصية , ولا يعتبر الميل الايثاري ميلا فطريا داخليا ولكن يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل بين الفرد والبيئة الاجتماعية فالطفل يتغير من طفل اناني الى راشد يحب ويعطي ' وفي معظم الاحيان يعمل لكي يحقق ويشبع غرائزه وحاجاته ولكنه بالتدريج يأخذ البيئة الاجتماعية في حسابه من خلال المطالب التي يفرضها القائمون بعملية التطبيع الاجتماعي.

والطريقة الثانية التي ينمو بها السلوك الايثاري تكون نتيجة ميكانزمات الدفاع , حيث أكدت انا فرويدان الدافع الأساسي وراء اي عمل هو الأناية والرغبة في إشباع الحاجة وعلى ذلك يوجد صراع بين القوى الداخلية للغرائز الموجهة نحو إشباع حاجات الذات بصورة عنيدة لا تهاون فيها من جهة ومتطلبات البيئة الاجتماعية المتمثلة في الأنا الأعلى من جهة أخرى ومع ذلك اذا لم يحل الصراع عن طريق التوحيد فيمكن ان نستخدم ميكانزمات الدفاع كحل للصراع واحد من هذه الميكانزمات الدفاع هو القمع Repression رغبات الانا وهذه رغبات الانا المكبوتة يمكن تحويلها لتجد منفذ اجتماعيا مقبولا مثل السلوك الايثاري (Freud,A,1966)

إما الفريديون الجدد أمثال اركسون وفروم فقد قدما آراءهما عن طريق تطور ونمو الايثار عن طريق مناقشة النمو النفسي الاجتماعي للشخصية ويشير اركسون واولدن Erikson & Oldon الى نمو السلوكيات الايجابية كنتيجة للعلاقة المبكرة بين الطفل والام , فإشباع حاجات الطفل من جانب الام هو اساس نمو الثقة بالذات وايضا بالآخرين وهذا النمو بدوره يؤدي الى نمو وتقدم المشاركة الوجدانية التي تعتبر شرطا مسبقا وضروريا للسلوك الايثاري , وقد ركز فروم على العلاقة بين نمو الصفات الايثارية والانتقال بين مراحل النمو النفسي الاجتماعي واثناء مناقشة للصراعات والحلول الخاصة بهذه المراحل أشار الى نمو السلوكيات المرتبطة بالايثار وحسب رأي فروم ففي المرحلة الاولى (المرحلة الفمية) يشبع الطفل حاجاته الفمية ويمكن المرور الناجح في هذه المرحلة الطفل من التحرر من الشعور بالعوز او الاحتياج Neediness ويجعله قادرا على العطاء أما المرور غير الناجح فيمكن ان يؤدي إلى الأناية إما في المرحلة الثانية (المرحلة الشرجية) فيكون فيها المرور الناجح يمكن الشخص من التخلي عن ضبط الاشياء والآخرين وهكذا يستطيع ان يشارك او يعطي إما المرور غير الناجح في هذه المرحلة يبدي الفرد فية رغبة في الاحتفاظ بما يملك لصعوبة الانفصال عما يملك. (عبد الرحمن ,2004,ص341)

إما أصحاب التعلم الاجتماعي فلهم أسلوب في تفسير السلوك الايثاري إذ يفترض هذا الأسلوب ان السلوك الايثاري يمكن تفسيره مثل اكتساب اي جانب

آخر من السلوك الاجتماعي فقد أكد مدخل السلوك الاجتماعي على شروط للتعلم من شأنها نمو السلوك الايثاري لدى الأفراد هما التعزيز والنمذجة ولعب الدور والحث والتأثير.

اذ يعتبر التعزيز (المادي والاجتماعي) محددًا أساسيًا للسلوك الايثاري , إما النمذجة فوجود نموذج ايثاري أمام الكبار والصغار يساهم في تعلم هذا السلوك.

إما لعب الدور اذ يتعلم الأطفال ان ينظروا إلى الإحداث من وجهات نظر متنوعة وعلى ذلك فهذه الخبرات يمكن ان تزيد الخبرة البديلة لعواطف وانفعالات الآخرين سواء بالنسبة لمانح المساعدة او متلقي المساعدة اما العامل الاخير فهو الحث والتأثير اذ يكتسب الأطفال السلوك الايثاري عن طريق الحث والتدريب المباشر على أداء السلوكيات الايثارية (Lannotti, 1978) (عبد الرحمن, 2004, ص 346).

وقد وجد إن الدافع للإيثار يتأثر بالعوامل الاجتماعية والثقافية (Coller et al. 1987) (fengzhi, 2006). كما انه يتأثر بالعوامل الشخصية الايثارية الذي يجعل بعض الأشخاص لديهم رغبة في الإيثار وتقديم المساعدة فقد درس الباحثين أشخاص بهدف تحديد السمات الثابتة والدائمة نسبيًا لديهم والغاية هي دراسة الأشخاص المعروفين بسلوكهم الايثاري لاكتشاف ما يجعلهم مختلفين عن غيرهم فقد تضمنت عدة دراسات إجراء مقابلات مع أشخاص تم إنقاذهم من معسكرات الاعتقال النازية في إثناء الحرب العالمية الثانية (London 1970 Oliner and Oliner 1988) وكان هدف الدراسات هي تحديد سمات شخصية هؤلاء الأفراد فقد توصلت دراسة لندن 1990 إلى تحديد عدد من الخصائص هي روح المغامرة وتمثيل قوي وتوحد مع نموذج أبوي لدية معايير أخلاقية عالية مناسبة لهذا النوع من السلوك إما الدراسة الثانية قارنت بين مجموعة أشخاص منقذين لمن كانوا في معسكرات الاعتقال ومجموعة ثانية تم إنقاذهم ومجموعة ثالثة من غير المنقذين وأظهرت نتائج هذه الدراسة إن مجموعة المنقذين تميزت بدرجة عالية من المسؤولية الاجتماعية وكانت هذه المجموعة أكثر تعاطفًا مقارنة بغير المنقذين كما وجدت الباحثون ان المنقذين يتمتعون بعلاقات اجتماعية أوسع كثيرًا من غير المنقذين وعلاقات تعلق مسؤولية نحو الآخرين من غير الأصدقاء وإفراد العائلة (Oliner and Oliner 1988) أما دوافع المنقذين الكامنة خلف أول فعل للإنقاذ فكانت متباينة فهناك من أشار إلى التعاطف الناجم عن مشاهدتهم وهم في حالة مؤلمة ويرتجفون من البرد وكانت نسبة هؤلاء 37% إلا إن آخرين ونسبتهم 11% ذكروا عوامل تتعلق بالمبادئ الإنسانية ولكن الاغلبية ذكروا الضغوط الاجتماعية الصادرة من أعضاء من جماعتهم.

. وكما يرك تينك (Tyink 2006) أن بعض الأفراد يؤثرون الآخرين على أنفسهم لجعل العالم مكانًا أفضل للعيش، أنهم يضحون من أجل الآخرين ويتخلون

عن الوقت والمال والمكان بدافع الأيمان بالناس ودعم استقلالهم وهم في سبيل نظرتهم الإنسانية العالمية يتغلبون على العوائق الداخلية وتلك المفروضة عليهم من الآخرين.

وفي دراسة أجراها تاكمورا Takemura 1993 هدفت الى معرفة تأثير المشاعر الايجابية على تقديم الإيثار للآخرين فقد أظهرت العديد من الدراسات ان الأشخاص السعداء والأشخاص ذات المزاج الجيد أكثر ميلا للإيثار والمساعدة (salovey mayer 1991) , (forgas1998) , (R.A. Baron1997) , فقد فسّر الباحثين هذه النتائج على ان المزاج الايجابي والسعادة تساعد على الانتباه الى الجوانب الايجابية والسارة والمعززة في الحياة بصفة عامة كما ان الذين يتمتعون بمزاج جيد لايفكرون في تكاليف تقديم العون (Isen etal.1998) في المقابل يركز صاحب المزاج الردي أو الحزين بالدرجة الأولى على مشاكلهم الذاتية وعليه تنخفض إلى حد كبير احتمالات تطوعهم لتقديم الإيثار والمساعدة (Bierhoff 1988) ولكن بدون شك المزاج السلبي الذي قوامه الشعور بالذنب يقود الفرد الى تقديم العون (Tangney 1991) لكي يكافئوا أنفسهم بمشاعر ايجابية بعد تقديمهم مساعدة للآخرين (Schroeder et al 1988), (Dovidio Schroeder 1990), (allen and

أما دراسة نلسون Nielson)2000 وهي دراسة وصفية للإيثار لدى مجموعة من الأمهات، أظهرت نتائج هذه الدراسة أن الإيثار يرتبط بالشعور بالسعادة والكفاءة والأمان وأنه أقل تمركزاً حول الذات. (Nielson, 2000)

وفي دراسة أجراها كاينكار وميرشانت Kanekar and merchant 2001 هدفت هذه الدراسة لمعرفة العلاقة بين الإيثار والانتماء الديني لدى عينة من المسلمين والهندوس، وأظهرت نتائج الدراسة أن المسلمين كانوا أكثر إيثاراً من الهندوس وأرجعت الدراسة ذلك الى كون سلوك الإيثار ملزماً للمسلمين وفي تعاليمهم أكثر من الهندوس. (Kanekar and merchant 2001)

وهذه الدراسة تتفق مع نظرية باتسون ونظرية التعلم بالملاحظة لباندورا وولترز حيث يرى أصحاب هذا المنظور ان الكثير من الأنماط السلوكية للفرد تكتسب عن طريق التعلم الاجتماعي (حسن وقناوي، 2000، ص387)

اما باتسون (Batson1991) فانه يرى أن السلوك الايثاري المحض يمكن أن يحدث بصورة ثابتة بشرط أن يسبقه حالة نفسية في اهتمام التعاطف والذي عرفه بأنه استجابة انفعالية تتميز ببعض المشاعر مثل اللطف ورقة القلب، ويحدث هذا التعاطف من خلال تبني منظور الآخر الذي يعاني متاعب معينة، ويحدث تبني هذا المنظور في حالات القرابة والصداقة والألفة والتشابه مع الآخر، ويقول (دانيال ستيرن) أن التعاطف يبني على أساس الوعي بالذات، فيقدر ما نكون

قادرين على تقبل وأدراك مشاعرنا، نكون قادرين على قراءة والتعرف على مشاعر الآخرين، فجنود الرعاية والاهتمام بالآخرين تتبع من القدرة على التعاطف وانعدام او النقص في مشاعر التعاطف مع الآخرين يؤدي للكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكيات والانحرافات الاجتماعية غير المقبولة. (1991 Batson)

ومن خلال دراسات علماء نفس النمو على التعاطف- الإيثار، وجدوا أن جذور التعاطف يمكن غرسها في الإنسان منذ مرحلة الطفولة منذ اليوم الأول لولادتهم يشعرون بالاضطراب والتوتر عند سماع طفل آخر يبكي، ومثال ذلك ما جاء في دراسة مارتن هوفمان، بان طفلا عمره عام قام بجذب أمه نحو صديقة الطفل الذي يبكي لتواسيه وتخفف عنه متجاهلا أم صديقة الطفل الموجود بالحجرة، ويرى هوفمان أن جذور الفضيلة أو الأخلاق موجودة في القدرة على إبداء مشاعر التعاطف، بمعنى أن تتصور نفسك في مكان الآخرين، وهذه القدرة هي التي تدفع الأفراد لمشاركة الآخرين في محتهم والتحرك لفعل أي شيء لمساعدتهم، ويرى هوفمان أن التعاطف مع الآخرين ينمو بشكل طبيعي منذ السنوات الأولى لمرحلة الطفولة ويستمر مع امتداد العمر وقد بينت دراسات ماريان راديك بارد وكارولين زان واكسلر من المعهد القومي الأميركي للصحة النفسية، أن جزءا كبيرا من اختلاف الأطفال في درجة التعاطف مع الآخرين يرجع الى كيفية تدريب الإباء لأطفالهم، فقد تبين أن الأطفال الأكثر تعاطفا مع الآخرين هم من تضمن تدریبهم لفت انتباههم بشدة لما يسببه تصرفهم من الأم لشخص آخر، مثال أن يقال لهم(انظر كيف جعلتها تشعر بالحزن بدلا من قول(كان سلوكك سيئا فيه شقاوة، كما تبين أيضا تعاطف الأطفال مع الآخرين بتشكيل مع رؤيتهم لردود فعل الآخرين مع شخص يشعر بالألم والأسى فمع محاكاتهم لما يرونه، ينمو معهم مخزون من استجابات التعاطف.

ويبيدي باتسون في نظريته اهتمام كبيرا بان التعاطف يؤدي الى الإيثار فقد أكد على أهمية وجود قاعدة عاطفية قوية لدينا لتحقيق الإيثار، فهذه القاعدة هي التي تحثنا على رعاية وتحقيق السعادة للآخرين، ويشير باتسون إلى أن مشاعر التعاطف ومساعدة الآخرين تؤدي على ما يبدو الى مزيد من المشاعر الايجابية في أنفسنا، ويرى أن جذور السلوك الايثارى تكمن في كيفية رعاية واهتمام الوالدين بتنشئة أطفالهم عليه والذي سيؤدي لميل وانخراط أطفالهم في أعمالهم الإيثار(Batson 1991).

ويرى باتسون 1988 ان من الممكن ان تكون دوافع بعضهم في الحفاظ على صورة ايجابية للذات ولكن باتسون يقبل أيضا احتمالية إن تكون دوافع بعضهم ايثارية محضة وتوصلت دراسة اوانر واولنر 1988 الى سمات شخصية

الفرد الايثاري وهي التعاطف (التقمص الوجداني) والمسؤولية الاجتماعية ومستوى منخفض من الذاتية (Bierhoff et al)

وقد تبنت الباحثة نظرية باتسون لتفسير نتائج لأنها الأقرب والأنسب لطبيعة البحث

الفصل الثالث: النتائج

تفسير الإيثار عند الحشد الشعبي من وجهة نظر نفسية:

○ إن مفهوم الإيثار عند الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه نابع من الإيمان بواجب الوقوف مع الحق ضد الباطل والظلم والحاكم الجائر بغض النظر عن النتيجة أو بانتظار أجر أو شكر و إنما الغاية هي الإصلاح , فكان صحبه من مختلف الأعمار والأجناس والأديان وكأن الإمام الحسين عليه السلام وصحية اختزال لكل الإنسانية فالإمام الحسين عليه السلام كان بمثابة الأب الذي يحمل المبادئ الأخلاقية السامية التي هي مبادئ الدين الإسلامي ومبادئ رسول الله محمد صلى على محمد واله وسلم ومبادئ الإمام علي عليه السلام كما في دراسة لندن 1990 و(Oliner and Oliner 1988)

○ أن الانتصار الحقيقي الذي تحقق في واقعة أطف من خلال السعي لإصلاح حال الإنسانية , لأنه من وجهة نظر يزيد , كان الانتصار محددًا بالوجود الفيزيقي للإمام وصحبه وقد زال بزواله عن الدنيا , لكن خاب ظنه لأنه لم يفرز للمجتمع إي حالة ايجابية بل انحراف عن الدين والملة بما يعرف عنه من (شرب الخمر / الزنا بالمحارم / قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق) مرتكبا بذلك أول إبادة جماعية في الإسلام لم تبقى على شيخ أو امرأة أو طفل أو عاجز

○ كما إن الانتصار تحقق بفعل تجانس الإمام وصحبه وإصرارهم على البقاء وإيثارهم القتال إلى جانب الحق حتى بعد إن طلب منهم الإمام تركه كونه هو المطلوب للقوم وليس هم (((أن القوم يطلبوني فأن وجدوني انشغلوا عن سواي فهذا الليل فاتخذوه جملا وغادروا))) فكان الجواب موحدا ومؤثرا وبإصرار (لو نقاتل ثم نقتل ثم ننشر ونقتل حتى إلف مرة على أن نتركك لن نفعل) أي انسجام وتوافق مع الذات في الوعي الجمعي لصحب الإمام الذين وصفهم بخير الأصحاب ويدعى لهم حتى تبقى البشرية إلى الأبد تتمنى أن تكون معهم لتفوز فوزا عظيما

وهذا ما أيدته الدراسات النفسية والاجتماعية بان جذور التعاطف والإيثار يمكن غرسها في الإنسان منذ الطفولة لان صحب الإمام تربوا على التعاطف والإيثار من جانب كما أنهم وجدوا الأنموذج العيان الحقيقي والمؤمن للقدوة التي تستحق إن تتبع فقد كان الإمام الحسين عليه السلام هو النموذج الأبوي الذي يحمل مبادئ الدين الإسلامي ومبادئ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومبادئ الإمام

علي عالية السلام وهذا الحال نفسه عند أبناء الحشد الشعبي صحيح انهم لم يروا الإمام الحسين عليه السلام لكنهم تربوا منذ الصغر بأساليب التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمجتمع) على مبادئ الإمام الحسين عليه السلام من خلال المجالس والموكب الحسينية والتي انتهلوا منها مبادئ الامام الحسين وهي مبادئ الدين الاسلامي.

وما زال هذا الإيثار بإبعاده الإنسانية (النفسية / الاجتماعية / العقائدي) حاضرا في مدرسة إل البيت في ندائها إلى أبناء العراق وتجربة الحشد الشعبي التي قلبت كل الموازين وعرقلت كل المخططات الرامية لأذى العراقيين والعراق فأبناء الحشد الشعبي والذين لهم دور في حماية العراقيين وصيانة العراق, فهم فتية امنوا بالله ورسوله وأهل بيته وتربوا وأنتهلوا من مدرسة الإمام الحسين في ترك الدنيا وزخرفها وترك الأهل والأحبة والتعاطف مع أناس لم يروهم لكنهم تربوا منذ الصغر على مبادئ الامام الحسين في المجالس الحسينية والموكب التي يشارك بها كل الأفراد وبكل الأعمار والتي تقام في مجتمعنا وبعض المجتمعات العربية في كل سنة من شهر محرم وشهر صفر بذلك هم تربوا على ذلك حتى ولو كانت هذا المجالس قبل 2003 قليلة لكنها لم تنقطع من بيوت العراقيين فمبادئ الإمام الحسين أصبحت جزءا من مبادئ أبناء الحشد الشعبي في الدفاع عن الحق ورد الظلم ونصرة المظلوم كما فعل الإمام الحسين وصحبة فهو يكون لكل الأفراد بمثابة الأب الذي يحمل الأخلاق والمبادئ السامية التي يتمنى كل فرد إن يتحلى حتى لو بجزء بسيط منها وكذلك كثير من الصفات التي تحلى بها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام موجودة عند أبناء الحشد الشعبي مثل (الطاعة للإمام , تحدي الخطر , الجد والعزم ,التنسيق مع القيادة , الجد والعزم , الإيمان والتعلق بالله , الدقة والتنظيم والانضباط , والنظرة الشمولية للأمر , الخ)

وكما قال (ستيرن) إن التعاطف يبني على الوعي بالذات فالفرد الذي يدرك مشاعره , يدرك مشاعر الآخرين وأبناء الحشد الشعبي أدركوا ويشعروا بأخوانهم في المناطق المحتلة والمستباحة من الدواعش ومن يقف وراءهم

ويرى (باستون) أيضا بان التعاطف يؤدي إلى الإيثار وان تتوفر قاعدة عاطفية ضاغطة لتحقيق الإيثار وهذه القاعدة هي التي حثت أبناء الحشد الشعبي على رعاية واهتمام بالآخرين فنجدهم في ساحات القتال يتزكون القتال من اجل أخلاء نساء أو شيوخ أو يخاطرون بأرواحهم تحت القنص والتفجيرات لإنقاذ أطفال محاصرين أو يتفجر عليهم بيت مفخخ من اجل تأمينه لتسكن عائلة وهو ما يتطابق مع دراسة (تينك) أن الأفراد في الإيثار يوثرون بأنفسهم للآخرين لجعل العالم مكان أفضل للعيش وإنهم يضحون من اجل الآخرين متخليين بذات الوقت عن النفس والمال بدافع الإيمان بالإنسان ودعم استقلاليته في سبيل نظرتهم الإنسانية الكونية والتي قد تمنح الشعور بالسعادة والأمان التي يراها (نلسون

(2000) غير مرتبطة بالتمركز نحو الذات فالفرد الذي يؤثر بنفسه للآخرين لا يفكر بنفسه بل بالآخرين وقدمهم على نفسه.

كما يرى (تاكومورا 1993) بأن الإيثار وما يحيط بيه من أحاسيس مرتبطة بالمشاعر الايجابية التي تعمل على عزل بعض الغرائز داخل الإنسان كالخوف أو التعلق بالحياة في مجابهة الخطر فنجد أبناء الحشد يتحلون بمشاعر ايجابية لأنهم يعملون على جعل العراق مكانا آمنا وأفضل للعيش لأنهم يدافعون عن مقدسات إنسانية أولا وأخيرا , ثم تليها بالتتابع مفاهيم يعمل الحشد وأبناؤه على غرسها قول الإمام علي عليه السلام في أن (الناس أما أخ لك في الدين أو نضير لك في الخلق) فالمسيحي والمسلم والشبك والرجال والنساء تحولوا إلى تظاهرة إنسانية ترفض الفكر الداعشي بجناحية السياسي والعسكري.

أن عظمة التضحية والإيثار الذي تربوا عليه أبناء الحشد من كل أبناء العراق والوقوف بوجه الباطل والتضحية من الآخرين والإحساس بمشاعر الآخرين وما يمتلكون من صفات ايجابية يصفها علماء النفس بأنهم يتمتعون بالصفات الايجابية (الشعور بالمسؤولية , الشعور بالسعادة , التمسك بالمعايير الاخلاقية , التعاطف , الكفاءة , روح المغامرة , التوحد مع نموذج اخلاقي) والتي تمنح النفس الاطمئنان وتمنح الذات الرضا وهي صفات يفتقدها الدواعش وتؤكد ما عندهم من اضطرابات نفسية يحاول الدواعش التغلب عليها بتعاطي المخدرات والانغماس بالملذات الجسدية والتي تخفي في طياتها اضطرابات وانقسامات على الذات وعدم تألف مع الإنسانية.

توصيات البحث

خرج البحث الحالي بمجموعة توصيات:

- أن واقعة الطف بأبعادها الإنسانية ((الإصلاح / المبدئية / الإيثار / الدفاع عن الحق / التعاطف / الوقوف بوجه الظالم)) هي نماذج وأركان لنظرية اجتماعية لها تطبيقات عملية تصلح لوقتنا الراهن في التصالح مع الذات وقبول الآخر كنوع من مجابهة الاقصائية والقטיبية الواحدة , كونها نظرة شمولية تحلى بها أبناء الحشد الشعبي متجاوزة للدين والعرق والجنس والعمر
- إن مفهوم الإيثار في الأخلاق والسلوكيات أكد عليها الإمام الحسين عليه السلام وصحبة لتشمل كل الثقافات تأكيدا على ضرورة أعمال العقل والمشاعر والإحساس بالأخر كصفة ملازمة للإنسان في درء رغبة الانتقام العمياء وهو ما جسده هيئة الحشد الشعبي في نصرة وتحرير مناطق كانت في مراحل سببا في قتل وعدم مرور طائفة دون أخرى , وهذا الإيثار في بعده الجديد الذي يحتاج إلى التعمق كونه عمل على نزع الكراهية والتحذلق والاحتقان الداعشي(السياسي/ ولمفاهيمي/ والعسكري).

- ضرورة إحياء مفهوم الإيثار من خلال مقومات خطاب المرجعية (الديني / الانساني / والاجتماعي) من خلال التنشئة الأسرية والاجتماعية ومن كافة مؤسسات المجتمع, وتدعيم هذه الصفة الإنسانية الايجابية وتوضيح دورا لحشد الشعبي ودوره في جعل العراق مكانا أفضل للعيش واستمرار الحياة وطرد كل من يسعى لتقسيم واحتلال العراق وتأطير ذلك بالمقومات الفكرية (النفسية / الاجتماعية / التاريخية) في رصد مرحلة مهمة من تاريخ العراق وتعزيز نماذج الحشد الشعبي التي منحتة بعدا إنسانيا أحر مثل (((أم قصي / أممية جبارة / أهالي أمرلي / أهالي حديثة / معلمة الموصل ونماذج..... أخرى))) كونها معادل موضوعي بصورة جملة من الذين شكلوا صفحات سوداء في هذه الأحداث من الساسة والشيوخ والأفراد الظالمين
- واخيرا نرى وندعو الى اعتبار الحشد الشعبي قيمة انسانية وتغيير اسمه إلى الحشد الإنساني كونه شكل ظاهرة اكبر من هبة عراقية لمقاتلي ومدافعين عن الحق حملوا الروح قبل السلاح بل تجاوز ذلك إلى مفاهيمية نادت بالإيثار من النساء المتطوعات والشيوخ المسنين المدنيين ورجال الدين الذين كان دورهم لا يقل عن المقاتلين.

الهوامش:

* مقتل الخوارزمي، 1: 246.

* موسوعة عاشوراء للشيخ جواد محدثي.

إن تجربة الحشد الشعبي هي علامة مضيئة في تاريخ شعوب العالم وهي تجارب حاضرة في ذاكرة الشعوب(فالولايات المتحدة التي فرقها الحرب الأهلية، وحدثها ما كانت تسمى الميليشيات المتطوعة، وفرنسا قاومت الاحتلال النازي بالمقاومة الشعبية، بعد انهزام جيشها واحتلالها من قبل ألمانيا أبان الحرب العالمية الثانية، وكذلك اسبانيا في مقارعة الدكتاتور فرانكو، وكذلك الجبهة الشعبية لتحرير الجزائر هي التي أنبرت لمقارعة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أما الفيكتونلخ في فيتنام والقائمة تطول في أنحاء العالم لذلك نرى بأن كلمة (مليشيات) هي وسام شرف للمقاومة ومقارعة الظلم لمن ليس عليه مسؤولية ذلك، ذلك الحافز الوطني والاجتماعي والاخلاقي والدينية هو ما يحرك فعل تلك القوى التي يسعى دواعش السياسة والإعلام سواء في العراق أو خارجه في ما مكنتهم الإعلامية في حشر أبناء المرجعية وأبناء العشائر والمسيح والشبك والايديبين في خانة الميليشيات وكأنها(سبة او مثلبة) لكن حقيقة الأمر إننا نرى أنها وسام الشرف الحقيقي الذي وُجد العراق وأوقفت زحف الفكر التكفيري السلفي وسور العراق بالدماء والجمام التي جاد بها أبناء الحشد عن طيب خاطر وإيثار ونكران للذات.

* في مقولة للمفكر المصري(عباس محمود العقاد) بحق الإمام الحسين (عليه السلام) واعتراضاً بفضلِه (لقد صمد الإمام الحسين في واقعة الطف يوم العاشر من محرم ساعة ستخلد فينا الى قيام الساعة).

المصادر:

1. حسن، مصطفى عبد المعطي وقناوي، هدى محمد(2000) علم نفس النمو المظاهر والتطبيقات، ط3، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.
2. زهران، حامد عبد السلام.(2000) علم النفس الاجتماعي، ط6، عالم الكتب ، القاهرة
3. عبدالله، معتز(1998)، الإيثار والثقة والمساندة الاجتماعية كعوامل أساسية في دافعية الأفراد للانضمام للجماعة، مجلة الآداب والعلوم الانسانية28 كلية الآداب، جامعة المينا، 231-157.
4. عبد الرحمن، محمد السيد، 2004 ، علم النفس الاجتماعي المعاصر مدخل معرفي، القاهرة، دار الفكر العربي
5. العتبة الحسينية، شبكة المعلومات العالمية.
6. منصور، ريناد. عبد الجبار، فالح ، (2017) مركز كارينغي للشرق الاوسط
7. موسوعة عاشوراء، للشايخ جواد مُحدثي.
8. موسوعة ويكيبيديا، شبكة المعلومات العالمية.
9. Baron, R.A(1997) The sweet smell of heping effects of pleasant ambient fragrance on prosocial behavior in shopping malls.personalityand psychology bulletin ,23,498-503
10. Batson, c. 1991 the altruism question: Toward a social psychological answer Hillsdale, N.d.
11. Bierhoff, h.w.(1988) Affect, cognition and prosocial behavior. Ink.fiedler and J forgas (eds), affect. cognition and Belansky, E.S. and Boggiano ,A.K.(1994) predicting helping behaviors: the r ole of gender and instrumental expressive self- schemata sex roles,30,647-61.
12. Callero, p. Howard.J. & cpelivain, d (1987) Helping behavior as role behavior: Disclosing structure and history in analysis of prosocial a ction Social psychology Quarterly 50(3) -247-256.
13. Dovidio, J.F.Allen ,J.and Schroeder, D.A(1990) The specificity of empathy induced helping: evidence for altruism. Journal of personality and social psychchology 59-249-60.
14. Eagly, A.H.& Crowley, m(1986) Gender and helping behavior. A meta- analytic of the psychological literature. psycholoical bulletin ,100,283.308.
15. Fengzhi. M.(2006) Help-seeking and help-receiving experience of impoverished unemployed women in urban china.ph.D.The china university of Hong kong from.

16. Forgas, J.P. (1998) Asking nicely The effects of mood on responding to more or less polite requests. *personality and social psychology bulletin* , 24 , 173-85.
17. Freud, A. (1966) *The ego and mechanism of defense*, Revised Edition, New York, International Universities Press.
18. Hoffman, M.L. (1990) Empathy and Justice motivation, motivation and Emotion, 14, 151-72
<http://proquest.umi.com/dissertation/preview-all/324/049>
19. Isen, A.M., Sholker, T.E.E., Mandkarp (1978) Affect, accessibility of material in memory and behavior. *Journal of personality and social psychology* , 36-1-12.
20. Kanikar S. 7 Merchant, S (2001) Helping norms in relation to religion affiliation. *Journal of social psychology* 141(5). 617, 626.
21. London, P. (1970) The rescuers: motivational hypotheses about Christian who saved Jews from the Nazis. In J. Macanlay and L. Berkowitz (eds) *Altruism and helping behavior: social psychological studies of some antecedents and consequences* New York Academic press
Oliner, S.P. and Oliner, P.M. (1988) *Altruistic personality: Rescuers of Jews in Nazi Europe*. New York: Free Press.
22. Nielson, D. (2000) A descriptive study of the experience of helping in lives of Latter-day Saint women DAI
23. Salovey, P., Mayer, J.D. and Rosenhan, D.L. (1991) Mood and helping: mood as a motivator of helping and helping as a regulator of mood, In M.S. Clark (ed), *Personal Behaviour*, Newbury Park, CA: Sage.
24. Takemura K. (1993) The Effect of interpersonal sentiment on behavioral intention of helping behavior among Japanese student. *The journal of social psychology* 133(5). 675-681.
25. Tangney, J.P. (1991) Moral affect: The good, the bad and the ugly. *Journal of personality and social psychology* , 61, 598-607.
26. Tyink, S. (2006) *Driven Altruism: A grounded Theory study* Ed.D fielding Graduate university, from <http://Proquest.umi.com/dissertation/preview-all/3230494>.

ترجمان الطف

التظاهر الدوري والنص الإثنوغرافي

بحث تطبيقي في الأنثروبولوجيا الثقافية

أ.م.د. ياس خضر عباس العباسي

قسم الأنثروبولوجيا والاجتماع
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا الثقافية، الترجمة، لغة المصدر، لغة الهدف.

Turjuman Al-Taff –
periodical Demonstrate and ethnographic text
Fieldwork in cultural anthropology
key words: cultural anthropology, translation, language resource,
language target

Assistant Professor

Dr. Yass Al-Abbasi

aaaaaaaaaaaaaaaa

aaaaaaaaaaaa

ملخص البحث

انبثقت سلسلة من القضايا المعاصرة في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية عن حقيقة تعاملها مع الترجمة، وأن تكون شاغلاً مركزياً في توجهاتها وتساؤلاتها مثل هل الترجمة من ثقافة إلى أخرى ممكنة، وإذا كان الأمر كذلك في أي ظروف؟ وهل يمكن للباحث الأنثروبولوجي التحكم في لغة أخرى بشكل كافٍ لتنفيذ الترجمة؟ وما الكيفية التي يجب أن يتبعها الباحث عندما يتعامل مع وجود اللهجات المحلية، والتعددية اللغوية؟ وكيف تتشكل الترجمة المقبولة بالنسبة للباحث الأنثروبولوجي؟ وما العلاقة بين الترجمة والإطار المفاهيمي للأنثروبولوجيا؟ ويمكن الإجابة على عددا منها عند اعتماد نموذجاً تطبيقياً (مراسم واقعة الطف) بوصفها واحدة من المجالات التي عني فيها الأنثروبولوجي المترجم عند بيان فعاليتها وممارساتها ومراسيمها وماهيتها، محلياً وعالمياً، لذا يتجه هدف البحث نحو بيان العلاقة بين الأنثروبولوجيا والترجمة أما الأهمية فتنتطق من الاستشهاد بتطبيق حقلتي تم تدوين نصه الإثنوغرافي باللغة الإنكليزية لواحد من اعلام الأنثروبولوجيا العربية المعاصرة عند دراسة مراسم عاشوراء الطف في البحرين.

Abstract

A series of contemporary issues in the field of cultural anthropology have emerged from the fact that they deal with translation and become a central concern in their attitudes and questions such as whether translation from one culture to another is possible, and if so under what circumstances? Can an anthropologist control another language sufficiently to carry out translation? What should the researcher follow when dealing with the presence of local dialects and multilingualism? How is the translation acceptable to the anthropologist? What is the relationship between translation and the conceptual framework of anthropology? It is possible to answer a number of them when adopting an applied model (Al-Taff ceremony) as one of the fields in which the anthropologist translated in the statement of its activities and practices and its decrees and what is, locally and globally, so the aim of the research is to define the relationship between anthropology and translation. Its ethnographic text was written in English for one of the contemporary Arabic anthropological media when studying the Ashura ceremony in Bahrain.

ترجمان الطف

التظاهر الدوري والنص الإثنوغرافي

بحث تطبيقي في الأنثروبولوجيا الثقافية

أ.م.د. ياسين خضر عباس العباسي

قسم الأنثروبولوجيا والاجتماع

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مقدمة:

زخرت الادبيات الأنثروبولوجية بالدراسة الواسعة والعديدة للشعائر والطقوس، عند دراسة الشعوب التقليدية (البدائية) اول الامر ومن ثم امتدت الى دراستها في ثقافات شعوب العالم والجماعات البشرية المتنوعة، وقد دون علماء الانثروبولوجيا نصوصهم الإثنوغرافية حتى احتفظت بعض المفهومات والاصطلاحات بنصوصها ومسمياتها المحلية او بلغة السكان الأصليين، مثل نظام الكولا (Kula) التبادلي عند سكان جزر التروبريان ونظام البوتلاج (Potlatch) عند الهنود الحمر ومفهوم الاكلو (Igloo) او البيت الثلجي عند الاسكيمو وغيرها من المفهومات.

تشير لفظة ترجمان (Translator) الى ناقل الكلام من لغة الى أخرى وقد وصف العرب عبد الله بن عباس بانه ترجمان القران وحبر الامة لإجادة تفسيره، اذ وردت اللفظة بأربعة معان، الأول، تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، والثاني، تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه ما قيل في عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إنه ترجمان القران، وثالثا، تفسير الكلام بلغة غير لغته، وقد جاء في لسان العرب والقاموس: أن الترجمان هو المفسر للكلام. وقال شارح القاموس ما نصّه: وقد ترجم عنه وترجمه، اي فسّر كلامه بلسان آخر، ورابعا، نقل الكلام من لغة إلى أخرى، اذ ورد في لسان العرب: الترجمان-بالضم والفتح- هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى.

وقد ارسى الأستاذ (B. Malwinski) قواعد العمل الميداني الانثروبولوجي، في بدايات القرن الماضي وقد اشترط في واحدة من تلك القواعد تعلم لغة المبحوث، ولا يزال التقليد مستمرا عند اغلب علماء الانثروبولوجيا، وقد يكون السبب الأساس في تلك القاعدة هو محلية اللغة التي تكون تحت مجال الباحث الانثروبولوجي، اذ انشغل علماء الانثروبولوجيا بالثقافات التقليدية والشعوب القبلية النائية مثل الاسكيمو والهنود الحمر وقبائل الشيلوك والدنكا

والنوبر وسكان جزر الاندمان وجزر التروبريان... التي عادة ما تمتلك لغات محلية خاصة بهم، وهي قطاعا مغايرة للغة الباحث، لذا كانت مهمته الأساس هي تدوين النشاطات او الفعاليات الدورية في مجال الشعائر او الطقوس الدينية او عند مراسم الزواج او الحصاد او الصيد، ومن ثم ترجمة المادة المكتوبة الى لغته الاصلية التي عادة ما تتصف بالعالمية او الدولية كالعربية او الانكليزية او الفرنسية، وهذه هي فكرة البحث الأساس، وزيد على ذلك هو جعل الانثروبولوجي بمثابة المترجم لتلك الفعاليات عند تحويل النص من لغة الى لغة أخرى، وقد اعتمدنا دراسة الأستاذ السيد الأسود عن الشعائر الدينية وعاشوراء في البحرين الصادرة باللغة الإنكليزية.

المبحث الأول (الأنثروبولوجيا الثقافية والترجمة)

1- تباين الحقول وتداخل التوجهات:

يظهر التقارب بين الترجمة والانثروبولوجيا من الهدف المركزي لعمل الباحث الأنثروبولوجي الثقافي الذي يتركز على فهم واستيعاب ثقافات الشعوب، وهذا ينطوي حتماً على ترجمة الكلمات والأفكار والمعاني عند وصف سلوكيات الناس وتصرفاتهم، التي تتطلب عادة التحويل إلى مجموعة من المفاهيم التحليلية، او بصريح العبارة (الكتابة عن الثقافة). ومع ذلك، فمن اللافت للنظر أن الدور الذي لعبته الترجمة في الأنثروبولوجيا لم يتم معالجته بشكل منهجي من الممارسين، على الرغم من أن الترجمة كانت محورية للغاية في إجراءات جمع البيانات، وللبحث عن المعاني والتفاهات، التي هي هدف الأنثروبولوجيا.

أحد أسباب ذلك هو الحوار الداخلي المستمر الذي يدور عن طبيعة هذا الحقل او التخصص المعرفي وكيف توضح العلوم منهجيتها بالتفصيل، اذ يشير التوجه العام من أن الأنثروبولوجيا الثقافية هي العلم الذي يتضمن عادة مفهومات تحليلية، ومجالاً بحثياً وتحديداً كمياً ونوعياً للبيانات والتأكيد على الوجه الإنساني، والشعور بأن طريقة القيام بالعمل الحقلّي لا يمكن اكتسابها من دون هذه الوجهة، وان تحقيق الفهم للثقافات الأخرى لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الانغماس التام والمشاركة الفعلية والتعاطف مع المبحوثين. وان الترجمة منذ نشأتها كمجال معرفي، قد لعبت دوراً مهماً بمعناه الواسع في الانثروبولوجيا، فالترجمة على وجه العموم تعني التفاهم بين الثقافات، وطالما كان الرحالة العرب والمستكشفون الأوروبيون والمسافرون إلى المناطق البعيدة يواجهون دائماً مشكلة فهم الأشخاص والشعوب التي كانت مجالاً لأقامتهم. لذا استُبدلت الإيماءة ولغة الإشارة، التي تم استعمالها أولاً، في وقت قريب باللغة المشتركة او لغة التواصل المشترك (lingua francas)¹، واللغة الهجينة (pidgins) التي تكون ذات نحو مبسّط ومفردات محدودة ومختلطة تُستعمل أساساً في الاتصال بين جماعات ذات

لغات مختلفة وأصبح الشخصوس الذين تعلموا هذه اللغات (يعني لغة التواصل المشترك واللغة الهجينة) بالترجمين التحريريين والفوريين.

مع تطور الأنثروبولوجيا كحقل او تخصص أكاديمي في منتصف القرن التاسع عشر، واصلت الترجمة لتلعب دوراً مهماً، اذ لم يكرر رواد الانثروبولوجيا التطوريين مثل (E. Tylor, L.Morgan and J. Bachofen) عملية التواصل مع الثقافات الاخرى المغايرة لثقافتهم من كلمات الأشخاص الذين تمت معاشتهم حديثاً، وانما كالباحثين والمترجمين والناقلين لجميع أنواع المعلومات عن هؤلاء الناس، فضلاً عن الترجمة المباشرة او الفورية لأساليب حياتهم المختلفة جداً، عند التنظير عن تطور المجتمع البشري وتطور الثقافة.

اعتمد تنظيرهم على المعلومات الإثنوغرافية التي تم جمعها من الحقل فضلاً عن المعلومات التي دونها المبشرون والمسافرون والتجار ومسؤولو الحكومة الاستعمارية، الذين كانوا على اتصال مباشر مع الشعوب البدائية آنذاك. تم نشر أوصاف طرق المعيشة وسلوكيات الناس في الممارسات والمناسبات لاسيما الطقوسية ونشرها في مختلف المجالات المهنية والدراسات الخاصة، التي أنشئت في تلك المدة، ومثال ذلك مفهوم الثقافة الذي صكه الأستاذ (E. Tylor) في كتابه المجتمع البدائي عام 1871. وذهب البعض الى التشكيك في مصادر هذه البيانات وانه لم تكن هناك مخاوف أو أي تقييم لهذه المعلومات من حيث كيفية جمعها، سواء كانت مبنية على ملاحظات فعلية أو محادثات عارضة، وأي اللغات المستعملة الذي كان يقوم بالترجمات وما هي الطرق المستعملة. والحقيقة لم يكن علماء الأنثروبولوجيا في ذلك الوقت مهتمين بمسائل الترجمة ولكن فقط مع المعلومات نفسها، والطرق التي يمكن استعمالها لدعم المبادئ النظرية والنظريات التي كانت مجالاً للافتراض والتنظير.

مع مرور الوقت بدأ علماء الأنثروبولوجيا بتوسيع العمل الحقلي وجمع البيانات الإثنوغرافية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتم التعامل مع المنهجية الميدانية ودور الترجمة في مشروع جمع البيانات، على يد الاساتذ (F.Boas) الأب المؤسس للأنثروبولوجيا الاكاديمية في الولايات المتحدة، اذ بحث اللغات غير المكتوبة غير الأوروبية بشكل منهجي على نطاق واسع وبدأ في العمل الميداني على اللغات الهندية الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر، وأكد على أهمية اللسانيات والدور المركزي الذي لعبته اللغة في الثقافة، وان لم يتعامل مع مسألة الترجمة بشكل صريح. اذ أكد على ضرورة تعلم اللغة الاصلية عند تدريب تلاميذه (M. Mead, E. Sapir, and L. Bloomfield) وكان لزمناً عليهم جمع المعلومات عن الجوانب المختلفة للثقافة من خلال تسجيل النصوص باللغة المحلية او الاصلية. وقد نشر نتائج بحثه اللغوي عن إثنولوجيا قبائل الكواكيوتل (Kwakiutl) في مجلدين على شكل نصوص، اذ دون النصوص

الصوتية في النصف السفلي من الصفحة وترجمتها الى الانكليزية على النصف العلوي، مع تقديم موجز عن النسخة في بداية العمل بعنوان شرح الأبجدية المستعملة في تقديم الأصوات الهندية، وتوجهت جهوده نحو ارسال أكبر عدد من تلاميذه إلى القبائل الهندية الأمريكية، التي كانت لغاتهم عرضة لخطر الاختفاء بسبب التحول إلى استعمال اللغة الإنكليزية، لتسجيل المعلومات اللغوية عن هذه اللغات، وباستعمال التدوين والتسجيل الصوتي، قبل أن يتم فقدان العديد من الجوانب المعرفية الخاصة بها. على الرغم من أنه لم يتعامل مع الترجمة بشكل عام، إلا انه أدرك أن لغات العالم الجديد (القبائل الهندية) تم تنظيمها بطريقة مختلفة تمامًا عن اللغات الأوروبية واللاتينية، هذه الاختلافات في الفئات النحوية هي مركزية الى مشاكل الترجمة (Rubel and Rosman 2003: pp3-5).

ويعد الاستاذ (B. Malinowski) في مقدمته عن بحارة المحيط الهادي (Argonauts of the Western Pacific)، أول عالم أنثروبولوجي يتعامل بشكل منهجي مع موضوع الإجراءات التي يجب على الباحث استعمالها لإجراء العمل الحقل، وكان اكتساب اللغة المحلية أمرًا أساسيًا ومن المفترض استعماله بوصفه أداة للتحقيق (instrument of inquiry) وأشار إلى ضرورة رسم خط بين نتائج الملاحظة المباشرة والبيانات والتفسيرات المحلية من جهة، ومن جهة أخرى رؤى الباحث ونظرته، موضحا ان الإنكليزية المبسطة هي أداة غير كاملة للغاية للحصول على المعلومات، وافر بأهمية اكتساب معرفة باللغة المحلية الأصلية لاستعمالها كأداة للتحقيق. وتحدث عن الطريقة التي انتقل بها هو نفسه من تدوين الملاحظات عند الترجمة والتي كما قال: سلبت النص من جميع خصائصه المهمة ودعت جميع نقاطه... في النهاية وجدت نفسي أكتب حصريًا بلغة (Kiriwinian) التي هي أكبر جزر التوروبريانند مع ملاحظة سريعة، لكل كلمة بكلمة (Malinowski 1961: p2).

وعلى العموم، تدرّب علماء الأنثروبولوجيا لاسيما الإنكليز على لغة المجتمع المبحوث مثل الاستاذ (Evans-Pritchard) الذي درس قبائل النوير التي تنتمي لغتها الى عائلة اللغات النيلية الافريقية، والاستاذ (M. Fortes) الذي درس الاشانتي التي تتحدث لهجة التوي من لغة الأكان، والاستاذ (E. Leach) الذي درس مرتفعات بورما (مانيمار حاليا) الذين يتحدثون اللغة البورمية القريبة الى لغة التبت، وغيرهم من العلماء، اي من المهم دائما تعلم اللغة أو اللغات المستعملة في المناطق التي يعمل فيها الباحث.

أدرك الباحث الأنثروبولوجي الثقافي أنه من المهم استعمال اللغات المحكية محليًا وليس لغويًا، لفهم طبيعة الثقافة المحلية ومعانيها، وقد عرض مؤخرًا، في موسوعة (البحث الإثنوغرافي: دليل السلوك العام) المخصص لتفسير أساليب البحث المكتوبة من علماء الأنثروبولوجيا في بريطانيا، بأن العمل الحقل، يتطلب

فهماً منهجياً (للغة المحلية) ونسحاً دقيقاً، في غياب نظام الكتابة المحلي (الذي يجب تعلمه على أي حال) ويجب على الباحث أن يصنع نظاماً صوتياً واحداً باستعمال نظام معترف به مثل الأبجدية الصوتية الدولية بالإضافة إلى ذلك، يعد تعلم اللغة المشتركة للمنطقة الأوسع، سواء كانت لغة مبسطة أو كريولية Creole اي هجينة، أمراً ضرورياً أيضاً (Ellen, R. 1984: p181).

ولا يقتصر جمع البيانات أثناء العمل الميداني على تسجيل الصوت أو الفيديو للغة المحكية وتدوين الملاحظات أثناء المقابلات، بدلاً من ذلك، يجب نسخ جميع التسجيلات وترجمتها بمساعدة المتحدثين الأصليين الذين يفهمون بالضبط سياق حالة الكلام وما يتحدث عنه الناس، بالإضافة إلى ذلك، يجب على العامل الميداني على الأقل صياغة تحليل تقريبي للبيانات، لأن التحليل والوصف فقط يكشفان الفجوات والفقرات غير الواضحة في البيانات.

النص الإثنوغرافي بين لغة المصدر ولغة الهدف

لا يزال هناك نقاش مستمر وجدل بين علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية على إعادة النظر في مشروع الأنثروبولوجيا وتوجهاتها الأكاديمية، لاسيما في ذلك الخط الذي يمتد من العمل الحقلّي وجمع البيانات إلى إنتاج النص الإثنوغرافي، وقد ادعى الأستاذ (J. Clifford) ومن سار على نهجه في ان يستند الفهم الثقافي إلى تلك فرضية أن تنص على ان الترجمة للنص الإثنوغرافي هي الممكنة، ويجب أن تكون جميع جوانبها محوراً أساسياً في تلك المناقشة².

ظهرت سلسلة من القضايا الناشئة في الأنثروبولوجيا الثقافية عن حقيقة أن الترجمة هي، او يجب أن تكون شاغلاً مركزياً بالنسبة للأنثروبولوجيا، مثل هل الترجمة من ثقافة إلى أخرى ممكنة وإذا كان الأمر كذلك في أي ظروف؟ وهل يمكن للباحث الأنثروبولوجي التحكم في لغة أخرى بشكل كافٍ لتنفيذ الترجمة؟ والكيفية التي يجب ان يتبعها الباحث عندما يتعامل مع وجود اللهجات الطبقية، والتعددية اللغوية؟ وكيف تتشكل الترجمة المقبولة، التي تحتوي على المزيد من لغة المصدر (Source language) اي اللغة المحلية او الأصلية، أو لغة الهدف (Target language) اي لغة المترجم او الباحث؟ ما العلاقة بين الترجمة والإطار المفاهيمي للأنثروبولوجيا؟

تظهر بداية النقاش من استكشاف المدى الذي تتناسب فيه الترجمة مع ما يفعله علماء الأنثروبولوجيا أثناء اجراء العمل الحقلّي، وعند تحليل البيانات وكتابة النص الإثنوغرافي النهائي، اذ عادة ما يعمل علماء الأنثروبولوجيا على القيام بأعمالهم الحقلية في ثقافة مغايرة لثقافتهم، والتأكيد على تعلم لغة الثقافة التي قيد الدرس فور وصولهم إلى موقع العمل، الذي يحتاج الى عددا من المساعدين لاسيما الاخباري، الذي عادة ما يتصف بمجموعة من المقومات كالعمر والمنزلة

ومستوى التعليم... ثم يقوم بتدوين البيانات التي يحصل عليها عند رصد وملاحظة السلوك، وما يسرده الناس إليه، وتكتب في البداية الكلمات المرتبطة بالطقوس أو الأحاديث والملاحظات باللغة المحلية لتحويلها إلى لغته الخاصة. تسمى هذه الاجراءات بالترجمة في المقام الأول، اي كيفية تقريب أقرب قدر ممكن من الكلمات والأفكار المحلية للثقافة، ويحاول علماء أنثروبولوجيا آخرون، بعد القيام بترجماتهم من لغة المصدر، الى اختيار فحص بياناتهم من حيث تكرار أنماط السلوك والأفكار وتقديم تفهيم للثقافة في سلسلة من الاعمات، عندها تكون الترجمة في هذا المستوى، من حيث المفهومات التحليلية بان تسمح بإمكانية النظر في أوجه التشابه بين الثقافات إذا كانت ذات صلة، مثل أنواع الزواج او خطوط النسب.

تعد مسألة التوافق بين الفهم الثقافي لمجموعة واحدة ومستوى التركيب التحليلي مسألة مهمة للغاية، إذ استند تطور المفهومات التحليلية في الأنثروبولوجيا إلى فرضية التشابه بين الثقافات وعلى مستوى تحليلي أعلى من الاعمات التي تشكلت حول ثقافة واحدة، يفيد هذا المستوى من الاعمات، الى جانباً من فردانية وخصوصية الظواهر الثقافية التي كشفتها ترجمة الباحث الانثروبولوجي، ولا يرغب بعض علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين في التسليم بها، وذلك لشعور مفاده أن المفهومات التحليلية لا تتوافق مع المعرفة الكافية لمعاني الثقافة الخاصة التي تمت دراستها، والأهم من ذلك أن يرى البعض هذه المفهومات التحليلية وكأنها تنبثق من الغرب المهيم الذي يفرض على العالم الثالث الآخر، مما يهدد خصوصية مفهوماتهم الثقافية، إذ كان الاهتمام موجهاً في البدايات الاكاديمية للأنثروبولوجيا نحو بيان التطور التاريخي (الاجتماعي والثقافي) لنظم الإنسان كالزواج والاسرة، وخير من مثله رواد التطورية، ثم اعقبهم رواد الانتشارية بتوجيه الاهتمام نحو الانتشار التاريخي للسلمات الثقافية المركزي والدائري، ومن ثم رائد المدرسة الامريكية (Boas) وتلاميذه بالتوجه نحو التاريخية-التجزئية للثقافة عند توجيه الاهتمام نحو منطقة العناصر الثقافية او ما يعرف بمنطقة الثقافة لبيان مفهوم النمط ومدى تماثله في أقاليم جغرافية.

على الرغم من أن الترجمة في الأنثروبولوجيا تنطوي بوضوح على إجراء أكثر تعقيداً من الترجمة الأدبية، وان دراسات الترجمة، التي ظهرت حديثاً لاسيما في الولايات المتحدة كنظام متميز لا يتعامل فقط مع السياق التاريخي والثقافي للترجمة، ولكن أيضاً مع المشكلات المرتبطة بترجمة النصوص، التي تقدم بعض المساعدة لعلماء الأنثروبولوجيا في مواجهة قضايا مماثلة في عملهم.

تباينت نماذج مختلفة للترجمة من حيث الدرجة التي كانت موجهة نحوها، اي نحو لغة الهدف أم إلى لغة المصدر، إذ ما نوع الاتصال الذي يجب أن يكون بين النص الأصلي (المحلي) والترجمة؟ وهل دور المترجم، كما هو مطبوع على

الترجمة، موازٍ لدور الأنثروبولوجي بوصفه مترجماً للثقافات الأخرى المغايرة لثقافته، فإن الإجابة تعتمد على افتراضين مختلفين في نظرية الترجمة فيما يرتبط باستعمال اللغة هما: المفهوم الفعال أو الآلي للغة (Instrumental) والذي يعد أسلوباً لتواصل المعلومة الموضوعي، ومعبراً عن الفكر والمعاني عندما تشير المعاني إلى واقع تجريبي أو يشمل وضع براغماتي، والمفهوم الهرمنيوطيقي للغة (Hermeneutic) الذي يؤكد على التأويل، المؤلف من الفكر والمعاني، حيث يشكل هذا الأخير (الافتراض الثاني) الواقع والتفسير للقيم الخلاقة وهو المميز أو المفضل، كما تطورت نماذج التنافس للترجمة، وهناك من يرى الترجمة كفعل طبيعي، بوصفها أساساً للتواصل بين الثقافات الذي طالما ميز الوجود البشري، في البداية، يؤكد هذا المنهج على الطابع المشترك والعالمي للتجربة الإنسانية وأوجه التشابه فيما يبدو، على اختلاف اللغات والثقافات، في المقابل، هناك وجهة نظر مفادها أن الترجمة، التي ينظر إليها على أنها اقتلاع وترجمة للمعاني الضعيفة أو الهشة للغة المصدر، هو غير الطبيعي (Venuti 2000: pp5-6).

قد تختلف قيم ثقافة لغة المصدر عن تلك الخاصة بلغة الهدف، ويجب التعامل مع هذا الاختلاف في أي نوع من الترجمة، من الواضح أن الترجمات التي يقوم بها علماء الأنثروبولوجيا لا يمكن أن تساعد ولكن لها آثار أيديولوجية، كيف يحفظ احداً ما القيم الثقافية للغة المصدر في الترجمة إلى لغة الهدف، والتي عادة ما تكون الهدف من الترجمة، وتعد قيم الثقافة المحلية جانباً أساسياً لمعظم الظواهر الثقافية التي يعمل علماء الأنثروبولوجيا على وصفها، وقد تختلف هذه القيم عن قيم ثقافة الهدف وتتعارض معها، وبدأت تظهر مفهومات النسبية الثقافية واللغوية في سبعينيات القرن الماضي على السطح في الولايات المتحدة، إذ ينص هذا الاتجاه (على مستوى الأنثروبولوجيا) أن جميع الثقافات فريدة ومختلفة وأن الترجمة الثقافية مهمة صعبة إن لم تكن مستحيلة، ولكن يجب محاولة الترجمة الثقافية إلى لغة عالمية لأن التفاهم بين الثقافات هو هدف مهم، ومع ذلك، هناك أيضاً بعض الذين يؤيدون الموقف الذي على مستوى معين من الاعمام هناك شمولية لكل من اللغة والثقافة.

يُميز (R. Jakobson) بين الترجمات إلى اللغة الواحدة (Intralingual) أي إعادة صياغة أو تفسير العلامات اللفظية عن طريق علامات أخرى من نفس اللغة، والترجمة بين اللغات (Interlingual) أي الترجمة الملائمة، وتفسير الإشارات اللفظية عن طريق بعض اللغات الأخرى، والترجمة بين السيميائية (Intersemiotic) أي تفسير العلامات اللفظية عن طريق علامات نظام تسجيل غير اللفظي، ويشير إلى أن معنى الإشارة اللغوية هو ترجمتها إلى بعض العلامات البديلة الأخرى، وخاصة تلك التي تم تطويرها بشكل كامل، وقد أدرك (Jakobson)، كما فعل (Boas) من قبله، أن الذي يحدد النمط النحوي للغة هي جوانب الخبرة التي يجب التعبير عنها، وأن الترجمات

تتطلب معلومات تكميلية في الغالب لأن اللغات مختلفة فيما يجب أن تنقله، وما يتم نقله، واستشهد (Jakobson) بمثال عن نوع المعلومات التكميلية، التي يجب توافرها عند مناقشته لأسماء غير الحية التي يتم تجسيدها حسب النوع الاجتماعي (Gender)، إذ ان كلمة الموت (Death) في الروسية هي أنثوية، الممثلة بوصفها المرأة، بينما في الألمانية، الكلمة ذكورية ومن ثم تمثل بوصفها الرجل، من الواضح أن التمييز في مثل هذا النوع مهم عندما يقوم المرء بأي نوع من الترجمة، يجب دائماً تقديم السياق الثقافي للترجمة اولا (Venuti 2000: pp114-117).

يجيب اللغوي والمترجم³ (E. Nida) صاحب توجه التكافؤ الديناميكي⁴ عن مدى قرب أي ترجمة إلى النص الأصلي أو العبارة الأصلية؟ بالقول: بما أنه لا توجد لغتان متطابقتان إما في المعاني المعطاة للرموز المطابقة، أو بالطرق التي تترتب بها هذه الرموز في عبارات وجمل، فمن المنطقي أنه لا يمكن أن يكون هناك أي تطابق مطلق بين اللغات... لا ترجمة دقيقة تماماً، قد يكون التأثير مقرباً إلى حدٍ معقول من الأصل ولكن ليس له هوية بالتفصيل، لذلك، يجب أن تنطوي عملية الترجمة على درجة معينة من التأويل من جانب المترجم، ويجب أن تتطابق الرسالة في لغة المستقبل قدر الإمكان مع العناصر المختلفة للغة المصدر؛ وان المقارنة المستمرة بين الاثنتين ضرورية لتحديد الدقة والتناظر، وعلى المرء أن يعيد إنتاج شكل ومحتوى النص الأصلي حرفياً وبشكل ذي معنى، ويقترّب من التقريب قدر الإمكان، وأن يتعرف على الشخص المتكلم في لغة المصدر ويفهم عاداته وطريقة تفكيره ووسائل التعبير، على أن تحقق الترجمة الجيدة نفس الغرض في اللغة الجديدة كما فعلت النسخة الأصلية في لغة المصدر، فضلاً عن انه يجب أن يكون لديه الشعور باللغة الأصلية (Venuti 2000: p126).

يلبي (Nida) احتياجات القارئ، مشيراً إلى أن الترجمة يجب أن تتميز بطبيعية التعبير، وأنه ينبغي أن ترتبط بثقافة المستقبل، ولهذا السبب، يُنظر إليه على أنه في معسكر أولئك الذين يدعون إلى تدجين أو ترويض الترجمة (Domestication) إذ يجب أن تكون الترجمة منطقية وأن تنقل روح وطريقة الأصل، وأن تكون حساساً لأسلوب النسخة الأصلية، ويجب أن يكون لها نفس التأثير على الجمهور المستقبلي كما كان الأصلي في جمهوره، والحل، كما يراه، هو نوع من التكافؤ الديناميكي الذي يوازن بين الاهتمامات، على الرغم من أن المعادلة يجب أن تكون موجهة نحو المصدر، في نفس الوقت يجب أن تتوافق مع لغة وثقافة المستقبل، ويشرح بالتفاصيل في مجلده (مهارة الترجمة) فيما يرتبط بالطرق التي يجب أن يستعملها المترجم للوصول على أقرب تقريب للغة المصدر، بما في ذلك استعمال الحواشي لإلقاء الضوء على الاختلافات الثقافية عندما يتعذر العثور على التقريب القريب، وناقش أيضاً مشاكل ترجمة المحتوى

العاطفي للنص الأصلي، والحاجة إلى نقل السخرية، والمفارقة، والنزوات، والعناصر المشحونة أو الانفعالية للمعنى الأصلي (Venuti 2000: 139-140).

تستند نظريات Nida على مفهوم متسامٍ للإنسانية بوصفها جوهرًا لم يتغير من حيث الزمان والمكان، لأن ما يوحد البشرية أكبر من الذي يعمل على انقسامها، وبالتالي حتى في حالات اللغات والثقافات المتباينة جدًا، هناك أساس للتواصل، ويتبع معظم علماء الأنثروبولوجيا في عملهم الحقلّي هذه التوجهات.

تعكس وتؤكد الترجمة للنص الأجنبي على الاختلافات الثقافية بين لغات المصدر ولغات الهدف، والهدف في الأنثروبولوجيا، هو عرض الجوانب المختلفة للثقافة أو المجتمع التي يتم فحصها في "الترجمة" التي هي صحيحة إلى الأصل قدر الإمكان، لا ينبغي تقديم تنازلات لجعل الوصف أكثر قبولًا وسلاسة للجمهور المستهدف إلا بصراحة. يجب أن يتم إدراك في لغة الهدف العلاقات النصية للغة المصدر مع عدم الإخلال بالنظام اللغوي الأساسي للغة الهدف، من النقاط المهمة التي أثّرت، والتي ترتبط بشكل مباشر أكثر بالترجمات من علماء الأنثروبولوجيا، هي أن النص الأجنبي يعتمد على ثقافته الخاصة من أجل الوضوح، ولذلك، فمن الضروري عادةً توفير معلومات تكميلية وشروح وما شابه ذلك للترجمة الأنثروبولوجية، هذا هو ما يشار إليه باسم التوضيح، وهذا ضروري بشكل خاص عندما لا تحتوي لغة المصدر وثقافتها على مرادفات لغوية وثقافية دقيقة في لغة الهدف. ومثال ذلك ابداع الأستاذ شاكر مصطفى سليم في ترجمته كتاب الإنسان في المرآة بالنسبة للنص الأصلي (المتن) وفي الشروحات التي تضمنتها الترجمة في الهامش أو نهاية الكتاب.

تعمل الأنثروبولوجيا في الحفاظ على أكبر قدر ممكن من ثقافة المصدر ولغته التي هي موضوع التحقيق في الترجمة أو الإثنوغرافيا، ويبدأ هذا من العمل الحقلّي، عند تسجيل المعلومات، ويستمر في تحليل البيانات وفي القرارات المرتبطة بطبيعة النص الإثنوغرافي الذي سيتم إنتاجه، ومن ناحية أخرى، يجب أن يكون النص مفهوماً عند قراءة ذلك النص، سواء كان القارئ محترفًا أو غير محترف، من بعض النواحي، فإن كتابة نسخة شائعة من النص الإثنوغرافي لأحد الأشخاص هو في حد ذاته ترجمة للنص الإثنوغرافي، الموجه نحو عالم الأنثروبولوجيا المحترف، في التحليل النهائي، هي مسألة التوازن أو المقايضة بين الحاجة إلى أن تكون مفهومة عند قارئ النص والحاجة إلى نقل أكبر قدر ممكن من المادة الأصلية، السؤال المعروف هو كيفية تحقيق هذا التوازن، وتكون الإجابة بأنه يجب على الترجمات، في التحليل النهائي، أن تتفاوض على الاختلافات اللغوية والثقافية بين لغة المصدر وثقافته ووجهة نظر الجمهور المستهدف للترجمة.

تعد النظريات اللغوية المرتبطة بطبيعة وخصائص اللغة، والتي لا تزال تشكل أهمية كبيرة لكثير من علماء الأنثروبولوجيا اليوم، هي وثيقة الصلة بمسألة الترجمة، مثل فرضية (Sapir-Whorf) التي تؤكد أن البشر الذين يتحدثون لغات مختلفة لا يعيشون في نفس العالم الحقيقي مع تسميات مختلفة مرفقة: إنهم يعيشون في عوالم مختلفة - وتعمل اللغة نفسها كمرشح على الواقع، وتشكيل إدراكنا للكون من حولنا (Werner and Campbell 1970: 398).

هذا المبدأ، الذي يجمع بين الحتمية اللغوية والنسبية اللغوية، هو في معارضة واضحة لأفكار (Chomsky) عن عالمية البناءات العقلية المرتبطة باللغة، حقيقة أن الترجمات هي الممكنة أو المتاحة قد تفسد فرضيتهما وتدعم نظرية عالميات⁵ (Chomsky) كالمترجم ومكانته الوسيط بين المجتمع المحلي والعالم الخارجي، ويعد بمثابة المستمع الذي يترجم الثقافة المحلية، ويخلق صورة لها نحو العالم الخارجي، وقد يكون النظر إليه أيضاً على أنه الغريب أو الخارجي، وما يتم إنتاجه (هو أو هي) عبارة عن نص إثنوغرافي، والذي يجب أن يتضمن تصيغاً للمفاهيم المحلية ووضعها في سياقها، والتي قد لا يكون لها مرادف في لغة الهدف، وكما هو الحال بالنسبة لجميع النصوص، فإن النص الإثنوغرافي مشروط بشكل طبيعي، يوازي أداء الراوي في نص اللغة العربية الكلاسيكية، مع اكتسابه المعرفة والفهم، عندها ستكون ترجمته للثقافة أكثر وضوحاً وتألقاً.

المبحث الثاني: (التظاهر الدوري والنص الإثنوغرافي)

1- الترجمان الثقافي:

يعد الاستاذ السيد حافظ الاسود واحدا من اعلام الانثروبولوجيا العربية المعاصرة، الذي أنهى الشهادة الجامعية الاولى (البكالوريوس) عام 1972 من قسم الفلسفة والدراسات الاجتماعية بجامعة الاسكندرية، وحصل على شهادة الماجستير عام 1978 من جامعة الاسكندرية تحت اشراف استاذ الانثروبولوجيا احمد ابو زيد، ثم انتقل الى جامعة ميشيغان وحصل على ايضا على شهادة الماجستير عام 1984، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من نفس الجامعة عام 1988 تحت اشراف استاذ الانثروبولوجيا (R. Rappaport)⁶.

نال الدكتوراه عن اطروحته (أنماط الفكر: دراسة أنثروبولوجية لوجهات نظر العالم في الريف المصري) وتخصص في الانثروبولوجيا الثقافية لاسيما الكتابة في رؤى العالم والفكر والانثروبولوجيا الرمزية والدين والمجتمع الاسلامي والكوريات والشخصية في المجتمع الخليجي والعربي والفولكلور، وشغل مناصب عديدة امتدت من جامعة طنطا في عقد الثمانينيات ثم انتقل الى الخليج لاسيما الامارات في عقد التسعينيات والعودة الى جامعة طنطا اوائل القرن الحادي والعشرين، ومن ثم الانتقال الى البحرين من (2004-2008) ومن ثم الى

الإمارات، ولا يزال استاذًا في كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

له مؤلفات ودراسات وبحوث عديدة باللغتين العربية والانجليزية، مثل رؤى العالم والحياة اليومية عند المسلم (Muslim Worldviews and Everyday Lives) عام 2012، يقدم فيه مفهومات رؤى العالم وكوزمولوجيا المسلمين، موضحًا أن الأنواع المختلفة من لرؤى العالم لا يتم بناؤها إلا من علماء الدين أو النخبة المثقفة، ولكنها تندرج في التقاليد الإسلامية، متضمنة في الخيال الشعبي، وتنطلق من خلال تفاعل الناس اليومي في مختلف البلدان والمجتمعات. وكتاب صدر عام 2002 باللغة الانكليزية (Religion and Folk Cosmology) ومن ثم تمت ترجمته للعربية تحت عنوان الدين والتصوير الشعبي للكون: سيناريو الظاهر والباطن في المجتمع القروي المصري عام 2009، وكتاب الأنثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها عام 2002، ويعد من الكتب الرائدة في هذا المجال، على مستوى المكتبة العربية.

2- النص الإثنوغرافي:

افاد السيد الأسود انه قد تلقى دعوة في منتصف فبراير عام 2005، من أصدقاء شيعيين متباعدين عن بعضهم البعض، مثل أحمد مرهون وعبد الله العراضي، لحضور طقوس المحرم في المنامة وكذلك في القرى المجاورة كالشركان، وعراد، والبوراي، وبنى جمرة والكارانة، وعلى الرغم من أنني كنت أعرف الكثير عنهم نظريًا، إلا أنه قد أتاحت هذه الدعوة غير المسبوقة لرؤية الطقوس والمشاركة فيها، ويقصد انغماس الباحث الأنثروبولوجي في الفعاليات والمشاركة فيها وفقًا لمبدأ الملاحظة المشاركة، وفيما يلي بعض الملاحظات الإثنوغرافية للطقوس الحسينية (نفذت في عامي 2005 و 2006)، وتأملات عن أهميتها لشعب البحرين.

خصص الجزء الاول من بحثه للجانب الرمزي تحت عنوان (ملاحظات وانعكاسات في الرمزية الشيعية الجسدية) دون فيه المقدمة الآتية: على الرغم من حقيقة أن مملكة البحرين قد شهدت تغيرات هائلة في توجهها نحو الوسط العالمي، والحداثة، وتحرير الاقتصاد، إلا أنها لا تزال تهيمن عليها رؤى العالم التقليدية المنكسرة والمشروعة في الخطابات الطقوسية لكل من الشيعة، الذين يطلق عليها محليًا البحارنة (Baharna)، والسنة الذين يظهرون تفانيًا عميقة لعائلة النبي، آل البيت، والمعلوم انه تشكل الشيعة الأغلبية، أو ثلثي السكان.

قدم ملخصًا تاريخيًا سريعًا عن الواقعة وشخصها ومعسكر القتال وتاريخ حدوثها، ومن ثم الانتقال الى المشاركين في احياء المراسم بالقول: يظهر الحدث

الأكبر في الاحتشاد او التجمعات المركزية التي تظهر في عددا من البلدات والقرى، اذ تبدأ في العاشر من الشهر المحرم عند الساعة 3:30 أو 4:00 مساءً، التجمعات التي تمتد الى ثلاث ساعات، حيث جاءت المسيرات (الموكب *mawkab*) للمدن والقرى المشاركة من خلال الطريق الرئيسي للقرية المضيفة التي تعرض المجموعات المكثفة أو الطقوس الحسينية (يوثق بالصور تلك الموكب).

ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف الخطب التي ترافق المراسم، اذ إن اسم الحسين هو الغالب في جميع الخطب الدينية الشيعية التي يتم تقديمها في كل من المساجد والمآتم (*ma'atims*)، فالمآتم هو مكان أو قاعة كبير تستعمل للتجمعات الاجتماعية والدينية بالإضافة إلى المناسبات الخاصة مثل طقوس الموت وحفلات الزواج، وتشارك النساء الشيعيات في المآتم المصممة خصيصاً لهن، وتقوده الشيخة (*shaykha*) او الملاية (*mullaya*) التي تدرت دينياً وتكون بمثابة الواعظ، او الموجه.

ويتجه نحو تدوين حال البيوت والشوارع والمساجد والمباني... التي توشحت بالأعلام السوداء واللافتات والملصقات الحسينية، وتوزيع الطعام والشراب، ونصب الموكب والضرب على الصدور (*latmah*) وصوت الطبول فضلاً عن الخطب التي يصور فيها الشيخ او الخطيب الواقعة، والقصائد التي يقدمها الرادود الحسيني (*radud*) مثل باسم الكربلائي وحسين الاكرف التي تدفع المشاركين الى البكاء والنحيب تجاه المواقف التي تعرض لها الحسين وانصاره التي يصفها بالنص الاتي:

Men showed sincere love, mercy and emotion toward the whole event of 'Ashura. These features stand against the notion of patriarchy or male dominance in Arab culture. Put differently, those who emphasize masculinity of Arab patriarch cannot explain the intense crying men do when they remember al-Husayn or his family (Zaynab, Sakyna, Ruqayyah and so forth). Al-Aswad 2007:(part 1) p3.

اظهر الرجال العشق الخالص، والرحمة والعاطفة تجاه واقعة عاشوراء عموماً. اذ تقف هذه المظاهر ضد فكرة النظام الابوي (البطريكية) او هيمنة الذكور في الثقافة العربية⁷. بعبارة أخرى، لا يستطيع أولئك الذين يشددون على رجولة البطريك العربي تفسير ما يفعله الرجال بالبكاء الشديد عندما ذكر الحسين أو أهل بيته مثل (زينب، وسكينة، ورقية وما إلى ذلك).

ويختتم الجزء الاول من بحثه بالنص الاتي:

The revolution of al-Husayn, a phrase used by the Shi'a to denote the martyrdom in Karbala, still holds powerful ethical and political symbolism for the oppressed and marginalized. By abolishing unjust treatment, mourners seek redemption in both this life and the afterlife. One of the dynamic and consistent political tools of the Shi'a is their mass demonstration (*masira*), which organizes quickly and reveals their reactions to events that occur both inside and outside the country. Al-Aswad 2007:(part 1) p4.

يستعمل الشيعة عبارة ثورة الحسين للدلالة على الاستشهاد في كربلاء، التي لا تزال تحمل رمزية أخلاقية وسياسية قوية للمظلومين والمهمشين. إذ يسعى المشيعون الإصلاح بالحياة الدنيا والآخرّة على حد سواء من خلال إلغاء المعاملة الظالمة، وان إحدى الأدوات السياسية الديناميكية والمتسقة للشيعة هي مظاهرتهم الجماهيرية (المسير *masira*)، التي تنتظم بسرعة وتكشف ردود أفعالهم على الأحداث التي تحدث داخل وخارج البلاد.

ومنح عنوان ثقافة الحزن ورمزية اللون للجزء الثاني من بحثه، وبدأ بالنص الاتي: يحزن الشيعة على الحسين ويذرف الدموع لعائلة النبي، وتحمل ألوان الأسود والأحمر والأخضر والأبيض أهمية رمزية في طقوس عاشوراء والدراما المرافقة لها، وعلى الرغم من أن الشيعة يقدرّون اللون الأسود كرمز للحياء أو التعفّف، إلا أنه يؤكد أيضاً الحزن، ويرتدي الرجال القمصان والسرّاويل السوداء غالباً في مسيرات الحداد والعزاء أو التعزية (*Aza' or ta'zziyya*). ثم يتجه إلى وصف هيئة الملابس وتصميمها وتباينها بتباين النوع الاجتماعي والمنزلة والدور بالنسبة للسيد والشيخ والعامي وتصميم العمامة ولونها، ويضيف في تدوينه الإثنوغرافي بالقول: يبدي الشيعة احتراماً كبيراً للتربة الحسينية (*al-turba al-Husayniyya*) التي هي حجر من الطين الأحمر أو البني اللون مصنوع من تربة كربلاء، يرمز لدم استشهاد الحسين حيث تكون موضع سجود الجبهة في الصلاة.

ثم ينتقل بالوصف إلى موضوع الدراما Drama الذي يعد واحداً من النشاطات التي تشهدها المراسم في عاشوراء، إذ يعرف التعزية (*ta'zzyah*) على أنها الدراما الشعائرية أو الأداء المسرحي لواقعة الطف في كربلاء، ثم يقوم بتصوير مشهد الحدث الدرامي من ناحية المكان والموقع والمستلزمات والأداء التمثيلي والدلالات الرمزية للمشخصات والألوان مثل دراما مقتل الحسين وحرّق

الخيام ومسرحية ما بعد زينب (*ma ba'd Zaynab*) ويختتم البحث بالعبارة الآتية:

To conclude, these rituals and mourning recitations symbolize struggles against any ideological or materialistic power that precludes or prohibits individuals from their rights. Al-Aswad 2007:(part 2) p4

في الختام، ترمز هذه الطقوس ومراثي الحزن إلى النضال ضد أي قوة أيديولوجية أو مادية تمنع أو تحرم الأفراد من حقوقهم.

الخاتمة:

يتشابه دور المترجم مع دور عالم الأنثروبولوجيا: وكلاهما مكلف بتفسير تجربة الثقافات الأخرى لأولئك الذين يفتقرون إلى المعرفة بها، فالترجمة هي واحدة من أقدم الممارسات البشرية سواء في أشكالها المكتوبة أو الشفهية، وانها الضرورية لجعل التواصل بين الناس لمختلف الثقافات ممكناً، وبقدر ما إذا كان التركيز على الجوانب الرسمية للنص أو على محتواه، فإنه ينبغي أن تأخذ المناقشة في الحسبان الطابع الوظيفي الأساس للترجمة، إذ لا تحدث كل الترجمات في السياق نفسه ولا يكون لها نفس الهدف، وعند التحدث عن الخصوصية، يكون السؤال المعروف من الأنثروبولوجي عن درجة وجود أرضية مشتركة بين الثقافات المختلفة أو بين المتحدثين بلغات مختلفة، ولا يفترض أن أي نظام يمكن ترجمته إلى نظام آخر، ولا يمكنه تفسير نظامين مختلفين تماماً لا يتقاسمان شيئاً واحداً من حيث الآخر، ولا يمكن لأعضاء عالم محدد أن فهم عالماً آخر إذا كان مختلفاً تماماً عن عالمه، هذه وجهة نظر الدراسات الأنثروبولوجية، إذ يتشارك البشر بعدد كبير من المفاهيم أو التصورات، ويكون الفرق بينها في الإدراك، ولذلك، سيكون لفكرة المفهوم طابع عام، وتتوافق الطريقة التي يتم النظر بها مع التصورات المحددة المميزة التي تحدث في كل ثقافة، أو عند كل فرد، لمفهوم معين مثل مفهوم الخير أو الشر أو الاحسان أو الكرم.

أخذت الأنثروبولوجيا فقط من بين العلوم الإنسانية على محمل الجد فكرة أنه بجانب أو خلف الحقيقة الواضحة التي تشير إلى أن جميع البشر يعيشون في نفس الكون، إلا ان هناك شعوراً بالعيش في عوالم مختلفة، وهذا يعني تنوع القيم الإنسانية، والأهداف، والتصورات، وربما حتى غير المتكافئة طالما اختلفت التصورات التي يحملها الناس، أي اختلاف العوالم الحية، ومن المحتمل أن يكون التنوع البشري أكثر وضوحاً باللغات البشرية، التي تعد أهم مجال للتنوع في العالم. وهناك حقيقة مألوفة مفادها: يتحدث النوع البشري آلاف من اللغات المختلفة غير المفهومة بشكل متبادل. وهذا يعطي الانطباع المستمر، عبر الأجيال، أن اللغات المختلفة تنقل عوالم مختلفة وفكرة أن الإثنوغرافيا هو نوع من

الترجمة تم التعامل معها بشكل مجازي، كمؤشر على الحركة الأوسع لرؤية الثقافات كنصوص ويتم تفسيرها أو تأويلها وفقاً لذلك.

ثبت الهوامش:

¹ لغة تواصل مُشترك (باللاتينية: Lingua franca) هي لغة تواصل تستعمل بين شخصين لا تجمعهم لغة أم واحدة، وتنتشر على نطاق واسع بشكل أكبر بين الأفراد الناطقين بها كلغة أم، وعادة ما تكون لغة العلوم أو لغة التجارة الدولية. مثال على ذلك العربية إذ بقيت لغة التواصل المشترك بين شعوب الخلافة العباسية خلال القرون الوسطى، كما أصبحت اللغة العربية هي لغة المعارف والعلوم، وفي العصر الحالي تمثل اللغة الإنجليزية لغة التواصل المشترك الأكثر استعمالاً.

² جيمس كليفورد (من مواليد 1945) باحث متعدد التخصصات يجمع عمله بين وجهات النظر من التاريخ والأدب والأنثروبولوجيا. مؤلف العديد من الكتب التي تم الاستشهاد بها وترجمتها على نطاق واسع، بما في ذلك كتاب الشخص والأسطورة: مورييس لينهاردت في العالم الميلانيزي عام 1982 وكتاب مسارات: السفر والترجمة في أواخر القرن العشرين 1997 وكتاب على حواف الأنثروبولوجيا عام 2003 وكتاب ان تصبح من السكان الأصليين في القرن الحادي والعشرين عام 2003

³ يوجين نايدا Eugene Nida (1914-2011) مترجم ولغوي معاصر وهو واضع نظرية التكافؤ الديناميكي

⁴ نظرية التكافؤ الديناميكي dynamic equivalence في الترجمة والتي تعرف أيضاً بالتكافؤ الوظيفي. حيث تسعى هذه المنهجية إلى ترجمة مقاصد النص الأصلي بدل اللجوء إلى ترجمة الكلمات والجمل دون الالتفات إلى الوظيفة التواصلية للنص.

⁵ يقمّ نعوم تشومسكي نظريته في اللغة مفادها الاتي: ان اللغة فطرية وعالمية بحيث تولد مع ولادة الإنسان كما يشترك كل البشر في امتلاك لغة عالمية واحدة كآمنة في جيناتنا البيولوجية أي في ما نرث من معلومات في أجسادنا الحية، وبالتالي كل اللغات المختلفة التي نعرفها كالفرنسية والإنكليزية والإسبانية والعربية إلخ ليست سوى تجليات متنوعة للغة العالمية التي يشترك كل البشر في امتلاكها. وكما يقول تشومسكي، إذا زارنا كائن فضائي سيجد أن كل البشر يتكلمون بلغة واحدة وأن اللغات التي نعدّها مختلفة ليست سوى لهجات متنوعة للغة المشتركة بيننا جميعاً.

⁶ روي رابورت (1926-1997) انثروبولوجي امريكي، عرف بإسهاماته المستقيضة للعلاقة بين الطقوس والايكولوجيا، وكيفية فهم الناس لآثار أفعالهم في العالم وكيف يفسر عالم الأنثروبولوجيا البيئة من خلال القياس والمراقبة. شغل كرسي الاستاذية في جامعة ميشيغان من عام 1965 حتى وفاته، له مؤلفات عديدة اهمها (خنازير من اجل الأجداد: الطقوس في الايكولوجيا عند شعب غينيا الجديدة) عام 1968.

⁷ يعد هشام شرابي واحدا من أصحاب توجه الهيمنة الذكورية في المجتمع العربي، اذ يقوم مفهوم النظام الأبوي او البطركية عنده على أساس وجود روابط تراتبية بين افراد المجتمع، يخضع

بموجبها البعض البعض الآخر، يسميها ذهنية أبوية تأخذ نزعة سلطوية شاملة ترفض النقد ولا تقبل بالحوار إلا أسلوباً لفرض رأيها فرضاً.

المصادر:

1. Ellen, R. F. (1984) *Ethnographic Research: A Guide to General Conduct*. New York: Academic Press.
2. El-Sayed Al-Aswad (2002) *Religion and Folk Cosmology: Scenarios of the Visible and Invisible in Rural Egypt*. By (Westport, Conn.: Praeger,.
3. El-Sayed Al-Aswad (2007) Religious Rituals and 'Ashura' in Bahrain: Observations and Reflections on Shi'a Bodily Symbolism" Part one: <http://tabsir.net/?p=131> *Tabsir: Insight on Islam and the Middle East* [Website], April 17.
4. El-Sayed Al-Aswad (2007) Religious Rituals and 'Ashura' in Bahrain: The Culture of Grief and Color Symbolism, Part 2: <http://tabsir.net/?p=132> (*Tabsir*: April 24.
5. El-Sayed el-Aswad(2012) *Muslim Worldviews and Everyday Lives*, lanham, MD: Altamira Press,
6. Malinowski, Bronislaw (1961) *Argonauts of the Western Pacific*. New York: E.P. Dutton,
7. Paula G. Rubel and Abraham Rosman (2003) *Translating cultures : perspectives on translation and anthropology*, Oxford, United Kingdom.
8. Venuti, Lawrence (ed.) (2000) *The Translation Studies Reader*. London and New York: Routledge.
9. Werner, Oswald and Donald T. Campbell. (1970) "Translating, Working Through Interpreters, and the Problem of Decentering." in *A Handbook of Method in Cultural Anthropology*. Naroll, Raoul and Ronald Cohen (eds). New York: Columbia University Press.

الشعر الحسىنى وأثره فى شحد الهمم الشاعر الشىخ عبد المنعم الفرطوسى أنموذجاً

الدكتور مصعب مكى زبىبة

قسم اللغة العربىة
كلية الآداب - جامعة الكوفة

ملخص البحث

إن الخوض في مسألة الشعر الحسيني الملتزم بحب آل البيت عليهم السلام موضوع عميق الجذور، يمتد إلى عهود تاريخية قديمة، من أيام اغتصاب الحق وتجاهل الولاية؛ فلم تخدم الأصوات من ذلك العهد، وبقي سعيها مستمر إلى يومنا هذا، وكان الشاعر عبد المنعم الفرطوسي خير دليل على هذا الخط الولائي الملتزم العميق، إذ نلحظه قد صدح بصوته من أجل إبراز مظلومية تلك الأمة الموصفة بالمصطفاة من لدن الله تعالى.

وينطلق هذا الحب من الإصرار على المبدأ، والالتزام بالأدب، والإيمان بالعمق التي تتطلب ثباتاً على الموقف، وتضحية من أجله؛ ومشاركة الأديب لقضايا أمته ومبادئها المصيرية، ومفاهيمها الإنسانية والاجتماعية، والوقوف إلى جانب الإنسان في توجهاته وقراراته، وتحمل مبادئ اللوج إلى القيم السماوية، من أجل شحذ الهمم الإنسانية ونيل الانتصارات في المعارك المصيرية التي هي دائمة الوقوع بين قطبي الحق والباطل، ولعلّ من أبرز الأمثلة على هذا الصراع هي المعارك التي دارت بين جنود المرجعية المتمثل بالحشد المقدس، وأعداء الإنسانية وأقطاب الباطل والمتمثل بالإجرام الداعشي الذي قتل وسبى وحطم من دون وجه حق.

إنّ الالتزام هو الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان في الأدب، وهذا الموقف يقتضي صراحةً ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر؛ حتى يحافظ على التزامه دائماً، ويتحمل كامل التبعية التي يترتب على هذا الالتزام. وأن يكون جاداً في طرحه، فضلاً عن البعد الفني الذي لا بد منه، لأن من دونه يصبح الأدب جثة هامدة لا روح فيها ولا إحساس، ويمد الالتزام الكاتب بزخم الثورة والتحدي والانتفاضة ضد الشر وجذوره، فيكون فنه وسيلة لخدمة فكرة إنسانية نبيلة، لا مجرد تسلية عرضها الوحيد المتمتع والجمال.

والحقيقة أن القصيدة الحسينية الخالدة لم تنضب في يوم من الأيام وبقيت على حيويتها ودفقها الثوري، تمد الاجيال المتتابعة بالانتفاضة والحماس، فكانت محفراً إبان الانتفاضة الشعبانية سنة 1991م، وها هي الآن محفزة للحشد الشعبي، فكانت الانتصارات والبطولات.

إنّ الشعر الثوري والولائي الملتزم بلغ شأوه باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، سبط النبي صلى الله عليه وآله. ومن الشعراء الموالين الملتزمين بخط الولاية الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي الذي كانت لنشأته الدينية والإسلامية سبباً في توجهه الشعري العقائدي الملتزم، وهو في هذا واكب كبار الشعراء الذي عرفوا بالتزامهم وثباتهم على قول الحق من قبيل: الشاعر الكميّ بن زيد الأسدي، والشاعر دعيّل الخزاعي، وغيرهم كثير... فكان ديوانه (ديوان الفرطوسي) يحمل في طياته عبق الولاء والثبات على حب أهل البيت (عليهم السلام)، والثورة وعدم الانتشاء لإرادة المنع والكبت، فظلت المحافل الأدبية عاجزة به، تترقب ارتقاءه المنبر من أجل أن يصدح بصوته الولائي العميق والجليل.

وكان للجانب الفني حصته في شعر عبد المنعم الفرطوسي، إذ إنه استعمل الأساليب الفنية من تشبيه ومجاز وكناية واستعارة التي تبلورت في فن (التجسيد)، وغيرها من الأساليب الفنية، والتي كان لها الأثر الفعّال والمهم في التأثير في المتلقي، فأصل الشعر التأثير والعاطفة والتفاعل. ومن هنا جاء نجاح الشاعر في مشروعه الأدبي بعدما اكتسب البعدين الموضوعي والفني.

الشعر الحسيني وأثره في شحذ الهمم الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي أنموذجاً

الدكتور مصعب مكي زبيبة

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الكوفة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الطيبين الأطهار عليهم السلام؛ وبعد

فإن الخوض في مسألة الشعر الولائي الملتزم بحبّ آل البيت (عليهم السلام) موضوع عميق الجذور، يمتد إلى عهود تاريخية قديمة من أيام اغتصاب حق الولاية، فلم تخدم الأصوات من ذلك العهد؛ وبقيت مستمرة إلى يومنا هذا، وكان الشاعر عبد المنعم الفرطوسي خير دليل على هذا الخط الولائي الملتزم العميق، إذ نلحظه قد صدح بصوته من أجل إبراز مظلومية تلك الثلة المؤمنة المصطفاة من لدن الله تعالى، ومن أجل الدفاع عن هذا الخط..

يركز البحث على مبحثين كان الأول منهما بعنوان: (البعد العقائدي الثوري في شعر عبد المنعم الفرطوسي)، وحاول هذا المبحث أن يتلمس أبعاد العقيدة عند الشاعر، وأهم المواقف التي تبناها من أجل إعلاء كلمة الحق.

أما المبحث الثاني فقد تركّز على البعد الفني وناقش موضوعين مهمين من الأساليب البلاغية؛ ألا وهما البعد التشبيهي والبعد التجسدي اللذان تعمقا في النص الشعري للفرطوسي، وتقدم هذين المبحثين تمهيد درس حياة الشاعر وأهم مراحلها، ومكانته الشعرية. وختم البحث بخاتمة دُوّنت فيه أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

وفي الختام لا أدعي الكمال - حاشا لله تعالى - فهذا من مختصاته، وإنما أقول إنني بذلت ما استطعت من جهد من أجل أن يظهر بأكمل وجه، وإن كان لي من عذر فإن عذري أنّ ابن آدم مجبول على الخطأ والزيغ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام والصلاة على رسول الله محمد (ص) وعلى آله الطيبين الأخيار (عليهم السلام).

التمهيد:**حياة الشاعر عبد المنعم الفرطوسي وآثاره الأدبية والعلمية:****أ. اسمه، ولقبه، وصفة أخلاقه:**

هو الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عيسى ابن الشيخ حسن المعروف بالفرطوسي الكبير. ذكر سيرته المؤلف علي الخاقاني في كتابه شعراء الغري في الجزء السادس بقوله: ((مترسل إلى أبعد حد في سيره وجلسته وتواضعه، وحسن خلقه، وميوعة الاجتماعية، الميوعة التي حدثت على أن يساير نفراً تفوق عليه بجميع القوى والفضائل، ولكنه لوداعته وعدم شعوره بشخصيته، أو بتعبير أصح نكرانه لذاته نكراناً غريباً حداه على هذه المشايعة، غير أنه في الوقت نفسه احتفظ بآتزان نفسي وعزة وإباء جعلته محترماً في نفوس الناس وبالأخص في نفس من اطع على غرائزه))⁽¹⁾.

ب - آثاره الأدبية والعلمية:

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي من الكتاب المكثرين في نتاجهم الأدبي والعلمي، جمع بين الأدب والشعر، والعلم والتحصيل الحوزوي؛ ولهذا توزع نتاجه المطبوع والمخطوط بين هذين الموردين، وهذه الآثار هي:

أولاً - ديوان الفرطوسي: طبع بجزأين في مطبعة الغري الحديثة بالنجف سنة ١٩٥٧م، وأعيد طبعه ثانية سنة ١٩٦٦ م. وقد جُمع الديوان في حياة الشاعر، وهو من قام بجمعه والعناية به، وتصحيحه. وقد توزع الديوان على سبعة أبواب رئيسية، هي على التتالي:

1- من وحي العقيدة، وضم الشعر الذي قيل في حق الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار عليهم السلام، وهذا الباب من أهم الأبواب التي ضمها الديوان.

2- صور من المجتمع، وضم الشعر السياسي والوطني والاجتماعي.

3- دروس، وكان في الأخلاق والتوجيه والآثار والعبر.

4- في محراب الطبيعة، وجاء في وصف الطبيعة والأرياف.

5- طلائع الآمال: وهي القصائد التي انشدت في استقبال بعض الوفود القادمة إلى مدينة النجف الأشرف.

6- الحب والجمال: جاء في العاطفة والتغزل والوجدان.

7- دموع وعواطف، وانحسر على رثاء الشخصيات الوطنية والاجتماعية والأدبية والتي تجمع الشاعر بعلاقات أخوية معهم.

ثانياً: ملحمة أهل البيت (عليهم السلام): وهي الملحمة التي قيلت في أهل البيت (عليهم السلام)، وقدم لها الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس) وقد ضمت (٢٨٢٠٤) بيتاً طبعت في سنة (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)، واعيد طبعتها بتقديم المرحوم السيد محمد حسين فضل الله عام (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م).

ثالثاً: الفضيلة: وهي في السرد شعري.

رابعاً - أرجوزة شعرية في المنطق: وقد ضمت مائتي بيت شعري يوضح علم المنطق بأسلوب شعري يسهل حفظه لدارسي العلوم الفلسفية والمنطقية وطلبة العلم في الحوزة العلمية.

خامساً: شرح حاشية ملا عبد الله في علوم المنطق.

سادساً: شرح شواهد مختصر المعاني للتفتازاني.

سابعاً: شرح كفاية الأصول للمحقق الكبير الأخوند محمد كاظم الخراساني (قدس سره).

ثامناً: شرح الرسائل الأصولية للشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره).

تاسعاً: شرح رسالة الاستصحاب للشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره).

عاشرًا: شرح مقدمة البيع من كتاب المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره).

ج - نتاجه المخطوط:

- الوجدانيات: هي مجموعة شعرية تركزت على غرضي الغزل والوصف.

د - نشاطه الأدبي والثقافي:

يعد الشيخ عبد المنعم الفرطوسي من مؤسسي جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف، فضلا عن الشيخ محمد الخليلي، والشيخ علي الصغير، بحسب قرار أعضاء هيئة الجمعية المنعقد في 1949/4/30م. وقد ألقى الشاعر عبد المنعم قصيدة ترحيبية لقدم الأديب المصري البارز الدكتور زكي مبارك إلى الرابطة الأدبية، في المقابل دون الدكتور مبارك هذه الجلسة الأدبية في كتابه (ليلي المريضة في العراق)؛ إذ بقيت ذكريات النجف والرابطة الأدبية عالقة في ذاكرته.

والقى الشاعر الفرطوسي قصيدة ترحيبية بمناسبة تكريم الوفد العلمي القادم من مصر لزيارة مدينة النجف الأشرف، بعضوية كل من الدكتور حامد زكي عميد كلية الحقوق المصرية، والدكتور السيد حسونة والاستاذ مبروك، والدكتور جابر جاد في سنة 1943م، وقد جاء فيها:

أقصر يراعي لست بالخل الوفي
وجفوت حدك إن نبوت فلم تُجد
هذا ربيعُ الفضل قد أهدى إلى
واديك من نفحاته ما يصطفي
إن لم تعبر عن هواي بما يفي
تكريم من وافى وأنت به حفي

هـ - وفاته:

عندما تدهورت الحال الصحية للشيخ عبد المنعم الفرطوسي نتيجة لما كان يعانيه من مرض في جهازه التنفسي، ادخل في إحدى مستشفيات (أبو ظبي)، إذ كان مقيماً هناك، وقد وافته المنية نتيجة لهذا المرض العضال سنة (١٤٠٤ هـ/1983 م) عن عمر ناهز السبعين. ونقل جثمانه الطاهر (رحمه الله) إلى النجف الأشرف ليُدفن في مقبرة وادي السلام، بجوار الإمام علي (عليه السلام)، وهو الذي يتمنى شفاعته. وقد رثاه كثير من الأدباء والشعراء والشخصيات الدينية والسياسية الكبيرة.

رحم الله تعالى الشاعر الملتزم بحب آل البيت (عليهم السلام)، وجعله مع من أحبهم، ونذر شعره لهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

المبحث الأول: البعد العقائدي الثوري في شعر عبد المنعم الفرطوسي

ظلت قصيدة أهل البيت متدفقة الدفء والعاطفة منذ خطواتها الأولى، فهذا أبو الأسود الدؤلي، يرثي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأبيات متأججة بالأسى واللوعة:

ألا يا عين ويحك أسعدينا
أفي شهر الصيام فجعثموننا
بخيّر الناس طراً أجمعينا
وقتلتم خير من ركب المطايا
وذلكها ومن ركب السفينا
وكتب رسول رب العالمينا(2)

وينطلق هذا الحب وهذا الاصرار على المبدأ من الالتزام بالأدب أو العقيدة التي تتطلب ثباتاً على الموقف، وتضحية من أجل المبدأ؛ ومشاركة الأديب لقضايا أمته ومبادئها المصيرية، ومفاهيمها الإنسانية والاجتماعية، والوقوف إلى جانب الإنسان في توجهاته وقراراته التي تحمل مبادئ الولوج إلى القيم السماوية؛ لأن الالتزام هو: ((الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحةً ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر؛ لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمل كامل التبعة التي يترتب على هذا الالتزام)) (3). وهو يحمل الجدية في الطرح، فضلاً عن البعد الفني الذي لا بد منه، لأن من دونه يصبح الأدب جثة هامدة لا روح فيها ولا إحساس، والالتزام: ((هو اعتبار الكاتب

فنه وسيلة لخدمة فكرة معيّنة عن الإنسان، لا لمجرد تسليّة غرضها الوحيد المتعة والجمال))⁽⁴⁾.

ولم تنضب في يوم من الأيام حيوية القصيدة الثورية، لتبلغ شأوها باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، سبط النبي (صلى الله عليه وآله)، فتصاغ أروع ملحمة شعرية تتفجر عطاءً وانتماءً، فهذا السيد الحميري ينعي الحسين (عليه السلام)، بمحضر الإمام الصادق (عليه السلام)، مترنماً بصوت حزين يقرح العيون، إذ تذكر الرواية التي أفردها صاحب كتاب (الأغاني) أبو فرج الاصفهاني أن التميمي وهو علي بن إسماعيل عن أبيه قال كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن أذنه للسيد الحميري؛ فأمره بإيصالهن وأقعده حرمه خلف ستر، ودخل فسلم وجلس فاستنشد فأنشده قوله⁽⁵⁾:

امرر على حدث الحسين	وقل لأعظمه الزكيه
يا أعظما لا زلت من	وظفء ساكبة رويه
وإذا مررت بقبوره	فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطه	رر والمطهرة التقيه
كبكاء معولة أتت	يومما لواحداه المنيه ⁽⁶⁾

وبقي هؤلاء الشعراء نبلاء في صولتهم وإبداعهم، ينافحون بشعرهم عن مبادئ أهل البيت (عليهم السلام)، فعقد الشعر الذي يملأ الأفق عطرا، والسهول خصبا، والجدول مودة، لم تنضب كؤوسنا منه يوما، وتنساب في مسامعنا قصائده فتملؤنا حبا لروضه العف ولأفنانه المغروسة أشواقا لتهب شرايين الوفاء صلاةً تبل المقلتين أسي. فقيارته تلسع جروح الصبر؛ كلمات عاشقة في محراب المودة.

هؤلاء الشعراء الذين يستفزون نرف المحبرة في مدارج الخلد والبقاء فتنهمر كلمات الشجن من أفواههم ثورات وتحدياً، ليبقي جسد القصيدة عفا، طاهرا، تهز المشاعر، وتمطر السحب الحبلى بكبرياء الأبدية، فيبتعد عنا الصدا الروحي، وترجع للروح خضرتها واتزانها، وتنكسر على أمواجه أحجار الخذلان والمداهنة هكذا هم تاريخ أصيل، وحناجر تصدح بقول الحق، ودم واحد ومشاعر واحدة ترفع راية الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، ذلك الشعر الذي له طعم الوفاء، ورائحة الأهل ولون الإخلاص. فشاعر الحسيني لم تتعثر كلماته في أروقة العاجزين، ولم تغص أبجديته في وحل الخيانة، ولم تتلوث حروفه على موائد الجلادين.. حمل الناس قضية، وسلك الدرب نضالا، واستل سيف الكلمة مبارزا رموز الطغاة والمجرمين. فعاشت عنده نهارات الإبداع والتفوق، قافيتة العشق والولاء، ورويّة الصولة والحماس.

فحقّ لنا أن نغبط شعراء أهل البيت عليهم السلام مذ سمعنا قول أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: ((من قال فينا بيت شعر بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة)) (7). وبقينا هذا ما دعا حشود الشعراء للتوجه إلى القصيدة الولاية مدحا ورتاء، فهنيئاً لكل من رسم بكلماته أفق الولاء لتلك الأنوار الساطعة. وصدق شهاب الدين الموسوي حين قال:

هَلَّ الْمُحَرَّمُ فَاسْتَهَلَّ مُكَبَّرًا وَأَنْثُرُ بِهِ دُرَرَ الدُّمُوعِ عَلَى الثَّرَى
وانظر بغيرته الهلال إذا انجلى مسـترجعاً متفجعاً متفكراً
واقطف ثمار الحزن من عرجونه وَأَنْحَرُ بِخَنْجِرِهِ بِمُقَاتِكَ الْكَرَى
واخلع شعار الصبر منك وزر من خلع السقام عليك ثوباً أصفراً (8)

والشاعر النابغ موضع اعتزاز وافتخار في أمته، ولاسيما الشاعر العقائدي الذي ينذر عمره وشعره من أجل قضيته الحقّة التي يؤمن بها، وإن كلفه ذلك الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الحقّ والإيمان والتّحدي، والذي هو مصداق لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (9)، وخير دليل على الشعر العقائدي شاعر أهل البيت عليهم السلام الكميّ (ت126هـ)، الذي يقول:

على أيّ جُرمٍ أمّ بآيةٍ سيرةٍ أُعَنَّفُ في تفرّيبهم وأكذب (10)

وهذا البيت يدل على أن من يحمل فكر الولاء والعقيدة والثورة يحارب ويعتف ويكذب، لا لشيء إلا لأنه رفض الظلم والاعوجاج والانحراف، ووالى من له الحق بالاتباع، وليس ببعيد عن ذلك الشاعر (دعبل الخزاعي) الذي كان كثيراً ما يردد قوله الشهير: ((لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها)) (11)، وهذا يدل على أن الشاعر الموالي لمبادئ أهل البيت (عليهم السلام) ومثلهم وأخلاقهم يتوقعون انهاء حياتهم في أية ساعة وأي يوم، فشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وحدها كافية على هز مضاجع الحكام وأصحاب السلطان من الفاسدين والنافقين والخانعين؛ لأنّ الحسين (عليه السلام) شعلة الثوار يستتير بها الشرفاء والمنتفضين على مرّ الأزمنة والأمكنة، فهو معلم المظلومين والمستضعفين الذين تأبى أنفسهم أن تنام على كظة ظالم، فالحسين (عليه السلام) مدرسة الفداء والتّحدي والتّضحية يتعلّم منها الجيل معاني الانطلاق في الحياة، ليكونوا مشروع ثورة ودماء.

والشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي لم يحيد عن هذه المعاني السامية وبقي وفياً لمبادئه وإيمانه المطلق بأحقية أهل البيت (عليهم السلام) الذين اذهب الله عنهم الرجس بقوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرُكُمْ تَطَهِّيراً⁽¹²⁾، فاستحق الشاعر لقب شاعر أهل البيت (عليهم السلام) بجدارة. بما تميز به من رثاء سيد الشهداء (عليه السلام) إذ يقول في بعض قصائده:

أبا الشهداء أنت لنا شفيعٌ مرجى والشفاعة للحسين
وحاشا أن أبوح لكم بسؤلي وارجع منكم صفر اليدين
توجّه بالسؤال إليك قلبي واطلب من يديك شفاء عيني⁽¹³⁾

والحسين هو القائل بعنفوان الكلمة وصدق العاطفة ذلك القول الشهير: ((إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم))⁽¹⁴⁾، عندما يتصاغر الموت أمام ذلك العملاق الذي ما انتنت رقبته يوماً إلا لربه، ولم يسجد إلى صنم من أصنام النفس أو السلطان إلا وهو مرتفع القائمة يتناول عزه إلى أن يبلغ عنان السماء، إذ يقول عليه السلام: ((فاني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً))⁽¹⁵⁾. وينطلق الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في أبياته هذه من كون أن الأدب مسؤولية وإرادة اجتماعية عليه أن يؤديها بكل أمانة وصدق: ((ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعاً به عميق اقتناع، حتى قبل أن يتناول القلم . إن عليه بالفعل، أن يشعر بمدى مسؤوليته))⁽¹⁶⁾. ولهذا كان ديوان الشاعر عبد المنعم الفرطوسي مليئاً بالقيم الإنسانية والأخلاقية والثورية التي ارساها الإمام الشهيد (عليه السلام) والتغني بفصائل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الأظهر عليهم السلام، وهذا مصدق لقوله بحق الإمام الحسين (عليه السلام):

قرآن فضلك فيه يفتح الفمُ حمداً وبالإخلاص ذكرك يختم⁽¹⁷⁾

وهذا الحب وهذا الولاء لم يكن ناتجا عن تحزب أو فتوية أو طائفية فإن هذه المحاور قد رفضها الشاعر بقوة عبر شعره المعبر إذ يقول:

لا طائفية والاسلام يربطنا من الاخاء بقربى تفضل النسبا
فالطائفية نار من يوججها لا بد أن يغتدي يوماً لها حطبا
وقوة بيد المستعمرين بها تغزو البلاد وتستولي بها غالباً⁽¹⁸⁾

نحن عندما نبحث في ديوان الشاعر نجده يسير على وتيرة واحدة يملأه الكبرياء والعنفوان والصدق والعاطفة والمبدأ، فقصائده هذا هو ديدنها، يقول في قصيدة بمناسبة مولد سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام):

أنت الحسين ودون مجدك في العلا مجد المسيح ودون امك مريم
ولقد قتلت بمصرع يسمو به مجد الممات على الحياة ويعظم
والحق من عينيك ينبغ نوره والصدق في شفتيك جمر مضرم

وضحى جبينك وهو فرقان الهدى بدم الشهادة والسعادة يُوسم

تشير القصيدة إلى علاقة ثنائية طردية بين العطاء الحسيني والعطاء الإلهي الذي منه سبحانه وتعالى على من وفى بعهدده، ونجح في الابتلاء الأكبر، فكان المجد والعلو حصته ومناله، فأصبح مجد المسيح دون مجده. وكانت هذه العلاقة متصلة بمبادئ القرآن الكريم حين أشار الشاعر في القول (فرقان الهدى) إذ كان تطبيقاً عملياً لتعاليمه عندما ضحى (بدم الشهادة)، فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (19).

المبحث الثاني: البعد الفني في شعر عبد المنعم الفرطوسي:

الأساليب البيانية هي المانز والمعيان والمغاير بين الكلام الفني - شعرا ونثرا -، والكلام الاعتيادي اليومي الذي لا يحتاج إلى إبداع وممارسة بلاغية واعية؛ لأنه يتم بصورة دائمة وسريعة وارتجالية وتنافعية، بخلاف الأدب الذي ينتج عادة بعد ممارسة طويلة وموهبة ودربة، إن استغناء الأدب عن الأساليب البلاغية يؤدي إلى فقدانه لأهم خواصه ألا وهي التأثير والتفاعل وتحريك العاطفة، وينتج عنه أن يصبح اللون الأدبي متصحرا جافا لا يثير الانبهار والتفوق، وسنحاول في هذا المبحث أن نقتصر على دراسة مجالين لبيان الإبداع والأصالة في شعر عبد المنعم الفرطوسي رحمه الله تعالى؛ وهما: التشبيه والتجسيد.

أولا: التشبيه:

من الأساليب البيانية المهمة التشبيه الذي يتحرك بأدواته وتقنياته بوساطته الألفاظ في النص الشعري بوصفه نشاطا جماليا وإبداعيا يعمل على رقي النص الشعري؛ ولهذا نلحظه منتشرا في النص الأدبي الإبداعي، فالتشبيه ((جار كثيرا في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد)) (20). وقد عرف ابن رشيق التشبيه بقوله: ((التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه)) (21). ولكن هذا التشبيه قد يدخل عليه التخيل الذي هو أساس عبقرية الأديب، فينحى حينئذ إلى التعريب والتشويق، وهي صفة محببة في فن التشبيه، حتى قد يمتاز التشبيه في بعض الأحيان بالأشياء المتباعدة في الواقع الخارجي، فيقرب بينها الفعل الفني، فيقبله المتلقي على أنه فعل واقع صحيح. ويؤدي التشبيه فضلا عن الاستعارة غرضا ملموساً توضيحياً بيانياً تقريبياً على حد ما بينه ابن رشيق بقوله: ((والتشبيه والاستعارة جميعا يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد)) (22)، ولكن هذا الغرض ربما يبتعد عنه التشبيه ليتيح بدله غرض الامتاع والتأثير بحد ذاته من غير اعتبار للغرض النفعي الذي يبتعد عنه الشعر والنثر الفنيين ليبقى سلطان الفن والامتاع هو الحاكم الفاعل في

إجراء التشبيه، محققاً الصورة الانفعالية التي يخلفها التشبيه وتأثيرها في نفس المتلقي من خلال تحسين بعض الأشياء وتقبيح الأخرى. وعندما نبحث في أبيات الشاعر عبد المنعم الفرطوسي نلاحظ الفن والإبداع والتأثير، فضلاً عن الغرض التوصيلي والتقريبي الذي تحدثنا عنه الذي يحققه التشبيه، يقول (رحمه الله):

وكأنني بك يا بنيّ بكربلا
ولقد رآه بمشهد من زينب
ملقىً برمضاء الهجير على الثرى
في مصرع سفكت عليه دماؤه
تمسي ذبيحاً بالسيوف مبضعا
هو والوصي وأمه الزهرا معا
تطأ السنابك صدره والأضلعاً
أفدي بنفسي منه ذاك المصرعاً(23)

يقوم التشبيه في هذه الأبيات على الفعل السردي خلال تقنية الحوار بين الإمام الحسين (عليه السلام) وابنه علي الأكبر عليه السلام، إذ يتصوّر الشاعر من خلال الواقع الروائي (الوثائقي) حاور الأكبر مع أبيه؛ وقد طلب منه شرب الماء ليس من أجله وإنما من أجل التقوي على خوض المعركة، فيصوّر الشاعر الحسين (عليه السلام) بوساطة تقنية التشبيه وهو يحاكي ما سيؤول إليه حال ابنه حينما يلتقي بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يسقيه شربة لا يظماً من بعدها أبداً(24). إذ برع الشاعر بتصوير الخواطر النفسية الداخلية بين حنان الأب على ابنه، والواجب الذي يجب أن يؤديه الأب، من غير تأثير على العاطفة الأبوية على الابن، فيدفعه إلى الحرب على الرغم بأنه يعلم أنّ ماله سيكون القتل، ولكنه يعلم مسبقاً بأنّ القتل في سبيل الله سيصبح حياة دائمة، ولأنه (عليه السلام) يعي هذه الحقيقة، فسيكون به ارحم إذا ما دفعه إلى لهوات المعركة، وهذا مصداق للأبيات التي تأتي بعد الأبيات السابقة:

أفدي حسيناً حين خفت مودعاً
وافى إلي توديعه وفؤاده
وغدا يبيت له زفير شجونه
يا جدّ حسبي ما أكابد من عناء
فأجابه صبراً بنيّ على الأذى
ولقد حبّاك الله أمراً لم يكن
قبراً به ثقلُ النبوة أودعاً
بمدى الفراق يكاد أن يتقطعا
بشكاته والطرف يذري الأدمعاً
في هذه الدنيا يُقضّ المضجعاً
حتى تنالَ بذّا المقام الأرفعاً
بسوى الشهادة ظهره لك طيعاً(25)

إذ ينجح الشاعر بما أوتي من اصطفاً بلاغي وفني من تصوير هذا الاحتدام النفسي والشعوري، فالشاعر الفرطوسي ((مصور الخواطر النفسية الذي يلتقط الصور المعنوية من حياة المجتمع بريشة ذهنه المتوقّد وخياله العبقري وإنّ الاضمادات المتنوّعة التي يعرضها في حقله الشعري ليست هي إلت تلك الصور الاجتماعية التي انتزعها من صميم المجتمع عندما تغلغل في أعماقه فوقف على أماله وآلامه ونعيمه وشقائه وهو اجسه وخواطره)) (26).

ثانياً التجسيد:

التجسيد هو بعث الروح في الجمادات والمعنويات والمادية، والباسها لبوس الجسد، فتتحرك هذه الأشياء امامنا ناطقة بلسان انساني، وتتفاعل معنا وتشعر وتتألم وتفرح، وهذه هي الفائدة من التجسيد في الاعمال الادبية ولاسيما الشعرية منها، إذ إن التجسيد هو ((نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة، أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة، مثال ذلك الفضائل، والرذائل المجسدة في المسرح الاخلاقي، أو في القصص الرمزي الأوربي في العصور الوسطى، ومثاله أيضاً مخاطبة الطبيعة كأنها شخص يسمع))⁽²⁷⁾. وتتبلور الصورة التجسيدية عند من يمتلك الأدوات الفنية والبلاغية حتى لا تصبح صورته مشوهة لا ربط بينها ولا باعث تنشده ومن هنا اشار ابن الاثير بالقول عن التجسيد: ((تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة، ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين، وأخلاق ولطافة مزاج))⁽²⁸⁾.

والقارئ في نتاج الشيخ الشاعر عبد المنعم الفرطوسي الأدبي لا يعدم أن يجد أسلوبية التجسيد مسخرة في النصّ الشعريّ بطريقة فنيّة رائعة، فهو الشاعر المفوه الذي يشار إليه بالبنان وهو ما اكده أيضاً السيّد محمّد حسين فضل الله بشهادته عن مكانة الشاعر الفرطوسي بقوله: ((الشاعر المبدع الذي تهتز المنابر لموقفه وتنطلق الحناجر بالاستحسان والاستعادة، في المحافل لروعة شعره الذي كان يميّز بالإبداع، في اللفتة والملمحة والكلمة، والعمق والوضوح .. وكان إلقاءه المميّز يدفع بال جماهير إلى أن تفهم معنى شعره ، من خلال نبرات صوته ، ونبضات ملامحه وتعابير وجهه .. وبذلك كانت هناك علاقة حبّ وتفاعل بينه وبين جمهوره))⁽²⁹⁾.

يقول الشاعر الفرطوسي بحق عبد الله الرضيع (عليه السلام) في قصيدة (أم الرضيع والمصرع):

فطوراً تناغيه وطوراً بلهفة تعانق جيداً منه قد زين الدرا⁽³⁰⁾
فالجيد الذي هو (العنق) أصبح أنس الرباب زوج الإمام الحسين (عليه السلام) التي فقدت رضيعها وهو يعاني العطش، والجيد أصبح رمزاً للتضحية عندما أصابه سهم حرمة بن كاهل الأسدي؛ لهذا أكد عليه الشاعر في قصيدته، فالجيد عنوان التضحية بالغالي والنفيس، ولم يستثن من هذه التضحية حتى الطفل الرضيع الذي ذبح عطشاناً.

ويقول في القصيدة نفسها:

ولم يبقَ منها وجردها وحنينها سوى قفص للخلد طائرته فرّا⁽³¹⁾
والشاعر هنا يرسم صورة فنية مدادها الإبداع وألوانها الكلمات والألفاظ، إذ جعل الشاعر أمالها ووجودها كله كأنه قفص قد فر طائرته، فأى اعتبار لهذا القفص وهو قد أصبح خاوياً بانساً؟!، ومن خلال هذه الصورة الفنية الجميلة

صوّر الشاعر معاناة الرباب وقد أصابها من شعور حزين وهي ترى طفلها الرضيع قد ذبح من الوريد إلى الوريد أمام عينها.

ويقول الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في مقدمة قصيدة (مصرع الشهيد):
 بني غالبٍ ثوروا عجلاً بنهضة تطير بقلب الدهر من لجبٍ ذعرا (32)
 فقد جعل للشيء المعنوي والذي هو الدهر قلباً ينبض يتقلص ونبسط،
 ويخاف ذعرا مما حلّ به من جراء مقتل الحسين (عليه السلام)، وما ستؤول إليه
 الأوضاع من جراء هذا الفعل الإجرامي الذي قام به آل امية لعنهم الله، ولهذا
 يدعو الشاعر القوم للاستعداد والتهيؤ من أجل الأخذ بالثأر من قاتلي الإمام (عليه
 السلام).

ويقول الشاعر أيضاً:

فأخفت جبيناً يبهر الشمس نوره وارتدت عمادا يرفع المجد بدر (33)
 فنلاحظ أن الشاعر قد جسّد الشمس، وجعل نورها يبهر - وهي خاصية
 إنسانية- من نور الحسين (عليه السلام) بما ناله من حظوة وارتفاع مقام يغبطه
 فيها الأولون والآخرين لما قدّمه من تضحية وفداء بالنفس والأهل والأصحاب.
 وقال الشاعر الفرطوسي أيضاً في هذا المقام:

أدمت ضمير الحق في شر طعنة	مسددة في كف من سنن الكفر (34)
ويحجب نور الشمس منه على القنا	شعاع جبين يكسف الشمس والبدر (35)
وأشجى مصاب أغضب الحق غيرة	وأدمى جفون المجد فهي له عبرى (36)

ففي هذه الأبيات نلاحظ التجسيد واضحاً أيضاً من خلال قوله: (ضمير الحق)، إذ جعل للحق ضميراً، وهذا من مختصات الإنسان، وفي البيت الثاني جعل للشعاع جبيناً، وهو تجسيد مستساغ؛ لأنّ الشعاع يوصف بالوضوح والبروق، وكذلك الجبين، ومن هنا جاءت الملاءمة والمناسبة بين الأوصاف، إذ لا بدّ من وجود مناسبة لإجراء التجسيد، فهي ليست عملية اعتباطية غير واعية. وفي البيت الثالث جعل للحق غضب، وهو من مختصات الإنسان، وجعل للمجد جفوناً. كلُّ تلك التجسيديات أكدت مكانة الشاعر عبد المنعم الفرطوسي في موهبته بعد ما صير الأحوال المعنوية والمادية والجمادات أشياءً ناطقة متفاعلة مع الحدث، إذ ((أخذ الشاعر مكانته في الأوساط الأدبية، واحتل منزلة شامخة ومرموقة بين المشاهير من شعراء وادباء عصره. فكانت المحافل الأدبية والمهرجانات الشعرية تعج بالوافدين لسماع قصائده والتزود من معين أدبه)) (37). ولا يمكن للشاعر أن يكون ذات مكانة من دون القيم الفنية والأدبية التي تمكّن منها الشاعر الفرطوسي غاية التمكّن بما عرضناه من أساليب فنية وغيرها كثير.

الخاتمة:

في نهاية هذا الرحلة الممتعة مع شاعر موالٍ وعقائدي ملتزم خرج البحث ببعض النتائج التي من بينها:

- 1- كان لنشأة الشاعر الدينية سببا في توجهه الشعري الملتزم العقائدي، وهو في هذا واكب كبار الشعراء الذي عرفوا بالالتزام والثبات على قول الحق من قبيل الكميت بن زيد الاسدي ودعل الخزاعي وغيرهم كثير.
 - 2- كان ديوانه (ديوان الفرطوسي) يحمل في طياته عبق الولاء والثبات على حب أهل البيت عليهم السلام، وعدم انثنائه لإرادة المنع، فظلت المحافل الادبية عاجة به، تترقب ارتفاع المنبر من اجل ان يصدر بصوته الثوري العميق.
 - 3- كان للجانب الفني حصته في شعر عبد المنعم الفرطوسي، إذ إنه استعمل الأساليب الفنية من تشبيه واستعارة التي تمثلت في فن التجسيد، وغيرها من الأساليب الفنية، والتي كان لها الأثر الفاعل والمهم في التأثير في المتلقي، فأصل الشعر التأثير والعاطفة والتفاعل.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (1) شعراء الغري: ٤ / ٦.
- (2) الأغاني: 299/11.
- (3) الالتزام في الشعر العربي: 14.
- (4) معجم مصطلحات الأدب: 79.
- (5) الأغاني: 260/7.
- (6) ديوان السيد الحميري: 226.
- (7) وسائل الشيعة: 597/14.
- (8) ديوان شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معنوق: 214.
- (9) سورة النحل، الآية: 125.
- (10) الروضة المختارة - شرح القصائد الهاشميات، الكميت بن زيد الاسدي: 38.
- (11) الوافي بالوفيات: 12/14.
- (12) سورة الأحزاب، الآية: 33.
- (13) ديوان الفرطوسي: 53/2.
- (14) المناقب: 88/4.
- (15) حلية الأولياء: 39/2.
- (16) الأدب الملتزم: 44.
- (17) ديوان الفرطوسي: 15/1.
- (18) ديوان الفرطوسي: 14 / 1.

- (19) سورة الأحزاب، الآية: 23
- (20) الكامل في اللغة والأدب: 92/2.
- (21) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 286/1.
- (22) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 287/1.
- (23) ديوان الفرطوسي: 93/3.
- (24) روي أنّه [علي الأكبر] قَتَلَ على عطشه مئة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبة، العطش قد قتلني، وتقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوى بها على الأعداء؟
- فيكى الحسين (عليه السلام) وقال: ((يا بُني، عزّ على محمّد وعلى عليّ وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك. يا بُني، هات لسانك)). فأخذ لسانه فمصّه، ودفع إليه خاتمه وقال له: ((خذ هذا الخاتم في فيك، وارجع إلى قتال عدوّك؛ فإنّي أرجو أن لا تُمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا نظماً بعدها أبداً)). ظ: 9.
- بحار الأنوار: 45/45.
- (25) ديوان الفرطوسي: 93/3.
- (26) ديوان الفرطوسي، مقدمة الشاعر: 16/1
- (27) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: مجدي وهبة وكامل المهندس: 102
- (28) المثل السائر، ابن الأثير، مكتبة البابي الحلبي، 1939.
- (29) ملحمة أهل البيت عليهم السلام، محمد حسين فضل الله، من كلمة له في تقديم: 3/8.
- (30) ديوان الفرطوسي: 80/1.
- (31) ديوان الفرطوسي: 80/1.
- (32) ديوان الفرطوسي: 78/1.
- (33) ديوان الفرطوسي: 78/1.
- (34) ديوان الفرطوسي: 78/1.
- (35) ديوان الفرطوسي: 79/1.
- (36) ديوان الفرطوسي: 79/1.
- (37) الشيخ عبد المنعم الفرطوسي: 97.

المصادر:

- خير ما نبئت به القرآن الكريم.
- الأدب الملتزم ، جان بول سارتر، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب ، بيروت، ط2 ، 1967.
 - الاغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: سمير جابر، دار الفكر، بيروت: 260/7.
 - الالتزام في الشعر العربي، د. أحمد أبو حاقّة، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م: 14.
 - بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تأليف: العلامة محمد باقر المجلسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط3، مصححة، 1983م.

- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت: 1104هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - بيروت، ط2، (1424هـ/2003م): 597/14.
- حلية الأولياء وطبقات الاوصياء، أبو نعيم بن عبد الله الاصفهاني، (ت430هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1416هـ/1996م).
- ديوان السيد الحميري، تح: ضياء حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط1، (1420هـ/1999م).
- ديوان الفرطوسي، عبد المنعم الفرطوسي، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف، ط2، (1386هـ/1966م).
- ديوان شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق، ضبطه: سعيد الشرتوني اللبناني، المطبعة الادبية، بيروت - لبنان، 1885م.
- الروضة المختارة - شرح القصائد الهاشميات، الكميّ بن زيد الاسدي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط1، 1973م.
- شعراء الغري (النجفيّات)، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، (1376هـ/1956م).
- الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حياته وأدبه، أحمد محلاتي، المكتبة الادبية المختصة، (1420هـ/2000م).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تح: تغايرد بيضون ونعيم زرور، ط2، بيروت، 1989.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب / مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة، لبنان، ط2، 1984.
- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مطبعة دار القلم ، بيروت، ط1، 1974: 79.
- ملحمة أهل البيت (عليهم السلام)، عبد المنعم الفرطوسي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام بيروت، ط2، 1986 م.
- المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، (568هـ)، تح: مالك المحمودي، ومؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، إيران، ط2، 1411هـ.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن ابيك الصفدي، (ت764هـ)، تح: أحمد الارناؤوط، وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، (1420هـ/2000م).

ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي

م.د. حيدر زوين

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الكوفة

ملخص البحث

الجهاد كما قال عنه إمامنا وسيدنا أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) بابّ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء؛ فهذه الألفاظ التي اجتمعت في هذه الخطبة الغراء عبرت عن الهدف السامي للجهاد إذ يعد فرع مهم من فروع الإسلام والتي حث سبحانه وتعالى عليها وحفز رسوله الكريم في كثير من الأحيان على هذا الموضوع وخير دليل على ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ جَهَّزَ عَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَدْ عَزَّاهُ، وَمَنْ خَلَّفَ عَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ عَزَّاهُ)) وهذه الأقوال هي شذرات مشرقة للمسلمين تدلهم على طريق الصواب وجادة الحق ويؤيد ذلك قول زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام): ((ماكره قومٌ حد السيف إلا ذلوا))، وقد قسمت البحث الموسوم ب(آيات الجهاد في القرآن الكريم، وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي، دراسة في ضوء الإعجاز الصرفي) على خمسة مطالب سبقت بمقدمة وتوطئة وختمت بنتائج البحث فضلاً عن قانمتين إحداهما للهوامش والأخرى لمظان البحث الرئيسية التي رجع إليها البحث واشتملت التوطئة على دراسة الجهاد في اللغة والاصطلاح، والإعجاز الصرفي في اللغة والمصطلح وحمل المطلب الأول عنوان: (صيغة الفعل الماضي الرباعي على زنة (فاعل) و (يفاعل))، وجاء المطلب الثاني بعنوان: صيغة الفعل الماضي الثلاثي على زنة (فَعَلَ) ومشتقاته، ووسم المطلب الثالث بعنوان: صيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي الرباعي على زنة: فاعِل، وأطلقت على المطلب الرابع عنوان: صيغة فعل الأمر الرباعي على زنة (فاعِل) وتضمن المطلب الأخير: دراسة لصيغة الاستعداد للقتال بزنة فعل الأمر (افعلوا). وقد استعان الباحث بمجموعة من مصادر إعجاز القرآن الكريم وجملة من مظان اللغة والأدب والتاريخ وتفسير القرآن فضلاً عن مصادر ومراجع البلاغة القرآنية. والبحث يعد محاولة من المحاولات المتواضعة لدراسة هذا النمط المهم من أنماط الإعجاز القرآني فضلاً عن الدور الريادي والمهم الذي تضطلع به هذه الآيات في حث وتحفيز مجاهدينا البواسل في الدفاع عن حياض الإسلام في خضم الهجمات الشرسة التي يتعرض لها عالمنا الإسلامي من قبل اليهود وعناصر داعش الإرهابي، في ضوء دراسة ظاهراتية في القرآن الكريم وحسبي أني وفقت في هذا البحث المتواضع ولا أدعي الكمال فهو لله تعالى وحده، والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وآله وصحبه الغر الميامين وسلم تسليماً كثيراً.

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the best messengers and the best envoys Muhammad and his family and companions. After the Jihad, as stated by our imam and our master, the Commander of the Believers, Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him), a door of paradise opened by Allah for the sake of his disciples. He is the garment of piety, and the shield of Allah, Which met in this sermon Glory expressed the supreme goal of jihad as it is an important branch of Islam, which urged Almighty and encouraged the Holy Prophet in many cases on this subject and the best proof of that saying (peace be upon him and his family): (Ghaza for the sake of God, has invaded, and behind the gas The words of Zayd ibn Ali ibn al-Husayn (peace be upon them) said: "(The most hated of men is the edge of the sword, but they do not do harm)". (The verses of jihad in the Holy Quran, and its impact on the victory on the preacher of terrorism, a study in the light of the miraculous literal) on five demands preceded the introduction and slowed and concluded the results of the search as well as two lists one of the margins and the other main research observatories, which returned to the research and included Altawija on the study of jihad in the language Terminology, and metaphysical miracles in language and terminology The second demand is entitled: The formula of the last triple verb on the zakat (verb) and its derivatives, and the third demand label entitled: Formation of the name of the actor from the last quadrant verb on zina: The actor, and fired on the fourth demand Title: The formula of the action of the quadrant on the weight (actor) and included the last requirement: a study of the formula of readiness to fight Bznh done (do). The researcher used a number of sources of miracles of the Holy Quran and a variety of aspects of language, literature, history and the interpretation of the Koran as well as sources and references Koranic rhetoric. The research is an attempt by modest attempts to study this important pattern of Quranic miracles, as well as the pioneering and important role played by these verses in urging and motivating our brave jihadis to defend Islam in the midst of fierce attacks on our Islamic world by the Jews and elements of the terrorist, In the light of the study of the phenomenal in the Holy Quran and my sense that I have succeeded in this humble research and I do not claim perfection is for God alone, and praise be to Allah, the Lord of the Worlds and prayers and peace on the best Messengers Mohammed and his family and companions Almgayam and handed over a lot researcher.

ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي

م. د. حيدر زوين

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الكوفة

مقدمة:

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وأفضل المبعوثين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد فالجهاد كما قال عنه إمامنا وسيدنا أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء فهذه الألفاظ التي اجتمعت في هذه الخطبة الغزاة عبرت عن الهدف السامي للجهاد إذ يعد فرع مهم من فروع الإسلام والتي حث سبحانه وتعالى عليها وحفز رسوله الكريم في كثير من الأحيان على هذا الموضوع وخير دليل على ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا)) وهذه الأقوال هي شذرات مشرقة للمسلمين تدلهم على طريق الصواب وجادة الحق ويؤيد ذلك قول زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام): ((ماكره قومٌ حد السيف إلا ذلوا))

وقد قسمتُ البحث الموسوم ب(ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم، وأثرها في تحقيق النصر على داعش الارهابي، دراسة في ضوء الإعجاز الصرفي) على خمسة مطالب سبقت بمقدمة وتمهيد وختمت بنتائج البحث فضلاً عن قائمتين إحداهما للهوامش والأخرى للمظان الرئيسية التي رجع إليها البحث واشتمل التمهيد على دراسة الجهاد في اللغة والاصطلاح، وحمل المطلب الأول عنوان: (صيغة الفعل الماضي الرباعي على زنة (فاعِل) و (يفاعِل))، جاء المبحث الثاني بعنوان: (صيغة الفعل الماضي الثلاثي على زنة (فَعَلَ) ومشتقاته، ووسم المطلب الثالث بعنوان: (صيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي الرباعي على زنة: فاعِل، وأطلقت على المطلب الرابع عنوان: (صيغة فعل الأمر الرباعي على زنة (فاعِل) وتضمن المطلب الأخير: دراسة لصيغة الاستعداد للقتال بزنة فعل الأمر (افعلوا))

والبحث محاولة لإبراز الصورة الناصعة التي يتمتع بها المجاهدون في سبيل الله، في ضوء دراسة الظاهرة في القرآن الكريم وحسبي أنني وفقت في هذا البحث المتواضع ولا أدعي الكمال فهو لله تعالى وحده، والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وآله وصحبه الغر الميامين وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد: الجهاد في اللغة والاصطلاح

(أ) الجهاد في اللغة: وهو مصدر مأخوذ من الفعل الماضي الرباعي (جاهد) على زنة فاعل والأصل الثلاثي (جهد) ويعني: بذل واستفراغ ما في الوسع من الطاقة والجهد⁽¹⁾

(ب) الجهاد اصطلاحاً: ((فهو بذل الجهد في قتال الكفار والمشركين ومن في حُكْمِهِمْ؛ مَن يَضُمُّ الشَّرَّ للمسلمين، وقيل: هو قتال مسلم كافر غير ذي عهد؛ لإِعْلَاءِ كلمة الله، أو حضوره له، أو دخوله أرضه))⁽²⁾ وينقسم الجهاد على ثلاثة أنواع: (جهاد النفس، وجهاد العدو، وجهاد الشيطان). وهو بدوره ينقسم على قسمين: (الجهاد الابتدائي، الجهاد الدفاعي) ومن ذلك يرى البحث: أن الرابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحى يتمثل في أن جهاد العدو يشتمل على الاستعداد (النفسي والبدني واللوجستي) من أجل تحقيق الانتصارات الساحقة على أعداء الإسلام، والمقصود بـ (آيات الجهاد): فهي جميع الآيات التي وردت في القرآن الكريم وجاءت لتحفيز المؤمنين على قتال أعدائهم دفاعاً عن أرضهم وعرضهم وأموالهم، وهذه المحاور الثلاثة تنسجم مع الفتوى التاريخية التي أصدرتها مرجعيتنا المباركة في الثالث عشر من حزيران 2014م، والموافق للرابع عشر من شعبان عام 1435هـ بعد أن أضحت ثلث مساحة هذا البلد المسلم بيد الظالمين الذين عاثوا في الأرض فساداً، يقتلون الرجال ويستحيون النساء، وينهبون الأموال يخضمون خضم الإبل من أمام مرأى، ومسمع العالم الإسلامي، فكادت أن تعود الجاهلية لولا هذه الفتوى العظيمة التي قصمت ظهر الاستكبار الذي عاد الى أدراجه خائباً خاسئاً ولكي يستمر العمل بهذه الفتوى ينبغي على المؤمنين الحفاظ على المنجزات القتالية التي تحققت على أرض المعركة حتى يتم تحرير آخر شبر من أرض المقدسات أرض العراق العظيم.

المطلب الأول: صيغة الفعل الماضي الرباعي على زنة (فاعل)، و (يفاعل)

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ((وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ))⁽³⁾

إذ وردت بصيغتي الماضي والمضارع وهذه الصيغة الصرفية تؤدي عمل المشاركة فالفعل: جاهد يؤدي عمل المشاركة بين طرفين أحدهما الحق والآخر هو الباطل.

ويعد الصراع العقائدي الدائر بين الجانبين سبباً لتكرار الفعل بصيغة المضارعة و نتيجة لما سيحصل عليه المجاهد في سبيل الله من أجر في المستقبل؛

لذا استعمل لفظة (نفسه) التي تتصل بالضمير العائد على المؤمن وسبقت بلام الاستحقاق، وقد ترد هذه الصيغة متصلة بواو الجماعة لتشير الى جمع المؤمنين وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ((ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)) (4)، فدلالة (لما) حرف الجزم تختلف عن دلالة لم؛ لأن (لم) تفيده النفي والجزم والقلب، بينما تفيده (لما) نفي الماضي وتقريب الحدث (5) وقد ورد ذلك في آية أخرى في قوله تعالى ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) (7).

ومن الآيات الأخرى التي وردت فيها هذه اللفظة قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)) (8)، فالجهاد في هذه الآية لا يرتبط بالحرب وإنما يدل على العلم الذي يستحصله الإنسان بنية التقرب الى وجه الله تعالى وذهب إلى ذلك معظم الدارسين بقولهم: ((أذكروني بالمجاهدة لأذكركم بالهداية)) (9)، فالجهاد هنا يشمل الجهاد بالكلمة والموقف ونستدل على ذلك قول ابن عباس: ((و في هذا دلالة على أن من أجل الجهاد و أعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حل شبه المبطلين و أعداء الدين و يمكن أن يتأول عليه قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) (10)، وقد أكدت هذه الآية بأربعة مؤكدات هي: (اللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد الثقيلة، إن المؤكدة للجملة الإسمية، اللام المزحلقة التي وقعت في خبر إن)، وهذا يدل على أهمية الأمر.

ومن الآيات الأخرى في هذا الميدان قول الباربي عز وجل: ((الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون)) (11)، فمن خلال هذه الآية نستنتج أن الله سبحانه وتعالى يضع المجاهدين في المرتبة العليا؛ لأنهم نالوا الدرجات الرفيعة بوساطة السلم التدريجي (الإيمان والهجرة والجهاد)، ولأن العطف يقتضي المغايرة بين أطرافه كما يشير الى ذلك معظم النحاة فإن الإيمان لا يكفي لأن يرفع المؤمن، وإنما يحتاج إلى عنصرين آخرين وهما الهجرة والجهاد في سبيل الله. وهؤلاء المجاهدين يرجون رحمة الباربي عز وجل؛ لأنه هو الغفور الرحيم، والدليل على ذلك في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (12)، ويشير القرآن الكريم في آية أخرى إلى أن رسول الله ورهطه هم الذين لهم الأسبقية في هذا المضمار لأنهم آمنوا معه، وجاهدوا بالأموال والأنفس مرضاةً لله سبحانه وتعالى ((لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (13)

ويؤيد ذلك قول رسول الله (ص): ((ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب.)) (14).

ومن ذلك قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (15)، فقد قابل البارّي (عز وجل) بين صفتي الذلّة والعزة وهذا النمط الفني من أجمل أنواع التقابلات إذ يقول الشيخ الطوسي في سبب نزول هذه الآية ((فوصف - جل اسمه من عنا بهذا الجهاد وبما يقتضي الغلبة فيه، وقد علمنا أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله بين رجلين: رجلاً لا عناء له في الحرب ولا جهاد. والآخر له جهاد وعناء، ونحن نعلم قصور كل مجاهد عن منزلة أمير المؤمنين (ع) في الجهاد، فانهم مع علو منزلتهم في الشجاعة وصدق البأس لا يلحقون منزلته ولا يقاربون رتبته؛ لأنه عليه السلام المعروف بتفريج الغم، وكشف الكرب عن وجه الرسول صلى الله عليه وآله وهو الذي لم يحم قط عن قرن، ولا نكص عن هول، ولا ولي الدبر، وهذه حالة لم تسلم لأحد قبله ولا بعده فكان (ع) بالاختصاص بالآية أولى لمطابقة أوصافه لمعناها)) (16).

ومن الآيات الأخرى قوله تعالى: ((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ)) (17)

وقد قيل أنها ((نزلت في جماعة أكرهوا - وهو: عمار وأبوه ياسر وأمة سمية وصهيب وبلال وخبّاب - عُذِّبُوا وَقُتِلَ أَبُو عِمَارٍ وَأُمُّهُ وَأَعْطَاهُمْ عِمَارٌ بِلْسَانِهِ مَا أَرَادُوا مِنْهُ)) (18).

فدلالات حروف العطف الواردة في هذه الآية تختلف فـ (ثم) يقتضي استعمالها وجود مدة زمنية كافية حتى تستعمل في العطف (19)، خلافاً لحروف عطف النسق الأخرى كـ(الفاء والواو)، فطول المدة الزمنية بين تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين وهجرتهم هي التي استدعت استعمال حرف العطف من دون غيره.

المطلب الثاني:

صيغة الفعل الماضي الثلاثي على زنة (فَعَلَ) ومشتقاته: مثل (نَفَرَ) في قوله تعالى / ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) (20)، فقد وردت بصيغتين في آية واحدة الأولى (نَفَرَ) والثانية صيغة الفعل المضارع المجزوم والمسبوق بلام الجحود التي تقدّم عليها كون منفي: (لينفروا) والفعل: نَفَرَ الذي يأتي بمعنى الابتعاد كما يذكر ذلك ابن منظور في لسانه ((وَالنَّفَرُ التَّفَرُّقُ نَفَرَتِ الدَّابَّةُ تَنْفَرُ وَتَنْفَرُ نِفَاراً وَنُفُوراً)) (21) إلا أنها جاءت بمعنى مغاير في هذين الموضعين؛ لأن تعدي الأفعال بحروف الجر يغير معنى الفعل في النص.

فـ (نفر من) تؤدي معنى الهروب (أي ابتداء غاية الهروب التي يؤديها حرف الجر) وهي تختلف في الدلالة جملة وتفصيلاً عن (نفر الى) التي هي بمعنى الإسراع الى هدف معين والإقبال عليه (أي نهاية الغاية التي يوظفها حرف الجر) وقد أشار الى هذه المسألة البلاغية عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في كتابه: (دلائل الإعجاز) من خلال انتقال دلالات الألفاظ المتجانسة من معانيها الحقيقية الى معانيها الأخرى التي اكتسبتها الألفاظ من خلال مجاورتها وعلاقتها مع نظيراتها من المفردات وهذا ما يتعلق بالدلالة المقامية للألفاظ واليها أشار الجرجاني بقوله: ((وهل تجدُ أحداً يقول: هذه اللفظةٌ فصيحَةٌ إلا وهو يعتبرُ مكانها من النظم وحسنِ مُلائمةِ معناها لمعنى جاراتها وفضلَ مؤانستها لأخواتها وهل قالوا: لفظَةٌ متمكّنةٌ ومقبولةٌ وفي خلافه: قلقةٌ ونابيةٌ ومستكرهةٌ إلا وعرضهم أن يُعبروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهةٍ معناها وبالقلق والنُّبو عن سوء التلاؤم. وأنّ الأولى لم تُلَقَّ بالثانية في معناها وأن السابقة لم تصلح أن تكونَ لِفَقاً للتالية في مؤدّاها)) (22). وقد يشتق من هذه

الصيغة فعل الأمر ومثل ذلك قول الباري عز وجل ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)) (23)، فضلاً عن قوله تعالى في السورة نفسها: ((أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (24)، فعلى الرغم من أن الفعل في الآية الأولى ورد في سياق الاستفهام، وفي الآية الثانية في سياق الأمر فقد استعملت صيغتي فعل الأمر المبني على حذف النون (انفروا) و الفعل (جاهدوا)، فضلاً عن ذلك ما نلاحظه في استعمال لفظتي (خفاف و ثقالم) التين دلّتا على استصعاب القيام بهذا الفعل من قبل المسلم علاوةً على دلالتهما التي تشير الى أهمية هذا الواجب المقدس في هذه الآية ويؤدي ذلك الى الحكم الوجوبي للنفير العام في سبيل الله.

المطلب الثالث:

صيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي الرباعي على زنة: فاعلٌ ويصاغ اسم الفاعل من الفعل الرباعي على زنة مضارعه مع إبدال الياء ميم وكسر ما قبل الآخر (25)، وقد ورد هذا الاسم في قوله تعالى: ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم)) (26)، فلفظة المجاهدين تعد احدى ألفاظ التعبئة لقتال الكافرين وقد جاءت بصيغة جمع المذكر السالم، وقد صدرت الآية بفعل مضارع اتصل باللام والنون اللتين تفيدان التوكيد دلالة على أهمية الدور الذي يسهم به المجاهدون فالبلاء الذي أخبر عنه الباري في هذه الآية يشمل الاختبار من خلال قياس درجة صبر المجاهد والاختبار الآخر في قوله (ونبلوا أخباركم) فيه باب من المجاز كما يرى ذلك المفسرون بقولهم: ((أي ونُظهر أخباركم للناس من طاعة وعصيان في الجهاد وفي غيره)) (27)،

ففي هذه الآية إفادة بأن الله سبحانه وتعالى سيضع عباده الذين يأمرهم بالجهاد في موضع اختبار ليعلم المجاهدين والصابرين منهم.

وقد تكرر هذا المشتق في آية أخرى في قوله تعالى: ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)) (28)

فقد تكررت لفظة المجاهدون ثلاث مرات في هذا النص المقدس ويحمل التكرار دلالات التوكيد على الشيء لأهميته القصوى لدى المنشيء، والآية حملت مغزى التفضيل من دون استعمال أفعال التفضيل وقد ورد التفضيل بوساطة الفعل الماضي الرباعي المضعف: (فضل) الذي تكرر أيضاً بين الفينة والفينة، والفعل المضارع المنفي (لا يستوي) الذي دلّ على إرتفاع مرتبة المجاهدين في سبيل الله على القاعدين وقد استثنى عز وجل أولي الضرر في الآية نفسها.

المطلب الرابع:

صيغة فعل الأمر الرباعي على زنة (فاعل) كصيغة الفعل (جاهد) ومن ذلك قوله تعالى: ((يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم)) (29)، وقد تكررت هذه الآية المباركة في سورتي التوبة والتحریم وبقضي استعمال هذه الصيغة وجوب الشروع الى قتال الكفار والمنافقين بدلالة الأمر الحقيقي من الأعلى رتبة الى الأدنى رتبة: من الخالق (سبحانه وتعالى) الى النبي (ص)، فضلاً عن ذلك عطف صيغة فعل الأمر على أخرى وهي الفعل (اغظ): وهي تعني: نقيض الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش (30)، وقد اتفق المفسرون في هذه الآية بقولهم: ((ولما ذكر أمر الجهاد، وكان الكفار غير المنافقين أشد شكيمة وأقوى أسباباً في القتال وإنكاء بتصديهم للقتال، قال: جاهد الكفار والمنافقين فبدأ بهم. قال ابن عباس وغيره: جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان. وقال الحسن وقتادة: والمنافقين بإقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها. وقال ابن مسعود: جاهدكم باليد، فإن لم تستطع فباللسان، فإن لم تستطع فبالقلب، والاكفهرار في وجوههم)) (31).

المطلب الخامس: صيغة الإستعداد للقتال بزنة فعل الأمر (أفعلوا) ومثل ذلك في قول العزيز الحكيم ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ)) (32).

إذ لم ترد هذه الآية بصيغة الفعل استعد ووردت بالصيغة المبينة في أعلاه، وهي صيغة الأمر التي تدل على الوجوب والإعداد يتوجب على أثره ترتيبات كثيرة؛ لأن الإعداد هو تحضير للجهاد في سبيل الله (عزوجل)، والمنعم النظر لهذا الفعل يجد أنه استعمل في القرآن الكريم ومن ذلك قوله عز من قائل: ((أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ)) (32).

اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (33) وفي قوله ((يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) (34) فقد أسند هذا الفعل إلى لفظ الجلالة وبصيغة الفعل الماضي إلا في هذا الموضع فقد أسند إلى المؤمنين بدلالة واو الجمع والدليل على ذلك مجيء الجملة الموصولة (ما استطعتم) بعد صيغة أعدوا، أي أقصى ما تستطيعون القيام به من أجل التحشيد لهذا الأمر الرباني، فضلاً عن ذلك مجيء لام الاستحقاق في السياق التي تشير إلى أحقية هذا التحضير والإعداد.

نتائج البحث:

في نهاية هذا البحث الذي حمل عنوان: (ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم، وأثرها في تحقيق النصر على داعش الإرهابي، دراسة في ضوء الإعجاز الصرفي)، فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- 1- وردت ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم بصيغ مختلفة وهي: (صيغة الفعل الماضي الرباعي على زنة (فاعل) و (يفاعل) وقد جاءت في عشرة مواضع، وصيغة الفعل الماضي الثلاثي على زنة (فعل) ومشتقاته في خمسة مواضع، و صيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي الرباعي على زنة: فاعل في أربعة مواضع، و صيغة فعل الأمر الرباعي على زنة (فاعل) في موضعين و صيغة الاستعداد للقتال بزنة فعل الأمر (أفعلوا) لمرّة واحدة فقط.
- 2- من أهم الألفاظ التي استعملها الباري عز وجل في حقل التعبئة هي ألفاظ (الجهاد، الاستنفار، الاستعداد).
- 3- تبوأ النبي محمد (ص) وآل بيته الأطهار المواقع العليا في هذه الآيات القرآنية؛ وذلك لما بذلوه من تضحيات من أجل استمرار الدين المحمدي الأصيل.
- 4- من أهم السور التي وردت بها ألفاظ الجهاد هي السور المدنية مثل البقرة، آل عمران، المائدة.
- 5- من أكثر السور المدنية التي وردت بها ألفاظ الجهاد سورة التوبة وفيها تكررت ألفاظ الجهاد ثماني مرات.
- 6- تكررت ألفاظ الآية الواحدة في سورتين هما: التوبة والتحريم وهذه الآية تتمثل في تحفيز الرسول الكريم (ص) على الجهاد في قوله تعالى: ((يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم)).
- 7- الجهاد في سبيل الله تعالى يحتاج إلى ثلاثة عناصر وهي (الإيمان والهجرة والجهاد) وهذه العناصر الثلاثة متلازمة مترابطة بعضها مع البعض الآخر.
- 8- الجهاد لدى الفقهاء على قسمين هما: جهاد المال، وجهاد النفس فالأول يتمثل بزواج النبي (ص): خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليها) والثاني يتمثل في الإمام علي (ع).

هوامش البحث:

- (1) ينظر: طلبه الطلبة في المصطلحات الفقهية، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (1311هـ)، بغداد: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى، 79.
- (2) الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية: حمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (1350هـ)، (الطبعة الأولى)، بيروت: المكتبة العلمية، 139.
- (3) (العنكبوت: 6).
- (4) (آل عمران: 142).
- (5) ينظر: كتاب اللمع في العربية، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت، 1972 م، تحقيق: فائز فارس، 123 و كتاب أسرار العربية المؤلف: عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الناشر: دار الجبل - بيروت، الطبعة الأولى، 1995م، تحقيق: د. فخر صالح قدارة: 293.
- (6) وليجة كل شيء وأولخته فيه وليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، لسان العرب: 399/2 (ولج).
- (7) (التوبة: 16).
- (8) (العنكبوت: 69).
- (9) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، المؤلف: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، عدد الأجزاء: 20، مصدر الكتاب: الموقع الرسمي للمؤلف، 431/1.
- (10) تفسير مجمع البيان، المؤلف: امين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: حسين الأعلمي، عدد الأجزاء: 10 اجزاء، مصدر الكتاب: المجمع العالمي لأهل البيت، 272/7.
- (11) (التوبة: 20).
- (12) (البقرة: 218).
- (13) (التوبة: 88).
- (14) شجرة طوبى / المؤلف: الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعاتها في النجف ت (368) محرم الحرام 1385 هجرية، الطبعة الخامسة وتمتاز على باقي الطباعات بالتصحيح والتدقيق، عدد الأجزاء: 2، 33/2.
- (15) (المائدة: 54).
- (16) التبيين في تفسير القرآن المؤلف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، عدد الأجزاء: 10 اجزاء، مصدر الكتاب: موقع الجامعة الاسلامية، 554/3.
- (17) (النحل: 110).
- (18) تفسير الأمثل: 335/8.
- (19) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، 1993
- عدد الأجزاء: 1
- (20) التوبة: 122.

- (21) لسان العرب: المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت (دب).
الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 15، 224/5 (نقراً).
- (22) دلائل الإعجاز: تأليف/ الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت سنة (471هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر منشورات: مكتبة الخانجي. الشركة الدولية للطباعة والتوزيع ط5 القاهرة 1425هـ-2004م، 53.
- (23) (التوبة: 38).
- (24) (التوبة: 41).
- (25) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المؤلف: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الناشر: دار الفكر - دمشق، عدد الأجزاء: 2، 2: 758.
- (26) (محمد: 31).
- (27) الكشاف: 343/6، وتفسير القرآن العظيم: 723 /1.
- (28) (النساء: 95).
- (29) (التوبة: 73) و (التحریم: 66).
- (30) ينظر: لسان العرب: 7 / 449، (غلظ).
- (31) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر (جار الله) الزمخشري، ط2، القاهرة 1373 هـ - 1953 م، 256/4 و تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 - 774 هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 8، 683/1.
- (32) (الانفال: 60).
- (33) (التوبة: 89).
- (34) (الإنسان: 31).

ثبت المظان:

- 1- خير ما نبتدي به كتاب الله العزيز القرآن الكريم.
- 2- أسرار العربية المؤلف: عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الناشر، تحقيق: د. فخر صالح قدارة. دار الجبل - بيروت، الطبعة الأولى، 1995.
- 3- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، المؤلف: الشيخ ناصِر مَكّارم الشّيرازي، عدد الأجزاء: 20، مصدر الكتاب: الموقع الرسمي للمؤلف.
- 4- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المؤلف: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الناشر: دار الفكر - دمشق، عدد الأجزاء: 2.
- 5- التبيان في تفسير القرآن المؤلف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، عدد الأجزاء: 10 أجزاء، مصدر الكتاب: موقع الجامعة الإسلامية.
- 6- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 - 774 هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 8.

- 7- تفسير مجمع البيان، المؤلف: امين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: حسين الأعلمي، عدد الأجزاء: 10 أجزاء، مصدر الكتاب: المجمع العالمي لأهل البيت.
- 8- جمال الأسبوع: تأليف / أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس الحسيني شرف الله قدره، منشورات: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1401هـ - 1981م.
- 9- دلائل الإعجاز: تأليف/ الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت سنة (471هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر منشورات: مكتبة الخانجي. الشركة الدولية للطباعة والتوزيع ط5 القاهرة 1425هـ -2004 م.
- 10- شجرة طوبى /المؤلف: الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ت (368) محرم الحرام 1385 هجرية، الطبعة الخامسة وتمتاز على باقي الطباعات بالتصحيح والتدقيق، عدد الأجزاء: 2.
- 11- طلبة الطلبة في المصطلحات الفقهية، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (1311هـ)، بغداد: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى
- 12- كتاب العين، المؤلف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، عدد الأجزاء: 8، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- 13- الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر (جار الله) الزمخشري، ط2، القاهرة 1373 هـ - 1953 م، 256/4.
- 14- لسان العرب: المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت (دب ت)
- 15- اللمع في العربية، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، تحقيق: فائز فارس الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت.
- 16- المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، عدد الأجزاء / 2.
- 17- المفصل في صنعة الإعراب المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، 1993، عدد الأجزاء: 1
- 18- الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية: حمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (1350هـ)، (الطبعة الأولى)، بيروت: المكتبة العلمية.

واقعة الطف وأثرها في سلوكيات مقاتلي الحشد الشعبي

م. د. شيرين قاسم عبد الرضا

قسم التقنيات المدنية
جامعة الفرات الأوسط التقنية

م. وسام صالح عبد الحسين

قسم علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة بابل
wissamsaleh50@yahoo.com

م. م. نسرين قاسم عبد الرضا

كلية التربية الأساسية - جامعة بابل
nqar12345678@gmail.com

Al-Tuf Incident
and Its Effect on The Behavior
of The Popular Fighters of Alhashd

ملخص البحث

تبرز قيمة واهمية واقعة الطف في هذا المجال من كونها تمثل الاطار العام الذي يختزل بمضامينه المختلفة احقية ومشروعية المشروع الجهادي للحشد الشعبي، فكانت تجلياتها واضحة في كافة جوانب هذا المشروع ما انعكس ايجابا على مواقف وسلوكيات مقاتلوه الذين لطالما امنوا بفلسفة النصر/ الشهادة كأساس للعمل الجهادي ووفقا لما امتلته مدرسة كربلاء من قيم ايجابية جمّة ، لذلك عدت الطف بكل ابعادها مثالا بارزا لمجمل تحركات الحشد المقدس حتى غدت بذلك العنوان المثالي / الواقعي الذي يترجم انظومة النهج المقاوم للمقاتل والميكانيزم الذي يغذي نسقه العقيدي لكل ما يؤمن به في هذا المجال.

من هنا كان الامام الحسين (عليه السلام) بجهاده المقدس حاضرا في مخيلة وعقل وفكر مقاتل الحشد، لا بل انه (عليه السلام) مثل الكل الذي يستحضره الشاب في ساحة القتال فغدت شعاراته وقيمه ومبادئه بمثابة رسالة وفريضة يستدل بها للتصدي للظلم والانحراف ودليلاً لتحقيق تطلعات الجهاد في سبيل المقدسات التي يؤمن بها المجتمع الانساني.

Abstract

The value and importance of the incident of Altaf in this field appears clearly that it is a general framework which summarized in its various contents the right and legitimacy of the jihad project of popular mobilization, therefore, we note that its manifestations are clear in some aspects of this project, which reflected positively on the attitudes and behavior of the fighters who have always believed in the philosophy of victory / martyrdom as a basis for the jihad work to occupy the Karbala school of values of great positive, so the Altaf returned in all its dimensions a prominent example of the movements of the crowd spirit until it became useful Ideal / Anonymous.

From here Imam Hussein (peace be upon him) in his holy jihad presented in the imagination and mind and thought of the fighter of Alhashd, he (peace be upon him) like all evoked by the young man in the battle field, so his slogans and values and principles as a letter and a duty to guide to address injustice and deviation and a guide to achieve the aspirations of jihad The path of holiness that human society believes in.

واقعة الطف

وأثرها في سلوكيات مقاتلي الحشد الشعبي

م.م. د شيرين قاسم عبد الرضا

قسم التقنيات المدنية
جامعة الفرات الأوسط التقنية

م.م. وسام صالح عبد الحسين

قسم علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة بابل

wissamsaleh50@yahoo.com

م.م. نسرين قاسم عبد الرضا

كلية التربية الأساسية - جامعة بابل

nqar12345678@gmail.com

مقدمة:

مثلت قضية الحشد الشعبي من اكثر القضايا الحيوية المثيرة للاهتمام في الوقت الحاضر، هذه الحيوية استُمدت تحديدا من قيمة المبدأ الذي انتظمت من خلاله انظومة الحشد المتكاملة تأسيسا وتشكيلا وحرارا جهاديا مقاوما ضد الجماعات الارهابية التي اجتاحت العراق في منتصف عام 2014، ما جعل منه فاعلا دوليا نشط بقوة ليحفظ قيمة/مكانة الدولة العراقية من الانهيار الكامل وبالتالي الوصول بها من قبل الارهابيين الى نقطة اللاعودة، لذلك نجد ان وجود الحشد انما هو لغاية مثلى وهدف سامي والذان لم يتحققا لو لم يكن هناك مجاهدون اخذوا على عاتقهم تلبية نداء فتوى - الوجوب الكفائي- تشكيل الحشد الشعبي لدفع خطر التكفيريين، وهؤلاء المجاهدون انما يمثلون انعكاسا حقيقيا للثلة المؤمنة التي تشكلت ومن ثم اندفعت لساحات القتال نتيجة لعدة مضامين الهمتها دافعية الولوج في طريق التضحية بالنفس لتحقيق اهداف مقدسة، وهنا تأتي واقعة الطف- كأحد تلك المضامين- لتضفي على تلك التضحية بعدا روحيا قوامه اصلاح ما أفسدته الرمز الارهابية كما وردته لها عبر الاجيال ثورة الامام الحسين (عليه السلام) الاصلاحية، من هنا مثلت كربلاء ثقافة استراتيجية اختزلت بكثرة دروسها العمل الجهادي للحشد الشعبي ليكون بفضلها مقدساً.

أهمية البحث:

تكمن اهمية البحث من كونه يؤكد ان واقعة الطف قد امدت الحشد الشعبي بكثير من المبادئ التي اطلقها الامام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ليؤكد من خلالها عن عظيم ثورته الاصلاحية، هذه المبادئ مثلت عناوين بارزة انعكست ايجابا على مواقف وسلوكيات مجاهدوا خط الحشد في تأكيد صدق القضية التي

يقدمون ارواحهم لأجل تحقيقها وبذلك مثلت الطف خزينا استراتيجيا ضخما وظفه المجاهدون لتحرير الارض بحرماتها ومقدساتها من دنس الجماعات الارهابية الداعشية.

مشكلة البحث

مثلت واقعة الطف بانطلاقتها ومآلاتها وقيمة النتائج التي نتجت عنها القضية الالهة التي اعتمدها الحشد الشعبي المقدس في بيان اهمية القضية التي يقاتل من اجلها، فهذه الواقعة اثبتت حركيتها في كل زمان من خلال النسق العقيدي المتكامل الذي اختزلته كنتيجة لتلك الواقعة، ما جعل كل مبدأ يدور في ذلك النسق يمثل مشروعا الهيا لكل من يريد تحرير مجتمعه ماديا ومعنويا طغمة الارهاب، لذلك مثلت ثورة كربلاء المقرب الاكثر حضورا في سلوكيات مقاتلوا الحشد لتجسيدهم مصداق القضية التي يقاتلون من اجلها، من هنا جاءت دراستنا لتجيب على سؤال مركزي يدور حول (ما مدى تأثير واقعة الطف على سلوك مجاهدي الحشد الشعبي؟ وما لنتائج المترتبة على توظيف واقعة الطف في العمل الجهادي للحشد ضد الجماعات الارهابية (داعش)؟)

فرضية البحث

يقوم هذا البحث على فرضية مفادها ان ثمة علاقة ارتباط وتأثير ما بين واقعة الطف وحراك جهاد الحشد الشعبي، فالارتباط يتضح من ان الطف مثلت ثقافة تشدق بها المجاهدون كدليل لأحقية جهادهم من اجل الوطن، اما التأثير فقد ابرز قيمته من خلال تقديم الانفس كدالة لإثبات تلك الاحقية وقيمة النتائج الايجابية التي افرزتها قضية الحشد في حراكها الجهادي المقدس.

أهداف البحث:

1. يهدف البحث إلى تبيان مفهوم الحشد الشعبي
2. يهدف البحث إلى التركيز على دراسة تأثير واقعة الطف على مواقف وسلوكيات مجاهدوا الحشد الشعبي في عملهم الجهادي المقاوم ضد الجماعات الارهابية
3. يهدف البحث إلى تبيان النتائج المترتبة عن توظيف الحشد الشعبي لمبادئ واقعة الطف من قبل مقاتلوا الحشد الشعبي في مجابتهم للزمر الارهابية التكفيرية.

هيكلية البحث

إلى جانب المقدمة، توزعت الدراسة على ثلاث مباحث، فالمبحث الأول تناول في دراسته إطار مفاهيمي لمعنى الحشد الشعبي وذلك بتعريفه وبيان كيفية والية تشكيله أما المبحث الثاني فقد تناول اثر واقعة الطف في سلوك مجاهدوا الحشد الشعبي المقدس والذي يمثل إطاراً مرجعياً لهذه الدراسة، أما المبحث الثالث

والذي يمثل الإطار التنظيري فقد تضمن دراسة النتائج المترتبة لتأثير واقعة الطف على سلوك مجاهدي الحشد الشعبي، وفي النهاية جاءت الخاتمة.

المبحث الأول: الحشد الشعبي دراسة في المفهوم

هي قوات شبه عسكرية رديفة للجيش العراقي، وتعمل معه، تم تشكيلها بظرف طارئ، وهي تابعة للمؤسسة الأمنية العراقية، تتكون من كافة مكونات الشعب العراقي من الشيعة والسنة والتركمان والكرد الفيليين والمسيحيين العراقيين⁽¹⁾ تأسس الحشد الشعبي بفعل فتوى تاريخية صدرت من السيد السيستاني في 13/ حزيران /2014 تضمنت الجهاد الكفائي للدفاع عن العراق واراضه ومقدساته وذلك بعد ثلاثة ايام فقط من استباحة عصابات داعش للعراق واحتلالها لثاني اكبر مدينة فيه وهي الموصل⁽²⁾ وجاء إعلان السيد السيستاني للفتوى من خلال خطبة الجمعة على لسان ممثله في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الذي صرح " إن التهديد الذي يمثله داعش بفرض التطوع على القادرين على حمل السلاح للدفاع عن وطنهم وهو واجب عليهم ... وأنه من واجب جميع العراقيين وليس فقط الشيعة الانضمام للقوات المسلحة لحماية البلد"⁽³⁾.

لقد تجنّد عددٌ كبير من العراقيين ردّاً على هذه الفتوى تجاوباً مع ذلك تأسّس تنظيمٌ عُرف باسم قوّات الحشد الشعبي⁽⁴⁾ وكان ذلك بعدما استولى ما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على ثلث أراضي العراق. وفي الوقت الذي سرّت مخاوف حقيقية من احتمال إطباق مقاتلي الدولة الإسلامية الارهابية (داعش) على العاصمة بغداد والسيطرة عليها فقد تطوّع عشرات الآلاف من العراقيين في الخدمة العسكرية. لاستعادة السيطرة على هذه الأراضي⁽⁵⁾ وتشير الدلائل أن عدد مُتطوّعي التشكيل اليوم أكثر من 100000 ألف مُقاتِل علاوة على 30000 مُقاتِل مُرتبط بوزارة الدفاع، وإن كان الأعمّ الأغلب من المُشاركين فيها من الفصائل، والمُتطوّعين من الشيعة وهذا يرجع الى سبب ان الطائفة الشيعية تمثل اليوم الغالبية الديموغرافية في المجتمع العراقي ، لكنها ضمّت مع ذلك مقاتلين من العشائر من سُنّة العراق. على سبيل المثال: من محافظة الأنبار 4747 مُتطوّعاً، ومن صلاح الدين 4896 مُتطوّعاً، ومن أهالي الموصل 3570 مُتطوّعاً، ولم يقتصر الحشد الشعبي على الشيعة والسُنّة فقد ضمّ 500 مُقاتِل من المسيحيين، و800 مُتطوّع من الشبّك، وأكثر من 3520 مُتطوّعاً من التركمان⁽⁶⁾ وفي كانون الأول/ديسمبر، اكدت قيادة قوات الحشد الشعبي انها تشرف على زهاء 160 ألف شخص تحت السلاح⁽⁷⁾.

قوات الحشد الشعبي تحظى اليوم باعتراف الدولة ككيان شرعي متفرّع عنها⁽⁸⁾ وهو بذلك يعد مؤسسة رسمية ذات صفة قانونية وتعمل بموجب القانون العراقي فهو غير مُنفصل عن الحكومة العراقية، فالأخيرة ومن خلال رئاسة الوزراء هي من تُشرف عليه تحديداً، وذلك من خلال تأسيس (هيئة الحشد

الشعبيّ)؛ بناءً على الأمر الديوانيّ لمجلس الوزراء المُرقم 47 لعام 2014، وخصّصت له الأموال من ميزانيّة الدولة العراقيّة⁽⁹⁾ وفي 30 /أيلول/ 2014 ، أصدر مجلس الوزراء قراراً دعى فيه رئيس الوزراء حيدر العبادي إلى ضمان تجهيز الحشد الشعبي بالسلاح والدعم اللوجستي والتدريب والرواتب⁽¹⁰⁾، وفي شباط/ 2016 تمكّن العبادي من تمرير الأمر الديواني المرقم 91، الذي ينص على أن (يكون الحشد تشكياً عسكرياً مستقلاً وجزءاً من القوات المسلحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة)⁽¹¹⁾.

المهم هنا وعلى وفق ما مر اعلاه فان الفتوى كانت قد صدرت من اعلى مرجعية شيعية في العراق والعالم الا انها لم تكن موجهة الى الشيعة فقط او الى فئة مقلدي الإمام السيستاني (دام ظله) الذين يتطلب منهم تنفيذ الفتوى والالتزام بها حرفياً بحسب العرف الفقهي الفتواي المتوارث لمراجع التقليد، وايضا لم تكن هذه الفتوى موجهة الى فئة جغرا — طائفية او مناطقيه معينة بل هي موجهة لجميع العراقيين ممن يقدر منهم على حمل السلاح للدفاع عن العراق ومقدساته ككل ودون تمييز او استثناء لان داعش يهدد الجميع، وبذلك فان نداء الواجب الوطني أملى عليهم واجب الدفاع عن بلدهم ككل⁽¹²⁾ والواقع أن هذه الفتوى كانت تخلو من أي توجه طائفي حصري، بل كانت نداء إلى العراقيين كبوتقة وطنية شاملة وليس إلى طائفة بعينها، كما أنها (الفتوى) ابتعدت كلياً عن إثارة النزعة الطائفية من خلال عدم ذكرها الشيعة والعقيدة الشيعية⁽¹³⁾. وفي ذلك دلالة واضحة ان الحشد الشعبي لم تكن لديه عناوين طائفية وتوصيفات مناطقيه ودلالات مليشياوية بل هو يعمل في اطار واسع يختزل تحت عنوانه كل من يتقلد مهمة الدفاع عن العراق بمقدساته وحرماته.

المبحث الثاني: أثر واقعة الطف في سلوك مجاهدو الحشد الشعبي المقدس

بُنيت الانطلاقة الحقيقة الأولى للحشد الشعبي على أسس فتوى الوجوب الكفائي للمرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف، ما يعني ان الحشد الشعبي استند بتأسيسه وبانطلاقته في مشروعه الجهادي على مبادئ عقائدية متكاملة وثابتة لأجل تحرير تراب الوطن من دنس الجماعات الارهابية، واذا ما حللنا هذا النسق العقائدي سنجدّه مكون من مجموعة من التفضيلات اندمجت وتكاملت مع بعضها لتشكل بمجملها مقاتلاً يبذل كل ما لديه لأجل اعلاء شأن بلده بمقدساته وحرماته، من هنا سنجد ان واقعة الطف -وبالكثير من تفاصيلها- مثلت التفضيل الاكثر حضوراً الذي وظفه في مقاتلوا الحشد المقدس لتقديم ارواحهم في ساحة المواجهة مع الجماعات الارهابية، وعليه لا بد لنا هنا ان نبين طبيعة الاثر الذي مثلته هذه الواقعة في الاندفاع الكبيرة لتحركات مجاهدوا الحشد وذلك من خلال الاتي:

1. يعد الواجب الديني من اهم المبادئ التي اثرت بها واقعة الطف على سلوك مجاهدوا الحشد الشعبي، فالإمام الحسين (عليه السلام) يؤكد ان واجبه الديني

دفعه لتبني خيار الاصلاح في امة جده (اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا ومفسدا ولا ظالما وانما خرجت لطلب النجاح الاصلاح في امة جدي(صلى الله عليه واله)) وهذا يشبه كثيرا الدافع الذي تحرك بموجبه مجاهدوا الحشد لإصلاح ما أفسدته الجماعات الارهابية في المناطق التي احتلتها وبموجب فتوى الجهاد الكفائي لدفع الضرر دينياً، والتي على اساسها قرر العديد من العراقيين امتشاق السلاح بتحفيز من واجبههم الديني الخاص بالانصياع إلى الفتوى وحماية المقامات الدينية، ودليل ذلك ما أكده مجاهد بالحشد بشكل جازم إنه "لا يفكر لا بزوجته ولا بأولاده، بل يركّز على واجباته الدينية التي تملئها عليه الفتوى(14).

2. تعد الشهادة من اهم القضايا التي اثرت بها واقعة الطف على سلوك مجاهدوا الحشد الشعبي كوسيلة عظيمة لتحقيق الانتصار، فالأمام الحسين(عليه السلام) عدّها الطريق الانجح لإحقيق اهداف ثورته الاصلاحية كما انه(عليه السلام) اراد من خلال الشهادة تفهيم الامة ان السكوت على ظلم بني امية ليس من الدين في شيء بل الدين يدعو الى قتالهم والإطاحة بهم بصفتهم قد بلغوا القمة في الظلم والانحراف(15) وكذلك الحال مع مجاهدوا الحشد الذين رغبوا بالشهادة كما الامام الحسين(عليه السلام) لتحرير الارض من فساد الطغمة الداعشية التي تشبه الى حد بعيد في سلوكها وتصرفاتها وانحرافات مجرموا واقعة كربلاء.

3. لقد اثبتت ثورة كربلاء ان الامام الحسين واهل بيته (عليهم السلام) وانصاره (رضوان الله عليهم) هم المعنيون بإحداث التغيير المطلوب في واقع الامة المأساوي في ظل وجود خليفة وحاشية لا يؤمنون بشرعية السماء - ودليل ذلك قول يزيد(لعنه الله)لعبت هاشم في الملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل- من اجل ذلك اعلن سيد الشهداء (عليه السلام) ثورة التغيير بقوله (الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واطهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وانا احق من غير) لذلك وعلى نفس الطريقة نرى ان مجاهدوا الحشد عمدوا الى توظيف ابعاد ثورة كربلاء التصحيحية لكل الانحرافات التي اعتمدها التنظيم الارهابي في مساره لبناء دولته المزعومة، فكانت واقعة الطف ومن خلال سلوك مقاتلوا الحشد المقدس كفيلة بتحويلها الى دولة خرافة اصطبغت بأفكار خالية لا قيمة لها.

4. لقد مثلت شعارات واقعة الطف الاساس الذي انطلق بموجبه مقاتلوا الحشد المقدس، ما انعكس ايجابا على سلوكهم الجهادي ، فنجدهم يوظفون عبارات (هيهات منا الذلة، ومثلي لا يبايع مثله، أبا الموت تخوفني؟، والله لا أعطي بيدي اعطاء الذليل ولا افر فرار العبيد الخ) لتكون كل واحدة منها وباجمعها

عناوين بارزة وظفت بشكل عملائي لتأكيد مشروعية جهادهم للفئة التكفيرية الباغية.

5. مثلت وحدة المرجعية والهدف نقطة مركزية لتلاقي اطروحة كربلاء باطروحة الحشد المقدس فالحسين (عليه السلام) بأمر من رسول الله (صلى الله عليه واله) خرج للإصلاح في دين جده وتهذيبه مما لحق به من جهالة بني امية⁽¹⁶⁾ اما الحشد الشعبي وبأمر من المرجع علي السيستاني وتأييد الكثير من مراجع الدين الذين يمثلون امتدادا طبيعيا للإمامة الذي افتى بضرورة دفع وردع خطر اقامة الدولة الداعشية التي اريد لها من جانب العديد من الدول ان تتشكل لخدمة اهدافهم الاستراتيجية، وبذلك اتصلت قداسة الحشد بقداسة واقعة كربلاء من خلال دور الحشد فالمرجعية فالإمامة مرورا بطف الامام الحسين (عليه السلام) لترتبط بالنبوة اخيراً بالباري جل وعلا، من هنا مثل الحشد الشعبي بمرجعيتيه وهدفه مصداقاً لقول الامام المهدي (عجل الله فرجه): (مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأمناء على حاله وحرامه) فكانت المرجعية من خلال الحشد المقدس الأمينة على حرمان وأرواح وممتلكات الناس، لأنها موكلة عن الامامة والنبوة والباري جل وعلا بهذه المهمة الخطيرة.

6. مثل الامام الحسين (عليه السلام) الشخصية الاكثر حضورا في سيكولوجية مجاهدوا الحشد، فمواقفه العظيمة في يوم العاشر جعلت من الزعيم الملهم للنصر والكاريزما التي اختزلت بمشروعها الالهي المقدس جميع بطولات الحشد، لذلك وجدنا ان كربلاء مشروع الهي حي امد الحشد بجوانب عقائدية كثيرة في ساحة المواجهة مع فئة العصر الباغية، لذلك مثل مشروع الامام الحسين مقتربا يسترشد به مجاهدوا الحشد في جهادهم ليكون ذلك المشروع الالهي فريضة جهادية/عبادية تشرعن وتفسر الاساس الذي اعتمده هؤلاء المجاهدون في بذل ارواحهم وانفسهم خدمة للأهداف الالهية الحقّة.

7. مثلت عدالة القضية اهم النقاط التي اثرت بها كربلاء على سلوك العمل الجهادي للحشد الشعبي، فالأمام الحسين (عليه السلام) واصحابه وقفوا لاحياء النزعة الانسانية والعدالة الاجتماعية وروحية الاسلام المحمدي ليحدوا من مساوئ معاوية وخلفه ابنه يزيد (لعنهما الله) المتمثلة بالظلم والاستبداد والتسلط وفرض الضرائب غير الشرعية،، الخ⁽¹⁷⁾ وغيرها من الصفات الرذيلة التي حاول الامويين ترسيخها في توطيد دعائم حكمهم والتي تشبه الى حد بعيد ما قامت به الجماعات الارهابية في المناطق التي خضعت لسيطرتها بعد عام 2014 ما دفع مقاتلوا الحشد الى توظيف مفهوم الشهادة لإبعاد خطر تطبيقها ومن ثم ترسيخها في المجتمع العراقي.

8. لقد افصحت واقعة الطف عن حقيقة التنوع المجتمعي لشهادتها، لتختزل في اطارها المسلم وغير المسلم والشباب والكهول والرجال والنساء والكبار والاطفال، وكل منهم ادى دوره الجهادي لإعلاء كلمة الاسلام المحمدي

الاصيل، وإذا ما استقرأنا واقع العمل الجهادي للحشد الشعبي لوجدنا حقيقة التنوع المجتمعي لواقعة كربلاء واضحا فيها، فنجد كل أطراف المجتمع العراقي فاعلة في انظومة الحشد هذا من جانب، ومن جانب اخر فان هناك تأثير لواقعة الطف على سلوك مقاتلوا الحشد فالشباب تفاعلوا بشهداء شباب كربلاء والكهول كذلك فالكل يقدم نفسه بقرينة الشخصية المقدسة التي قدمتها واقعة الطف للباري جلّ وعلا عام 61هـ.

9. لقد مثلت واقعة الطف انموذجاً رائعاً اعتمده مقاتلوا الحشد في جهادهم مع الجماعات الارهابية، فقرينة الجوع والعطش والحر الشديد كانت حاضرة في نفوس المجاهدون تيمناً بما جرى يوم العاشر من محرم، ما انعكس ايجابا على قيمة الدافعية لديهم على الاستمرار في فريضة الجهاد، فالحسين (عليه السلام) كان الاسوة للمجاهدين لتحمل كل الازمات من اجل الانتصار للمقدسات والحرمان.

مما تقدم يمكن القول ان واقعة الطف مثلت الحدث الاكثر اهمية والاجل قيمة من حيث الاثر والتأثير على سلوك مقاتلوا الحشد في تبني خيار الجهاد في سبيل الله والتطوع عن رغبة في تنفيذ وتطبيق فتوى الجهاد الكفائي للدفاع عن حرمان الشعب العراقي، فكانت بذلك المعين الصافي الذي يشد هم هؤلاء المجاهدون بالعزيمة في تأكيد احقية قضيتهم التي يقاثلون من اجلها، وبالتالي اصبح الحشد ومن خلال واقعة الطف مقياسا لاحقاق الحق ومن ثم الخيار الانسب لرد وتحجيم ومن ثم التخلص من خطر الطغمة الداعشية التي جاءت بقرينة سلوكياتها ومواقفها من انها تمثل جيش يزيد بن معاوية (لعنهما الله) كمقياس لتبني الباطل في واقعة الطف.

المبحث الثالث: النتائج المترتبة لتأثير واقعة الطف على سلوك مجاهدي الحشد الشعبي

لقد اثبتت واقعة الطف فاعليتها في قيمة الهدف الذي انجزه الحشد الشعبي المقدس في قتاله مع الجماعات الارهابية، والمتمثل بتحرير الارض التي سيطر عليها التنظيم الارهابي عام 2014، هذا الهدف ما كان ليتحقق لولا التضحيات التي قدمها المجاهدون في ميدان الجهاد والتي افصحت علانية ان فلسفة الدم المرتبطة بتقديم الانفس والارواح في ساحة الشهادة تمثل الوسيلة الأنجع لتأكيد عدالة القضية ومشروعيتها، ضمن هذا الاطار اقترن سلوك مجاهدوا الحشد المقدس ببعض افاضات سلوك مجاهدوا واقعة الطف لينتج عن ذلك اثرا ذو قيمة عبادية عالية اختزل بنتائج واقعية ملموسة شملت كافة مناحي الحياة الاجتماعية لتمثل تلك النتائج الترجمة الفعلية لأحقية السلوك الجهادي الذي تبناه المجاهدون في حربهم مع الجماعات الارهابية، وهنا يمكن ان نلمس تلك النتائج بما يلي:

1. تمكن الحشد الشعبي بعمله الجهادي المقاوم من تحجيم وايقاف الانتهاكات التي اعتمدها الجماعات التكفيرية في سلوكها الارهابي والتي اعتبرت بموجب تقارير بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق والمفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان على انها تمثل خروقات خطيرة للقانون الإنساني الدولي والمتمثلة بالهجمات التي استهدفت البنى التحتية المدنية والإعدامات وجرائم القتل التي استهدفت المدنيين وعمليات الخطف والاغتصاب وأشكال أخرى من العنف الجنسي والبدني الذي يرتكب ضد النساء والأطفال والاسترقاق والاتجار بالنساء والأطفال وتجنيد الأطفال قسراً أو تدنيس الأماكن ذات الأهمية الدينية أو الثقافية والتدمير العشوائي وسلب الممتلكات والحرمان من الحريات الأساسية. بالإضافة الى استهدافهم وبشكل متعمد أفراد المكونات العرقية والدينية العراقية المتنوعة بضمنهم التركمان والشبك والمسيحيين والأيزيديين والصابئة والكاكائيين والکرد الفيليين والشبيعة العرب وآخرين وفق سياسة متعمدة تهدف إلى تدمير أو قمع أو طرد هذه المكونات بصورة دائمية من مناطق تخضع لسيطرتهم، بالإضافة الى قيامهم بقتل الأسرى من أفراد القوات الأمنية العراقية والذين يشتهب بارتباطهم بالحكومة. وكذلك قاموا باستهداف وبصورة منتظمة جميع الأشخاص الذين يشكون باحتمال عدم ولائهم إلى قضيتهم بضمنهم القادة الدينيين وقادة المجتمع وزعماء العشائر وإخضاعهم للإعدام والقتل وتدمير الممتلكات وجرائم أخرى، وقد اكدت البعثة والمفوضية بأن الكثير من الخروقات والانتهاكات المرتكبة قد ترقى إلى جرائم الحرب أو الجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية⁽¹⁸⁾. وهنا كان دور قوات الحشد الشعبي حاسماً من خلال الجهود التي بذلت من قبل مجاهدوه في التصدي للجماعات الارهابية في الفترة التي انهار فيها الجهاز الامني في المناطق المحتلة ما جعله الضامن الحقيقي لمستقبل الشعب العراقي وبمختلف الصعد وخاصة الامنية منها.
2. اثبت الحشد الشعبي بعملياته الميدانية في ساحة الجهاد من انه يمثل جزءاً اساسياً من الحل وبأنه رصيد أمني ومُنقذ في خضم المعركة ضد تنظيم داعش الارهابي خاصة في الوقت الذي كان فيه الجيش العراقي في حالة فوضى شاملة، اضعف الى ذلك افسحت الوقائع ان الحشد الشعبي من الممكن ان يشكل سنداً للحكومة لحل المشكلات التي تشكل عبئاً وتهديداً للوضع السياسي والأمني للعراق ولإمكان تحسنه بشكل افضل، ما يسهم في النهاية بتعزيزه بالشكل الذي يصل الى توظيفه لأجل اعادة تشكيل المشهد السياسي والأمني الراهن في العراق على مسار التطور والتقدم والتنمية.
3. تشير الحقائق الموضوعية ان العقيدة العسكرية الممزوجة بثقافة واقعة الطف لمجاهدي الحشد المقدس أثبتت وبفعل ميداني ملموس ان الحشد مثل الظهير القوي الذي لا غنى عنه والمشارك الاستراتيجي واللوجستي والميداني

والتكتيكي الفعال لقواتنا المسلحة ما أسهم في النهاية بإرجاع الهيبة في مشروعية عمل القوات العراقية ما أهلها الي العودة بثقة عالية لأن تخوض أشرس معركة على التراب الوطني العراقي ضد الفكر التكفيري الاقصائي الموغل في التوحش والخرافة(19) وبذلك نجد ان تفاني الحشد بمجاهديه قد مكن جهاز الدولة الأمني من ان يستجمع قواه منذ ذلك الحين، وبالتالي منحه الثقة الكافية في المعارك اللاحقة التي تقلص فيها دور الحشد في تحرير بعض المناطق ، بما في ذلك بعض مناطق في الموصل(20).

4. استطاع الحشد الشعبي المقدس وبفضل بسالة مجاهدوه من إرجاع السكان إلى محل سكناهم التي هجروا منها بعد سيطرة الجماعات الإرهابية عليها لأشهر طويلة، وقد مورست بحقهم أشنع أنواع الانتهاكات من قتل وتهجير وتغيب ودعوى لا تتفق مع قيم وعادات المجتمع العراقي كزواج النكاح وبيع السبايا والإماء في أماكن خاصة او تزويجهم الى مقاتلون إرهابيون جاءوا لمساندة العمليات الإرهابية في العراق وما إلى غير ذلك.

5. استطاع الحشد الشعبي بفصائله المختلفة من مساندة القوات المسلحة العراقية من القضاء على مناطق كانت تعد لسنوات طويلة وكرا ومركزاً قوياً للجماعات الإرهابية، حيث كانت الأخيرة تمارس من خلالها عملياتها الإرهابية وبالشكل الذي أدى إلى زعزعة منظومة الأمن لسكان تلك المناطق أولاً وللأمن الوطني العراقي ثانياً، وهذا ما يتضح في مناطق جرف النصر وبيجي وسامراء وغيرها من المدن. فمن الناحية العسكرية، شاركت وحدات الحشد الشعبي في عددٍ من العمليات الدفاعية الشجاعة التي حافظت بها القوات لأمنية على مواقعها، وله يعود الفضل إلى صمود سامراء وعدم تعرّض بغداد قطً لهجوم خطيرٍ بالإضافة إلى ذلك، استعيد الجزء الأكبر من ديالى ، وتمّ تحرير جرف الصخر (النصر) من حكم تنظيم الدولة الإسلامية الارهابي، بينما ظلت طرق الزيارة الشيعية مفتوحة خلال عاشوراء وأربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، وبقيت كربلاء والنجف آمنتين، وهذه كلها نجاحات تجمعها وحدات الحشد الشعبي في رصيدها(21).

6. لم يقتصر حراك الحشد الشعبي على فلسفة القتال لأجل التحرير وتخليص اهله من انتهاكات الجماعات التكفيرية في المناطق التي دخل فيها، بل عمل على تأمين كافة المستلزمات والضرورات الاساسية الخاصة بالحياة الاجتماعية لسكان تلك المناطق، كتأمين الأكل والشرب والملبس والمسكن الأمن وتأمين المعابر للمناطق الآمنة وغير ذلك، وتشير الدلائل الى ان تلك الإجراءات عملت على زيادة التضامن الاجتماعي لمختلف أطراف الشعب العراقي وزيادة حجم والمقبولية للجهد العملي لفصائل الحشد الشعبي بعدما كانت غائبة او مغيبة عن أذهان سكان تلك المناطق.

7. لقد وضع الحشد الشعبي بنتائج جهده القتالي وعمله الجهادي المقاوم أساساً قويا لتطبيق حالة التعايش السلمي ما بين أبناء المجتمع العراقي، فقد التزم مقاتلوه المنتمين إلى كافة فئات الشعب بتوصيات وتوجيهات المرجع السيد علي السيستاني والتي مثلت الأساس لتنظيم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة من تنظيم (داعش)، والتي جاءت لتؤكد على التعامل بالأخلاق الإسلامية وعدم التعرض للناس أو أهالي المنتمين لـ (داعش) بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء الكبار بالسن والأطفال والنساء وعدم قطع أي شجرة إلا أن يضطروا إلى قطعها وكذلك معاملة غير المسلمين معاملة حسنة وعدم المساس بهم، كما واوصى السيد السيستاني المجاهدين بقوله (وكونوا لمن قبلكم من الناس حمة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوكم، بل أعينوا ضعفاهم ما استطعتم، فإنهم إخوانكم وأهاليكم، واشفقوا عليهم فيما تشفقون في مثله على ذويكم، واعلموا أتكّم بعين الله سبحانه، يحصي أفعالكم ويعلم نياتكم ويختبر أحوالكم)⁽²²⁾.
8. إن من أهم نتائج حراك الحشد الشعبي هو حفظ الحرمات بكافة أشكالها وأنواعها سواء تعلقت بالأماكن المقدسة أو الأنفس أو الأعراض أو الأموال وغير ذلك التي تمثل مجالا مقدسا لإرادة الحق الإلهية، فالحقائق تشير إلى إن مقاتلوا مدن الوسط والجنوب قاتلوا بضراوة لأجل حفظ حرمات أهالي المحافظات الغربية والشمالية من (سنة وايزيديين وشبك ومسيح وكرد) وهذا ما يشير ضمناً إلى النهج السليم للعمل الجهادي وانه بعيد عن كافة الادعاءات التي تقف دون استمراره تحت دعاوى الطائفية والمذهبية وما إلى غير ذلك من الحجج التي ليس لها أي اساس من الصحة.
9. تشير الدلائل الى أن مجاهدي الحشد الشعبي والقوات الامنية في قتالهم مع الجماعات الارهابية عمدوا الى احترام مبادئ القانون الإنساني الدولي عند القيام بالعمليات العسكرية واتخاذ كافة التحوطات والخطوات الممكنة لضمان سلامة وحماية المدنيين عن طريق تمكينهم من مغادرة المناطق المتضررة من جراء العنف بسلام وكرامة والحصول على المساعدة الإنسانية الأساسية في كل حين. بالإضافة حماية ورعاية الأشخاص الأكثر ضعفاً من بين السكان المدنيين⁽²³⁾ وهذا يدل على عمق عدالة القضية التي ضحى من اجلها مجاهدوا الحشد المقدس.
10. إن من أهم الانعكاسات الايجابية التي أنتجتها تجربة المشروع الجهادي للحشد الشعبي، هو تجاوز الاختلاف بين كافة فصائل المقاومة سواء أكانت مذهبية أم قومية أم مرجعية دينية، أو طائفية، فقداسة الهدف مثلت ضمانة وحيدة لعملهم القتالي، وبالتالي نجد اليوم البناء التنظيمي لهيئة الحشد الشعبي يختزل بداخله فسيفساء المجتمع العراقي المختلف اثنيّاً وعرقياً ومذهبياً ودينياً، فالجميع متفقون بضرورة إنهاء الخطر الإرهابي التكفيري.

11. أثبتت كل الوقائع إن تنظيم "داعش" لا يستثنى أحداً من أجنده الإجرامية، وما تعرض له أبناء المكون السني من قتل وتهجير واستباحة للحرمان والمقدسات والأعراض في نينوى والأنبار وصلاح الدين وكركوك وغيرها يمثل دليلاً دامغاً على أن ذلك التنظيم الإرهابي لم يكن صادقاً في شعاراته ودعاواه بالدفاع عن السنة، لذلك نجد الكثير من أبناء تلك المناطق انتظموا في تشكيلات عسكرية تحت لواء الحشد الشعبي وقدموا الكثير من التضحيات لعدالة المبدأ والقضية التي تشكل على أساسها الحشد الشعبي، وبالشكل الذي انعكس إيجاباً في ضمان حالتي السلم والأمن المجتمعي في المجتمع العراقي.

من هنا نجد الحشد الشعبي المقدس قد حضي بشعبية واسعة في أوساط المجتمع العراقي، وقد ادعى استطلاع للرأي في آب/2015 بأن 99% من الذين جرى استفتاءهم يؤيدون استخدام قوات الحشد الشعبي لمقاتلة تنظيم الدولة الإسلامية الارهابي، لذلك لا يزال الحشد الشعبي بالنسبة إلى العديد من العراقيين من انه يمثل هي وحدات شبه عسكرية مجازة دينياً تسمى ب(وحدات الحشد المقدس) لأنه هؤلاء يضم المقاتلون والشهداء الذين وفق الكثيرين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن الوطن⁽²⁴⁾.

الخاتمة

لقد مثلت واقعة الطف بمواقفها البطولية الحدث الأكثر بروزاً والاعظم أثراً في فترات ومواقف وسلوكيات مجاهدوا الحشد الشعبي المقدس في مجابهتهم للزمر التكفيرية، فمنها استلهم المجاهدون عزمهم وثباتهم ليلجوا الى طريق الانتصار الذي مثل الهدف الاجل قيمة كما اوحى لهم بذلك كربلاء، لذلك رأينا مضامين الشهادة ومجافة الظلم والذل والثبات على الحق وعدالة القضية وغيرها من العبر التي وردتها واقعة الطف للإنسانية اجمع ليجعل منها المجاهدون عناوين بارزة لتحقيق المهمة الخطيرة التي افصح عنها الفتوى المباركة وعلقت عليهم امال شعب بأكمله، ولذلك وجدنا انه ومن خلال فريضة الجهاد ضد التكفيريين انطلق الحشد في مشروعه المقاوم ضمن اطار كربلاء الواسع، لتمده الاخيرة بمضامين الهيئة اثرت بالشكل الذي اوجد مقاتلاً ثائراً ومصلاً يصنع النصر من نافذة الطف الواسعة لينتج عن ذلك في نهاية المطاف اثراً ايجابياً يكفل وجود مجتمع عراقي امن ومستقر، وعليه مثلت واقعة الطف ومن خلال مجاهدوها اقصر وأكثر الوسائل اماناً لأن يحقق من خلالها مقاتل الحشد هدفه المنشود بتحرير ارضه من دنس الارهابيين.

الهوامش:

¹ ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، الحشد الشعبي ، 12 / 5 / 2015 :

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

- 2 عباس الصباغ ، اشكروا الحشد الشعبي ، مجلة الاحرار ، العدد 490 ، قسم الاعلام ،العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء،2015،ص5
- 3 بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق و المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، تقرير حول حماية المدنيين في النزاع المسلح في العراق للفترة 11 ايلول -10كانون الاول ، مكتب مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان /بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ، بغداد ، 2014 ، ص15
- 4 رانج علاء الدين ، احتواء الميليشيات الشيعية: المعركة من أجل الاستقرار في العراق، نشرة موجز السياسة، مركز بروكنجز الدوحة ، الدوحة ، 2017 ، ص1
- 5 Jack Watling, «The Shia Militias of Iraq,» Atlantic, December 22, 2016, <https://www.theatlantic.com>
- 6 د . ياسر عبد الحسين ، الفاعلون من غير الدول : الحشد الشعبي إنموذجا ، صحيفة الأخبار اللبنانية ، العدد 2629 ، بيروت ، 2015 ، ص 2
- 7 وأفاد مدير جهاز المخابرات في حكومة العبادي أن نحو 75% من الرجال بين الثامنة عشرة والثلاثين عاماً تطوّعوا للانضمام إلى الحشد الشعبي قبل حلول ربيع 2016 وبما أن هناك متطوعين أكثر مما تحتاج الدولة، بقي معظم طالبي التجنيد غير نشطين ولم يُسجّلوا في القوائم الرسمية للمقاتلين الفعليين ومع تدفق سيل من المتطوعين من كل محافظات العراق، جند الحشد الشعبي عشرة أضعاف ما جندته قوات الأمن العراقية
- Hamza Hendawi and Qassim Abdul-Zahra, «Fears in Iraqi Government, Army Over Shiite Militias' Power,» Associated Press, March, 21, 2016, <http://bigstory.ap.org>
- 8 ريناد منصور وفالح عبد الجبار، الحشد الشعبي ومستقبل العراق ، مركز كارينجي للشرق الأوسط، بيروت ، 2017،ص8
- 9 ، د . ياسر عبد الحسين ، مصدر سبق ذكره ، ص3
- 10 بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق و المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، تقرير حول حماية المدنيين في النزاع المسلح في العراق للفترة 11 ايلول -10كانون الاول ، مكتب مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان /بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ، بغداد ، 2014 ، ص15
- 11 ريناد منصور وفالح عبد الجبار، مصدر سبق ذكره ،ص18
- 12 عباس الصباغ ، اشكروا الحشد الشعبي ، مجلة الاحرار ، العدد 490 ، قسم الاعلام ،العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء،2015،ص5
- 13 هذه الفتوى دفعت اهل السنّة الذين يريدون مقاتلة الدولة الإسلامية إلى الانضمام في البداية إلى قوات الحشد. وقد أطلق عليهم لاحقاً اسم حشد العشائر ريناد منصور وفالح عبد الجبار، مصدر سبق ذكره ،ص13-14
- 14 ريناد منصور وفالح عبد الجبار، مصدر سبق ذكره ، ص19
- 15 سامي البدري ، خطة الامام الحسين(عليه السلام) في نهضته المباركة، مجلة المصلحين، العدد3 ، مؤسسة شهيد المحراب ، النجف الأشرف، 2010 ، ص26
- 16 د.عبد الحسين مهدي الرحيم ، النزعة الانسية او الانسنة في حيثيات ثورة الامام الحسين(عليه السلام) حتى محط الرحال في كربلاء، مجلة السبب ، كربلاء العدد2، مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، كربلاء،2017،ص19
- 17 د . عبد الحسين مهدي الرحيم ، مصدر سبق ذكره،ص27

- 18 بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق و المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، مصدر سبق ذكره ، ص10
- 19 عباس الصباغ ، اشكروا الحشد الشعبي ، مجلة الاحرار ، مصدر سبق ذكره، ص5
- 20 ريناد منصور وفالح عبد الجبار، مصدر سبق ذكره ، ص8
- 21 Michael knights ,Devils You Don't Know, policy-analysis, Washington institute for near policy , Washington , 2015 , p 2
- 22 علي الشاهر ، من نصائح المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف للمقاتلين في ساحات الجهاد ، مجلة الاحرار ، مصدر سبق ذكره ، ص4
- 23 بعثة الامم المتحدة لمساعدة العراق والمفوضية السامية للامم المتحدة لحقوق الانسان، مصدر سبق ذكره ، ص11
- 24 ريناد منصور وفالح عبد الجبار، مصدر سبق ذكره ، ص10
- المصادر**
1. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الحشد الشعبي، 2015 / 5 / 12 :
<https://ar.wikipedia.org/wiki>
 2. عباس الصباغ ، اشكروا الحشد الشعبي ، مجلة الاحرار ، العدد 490 ، قسم الاعلام ، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، 2015.
 3. بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق و المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، تقرير حول حماية المدنيين في النزاع المسلح في العراق للفترة 11 ايلول -10 كانون الاول، مكتب مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان /بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ، بغداد ، 2014.
 4. رانج علاء الدين ، احتواء الميليشيات الشعبية: المعركة من أجل الاستقرار في العراق، نشرة موجز السياسة، مركز بروكنجز الدوحة، الدوحة، 2017.
 5. د . ياسر عبد الحسين، الفاعلون من غير الدول : الحشد الشعبي إنموذجاً، صحيفة الأخبار اللبنانية ، العدد 2629 ، بيروت ، 2015.
 6. ريناد منصور وفالح عبد الجبار، الحشد الشعبي ومستقبل العراق، مركز كارينجي للشرق الاوسط، بيروت ، 2017.
 7. سامي البدري، خطة الامام الحسين (عليه السلام) في نهضته المباركة، مجلة المصلحين، العدد3 ، مؤسسة شهيد المحراب، النجف الاشرف، 2010 ، ص26.
 8. د. عبد الحسين مهدي الرحيم ، النزعة الانسية او الانسنة في حيثيات ثورة الامام الحسين (عليه السلام) حتى محط الرحال في كربلاء، مجلة السبط ، كربلاء العدد2، مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، 2017.
 9. Michael knights ,Devils You Don't Know, policy-analysis, Washington institute for near policy , Washington , 2015 , Jack Watling, «The Shia Militias of Iraq,» Atlantic, December 22, 2016, <https://www.theatlantic.com>
 10. Hamza Hendawi and Qassim Abdul-Zahra, «Fears in Iraqi Government, Army Over Shiite Militias' Power,» Associated Press, March, 21, 2016, <http://bigstory.ap.org>

الحماسة في الشعر الحسيني وأثرها في انتصارات الحشد الشعبي

د. مهدي عبد الأمير مفتن
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بابل

د. راسم أحمد عبيس الجريّاوي
كلية التربية الأساسية
جامعة بابل

enthusiasm in the poetry of Hussein
and its impact on the victories
of the popular crowd

Dr.

Rassem Ahmed Abis Al-Griawi
Faculty of Basic Education
Babylon University

Dr.

Mehdi Abdul Amir Muftin
Faculty of Islamic Sciences

ملخص البحث

تعدّ الحماسة من أشهر ألوان الشعر العربي، وقد دفعت القيم العربية الشعراء إلى اعتناقها والاعتزاز بها، لذا أخذت مكانة واسعة في شعر الشعراء، وأمدتهم بوقود جزل من التغني بالبطولات والكرم والأخلاق. فالحماسة في أبرز تعريفاتها هي المنع والمحاربة والشدة في الغضب، وهذا التعريف جعلها تمتزج بالحرب والبطولات أكثر مما في الموضوعات الأخرى مثل الأعمال البدنية والنفسية وغيرها، فهي وإن كانت لا تقتصر على الحرب فقط إلا أنّ الحرب أبرز صورها.

وفي الشعر الحسيني اتخذ أنواعاً عديدة ومتنوعة، وله خصائص تميزه عن غيره، وعمّا ساد في الشعر عامة، فالحسين (ع) رمز الثورة والبطولة والحرب على الظلم والطغيان، فكان عنواناً للحماسة والشجاعة في الأدب العربي، وهذا المفهوم يمكن أن يستشف من قول النبي (ص) في حقّ الإمام الحسين (ع) ((إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المسلمين لن تبرد إلى يوم القيامة))، فالحرارة في معنى معانيها الحماسة لمبادئ الحسين (ع) والانفعال لبطولاته والاستعانة بها في محاربة الواقع الظالم.

ومن هذا وذاك نرى صور البطولات والتضحيات والحماسة التي قلّ نظيرها في صور الحشد الشعبي وهو يدود عن حمى العراق وكربلاء الحسين. فامتزج الحماس الحسيني الثائر بالحماس الشعبي المجاهد فانتهج بلاغة في الفعل والقول، إلى جانب ذلك فإن الحماسة الشعرية تمنح المقاتل قوة وصرامة في ساحات الوعي، لذلك استغلها الشعراء ووظفوها في أشعارهم ليشدوا من عزم المقاتلين وليزيدوا من إصرارهم القتالي فضلاً عن جعل همهم متواصلة غير متراجعة في عطائها القتالي. الأمر الذي جعلنا نخصّها بالبحث والدراسة.

تألف البحث من تمهيد ومبحثين، جاء التمهيد ليرسم ملامح الحماسة في الشعر العربي عامة، وتكفل المبحث الأول بالحديث عن الحماسة الحسينية في الشعر العربي. وتكفل الآخر بالحديث عن الحماسة الحسينية والحشد الشعبي لينتج عنهما نتائج سطرتها الخاتمة.

وختاماً نرجو من الله سبحانه يجعل عملنا هذا مسدداً خدمة لأهل بيت النبوة، وأن يجعلنا من أتباعهم ومواليهم إلى يوم نلقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، والأمنمة الهداة المهديين، وسلم تسليماً كثيراً.

Abstract

The enthusiasm of the most famous colors of Arabic poetry, and paid the values of Arab poets to embrace and pride, so took a wide place in the poetry of poets, and provided them with diesel fuel of praise and heroism and morality. The enthusiasm in the most prominent definitions is prevention and fighting and the intensity of anger, and this definition made them mixed with war and heroism more than in other subjects such as physical and psychological work, and others, although they are not limited to war only, but the war highlighted images.

In the poetry of Hussein took many types and varied, and has characteristics distinguish him from others, and what prevailed in poetry in general, Hussein (p) symbol of

revolution and heroism and the war on injustice and tyranny, was a title of enthusiasm and courage in the Arabic literature,) In the right of Imam Hussein (p) ((to kill Hussein heat in the hearts of Muslims will not cool to the Day of Resurrection)), the heat in the sense of the meaning of enthusiasm for the principles of Hussein (p) and the excitement of his heroism and help in the fight against the unjust reality.

And from this and that we see pictures of tournaments and sacrifices and enthusiasm, which is less similar in the images of the popular crowd, which protects the fever of Iraq and Karbala Hussein. In addition, the poetic enthusiasm gives the fighter strength and rigidity in the battlefields, so the poets exploited it and employed it in their poetry to increase the resolve of the fighters and increase their combat determination, as well as to make their minds continuous and unobtrusive in their giving Combat.

Which made us special research and study.

The study consisted of a two-part preface, the preface to draw the features of enthusiasm in Arabic poetry in general, and the first section to talk about the enthusiasm of Husseinia in Arabic poetry in general. And the other ensures talk about the enthusiasm of Husseinia and popular mobilization to produce results of their conclusion.

In conclusion, we ask God Almighty to make our work a service to the people of the House of Prophethood, and to make us their followers and followers until the day we meet, and our last prayer to praise God the Lord of the Worlds.

الحماسة في الشعر الحسيني وأثرها في انتصارات الحشد الشعبي

د. مهدي عبد الأمير مفتن

كلية العلوم الإسلامية
جامعة بابل

د. راسم أحمد عيسى الجريأوي

كلية التربية الأساسية
جامعة بابل

التمهيد: الحماسة في الشعر العربي:

تعدّ الحماسة أوسع أبواب الشعر العربي، تغنّى بها الشعراء في الحرب والسلام، وقد دفعهم في هذا تلك القيم العربية الأصيلة التي طالما كانت موضع فخر واعتزاز عندهم، فكاننا جواباً لتلك البيئة وقيمها النبيلة، وهي غرض أعطى الشعراء مزيداً من التغنّي بالبطولات وهما ((غرضان امتزجا في تيار واحد، فاستنفذا معظم الشعر الجاهلي، وأمدّا الشعراء بوقود جزل من التغني بالبطولات))⁽¹⁾ في العصور اللاحقة، وعليه فمن الطبيعي أن يكون لهذين الغرضين أبواب واسعة في الشعر العربي.

والحماسة أيضاً هي ((المنع والمحاربة والشدة في الغضب))⁽²⁾ وهذا التعريف أراه نابغاً من معاني الحماسة العربية الشاملة لكل الانفعالات.

وقد تباينت الآراء في حصر الموضوعات أو الأغراض الداخلة في الحماسة. فمنهم من جعلها تقتصر على الحرب وما يدور في فلكها. ومنهم عند البصري في حماسته ((البسالة في الحرب مع الشجاعة))⁽³⁾.

أما الحماسة كما وردت في مختارات أبي تمام وغيره، تعني أكثر ما تعني، الشعر الذي يعبر عن معاني الشجاعة والشدة، والمنع والمحاربة، والتغني بالأباء والصبر، وما إلى ذلك، كما تعني أيضاً الشعر الذي يغترف من هذا الينبوع، معبراً عن اهتزاز عاطفي في المدح، أو عن ثورة عارمة وتهديد ووعد في الهجاء، أو عن ثورة عارمة جامحة في الحب، أو لواعج لاهبة في الحزن⁽⁴⁾.

وهذا ما نتفق معه. وعليه فإنّ مفهوم الحماسة لا يقتصر على شعر الحرب فقط، بل يتسع ليشمل كل شعر فيه نزعة حماسية تهز الوجدان، وتلهب العواطف.

وقد كان العرب في العصر الجاهلي، وما زالوا، أمة امتزج الشعر بدمها، فهو يفيض من الوجدان، وينبعث عن الجوانح الثائرة، وقد كان غنائياً، يعبر الشاعر فيه عمّا يدور في نفسه من شعور ومواقف⁽⁵⁾، وقد روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: ((لاتدع العرب الشعر حتى تدع الأبل الحنين))⁽⁶⁾، وكان الشاعر عندهم هو اللسان الناطق باسم القبيلة، مسجلاً صولات

فرسانها، وشجاعتهم، متغنياً بسجايها أبنائها ومجدهم الأثيل⁽⁷⁾. لذلك ازدهرت حركة الفخر، وامتزجت بالحماسة، التي كانت عنصراً متمماً له⁽⁸⁾، وفي هذا العصر طغى شعر الحماسة على أغراض الشعر المختلفة، ويكاد الشاعر لا يطرق غرضاً شعرياً، إلا وفيه مادة للحماسة، ولو جُرد هذا الشعر - شعر الأيام - من الحماسة لم يبقَ منه إلا الشيء القليل، الذي لا يمدنا بصورة واضحة عن تلك الحياة العربية في الصحراء، فهي حياة قائمة على التنقل المستمر وراء مظاهر الخصب، وعلى التنازع القبلي والمفاخر بالأنساب والانتصارات⁽⁹⁾.

أما في العصر الإسلامي، فإنَّ غرض الحماسة يكاد لا يختلف عن مثيله في العصر الجاهلي ولاسيماً عندما انقسمت القبائل بين مؤيد، ومعارض للدين الإسلامي، فترتّب على ذلك زيادة في الموضوعات التي تدعو إلى المفاخرة، منها الفخر بمبادئ الدين الجديد وبالانتصارات بين المسلمين والمشركين. وقد كان من المتوقع أن يضعف شعر الحماسة بظهور الدعوة الجديدة، لاسيما أن الإسلام أسس دعائم المجتمع على العدل والمساواة، ونهى عن التفاخر والتنازع بالألقاب، لكنّه لم يستأصل جذور هذه الظاهرة كلياً⁽¹⁰⁾، فلم تجف بذلك ينابيع هذا الشعر الخالد.

وكذلك اذكت الفتوحات الإسلامية جذوة هذا الشعر، فانطلق على لسان الفاتحين، مما يمكن عدّه وثيقة تاريخية سجّلت الأحداث، ووثيقة وجدانية صوّرت مشاعر الشعراء والمجاهدين تجاه هذا الحدث الفذّ في تاريخ الإسلام، والرثة التي تنفّس من خلالها ما اختزن في نفوس العرب⁽¹¹⁾.

وتشتد الحماسة في العصر الأموي، لظهور فرق إسلامية كثيرة اتخذت من الفخر موضوعاً لها. فكان لكلّ حزب صوت مدوّ للدفاع عن هذا المذهب الذي آمن به، يذود عن مبادئه، ويسعى لتحقيق أهدافه، فنشأ شعر الشيعة، وشعر الخلافة، وشعر الزبيريين، وشعر الخوارج⁽¹²⁾، ونتيجة لذلك انتقدت نار العصبية القبليّة من جديد بعد أن هدأت في العصر الإسلامي، وقد أخذت في هذا العصر على شكل فخر وحماسة وهجاء، في ظروف لم تتح للعصبية في عصر ما قبل الإسلام، لأنّ الشعراء في العصر السابق كانوا يتفاخرون، ويتحمّسون، ومنازلهم بعيدة، أمّا في هذا العصر - العصر الأموي - فيقف كل حزب أمام الآخر، ليرمي خصمه بالشعر اللاذع المؤثر⁽¹³⁾، الذي يتضمّن معاني الفتك، والتجريح بالأنساب والتعبير بمثالب الأجداد. وقد ورث الأمويون تلك النزعات القبليّة من عصر ما قبل الإسلام، لقرب العهد بينهم وبين ذلك العصر⁽¹⁴⁾.

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي، نجد أنّ شعر الحماسة قد احتلّت مكاناً واسعاً في هذا العصر، بسبب طول العصر، والتطور الذي أصاب هذا العصر، فضلاً عن السيادة التي ظلت في قبيلة قريش، وظل العرب هم سادة الموالي، فكانت الحماسة ما تزال تجري على ألسنة الخلفاء وأبنائهم، كالسلسبيل العذب، ويُسمع على لسان كل عربي، في أية مناسبة تستدعي التفاخر بذكر الأعمال

العظيمة، والبطولات الخالدة، وقد بان من الطبيعي أن يزدهر شعر الحماسة لوجود أحزاب متعددة، كل يرى أنه أحق بالخلافة من غيره. ولقد ((دار الشعر الحماسي في العصر العباسي حول وصف تعبئة الجيوش، وزحفها ووصف الأسلحة، والخيول، والاساطيل، والنصر، وفرار العدو، وما إلى ذلك))⁽¹⁵⁾ وقد اتّبع الشعراء في هذا العصر، منهجاً يماثل منهج شعراء عصر ما قبل الإسلام، وساروا على مبادئهم، في الفخر بالنفس، وبالعشيرة، والإشادة بالمآثر والامجاد⁽¹⁶⁾ ((وزادوا على ذلك أن مزجوا الحكمة بالتصوير الفني وألقوا بين الوصف وحسن التعليل، واهتموا للصياغة اهتماماً خاصاً، كما اهتموا للتزييق والتهويل في الوصف والتصوير))⁽¹⁷⁾.

وقد واصل شعر الحماسة سيرته بعد العصر العباسي، وكان عند شعراء العصر الحديث على شكل أناشيد قومية تتغنى بالعروبة والوحدة العربية، وقصائد تستنهض العرب للدفاع عن أراضيهم وحقوقهم، وكان عند شعراء آخرين على شكل انطلاقات عسكرية، ووصف للجيش، كما هو الحال عند البارودي، وكان عند بعضهم الآخر على شكل نماذج تاريخية واجتماعية، وكان في كل دولة عربية أناشيد قومية وتنفسات تحريرية⁽¹⁸⁾.

المبحث الأول: الحماسة الحسينية في الشعر العربي

يمكن أن نرصد ونلاحظ في شعر الحماسة ثلاثة اتجاهات سار عليها الشعراء في قصائدهم وهم يتحدثون عن الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي:
أولاً:

حماسة الشعراء وهم يصفون شجاعة الحسين وإقدامه وبطولاته وصولاته في المعركة، ومنها قول الشاعر محمد حسين الحلبي (ت1352هـ)⁽¹⁹⁾:

وكيف يُسام الضيم من جده ارتقى إلى العرش حتى أشرف موضع

فتى حلقت فيه قوادم عزّه لأعلى ذرى المجد الاثيل وارفِع.

ولما دعتة للكفاح أجابها بأبيض مشحوذٍ وأسر مشرع.

يصول بماضي الحدّ غير مكهّم وفي غير درع الصبر لم يتدرع.

إذا القح الهيجاء حتفاً برمحه فماضي الشبا منه يقول لها ضعي

وإن أبطأت عنه النفوس إجابة فحدّ سنان الرمح قال لها اسرعي

فالحسين لا يسام الضيم، لأنّه ابن بنت من ارتقى إلى العرش ووصل إلى أشرف المواضع، فضلاً عن ذلك أنّه بلغ أعلى ذرى المجد الاثيل، وقد أجاب داعي الكفاح والجهاد، كان يصول عليهم وليس عليه إلا درع الصبر، وهذا في منتهى الشجاعة، أنّ الفارس يصول من غير درع على صدره أو ظهره ليحميه. ويقول

الشاعر أبو الطوس (ت1378هـ) مخاطبًا الحسين بأسلوب فيه حماس وشجاعة(20):

عركت الخطب لم تخش القراعا ولم تهب المنية والصراعا
ولم ترد الهناء على خنوعٍ ولم تنطق بسادرة خداعا
ولم تتطلب الاهواء تزجي اعنتها انقيادا وانصياعا
ولا البلوات زاحفة حشوداً ولا الكربات تنتظم اجتماعا
ولا الأهوال دائرة رهاها عليك تزيد جانبك التياعا
إلى أن يقول:
وكنت النار حين يشبّ جمراً من الطغيان تلتهب اندلاعا
فتجمع حول ثورتها المنايا لتقحمها المفاوز والتلاعا
وطوراً حين تشتجر العوالي فتربدّ الوجوه لها امتقاعا
فكيف عن الطغاة تغضّ طرفاً وتقنع ان تمدّ لها الذراعاً؟
وكيف نقرّ شرعتها رضوخاً وكيف تساير البغي اصطناعاً؟

فالشاعر في منتهى الانفعال والحماس وهو يسيطر هذه الصفات والأخلاق التي تحلّى بها الإمام الحسين (عليه السلام)، وبالدور الذي قام به في محاربة الظلم والجور والارهاب، ولاسيّما هذه الألف التي في نهاية الأبيات - ألف الاطلاق - التي تدعو إلى رفع الصوت عالياً مما يزيد الحماسة. والشاعر عندما يسيطر هذه الصفات بهذا الأسلوب الحماسي القوي، إنّما ليثير الجماهير، وليبعث الحماس في قلوبهم وعطفهم لاستئلام مواقف الحسين، والسير على خطاها، فهو يبعث في نفوسهم الثورة ضد الظلم والجور الذي يتعرضون له سواء أكان في زمانهم ومكانهم أم في أيّ زمان ومكان في العالم. وهذا ما يؤكّد عليه الشاعر في بعض أبيات القصيدة، إذ يقول:

وانت الطيب يعبقُ بانتشار فيذكي العزم والهمم الوساعا
ويستوحي المكارم والسجايا ويوسع افقها الرّحب اتساعا
وإشعاع الهداية لايبقيّ إذا ما لاح سجفاً او قناعا
فالحسين الطيب الذي ينتشر في الأجواء وهو الشعاع الذي يصل إلى كل زمان ومكان، ويؤكّد على هذا المعنى أيضاً الشاعر صالح الجعفري(ت1399هـ)، إذ يقول(21):

الفّ يمرُّ ومثلُهُ الفّ وما أوقدتَ يصلي كلّ صقعٍ نارا

كذب الأولى قالوا قتلت فهذه الدنيا تضحُّ بأهلها ثوراً
 يترسمونك قائداً معواراً يتوسّمونك ثائراً جباراً
 علّمتهم أن الحقوق مردها أن تستثير الصارم البتاراً
 فالشاعر يؤكد على أن الثور يترسومون خطى الحسين، وهو يحث في
 الوقت نفسه الجماهير على أن تسلك الطريق نفسه لاسترجاع الحقوق ورفع الظلم.
 وبهذا الاتجاه - توظيف شجاعة ومواقف الحسين لإثارة حماس الجماهير
 - نفسه جاء قول الشاعر الاستاذ عبد الحسن زلزلة في قصيدته الميمية
 الرائعة(22):

قلل للدماء وقد أريقث عنوةً لا طاب بعدك مشربٌ أو مطعمٌ
 خطي لهذا الجيل أروع صفحة توحى العزيمة للشباب وتلهم
 دوي بقلب المستكين. وجلجلي صوتاً يربغ الظالمين ويلجم
 وتفجري حمماً على مُستعبدٍ بمصير شعبٍ بانسٍ يتحكّم
 من كان يعهد أن في الدم قوةً تبني الصروح الشامخات وتهدم
 حدّث ابا الشهداء اي رسالةً بدماك سطرها الينا اللهزم
 كتبت على لوح الخلود وسيرت لنا فم الدنيا به يترنم
 بارك لها النشئ الجديد وحيه رهطاً لغير خطاك لا يترسم
 لوخ له بالقيد يسخر بالقضا ويقارغ الدهر الذي لأيعم
 آمنث بالبعث القريب لامة أنت الدليل لها وأنت الملهم

فالشاعر في كل ذلك يوظف شجاعة الحسين (عليه السلام) وما حققه من
 انتصارات على المدى البعيد، يوظفها لإثارة حماس الجماهير ودعوتها للسير في
 الطريق نفسه.

ويستعرض الشاعر عبد المنعم الفرطوسي(ت1404هـ) بعض صور
 البطولة والشجاعة في يوم الطف بأسلوب حماسي، فيقول(23):

أطلّ على ليل الكريهة مشرقاً وفي كل برقٍ من مباسمه فجر
 وغبر في وجه الجموع. وحشدها به ضاقت الأفاق وازدحم القفر
 فأوردها مرّ الردى حين خاضها بليلٍ هو الهيجا وطلعت البدر
 كأن القضا في الفتك أو كل امره لمرهفه الماضي وقال لك الامر

فأصبح يطوي والكتائب صفحةً إذا لاح في الهيجا لمرهفه نشر
ويرقم في هام الكماة سنأه سطور المنايا والدماء هي الحبر
ويركز الشاعر طالب الحيدري أيضاً على شجاعة الحسين وبطولاته،
فيقول بروح حماسية(24):

أبّي به صاح الإباء فشمّرا وأقسم إلا أن يثور محررا
وقال لها يا نفس كوني أبيةً ولاتردي إلا الدم المتفجرا
إلى أن يقول:

ويوم كيوم الحشر فاضت به الثرى نجيعاً وفيه غصت البيد عثرا
غداة ابو الهيجاء والبأس والندى أطل على الهيجاء ليثاً مزجرا
وفي لهوات الحرب هز حسامه فقدم آجال الكماة وأخرا
على سابق لايرهب السمر والطبا ولا يتحامي اللاهب المتسعرا
فله من طرف كريم معود على ان يكون السابق المتصدرا
يقل على اعطافه ومتونه فتى كل عضو منه يجتأح عسكرا
يقل هزبراً بل اشد صرامةً ويحمل طوداً بل أجل وأكبرا (25)

ثانياً:

استنهاض الحسين وإثارة حماسته، ودعوته إلى عدم الخضوع والاستسلام، وهذا الأسلوب جديد في مخاطبة الحسين (عليه السلام)؛ لأن الشعراء عادة إما أن يمدحوه بالشجاعة وغيرها أو يرثوه، ولا معنى لمخاطبته واستنهاضه؛ لأن الأمر قد حدث وانتهى، ولكن بعض الشعراء أثر على مخاطبة الحسين مخاطبة الحي، وأن يوم عاشوراء لم يقع بعد، فيحاول أن يستنهض الشاعر الإمام الحسين (ع) ويطلب منه عدم الاستسلام والخضوع، وهذا الاتجاه على قلة من كتب فيه إلا أنه اتجاه يستحق الوقوف عنده، والإشارة إليه، وأبرز من كتب فيه هو الشاعر عبد المهدي مطر (ت1395هـ)، يقول مخاطباً الإمام الحسين وواصفاً زواره في يوم الأربعين (20 صفر) (26):

وافتك جنداً يستثير ويزعز فقد المواكب إنها لك عسكر
لا تسلمن الى الدنيا راحة ما كان اسلمها لذل حيدر
وابعث حياة الناهضين جديدة فيها الإباء مؤيد ومظفر
وارسم لسير الفاتحين مناهجاً فيها عروش الطائشين تدمر

ثم يخبره عن جموع الزائرين التي جاءت عند قبره في ذكرى الأربعين:

إن لم تلتك ساعة محمومة ذمت فقد لبثت زرانك اعصرُ
فم وانظر البيت الحرام ونظرة أخرى لقبرك فهو حج أكبر
يزاحمون على استلام مشاعرٍ من دون روعتها الصفا والمشعرُ
ركبوا لها الاخطار لو غدت تبري الاكف والجماجم تنشرُ

فالشاعر يريد أن يحمس الإمام الحسين (عليه السلام) ويطلب منه عدم الاستسلام والخضوع كما كان أبوه الإمام علي (عليه السلام)، ثم يبيّن له بعض المكاسب التي حققها والمنزلة الرفيعة التي وصل إليها من خلال جعل يوم الأربعين (حج أكبر)؛ لكثرة الزائرين وتحملهم المتاعب والمصائب من أجل الوصول إلى تلك المشاعر المقدسة والمباركة. والشاعر عندما يستعمل هذا الأسلوب أو الاتجاه في مخاطبة الإمام الحسين (عليه السلام) فهو يريد أن يؤكد على أحد أمرين:

الأول: يريد أن يؤكد على أنه يسير على خط الحسين في التضحية والجهاد، وأنه لا يهاب الموت وأنه يقول كلمة الحق حتى لو كان ثمنها الموت، فالشاعر يمدح موقف الحسين ويصفه بهذه الطريقة ويشيد به ليؤكد على أنه سائر على الطريق نفسه.

الثاني: يريد الشاعر أن يحثّ الناس على اتباع خط الحسين وعدم الخضوع والاستسلام للطغاة والظالمين، ومجاہتهم بالكلمة الصادقة وبالسيف، كما فعل الإمام الحسين (عليه السلام). فالشاعر يوظف مواقف كربلاء من أجل معالجة الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية التي كان الشاعر يعيش فيها.

ومن الشعراء الذين ساروا بهذا الاتجاه أيضاً في رفع حماس الحسين ووصفه على الصبر والشجاعة، الشاعر صالح الجعفري (ت1399هـ)، إذ يقول (27):

لحّ فوق تاج الفاتحين شعارا واسطع بدرب الثائرين منارا
وأر الاولى سيموا المذلة أن في مقدورهم ان يصبحوا احرارا
واقهر بمفردك الجموع ميمماً فيما قصدت الواحد القهارا
أمّنكس التيجان وابن مُحَطَّمِ الاوثان لا اشراً ولا استكبارا
ومبيد جمع الكفر وابن مُبيده في الله لا بغياً ولا استعمارا
لولا اجتنثت اصولهم كفروعهم فتظهر الاسلام داراً دارا

فوحق ما عانيت ما ولدوا ولا يلدون إلا فاجراً كفتارا
 فهو يريد من الإمام الحسين (عليه السلام) ويحثّه على أن يكون مناراً
 للثائرين وأن يقهر بمفرده الجموع التي جاءت لقتاله، وأن لا يريد بذلك إلا وجه
 الله، ثم يخبره عن قضية مهمة، وهي أنه لولا ان قطّعت اصولهم وفروعهم يوم
 عاشوراء لما تظهر الإسلام من أولئك المجرمين القتلة؛ لأنهم لا يلدون إلا فاجراً
 كفتارا.

ثالثاً:

الحماسة في الدعوة إلى طلب الثأر، والدعوة إلى استنهاض الإمام المهدي
 (عليه السلام) بعده هو الذي يأخذ ثأر الإمام الحسين من قتلته، وهؤلاء القتلة يمكن
 أن يكونوا:

1- قتلت الإمام الحسين (عليه السلام) الفعليين الذين وقفوا يوم عاشوراء
 وحاربوا الحسين وقتلوه، وقد يقول قائل: إن هؤلاء القتلة هم أموات منذ مئات
 السنين، فكيف يطالب الشاعر بأخذ الثأر منهم؟ ولكن هذا التسائل يمكن أن
 يزول إذا علمنا أن الشاعر يؤمن بعقيدة الرجعة التي تعتقد بها بعض فرق
 المسلمين ((إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن أهل البيت (عليهم
 السلام) أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي
 كانوا عليه، فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر ويديل المحقين من المبطلين
 والمظلومين منهم من الظالمين وذلك عند قيام مهدي آل محمد)) (28)
 فالشاعر يعتقد أن هؤلاء القتلة سيرجعون بطريقةٍ أو بأخرى إلى الحياة الدنيا
 وسيقتص منهم الإمام المهدي (عج).

2- إن الشاعر يطالب بأخذ الثأر من الظلمة الذين يسمون الناس ظلماً ويزيفونهم
 أشد العذاب، فالشاعر لا يطلب الثأر الحقيقي من القتلة وإنما يريد القصاص
 من كل من يمشی في طريق الظلم والظالمين، فالشعراء بهذا الاتجاه يدعون
 إلى محاربة الظلم والظالمين.

والحماسة في هذه الدعوات واضحة وصريحة، وهي تلهب المشاعر وتفجر
 العواطف، ويخاطب الشعراء في هذه الدعوات إلى طلب الثأر:

أولاً:

بني هاشم بعدّهم أهل الدم وعشيرته، فيتوجّه الشعراء لهم بالتحريض
 والحث على طلب الثأر وعدم الخضوع والخوف، يقول الشاعر مير علي أبو
 طبيخ (ت1361هـ) (29):

أهاشم إن لم تمتطي الخيل ضُمراً فكل حديثٍ في معاليك مفترى
 وإن لم تفه بالطعن ألسنة القنا فلا فرعت منك الخطابة منبرا

وإن لم تخض منك الضبا بدم الطلا فيا لا طمى وادي نذاك ولا جرى
لئن قعدت سود الليالي بمرصدٍ فهذي الليالي البيض أحمد للسرى
فصولي بمقصول الشبا حيثما هوى يفلتق مصقول الجوانب مرمرًا
إذا لعلت في القاصفات بروقه فصيد الاعادي الصيد وهولها قرى
او انتثرت منه الجماجم خلتها كُرى يطمم اللاهي بها اوجه الثرى
لجوجٌ فلولا الغمد يمسه بأسه لسالت به شتى المدائن والقرى
اخو نجدة يبدو بهيئة راعع فإن هو أهوى للضريبة كبرًا
يتيه به زهو الملوك إذا انثنى يمجّ بفياض النجيع مظفرا
عسى تدركي الثأر الذي ملؤه دم متى عصفت فيه المنايا تفجرا

فهذا التحريض على طلب الثأر، رُسم مشاهد من هذه المعركة والألفاظ التي فيها حماس وقوة مثل: (لعلت، القاصفات، الجماجم، يطمم، تفجرا)، وهذه الألف في آخر الأبيات التي للاطلاق، كلّها عوامل تساعد على ازدياد الحماس في هذه الأبيات. وكذلك يفعل الشاعر مهدي الظالمي(ت1359هـ) في قوله(30):

متى مضر الحمراء تطلب ثأرها فتسمع آذان الزمان شعارها
وحتى م تستقصي البلاد بجولة على الارض تهدي للسماء غبارها
الى م بدار الذل تبقى ومالها على الضيم دهرًا لا تملّ قرارها
اتحسب ان غضت عن الحرب طرفها بغير وصال الموت تقطع عارها
فلا عذر حتى تورد القوم بالطبا حياض المنايا او تخوض غمارها
فيا من بها يستدفع الضر والعدى حذار من البلوى تعزز جارها
دعي البيض في ليل القتام سوافرا إذا حجبت خيل الكماة نهارها
وزفّي لنيل المجد نفساً أبيه ولا تجعلي إلا الرؤوس نثارها
اديري رحي الهجاء يوماً لعلها عليك بوادي الطف تنسى مدارها

فالشاعر يستعمل الأساليب نفسها في بعث الحماسة في نفوسهم من خلال بيان تقصيرهم، وأنه لأمفر من الموت، وأنه لا طريق لغسل العار إلا الموت، ثم يرسم مشاهد من المعركة بأسلوب قوي، مع استعمال (ها) في نهاية الأبيات التي تعطىها قوة وحماساً اضافياً.

ويؤبّخ الشاعر عبد المنعم الفرطوسي (ت1404هـ) بني هاشم على عدم أخذهم للثأر، بأسلوب قوي جداً، وحثها على الإسراع بالأخذ به، ويصف لهم ما يجب أن يقوموا به، فيقول⁽³¹⁾:

فما بالُ فهِرٍ لاقلّيت عثارها ولا قبلت منها حميتّها عذرا
ولا رفعت وهي الطموحة مفرقاََ تطول به العليا على مفرق الشعري
ولا استنشقت إلا صغاراََ وذلةَ عرانينها وهي التي تزدهي كبرا
ولا فتحت عينياََ على غير مصرع ولا اطبقت جفناََ بغير القذى يمرى
ولا ارضعت إلا دماََ من نورها رضيعاََ يغذيه الفخارُ بما درّا
إذا هي لم تنهض الى أخذ ثأرها مجلبة في ارةٍ ترهب الدهرا
وتركضها في كل مجرى سوابحاََ على سعة الدنيا يضيق بها المجرى
تثير لقرن الشمس منها صواعقاََ فتحدث من رعد الصهيل بها وقرا
ويصبح رحب البر بحراََ من الدما وقد عقدت هامَ العدا فوقه جسرا
إلى أن يقول:

وتلقحها حمراء مضمرة اللظى تقيم على الاعداء في همولها الحشرا
تخلدها ذكريَ لعلياء هاشمٍ ومن آل حرب لا تبقي بها ذكري

ثانياً:

يخاطب الشعراء الإمام المهدي و يحثونه على أخذ الثأر، وجاء هذا الخطاب بالأساليب نفسها التي خاطب بها الشعراء بني هاشم، إذ يبدأ الشاعر بالعتاب ثم يصف شيئاً من المعركة و أسلحتها واستعمال الألفاظ القويّة، والقافية المطلقة، كما في قول الشاعر محمد طه الحويزي (ت1388هـ)⁽³²⁾:

أثرها تخف بفرسانها تدك الربي فوق غيطانها
وقدها عتاقا بأدابها تصرفها لا بأرسانها
تكاد اذا ما ارتمت بالكماة تنسل من بين سيقانها
وتغدو تسابق من عجبها ظلال القنا بين آذانها

وتشأو بها الريح مجدولة كأنها عزائم فرسانها
ويرمي بها النصر ببض الجبابة بين الجبال لعقبانها
إلى أن يقول:

هلم بنا يا ابن ثاوي الطفوف وسل من قضى فوق كئبانها
ومن وسدته ترتيب الجبين من شيب فهرٍ وشبانها
ألست المعدّ لأخذ الترات وأخذ العداة بعدوانها
اصبراً نويت بلى ام طويت حشاك وحاشا بسلوانها
وقول الشاعر عبد المنعم الفرطوسي(ت1404هـ) أيضاً⁽³³⁾:

أما أن للموتور ان يطلب الوترا فيشفي بأخذ الثار أفندةً حرى
وللحق ان تطغى به عزماته فتندر اهل الشرك بالبطشة الكبرى
وللعلم المنصور ان يبلغ المنى فيخفق منشوراً على الطلعة الغزرا
وللخيل ان تجري الى حلباتها فتحتشد الدنيا بها فيلقا مجرا
وللبيض ان تنضى فتعري فتونها لتلبس من فيض الدما حلة حمري
فقد سئمت طول الوصال على قذى بأجفانها حتى تمت لها هجرا
وقد صدأت منها مضارب عزمها ولأن لم يجبر بها تأثر كسرا
وقد نسيت مجرى الطراد سوابق محلقة كانت به تسبق النسرا
وقد خدمت منها لطول ركودها عزائم قد كانت بها تحرق الجمرا
وقد اصبحت تشكو الى عذباتها من ألف اعلام تعودت النشرا

فالشاعر يبدأ القصيدة بمعاتبة الإمام المهدي، ويطلب منه الاسراع بأخذ الثار، ثم يصف ما يجب أن يحدث، أو ما يتمنى الشاعر أن يحدث، بأسلوب فيه قوة وحماس - كما قلنا -.

المبحث الثاني؛ الحماسة الحسينية والحشد الشعبي

تعد ملحمة الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء ثورة حقيقية استمدت منها الحشد الشعبي قوته وحماسه وعزيمته وقد نهل من أفكارها ومبادئها واتخذ منها منهجاً في رفق عزيمته بالثبات والصبر. فالحماسة الحسينية شكّلت طابعاً إيجابياً رائعاً وصورة مثلى اقتدى بها الحشد الشعبي وجعل منها نبراساً في معاركه كلها.

فالحشد الشعبي دائماً يضع ثورة الإمام الحسين (ع) أمام أعينه؛ لأنها تعد نبعاً ثراً في مواصلة معاركه ودفاعه عن الحق، فهو ما أن يتذكر ملحمة الطفّ يزداد حماسة وتقدماً وعزيمة واصراراً، وهذا الأمر جعل من ثورة الإمام الحسين (ع) ثورة إنسانية كبرى بكلّ أبعادها حدثت في عصر معيّن لكن بقيت اشعاعاتها وقيمها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير يشعّ على كل أمم الأرض ما دام الظلم والاضطهاد قائمان في هذا العالم. ولا بدّ لنا أن نستحضر قيم تلك الثورة الخالدة في كل لحظة من لحظات هذا الزمن الذي تجبر فيه طواغيت الأرض وازدادوا عتواً كبيراً وتمادوا في ظلمهم للإنسانية، فعندما نستحضر قيم تلك الثورة ومبادئها وأهدافها للنهل من نبعها الثرّ، ودفعها المتجدّد نزداد ثقة وعزيمة وحماسة، وما دام هذا النور المحمّدي الخالد والحقيقي فقد ظلّ يخترق المسافات والأزمان لينير طريق الحرية والكرامة لكل شعوب الأرض المظلومة⁽³⁴⁾. وهذا ما تمخّضت عنه ثورة الحشد الشعبي في معركته الأزلية الخالدة الذي أصبحت امتداداً حقيقياً لملحمة الطفّ الخالدة فقد كسبتها بهاءً وحماسة وعزيمة وقوة واصراراً.

فملحمة الطفّ غيرت الموازين وقلبت المفاهيم المرادة وهي السبب الرئيس في ملازمة النصر لثورة الحشد الشعبي، فقد أخذوا منها كل معاني الإباء والجهاد والحق والقوة، فالحشد الشعبي يستمد قوّته وحماسته من صورة أهل البيت (ع) وهذا ما رأيناه وشاهدناه بأنّ أعداء الله والإنسانية كيف يهابون الحشد الشعبي أهابة كبيرة ويحسبون لهم ألف حساب، لذا نجد ذاته متحمّسة غير مترابحة أو خائفة، ومن هنا نجد أنّ ((الفعل الجهادي الشيعي بشكل خاص والإسلامي بشكل عام إنّما يركز على الشهادة الواعية والدامية للإمام الحسين (ع) وأهله وأنصاره ومنها يستمد الطاقة اللازمة في مناجزة الأعداء في كل زمان ومكان))⁽³⁵⁾.

فثورة الإمام الحسين (ع) ثورة خالدة بقيت مبادئها متواصلة استمدت منها الحشد الشعبي حقيقته، لذا ظلت مستمرة في عطائها الفكري والمعنوي والديني والاجتماعي والعائدي والعسكري وفي كلّ شيء، ومن هنا أصبحت ملحمة الطفّ تشكّل درساً اتّخذ منها الحشد الشعبي في معركته المصيرية حافزاً مهماً في شدّ عزيمة مقاتليه ومواصلة تقدّمه في التصدي لأصحاب الظلم والطغاة، لذا مثّلت النهضة الحسينية ردّاً استراتيجياً على هؤلاء الطغاة ومحرفي الدين الأصيل فأضحت المعيار الأعلى والأنموذج الأمثل لكل الثورات التي تلتها على مرور الأزمان⁽³⁶⁾.

وفي ضوء ذلك أعطت ثورة الإمام الحسين (ع) جانباً مشرقاً في الجهاد والدفاع وبقاء راية الحقّ مرفوعة لم تستطع أيادي الشرّ أن تطمسها، فهذا كلّه جاء بفعل الملحمة الكربلائية التي أبهرت العالم بمأساويتها وبقائها وتجدها فضلاً عن استمداد الأمة دائماً من مناهلها، ومن هنا يقول السيّد محمد باقر الصدر عن ملحمة الطفّ: ((واقعة الطفّ لم تكن قضية مأساوية عابرة، حدثت في مرحلة معينة من

التاريخ، بل هي صورة متكاملة لتجسيد الصراع بيت الحق والباطل، وهي مسرحية واقعية تنبض بالحياة، أدى أدوارها كل صنف من أصناف البشر وبمختلف الأعمار والأجناس، ففيها المعصوم والمرأة والطفل الرضيع والصبي والشيوخ العجوز، فيها التائب والعاصي، فيها السمو والرفعة وفيها أيضاً الدناءة والخسة، فهي عبرت عن حالة أمة انحرف بها الحكام عن جادة الصواب وأبعدها عن رسالتها وعقيدها. وأنّ هذه الأمة جاءت أهلها فماتت، وإن كانت الأجساد متحركة، فهذه الواقعة جاءت لتحرك في ضمير الأمة وتعيدها نحو رسالتها وتبعث شخصيتها العقائدية من جديد ((37).

ولم تبتعد أقلام الشعراء من توظيف هذه الثورة الخالدة، فقد عمدوا بصورة فائقة من تصوير وتسجيل انتصارات الحشد الشعبي وربطها بملحمة الإمام الحسين (ع) الجهادية، فالشعراء أسهموا مساهمة فعّالة في رقد حماسة مقاتلي الحشد الشعبي وشد عزيمتهم وتقوية سواعدهم، ممّا شكّلت الحماسة في أشعار الشعراء حافزاً مهماً في دفع واصرار المقاتلين في سوح القتال. ومن هنا أصبح ((لدم الشهداء طاقة حركية هائلة في تثير الوعي وتحريك النفوس الخاملة وتنبه الضمائر الغافلة وتبعث فيها الحياة وتفتح مغاليق القلوب التي أحاط بها رين حب الدنيا الفانية)) (38)، فضلاً عن ذلك فالحماسة الحسينية منحت الحشد الشعبي قدرة كبيرة في دفع حالة الخوف عن النفس وتقوية ذاتيتها وإزاحة رهبان الموت عن القلوب، إلى جانب ذلك أعطت الثورة الحسينية صورة مضيئة ومعنى ايجابياً سامياً في ابعاد التعلّق الإنساني بالدنيا والاشتياق للأخرة.

فالحماسة الحسينية لدى الشعراء كان لها الأثر البالغ في انتصارات الحشد الشعبي؛ نظراً لما تتضمنه من أهمية بالغة في رص الصفوف واصرار المقاتلين في مواصلة التقدّم القتالي، وتبعث في نفوسهم روح التمازج والتلاحم والدفاع عن الوطن، فضلاً عن تعميق الشعور بالانتماء إليه والارتقاء به إلى منارة التقدّم والازدهار والحضارة الرائدة، وهذا ما كان ليتحقّق إلا عبر تلاحم الذات الإنسانية مع أخذ العبر والقوة من مصدرها الأصل إلا وهي معركة الطفّ الذي أعطت الإنسانية درساً بقي مشرقاً جيلاً بعد جيل لم تستطع أيادي الظلم أن تطمسها، ولكن مهما فعلوا لم تكن أفعالهم متحقّقة، بل تعطي صورة ايجابية وهي إبراز صورة اشراقية جديدة من خلال هذا التحريف.

ومن الأمثلة الشعرية الحماسية قصيدة عنوانها (وهبوا الحياة وسقطت دولة الخرافة) للشاعر حسن الجزائري الذي شارك فيها في مهرجان الأسبوع الثقافي الثامن بجامعة الكوفة بالتعاون مع مسجد الكوفة المعظم، إذ يقول (39):

هذي المنايا في عراقك تُنشدُ قد كان حقاً للشهيد يُخدُّ
حشداً بمُعترِكٍ يُزلُّ هيبةً وإذا أغاروا نحو حَصْمٍ أرعدوا

لَمْ يَدْخُلُوها رَاهِبِينَ لِأَنَّهْم دَخَلُوا (وأشباه الرجال) تَشَرَّدُوا
خَاضُوا الْمَلَاحِمَ مِنْ عَزِيمَةِ حَيْدَرٍ وَتَبَأَتْهُمُ فَوْقَ النَّوَى هُمُ وَجَلَمَدُ
لَا عَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُهُمْ كَمَا نَصَرَ النَّبِيَّ وَيَوْمَ بَدْرٍ يَشْهَدُ
أَوْ كُلَّمَا ظَمِئَ التُّرَابُ فَيَزْتَوِي كَأَسِ الدِّمَاءِ وَتَرْدُ حَرْبٍ تُوقَدُ؟
كَأَنَّ فَلَاحًا يَبْقَى الْعِرَاقُ بِصَمْتِهِ فَالْحَشْدُ يَنْطِقُ وَالسَّمَاءُ تُؤَيِّدُ
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ الْعُلُومَ مِنَ النَّبِيِّ فِي خُطْبَةٍ عَرَاءَ قَالَ الْأَمَجْدُ
مَنْ قَالَ هَذَا الْخَطْبُ لَيْسَ لِمَرْجِعِ قُلُنَا: وَإِنْ، قَالَ الْخَطْبُ أَبَاحَ مُحَمَّدُ
بَلَّ إِنَّهُ نَطَقَ الْأَمِينُ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا هَلَمَّوْا وَالْإِلَهُ مُسَدِّدُ
طُوبَى لَهُمْ جَعَلُوا الْفَنَاءَ لِحَصْمِهِمْ وَلِمَوْتِهِمْ يَسْعَوْنَ لِيَوْمٍ يَتَرَدَّدُوا
لَمْ يَأْتِ خَاطِرُهُمْ بِأَنْ يَتَرَا جَعَلُوا كَالسَّيْفِ إِنْ صَحَّ الرَّدَى لَا يُعْمَدُ
إِنْ يُقْتَلُوا أَوْلَى لَهُمْ مِنْ ذُلِّهِمْ كَحُسَيْنِهِمْ (هَيْهَاتَ مِنْهَا) رَدَّدُوا
وَضِياعِمٌ مِنْ دَمْعٍ أَمْ غَسَلُوا وَتَرَاهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ تَمَدَّدُوا
لَا شَكَّ أَنَّ السَّبِيحَ كَانَ بِجَنْبِهِمْ يَتَلَوُّ عَلَى جُنُودٍ تَقُومُ وَتَفْعُدُ
قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَالتَّظَلَّى بِحَرَارَةِ وَلَهَيْبُ شَوْقِي لِلْقِيَامِ لَا يُخَمِّدُ
لِلْقَاءِ مَنْ عَشَقُوا الْقِتَالَ وَإِنَّهُمْ جَعَلُوهُ قَرْضًا وَاجِبًا كِي يَغْبُدُوا
تِلْكَ الْكُتَائِبُ لِلْأَبِيَاءِ كَقِيَامِ وَهَبُوا الْحَيَاةَ وَهُمْ بِمَوْتٍ أُسْعِدُوا
سَيِّطَلُ اسْمُكَ يَا عِرَاقُ مُمَجِّدًا مَا دَامَ اسْمُ اللَّهِ فِيكَ يُمَجِّدُ
مَا عَاشَ طَاغَ فِي بِلَادِكَ مُنْعَمًا إِلَّا وَزَالَ وَكُلُّ طَاغٍ يَنْفَعُ
فَعِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ الْقَصِيدَةَ مَرَّةَ الذِّكْرِ نَجِدُ اللُّغَةَ الْحَمَاسِيَّةَ فِيهَا عَالِيَةً جَدًّا وَمَوْظَفَةً
بِصُورَةٍ جَمِيلَةٍ لِيَعْمَلَ الشَّاعِرُ عَلَى بِنْتِ الْحَمَاسِ فِي نَفْسِ الْحَشْدِ الشَّعْبِيِّ وَلِيَعْبِيءَ
مِشَاعِرَهُمْ ضِدَّ الْمُنْحَرَفِ الظَّالِمِ وَسِيَاسَاتِهِ الْمُنْطَوِيَّةَ وَالْبَاطِلَةَ، لِذَا عَمِدَ عَلَى شَحْذِ
الْهَمَمِ، وَمِنْ هُنَا أَصْبَحَتِ الْحَمَاسَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي النَّصِّ مُشَكَّلَةً بِنِيعَةِ مَرْكَزِيَّةٍ رَئِيسَةِ
وَمُعْطِيَّةٍ وَظِيفَةٍ قَارَّةٍ فِي عَمَقِ النَّصِّ.

فالحماسة الشعرية في النص الشعري شكّلت أداة من أدوات المعركة ووسيلة
فعالة في الحرب، فالشاعر عمل على بثّ الهيبة والشجاعة وبعث الأمل في نفوس
المقاتلين وتطلعاتهم نحو التغيير. فقصيدة الجزائري كانت بمثابة ردة فعل حقيقية
في لملمة أدوات المعركة لتصنع مستقبلاً زاهراً مليئاً بالانتصارات إلى جانب
السرّ العظيم الذي يرافق المقاتل وهو الإمام الحسين (ع) الذي يجعل منه الحشد
الشعبي مثلاً نائراً في كل ثوراته الرائعة، ومن هنا أصبحت قصيدة الشاعر
إضاءة جوهريّة ذات دلالة متحوّلة متّصفة بحماسة جيّاشة؛ لما تتضمّن من قدرة
فنيّة قادرة على استنهاض الحشد الشعبي.

وتستمر لغة الشعراء الحماسية في النهوض وردّ الشبهات، ولم يكن الشاعر
لوحده مدافعاً بقصائده الحماسية عن الحشد الشعبي، بل كان للمرأة الدور الأبرز،
فهذه الشاعرة الدكتورة حنان العبيدي كانت لها قصيدة رائعة في الردّ على الشاعر
(مصطفى الجزار) في ردّ كل أنواع التخرصات والاستهانة التي نالت من

الشخصية العراقية وبطولات الجيش والحشد الشعبي، بدءاً من (الجزّار) إلى (عكاشة) إلى غيرهم، وقد استهلّت الشاعرّة قصيدتها بالمقطع الأول من قصيدة (مصطفى الجزّار) في قوله (40):

كفّف دموعك وانسحب يا عنتره فعيونُ عبلةٌ أصبحت مُستعمّره
لا ترجُ بسمة حشّ ثغرها يوماً، فقد سقطت من العقد الثمين الجوهرة
ثمّ انبرت بالرد الحاسم القاسم:
كفّف جموعك وانسحب ياتكره ابنُ العراق ما يزال مَفخره
ما زال ثغري للحياة باسمٍ ولم ازل للعقد (ماسه) فاخره
تبقى لنا الأبيات صوتاً هادراً والشعرُ في معصمنا كالأسوره
ما زال في أشعاره يذكرني غناؤه يعلو الطيور الطائره
لن تقفر الديار ما دامت بها أسدُ العراق حُرّة مُستنفره
والسيف في وجه الطغاة قاطعٌ لم يعشق الغمد بل المُناوره
عثمانُ جسرٌ (عبلة) من عرق (الكاظم) شدّ الوثاق.. قسوره
أنت الشقاق والتفّاق كلُّه كُشفتُ فيك العلة المُستتره
فيك الرّحاف مرقُ أسماعنا يقرز النفس صرير الصرصره
هل لك في الكلام دمعٌ أو دمٌ قد فرت الحروف منك نافره
أبعد عن الحروب نحن أهلها فالكرّة حتما ستبدو دابره
من حقاك ان تعلن افلاسك عادت عصا الرّهان منك خاسره
هل شامت أنت بنا يا أجوف حبّ العراق اسقط المؤامره
(فاطم) بحبّ (الاعظمي) تعاطمت لا حدّ في الجسر لكي ما تعبته
والماء رقرق على خواصر يروي لبغداد شفاهاً ساحره
ما زال ديوان الكرام قائماً والعزّة الشّماء فيه عامره
بيض صنائع الأبي كونها تاتي العلا الى المعالي صاغره
سودّ وقائع الصّفّي إن سرى في الحرب يرمي نفسه في السّاعره
خضّر بواديه إذا ما أمحلت والعين منه في الليالي ساهره
خمرٌ مواضيه إذا ما أدرجت للحرب جردان البلى مُستهتره
عزّ لنا أن تحتمي ديارنا بالضّيغم الهمام ذاك حيدره
وذا الحسين والوفا عبّاسه وفي الجوادين تقاة برره
والشيخ عبد القادر من صالح تهفو له أنفاسنا مُستبشره
فالشجر الخبيث منك صورةٌ بنس الثمار طرحت ذي الشجره
صه لك في الاسواق سعرٌ بخس والصوت منك صادرٌ كالصُرصره
لم تعرف العزب لكم من نسب لن تقدر الردّ على المناظره
فلتبرأ الكنانة من مثلكم ولتغتسل بالنيل غسل الكفره
ان كنت لا تدري بنا فإننا للجزر (ياجزار) صرنا مجزرة

لعل الناظر الذي يتأمل قصيدة الشاعرة سيلمس الطابع الحماسي منتشراً بفيض، ومشكلاً خطاباً ذات تكثيف رمزي يوحي بشعرية عالية فذة قادرة على جلب انتباه المتلقي وذات قدرة فائقة على تعبئة المشاعر وإثارة حماسهم بألفاظ ذات مرتكزات نصية تتمتع ببنيات دينية منتشرة في النص، ولذا أصبحت القصيدة متحققة لفعالها الانجازي والتأثيري وهو التعبئة الحماسية للمقاتل.

فالشاعرة في ردها الشعري على الشاعر (مصطفى الجزار) حرصت في ألفاظها على تحفيز المتلقي والدعوة إلى الانتماء الوطني والديني بوصفهما ركنين متماسكين لا يفترقان، وهما الخلاص الوحيد التيه، فالدعوة لهما تعطي حياة مستمرة قادرة على تحقيق الأمل والخلاص من الواقع الأليم الذي صورّه ذلك الشاعر (مصطفى الجزار).

وتستمر اللغة الحماسية للشاعرات العراقيات في موقفهن البطولي الرائع، فهذه الشاعرة حميدة العسكري في قصيدتها (سيف الولاء)، إذ تقول (41):

نَمَطُ البَطُولَةِ مَزَقَ الأَسْمَالَ نَسَجَ العَفَافَ فَدَرَعَ الأَبْطَالَ
وَإِذِ النَبِوءَاتُ اسْتَحَالَتْ قِصَّةً بِيضَاءَ تَرَجَمَهَا الوَلَاءُ مُحَالًا
لَا سَبْقَ يُشْبِهُهُ مَنْ تَدَافَعَ حَشْدُهُ وَطَنًا مِنَ الأَيْثَارِ، عَزَّ رَجَالًا
جَيْشٌ يُسَبِّحُ نَصْرَهُ بِخِصَالِهِ وَعَلَى مِئْصَتِهِ العِرَاقُ تَعَالَى

كَانَ الرَّهَانَ اللامُعَادَلَ فِي الوَعْيِ إِذْ أَكْثَرَ الزَّيْفُ البَغِيضُ جِدَالًا
مَاذَا يُقَالُ لِجَمْعِهِمْ وَهُمُ المَدَى فِي نَخْوَةٍ قَدْ شَاكَسَتْ أَهْوَالَ
هُمُ ظِلٌّ مَنْ قَاسَ الحَيَاةَ كَرِيمَةً فِي زَحْفِهِ نَحْوَ الجِنَانِ وَصَالًا
فِي شَمْسِ رَفْعَتِهِ العَطَاءُ قَوَافِلُ نَقَشَتْ مِرْوَاتِ الضِّيَاءِ جَمَالًا
هُمُ فِي مَدَقَاتِ العَطُورِ قَضِيَّةٌ بِشَمِيمِهَا عَدْلٌ يَفِيضُ جَلَالًا
أَوْ نَبْتَةٌ فِطْرِيَّةٌ تَنَمُو عَلَى شَقَّةِ اليَقِينِ، لِتُثْمِرَ الأَجْيَالَ
أَبْطَالٌ مَنْ شَرَفَتْ بِهِمْ هِيَهَاتِهِمْ فَعَلَى جَبِينِ صُنُوفِهِمْ تَتَلَالَا
فِي خِصْلَةِ طَابَتْ ثِمَارًا حَبْدًا ثَمْرَ الأَبَاءِ وَإِذْ يَطِيبُ خِصَالًا
كَانُوا وَكَانَ الأَمْنُ حَيْثُ رَحَالِهِمْ كَانُوا إِجَابَاتٍ تَقْدُ سُؤَالَ
مُدُّ رَتْفُوا فَتَقَّ الجِرَاحُ بِصَبْرِهِمْ مُدُّ غَيْرُوا جِهَةَ الرِّيَاحِ رَحَالًا
فَهُمْ اسْتِعَارَاتُ الفَصِيحِ شَجَاعَةٌ زَارُوا فَأَزَعَبَ صَوْتُهُمْ أَنْدَالَ
لِلْحَقِّ مَعْبُدٌ قَدْسِيهِ وَهُمُ الصُّدَى إِنْ كَانَ تَرْتِيلُ الجِهَادِ نِزَالًا
هُمُ كَرَّرُوا مَنْ أَمَّنُوا فِي كَهْفِهِمْ حَرْقًا بِمِطْبَعَةِ الهُدَى وَمَقَالًا
قَدْ أَغْرَفُوا الحَرْفَ المَعَانِي جَمَلَةً كَانُوا عَلَى لُغَةِ السُّمُومِ دَوَالًا
وَتَوَاتَرَتْ نَسْمَاتُهُمْ رُوحًا عَلَى رِيَّةِ الحَيَاةِ شَذِيَّةٌ وَحَلَالًا
مَنْذُ اسْتِفَاقَاتِ البِدَايَةِ نَائِيهِمْ قَدْ أَرَبَكَ الأَلْحَانَ، رَامَ فَصَالًا
سُمِعَ النَشِيدُ عَلَى حِبَالِ فِدَائِهِمْ وَحَيًّا يَتِيمًا قَارِعَ الأَضْلَالَ
أَصْدَاؤُهُ جَنْدٌ قَمِيصٌ دَمَائِهِمْ وَقَفْتُ عَلَى سَنَرٍ يَصِدُّ نِبَالَ

إذ أغمس الإرهابُ إصْبَعَ جُرْمِهِ في حقلنا مُستَنبِتًا أدْغَالًا
فاجتثها عُودُ النَّدى وعلى مقأ- س صموده قد فصّل الأحوال
قطفَ الذهولَ مِنَ المُرَاهِنِ، ظنُّهُ أَنَّ البسالةَ قد تحولَ رمالا
لم يدر أن عراقنا عُمرٌ تشج- جَرَّ هَمَّةً لِيُكسِرَ الأَفْلالا
ويضوع عندَ هبوبه وطنا مِن ال- لاءات بُعدا ثالثا ومثالا
جنْدُ العقيده عندَ مُنعطفِ الرِّجا نصبوا أهلة نصرهم تتوالى
هُم عَلِمُوا أقدامهم عندَ اللِّقاءِ بأنْ تطوفَ بقديسها إقبالا
حَجَّتْ إلى رُكنِ الجنانِ، حثيثةٌ ساقَتْ دماءَ عطائها أرتالا
أكبرَ شعائرَ ذكروهم وهطولهم فوقَ الحشودِ مِنَ العدوِّ وبالا
واجِدِلْ تضامنك الذي في أهليهم أمنا يحفُّ حياتهم وظلالا
كن أنت عِرْفانا يُعانقُ نرفهم بالوردِ حرفا ضوع الإجلالا

فالبنيات اللفظية للشاعرة تتمتع بحسّ حماسي، فمن خلال التأمل في النصّ الشعري، نلمس بوضوح الحس الحماسي بارزا في النصّ، فالشاعرة أعطت صورة تلاحمية متواصلة ومتفاعلة وذات أهمية عميقة في الانتماء والدفاع لتأكيد القوة والشجاعة الذي يتمتع بها العراقي فتعمد بصورة قصديّة على تحريضهم على المقاومة ومقاتلة أغلال الشرّ، ليجعلوا من ثورتهم هذه قادرة على الاحياء المستمر إيماناً منها بأحقية هذه الحرب الضروس، وهذا الأمر جعل من الارتباط بثورة الامام الحسين (ع) هو لجعل ((النفس الانسانية المسلمة القدرة المناسبة والمطلوبة للخروج من حالة الجمود والتواني والتكاسل، إلى حالة ثورية تمتلك الطاقة والحيوية المطلوبة لدخول الجهاد والاستمرار فيه وتمكنهم من الانتصار على الأعداء)) (42). ومن هنا أصبحت الحماسة الشعرية لا تقل أهمية عن الجانب القتالي للحشد الشعبي؛ لأنها تعمل على إثارة مشاعره إلى جانب ذلك لما تستمر به من مقومات مستمدة من واقعة الطف بعدها المصدر الأبرز لكل ثورة واقعة بين الباطل والحق.

فالقصيدة تتأسس على اعتبارها نقل صورة اشراقية للأمة لبيان الجانب الايجابي الذي يتمتع به، فألفاظ القصيدة ليست ليّنة سهلة بل تتميز بحماسيتها الشديدة المنسجمة والواقع الصعب الذي عاشه البلد، فمن الضروري أن يأتي بألفاظ تناسب الحسّ المقصود وتجانب الغرض الحماسي المراد، فمن هنا أصبحت ثورة الحشد الشعبي تعطي درساً واضحاً في مسيرتها المهمة التي أنقذت البلد من دياجي الظلام وبثّ الروح القتالية وضختها بزخم قوي جديد قادر على الدخول في أي معركة فلا بد أن يكون النصر حليفها.

وتتواصل لغة الشعراء الحماسية في ايقاظ الهمم وشد العزائم نحو الانتماء والدفاع، فالشاعر يحيى السماوي في قصيدته الذي يقول فيها (43):

فتواك؟ خذها من سلاجك بعدما جعلوا بيوت الأمنين لُحودا

الى جيشنا الباسل وغيارى الحشد الشعبي
يحى السماوي

أنعم بنصرك للخزاني عيدا وبيوم زحفك مجدنا الموعودا
جهز لهم يا ابن العراق جهنماً أرضية... وأقم لهم أخدودا
واجرف بمكنسة الرصاص قمامة بشرية لا تستحق وجودا
فتواك؟ خذها من سلاحك بعدما جعلوا بيوت الأمنين لخدودا
إن لم تكن ناراً يخاف لهيبها فلنار موقدهم غدوت وقودا
ما دام أن الموت حتم فاقتم ميدانه حتى تقوم شهيدا
فرص الخلود كثيرة وأعزها أن تلتقي وجه الكريم سعيدا

لعل المتمعن في القصيدة مارة الذكر سيلحظ النزعة الحماسية مبثوثة
بصورة مركزة، فالشاعر بث في نصه ألفاظاً تتسم بروح الشجاعة والتضحية
وايقاظ الهمم على مواجهة أعداء الإنسانية عبر تحفيزهم وتذكيرهم بفتوى قائدهم
العالم الكبير آية الله السيد علي السستاني (أدام الله ظله)، فلغة القصيدة تفصح عن
شدة وقع الموقف على الذات الشاعرة، ولعل ألفاظها عندما نتأملها نجد فيها وكأنما
الشاعر عاش اللحظة، فكلماته صادرة عن عمق ذاتي ووعي صادق ذات بوح
شعري رائع، لذا وجدنا ألفاظها تظهر فيها الشدة والتضحية والجهاد ودفع الشر،
فنصه الشعري يزخر بتمجيد القيم الروحية والفروسية والإشادة بالتضحيات
والانتصارات المتحققة، فضلاً عن تحميسه على مواصلة القتال والانكسار الذي
وقع على العدو، إلى جانب ذلك نجد مشاعر الشاعر كاشفة عن عمق الألم الواقع
وعظم الفاجعة، لذا أصبحت مشاعره مثيرة متصفة بقيم تعبيرية متلاحمة مع الذات
الجماعية.

وتستمر قرائح الشعراء في بث الروح الحماسية والتي تدفع بالحشد الشعبي
إلى مواصلة التقدم وتنادي بالجهاد والمواجهة، إذ يقول الشاعر حيدر المرعبي⁽⁴⁴⁾.

يامن تناجز جند الشر في وطني إضرب فديتك وكر الغدر والفتن
الشعب خلفك يدعو غير مكترث بالناعقين على الأطلال والدمن
اللاعقين دماء الناس في صلف والحاذقين بدس السم في اللبن
حييت من فارس بانث بشائره بوركت من حارس للشعب مرتهن.
حين امتشقت لنور الحق صارمه أحييت أمجادنا في سالف الزمن
فقلت للمعتدي إياك من غضبي حر القواطع أصلي من توعدني
إني العراق وخصمي حين يطلبني فلن يعود بغير اللحد والكفن

النصر يشتناق لي في كل ملحمة شوق النوارس للشيطان والسفن لما علت رايتي كالطود شامخة خاب الطواغيت بين الشام واليمن يا كاسرا شوكة الارهاب في جلد طهرت أجيالنا من فكره النتن فأحرقوا النسل بعد الحرث وانتشروا مثل الخفافيش في الصحراء والمدن وأرهبوا أهلها الاحرار فانقضت فيها العشائر خلف الجيش لم تهن فطهروا أرضها من كل مرتزق وطاردوا كل مأبون ومفتتن هذي رجالك في الانبار قد نصبوا منابرا للعلی بالروح والبدن خط العراق وساما في صدورهم خط القلادة في الترحال والسكن لم يستكينوا على ضيم ألم بهم بيض صحائفهم في السر والعلن من يحسب الحلم ضعفا فليمت كمدا أو يستعذ من بقايا الحقد والدرن لاتحسبن أناة الحلم منقصة ماكان ذلك رأي العاقل الفطن يامن تبعت على جهل أبا لهب هذي الجحافل يرهاها أبو حسن تخطو بعزم وذو الفقار سابقها وتستضيء بنور الله في المحن

فالتابع الجهادي في هذه القصيدة الحماسية طاغياً عليها حتى أصبح سمة قارة في معانيها وألفاظها وتراكيبها؛ لأنّ ((شعر الحماسة والجهاد كان جناحاً قوياً من أجنحة هذا التغيير ورافداً مهماً من روافد ديمومته واستمراره))⁽⁴⁵⁾، ومن هنا نستطيع أن نقول إنّ الشعر الحماسي الذي كتب في حقبة الحشد الشعبي كان باعته الأهم والأبرز وربما الوحيد الدين والعقيدة، لذا أصبحت الذات الشاعرة منسجمة تماماً ومتفقة مع الذات الجماعية في ألفاظها، حتى أصبحت قدراتها متلاشية تماماً أمام قدرات الحشد الشعبي. فضلاً عن ذلك نجد أنّ هذه القصيدة الحماسية متفاعلة بصورة يصعب فصلها مع هذه الأحداث التي وقعت على البلد العراق، حتى واكب بصورة رائعة هذه التطورات في النصّ، ومن هنا جسّد نمطاً جمالياً ذات إحساس مسيطر عليه، ففي أكثر القصائد الحماسية لدى الشعراء حرصوا على إثارة المشاعر الدينية والتذكّر بالغزوات والملاحم التي حدثت للرسول (ص) وأهل البيت (ع)؛ لأنها امتداد حقيقي ثرّ لهذه الثورا كلها.

وفي النهاية نجد أنّ الإمام الحسين (ع) وأوليائه هم موحدون بأعلى درجات التوحيد إلى حين شهادتهم، وأنّ رجال الحشد هم مؤمنون موحدون آمنوا بالإمام الحسين (ع) وأنصاره واتخذوه مثلاً يحتذى وأسوة يقتدون به في حياتهم، فضلاً عن أنّ كان هدف الإمام الحسين (ع) وأصحابه إعلاء كلمة الله (عز وجل) في الأرض ودحض كلمة الباطل ومحاربة الطواغيت، بينما خرج رجال الحشد الشعبي لدفع شرّ التكفيريين والخوارج، وهم يعلمون جيداً أنهم يستشهدون في سوح الوغى، إلى جانب ذلك فالجميع أقبلوا على الشهادة بموقف ثابت وعزيمة لاتلين طمعاً بالأجر الآخروي عند الله تعالى. علاوة على أنّ الإمام الحسين (ع) عند شهادته أحدث هزة عظيمة في الأمة الإسلامية وكشف زيف وخداع وظلم أعوان الشرّ، أمّا رجال الحشد فإنّ تضحياتهم أحدثت أثراً معنوياً في نفوس

العراقيين خاصة وباقي الشعوب عامة حتّى قلبت الموازين، فضلاً عن أنّ التسابق إلى نيل الشهادة وعدم الخشية من الموت واستقباله فهذه سمة مشتركة عند الامام الحسين (ع) وأنصاره ورجال الحشد الغياري، علاوة على ذلك صفة الشجاعة المطلقة والالتزام بالحق والاباء فهي صفات مشتركة عند الامام الحسين (ع) وأنصاره ورجال الحشد (46).

هذه أهم الموضوعات والمعاني التي تعرض لها الشعراء في قصائدهم وهم يتناولون قضية الامام الحسين (عليه السلام)، ويمكن ان نلاحظ عليها، بصورة عامة، بعض الملاحظات:

1- أغلب الشعراء قد كتبوا في الموضوعات كلها، فلم ينفرد أحد الشعراء بموضوع معين، فلم يختص مثلاً أحد الشعراء بالمديح او الرثاء او غيره، بل ان اغلب الشعراء كتبوا في كل هذه المواضيع، وهذا راجع الى المناسبات التي ينظم فيها الشاعر، ولما كانت المناسبات مختلفة مثل مناسبة ولادة الحسين ومناسبة الاستشهاد ومناسبة الاربعين وغيرها، فالشاعر ينظم في جميع هذه المناسبات، ولم يختص بواحدة.

2- اغلب القصائد متعددة الاغراض، ولا توجد قصيدة - في الغالب - كلها في المديح او الرثاء او الوصف او غيرها، فالقصيدة الواحدة تحتوي كل ذلك، فالشاعر ينتقل من موضوع المديح الى الرثاء الى الوصف الى الفخر والحماسة، كل ذلك في قصيدة واحدة، وهذا ما كان واضحاً في الابيات التي استشهدنا بها في تلك الموضوعات.

3- غياب الشعر النسوي في المبحث الأول، بصورة كاملة، عن الإمام الحسين (ع)، فلم نعثر على قصيدة واحدة، مع كثرة سؤالنا وتنقيبنا عن شعر المرأة، فلم نجد إلا بيتين أو ثلاثة للشاعرة غزوة القزويني (ت1331هـ) وكذلك الشاعرة اسماء القزويني (ت1342هـ) والادبية امّنة الصدر المعروفة بـ (بنت الهدى) (ت1400هـ)، وكان لا يستحق ان يُقال له شعر، لانه نظم رتيب وبسيط يخلو من الشعور الشعاعية، ولكن لا يُعقل ان لا نقول ولا شاعرة واحدة في الامام الحسين، ولكن الشيء المؤكد ان هناك شعر نسوي، وهو موجود وخصوصاً في مدينة النجف، لما تتمتع به هذه المدينة من مكانة رفيعة على الصعيد العلمي والأدبي، ولكن امتدت الى هذا التراث الشعري النسوي يد الضياع والنسيان والاهمال، فلم ينشر او يُعنى به، وبالتالي لم نوفق للحصول عليه. هذا ما يخصّ المبحث الاوّل، أما الثاني فكان دور المرأة كبيراً في بثّ الحماسة في نفوس الحشد الشعبي وأبطاله والدفاع عن عقيدته وفتوى الجهاد المقدّس، وربما يفوق الشاعر وهذا ما كان واضحاً في طيّات الدراسة.

وأخيراً تبقى الثورة الحسينية تمثّل صوراً منجذبة لدى العلم بأجمعه، وتعكس الجانب الايجابي الثائر الذي أعطى رموزاً راسخة في ذهن البشرية وبقيت عالقة في العقول، ومن هنا أعطت الحماسة الحسينية دورها الرائد في الانتصار الحقيقي الذي تحقّق بفعل سواعد مقاتلي الحشد الشعبي والمستمد في حقيقته من انتصار معركة الطفّ الذي أبهرت العالم بخلودها ومرور زمانها، فواقعة الطفّ علي الرغم من قدم زمانها إلا أنّها بقيت تتجدّد في عطائها ومنهجها وأفكارها حتّى غدت الثورات الحقيقية التي جاءت بعدها.

الهوامش:

- (1) الفروسية في الشعر الجاهلي ص13، وينظر تاريخ الادب العربي. العصر الجاهلي 1 / 202.
- (2) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، علي بن اسماعيل بن سيدة (ت 458هـ) تح: عائشة عبد الرحمن ط1، 1958م، مادة: (حمس).
- (3) الحماسة البصرية، علي بن ابي الفرج البصري(ت659هـ)تح:مختار الدين احمد، 2/ 1، ط3- عالم الكتب- بيروت:13. (4) ينظر: الحماسة في شعر الشريف الرضي، محمد جميل شلش، ص127، ط1، مطبعة المشرق، 1974م.
- (5) ينظر محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام، د. امجد الطرابلسي ص2 تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه احمد ابراهيم، ص91، دار الحكمة، بيروت،(د-ت).
- (6) العمدة 1 / 17.
- (7) ينظر الشعر وطوابع الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف، ص 19، دار المعارف، مصر،(د-ت)، وينظر تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام د. شكري فيصل ص 27، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، (د-ت).
- (8) ينظر الفروسية في الشعر الجاهلي ص 242.
- (9) ينظر الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي، د. عفيف عبد الرحمن ص 235، ط2، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، وينظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي، احمد محمد الحوفي ص 230، دار القلم، بيروت، 1962م..
- (10) ينظر ادب المرتضى من سيرته وآثاره، عبد الرزاق محيي الدين، ص 261، ط1، مطبعة المعارف بغداد 1957م.
- (11) ينظر شعر الفتوحات الاسلامية في صدر الاسلام، النعمان عبد المتعال القاضي، ص 127، 175، القاهرة 1965م.
- (12) ينظر من فنون الادب العربي، د.مصطفى الشكعة، ص 173، مكتبة الانجلو المصرية (د-ت)، وينظر الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، ص 38، دار المعارف (د-ت).
- (13) ينظر اتجاهات الشعر في العصر الاموي ص 56.
- (14) ينظر شعر الحرب في ادب العصر الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة، زكي المحاسني ص 51، دار المعارف، مصر، 1961م.
- (15) ينظر في الادب العباسي، د.علي الزبيدي، ص 9، دار المعرفة، القاهرة.
- (16) الفخر والحماسة، حنا الفاخوري ص 80.

- (17) ينظر في النقد الأدبي، عبد العزيز عتيق ص 192، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
- (18) الفخر والحماسة ص 80.
- (19) صوت العقيدة ص 31 - 32.
- (20) المصدر نفسه ص 32.
- (21) ينظر: معجم الشعراء 438/2.
- (22) سفينة النجاة ص 448.
- (23) القصائد الخالدات في حب اهل البيت، جمع محمد عباس الدراجي ص 116 - 117.
- (24) الديوان 1 / 87.
- (25) من وحي الحسين، ص 34 - 36.
- (26) ادب الطف 10 / 298 - 299.
- (27) سفينة النجاة ص 447.
- (28) عقائد الامامية الشيخ محمدرضا المظفر ص 59.
- (29) ادب الطف 9 / 236.
- (30) ينظر معجم الشعراء 461/5، شعراء الغري 280/12.
- (31) ادب الطف 9 / 210.
- (32) الديوان 1 / 76 - 77.
- (33) ادب الطف 10/224.
- (34) ينظر: تأملات ومواقف انسانية وتربوية من ثورة الامام الحسين (ع) واثرها في اصلاح الفرد والمجتمع، أ.م.د. عبد الرحمن الغنطوسي، أ.م.د. سلام عبود حسن، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، ع(43)، ج(5): 55-56.
- (35) الشهادة الحسينية والحشد الشعبي، تعاق الفعل والموقف، احسان العارضي، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، ع(43)، ج(3): 108.
- (36) ينظر المصدر نفسه: 109.
- (37) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تح: عبد الرزاق الصالحي، مؤسسة أم القرى، بيروت - لبنان، 2003: 354.
- (38) الشهادة الحسينية والحشد الشعبي: 114.
- (39) من الشبكة المعلوماتية على الرابط في أدناه: <https://youtu.be/fjfe2ht9fau>.
- (40) قصيدة الدكتور حنان العبيدي في الرد على الشاعر مصطفى الجزار، علي حسين الخباز، مهرجان الابداع الثاني الذي اقامته كلية الاداب، الجامعة العراقية في 3/18/2013/.
- (41) قصيدة (سبق الولاء) للشاعرة حميدة الحسيني الذي القيت في مسابقة المكتبة الادبية المختصة بالنجف الاشرف في قاعة جامعة الكوفة في 30 تموز / 2016.
- (42) الشهادة الحسينية والحشد الشعبي: 108.
- (43) صحيفة الموقف، السبت الموافق 22 / 9 / 2018، ع (4400).
- (44) من الشبكة المعلوماتية.

(45) شعر الحماسة في عصر الدولة الزنكية، عبد الحميد عبد الوهاب محمد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، السودان، 2010م: 19.

(46) ينظر الشهادة الحسينية: 23 - 25.

المصادر والمراجع:

- (1) أدب الطف أو شعراء الحسين من القرن الاول حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، مؤسسة التاريخ، بيروت، ج9، ط1، 2001م..
- (2) ادب المرتضى من سيرته وآثاره، عبد الرزاق محيي الدين، مطبعة المعارف بغداد ط1، 1957م.
- (3) اعلام العراق في القرن العشرين 99/1،
- (4) أهل البيت تنوع أوار ووحدة هدف، تح: عبد الرزاق الصالحي، مؤسسة أم القرى، بيروت - لبنان، 2003.
- (5) تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه احمد ابراهيم، دار الحكمة، بيروت، (د-ت).
- (6) تأملات ومواقف انسانية وتربوية من ثورة الامام الحسين (ع) واثرها في اصلاح الفرد والمجتمع، أ.م.د. عبد الرحمن الغنطوسي، أ.م.د. سلام عبود حسن، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ع(43)، ج(5).
- (7) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام د. شكري فيصل ص 27، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، (د-ت).
- (8) الحماسة البصرية، علي بن ابي الفرج البصري (ت659هـ) تح: مختار الدين احمد، ج1، ط3- عالم الكتب- بيروت.
- (9) الحماسة في شعر الشريف الرضي، محمد جميل شلش، ط1، مطبعة المشرق، 1974.
- (10) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، احمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت، 1962م.
- (11) شعر الحرب في ادب العصر الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة، زكي المحاسني، دار المعارف، مصر، 1961م.
- (12) شعر الحماسة في عصر الدولة الزنكية، عبد الحميد عبد الوهاب محمد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، السودان، 2010م.
- (13) شعراء الغري، الاستاذ علي الخاقاني، مطبعة الحيدرية، ج4، 1956م.
- (14) شعر الفتوحات الإسلامية في صدر الاسلام، النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة 1965م.
- (15) الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي، د. عفيف عبد الرحمن، ط2، مطبعة دار الشؤون الثقافية.
- (16) الشعر وطوابع الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف، ص 19، دار المعارف، مصر، (د-ت)، بغداد، 1986م.
- (17) الشهادة الحسينية والحشد الشعبي، تعانق الفعل والموقف، احسان العارضي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ع(43)، ج(3).
- (18) صحيفة الموقف، السبت الموافق 22 / 9 / 2018، ع (4400).
- (19) صوت العقيدة، عباس ابو الطوس، جمع وتحقيق: السيد سلمان هادي آل طعمة، المكتبة الحيدرية، قم، ط1422، 1هـ.

- (20) عقائد الامامية الشيخ محمدرضا المظفر.
- (21) الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، دار المعارف (د-ت).
- (22) الفروسية في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، مطبعة دار التضامن، بغداد، ط1، 1964م.
- (23) في الادب العباسي، د. علي الزبيدي، دار المعرفة، القاهرة.
- (24) في النقد الادبي، عبد العزيز عتيق، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
- (25) القصائد الخالدات في حب اهل البيت، جمع محمد عباس الدراجي، مكتبة الامير، بغداد، ط2، 1989م.
- (26) قصيدة الدكتورة حنان العبيدي في الرد على الشاعر مصطفى الجزّار، علي حسين الخباز، مهرجان الابداع الثاني الذي اقامته كلية الآداب، الجامعة العراقية في 3/18/2013.
- (27) قصيدة (سبق الولاء) للشاعرة حميدة الحسيني الذي القيت في مسابقة المكتبة الادبية المختصة بالنجف الاشراف في قاعة جامعة الكوفة في 30 تموز / 2016.
- (28) محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام، د. امجد الطرابلسي.
- (29) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، علي بن اسماعيل بن سيدة (ت 458هـ) تح: عائشة عبد الرحمن ط1، 1958م، مادة: (حمس).
- (30) من فنون الادب العربي، د. مصطفى الشكعة، مكتبة الانجلو المصرية (د-ت).
- (31) من وحي الحسين، شعر طالب الحيدري.

التوثيق الإعلامي لواقعة الطف الخالدة في المصادر التاريخية

م.د. خديجة حسن علي القصير

التاريخ الإسلامي

a.arige@yahoo.com

ملخص البحث

اكتسبت ثورة الامام الحسين عليه السلام مشروعيتها من خلال الدستور الاسلامي للمسلمين والمتجسد بالقرآن الكريم ولاسيما ما ورد فيه من الآيات المتعلقة بإمامة أهل البيت عليهم السلام واحقيتهم في ادارة امور المسلمين بعد الرسول الاعظم محمد صل الله عليه وآله وسلم وماورد من احاديث على لسان الرسول والتي اشادت بموقع الإمامة واهميته في الأمة فضلا عن ماورد من موثيق وردت عن الأئمة المعصومين حول هذا الامر وفي مقدمتها صلح الامام الحسن عليه السلام والذي اشاد الى ان القيادة بعد معاوية تكون للإمام الحسن عليه السلام ومن بعده الامام الحسين عليه السلام، ولكن هذا الامر لم يطبق كما اتفق عليه فكانت ثورة الامام الحسين عليه السلام هي تجسيدا للحق واعادته الى اصحابه الحقيقيين والوقوف بوجه الظلم والطاغوت مهما كانت درجة طغيانه لذلك فالإمام الحسين عليه السلام كان ولا يزال النيراس الذي يضيء بالعممة نورا لكل صاحب حق اغتصب يسعى الى المطالبة بحقه والسعي في سبيل الوصول الى غايته، فهو عليه السلام المثال الذي يقتدى به في كل عصر وزمان. شغلت قضية الحسين عليه السلام اذهان الكتاب والمؤرخين على مر العصور فتناولوها بالبحث والتدقيق في الروايات والتأكد من صحتها وخصوصا التي تناولت تفاصيل واقعة كربلاء بحذافيرها منذ البدء برفض الامام الحسين عليه السلام الاستجابة لمطالب معاوية في اعطاء البيعة لابنه يزيد وصولا الى خروج الامام الحسين من مكة متوجها الى العراق وتفصيل واقعة الطف وما جرى على عياله من بعده، وكما هو معروف فان واقعة كربلاء قد تناولها الكتاب والمحدثين على مر الزمان فقد اختلف في طبيعة مصادرها المعتمدة فهناك المصادر التاريخية التي اعتمدت على النصوص والروايات المسندة بالاعتماد على رواة موثقين كانوا شهود عيان للحادثة فوصفوها او اعتمدوا على روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام وفي مقدمتهم الامام زين العابدين عليه السلام والذي كان مرافقا للإمام الحسين في كربلاء وشهد تفاصيل الواقعة اضافة الى ولادة الامام الباقر عليه السلام الذي كان له من العمر آنذاك اربع سنوات. فضلا عن المصادر الحديثة التي نقلت عن المصادر الاصلية والتي طرا عليها اضافات عديدة عند ذكر الحادثة، وبما ان التوثيق كان ولا يزال مهما جدا باعتباره وسيلة لحفظ الاحداث وما يرتبط بها فكما هو معروف إن التاريخ ما هو الا سجل لأحداث الامم وعاداتها وتقاليدها فهو مرآة الامم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، على الرغم من تباين الأزمنة والأمكنة والمستوى المعرفي لها، وبما ان الإنسان على مر التاريخ بحاجة ماسة الى توثيق الاحداث التي مر بها أثباتاً لدوره في المشاركة و صنع تلك الإحداث و تأثيره عليها، ولولا عملية التوثيق التي قام بها الإنسان على مر العصور لما استطعنا ان نتعرف على الحضارات المختلفة السابقة ولما وصلت إلينا أخبارهم، ونظرا لما تمثله شخصية الإمام الحسين عليه السلام في النفوس فهو حفيد الرسول الأعظم صل الله عليه وآله وسلم ونظرا لما حظيت به ثورته في احاديث الرسول و أهل البيت عليهم السلام لذلك نالت ثورته قدسية كبيرة في النفوس ودفعت اغلب كتاب التاريخ والمؤرخين الى توثيق أحداث هذه الثورة لتكون نبراسا لكل الاجيال لما فيها من قيم ومبادئ تدعو الى التضحية ونبيذ المنفعة الشخصية والعمل على الحفاظ على حقوق الأمة والوقوف بوجه طغاة العصر مهما وصلوا من جبروت وقوة. وسوف اورد في هذا البحث المصادر التاريخية المعتمدة التي تناولت واقعة كربلاء والتي اخذ منها الكتاب المحدثين فيما بعد عند حديثهم عن واقعة الطف الخالدة.

التوثيق الإعلامي لواقعة الطف الخالدة

في المصادر التاريخية

م. د. خديجة حسن علي القصير

التاريخ الإسلامي

a.arige@yahoo.com

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾
صدق الله العظيم
سورة التوبة، الآية: 119

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن صحابته الغر الميامين أما بعد:

اكتسبت ثورة الامام الحسين عليه السلام مشروعيته من خلال الدستور الاسلامي للمسلمين والمتجسد بالقرآن الكريم ولاسيما ما ورد فيه من الآيات المتعلقة بإمامة أهل البيت عليهم السلام واحقيتهم في ادارة امور المسلمين بعد الرسول الاعظم محمد صل الله عليه وآله وسلم وماورد من احاديث على لسان الرسول والتي اشادت بموقع الإمامة واهميتها في الامة فضلا عن ماورد من موثيق وردت عن الائمة المعصومين حول هذا الامر وفي مقدمتها صلح الامام الحسن عليه السلام والذي اشاد الي ان القيادة بعد معاوية تكون للإمام الحسن ومن بعده الامام الحسين عليه السلام ولكن هذا الامر لم يطبق كما اتفق عليه فكانت ثورة الامام الحسين عليه السلام هي تجسيدا للحق واعادته الي اصحابه الحقيقيين والوقوف بوجه الظلم والطاغوت مهما كانت درجة طغيانه لذلك فالإمام الحسين عليه السلام كان ولا يزال النبراس الذي يضيء بالعممة نورا لكل صاحب حق مغتصب يسعى الي المطالبة بحقه والسعي في سبيل الوصول الي غايته فهو عليه السلام المثال الذي يقتدى به في كل عصر وزمان. شغلت قضية الحسين عليه السلام اذهان الكتاب والمؤرخين على مر العصور فتناولوها بالبحث والتدقيق في الروايات والتأكد من صحة هذه الروايات التي تناولت تفاصيل واقعة كربلاء بحذافيرها منذ البدء برفض الامام الحسين عليه السلام الاستجابة لمطالب معاوية في اعطاء البيعة لابنه يزيد وصولا الي خروج الامام الحسين من مكة متوجها الي العراق وتفاصيل واقعة الطف وما جرى على عياله من بعده وكما هو معروف لنا فان واقعة كربلاء قد تناولها الكتاب والمحدثين على مر الزمان فقد اختلف في طبيعة مصادرها المعتمدة فهناك المصادر التاريخية التي اعتمدت على النصوص

والروايات المسندة بالاعتماد على رواية موثقين كانوا شهود عيان للحادثة فوصفوها او اعتمدوا على روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام وفي مقدمتهم الامام زين العابدين عليه السلام والذي كان مرافقا للامام الحسين في كربلاء وشهد تفاصيل الواقعة اضافة الى ولدة الامام الباقر عليه السلام الذي كان له من العمر انداك اربع سنوات. فضلا عن المصادر الحديثة التي نقلت عن المصادر الاصلية والتي طرأ عليها اضافات عديدة عند ذكر الحادثة وبما ان التوثيق كان ولا يزال مهما جدا باعتباره وسيلة لحفظ الاحداث وما يرتبط بها فكما هو معروف إن التاريخ ماهو الا سجل لأحداث الامم وعاداتها وتقاليدها فهو مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، على الرغم من تباين الأزمنة والأمكنة والمستوى المعرفي لها، وبما ان الإنسان على مرّ التاريخ بحاجة ماسة إلى توثيق الأحداث التي مر بها أثباتاً لدوره في المشاركة و صنع تلك الإحداث و تأثيره عليها، ولولا عملية التوثيق التي قام بها الإنسان على مر العصور لما استطعنا أن نتعرف على الحضارات المختلفة السابقة ولما وصلت إلينا أخبارهم، ونظرا لما تمثله شخصية الإمام الحسين عليه السلام في النفوس فهو حفيد الرسول الأعظم صل الله عليه وآله وسلم ونظرا لما حظيت به ثورته في أحاديث الرسول و اهل البيت عليهم السلام لذلك نالت ثورته قدسية كبيرة في النفوس ودفعت اغلب كتاب التاريخ والمؤرخين الى توثيق أحداث هذه الثورة لتكون نبراسا لكل الاجيال لما فيها من قيم ومبادئ تدعو الى التضحية ونبذ المنفعة الشخصية والعمل على الحفاظ على حقوق الأمة والوقوف بوجه طغاة العصر مهما وصلوا من جبروت وقوة. وسوف اورد في هذا البحث المصادر التاريخية المعتمدة التي تناولت واقعة كربلاء والتي اخذ منها الكتاب المحدثين فيما بعد عند حديثهم عن واقعة الطف الخالدة.

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث في كون البشر وعلى مدى الحضارات والاديان المختلفة هم اجناس شتى وهم بحاجة ماسة إلى توثيق الأحداث التي مروا بها أثباتاً لدورهم في المشاركة و صنع تلك الإحداث و تأثيره عليهم وعلى الامم والحضارات اللاحقة فجاء علم التوثيق للقيام بهذه العملية والحفاظ على تراث الشعوب والامم لكي تتناقله الاجيال اللاحقة لتستفيد من خبراتهم وتجاربهم والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم.

مشكلة البحث:

يعاني المجتمع حاليا ومع التقدم الحاصل في وسائل الاعلام المسموعة والمقروءة والمرئية من تحديات كثيرة خاصة مع التزييف الحاصل احيانا في نقل المعلومة وايصال الخبر ومع ما يهدف اليه البعض من الخداع المصطلحي فيعمل على وضع شيء محل شيء آخر لتحقيق مآرب معينة. ولهذا تتمثل مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

- 1- ما هو مفهوم التوثيق الاعلامي؟ وماهي انواع التوثيق؟ واسس نشأته؟.
- 2- هل هناك كتب مخصصة عن واقعة الطف؟ وماهي هذه الكتب؟ وابرز ماتم توثيقه فيها؟.

أهداف البحث:

- 1- التعرف على اهمية التوثيق الاعلامي واهميته.
- 2- توضيح دور التوثيق الاعلامي في الحفاظ على ماورد عن واقعة الطف من أخبار وماجرى فيها من أحداث؟

المبحث الأول: مفهوم التوثيق الإعلامي وتاريخيته

أولاً: مفهوم التوثيق الإعلامي

التوثيق الاعلامي في اللغة والاصطلاح يتألف مصطلح التوثيق الإعلامي من كلمتين هما التوثيق والإعلام وسوف أورد معنى كل كلمة منهما قبل أن اذكر مصطلح التوثيق الإعلامي. التوثيق في اللغة يعود في الأصل الى مادة وثق:(والواو والهاء والقاف كلمة تدل على عقد، وإحكام، ووثقت الشيء:أحكمته)⁽¹⁾، ويورد الفراهيدي:(الوثيقة في الأمر: إحكامه، والأخذ بالثقة، والجمع وثائق).

أما اصطلاحاً فيعرف التوثيق بعدة تعريفات منها ما عرفه به كل منشيرا وايجان بأن التوثيق ما هو إلا تطور لمهنة المكتبات، وبهذا فإنه ليس علما جديدا حسب رأيهما، وقد عبرا عن هذا في المقدمة التي كتبها لكتاب برادفورد وفي مقال آخر لهما اسبق من هذه المقدمة استخدما بديلا عنه مصطلح الضبط الببليوجرافي وفي سنة (1951م) استخدما لفظا احدث هو التنظيم الببليوجرافي لكي يعنيا به كل الأعمال التي يقوم بها الموثقون⁽²⁾. وعرفه موريتمر تادبة على انه مجموعة العمليات التي يشتمل عليها توصيل المعلومات المتخصصة والتي تتضمن العمليات التي تكون العمل المكتبي المتخصص، الى جانب العمليات المبدئية الخاصة، بإعداد ونسخ المواد وما يتبعها من عمليات التوزيع⁽³⁾.

في حين يعرفه جيمس ماك وروبرت تايلور بأنه مجموعة العمليات اللازمة لتجميع وتنظيم وتوصيل المعرفة المتخصصة وذلك لغرض توفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات التي تشتمل عليها⁽⁴⁾.

ويشير البعض الى إن مصطلح التوثيق جاء في الأصل من كلمة وثيقة وإذا كانت كلمة وثيقة استعملت أصلا في معناها القانوني فقط أي كتابة الحقوق الشرعية وتحديدھا في شكل قانوني، فان كلمة وثيقة قد استخدمت مؤخرا للدلالة على شيء مادي يحتوي على المعلومات الثابتة التي تنشر في مكان وزمان معين

ومن اجل الاستخدام في الممارسات الاجتماعية، وأصبحت كلمة توثيق معنى وثائق مدخلة ببعضها في المحتوى الموضوعي(5).

والتوثيق (documentation) مصطلح علمي حديث دخل مفهومات علم المكتبات والمعلوماتية والعلوم المتعلقة بهما بعد دخول التقنية الحديثة وقد اشتق هذا المصطلح سواء في اللغة العربية أو في اللغة اللاتينية من كلمة وثيقة(document) واتسع مجال التوثيق في النص الثاني من القرن العشرين حتى حظي باهتمام العلماء والباحثين فبدأت تتوفر له المقومات الأساسية للعلم من قواعد و قوانين عامة تحكم موضوعه مصادر جزء أساسيا من مناهج تدرس علوم المكتبات والمعلومات(6).

ومن هنا نعني بالتوثيق جعل المستويات المتعلقة بالحقائق والبيانات لغرض استرجاعها وتقديمها، أي إن نشاطات التوثيق تتناول معالجة الوثائق من حيث جمعها وتحليلها والاختيار منها بما يتلاءم مع متطلبات الباحثين والمستفيدين وتصنيفها وتكثيفها ثم جعل محتويات هذه الوثائق تناول أيديهم(7).

أما الإعلام في اللغة فهو: من مادة عِلْم، قال في اللسان: " والعِلْمُ نقيضُ الجهلِ عِلْمٌ عِلْمًا وَعِلْمٌ هُوَ نَفْسُهُ وَرَجُلٌ عَالِمٌ وَعَلِيمٌ مِنْ قَوْمٍ عُلَمَاءَ . وَعِلْمٌ وَعِلَامَةٌ إِذَا بَالِغَتْ فِي وَصْفِهِ بِالْعِلْمِ أَي عَالِمٌ جِدًّا وَالهَاءُ لِلْمَبَالِغَةِ . وَعِلْمٌ بِالشَّيْءِ شَعَرَ يَقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِخَيْرٍ قَدُومِهِ أَي مَا شَعَرْتُ، وَاسْتَعْلَمَنِي الْخَبَرَ فَأَعْلَمْتُهُ إِيَّاهُ وَعِلْمٌ الْأَمْرَ وَتَعَلَّمَ أَتَقَنَهُ(8).

ومن هذا نستخلص أن الإعلام في اللغة يدور حول الإخبار والتعريف ونقل المعلومات إلى الآخرين عن طريق الكلمة أو غيرها.

وفي الاصطلاح يعرف الإعلام بعدة تعريفات منها:

- كل قول أو فعل قصد به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب قولية أو سلوكية شخصية أو جماعية إلى فرد أو جماعة أو جمهور بغية التأثير،... بواسطة وسيلة اصطلاح على أنها وسيلة إعلام قديماً أو حديثاً "(9).
- الإعلام هو: بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية(10).
- تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم"(11).

ونستخلص من هذا أن الإعلام لا يتعدى كونه عملية اتصال يراد من ورائها بناء معارف المتلقين، أو الميل بهم نحو أهداف محددة، وتتوقف عملية الاتصال

هذه صلاحاً وفساداً، حقاً وباطلاً، هدىً وضلالاً، بحسب نوعية ما يتم إرساله من المعلومات، والقالب الذي تصاغ فيه الرسالة، وعلى هذا النحو يستطيع المرء الحكم على وسائل الإعلام والتمييز بينها.

ينتج عن كلمتي (التوثيق - الاعلام) مصطلح "التوثيق الاعلامي" وهذا المصطلح واسع الانتشار في عصرنا الحالي وخصوصاً بعد التطورات الواسعة التي حصلت في الحقل الاعلامي، ويعرف التوثيق الاعلامي على انه: عملية حفظ دقيق وشامل تسعى الى الحفاظ على النتاج الفكري والثقافي والاعلامي ومجمل النشاطات الانسانية البشرية او شرائح من الافراد في اطر قضائية وظروف حياتية خاصة في وثائق تتعدد اشكالها ومضامينها، وهو مجموع الاجراءات والخطوات الفنية والعلمية التي تستهدف توفير المعلومات وجمعها في اوعية تحدد مضامينها وحقولها المعرفية وذلك بالحصول عليها من مصادر المعرفة المتنوعة ثم حفظها وتخزينها وتنظيمها وترتيبها وتصنيفها وفهرستها بغرض الافادة منها عند الحاجة، والتوثيق الاعلامي هو صلة بعملية للحصول على المعلومات وتخزينها وحفظها(12).

إن اساس نظام التوثيق في الاسلام ما ورد في القرآن الكريم حيث تعتبر اية الدين اطول اية في القرآن الكريم وهي وفيما يأمر الحق سبحانه عباده بتوثيق الديون بالكتابة في قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(13).

اما عن بدايات التوثيق التاريخي في الحضارات القديمة فهي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ أي أن بداياته قد سبقت التدوين الكتابي، حينما قال آدم عليه السلام لربه عندما أتاه ملك الموت: "قد عجلت فقد كتب لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجدد فجددت ذريته ونسي فنسيت ذريته قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود"(14)، ونجد في الحضارة السومرية في تاريخ العراق القديم ظهور الوثائق والسجلات في المعابد وهو ما يعني ان العراقيين القدماء قد عرفوا منذ آلاف السنين ظاهرة الأرشيف، اما في العهد الأشوري فقد عرفت هذه الظاهرة من خلال الرقم الطينية اذ احتوت مكتبة اشور بانبيال(15) على مجموعة وثائق ومعلومات عن الدولة الأشورية(16).

وفي مصر القديمة حفظت الوثائق والمعلومات في شكل مجموعات منظمة في المعابد القديمة العرب عرفوا هم الاخرين النظم الحكومية وأنشأوا الدواوين الا انه لم تصلنا من تلك الحقبة الوثائق الاصلية والمعلومات المتعلقة بتلك الدواوين لولا بعض المتفرقات في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي(17)، ثم جاء تراث العرب في العصر الجاهلي والذي تمت المحافظة عليه من خلال الشعر حيث اورد الجاحظ في كتابه الحيوان عن ابن الهيثم عن ابن الكلبي: كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت

العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وهو ديوانها(18). فقد كان الشعر صورة لحياة العرب قبل الاسلام ووثيقة صادقة من وثائق الدعوة الإسلامية ولوحة واضحة من لوحات حركات التحرير التي قادتها قوافل المحررين فنجد مرافقا للدعوة الإسلامية حينما حمل الرسول صلى الله عليه واله وسلم الرسالة السماوية لنشرها في أرجاء المعمورة وعندما وقفت فريش ضده فما كان من الشعر الا ان يكون حاضرا فانبرى عمه أبو طالب مخلدا ووقفته مع الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم بقوله:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل(19).

المبحث الثاني: واقعة الطف الخالدة في ذاكرة الموثقين

تناول الكثير من المؤرخين واقعة الطف في مؤلفاتهم وهناك من أورد كتب خاصة بها تعطي تفاصيل دقيقة عن الواقعة ابتداءا بخروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة وصولا الى العراق في أول محرم مع ذكر الوقائع والاحداث والاماكن التي مر بها هو وأهل بيته عليهم السلام بعض هذه المصادر وصل إلينا كاملا والبعض الاخر يعد في عداد المصادر المفقودة ووردت أسماءها فقط في ثنايا فهراس كتب اخرى وسوف احاول في هذا المبحث ان أعطي جردا تاريخيا ببعض من المصادر التي تناولت تفاصيل واقعة الطف الدقيقة مع الإشارة الى مؤلفيها.

- تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام من ولده وإخوته وأهل بيته وشيعته للفضيل بن الزبير بن عمر الكوفي الاسدي من علماء الشيعة في القرن الثاني اول مصدر متوفر ومستقل حول ابطال عاشوراء.
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع الزهري المعروف بابن سعد (ت:230 هـ) حيث يعتبر مرجعا مهما في الواقعة
- تاريخ اليعقوبي لابن واضح احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت:292هـ) وهو من مؤرخي العصر العباسي وشيوعي المذهب خلافا لمعظم مؤلفي عصره واشار في مؤلفه الى تفاصيل عن واقعة الطف الخالدة تمثلت في محاولة معاوية اخذ البيعة لولده يزيد ومقدم الحسين الى كربلاء وكيف حالوا بينه وبين ماء الفرات واستشهاده عليه السلام(20)
- تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت:310هـ) وهو من المؤرخين البارزين لأهل السنة وقد تناول الطبري في احداث سنة ستين هجرية مراسلة الكوفيين للإمام الحسين في القدوم الى كربلاء ومسير الحسين عليه السلام الى الكوفة وتفاصيل اخرى للواقعة(21)
- مقاتل الطالبين لابي الفرج علي بن الحسين الاموي الاصفهاني (ت:356هـ) وهو من المؤرخين غزيري التأليف في القرن الرابع وقد اورد فصلا كاملا

عن الإمام الحسين عليه السلام وذريته ومقدمه الى كربلاء ومقتله في الجزء الاول من مؤلفه هذا(22).

- كامل الزيارات لابي القاسم جعفر بن محمد بن محمد بن قلوبية القمي (ت:368هـ)(23) وهو من فقهاء ومحدثي الشيعة الكبار وموضع ثقتهم اورد في كتابه تفاصيل غزيرة عن مقتل الحسين وما ذكر عن مقتله في القرآن الكريم وما جاء عن قتله وعن قاتله وبكاء السماء عليه والجن والملائكة و اشار الى ماء الفرات الذي منع منه الحسين عليه السلام وتفاصيل تتعلق بمقتله سلام الله عليه و اشار ايضا الى فضل زيارته وما فيها من ثواب و اورد ذلك في الباب الثالث عشر وما بعده وصولا الى الابواب الاخرى التي يشير فيها الى الائمة المعصومين عليهم السلام من بعده.

- الامالي لمحمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت:381هـ) وهو من كبار محدثي قم والري المدينتين المعروفتين برواية الحديث(24). وكان كتابه الامالي عبارة عن مجالس يلقيها على المسامع وهي مرتبة بحسب الاشهر الحرم وقد اورد حادثة الامام الحسين عليه السلام ومقتله بشيء من التفصيل وذلك في مجلسه المنعقد في يوم السبت التاسع من المحرم سنة 368 هـ والمعنون: "مقتل الامام الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام".

- الارشاد لابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيخ المفيد(ت:413هـ)(25) وهو من ابرز شخصيات الشيعة منذ القديم وحتى يومنا هذا و اورد حادثة كربلاء بشكل تفصيلي في الجزء الثاني من مؤلفه هذا.

- فضل زيارة الحسين عليه السلام لابي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي الشجري (ت:445هـ) من علماء عهد البويهيين في العراق وقد اورد المؤلف زيارة الامام الحسين وفضل زيارته واستشهاده(26).

- مصباح المتهدد للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة (ت:460هـ) من اعلام الشيعة ونجوم العالم الاسلامي(27) وقد اورد فيه بعض القضايا عن واقعة الطف الخالدة اثناء تناوله لزيارة عاشوراء وفضلها.

- الامالي الخميسية لابي الحسين يحيى بن الحسين بن اسماعيل الشجري (ت:499هـ) من محدثي القرن الخامس الهجري.

- روضة الواعظين وبصيرة المتعظين لابي علي محمد بن الحسن بن علي المعروف بابن القتال النيسابوري (ت:508هـ) من تلامذة الشيخ المرتضى والشيخ الطوسي وابيه الحسن بن القتال.

- اعلام الورى بإعلام الهدى لأمين الاسلام الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:548هـ)(28) صاحب تفسير مجمع البيان فضلا عن عشرين

- كتابا اخر وهو من اكبر علماء الشيعة الامامية في القرن السادس الهجري وقد اورد في مؤلفه هذا قدوم الامام الحسين عليه السلام الى العراق ولقاءه بالحر بن يزيد الرياحي و مجيء عمر بن سعد بالجيش وليلة العاشر من محرم ويوم العاشر الذي استشهد فيه الامام الحسين ووصول السبايا الى الكوفة وانفاذ السبايا الى الشام وقدومهم الى مجلس يزيد
- مقتل الحسين عليه السلام لابي المؤيد الموفق بن احمد بن ابي سعيد الخوارزمي المكي المعروف بأخطب خوارزم (ت: 568هـ) (29) من علماء الحنفية والمعتزلة.
- مناقب آل ابي طالب لابي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوبالمازندراني (ت: 588هـ) (30) من كبار علماء الشيعة في القرن السادس
- المزار الكبير لابي عبد الله محمد بن جعفر المشهدي (ت: 610هـ) (31) من العلماء والمحدثين ومن المشايخ اصحاب الاجازة في القرن السادس الهجري.
- الكامل في التاريخ لابي الحسن عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت: 630هـ) (32) من المؤرخين المعروفين في القرن السادس والسابع الهجريين وقد ذكر تفاصيل واقعة كربلاء الخالدة في احداث سنة ستين هجري.
- مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان لنجم الدين جعفر بن محمد الحلبي ابن نما (ت: 645هـ) (33) نشأ في اسرة كبيرة في العصر الذهبي لحوزة الحلة وكان والده من مشايخ المحقق الحلبي وقد تضمن الكتاب تفاصيل واسعة عن واقعة الطف الخالدة ابتدأها المؤلف بالإشارة الى المحاولات التي قام بها معاوية من اجل اخذ البيعة لولده يزيد من بعده والكتب التي ارسلها الى الامام الحسين عليه السلام ومن رفض البيعة ليزيد ثم خروج الامام الحسين من مكة متوجها الى العراق بناء على الدعوات المتكررة له بالقدوم من قبل اهل العراق وبانهم من المؤيدين له ومن الموالين لبيعته ثم اورد المؤلف المنازل التي نزل بها الحسين عليه السلام في طريقه الى كربلاء هو واهل بيته ثم اورد مفصلا تفاصيل المعركة التي دارت في ارض الطف والتي انتهت باستشهاد الامام الحسين عليه السلام وسبي اهل بيته.
- تذكرة الخواص من الامة بذكر خصائص الائمة عليهم السلام لابي المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابي الفرج ابن الجوزي (ت: 654هـ) (34) وكان حنبلي المذهب في اول حياته ثم صار حنفيا
- الملهوف على قتلى الطفوف للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف بالسيد ابن طاووس (ت: 664هـ) (35) من علماء الشيعة وعرفائهم المشهورين تناول تفاصيل واقعة كربلاء الخالدة بشكل مفصل في ثنايا صفحات الكتاب.

- كشف الغمة في معرفة الأئمة لابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي (ت: 692هـ)⁽³⁶⁾ من علماء العراق وأدبائه في القرن السابع
- البداية والنهاية لابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير(ت: 774هـ)⁽³⁷⁾ من مؤرخي القرن الثامن الهجري. وقد تناول المؤلف احداث واقعة كربلاء في ذكره لاحداث السنة الستين للهجرة وذلك في الجزء الثامن.
- مقتل الحسين عليه السلام المنسوب لابي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد(ت:158هـ)⁽³⁸⁾ وهو من المؤرخين الموثوق فيهم ومن اصحاب الامام الصادق عليه السلام وكان على الارجح شيعيا.
- نور العين في مشهد الحسين عليه السلام المقتل المنسوب الي ابي اسحاق الاسفراييني ابراهيم بن محمد الفقيه الشافعي(ت:418هـ)⁽³⁹⁾ الا ان جميع المصادر القديمة لم تذكر في ترجمته تأليف مثل هذا الكتاب باستثناء المحدثين منهم امثال آغا بزرك الطهراني ويوسف اليان سركيس.
- روضة الشهداء لكمال الدين الحسين بن علي الواعظ الكاشفي(ت: 910هـ)⁽⁴⁰⁾ المبدع للاسلوب القصصي والوعظي في رواية الاحداث التاريخية ولانعلم مذهبه على التحديد اهو سني ام شيعي. وقد تناول المؤلف فاجعة الطف الخالدة في الباب التاسع من كتابه الذي يضم عشرة ابواب
- المنتخب في جمع المراثي والخطب لفخر الدين بن محمد علي بن احمد الطريحي (ت: 1085هـ)⁽⁴¹⁾ صاحب كتاب مجمع البحرين.
- محرق القلوب للملا مهدي النراقي(ت:1209هـ)⁽⁴²⁾ وقد عمد من خلال الاقتباس من روضة الشهداء الى تقديم مواضيع نقود عواطف الناس ومشاعرهم بشكل مثير نحو واقعة كربلاء وقد اعتمد المؤلف في كتابه المذكور باللغة الفارسية بالاقتباس من كتاب روضة الشهداء والذي تختلط فيه المعلومات الصحيحة و غير الصحيحة فقد اشتمل كتابه على روايات ضعيفة واخرى غير معتبره.
- اكسير العبادات في اسرار الشهادات اسرار الشهاده لأغا بن عابد الدربنديالشيرواني المعروف بالفاضل الدربندي والملا آغا الدربندي (ت: 1285 او 1286هـ)⁽⁴³⁾وهو من الذين الفوا اضافة الى مجال تخصصهم وهو الفقه في فروع اخرى مثل تاريخ عاشوراء
- تذكرة الشهداء للملا حبيب الله شريف الكاشاني (ت:1340هـ)⁽⁴⁴⁾ وهو من العلماء والفقهاء الغزيريالتاليف في القرن الرابع عشر الهجري
- معالي السبطين لمحمد مهدي الحائري المازندراني (ت: 1385هـ)⁽⁴⁵⁾ من مؤلفي القرن الرابع عشر وله كتابان اخران حول اهل البيت عليهم السلام احدهما باسم شجرة طوبى والاخر الكوكب الدري في احوال النبي والبتول والوصي.

الخاتمة:

نستنتج من بحثنا هذا:

- إن الإنسان ومنذ وجوده اهتم بعملية التوثيق التاريخي للأحداث التي تمر به وذلك من أجل إثبات دوره في المشاركة و صنع تلك الأحداث و تأثيره عليها، ولولا عملية التوثيق هذه لما استطعنا أن نتعرف على الحضارات المختلفة السابقة ولما وصلت إلينا أخبارها.
- نظرا لما تمثله شخصية الإمام الحسين عليه السلام في النفوس فهو حفيد الرسول الأعظم صل الله عليه وآله وسلم ونظرا لما حظيت به ثورته في أحاديث الرسول و اهل البيت عليهم السلام لذلك نالت ثورته قدسية كبيرة في النفوس ودفعت اغلب كتاب التاريخ والمؤرخين الى توثيق أحداث هذه الثورة لتكون نبراسا لكل الاجيال لما فيها من قيم ومبادئ تدعو الى التضحية ونبذ المنفعة الشخصية والعمل على الحفاظ على حقوق الأمة والوقوف بوجه طغاة العصر مهما وصلوا من جبروت وقوة.
- تعدد المصادر التي تناولت ذكر واقعة الطف بكل تفاصيلها بدءا من مكة التي خرج منها الامام الحسين عليه السلام وصولا الى العراق في أول محرم مع ذكر الوقائع والاحداث والأماكن التي مر بها هو وأهل بيته عليهم السلام وان هذه المصادر على الرغم من تعددها الا ان البعض منها وصل إلينا كاملا والبعض الآخر يعد في عداد المصادر المفقودة ووردت أسماءها فقط في ثنايا فهارس كتب أخرى.

الهوامش:

- (1) الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت:175هـ—)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1988، ج5، ص202، مادة وثق.
- (2) ابو النور، عبد الوهاب، دراسات في علوم المكتبات والتوثيق و الببليوجرافيا، عالم الكتب، القاهرة، 1996م، ص89.
- (3) بدر، احمد، وحشمت قاسم، المكتبات المتخصصة: إدارتها وتنظيمها وخدمتها، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982، ص 19-20.
- (4) بدر واخرون، المكتبات المتخصصة: إدارتها وتنظيمها وخدمتها، ص 19-20.
- (5) ابو العلا، الدكتور محمد علي، التوثيق الاعلامي والنشر الالكتروني في ظل مجتمع المعلومات، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر، 2013، ص31.
- (6) أبو العلا، التوثيق الاعلامي والنشر الالكتروني في ظل مجتمع المعلومات، ص 31-32.
- (7) ابو العلا، التوثيق الاعلامي والنشر الالكتروني في ظل مجتمع المعلومات، ص31.
- (8) ابن منظور، محمد بن مكرم(ت:711هـ-)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1979، مادة علم.

- (1) مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم : دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله. د سيد محمد ساداتي الشنقيطي. ص 17 و 18. الرياض: دار عالم الكتب 1986.
- (10) سليمان، محمود كرم، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، ط9، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1988م، ص 18.
- (11) الإعلام الإسلامي د إبراهيم الإمام ط1 القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1980، ص 27. / الإعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة، ص 75، ط 2، 1978م، دار الفكر العربي.
- (12) ابو العلا، التوثيق الاعلامي والنشر الالكتروني في ظل مجتمع المعلومات، ص 38.
- (13) سورة البقرة، الآية: 181.
- (14) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ-)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990، ج 1، ص 82.
- (15) (669-640 ق.م) هو ملك آشوري لقب بملك العالم في حدود القرن السابع ق.م توفي في (627 ق.م) كان آخر ملك للإمبراطورية الآشورية الحديثة عرفه اليونانيون باسم ساردانابالوس (Sardanapalos) ، بينما تشير إليه النصوص اللاتينية والنصوص الأخرى في القرون الوسطى بمسمى ساردانابالوس (Sardanapalus) وسمي في التوراة أوسنابير. كان حفيد سنحاريب، وقد ظهرت شهرته كفاتح وملك بحيث عُرف بلقب "ملك العالم"، رفع آشور إلى ذروة العظمة التي لم تعدها في تاريخها، ولكنه اشتهر بصورة خاصة باهتمامه بالإنجازات السلمية وتشجيعها، فشيد في نينوى قصرًا رائعًا، تزيّن بعض جدرانه الداخلية المنحوتات النافرة الجميلة والتماثيل الرائعة، وأنشأ مكتبة كبيرة، وجمع الكثير من ألواح عديدة من الطين والقوانين، وكل أنواع المواد المكتوبة، وأسس المدارس، وشقّ الطرقات وعيّن لها، وشيد المباني العامة. وحوالي نهاية ملكه (عندما سُجّلت الأحداث جيداً على ألواح الطين) أصبحت إمبراطوريته أكثر فاكثراً تحت رحمة هجمات الكلدانيين. <https://ar.wikipedia.org/wiki>.
- (16) كنعان، علي، التوثيق والسجلات الاعلامية، ص 33.
- (17) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت: 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بلايت، ذكرت الدواوين على طول فصول الكتاب واجزائه.
- (38) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ اداب العرب، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاوي، مهدي البحيري، مكتبة الايمان، الازهر - القاهرة، بلايت، ج 2، ص 14
- (19) صاحب، احمد حسن، شعراء مؤرخون، دار ينابيع، سورية، 2011، ص 18-19
- (20) انظر: اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت: 292هـ)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، ج 2، ص 155 - 169.
- (21) انظر: الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ-)، تاريخ الامم والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج 5، ص 347 وما بعدها.
- (22) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين الأموي (ت: 356هـ-)، مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، بلايت، ج 1، ص 85-88.
- (23) الناشر: مكتبة الصدوق، بلا.م، 1417هـ، الباب 13، ص 60 وما بعدها.

- (24) الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي (ت: 381هـ)، الامالي، قدم له: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2009، ص 117 وما بعدها.
- (25) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار احياء التراث، بيروت، 1995، ج 2، ص 31 وما بعدها.
- (26) العلوي الشجري، ابي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن (ت: 445هـ)، فضل زيارة الحسين عليه السلام، إعداد: السيد أحمد الحسيني، باهتمام: السيد محمود المرعشي، بلا مط، بلا م، بلا ت، ص 74 وما بعدها.
- (27) الطوسي، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن (ت: 460هـ)، مصباح المتهدج، صححه وأشرف على طباعته الشيخ: حسين الاعلى، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، بلا ت، ص 536.
- (28) الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، 1417هـ، ص 447 وما بعدها.
- (29) تحقيق: الشيخ محمد السماوي، تصحيح: دار انوار الهدى، بيروت، بلا ت، جميع ثنايا الكتاب تناولت واقعة الطف الخالدة.
- (30) دار الاضواء، بيروت، بلا ت، مقدمة المؤلف.
- (31) تحقيق: جواد قيومي الاصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1419هـ، ص 325-339.
- (32) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1997، ج 3، ص 121-157.
- (33) تحقيق: السيد محمد المعلم، مكتبة الحيدرية، قم المقدسة، 1434هـ، الاحداث ضم الكتاب بأكمله.
- (34) منشورات الشريف الرضي، المطبعة: امير، قم، 1418هـ، ص 210-240.
- (35) تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، بلا ت، ص 12-123.
- (36) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
- (37) تحقيق: علي شيري، المطبعة: دار احياء التراث، بيروت، 1988، ج 8، ص 160 وما بعدها.
- (38) تحقيق وتعليق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم المقدسة، محتوى الكتاب كاملا.
- (39) الكتاب الكتروني موجود في موقع حديث الشيعة <http://hadith.net/ar/post>، ص 35.
- (40) نقلا عن موقع ويكي الشيعة <http://ar.wikishia.net/view>.
- (41) ضبطه وصححه: نضال علي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2003، المجلس الاول من الجزء الثاني وما بعده.
- (42) نقلا عن موقع حديث الشيعة <http://hadith.net/ar/post/35809>.
- (43) تحقيق: الشيخ محمد جمعه بادي، والاستاذ عباس ملا عطية الجمري، شركة المصطفى للخدمات الثقافية، البحرين، 1994، ص 639-683.

(44) نقلا عن موقع حديث الشيعة <http://hadith.net/ar/post/35809>
 (45) المطبعة: سلمان الفارسي، قم المقدسة، 1425هـ، ص185 وما بعدها.

المصادر:

خير ما نبئدئ به كلامنا: القرآن الكريم

- 1- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت:175هـ—)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1988.
- 2- ابو النور، عبد الوهاب، دراسات في علوم المكتبات والتوثيق والبيبلوجرافيا، عالم الكتب، القاهرة، 1996م.
- 3- بدر، احمد، وحشمت قاسم، المكتبات المتخصصة: ادارتها وتنظيمها وخدمتها، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982.
- 4- ابو العلا، الدكتور محمد علي، التوثيق الاعلامي والنشر الالكتروني في ظل مجتمع المعلومات، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر، 2013.
- 5- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت:711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1979.
- 6- د سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم : دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله، دار عالم الكتب، الرياض، 1986.
- 7- سليمان، محمود كرم، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، ط9، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1988م.
- 8- د إبراهيم الإمام، الإعلام الإسلامي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- 9- د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، ط2، دار الفكر العربي، 1978م.
- 10- ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت:774هـ—)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990.
- 11- [./https://ar.wikipedia.org/wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki)
- 12- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت:821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.
- 13- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ اداب العرب، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري، مكتبة الايمان، الازهر - القاهرة، بلا.ت.
- 14- صاحب، احمد حسن، شعراء مؤرخون، دار ينابيع، سورية، 2011.
- 15- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت:292هـ)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010.
- 16- الطبري، محمد بن جرير(ت:310هـ—)، تاريخ الامم والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.
- 17- ابي الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين الاموي (ت:356هـ—)، مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، بلا.ت.
- 18- ابي القاسم جعفر بن محمد بن قلوبه القمي (ت:368هـ)، كامل الزيارات، الناشر: مكتبة الصدوق، بلا.م، 1417هـ.
- 19- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي(ت:381هـ)، الامالي، قدم له: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 2009.

- 20- لابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيخ المفيد(ت:413هـ)، الارشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، دار احياء التراث، بيروت، 1995، ج2، ص31 وما بعدها.
- 21- العلوي الشجري، ابي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن (ت:445هـ)، فضل زيارة الحسين عليه السلام، إعداد: السيد أحمد الحسيني، باهتمام: السيد محمود المرعشي، بلاط، بلاط، بلاط.
- 22- الطوسي، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن (ت:460هـ)، مصباح المتهدج، صححه واشرف على طباعته الشيخ: حسين الاعلى، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، بلاط.
- 23- أمين الاسلام الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:548هـ)، اعلام الورى بإعلام الهدى، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، 1417هـ.
- 24- ابي المؤيد الموفق بن احمد بن ابي سعيد الخوارزمي المكي المعروف بأخطب خوارزم (ت: 568هـ)، مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، تصحيح: دار انوار الهدى، بيروت، بلاط.
- 25- ابي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوبالمازندراني (ت:588هـ)، مناقب آل ابي طالب، دار الاضواء، بيروت، بلاط.
- 26- أبو عبد الله محمد بن جعفر المشهدي (ت:610هـ)، المزار الكبير، تحقيق: جواد قيومي الاصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1419هـ.
- 27- ابي الحسن عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت:630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1997.
- 28- نجم الدين جعفر بن محمد الحلبي ابن نما (ت:645هـ)، مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان، تحقيق: السيد محمد المعلم، مكتبة الحيدرية، قم المقدسة، 1434هـ.
- 29- ابي المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابي الفرج ابن الجوزي (ت: 654هـ)، تذكرة الخواص من الامة بذكر خصائص الائمة عليهم السلام، منشورات الشريف الرضي، المطبعة: امير، قم، 1418هـ.
- 30- السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف بالسيد ابن طاووس (ت: 664هـ)، الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، بلاط.
- 31- ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي (ت: 692هـ)، كشف الغمة في معرفة الائمة، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
- 32- ابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، المطبعة: دار احياء التراث، بيروت، 1988.
- 33- ابي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد(ت:158هـ)، مقتل الحسين عليه السلام المنسوب، تحقيق وتعليق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم المقدسة، بلاط.
- 34- ابي اسحاق الاسفراييني ابراهيم بن محمد الفقيه الشافعي(ت:418هـ)، نور العين في مشهد الحسين عليه السلام، الكتاب الالكتروني موجود في موقع حديث الشيعة [/http://hadith.net/ar/post](http://hadith.net/ar/post)

- 35- كمال الدين الحسين بن علي الواعظ الكاشفى (ت: 910هـ) روضة الشهداء، نقلا عن موقع ويكى الشيعية <http://ar.wikishia.net/view>
- 36- فخر الدين بن محمد علي بن احمد الطريحي (ت: 1085هـ)، المنتخب فى جمع المراثى والخطب، ضبطه وصححه: نضال علي، الناشر: منشورات مؤسسة العلمى للمطبوعات، بيروت، 2003.
- 37- ملا مهدي الزراقى (ت: 1209هـ—)، محرق القلوب، نقلا عن موقع حديث الشيعية <http://hadith.net/ar/post/35809>
- 38- آغا بن عابد الدربنديالشيروانى المعروف بالفاضل الدربندي والملا آغا الدربندي (ت: 1285 او 1286هـ)، اكسير العبادات فى اسرار الشهادات اسرار الشهادة، تحقيق: الشيخ محمد جمعه بادي، والاستاذ عباس ملا عطية الجمري، شركة المصطفى للخدمات الثقافية، البحرين، 1994.
- 39- ملا حبيب الله شريف الكاشانى (ت: 1340هـ—)، تذكرة الشهداء، نقلا عن موقع حديث الشيعية <http://hadith.net/ar/post/35809>
- 40- محمد مهدي الحائري المازندراني (ت: 1385هـ—)، معالى السبطين، المطبعة: سلمان الفارسى، قم المقدسة، 1425هـ.

الطف وتأسيس اللحظة التاريخية للانتصار

م. د. ستار جبار راضي

قسم اللغة الفرنسية
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

م. م. عبد الرسول فرحان حاجي

قسم اللغة الفرنسية
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

كيف استطاع الطف الذي اندرج تحت عناوين كبرى الحركات الاصلاحية تجاوز مدنة الفكر المجرد ليبقى ملهم للكثير من الثورات والمعارك وان تكون تضحياته مدادا للانتصارات ؟

الحقيقة التي لا يمكن للكثير من فهمها ان حركة الحسين استندت الى الفعل اليقيني الذي يبلور جوهر الدين من خلال الايمان بالدين كطاقة روحية لها مردود ايجابي في حياة الامة.

نستطيع القول ان الانتصارات على داعش جسدت منطلقات الطف في تحقيق انجاز التحول الكبير من المستوى التعبدى و الطقوسى الخالص الى مستوى وعي منفتح و متطور فاعل ومؤثر في المجتمع الذي ينشد الخلاص والحرية الفكرية من خلال ربط تضحيات الطف كمحرك وحافظ للهوية في جدلها بعيدا عن النظرة السكونية الواقعة في منزلق الارهاب الفكرى او العنف القسرى الذي يسعى للسيطرة على مقدرات الامة.

أن تفحص واع لواقعة الطف لكل منصف في التاريخ يجد انها لم تكن اسقاطا لعالم طائفة منغلقة على ذاتها، بل هي طريق منفتح على الاخر وفق رفض للقمع السلطوي الذي يستمد شرعيته من التدين الظاهري، فأننا نستذكر كل كربلاء وروحا وانتفاضة وثورة تستنطق التاريخ في كل وقفة من وقفات الامام وخروجه مع عياله و اصحابه حينما تمت المواجهة مع داعش وتحقق النصر في العراق على داعش بفضل هذا الامتداد الثورى. الم يشكل هذا الوعي الجديد الذي يبنى على الوجدان ضربا من التحرر من التقليد الاعمى لسياسة متحجرة اسست ساحة صارت لها الغلبة على التاريخ وبالتالي فأنها اسست لبؤس التاريخ ؟

فأننا اذ نرى في معاركنا الاخيرة استمرارا للحسين لان الطف مشروع تصحيحي مستمر لا يتوقف ولا يكتسب شرعيته ماضوية فقط، بل اسس الطف مشروعيته من قابليته على ربط الماضى بالحاضر في ديمومة الاصلاح. لهذا شكل الوعي مادة اساسية للانتصار على داعش حينما خرجت الحرب من الطائفية الى وعي عميق بالحرية فانتصرت الارادة الخيرة في توحيد الكلمة بفضل امتداد شخصية الحسين ببعدها الانساني. وبهذا فان تضحيات الطف لا بد ان تكون مدادا للنصر الذي اوقد شرارة الاعتقاد مجددا بان الحرية قدر الحياة ولا شيء يعدلها قيمة.

وجدنا نوعا من التقارب المنهجي في الاسباب والايثار المحدقة بالامة التي دفعت للانتفاض بوجه هذه الهجمة الشرسة، فالذي جعل الحسين رافضا لظلم بني امية في الطف شكل لاتباع ال البيت نقطة انطلاق لتلتقي في وحدة الحدث التاريخي الخطير والذي ينذر بتهديد كيان الامة و الذي ان بقى، لا سمح الله، دون صد قد يتحول الى نقطة مفصلية في تاريخ تدهورها. فقد دعت ديناميكية حركة الحسين وديمومتها الى تحفيز الروح الجمعي لدى اتباع ال محمد في استجماع الطاقات الكامنة والاستعداد للتضحيات في سبيل انتشال الامة من الجمود والخراب والتصلب بل والانحراف عن قيم الحق والعدالة والإنصاف والحرية التي تمثلت بالحركة الداعشية.

الطف وتأسيس اللحظة التاريخية للانتصار

م.م. ستار جبار راضي

قسم اللغة الفرنسية
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

م.م. عبد الرسول فرحان حاجي

قسم اللغة الفرنسية
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مقدمة:

إذا نظرنا لأصالة واقعة تاريخية بغية تفحص أسباب خلودها لابد ان ننتبه الى ما يثير السؤال اولا وقبل كل شيء في قدرتها على الاتصال الفعال بتاريخ الامة اولا والإنسانية ثانيا دون ان تشكل قطيعة مستقبلية، مع ان احد دواعي أسبابها تنهض على نوع من التصحيح الذي يتأسس على القطيعة ويجذر لتاريخ جديد معلنة بذلك تجاوزها حتى للظروف التاريخية التي ساعدت على حدوثها.

فان الطف تجاوز التمرس المذهبي المتصلب في نظراته الأقصائية ليتجاوب مع الواقع الحديث المتحرك بكل ابعاده المعقدة ليكون بعد ذلك مداد للانتصارات. هذا الوعي الروحي العميق لا يكاد يختلف في جوهره عن الظروف التي اوجدت ثورة الامام الحسين في الظروف التاريخية المعروفة.

فألطف كحركة لا تدور خارج سير التاريخ كونها جزء لا يتجزأ من المسارات العظيمة التي الهمت الإنسانية صوتا متفردا من خلال التضحيات لتكون مدادا رافدا في تحقيق الانتصار اللاحق في التاريخ. فلطف بعد تاريخي لا يمكن تجاوزه.

لكن الذي يثير تساؤلات كثيرة هو كيف استطاع الطف ان يؤسس اللحظة التاريخية للانتصار و يبقى في الذاكرة الجمعية التاريخية، بل وحتى الاسطورية في وعي الإنسانية او قل في جزء من هذه الامة التي شكلتها على مر التاريخ شيعة (ال البيت) ؟ والى أي مدى حقق هذا التواصل من المنظور العقائدي والتاريخي لتضحيات الطف واستمراريته في تحقيق نصر ومقارعة ظلم في اعتبار الحركة الحسينية كخلفية تاريخية للانتصارات المتحققة في العراق على داعش كواقعة حقيقية خرجت من الاطر النظرية الى ارضية وصلابة الحدث التاريخي الذي نشهد عليه جميعا ؟

انطلقنا في هذه الورقة البحثية من دراسة الواقعة التاريخية من خلال تعدد الروايات التي جاءت من شتى المشارب. فقد اكدت في معظمها على الرواية المحضة ودون الاخذ بنظر الاعتبار الغيبات التي لا يمكن لنا اغفالها لما يتمتع به صاحب هذه الثورة الاصلاحية من المقامات التي عرف بها وكذلك تاريخه و مكانته في الاسلام. لذا لم نكتف بدراسة الواقعة من الاطراف التي لا ترى في

الحسين إلا طالب سلطة وفشل في تحقيق ما يصبو إليه. الحقيقة ان أي منصف في التاريخ لا يستطيع ان يغفل ذلك الجانب الغيبي الذي اسهم كثيرا في بلورة الفعل الخلاق الذي يأبى على الفهم المنطقي لسير التاريخ.

الطف بين الأمس واليوم

على الرغم من ان واقعة الطف من اقدم الحركات التصحيحية التي عرفتھا الامة الاسلامية والتي استمدت استمراريتها من النهج الثوري الحسيني الذي يرتكز على روح الرسالة الانسانية للدين المحمدي في مواجهة الاختناق والحلل الذي الم بالامة و شرخ بنية المجتمع الاسلامي انذاك، تجاوز مدى هذه الحركة الاطر الضيقة للسباق الذي نشأت فيه الى حد بعيد. بل يحق للدارس الزعم، بما للحركة من تجاذبات مع الواقع المعيش، بأنها كانت وما زالت تتوق لرأب تصدعات الفكر المنحرف الذي استولى على امارة العباد وسياسة البلاد. فجاءت ثورة الطف في الخروج على مبدأ الظلم والاستبداد السياسي لترسي قواعد اسس الحرية في الاختيار وعدم الرضوخ لمنهج الاعوجاج الذي ارست دعائمه ائمة السلطة في تثبيت الخطل وإفشاء سياسة تكميم الافواه والترهيب الذي عرف عن السياسية الاموية انذاك وان لم يتحرر العرب المسلمون على مر العصور من هذه الافة المميتة في تحليل قضايا الامة التاريخية.

وهذا ما يكشف عن ان للطف دور مهم في زراعة وعي تاريخي حقيقي وليس زيفا او انفعال زائل، مع ذلك مازال جزء كبير من الامة يعيش شروخ السلف وكدمات الماضي ومزالق الانغلاق الفقهي والنظرة التبجيلية التي تحول دون المراجعة الجريئة لماض تسبب في الكثير من التعصب الاعمى والانفعال والعصبية القبلية التي خدمت السلطات على حساب الشعوب التي غيبتها الارادة الحاكمة.

أذن لم تكن واقعة الطف مجرد كما يريد لها البعض ممن يرون الحق ولا يتبعونه، وتزوج بصيرتهم ولا يأخذون بالأسباب العميقة في سياقها التاريخي، فلا يرون فيها إلا خروجا على الحاكم الشرعي و مطالبة بحكم ألت الى فشل ومجزرة. المصادر التاريخية التي تشير لذلك تتناقل الخبر متناسية طبيعة هذا الخروج فجاءت معظمها متناغمة مع السياسة الاموية. يعرض محقق كتاب **العواصم من القواصم** (لبعض الاراء المستندة لرؤية فقهية مغايرة لمفهوم الامامة، لذا نظرتها تقتصر على البعد الدنيوي كما يتضح من خلال رأي ابن تيمية الذي يقول « ان الذي لم يكن في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده. فان ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر في وجه وقتله، ونقص الخير بذلك وصار سببا لشر عظيم وكان مقتل الحسين مما اوجب الفتن¹»، ويورد المحقق ايضا رأي الشيخ الخضري وهو من المحدثين والمصلحين كما يرى حينما علق على مقتل الحسين قائلا: « وعلى الجملة ان

الحسين اخطأ خطأ عظيماً في خروجه الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها الى يومنا هذا². «

الحقيقة ان مثل هذه النظرة المبتورة لا تستند لرؤية منصفة حتى وان كانت المطالبة بالحكم احد اسباب نهضة الامام الحسين في كربلاء كما يرى البعض، لان الكل يعرف اولاً من هو الحسين، حيث ان الطف ارتبط منذ قيامه بشخصه الذي استجمع روح النبوة والحكمة والإخلاص لأمة جده وما عرف عن صاحب المشروع التصحيحي بورعه ورجاحة عقله وشجاعته وقربه من منبع الوحي حتى قال فيه خصومه السياسيون كعواوية حينما خاطب يزيد قائلاً:

« أعلم يا بني اني قد ذللت لك الرقاب الصعاب ووطدت لك البلاد وجعلت الملك وعافية لك طعمه واني اخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون عليك بجهدهم وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي... زاما الحسين فقد عرفت حظه من رسول الله، وهم لحم رسول الله ودمه، وقد علمت لا محاله ان اهل العراق سيخرجونه اليهم، ثم يخذلونه ويضيعونه فان ظفرت به فاعرف حقه ومنزلته من رسول الله ولا تؤاخذ به فعمله ومع ذلك فان لنا به خلطة ورحماً وإياك ان تناله بسوء او يرى منك مكروها³. «

وثانياً لا يمكن اغفال المسار التصحيحي الذي تجاوز بؤس التاريخ ليدخل كمكون في ضمير الأمة الواعي ليشكل زخماً هائلاً يعيد مسارات الانحراف في كل حين الى جادة الصواب، اذا ما قبض الله له عباداً يأخذون بالأسباب ومجمل العوامل التي دعت الى قيام الطف ولا يلجئون الى الاجتزاء في النظر الى جسامه الحدث تحت طائل مسميات الانطواء تحت السلطة المستبدة والعقلية المستلبة التي ارتضيت الهوان على تجنب مواجهة الحقيقة وتخلت عن الشجاعة في تشخيص الاعوجاج الفكري وقد اثرت مصالح عابرة على اهداف سامية، متذرة بالحفاظ على وحدة الأمة التي ترقل بسكرتها كما لو كان تجنب الصدع في بناها الفكرية يعدم وجود الخلل وان كان عاملاً مهماً في تأشير القطيعة التي استحدثت بعد انتقال الرسول الاعظم الى الرفيق الاعلى.

أستطاع الطف بما استجمع أذن لهذه الحركة التصحيحية من اسباب الاستمرار كونها تتسجم مع نزوع الانسان للحرية والسعي الى تحقيق العدالة الاجتماعية وبناء الكرامة الانسانية في الاخاء وليس في الاستبداد والتسلط مع ما لجانب الحق من حصة وافرة فيها. وبهذا فان للطف مقامات لا تقل شأواً عن الثورات الاجتماعية العظيمة في اثارها الايجابية على المجتمع قاطبة دون الاقتصار على فئة او طائفة. يرى بعض المفكرون المعاصرون أن الطف أذن لمن تلك الحركات التي خلقت وعيا تاريخياً متجدداً ازاء الازمات الكبيرة على

اختلاف الزمان. لهذا السبب ولأسباب أخرى لا تقل أهمية عن الدوافع الأولى لانطلاقة الطف تستند الحركات الاصلاحية في نظرتها اليها عبر التاريخ، فان الطف تجاوز التمرس المذهبي المتصلب في نظرتها الاقصائية ليتجاوب مع الواقع الحديث المتحرك بكل ابعاده المعقدة ليكون بعد ذلك مداد للانتصارات. هذا الوعي ببعده الانساني في المعركة لا يكاد يختلف في جوهره عن الظروف التي اوجدت ثورة الامام الحسين في الظروف التاريخية المعروفة.

فألطف لا يدور خارج حركة التاريخ كونه جزء لا يتجزأ من المسارات العظيمة التي الهمت الانسانية صوتا متفردا من خلال التضحيات ليكون مدادا رافدا في تحقيق الانتصار اللاحق في التاريخ. فلطف بعد تاريخي لا يمكن إغفاله وان بعد الزمان.

لماذا العودة الى التاريخ ؟

لعل سؤال مهما يتبادر للذهن ما جدوى الرجوع لتاريخ غابر في امة لم يكن التاريخ لديها محط اجماع ؟ علاوة على كون هذا التاريخ محط خلاف بين الامامية او من اصطلح على تسميتهم بالروافض⁴. وغيرهم والمنطق القراني يورد في اكثر من موضع بان تلك امة قد خلت لها ما كسبت وعليكم ما اكتسبتم. هل يربي القران الفرد على اتيان القطيعة بين احداث التاريخ وهو الذي يذكرنا بأخبار الامم الاولى وسنة الله فيها ؟ قد يبدو لمن يتبع النصوص تتبعا حرفيا تناقض صارخ، لكن الحقيقة غير ذلك اذا ما اعتمدنا السياق القراني الذي اورد الشواهد. نتساءل نحن بدورنا كيف لفكر الامة ان يتواصل في بناء الشخصية دون معرفة التاريخ اذا شكل هذا الاخير احد مصادر المعرفة ؟ صحيح ان التاريخ علماني والذاكرة مقدسة وإذا كان الاول لو افترضنا جدلا بأنه الضامن لحفظ الحدث من الضياع، فان الذاكرة تسقط وتضيف وهذا يفسر ايضا ولادة ذاكرة جمعية متحركة خارج اطر التاريخ الرسمي ووجودها ايضا احد اسباب استمرار لهوية ان لم تكن مغايرة تماما فأنها تسجل اختلافا وان عانت اغترابا حتى بين ظهرائي الامة الواحدة في الامتداد الجغرافي، وهذا ما حدث فعلا في الملابس والظروف التاريخية التي سبقت خروج الامام الحسين لطلب الاصلاح في امة جده رسول الله.

لا بد لنا من ايضاح يحتوي ضمنا وجزئيا الاجابة على السؤال انف الذكر، أن مثل الامة الاسلامية يسير سيرة الامم الأخرى في التعاطي مع احداث التاريخ، لأنه ليس من شيء إلا وله علاقة بهذا التاريخ، وما تملكه الامة من عقائد وثقافات ووعي وهوية وحتى انحرافات، جميعها حاضرة في هذا التاريخ، حيث ما من امة إلا وسجل تاريخها انحرافا او تصدعا في صميم صيرورتها. هكذا اذن كلها جاءت من التاريخ وبالتاريخ يستمر الحاضر. فحري بنا نحن امة العرب التي جاءت احداثنا في سجلها عن طريق الروايات ان نضع الرواية موضع التساؤل وفق السياقات التي جاءت فيها، اذ لا يخفى على احد الدور الذي تلعبه السلطة

الحاكمة في ايجاد بعض الروايات التي تصب في مصلحة توجيه الحدث التاريخي صوب وجهتها، مع كل هذا الجهد في توجه كهذا لا يلغي وجود تاريخ مغاير تحرر من القمع السلطوي ليحفظ ذاكرة تكتسب درجة عالية في قدسية الحفاظ على الحقيقة من الضياع والتشويه. وكما جرت العادة على التاريخ الرسمي ان يسعى للحفاظ على ذاكرة موحدة تسهم في خلق نوعا من الوعي التاريخي الزائف الذي يشكل فيما بعد قطعة مع الحركات التصحيحية او قل الثورية ويتهمها بالمروق على السلطة الرسمية. الحقيقة ان الكثير من هذه الروايات تنقل مرارا وبطريقة ربما توحى بالاشك اكثر مما تزرع اليقين كهذه التي تشير الى « أنه ستكون هنات وهنات، من اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائن من كان ⁵ » ونحن نقول حتى لو اجتمعت الامة ظلما على يزيد فما هو دور الحسين حينما خرج من مكة طلبا للإصلاح في امة جده رسول الله وهو يناهز: « أني لم اخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي رسول الله (ص) أريد ان امر بالمعروف وانهي عن المنكر ⁶. »

من هذا المنطلق كيف لنا ان نتعامل مع حقيقة ثورة الحسين في الطف بعد هذه القرون الطويلة التي تفصلنا تاريخيا من الحدث ؟

ان ميزة الطف الاساسية تكمن في حقيقة ساطعة: ان تاريخيتها لا تعدم تمثالاتها الحاضرة ولا يمكن على الاطلاق اعتبارها برنامجا ماضويا صرفا فقد مشروعية استمراريته. أسباب كثيرة تدفعنا للاعتقاد بان حركة الحسين اتصفت بثورية غير مارقة على الدين مما جعلها تتمتع بهذا الارث القار في النفوس الى الان. ان لها اثر دنيوي كبير في تحفيز و شحن وعي حقيقي يستند الى ايمان غيبي في صميم العوامل التي اوجدتها، من جهة كون زعيمها له من القرابة من شخص النبي ما يضمن له التأثير وكذلك فان النزعة الاخروية لاتعدم الإصلاح الدنيوي الذي يعد معبرا للأخرة والفوز بالرضوان الذي هو غاية المؤمن. وبالمحصلة فان ثورة الطف اخذت الحوادث بمسبباتها وقد استكملت شخصية الحسين بما استجمعت من الصفات الدينية والدنيوية صوت الدين الحق في ابهى صورته بعد ان استفحل الاستبداد انذاك لدى السلطة الاموية بدنس السلطة غير العادلة. فانبرى الحسين لتحمل المسؤولية الاخلاقية ازاء مطالب الامة والاستجابة لها وفق المنطق و الاسباب المادية لقيام الثورة مع علم الحسين بالتسديد الالهي لهذه الثورة التي لم تغفل اطلاقا البعد الجماهيري الذي هو وقود الثورات وقوامها المادي كما يستدل على ذلك بالمراسلات من اهل الكوفة التي تؤشر الى الخطر الذي تتعرض له الامة الاسلامية انذاك: «اذن فهذه الكتب كانت تمثل بعدا جماهيريا وان أهل الكوفة كانوا يحسون بالألام وكانوا يشعرون بالظلم و الذل، ويرون أن الحسين عليه السلام هو الامل في انقاذهم من هذا الوضع المأساوي المشين والفساد العام، ولذلك كتبوا واخذوا يلحون على الحسين، وأكدوا ذلك ببيعتهم لمسلم ابن عقيل ⁷. »

ومن هذا المنطلق، تصبح العودة الى التاريخ ضرورة ملحة ليس فقط» لتخليد ما حدث⁸» وإنما كما يشير البعض الى ادراك غاية هذا التاريخ والتي يرى فيها البعض « تجلي المبدأ الفكري الروحي على صعيد التاريخ بقوة فهو مبدأ الانسان الذي صنعه الخالق الكلي المعرفة والطيبة، هذا هو معنى التاريخ، وهو مسار انحسار ونقصان ومسار اكتمال وإتقان كما يقول روسو بصدد التاريخ الذي تنطوي عليه طبيعة الانسان على صورة مشروع رباني يتحقق فيه الكثير من الالزام، كما يتحقق الفعل الالهي الكوني الشامل⁹»، وهكذا جسد الحسين هذا النموذج الرائد في ضمير الامة الحي والقادر على تمثلات هذا المشروع من انجاز ما سعى اليه في انتاج دين ودولة يتلاءمان مع ما اراد الله لخليفة الارض في انجاز مشروع العدالة التي تتماشى مع الخلافة التي اوكل الله تحقيقها لبني الانسان.

بعد الذي تقدم نتساءل بدورنا، كيف لا ينطوي الطف على كل هذه المعاني السامية في انجاز مشروع الامة التي اوكل الله لها هداية البشرية وإتمام الدين بالرسالة المحمدية في اقامة دولة العدل وهل يوجد من هو احق من الحسين بالزام نفسه بالسير وفق مقتضيات الرسالة التي غايتها بناء الانسان في حرية الايمان والمعتقد وتحصينه من الاستبداد والطغيان والكبر الذي يسلب حقوق الغير واستعبادهم. وهذا الحال، لا يمكن ان تقرأ الطف كحالة سكونية منقطعة عن الوعي التاريخي للامة كما يريد لها الفكر السلفي ذلك. وإذا ما حاولنا ان نقرأ ثورة الحسين وفق الاحداث التي عرفناها في العراق عندما تلاحم طرفي المعادلة بين ماض ذو تأثير مشع وحاضر حفزته الوقائع بصفتها التاريخية الواقعية لكنها في ذات الوقت تجاوزت هذه الحدود لتدخل وعي الامة من خلال الميثولوجيا التي لا تتقاطع مع الحقيقة التاريخية في قضية كربلاء، لتضفي على تطبيقها في الواقع ابعادا وجدانية تجعل من الحسين التاريخي حسيناً اسطورياً. لهذا المخيال، حقيقة منافع جمة استطاعت ان توجد نوعاً من التكامل في التقاء المصالح بين الديني الغيبي المقدس والحاجة الاجتماعية للتغيير من خلال النهضة الحسينية التي استطاعت ان تنظم بين فصائلها من ينشد الحق لذاته ويقارع الانحراف والاستبداد. وخير شاهد على هذا الاستثمار الانساني للطاقة الكامنة في نهضة الحسين هو الالتفاف حول فتوى المرجعية للدفاع من العرض والوطن والاخوة و الانسانية ضد ظلامية السلفية التي جعلت من الدين سلاحاً مهلكاً، بل واشد قسوة وفتكا بالإسلام من اعدائه الخارجيين حينما سدت كل منافذ العقل والتروي وهي تحتكم وتحكم لغة التشريد والسبي بكل من لا يرضخ لهم بالقول ولم يشاركهم فعلاً. وليس ادل من ذلك على الحالات الكثيرة التي تعرض لها من ابناء الطوائف الاسلامية وكذلك من معتنقي الديانات الاخرى. وبهذا يلتقي البعد الواقعي الحقيقي لثورة الحسين بنقاط جذب اخرى اكثر اتساعاً وشمولية فيما وراء المذهب وعلى مستوى الحياة برمتها. وتعد هذه الاخيرة احد تجليات الطف في التحامها الذي جعل من المعركة متجاوزة لبعدها المذهبي و الطائفي والمناطقي والزمني ايضاً ولا اقص

بأنها تدور خارج التاريخ. لان المعرفة الواقعية لواقعة الطف تكمن في بعدها التاريخي وانجلاء الحدث في حقائق جعلت من الطف مدادا لانتصارات اوقفت التمدد المنحرف لداعش، بل استطاعت ان توقف هذا التدهور والانحراف القادم من عمق التاريخ العربي الذي يرى في يزيد الحاكم العادل الحكيم حينما يقول ابن العربي في بعض القضايا الاساسية في بنية الامة ومحط الخلاف عند الاحداث: « فخذوا لأنفسكم بالاحزم والأصح، او اسكتوا عن الكل، والله يتولى توفيقكم وحفظكم¹⁰. » قد يلّمح أي باحث عن الحقيقة في هذا البعد السلفي تبرير للحاكم الظالم وكذلك تهيئة مناخ يقر التهادن ولا يشجع على التصحيح انطلاقاً من رؤية فقهية ومنهج حياتي في الامور السياسية للبلاد من خلال تأصيل من أن « ولاية المفضل نافذة وان كان هنالك من هو افضل منه اذا عقدت له¹¹. »

الحقيقة ان هذه الرؤية تؤسس الخضوع لمبدأ القوة وبالتالي تكتسب الحكومة الفاسدة من جراء سياسة الترهيب والترغيب شرعية البقاء واكتساب البيعة التي رفضها الحسين حينما صرح علانية ان مثل الحسين لا يبيع مثل يزيد لما اشتهر عن الثاني عدم العدل وانتفاء الاستحقاق في قيادة الامة. وبهذا فقد اسهم الخروج الحسيني اسهاماً مباشراً في إعادة صياغة الوعي من خلال الآثار الاجتماعية التي ترتبت عليه كما سنري.

الآثار الاجتماعية لثورة الحسين

أن أصالة أي حركة ثورية اصلاحية تتجلى ليس من خلال ادعاء قائدها النهوض والإصلاح العام والمنفعة العليا فقط، بل صدق نيتها وسداد نظرتها علاوة على وجود تلاحم لأثارها الايجابية بين ماضيها وقدرتها على استنهاض الجيل الجديد وتجاوز الاطر الزمنية وكذلك امكانيتها على خلق وعي الامة بالأزمات التي تلم بها وتمييزها بين القوى المتنازعة. ان حدوث هذه الآثار يعد بحد ذاته انتصاراً لها. ومن هذه الجدلية تنبثق اهمية حركة الطف في ضمير الامة، اذ لا بد للانتصار من وعي يتجاوز النظرة الانية المرتبطة بمصلحة ضيقة قد لا تدوم طويلاً ولا تخلف اثراً حميداً في تشكيل هوية الامة. وهذا ما يلمسه القاصي والداني وكل من يطلب المعرفة بحقيقة تاريخية واقعة الطف التي استطاعت ان تتجاوز الاطر العقلية في ذلك الزمان لتلتقي بالإنسانية في افق واسع في تكوين أنموذجاً يحتذى به في صحوة الفكر وعدم الركون للظالم، وهكذا كانت ومازالت نبراساً لكل قوى الخير، ودليل على عطاها بصرف النظر عن مقتل الحسين، فانه « حقق اهدافه المعنوية وأدرك غاياته العرفانية، وفي المقابل فإن ال أبي سفيان لم يحققوا ايا من اهدافهم، بأي شكل من الاشكال¹². »

اذن كيف ينظر الراصد المتفحص في بناء وعي مغاير للرؤية التقليدية التي ترى ان الحسين قد قتل بسيف جده رسول الله؟ هل لنا ان نتحرر من القراءات التحريفية التي ما زال البعض يسير على خطواتها التي انتجت اقبية

السلطين ونبذ القشور التي تغلف الاحداث التي اقلقت السبات الاجتماعي للأمة؟ هل لمثل هذه القراءات التحليلية التي غايتها الصدق التاريخي بعد هذه المسافة في رؤية علمية موضوعية خالية من التبجيل وفق ذاكرات تعددية دون ترجيح أو غلبة ذاكرة على أخرى سوى الاحتكام الى منطق العدل والصواب وقراءة الآثار الاجتماعية التي لا يمكن تجاهلها؟ اما ان الاوان ان نخرج من غلبة السياسة على التاريخ ونحوه من يؤس الى شاهد حقيقي على مسير البناء للعقلية المسلمة التي ما زالت ترزح تحت تأثير السياسة المنحرفة التي تغدق بالعطاء وتلوح بالخيزران؟ ويستطيع أي باحث من الرجوع الى امهات كتب التواريخ لمعرفة ما الت اليه الاحداث في هذا السياق حين سأل الحسين عن موقف الناس أزاء خروجه من مكة، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي، وهو احد النفر الاربعة الذين اقدموا بين يديه: «اما اشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائزهم، يستمال ودهم، ويستخلص به لصيحتهم، فهم ألب واحد عليك، وأما سائر الناس بعد، فان افندتهم تهوي اليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك¹³.» لكن يوجد في الجانب الاخر من هو اشد صلابة وأقوم اخلاصا لحركة الحسين كما يورد نفس المصدر قصة قيس بن مسهر الصيداوي، حيث قالوا بصدده: «نعم اخذه الحصين بن تميم فبعث به الى زياد، فأمره بن زياد ان يلعنك ويلعن اباك فصلى عليك وعلى ابيك، ولعن ابن زياد وأباه ودعا الى نصرتك، واخبرهم بقدمك فأمر به ابن زياد فالقي من طمار القصر¹⁴.» هذه هي الحال التي سادت البلاد بعد موت معاوية، فما كان للحسين ان يستكين والعباد تستنجد به لنصرة الدين والخروج من مفاصد السلطة. لكي لا نسعى لتغليب العاطفة على النظرة العقلانية ولتجنب النبرة الخطابية نلجئ الى عين المراقب الدقيق لتفحص الآثار المترتبة على واقعة الطف التي صاغت توجهات الكثير من الحركات التي رأت فيها ممثلا حقيقي للمصلحة العليا للأمة في مواطن عديدة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر.

1. إفهام الناس عمق السياسة المحقة في قيادة العباد وان لم تحقق نصرا عاجلا.
2. التسامي على القمع وتحقيق عدالة اجتماعية ترسي دعائم الحق والمساواة بين الخلق على اساس الاخوة في الدين او التناظر في الخلق دون الخضوع الى منطق القوة حينما رفع شعار (هيهات منا الذلة) الذي اصبح مثالا يحتذى به.
3. مناهضة الشذوذ الفقهي والعائذي الذي يفتي دون تقوى الله ويمنح ما لم يكن عليه قيما، لهذا استمر الامام في توسيع رقعة الثورة حتى بعد استشهاده فاكتملت الحركة بعدها الانساني والكوني في ايقاظ العقول من مغبة الغفلة وقد شهدت العصور المتأخرة على تفهم انتفاضة الحسين.
4. وهذا دليل على ما قلنا بان الحسين انار مشاعل الفكر وأيقظ الضمائر للبحث عن الحقيقة وقد أمن الكثير بعدالة قضية وانظم الى لواء المناصرين لها بعد طول سنين. ويعد هذا الامر منا اعلم الآثار الاجتماعية الايجابية لحركة سيد

الشهداء الذي لم تستطع الماكنة الاعلامية لبني امية من تزويب اثارها وإخماد صوتها في الكشف عن المستور للسلطة الاموية وممارساتها الشاذة.

تعد هذه الاثار من اهم العوامل التي تسهم اسهاما فعالا الى زمننا الراهن في مواصلة النصر وتهيئة ارضية خصبة للمحافظة على الاثر الاجتماعي البليغ للعقيدة الصحيحة من خلال الالتحام التاريخي في امتداده الثوري. كونت هذه الابعاد مجتمعة في ملحمة الطف منهاجا حقيقيا ارسى جملة من القواعد السلوكية في المعارك الاخيرة التي حسمت في العراق لصالح صوت الحق والحرية على قوى الانحراف و الظلام والقراءات المجتزأة للنص القرآني او الرواية المبتورة والمزيفة التي توهم السذج من الرعية والمفتقدين للحس النقدي بالتمسك الظاهري بالحجة غير الناهضة كما مر معنا خلال البحث.

كما وأظهرت انحرافات تلك العقلية السلفية المبنية على الاقصاء والتكفير كما و اكدت للعالم اجمع بان الحسين حي في ضمير الامة التي خرجت من صومعة القول الى فعل يأبى الزمان طالما يكون استمرارية لذات النهج المحمدي الاصيل. وربما يقودنا هذا الامر الى رؤية تحليلية للحدث

قراءة تحليلية للطف

تسند القراءة التحليلية لحركة الحسين دورا غيبيا لا يمكن ابعاده عن مجمل الاحداث التي لا سبيل لإدراك كنهها بالوسائل العقلية او الاحتكام الى المنطق الوضعي في فهم ابعاده، بل تتمركز العقيدة الشيعية في الكثير من اركانها على قضية الامامة التي تعد امرا ربانيا ومرتبطة لا ينالها ايا كان من الافراد وان بلغ صلاحه درجة عالية. وهذا يعني ان في الامر لغيب يعصى على الفهم وتكليف لا يعرف سره إلا الله وحده. مع ذلك يرى الكثير من مفكري الامامية بأنه لا بد من الاخذ ايضا بالأسباب الطبيعية التي دعت الامام للخروج على الة الحكم الاموي الذي عرف بعدم السداد وحول البلاد الى ملك عضوض. لهذا فأنا لا نرى قطيعة في احداث التاريخ الكبرى التي صدعت ضمير الامة وقوضت سكونيتها كحركة الطف التي اسست لنهضة الفكر ومناهضة الظلم وزرعت اللحظة التاريخية لروح الثورة بعد أن استتبتت الاسباب في امتلاك العباد ومصادرة الاصوات النافرة حسب ما ترى السلطة الاموية، لان أي معارضة للبيت الاموي لا تعامل إلا بالقمع والاضطهاد، بل وعمدت الى اقصاء وتشريد وتقتيل اصحاب الفضل في الاسلام.

لكن الذي يثير تساؤلات كثيرة هو كيف استطاع الطف ان يؤسس اللحظة التاريخية للانتصار و يبقى في الذاكرة الجمعية التاريخية، بل وحتى الاسطورية في وعي الانسانية او قل في جزء من هذه الامة التي شكلتها على مر التاريخ شيعية (ال البيت) ؟ والى أي مدى حقق هذا التواصل من المنظور العقائدي والتاريخي لتضحيات الطف واستمراريته في تحقيق نصر ومقارعة ظلم في

اعتبار الحركة الحسينية كخلفية تاريخية للانتصارات المتحققة في العراق على داعش كواقعة حقيقية خرجت من الاطر النظرية الى ارضية وصلابة الحدث التاريخي الذي نشهد عليه جميعا ؟

في واقع الحال وانطلاقا من الكثير من القضايا المصيرية وجدنا نوعا من التقارب المنهجي في تفصي الاسباب والإخطار المحدقة بالأمة سببا للانتفاض. فالذي جعل الحسين رافضا لظلم بني امية في الطف شكل لأتباع ال البيت نقطة انطلاق لتلتقي في وحدة الحدث التاريخي الخطير والذي ينذر بتهديد كيان الامة و الذي ان بقي، لا سمح الله، دون صد قد يتحول الى نقطة مفصلية في تاريخ تدهور ها. فقد دعت ديناميكية حركة الحسين وديمومتها الى تحفيز الروح الجمعي لدى اتباع ال محمد في استجماع الطاقات الكامنة والاستعداد للتضحيات في سبيل انتشال الامة من الجمود والخراب والتصلب بل والانحراف عن قيم الحق والعدالة والإنصاف والحرية التي تمثلت بالحركة الداعشية.

كان الرد على ظلامية داعش ناتجا من هذا التواصل الروحي والمعرفي المستند الى قابلية حركة الطف و المؤسسة تاريخيا على حيويتها ومشروعيتها في عدم القطيعة ما بين الماضي والحاضر. فقد وجدنا من خلال الاستقراء في عصرنا الحاضر خير دليل على تحقيق هذا التلاحم في المنهج الذي ينم عن استمرارية الطف تحت شعار (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء). تاريخيا فهو يشكل الى الان نموذج محطة الهام الكثيرين من اصحاب العقول النيرة والضمانر الحرة، فأتهم يجدون في حركة سيد الشهداء ذخرا اخلاقيا ومسؤولية عالية قد تتجاوز الاطر الدينية طالما سعت للتحرر من الظلم والاستبداد، وهنا تلتقي الضمانر الحرة مع اسباب نهضة الحسين وكما حدث هنا على هذه الارض الطاهرة ما اعاد الى الاذهان وقفة الحسين وهو يقارع الظلم والجور و الفساد ليؤسس مبدأ الموت من اجل الحرية وانتصار الدم على السيف. أذن هذا التلاحم الانساني هو احد منجزات حركة الامام الحسين على مستوى التاريخ المعاصر، يا ترى هل يجوز بعد الذي حصل بان الحسين ما كان عليه ليهرق دماء ابناءه وخلص أصحابه و اولاد عمومته المقربين منه ؟ لو افترضنا جدلا بان الحسين لم يرفض بيعة يزيد، هل يمكن للعصور اللاحقة ان تنتج وعيا وضميرا مغايرا لما تريده السلطة وهل حقق التاريخ الاسلامي هذا الكم الهائل من الحركات التصحيحية؟

الحقيقة اننا لا نرى أي قطيعة منهجية في توحيد الرؤية الدينية والرؤية الدنيوية حينما يصبان في نتيجة موحدة: زرع وعي مناهض لشتى الانحرافات في العقيدة السياسية التي اسست على دعم فقهي منحرف وخانع لسلطة مستبدة كالرؤية السلفية.

انهيار داعش في العراق هو استعادة للحسين في كربلاء

لا بد لنا من وقفة امام معطيات الواقع المتغير لمعرفة قوانين باتت معروفة من لدن الاوساط المراقبة للحدث التاريخي في جسامته. نحن في العراق اليوم ما زلنا في قلب المواجهته، مواجهة قد لا تقل شراسة ولا عنفا وان تباين الزمن واختلفت الاماكن. فإذا كانت كربلاء قد حققت عبر القرون مرحلة انتصار الدم على السيف في المواجهة المعروفة تاريخيا بين البيت العلوي وهو الممثل الشرعي لخلافة الامة ومغتصبو الحكم من الامويين. فالحسين هو الذي يمثل الامتداد الرسالي للديانة الكونية، لذا شكل رفضه للبيعة نقطة ثورية وإصلاحية على الفساد الذي استشرى حينها. إذ لا يمكن تجاهل الطف، هذه العلامة المضيئة في تاريخ الامة وان التزم الصمت بعض من لا يجراً على قول الحق المبين في سياق المواجهة بين الحسين والسلطة الاموية حينما رفض المهادنة رفضاً قاطعاً وان يعطي البيعة لرجل عرف عنه: « الفسق والفجور¹⁵. » حينذاك قال قوله المشهور عندما ارادوا اخذ البيعة منه سرا ان مثلي لا يبايع سرا. وبهذا ارسى قانوناً لعدم التسليم. كون هذه المواجهة فتحت باباً لعدم الركون للظالم وعدم الانصياع لإمرة والنزول عند رغائبه وبالتالي فقد اسس الامام اللحظة التاريخية للانتصار. فقد سجلت حركة الحسين وما زالت ليومنا هذا مرحلة تاريخية فاصلة في خروجها على الظلم و الاستبداد، وإشعار من يمتلك القوة والمال والسطوة بان هذه الادوات ليست لها الغلبة على الدوام. وهكذا اسس الطف تاريخ الجماعات المقهورة ازاء طغيان حكامها. فكانت ثورة الحسين بالطف هي صوت المقموعين في زرع ثقافة تنويرية غير مهادنة تهدف الى تحقيق الحرية في المعتقد والوصول بالإنسان الى التكامل على جميع المستويات وان حققت الثورة ابعادا اخرى في رمزياتها تجاوزت البعد الديني أو الطائفي الذي تعامل معه كما اسلفنا المخيال السوسيولوجي في ايماننا هذه على نحو ايجابي في تفسير البعد غير الديني في شخصية الحسين بالنسبة لمن هم على غير المعتقد الاسلامي. وقد جسدت حركة الحسين وأتباعه هذه المعاني مجتمعة في مواجهة تعد من اشرس المواجهات اذا ما قورنت بالحرب التقليدية. وان كانت معركة الطف التي شنّها الطرف المقابل قد خرجت عن قيم الفروسية في الحروب حيث تم ابادته حتى الطفل الرضيع وكان الحرب اريد لها القضاء على البيت العلوي برمته، لكن الامر لم ينتهي الحسين عن مواصلة المواجهة لنيل الدرجات العلى التي حبي بها. يرى بعض المفكرون في الامام الحسين مراجعة شاملة لكل من ارهف السمع لمأساة كربلاء حين يقول احدهم « ما ان خلصت من قراءة " مذبحه " كربلاء، بتفاصيلها المأساوية، حتى قامت كربلاء في نفسي وفكري ومن هنا بدأت نقطة الثورة، الثورة على كل مفاهيمي و مسلماتي الموروثة، ثورة الحسين داخل روعي و عقلي¹⁶. » وهذا دليل على ما قلنا بان الحسين انار مشاعل الفكر وأيقظ الضمائر للبحث عن الحقيقة وقد أمن الكثير بعدالة قضية وانظم الى لواء المناصرين لها بعد طول سنين.

لهذا خلقت حركة الحسين وعبا حيا وبعدا بين الفريقين لا يمكن لهما الالتقاء. أنطلق مجددا الفكر الظلامي الذي مثله الدواعش من تلك النظرة المنحرفة والعقيدة الفاسدة في حربها بالعراق بينما أراد لها ابناء الحسين الغياري تثبيتا لقوى الحق وممارسة للدفاع عن المقدسات والإنسانية. لهذا كان الاستعداد فائقا وقد تجاوز الحسابات التقليدية في ادارة المعارك فلولا الدروس التي استلها جمع من المؤمنين من طف الحسين حتى وان اختلفت صورة البطل أو الزعيم المسدد بالإرادة الالهية في حربنا ضد الدواعش لكانت البلاد عرضة لمغول جديد وانتكاسة ليس من بعدها انتكاسة. كان للطف حضور مثمر يذكرنا في مواجهة الدم بالسيف والنبيل بالسفالة والإيمان الحق باعوجاج العقائد الفاسدة. كل هذه العوامل ادت الى انهيار معقل داعش على ارض فيها للحسين اثر وحية خالدة، حيث ما زال شعار (كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء) هو شعار من هب لنصرة المبادئ الحقبة. وقد اشار الى ذلك انطوان بارا حينما قال صراحة « الم يعوا كيف تحولت هذه الملحمة العظيمة بتقادم العهد عليها، الى مسيرة وكيف صارت الشهادة التي أقدم عليها الحسين وال بيته وصحبه الاطهار، الى رمز للحق والعدل. وكيف صار الذبيح بأرض كربلاء، منارة لا تتطفئ لكل متطلع باحث عن الكرامة التي خص بها سبحانه وتعالى خلقه¹⁷ » في القرآن الكريم حينما اشار صراحة الى ذلك بأكثر من موقع قائلا: ولقد كرنا بني ادم. نعم ففي كل جيل هناك من يتبع سبيل الحسين وهناك من يمثل الظلم والاستبداد ويسير بغير هدى. فإذا حبس سبحانه وتعالى النصر مؤقتا عن الحسين وأصحابه فلحركته تأثيرات مستقبلية تجلت من خلال الامتداد التاريخي الذي مازال ملهما لجمع غير يسير من المؤمنين بالحرية الانسانية والعدل. وأتباع اهل البيت خير من جسد هذه المسيرة الحافلة بالفداء في تحملهم المسؤولية الاخلاقية بعيدا عن النظرة الطائفية او المذهبية. أي ان طف الحسين ورمزيته في وعي الناس جعل كل من سلم قلبه من فساد المعتقد وضيق النظرة الى الانضمام تحت لواء موجة هذا النداء والتعبئة اليه. يعد هذا الصنيع بحد ذات استعادة لحظة تاريخية من النادر ان تتكرر لولا عظمة الحدث المؤسس الاول في ضمير الامة المؤمنة بقيم الحق والحرية والكرامة الانسانية وصدق المعتقد الذي يتناغم مع رمزية الامام الحسين. فإذا احتشد الحشد، وتحقق النصر ببركة تاريخية الحسين، كل فرد يرى نفسه امتدادا لمعركة الطف دون تمييز لجنس او لون او معتقد وان نهضت الحركة على اساس ديني وعقائدي في طف ابي عبد الله، فالنصر الدنيوي ازدان باجر اخروي دون ان يقصي احدهما الاخر في المعارك ضد داعش. فالشعور بالانتماء لذات النهج حفز المقاتلين وشدد من ازهم في الالتقاء بأسباب الطف الاولى وكان كربلاء تعاد من جديد. وهكذا ازداد المقاتلون ايمانا بعدالة قضيتهم مادام الطرف الاخر لا يرى في الدين غير التكفير والقتل والتشريد والسبي الذي اوقعه بمن هو ليس على معتقدهم. لهذا السبب فان واقعة كربلاء حاضرة في وعي الاحرار من جميع الملل والنحل وهم يسيطرون

اروع الانتصارات على قوى الظلام لتنتصر كربلاء مجددا من خلال مبادئ الحق والعدل والكرامة الانسانية. وبالنتيجة فان تضحيات الطف تعد بحق مدادا للانتصارات مادامت تشكل قوة حقيقة وملهمة ورمزية وحقيقة تاريخية في ان واحد.

خلاصة البحث

كما اسلفنا خلال البحث ان أي مجتمع بحاجة الى مستوى عال من التماسك الاجتماعي والوعي اذا اراد ان يكون قادرا على تطوير النظم الاجتماعية التي تسعى الى اشباع النوازع الاساسية له. لهذا فان دوافع حركة الحسين تتناسب تماما مع تطوير وبناء ذلك التماسك الاجتماعي بصفتها ظاهرة قدامن بها جمع من المسلمين لا يستهان بعددهم إلا وهم المسلمين الشيعة ويمكننا ان نضيف لهم اعدادا من الطوائف الاخرى خاصة والبشرية عامة. لان تضحيات الطف ظاهرة تستحق وقفة تأملية ولا بد ان تلقى اهتماما متزايدا يتناسب مع الانجازات التي تحقها وتلك التي ما زالت على طريق التحقق خدمة للإنسانية بعيدا عن التخندق المذهبي الضيق.

الحقيقة ان حركة أستمدة قدرتها من أشرف وأنبأ مطالب شرعية في تاريخ الاسلام واندرجت تحت عناوين كبرى الحركات الاصلاحية تجاوزت محنة الفكر المجرد كون الحركة الحسينية استندت الى الفعل اليقيني الذي يبلور حوله جوهر الدين إلا وهو الاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال الايمان بالدين كطاقة روحية لها مردود ايجابي في حياة الامة.

فالسائرون على طريق تضحيات الطف ترجموا اهداف الحسين بلغة حديثة تتماشى مع النهج التحرري والفعل الثوري الذي لا يصادر الدنيا انطلاقا من مسلمات اخروية. وبفضل تضحيات الطف انخلق وعي بحركة التاريخ التي وجدت نفسها امام متغيرات كثيرة طرأت على الدين من خلال الممارسة السياسية وتأثيرها السلبي على الدين نفسه وحسر دوره في ممارسات وطقوس غير مجدية، بل وتكريس للحاكم الجائر من خلال اقضاء الدين عن التأثير المباشر في الحياة، كما هي النظرة الرسمية للدين في تجربة العقلية المسلمة التي تعاني من التصلب الذي يصل حد الجمود احيانا تحت مسميات القدسية التي لا يمكن التعرض لها بحجة تلك امة قد خلت.

بعد الذي تقدم نستطيع القول ان الانتصارات على داعش جسدت منطلقات الطف في تحقيق انجاز التحول الديني الكبير من المستوى التعبدي و الطقوسي الخالص الى مستوى وعي منفتح و متطور فاعل ومؤثر في المجتمع الذي ينشد الخلاص والحرية الفكرية من خلال ربط تضحيات الطف كمحرك وحافظ للهوية

في جدلها بعيدا عن النظرة السكونية الواقعة في منزلق الارهاب الفكري او العنف القسري الذي يمارس ضد الاخر المغاير.

أن تفحص واع لواقعة الطف لكل منصف في التاريخ يجد انها لم تكن اسقاطا لعالم طائفة منغلقة على ذاتها، بل هي طريق منفتح على الآخر وفق رفض للقمع السلطوي الذي يستمد شرعيته من التدين الظاهري. فأنا نستذكر كل كربلاء روحا وانتفاضة وثورة تستنطق التاريخ في كل وقفة من وقفات الامام حينما تمت المواجهة مع داعش وتحقق النصر في العراق على داعش بفضل هذا الامتداد الثوري. الم يشكل هذا الوعي الجديد الذي يبني على الوجدان ضربا من التحرر من التقليد الاعمى لسياسة متحجرة اسست ساحة صارت لها الغلبة على التاريخ وبالتالي فأنها اسست لبؤس التاريخ ؟

الحقيقة ان مراجعة الطف تاريخيا بعد كل ما تقدم يشكل مناسبة ناجعة لتخرجنا من بؤس التاريخ الى نور العقل الذي كون وعيا مغايرا. لذا توجب على كل منصف ان يرى في الثورة الحسينية استمرارا لمشروعها الاصلاحى بدءا من الاحساس بعمق المأساة الذي يهيئنا للثورة التي كونت المادة الاساسية للانتصار على داعش حينما خرجت الحرب من الطائفية الى وعي عميق بالحرية فأنصرت الارادة الخيرة في توحيد كلمة الحق والحرية.

مصادر البحث:

- بارا، انطوان، *الحسين في الفكر المسيحي*، منشورات فاروسي، قم، 2004.
- بن العربي المالكي، الامام القاضي ابي بكر، *العواصم من القواصم* في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، وثقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه مركز السنة للبحث العلمي، القاهرة، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة الدار السلفية لنشر العلم، ط/1-1405-6/1412.
- بن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل، *البدائية والنهاية*، مراجعة وتقديم وضبط النص أ. د. سهيل زكار، ج/7 تحقيق ط/1، 2005.
- الحسيني، ادريس، *لقد شيعني الحسين*، الانتقال الصعب في المذهب و المعتقد، منشورات دار الاعتصام للطباعة و النشر، 1415 هجرية.
- الحسيني، اية الله السيد محمد هادي، *قادتنا كيف نعرفهم*، ج.6، ص: 49، ط/1413، 2، تحقيق السيد محمد علي نقلا عن بحار الانوار ج / 44، طبعة حديثة دون تاريخ.
- الصدر، السيد محمد صادق، *أضواء على ثورة الامام الحسين*، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط/1، 1996.
- الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير، *تاريخ الطبري* ج/5، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط/1-1429-2008.
- المطهري، مرتضى، *الملحمة الحسينية*، ج/2، تعريب السيد محمد صادق الحسني، ط/2، مكتبة الفكر الجديد، 1992.
- دوشيه، ميشال، *تفاسم المعارف، الخطب التاريخي والخطب النياسي*، ت.حسين جواد قبسي، 2010.

الهوامش:

- 1 الإمام القاضي ابي بكر بن العربي المالكي، *العواصم من القواصم* في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ص، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، وثقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه مركز السنة للبحث العلمي، القاهرة، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة الدار السلفية لنشر العلم، ط/1-11405 ط/6-1412، ص: 243.
- 2 المصدر نفسه، ص: 244.
- 3 اية الله السيد محمد هادي الحسيني، قادتنا كيف نعرفهم، ج.6، ص: 49، ط/1413، 2 تحقيق السيد محمد علي نقلا عن بحار الانوار ج. 44، ص: 310 طبعة حديثة دون تاريخ.
- 4 للمزيد من المعلومات في هذا الشأن نشير الى كتاب *العواصم من القواصم* من ص 242 - 246 حيث يورد المحقق بعض الاراء ينكر على اتباع اهل البيت اقامة الماتم و تجديد الحزن على ابي عبد الله الحسين ويرى ان مصيبيته ليست اكبر من اغتيال عمر او مقتل عثمان واغتيال علي.
- 5 المصدر نفسه، ص: 245.
- 6 السيد محمد الصدر، *أضواء على ثورة الامام الحسين*، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط/1، 1996، ص: 59.
- 7 اية الله محمد باقر الحكيم، *ثورة الحسين*، مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت، ط/2 1425 هج. ص: 104
- 8 ميشال دوشيه، *تقاسم المعارف، الخطب التاريخي والخطب النياسي*، ت.حسين جواد قبسي، 2010، ص: 148.
- 9 المصدر السابق، ص. 148.
- 10 مصدر تم ذكره سابقا، *العواصم من القواصم*، ص: 233
- 11 المصدر نفسه، ص: 232
- 12 مرتضى المطهري، *الملاحمة الحسينية*، ج/2، تعريب السيد محمد صادق الحسني، ط/2 مكتبة الفكر الجديد، 1992، ص: 14.
- 13 ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الطبري* ج/5، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط/1 1429-2008، ص: 273.
- 14 المصدر نفسه، ص: 273-274.
- 15 عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن كثير، *البداية والنهاية*، مراجعة وتقديم وضبط النص أ. د. سهيل زكار، ج/7 تحقيق ط/1، 2005، ص: 61.
- 16 ادريس الحسيني، *لقد شيعني الحسين*، الانتقال الصعب في المذهب و المعتقد، منشورات دار الاعتصام للطباعة والنشر، 1415 هجرية، ص: 313.
- 17 انطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، منشورات فاروسي، قم، 2004، ص: 65.

أثر الثورة الحسينية فى تحويلات صور الخطاب الجهادى الحشد الشعبى أنموذجاً

د. صباح كاظم بحر العامرى

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

sabauhe@gmail.com

ملخص البحث

تتجلى ثورة الحسين بن علي عليهما السلام بجوانب عدة من الحياة السياسية والفكرية والأدبية بعد استشهاده في واقعة الطف، ومن تلك التجليات الكبيرة التحول الاجتماعي في التعاطي مع الثورة الحسينية التي اثرت في المجتمع على الصعد كافة، ومن جملة ذلك التأثير تحول لغة الخطاب الجهادي عند المسلمين بشكل يمثل مزوجاً فكرياً وأدبياً يضيف صورتين، أحدهما صورة المأساة التي حصلت للإمام الشهيد، والثانية صورة الشعور بالذنب في ادبيات الجهاد بعد واقعة الطف لتخاذه المجتمع عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، الأمر الذي أعطى للمجاهدين والثائرين على مختلف الفترات التي مرت بها الأمة الإسلامية بعد واقعة الطف المبرر الأكبر لخوض غمار المعارك ومحاولة التحرر من قبضة السلطات الظالمة في أوقاتها، وكان الخطاب الجهادي في التحريض بالخروج على الحاكم الجائر يمثل نوعاً أدبياً يجمع بين تلك الصور ويبرز القضية الحسينية على أنها النبراس الذي يخرج المجاهدين من أجل الاقتداء به، ويعوضون عن تقاعس الأمة في وقت استشهاد الحسين عليه السلام عن نصرة الإمام الشهيد، والبحث يبين بأسلوب التحليل اللغوي والاستعمالات الأدبية للنصوص الماثورة في الخطاب الجهادي التي تراكمت مع حركات التحرر على مختلف الفترات الزمنية وصولاً إلى لغة الخطاب الجهادي عند مقاتلي الحشد الشعبي مبيناً الصور التي اشتمل عليها في ادبيات الخطاب المكتوبة والمسموعة والمرئية التي رافقت أبناء الحشد الشعبي عند تصديهم لزمر داعش الإرهابية، وقد وقعت الدراسة على محاور عدة، الأول منها في تحليل الخطاب الجهادي عند المسلمين قبل الإمام الحسين عليه السلام ثم تحولات الصور الجهادية في زمن الإمام الحسين عليه السلام عند الإمام الحسين عليه السلام، ثم تحليل الخطاب الجهادي في ادبيات الحشد الشعبي، مبرزة الصور التي اعتمد عليها الخطاب الجهادي على مختلف العصور التي مرت بها الأمة الإسلامية ومصاديق ذلك على واقعنا المعاصر.

أثر الثورة الحسينية في تحولات صور الخطاب الجهادي الحشد الشعبي أنموذجاً

د. صباح كاظم بحر العامري

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

sabauhe@gmail.com

(الحسين "ع" مشروع استشهادي، حقق الحسينيين في واقعة الطف الأليمة)

تمهيد

يعرف مفهوم الخطاب اصطلاحاً بأنه مجموعة متناسقة ومترابطة من الجمل والأقوال، تحمل في سياقها معلومات ومعاني تهم المتلقي أو المرسل إليه، كما يُعرف أيضاً بأنه فعل كلامي يهدف إلى التأثير على المتلقي، وعملية الخطاب توجب وجود ثلاثة أركان رئيسية هي:

المؤلف: هو الذي يعد صياغة الخطاب بشكل منظم ومتربط، ولديه القدرة على التكلم والإبداع. المتلقي: هو الشخص أو الفئة التي يوجه إليها الخطاب، ولديها حاسة التوقع والانتظار أثناء توجيه الخطاب إليه. الرسالة: وهي المادة التي تصاغ بصورة أدبية، لتقديمها في الخطاب. وسيلة الإيصال: وهي وسيلة الوصل بين المرسل والمستقبل، أو بين المؤلف والمتلقي.

وبحثنا يدور حول صنف من أنواع الخطاب الإيصال، الذي يوظف أركان لخطاب في غاية محددة

الغرض منها إيصال فكرة معينة من المرسل إلى المستقبل، أو إلى فئة معينة من الناس، وله عدة أشكال؛ ومنها: الخطاب السياسي، والإرشادي، والتوعوي، والنهضوي، والتعبوي، والإعلامي، والرسمي، والنفسي.¹

وان كان الخطاب ينظر الى النصوص الأدبية للمرسل على انها مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة، او هو جملة من المنطوقات او التشكلات الادائية التي تنتظم في سلسلة معينة لتنتج على نحو تاريخي دلالة ما وتحقق اثرا معيناً فان كل خطاب لا يخلو من شروط هي الاستدلال والاحتجاج وسرد الأدلة والبراهين والحوادث² وبذلك يكون الخطاب واقعة لغوية³.

واختص البحث هنا بمجموعة الخطابات التي تحدد بقصدية الجهاد، وإذ نتطرق الى قضية الجهاد لابد أولاً من معرفة مصطلحه واركائه واصل تشريعه في الدين الإسلامي، فالجهاد وهو الطاقة وتحمل الجهد بالفتح، وهو المشقة في مقابلة العدو والقتال والمقاتلة كذلك⁴، وشروطه وفقاً للإمام ابن قدامة فإنه: "يشترط لوجوب الجهاد سبعة شروط: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والسلامة من الضرر ووجود النفقة. فأما الإسلام والبلوغ والعقل، فهي شروط لوجوب سائر

الفروع، ولأن الكافر غير مأمون في الجهاد، والمجنون لا يتأتى منه الجهاد، والصبي ضعيف البنية، وقد روى ابن عمر قال: "عرضت على رسول الله يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني في المقاتلة." وأما الحرية فتشترط لما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - "كان يبايع الحر على الإسلام والجهاد ويبايع العبد على الإسلام دون الجهاد"، ولأن الجهاد عبادة تتعلق بقطع مسافة، فلم تجب على العبد، كالحج وأما الذكورية فتشترط، لما روت عائشة رضي الله عنها قالت: "يا رسول الله هل على النساء جهاد قال: "جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة" ولأنها ليست من أهل القتال، لضعفها وخورها، ولذلك لا يسهم لها. ولا يجب على خنثى مشكل، لأنه لا يعلم كونه ذكراً، فلا يجب مع الشك في شروطه. أما الدليل على اشتراط إعداد العدة ووجود القوة والقدرة، قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، فلا يجب على المسلمين الثبات في مثل هذه الحالة التي يخشى عليهم فيها الهلاك، والدليل على اشتراط كون الجهاد تحت راية ولي الأمر وبإذنه: قوله تعالى: "إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه" وقول النبي: "إنما الإمام جنّة، يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه".⁵

والبحث اخذ من آليات التحليل الخطابى الوسيلة التي يظهر فيها الصور الجهادية التي تغيرت بتغير الغايات القصديّة منها بالنظر لما احتوته الخطابات الخاصة بكل مناسبة جهادية من قبل منتجي النص الخطابى واثّر ذلك على المتلقين باعتمادهم صوراً جهادية متطورة ومتغيرة عن الصور الجهادية التي اظهرها الخطاب القرآني

ولعلنا في تناول تحليل الخطاب الجهادي الذي ظهر في المعسكرات الإسلامية منذ نزول الوحي الى وقتنا الحاضر نتوقف في بيان خصائص تبدلات الصور الجهادية عند المسلمين واثّر خصوصية صورة الخطاب الجهادي عند الامام الحسين عليه السلام والتبدلات التي نشأت في صور الخطاب الجهادي بعد استشهاد الشريفة الى يومنا الحاضر.

ويدور بحثنا في هذا المطلب على متابعة الصورة الجهادية التي ظهرت عند المسلمين منذ نزول القرآن الكريم محلاً الخطاب القرآني والإسلامي الذي اثار على تشكل تلك الصورة باشكال وأنواع خاصة تميزت بها الأمة الإسلامية في وقتها عن أمم العالم القديم وكذلك كان تميزها في تبني الخطاب الجهادي الإسلامي بصور واشكال ميزته عن الصور التي افرزتها الأفكار الوضعية للأمم المعاصرة للدولة الإسلامية على مر العصور واخذ البحث من اقوال أصحاب الخطاب الجهادي من اطراف النزاع بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله مادة للتحليل الخطابى الذي لفت النظر الى تبدلات صور الخطاب الجهادي على مر العصور أخذاً من صورة الجهاد في الواقع الإسلامي المعاصر انموذجاً للدراسة

والتحليل مسلطاً الضوء على الصور الجهادية لآبناء الحشد الشعبي بعدها حالة جهادية لها ارتباطات عقديّة وفكرية بالصور الجهادية على مختلف أدوار حياة الأمة الإسلاميّة.

الخطاب الجهادي في زمن الرسول (ص)

كانت صورة الجهاد في زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله موجّهة المجتمع باتجاه صورة مناجزة المشركين بالمال والنفس فقد أتى واقع الجهاد بصورته الأساسيّة دافعاً للمسلمين في إقامة الدين الحنيف، واستجابة للنص القرآني يحض على الجهاد ويبشّر المجاهدين بالفوز بإحدى الحسنين، وقد نص على ذلك الخالق جلّ وعلا بقوله تعالى: "أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلُمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" الحج 39، وإن المتابع لخطب النبي محمد (ص) يجد أن الخطاب موجه إلى الأمة الإسلاميّة وهو خطاب ديني قائم على الحجة والتبليغ والاحتجاج والاستدلال، فضلاً عن التوجيه والإرشاد، وليست خطب النبي ص خطبا وعظية وإرشادية فقط بل تعدى ذلك ليشمل أركان الخطاب بجميعة، ومن ذلك: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، خطب الناس ذات يوم، فحمد الله، وهو أهله، وصلى على أنبيائه صلى الله عليهم، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أيها الناس، "إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لأخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار، إلا الجنة والنار" ⁶، والخطاب في هذا النص الشريف يحض على الأخذ من الدنيا ما يعين على مسيرة الآخرة، وعلى الرغم من غيبية أمور يوم القيامة أتى الخطاب مقنعا باعتماده على ثنائيات الحياة والموت وثنائية الكبر والشباب والبقاء والزوال وثنائية الثواب والعقاب وثنائية الخوف والرجاء وهكذا تحدث عن ثنائيات موجودة عندنا ومصاديقها المعنوية قد وظفها الخطاب المحمدي للحض على الاتزان في الحياة بكل شيء، شرط أن لا يغلب مطلب على مطلب آخر.

وعلى الرغم من وحدة الموضوع مع النص القرآني في تأكيد صور الجهاد التي يحض عليه صلى الله عليه وآله ويندب إليها إلا أن للخطاب الجهادي الذي وجدناه عند النبي محمد صلى الله عليه وآله بعض الخصوصية، من تصرفه صلى الله عليه وآله بألفاظ مخصوصة للجهاد تثير عند المخاطبين الحماسة القائمة على الوعي والدراية في قضية الخطاب الجهادي خاصة، وتأكيد ياتي من أهمية تنظيم فناء الذات لغاية واحدة هي سبيل الله في وجود الدين الإسلامي والذود عنه ضد المشركين والكافرين الذين يريدون اقتلاعه من جذوره في نشأته الأولى، ويظهر ذلك جليا في قوله صلى الله عليه وآله في حديث رواه أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ

الْجَنَّةُ فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ أَعِذَا عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مَنَّةً دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. رواه مُسْلِمٌ."

فقد اتى خطابه بألفاظ غريبة على ذهن العربي في ذلك الوقت منها كلمة الدرجات، وقد اوجدها النص القرآني لبيان الترفع والتفضيل بين الناس، فقد ذكرت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بصرف النظر عن كونها درجات دنيوية او اخروية ومن ذلك قوله تعالى: "، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير" المجادلة/11، ويأتي التأكيد على الخطاب الجهادي باجلى صورته في القرآن الكريم مقرونا بصورة الدرجة أيضا، قال تعالى: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا " النساء 95، وفسرها القرطبي بقوله: " فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وقد قال بعد هذا: درجات منه ومغفرة ورحمة فقال قوم: التفضيل بالدرجة ثم بالدرجات إنما هو مبالغة وبيان وتأکید. وقيل: فضل الله المجاهدين على القاعدین من أولي الضرر بدرجة واحدة، وفضل الله المجاهدين على القاعدین من غير عذر درجات؛ قال ابن جریج والسدي وغيرهما. وقيل: إن معنى درجة علو، أي أعلى ذكرهم ورفعهم بالثناء والمدح والتقريض. فهذا معنى درجة، و (درجات) يعني في الجنة. قال ابن محيريز: سبعین درجة بين كل درجتین حضر الفرس الجواد سبعین سنة. ودرجات بدل من أجر وتفسير له، ويجوز نضبه أيضا على تقدير الظرف؛ أي فضلهم بدرجات "7.

ان صورة الجهاد قد تحددت في زمن الرسالة بقتال من هم خارج الملة من المشركين لذلك تراقف فرض الخمس من الغنائم لأهل البيت مصداقا لقوله تعالى " وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) " وفسر ذلك بنحو قول ابن وكيع: " حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن الحسن بن صالح قال: سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية " : وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ " ، وهذه الآية: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ [سورة الحشر: 7]، قال قلت: ما "الفيء" ، وما "الغنيمة" ؟ قال: إذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم، وأخذوهم عنوةً، فما أخذوا من مال ظهر عليهم فهو "غنيمة" ، وأما الأرض فهو في سوادنا هذا "فيء"8

ويأتي التفضيل الأخرى للمجاهدين في حديث النبي الذي نقل عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ " ، فقالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: "

أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون (وفي رواية: فقراء المهاجرين) الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره، وإذا أمروا، سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان، لم تقض له، حتى يموت وهي في صدره، وإن الله - عز وجل - يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقتلوا في سبيلي، وأودوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب) (فيقول الله - عز وجل - لمن يشاء من ملائكته: انتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟، فيقول: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب: {سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار}9.

ان الصورة الجهادية في زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله وعلى وفق الخطاب الديني في نص الحديث الشريف ومصاديق ذلك في النصوص القرآنية تحدد الخطاب بصورة جهادية أحادية ومبسطة وغير معقدة وترتبط بمحور الجهاد مع المشركين وهو محور واضح وبيّن ولا يمكن لاحد ان يلتبس بامرّه او يعمل فيه الراي والذهن ليهندي الى الصواب، فالخطاب الديني في النص القرآني والحديث الشريف واضح وغير قابل للتأويل¹⁰، ولكن الصورة الجهادية عند المسلمين اخذت بالتطور بتطور المجتمع الإسلامي في زمن الرسالة ذاتها، فقد شهد مجتمع المدينة ظهور طائفة من المسلمين اظهروا الايمان وابطنوا الكفر، واصطلح عليهم بالمنافقين، وبسبب ظهور المنافقين تحولت الصورة الجهادية من مقاتلة المشركين فقط الى مقاتلة المشركين والمنافقين، وقد اكد هذا الامر النص القرآني المقدس، في قول الله تعالى: "يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير" التحريم⁹

وجاء في تفسيره ان: " المراد جاهد بالمؤمنين الكفار. وقال ابن عباس: أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ. وروي عن ابن مسعود أنه قال: جاهد المنافقين بيدك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فاكفهم في وجوههم. وقال الحسن: جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم وباللسان - واختار قتادة - وكانوا أكثر من يصيب الحدود. ابن العربي: أما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة وأما بالحدود لأن أكثر إصابة الحدود كانت عندهم فدعوى لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كما نلا بما تتلبس به الجوارح ظاهرا وأخبار المحدودين يشهد سياقها أنهم لم يكونوا منافقين"¹¹.

فالمنافقون هم من امة النبي لكنهم في الدرك الأسفل من النار وقد أتت صورة الجهاد ضد المنافقين بهدف اصلاح الامة فالمنافق كافر مبطن هدفه

تخريب المجتمع وفساد الدين وانحرافه الى غير ما وضع لأجله فهم الخطر الأكبر الذي يهدد الامة والفارق الوحيد بين المشرك والمنافق ان المشرك ظاهر العداوة والمنافق يضمّر العداوة وهو اشدّ خطراً على الدين من المشرك ولم تختلف صورة الجهاد ضد المنافقين عن الصورة الأولى التي ترسخت في اذهان المسلمين بالقران والسنة فالهدف من الجهادين واحد وهو طلب الحق في امة محمد "صلى الله عليه واله وسلم" وطلب الإصلاح في هذه الامة وهنا شرع جهاد المسلم ضد المسلم، ولو باللسان كما ذهب اليه اكثر المفسرين، وهو بلا شك من اهم تطورات صور الجهاد في نهاية حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله فهي صورة جهاد سلمي يقوم على العرض والاقناع للمخالفين في الراي وغير كاملي القناعة بالدين الإسلامي ويسبب شهادتهم الشهادتين لايحوز مناجزتهم او قتلهم على الرغم من عظيم خطرهم على المسلمين: "وسياق الآية لا يخلو من تأييد ما لما تقدم من كون المراد بالذين كفروا قوما من المنافقين دون المشركين المعاندين للدين النافقين لأصل المعاد فإن ظاهر قوله: "خيرا منهم" لا يخلو من دلالة أو إشعار بأن فيهم شائبة خيرية والله أن يبذل خيرا منهم، والمشركون لا خير فيهم لكن هذه الطائفة من المنافقين لا يخلو تحفظهم على ظواهر الدين مما آمنوا به ولم يردوه من خير للإسلام"¹².

ان الخطاب الديني الذي افرزه النص القرآني، والنص من السنة باقوال النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله قد رسخ صورة جهادية واضحة المعالم وغير قابلة للشك، فان كان جهاد المشركين بالسيف فان جهاد المسلمين المنافقين بالكلمة والغلظة والزجر وهو يحد ذاته خطاب يؤدي الى نتيجة واحدة هي عدم القبول بالمنكر او التسليم له تحت أي ظرف وفي أي زمن.

صور الجهاد بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله

افرزت مرحلة ما بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله تصدعا واضحا في المجتمع الإسلامي، واتى ذلك من مخالفة النبي محمد صلى الله عليه وآله من قبل بعض الصحابة وتواطؤهم في عدم ولاية علي ابن ابي طالب من بعده على الرغم من النص على الخلافة والولاية في الامة، وقد القى ذلك بظلاله على الحياة السياسية والفكرية في آن واحد، ومن جهة أخرى بدأت ردة واضحة عند بعض العرب حديثي العهد بالدين الإسلامي، وعلى الرغم من ان بعض الاقوام التي خرجت عن طاعة الامام المنتخب بالشورى في سقيفة بني ساعدة بمبرر واضح هو عدم رضاهم بامامته الا انهم لم يشقوا العصا وفضلوا السكوت عن قضية المطالبة بالحكم شانهم شان من شايعوهم وهم الامام علي وابنائهم من الائمة، ومن هنا وقف الخليفة المنتخب موقفا صارما بشأن الزكاة، فلم يرد هؤلاء الناس إعطائها الا لإمامهم المعين بالنص، وكانت حروب الردة التي قاد عدد كبير منها خالد بن الوليد بامر من أبو بكر تعمل ضمن صورة جهادية واحدة هي طاعة الله واولي الامر وعدم شق عصا الطاعة وهي امتداد للصورة الجهادية التي وجدت

عند المقاتلين في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله، فالخطاب الذي وجهه أبو بكر عند تولّيه الخلافة بقوله: "أما بعد أيها الناس فإنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم." 13

يؤكد على عدم مخالفة سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وشرط على الناس طاعته ما اطاع الله ورسوله هو المبدأ الذي سار عليه وكان خطابه قصدياً أراد به السيطرة على حكومة الناس وتحقيق شرعية الحاكمية على الشعب بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله التي تقف بالمقابل من حاكمية الامامة بالنص، مبرراً صلاحية حكومته بشرط طاعته ما دام مطيعاً لله عاملاً بأحكام القرآن وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله 14، لذا كانت الثنائيات في الالتزام والموقف بين القوة والضعف والخير والشر هي عينها الثنائيات التي وجدناها في تحليل خطاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وهي قريبة الشبه من ثنائيات الخير والشر والحق والباطل التي ظهرت مرة محاجة عند الخلفاء من بعد ومرة أخرى جاءت بتتابع دلالي يفيد توجيه المخاطب الى أمور دينية ودينية في آن واحد لكنها جميعاً واقعة تحت عنوان الخطاب الديني.

وهو ما يمكن تلمسه أيضاً من خطاب عمر بن الخطاب عند تولّيه الخلافة بعد وفاة أبي بكر، فقال: "بلغني أن الناس خافوا شدتي وهابوا غلظتي، وقالوا: لقد اشتد عمر ورسول الله بين أظهرنا، واشتد علينا و أبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه، ألا فاعلموا أيها الناس أن هذه الشدة قد أضعفت -أي: تضاعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، أما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين إليهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يعتدي عليه، حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على خده الآخر؛ حتى يذعن للحق، وإنّي بعد شدتي تلك لأضع خدي أنا على الأرض لأهل الكفاف وأهل العفاف. أيها الناس! إن لكم عليّ خصالاً أذكرها لكم، فخذوني بها، لكم عليّ أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم وما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إن وقع في يدي أن لا يخرج إلا بحقه، ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، ولكم عليّ ألا ألقبكم في التهلكة، ولكم عليّ أن أسد ثغوركم إن شاء الله تعالى، ولكم عليّ إن غبتم في البعوث -أي: المعارك- فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضار النصيحة فيما ولاني الله من أموركم." 15

وتضمنت خطبته الاتجاهات العريضة لنوع الحكومة التي أراد ان يحكم بها الناس، وهو أطول الخلفاء الأربعة حكما في مدته وتبرز في خطبته ثنائيات أيضا هي محط استدلال والقاء الحجة له وعليه، فالشدة والغلظة عنده على الظالم والبأغي، واللين والسهولة عنده مع المظلوم ثم يختم بثنائية أخرى فيما له على الناس وما عليه، فله الطاعة من الناس وعلى الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو اعتراف ضمني بحرية الراي والفكر والنقد لحكومته، وإذا كانت شدة عمر مستندة الى خطاب ديني توعوي وسياسي فان خطبة عثمان قد مالت الى اللين والتذكير بالأخرة، فقال في اول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة¹⁶: "إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا أجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أنيتم صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم.

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ألم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الأخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا، بالذي هو خير، فقال تعالى: { وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } [الكهف: 45-46].

فالخليفة الثالث يتحدث عن ثنائيات أيضا مثلت الخطوط العريضة للحكومة من جانب ولثنائية الموت والحياة من جانب آخر، وهي صورة ملهمة لشكل الصورة الجهادية التي اصفت في زمنه طابعا احادي الجانب يعبر عن خط سير الخلفاء الثلاثة في الحياة السياسية والفكر الجهادي عند المشتغلين بالجيش والشرطة في زمنهم ولكن هذه الصورة المبسطة لم تكن تلائم مرحلة الفتنة التي شهدتها الحياة الإسلامية في زمن عثمان بن عفان، حتى صرح بعض الجالسين بقوله (الآن بدأ الشر)¹⁷.

ان صورة الجهاد في زمن الخلفاء الثلاثة كانت موجهة نحو اتجاه واحد هو طاعة الله ورسوله واولي الامر، وهو المبدأ الذي فرض على المسلمين قبوله وسلم به الناس بعد ان سكت الامام علي عليه السلام عن المطالبة بالولاية عملا بوصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وكان سكوته مبررا، فالمرحلة شهدت صراعات على وجود الدين أصلا ولم تكن تحتل البتة صراعا داخليا على من يخلف النبي محمد صلى الله عليه وآله، فكانت صور الجهاد غير معقدة وذات بعد ديني قائم على الامتثال لامر الله ورسوله وسلطة الخليفة الذي وضع على نفسه شرط الطاعة ما اطاع الله ورسوله وكانت تبرز فيها ثنائية الحياة الفانية والموت المبرر بالشهادة على الحق ومؤازرة الجيوش الإسلامية المرابطة في ثغور الدولة الإسلامية في ذلك الوقت.

صورة الجهاد في زمن الإمام علي "عليه السلام"

تجلت الصورة الجهادية في زمن الامام علي عليه السلام في قضايا كثيرة جدا مثلت تراكمات اجتماعية و اقتصادية وسياسية وعقائدية اذ تطورت عن الصور الجهادية في نهاية زمن الرسالة وذلك بسبب قضية الولاية والخلافة التي مثلت انعطافة كبيرة جدا في المجتمع الإسلامي على الصعد كافة اذ شهدت الأمة اضطرابا عقائديا وسياسيا افرزته مرحلة ما بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد ظهر ذلك جليا عند مجاميع الناس حديثو العهد في الدين الإسلامي ففي أيام الفتوحات التي سجلها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب دخلت الدين الإسلامي اقوام عديدة منها عربية ومنها اعجمية ليجدوا في الدين الإسلامي أفكارا عن الجهاد وصوره التي انمازت بانها احادية الجانب وهي الصورة التي عبر عنها القران الكريم من قتال المشركين بالفوز اما بالجنة او النصر وهو احدي الحسين، وقاتل الكافرين والمشركين والخارجين عن سلطة الامام بعدهم خارجين عن الملة.

لقد ظهرت في الفكر الجهادي عند المسلمين خصوصا بعد مقتل عثمان بن عفان صورا جهادية عند المقاتلين المسلمين تنطلق من ضرورة مقاتلة الخارجين عن طاعة الامام، فبرزت صور جهادية معقدة بسبب توجيه الجهاد نحو فئات من المسلمين فتحول القتال والجهاد من جهاد المخالفين في العقيدة من المشركين والكافرين الى المخالفين في الراي من المسلمين فتحول القتال والجهاد الى جهاد مسلم لمسلم آخر، وهي صورة افرزتها وصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام الى الامام علي عليه السلام عند توليه السلطة، فقد ذكر أصحاب الحديث عن الأصبغ بن نباتة، عن أبي أيوب الأنصاري (ر) قال: سمعت النبي (ص) يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات، قال أبو أيوب: قلت يا رسول الله مع من تقاتل هؤلاء الأقسام، قال: مع علي بن أبي طالب¹⁸.

وقال الحافظ أبي يعلى : حدثنا: إسماعيل بن موسى، ثنا: الربيع بن سهل، عن سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة، قال: سمعت عليا علي منبركم هذا يقول: عهد إلى النبي (ص): أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمراد بالناكثين يعني: (أهل الجمل)، وبالقاسطين: (أهل الشام)، وأما المارقون: (فالخوارج) لأنهم مرقوا من الدين.¹⁹

ولا شك ان المعسكر المناوئ لمعسكر الامام علي عليه السلام قد اخذ من فكرة الجهاد أيضا سبيلا لاقامة الحرب التي أطاحت بعشرات الآلاف من المسلمين في تلك الفترة، فقد اتهم الامام علي ع بدم عثمان، وبدأ التحريض على حكومته بعد مقتل عثمان وقد أتت صور الجهاد عند المعسكر المخالف مزدوجة الاتجاه، فهي من جهة تريد السير بسيرة الخلفاء الثلاثة وعدم التسليم بقضية الامامة، ومن جهة أخرى ظهرت بوادر حصول صورة أخرى عند المجاهدين في المعسكر المخالف يجتمع فيها الولاء الى شخصيات كانت ملاصقة للنبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم ولكن ليس من اهل بيته ليكونوا البديل التقليدي لفكرة فراغ الساحة من الاتجاه المضاد للمؤمنين بقضية الامامة بالنص فاختلفت صورة الجهاد في هذه المرحلة بمطالب دينية مرة وسياسية مرة أخرى ودينوية مرة ثالثة، وكان يقود ذلك محرك افتعال الفتن بين المسلمين بمساعدة آلة الاعلام في ذلك الوقت.

ان متابعة خطب الامام علي عليه السلام وتحليل ابرز ما فيها من الخطاب الجهادي يقودنا الى فهم تحولات صور الجهاد عند المسلمين في هذه الفترة الحرجة من حياة الامة، فقد قال في اشهر خطبه في الحظ على الجهاد واستنهاض الناس للقيام معه: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَدَأْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهُمْ، وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَيْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالرَّوَاكِحِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، اللَّهُ أَنْتُمْ أَنْتَوَفَعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ، أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَرَمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْيَارَ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لِأَيِّقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى.

مَا صَرَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكْتَ دِمَاؤَهُمْ — وَهُمْ بِصَفِينَ — أَلَا يَكُونُوا النَّيِّمَ أَحْيَاءَ؟ يُسَيِّغُونَ الْعُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ قَدْ — وَاللَّهِ — لَفُوا اللَّهَ فَوَقَاهُمْ أَجْرَهُمْ، وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ، أَيْنَ عَمَّارٌ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَأَيْنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأَبْرَدَ بَرُورِيسَهُمْ إِلَى الْفَجْرَةِ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطَالَ الْبِكَاءَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْهٍ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْبَبُوا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَقَفُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوا. ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادُ الْجِهَادُ عِبَادَ اللَّهِ أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرَجْ"²⁰.

ان المتمعن في لغة الخطاب في نص خطبة الامام علي عليه السلام يجد الثنائية ذاتها التي وجدناها في الخطاب الديني التوعوي الذي ظهر منذ أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله، و: "إن من أهم مقومات هذه الخطبة التسلسل والتنظيم، واختيار الأدلة والبراهين للتأثير على أذواق المخاطبين، والاقْتباس من القرآن الكريم (التناص القرآني)، واستخدام المقابلة والتمثيل والنداء والتشبيه؛ وهذه هي الأساليب التي تنبّه الحس الجمالي والمتعة في النفوس وتستعطف المتلقي وتستحوذ على مشاعره وأحاسيسه بطريقة محببة؛ ولم تكن تستقم هذه المقومات إلا مع براءة لسان المبدع (الإمام علي)، وسداد الرأي والفصاحة والبلاغة عنده حين الإدلاء بدلوه للمتلقين. كذلك المهارة عنده في إثارة العواطف وتحريك النفوس حين بناء الخطبة على الاستنناس وشدة الانتباه وإثارة التشوق"²¹.

لكن الخطبة احتوت على ابعاد أخرى، هي مقدمات حزينة لآخوة الدين من أصحاب النبي الذين صدقوا العهد وماتوا على الحق وهو خطاب عاطفي موجه الى الناس وقد انماز هذا الخطاب بذكر استشهاد أصحاب الامام في واقعة صفين

ووقف راثيا لهم ومادحا لموقفهم ثم أوصى الناس بالزهد وبعد ذلك القى كلمة حي على الجهاد مرتين وجعل الناس في خيرة من امرهم، وهنا لم تكن كلمات الامام علي عليه السلام كلمات مؤلفة لقيم مجردة، كما يذهب دي سوسير²² بل اطلاقه التأوه وخطابه بمقدمات تتحدث عن ثنائية الموت استشهادا مع قيمة الحياة ان عاشها الانسان تحت الظلم والجور واطالة البكاء مع التصويت بالتأوه كل ذلك اعطى خطابا من نوع آخر فولد صورا جهادية تتميز بالثورة ضد الانحراف والطغيان والحكومة بغير حكومة الله ورسوله، فوصف المعسكر الذي وقف بالصد منه انهم من الفجرة دلالة على مشروعية الجهاد التي تأخذ من صور الجهاد ضد المنافقين شبيها لها في الأصل والضرورة، ولم تخلو الخطبة من الفاظ التذكير بالأخوة الذين مضوا صادقي العهد وذكر بالأسماء عمار وذو الشهادتين لما لأسمائهم من بعد يمتد الى اقوال النبي محمد صلى الله عليه وآله من كونهم يقتلون من قبل الفئة الباغية وهو بعد ينقل النص الى رمزية عند المتلقي تتعلق بالمعركة المصيرية منذ الازل بين الحق بكل جوانبه والباطل بكل اشكاله، ذاهبا بفكر المتلقي الى فكرة الشهادة الحقة التي هي امتداد للفكر الجهادي الأول وهو الولاء لله ورسوله وليس للقبيلة وأبناء الجلدة او أبناء الدنيا والهوى والضلالة.

وإذا كان الخطاب الجهادي للمتصدي الى سلطة ولاية الامر قائم على حاكميته بعده المنصوص عليه بحكومة الامة قد سار على وفق الخطا التي سارت عليها الامة الإسلامية منذ نزول الوحي ولحين اختلاف الامة في مقتل عثمان بن عفان فان الخطاب الجهادي عند الناكثين والقاسطين والمارقين كان يحتال حينها بالعودة الى فكرة الثأر العشائري والاحذ بالقود كما في مبررات خروج جيش طلحة والزبير وعائشة في وقعة الجمل المعروفة، وبين اقتناع الامة بولاية السلطان السياسية وليس الدينية، بعد ان روج لفكرة حاكمية الامة التي كانت أيام زمن النبي ص تحصل بالبيعة وفي زمن الفتن وولاية الناكثين والفاسقين قد حصلت بجواز الولاية بالقهر والغلبة والوصية ثم الإرث فتكون الحاكمية هنا حاكمية فرد وليس امة فأزيلت بذلك شروط امامة البر ليشترك بالولاية الفاجر أيضا ومن الغريب ان جملة من المذاهب الإسلامية تنص على ذلك²³ وهو بفعل اثر وعاض السلاطين الذين روجوا لفكرة الصبر على حكومة الفاسق او الظالم أولى من القيام بالخروج عليه وبذلك اخضع الدين الى مفاهيم على خلاف قواعد الحكومة الإسلامية التي ظهرت ايام الرسالة المحمدية في حكومة المدينة.

ان الذي جعل الامام علي عليه السلام معتمدا على الخطاب الجهادي بألفاظ مثلت تطورا هاما في شكل الخطابة المتضمنة صورة الجهاد على الفاسقين والمارقين والخارجين ان جهادهم كان ضرورة وغاية الهدف منها اصلاح الامة قبل ان تفسد بأجمعها، فالولاء تحول من الدين الى القبيلة، وظهرت أفكارا شوهدت الدين، وسوقت أفكارا تتناسب مع اتجاه القاسطين والمارقين والظالمين وظهرت فئات في المجتمع تميزت بنها تعظ الناس على ما يشتهي السلطان، ومن ذلك عدوا

الخارج عن امام عصره انه خارجا عن الدين الإسلامي ووجهوا المجتمعات حديثة العهد بالدين الإسلامي هذه الوجة مع إضافات بجواز ولاية البر والفاجر في ان واحد لدرجة ان الأصوليين من بعض المذاهب الإسلامية قد نصت على عد الامامة بالقهر والغلبة جائزة وولاية الامر عندئذ واجبة الطاعة بصرف النظر عن كون القاهر عادلا ام قاسطا²⁴

وعلى الرغم من خصوصية حديث الخروج عن امام العصر بالإمام علي "عليه السلام" ممثلا بنظرية الامامة التي عد كل من تخلف عن بيعة الامام علي عليه السلام خارجيا وخارجا عن الملة الإسلامية الا ان وعاظ السلاطين استعملوا هذا النص والمبدأ ليروجوا ان الامام عندهم هو معاوية وسموا كل مخالف لمعاوية خارجيا واستمر هذا التصرف السياسي طيلة حكومة بني امية، وتوارثه بني العباس أيضا بعد سقوط امبراطورية الامويين، وما قتل الامام الحسين عليه السلام وسبى اهل بيته الا تحت هذا الادعاء، وظهر ذلك جليا عندما استقبل الناس في الشام موكب السبايا بالرجم والقذف والتهليل والتكبير بالنصر على الخارجيين كما زعموا.

ان وصية النبي محمد "ص" الى الامام علي عليه السلام بوجوب قتاله هذه الفئات من الناكثين والقاسطين والمارقين وهم جميعا من امة النبي محمد صلى الله عليه وآله أعطت صورا جديدة للفكر الجهادي عند المسلمين هي قضية القتال لأجل الإصلاح والإصلاح هنا يكون بتخليص الامة من أفكار الضلالة وهو الخطاب الذي نجده في جميع خطبه الخاصة بالجهاد والقتال ومن ذلك قوله عليه السلام: "أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة نخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء"²⁵، فالخطاب العلوي يؤكد على كرامة الانسان بالاستشهاد والقتال الى جانب الحق.

ومن جهة أخرى برزت عند جميع الأطراف صورة جهاد المسلم للمسلم وهي صورة معقدة ومركبة لتعقيد تلك المرحلة فهي صورة جهادية تأخذ من قضية الحق كما امر الدين الحنيف طريقا لها مستحضرة روح الحفاظ على الدين كما انزل²⁶ وهو المبرر الذي دفع الناس للخروج مع الامام علي عليه السلام في قتاله كل من عائشة وطلحة والزبير ومعاوية ابن ابي سفيان²⁷

وبقيت هذه الصور الجهادية عند المسلمين حتى استشهاد الامام علي عليه السلام بضربة ابن ملجم كما شهدت هذه المرحلة اختفاء صورة الجهاد البسيطة وهي جهاد المسلمين ضد المشركين لحفظ الدين ونشره وحلول الصورة الجهادية المعقدة التي تأخذ من الابعاد السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والولائية مادة تغذيها في اذهان المقاتلين بين طرفي النزاع أيام فتنة الجمل وحرب صفين وحروب النهروان.

صورة الجهاد عند الإمام الحسن "عليه السلام"

لم تختلف الصورة الجهادية في أيام الحسن عليه السلام عن صورة الجهاد في أيام ابيه الامام علي عليه السلام فهي امتداد للصراع السياسي بين معاوية والامام علي عليه السلام فالصورة الجهادية التي ظهرت عند المقاتلين في جيش الامام الحسن عليه السلام هي عينها التي كانت المبرر لخروج الناس مع الامام علي عليه السلام فالفكر الجهادي لجيش الامام الحسن عليه السلام نابعا من تراكمات قتال الخارجين والمارقين والقاسطين في أيام ابيه الامام علي (ع) فتكونت الصورة الجهادية على فكرة إقامة العدل وولاية الحق والقيام بأمر ولاية الامة وهي الصورة التي هيمنت على ذهن المقاتلين في كلا المعسكرين لكن انماز المعسكر الاموي بانه قد ثقف العامة من الشاميين بثقافة عدم جواز الخروج عن الامام برا كان او فاجرا لتجوز ولايته على الرغم من معرفة خواصهم بانهم على ضلال وانهم خرجوا مستحضرين صورة الثأر لقتلهم أيام بدر وحنين فالمجتمعات الوافدة اخذت من قناعة عدم الخروج على الحاكم وان كان فاسقا مبدءا شرعيا لا يجوز الخروج عنه مطلقا وهو ما يفسر شدة تمسك افراد المعسكر الاموي بخلافة معاوية واسلافه يوم صفين على الرغم من ظهور مخالفاته للدين القويم التي تخرجه عن الملة أصلا فوعاظ السلاطين اقتنعوا عامة الناس في المعسكر الاموي بان الصبر على ظلم الحاكم القاسط أولى من الخروج عليه بالعصيان فالتضليل الإعلامي لحشد الناس مع فكرة حكومة السلطان السياسي وليس حكومة السلطان الديني هي التي سيطرت على أفكار المقاتلين في المعسكر الاموي²⁸ اما الدافع عند المجاهدين في جيش الامام الحسن عليه السلام فهو اقامة الدين والمحافظة عليه كما بلغ به النبي الاكرم محمد "ص" وهو ما امتاز به الامام الحسن عليه السلام وجيشه.

ومن جانب آخر سيطرت على اذهان جيش الامام الحسن عليه السلام صور الجهاد التي أوصى بها الامام علي عليه السلام من نبي الامة محمد صلى الله عليه وآله بقتال المارقين والفاسقين والقاسطين والمبرر لهم هو اقام الدين على ما انزل، في حين كان المعسكر الاخر من الشاميين والحجازيين الذين رأوا ان الخروج عن طاعة معاوية وهو امامهم خروجاً عن الله ورسوله وقد سوقت الة الحرب والاعلام من وعاظ السلاطين هذه المفاهيم للوافدين أولا بأول لدرجة انهم جوزوا لعن الامام علي عليه السلام من على المنابر في كل صلاة فحصلت قناعة مطلقة عند عامة الناس من الشاميين بأحقية الخلافة لمعاوية ابن ابي سفيان وان كان فاجرا وسموا كل خارج عن طاعة معاوية خارجيا لأنه شق عصا المسلمين وخالف الله ورسوله وهو ما يفسر التحاق الناس بجيش معاوية وقتلهم بالألاف والذود عن معاوية في حرب صفين عندما اطبق عليه جيش الامام علي عليه السلام الى ان ظهرت فتنة المصاحف.

ان المراقب للأحداث التي نقلها المؤرخون عن كيفية تشكيل جيش معاوية يجد ان صور الجهاد في هذا الجيش احتوت على استحضار الجاه والمال

والسلطان، ف: "الأمويين كانوا اولي نزعاً بدوية صريحة، فكانوا لا يباليون بما يقول الفقهاء واهل الدين، جل اهتمامهم كان منصبا على تدعيم ملكهم بحد السيف على الطريقة البدوية القديمة"²⁹ وهي صور جديدة مستحدثة خالفت الصورة الأولى لقضية الجهاد والإصلاح فاخذ معاوية بسياسته الميثاق من افراد المجتمع اما طمعا بالجاء او طمعا بالسلطان او طمعا بالمال وهو اول انحراف شهدته الامة في صورة الجهاد الإسلامية كما ظهرت أيضا صورة عند المقاتلين في المعسكر الأموي وهي الاخذ بالقود ثارا لقتلاهم في غزوة بدر وغزوة حنين وقد ظهرت صور جهادية تدين بالولاء للقبيلة وللأفراد بدلا عن الولاء للدين والحكومة الإسلامية³⁰، واستمرت الصورة الجهادية في كلا المعسكرين على هذا الشكل الى ان استشهد الامام الحسن عليه السلام بعد توقيعه الصلح مع معاوية ابن ابي سفيان.

صورة الجهاد عند الامام الحسين "ع"

ان الظروف التي مر بها الامام الحسن عليه السلام وتعاوس الامة الواضح عن نصرته مع علمهم اليقيني بان الحق معه لأنه امتداد طبيعي لمشروع الرسالة المحمدية قد اثبت بما لا يقبل الشك تخاذل الامة عن النصره واستكانتهم للسلطان الأموي ذلك ان معاوية ان ابي سفيان قد سن سنة في حكومة المسلمين لم يسبق اليها احد فجعل الخلافة ارثا ينتقل من الإباء الى الأبناء وقد نقل بذلك الامة من حاكمية الشعب بالبيعة وحاكمية القران بالتنزيل الى حاكمية الفرد بغض النظر عن كونه عادلا او ظالما وهنا ظهرت صورة جهادية مثلها موقف الامام الحسين عليه السلام باعتزاله البيعة سواء لمعاوية او يزيد بن معاوية من بعد ففقد الصلح بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام كان بمثابة نقض العهد وكسر الهدنة ومن جانب اخر ان بايع الامام الحسين عليه السلام يزيدا يكون قد اقره على مبدأ انتقال الخلافة من الإباء الى الأبناء وهو امر لم ينزل به قران ولم تنص عليه سنة³¹ ومعبرة عن الموقف بسلمية مطلقة وهو رفض البيعة فكان الخطاب الحسيني واضحا جدا وهو صورة جهادية رافضة للمبدأ فالامام الحسين "ع": هو القائم بالأمر من بعد الحسن عليه السلام فان اقدم على بيعة يزيد يكون قد تعاوس عن واجبه في قيادة الامة اذ ان نظرية الامامة تقوم على تكليف الائمة الاثني عشر بقيادة الامة تكليفا ربانيا والأدلة على ذلك كثيرة ومع استشهاد الامام الحسن عليه السلام و اعتزال الامام الحسين عليه السلام عن بيعة معاوية بقيت الأمور على نصابها الى ان مات معاوية وبرزت قضية خلافة يزيد واخذ البيعة بالقهر.

ان شخصية يزيد بن معاوية متمسمة بالنزعة الشهوية التي كانت موجودة عند سلاطين الأمم السابقة في التراث الإنساني فحب السلطة وحكومة الجور والحكم بالراي فضلا عن الانحطاط الخلقي وقتل النفس المحترمة والخروج عن حكم القران ومبادئه كان ابرز ما يميز شخصيته³²، وقد ذكرت المصادر تغنيه بقتل الامام الحسين عليه السلام بابيات تدل على وجود عصبية قبلية متصلة في

شخصيته وكانه اخذ بفكرة النار بالقود التي كانت معروفة في الجاهلية وذلك بقوله:

ليت أشياخي ببدر شهدوا... جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القوم من ساداتكم... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً... ثم قالوا: يا يزيد لا تسل
لست من خندق ان لم انتقم... من بنى احمد ما كان فعل
ولعت هاشم بالملك فلا... خبر جاء، ولا وحى نزل³³

وإذا ما قورنت شخصيات الخلفاء قبل الامام علي "ع" نجد ان الحديث بين شخصية يزيد وشخصيات الخلفاء كمن يتحدث بالضد الى الضد، لذلك دعا الخطاب الحسيني الى رفض هذه البيعة وهي صورة جهادية سلمية رافضة للفكر والمبدأ اليزيدي ويسيطر عليها دافع الإصلاح في امة النبي وإعادة الأمور الى نصابها الصحيح³⁴ وتذكر المصادر ان يزيد بن معاوية قد شرب الخمر وكان فاسقاً وقتل النفس المحترمة بغير حق قال الذهبي: "وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب... وغلب على أصحاب يزيد وعمله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي واظهر الناس شرب الشراب"³⁵

لا يمكن عد فكرة الجهاد والخروج على امام السلطان الجائر وليدة مرحلة الامام الحسين عليه السلام مطلقاً فولاية الفاسق او الخارج او المارق غير جائزة في الدين الإسلامي وهو مفاد قوله تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" المائدة 55 وقوله تعالى: "وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" البقرة 124 فالولاية من هذا النص خاصة بالمؤمنين وليس القاسطين او المارقين، فقوله: "قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين: لما جعل الله إبراهيم إماماً، سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم، والدليل على أنه أجيب إلى طلبته قول الله تعالى في سورة العنكبوت: وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب العنكبوت: 27 فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه"³⁶

ان الخطاب الحسيني قد وضع مبدأ عدم الرضا والتسليم بولاية الفاسق بشكل جلي فقال عليه السلام: مثلي لا يبايع مثله وذلك بعد ان ضيق آل مروان على الحسين يريدون اخذ البيعة منه بالغبية والقهر، اذ جاء في الخبر ان يزيد ارسل الى الوليد خطابه بقوله: «أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله ابن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة، حتى يبايعوا والسلام».

فاقبل: " الإمام على الوليد فقال: «أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد فاسق، فاجر شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة معن بالفسق والفجور، مثلي لا يبايع مثله»³⁷.

فولاية هذه الأصناف ولاية سياسية ليس مؤمنة بالدين المحمدي ومن تحليل خطاب الامام الحسين بقوله مثلي لا يبايع مثله نجد ان الامام الحسين عليه السلم قد اعلن ثورته رسميا بهذا الخطاب الجهادي الذي تناول الحق كله ضد الباطل كله مشخفا بشخصية يزيد ومقارنة بشخصية الامام الحسين عليه السلام وهي ثنائية الحق والباطل التي غدت من بعد الفكر الجهادي في ثنائية الصراع وصوره الذي اخذ من قضية الحق مع الحسين والحسين مع الحق مصداقا للفكر الجهادي فيما بعد.

وقد سبق تصريح قوله: مثلي لا يبايع مثله مقدمات ساقها الى المتلقين ابرزها وصفه يزيد بالفجور، فلا تكون له ولاية مطلقا بحسب ظاهر آية الولاية ان فسرت بصرف النظر عن سبب نزولها في الامام علي عليه السلام اثناء تصدقه بخاتمه وهو راعك في الصلاة، فاخذ الامام الحسين جوهر القضية الايمانية الملتصقة بولاية البر وليس الفاجر وساقها احتجاجا على من اراده ان يبايع بالقهر والغلبة.

لقد صرح الامام عليه السلام بخطابه بعدم إمكانية مهادنة الفاسق وولايته عليه وهي صورة جهادية تعود بالفكر الجهادي عند المسلمين الى زمن الصور الجهادية عند الامام علي عليه السلام التي ظهرت بخطبته الجهادية منقادا معسكر المخالفين وما اجمعوا عليه في فساد امرهم مقارنة بمعسكره وما اجمع عليه من صلاح امرهم كما مر عرضه.

ان الامام الحسين عليه السلام قد تلقى في وقته الخلافة والامامة من أخيه الحسن عليه السلام استنادا للأدلة الشرعية في ذلك المضمون وهي فترة شهدت صراعات من أنواع شتى منها قبضة السلطة الاموية على المجتمع باسره وممارسة أنواع البطش والتكيل والابعاد على انصار الامام الحسن والامام الحسين في خلافة معاوية بعد الصلح الذي ابرم مع معاوية ودخل فيه الحسن عليه السلام مجبرا بعد الخيانات العظمى من قيادات جيشه والتحاقهم بالمعسكر الاموي طلبا للمال والجاه والسلطان وبين حالة الخوف الاجتماعي الذي عاشه انصار الامام الحسين بن علي³⁸ و بين رجاء رفع الظلم وعودة الولاية الى نصابها الصحيح وشهد المجتمع في تلك الفترة تأرجحا بين الخضوع والرضى بالذلة والانصياع الى سلطة الامويين او الخروج مع الامام الحسين عليه السلام وإعلان النصر لإرجاع الأمور الى نصابها³⁹، وكان الفكر الجهادي في هذه المدة يتسم بالدعوة الى الثورة ومشروعية الخروج عن الحاكم الظالم وهو كان المغذي الرئيسي عند المجاهدين الذين لم يستطيعوا الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف كما ان الخطاب الحسيني يظهر ضرورة بلورة صورة جهادية

تتسم بالرّضى بأمر الله سبحانه وتعالى كيفما كان بعد استحضر حالة التحرر من قبضة السلطان الجائر فالخطاب الحسيني على مختلف مراحل تحركه عليه السلام من المدينة الى نزوله الى كربلاء كان يتضمن صورا جهادية تمتاز بوضوحها فيما يخص بأحقية الثورة والخروج عن الامام الجائر، وقد شرح ذلك بقصدية واضحة بخطابه عليه السلام، وذلك نحو قوله: خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة و ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف و خير لي مصرع أنا لاقية كآني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء فيملأن مني أكراشا جوفاً و أجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضي الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه و يوفينا أجور الصابرين لن تشذ عن رسول الله لحمته و هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه و تنجز لهم وعده من كان فينا باذلاً مهجته موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى . " 40

فالخطاب الديني بالتذكير بالموت والمآل هي عينها مضامين خطبة الامام علي عليه السلام التي بكى فيها نادبا ومؤبنا أصحابه و جاعلا الدنيا محط رحال الى الآخرة التي هي افضل و ابقى، وهو امتداد طبيعي أيضا للفكر الجهادي الإسلامي في استحضر صورة رضا الله بالشهادة وان الشهيد لا يعدل عند الله بالثواب الجزيل شيء، ثم يعلن شوقه الى الشهادة كشوق يعقوب الى يوسف، فيعلن أيضا انه مخير في اختيار ميتة الشهداء لغاية اصلاح الامة او القعود عن الامامة والرضا بخلافة الفاجر وانهيار الدين، فيختار الإصلاح مع علمه انه مقتول لا محالة، فيخير الناس ويرفع عنهم تكليف الجهاد والطاعة لأمره ويجعلهم على خيرة من امرهم بقوله (من كان فينا باذلاً مهجته موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا) وهو عين ما فعل الامام علي عليه السلام من قبل في خطبة الجهاد التي عرض فيها تخييره الناس بالجهاد معه او القعود، وتبدأ صورة الجهاد الحسينية بخصوصية واضحة، فهو مقبل على موت محقق وقد ذكره بخطبته مفصلاً القول صورة مأساوية يظهر فيها الامام المقتول في صحراء كربلاء محدد المكان وهيأة القتل والتمثيل وكيف تترك جثته بالعراء بعد ان يستباح دمه بالقتل غير المبرر، وهو امير المؤمنين مفترض الطاعة، لان جهاده في هذه المرحلة جهادا نوعيا وليس كميا كما هو شأن المعارك التي حصلت من قبل، وهنا تتجلى الصورة الجهادية القائمة على ابعاد جهادية استشهادية وهي صورة الرضا بقدر الله المحتوم ليكون داخلا في معركة وهو موقن بالاستشهاد وليس غير الموت وكأنه يحسب الأيام والساعات لهذا المصير المحتوم، فظهرت عند الحسين ع صورة جهادية استشهادية، وهي صورة جديدة على الفكر الجهادي الإسلامي فالمجاهدون سابقا كانوا يطمعون بإحدى الحسينيين اما النصر او الشهادة لكن الصورة هنا قد اسقطت الترحيح بين النصر والشهادة وحولت القضية الى الشهادة فقط، وهي شهادة نوعية تمثل صيغة في ضمير الامة من بعد.

وتأتى في مواضع أخرى قضية تخبير الناس الى المضي معه لرسم اكبر مأساة تصلح ان تكون فيما بعد مشروعا اصلاحيا الى يوم القيامة وبين القعود وانتظار الفرج، فخير الناس بعد وصول نبا خذلان الشيعة ومقتل مسلم بن عقيل، قال عليه السلام: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه قد أتاني خبر فطيع، قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج ليس عليه ذمام." ⁴¹

ان الخطاب الحسيني في ساعة وقعة الطف الأليمة كان يركز على مضامين عدة مثلت حجاجا معت وافر المقدمات من سيره على سنة ابيه وجده فقال عليه السلام «عباد الله، اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله خلق الدنيا للفناء، فجددها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر، والمنزل تلعة والدار قلعة، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلمكم تفلحون.

أيها الناس إنّ الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتُخبّب طمع من طمع فيها." ⁴²

والمأمل في اول خطبته الى معسكر عمر بن زياد لا يرى الا خطبة جده أيام بدر وخطبة ابيه أيام صفين عندما وقف مخاطبا الناس بالتحذير بالموت والحياة والحض على فناء النفس بالجهاد للفوز برضا الله سبحانه وتعالى فهو يتحدث بثنائيات تدور حول التوازن بين طلب الدنيا والموت المبرر ف سبيل الله مع تفضيل حالة الموت المبرر واستدلاله الخطابى قائم على ذكر الناس الماضين من الأنبياء والصالحين كيف قضوا نحبتهم وكيف كان موتهم في سبيل الله، ثم يحدد عليه السلام منزلة جيش بن زياد من امر الامة والدين واعظا مذكرا إياهم بفساد جمعهم فيخاطبهم بقوله:

وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحلّ بكم نعمته، فيعَمّ الربّ ربّنا وبئس العبيد أنتم؛ أقررتم بالطاعة وأمنتم بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ إنكم زحفتم إلى ذريّته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون. إنّنا لله وإنّا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين" ⁴³

وهو الوعظ الذي جرى أيضا أيام بدر وصفين لجيش المخالفين ليبراً الامام ذمته امام الله ⁴⁴ ولا يبادر الى قتال حتى يكون جهاده جهادا شرعيا وهو جهاد دفع حفاظا على النفس والعرض، ثم تاتي قضية الولاء الذي التزم به جيش المخالفين في صورتهم الجهادية التي استحضروها لمناجزة الامام الحسين عليه السلام، فيؤكد النص الخطابى للامام ما كانت عليه صور الجهاد التي خرج بموجبها

الجمع الغفير من معسكر بن زياد وقاتلوا الحسين عليه السلام، فالولاء عندهم كان للقبيلة ولل فرد وهي ولاية سياسية وقبلية نجح بنو امية في تكوينها في اذهان الناس⁴⁵ واستبدلوا بها الصورة الجهادية التي كانت حاضرة أيام الجهاد في زمن النبوة⁴⁶، وما كان من الحسين عليه السلام الا الزامهم الحجة، بان خاطبهم بان ينسبونه، ويذكر بشخصيات كانت من انصار النبي محمد صلى الله عليه وآله وما زالت حاضرة بالذهن الجهادي عند المسلمين ثم يقيم خطاب المحاجبة بالاستدلال على فساد قضيتهم بقتاله وهو ابن بنت نبيهم ومصدق حديث رسولهم بانه والحسن سيدا شباب اهل الجنة، وهو ما نلمسه من خطبته عليه السلام بقوله: "أيها الناس أنسبونني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسن ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي، أو ليس جعفر الطيار عمّي، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق - والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه - وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي".

ثم يبالغ الامام الشهيد بالقاء الحجة ليقول ما مبرر الجهاد عنكم هل بقتيل قتلته ام بقود عليه ادائه ام بماذا، وهو مفاد خطابه بقوله عليه السلام: "ويحكم اطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة".

اما نهاية الاحتجاج فيأتي بتصريحه عليه السلام بعد ان عرض عليه القوم البيعة بالإكراه بانه لا يقبل بذلك ابدا فيخاطب بصورة مركبة جسدت عمق قضيته التي سار من مكة الى ارض مقتلته ليقول عليه السلام: "لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله إنّي عذتُ بربّي وربكم أن ترجموني، أعود بربّي وربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب".

وهنا تكون قضية وجود الامام العادل شرطاً في قيام الدولة هي الملمح الأبرز في صورة الجهاد أيام الحسين عليه السلام عملاً بمبدأ لا طاع لمخلوق في معصية الخالق وهي صورة جهادية راسخة وثابتة ومتلازمة للحاكم العادل الذي يحكم على وفق مفردات الدين الحنيف والأدلة على ذلك كثيرة منها ان النبي محمد "ص" امر بالعدل والانصاف والنصيحة لولا الامر والمأمومين وكانت سنة الخلفاء من بعده انهم يطاعون ما اطاعوا الله فان عصوا الله فلا طاع لهم ومصدق ذلك قول عمر ابن الخطاب قوله اطيعوني ما اطعت الله فيكم ومقولة الامام علي عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق تجسد هذا المبدأ بتمامه فلا ولاية للفاسق او القاسط او الظالم على اعناق المسلمين وهذه مشروعية ثورة الامام الحسين بصورتها الجهادية الجديدة التي ظهرت امام المعسكر الاموي.

ان المتابع للخطاب الحسيني من يوم خروجه من مكة حتى يوم استشهاده عليه السلام يجد انه اراد ان يعيد ترتيب العلاقة بين العقيدة والمجتمع بعد تفشي الانحراف الفكري والابتعاد عن المنهج الرسالي، اذ ان الامام الحسين سعى لانتزاع العصبية القبلية من ذهن العربي كما فعل جده من قبل، "والارتفاع به ليكشف عن عظيم مكنوناته التي اودعها الله فيه، فالإمام الشهيد حاول انتزاع الفكر من الاسلوب القبلي الذي طرحته السقيفة من قبل، ومن هنا كانت نهضته دعوة للإنسانية للخروج من ضحالة الفكر الانبي الى سمو التجلي الكوني.

وتتلور قيمة بذل النفس بالقتل المبرر عند الامام الحسين عليه السلام قبيل مصرعه الشريف، عندما القى خطبة تهز أعماق الناس وتزلزل قلوبهم الى هول التضحية وعمق الهدف وعظيم التضحية فيقول في خطبته: "يا مسلم بن عقيل ويا هاني بن عروة ويا حبيب بن مظاهر ويا زهير بن القين ويا يزيد بن مظاهر ويا فلان بن فلان يا ابطال الصفا ويا فرسان الهيجا.. مالي اناذيكم فلا تجيبون وادعوكم فلا تسمعون انتم نيام ارجوكم تنتبهون أم حالت مودتكم عن امامكم فلا تنصروه هذه نساء الرسول (صلى الله عليه وآله) لفقدكم قد علاهنّ النحول فقوموا عن نومتمك ايها الكرام وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام. ولكن صرعكم والله ريب المنون. وغدر بكم الدهر الخون، والألما كنتم عن نصرتي تقصرون ولا عن دعوتي تحتجبون فها نحن عليكم مفتجعون وبكم لاحقون فإننا لله وإنا إليه راجعون ثم أنشأ يقول:

قوم اذا نودوا لدفع ملامّة
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا
والخيل بين مدعس ومكردس
يتهافتون على ذهاب الأنفس
نصروا الحسين فيا لها من فتية
عافوا الحياة والبسوا من سندس" 47

وهو عين الخطاب الذي القاه الامام علي عليه السلام في معرض الحجاج واستنهاض الهمم والتأييد بالنصرة قبل خروجه الى صفين فعرض أسماء الشهداء ثم بكى ثم هون الحياة وعظم الشهادة ومن بعد خير الناس بالجهاد معه او الانصراف، فقد خاطب عليه السلام الأموات المستشهدين بين يديه ثم مدح صنيعهم ثم قال ابياته المشهورة، لتكون مثالا لكل ثورة من بعد يتمثل بها المتثورون بالتححرر من الظلم والاستبداد على مر الزمن.

تقول: "الباحثة البريطانية (فريا ستارك) إذ تقول: إن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل الى الأسس. فهذا التغلغل يشكل اتجاها منطقيا وعقلانيا في ثورته المباركة باعتبارها لا تقف عند رؤيا محددة، ولكونها تطرح مفهوما يرسم علاقة الانسان بالحياة من جانب، وبالمنهج الرسالي من جانب آخر. وهذا الاتجاه يكشف حقيقة أسباب الثورة الحسينية باعتبارها لا تتبنى اهدافا دنيوية، ولم تتخذ في تطوراتها منحا سياسيا، بل ان الجانب العقائدي يشكل المنهج الوحيد الذي سعى الى تحقيقه الامام الشهيد، وهنا نقرأ موقف الكاتب (جارلس ديكنز) في قوله: إن كان الامام الحسين قد حارب من اجل اهداف دنيوية فانا لا ادري لماذا

اصطحب معه النساء والصبيّة والاطفال؟ إذن فالعقل يحكم انه فقط ضحى من اجل الاسلام "48.

ويتجسد ذلك بتصريح الحسين عليه السلام بخطابه في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: (... وَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِيْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا؛ وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي مُحَمَّدٍ ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؛ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَسِيرَةِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ...)49، فخروجه لم يكن الا بدافع قصدي هو صلاح الامة مع علمه اليقيني بانه مستشهد لا محالة.

ان الحسين عليه السلام في واقعة الطف قد وظف مبدأ جواز قتل النفس في سبيل الله لمصلحة الدين انطلاقاً من مقدمة جواز قتل الآخر في سبيل الله وما دام قتل الآخر في سبيل الله امراً مشروعاً واتي بالنص القرآني فالاولى قتل النفس للغاية ذاتها، ومن هنا دخل الامام الحسين عليه السلام حرباً يدرك كل صاحب بصيرة انها مشروعاً استشهادياً ليس فيه تارجح بين النصر والشهادة في ظاهر الامر بل النصر بالشهادة في عمق القضية الحسينية.

ان تضحية الامام الحسين بالأصحاب والآل واحدا تلو الآخر ثم خطابه الملحمي في اثناء تفاصيل واقعة الطف كان يقيم صورة جهادية استشهادية ذات ابعاد عاطفية50 تجبر الضمير الإنساني العالمي الى الانصياع الى قضية اصلاح الدين والامة التي ضحى الامام الحسين عليه السلام بنفسه وانفس المستشهدين معه وعرض مخدرات آل محمد الى السبي والاسر ليكون بتصويره الجهادي القربان الذي تصلح به الامة من بعد،" ولهذا فان طريق العودة الى الجسد شكل انفتاحاً الى مرتبة النبوة التي استتبطنت معها ذلك الخطاب الظاهر في بكاء رسول الله (ص) عند ولادة الإمام الحسين (ع) فانبعثت ولادته (ع) مرة أخرى في واقعة الطف لتستحضر معها مفردة التحول تلك التي مهد لها بمصرعه ومصرع أصحابه ليكون قرباناً وحلقة متدفقة في عمق التاريخ الإنساني لأن الإسلام دين للعالم كله.51 لقد: "أنشأت مجزرة الإمام الحسين وأفراد أسرته ومناصريه بُعداً أسطورياً وإيديولوجياً واجتماعياً-سياسياً في الإسلام الشيعة، حيث أصبح هذا الاستشهاد محورياً بالنسبة الى هوية الشيعة وتقليدهم ولاهوتهم، فكان الإمام الحسين مثلاً لمعارضة الاستبداد والاضطهاد وللكفاح ضد المظالم المزمنة في العالم"52، فقد اثرت مقولته عليه السلام بعد محاصرة الحر الرياحي له بقوله عليه السلام: "أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقًّا؛ فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا) في توجهات الفكر الجهادي بعد استشهاد الشريفة53، وما ثورة المختار الثقفي وخروج الامام زيد بن علي الشهيد الا مصداقاً لأحقية الثورة، من جهة، وثمره للفكر الجهادي الاستشهادي لي القى بضلاله على توجه المجتمع الإسلامي من بعد استشهاد الحسين نحو تكوين صوراً استشهادية جهادية تمال صورة الشهادة عن الامام الحسين لكنها تميزت بوجود صورتين جهاديتين حاضرتين في ذهن المسلم

الشيوعي، كانت الأولى وما زالت صورة الجهاد الاستشهادي، والثانية صورة التقصير في نصرته أمام المظلوم التي غذت الدوافع لتكوين صوراً استشهادية وجهادية لنصرته فكراً وعقيدة بعد أن خذله شعب عصره من الشيعة.

وقد نجحت ثورته عليه السلام بتصحيح المفاهيم الفاسدة التي اثمرها صراعات المعسكر المناوئ لمعسكر الامام علي عليه السلام منذ بيعة السقيفة حتى استشهاد عليه السلام لقد اثرت الثورة الحسينية في توجه المجتمع الإسلامي من بعد، وبسبب ذلك صحح مبدأ جواز ولاية الامة من قبل الفاجر، واعيد الامر الى نصابه الصحيح الا هو حاكمة الامة من قبل المؤمنين برهم فقط، فاسقط تمثال السياسة الذي صنعه بنو امية بجواز امامة الفاجر وعدم جواز الخروج عليه مطلقاً، وابدل بالمفهوم الإسلامي الحقيقي، الذي تمثله النص الشريف بحاكمية الولاية لله ورسوله والذين آمنوا

وقد جمعت ثورة الامام الحسين ع الابعاد الخمسة لكل ثورة هي: "البعد الرباني، والبعد الإنساني، والبعد العقلي، والبعد العاطفي، والبعد الجماهيري، والأخيرين يمثلان المؤثر الأكبر للصورة الجهادية عند المسلمين بعد واقعة الطف الأليمة، فالمأساة الإنسانية من مبالغة القوم في إيذاء الامام الحسين واسرته اثر في مشاعر المجتمع الى يومنا هذا، كم ان البعد الجماهيري الذي صنعه الخطاب الحسيني جعل من ثورة الامام الحسين عامة وليست ضيقة بالخاصة فقط⁵⁴، ولعل الامة من بعد الحسين قد استدركت الكثير مما فاتها من حالة الخضوع الى سلطان الاستبداد والرضا بحكومة الجور والفسق فتغلبت مبادئ ثورة الحسين على مبادئ حكام الفسق والضلال واسقطت نظرية ولاية الامر بالقهر والغلبة واسقطت ولاية الفاسق والمارق والظالم وارجعت الأمور الى نصابها الصحيح بولاية البر دون الفاجر، واثمرت ثورة الحسين بهذه الابعاد عن صحوة الامة من الاستسلام الى الخوف الاجتماعي والرضا بحكومة الفساد والطغيان، لعدم جواز ذلك شرعاً وعرفاً وانسانياً"⁵⁵.

ثورة المختار الثقفي

لا شك ان قيام المختار لم يكن غوغائياً بل هو نتيجة تراكم معاناة الشيعة جراء حكم الأمويين الطغاة الذي كان هو يمثل احد زعمائها البارزين في الكوفة، ومنذ كان المختار يافعا كان متحمساً للبيت العلوي حيث انه نشأ في كنف عمه (سعد بن مسعود) الذي كان عاملاً لعلي على المدائن... ومنذ تحرك الحسين، واسمه يتردد في سجلات الحركة الثورية التي اتخذت مسرحها هذه المدينة، مخترقاً بذلك مألوف الموقع القبلي الثقفي الموالي للدولة الأموية آنذاك، وانه أوى في بيته رسول الحسين (مسلم بن عقيل) إلى الشيعة التي دعوه للمناصرة والبيعة، فضلاً عن دوره الهام في التعبئة الشعبية عشية خروج الحسين إلى حد الصدام المسلح مع ابن زياد منطلقاً من داره التي كانت مسرحاً لاجتماعات الشيعة ونشاطاتهم الثورية⁵⁶.

كان خروج المختار الثقفي بالتزامن مع سليمان ابن الصرد ردة فعل جماهيرية على حادثة قتل الامام الحسين عليه السلام، وقد رأى المختار الغضب الذي تولد في نفوس شيعة الحسين بالتزامن مع الشعور الجمعي بالتقصير عن نصرته الامام الحسين فضلا عن تاجج روح الثورة على سلطة الامويين مقومات لنجاح ثورته التي اتخذت من مبادئ الحسين عليه السلام نبراسا تستضيء به في توجيه جموع الجماهير الغاضبة الى الكفاح المسلح⁵⁷ وقد تم ذلك فعلا واخذ المختار يلاحق جميع من اسهم في قتال الحسين واقام عليهم الحد الشرعي وكان المختار يعمل بمشورة الائمة العلويين وخصوصا الامام علي بن الحسين عليه السلام، اذ تروي المصادر ان المختار قد بعث برأس عبيد الله بن زياد رؤوس غيره ممن قتلهم إلى محمد بن الحنفية بمكة وعلي بن الحسين (عليه السلام)، يومئذ بمكة، وكتب معهم: " أما بعد، فإني بعث أنصارك وشيعتك الى عدوك يطلبونه بدم أخيك المظلوم الشهيد، فخرجوا محتسبين محنقين أسفين، فلقوهم دون نصيبين فقتلهم رب العباد، والحمد لله رب العالمين الذي طلب لكم الثأر ".

والخطاب الذي بعثه المختار فيه من دلالة صحوة الامة وادراكها فداحة الخطأ الذي ارتكبته فيحق الامام الحسين عندما مكنت اعداءه منه بعدم الخروج معه ونصرته ليظهر على عدوه وعدو الإسلام في وقته، ويشكل الخطاب بكلمات: محتسبين ومحنقين واسفين صورة الجهاد التي ترسنت في اذهان الجيش الذي كان يقوده المختار الثقفي للقيام بالثورة على الامويين والانتقام من قتلة الامام الحسين⁵⁸، فقد شكلت هذه الالفاظ الرؤية عند المجاهدين بعد ثورة الامام الحسين عليه السلام فأخذت شكل صورة مركبة من شخصية جهادية تتداخل فيها مشاعر الاسى والرغبة بالانتقام والاحساس بالعار الجمعي من عدم نصرته الامام المظلوم الحسين الشهيد عيه السلام، فكان خروجهم بروح الإصلاح والحفاظ على الدين ممتزجة من الشعور الجمعي بالذنب بعد تخاذلهم عن نصرته الامام الحسين كان السبب الرئيسي بقتله عليه السلام فضلا عن عزم المعسكر المناوي قتل الامام الحسين مع جميع اولاده ليقطعوا بذلك نظرية الامامة بالنص ويبطلوا الأراء التي تقول بوجوبها من جهة ويقوي المعسكر الاموي من جواز امامة الفاسق وعدم مشروعية الخروج عليه مطلقا.

صور الجهاد المعاصرة

يرى باروت أن الخطاب الجهادي للحاكمية لله يضممر مرجعية شيعية خاصة بولاية الفقيه، ويناقش التشيع السياسي بين نظريتي "ولاية الفقيه" و"ولاية الامة على نفسها"⁵⁹، ومن هذا المنطلق نشأت حركة جهادية بعد اصدار المرجع الشيعي السيد علي السيستاني فتوة الجهاد الكفائي، وتأسس بموجها الحشد الشعبي. ولا يمكن التوصل الى فهم دقيق للصور الجهادية في العصر الحديث عند المقاتلين في فصائل الحشد الشعبي من دون التعرض الى فكر الجهاد وصوره في المعسكر المناوي، والبحث في طرق تشكل الصور الجهادية عند كلا الفريقين

يتطلب مراجعة النصوص الأدبية والعقدية التي نادى بها كل فريق على حدة ثم التعرض لكل صورة جهادية بالنقد والتحليل الخطابي ومراقبة التحولات في الصور الجهادية حديثاً عن صورة الجهاد التي ظهرت في عصر الرسالة وتطورت فيما بعد ثورة الامام الحسين عليه السلام.

ومن المهم فهم أن هذه الصورة للجهاد الشيعي، إلى جانب أشكال السلفية الجهادية التي نشرها مؤخرًا تنظيم "الدولة الإسلامية"، هي تشويبهات لتعاليم الإسلام السائدة ولا تمثلها كما يُزعم أحيانًا. فبالنسبة إلى معظم المسلمين، سواء من السنة أو من الشيعة، يعني الجهاد "الأصغر" بشكل لا لبس فيه الدعوة إلى الحرب الدفاعية عندما يتعرّض المرء للهجوم المباشر، فيما يبقى الجهاد "الأكبر" كفاحًا مع الذات من أجل العيش بشكل أخلاقي وفاضل، فيتجاوز كل من هذين المفهومين المجتمع المسلم، ويُعرّف بهما على نطاق واسع على أنهما معقولان وعادلان⁶⁰.

وتتجلى صورة الجهاد العلوي والحسيني عند فصائل الحشد الشعبي من الخطاب المرئي والمكتوب الذي عبر بشكل خاص عن الصور الجهادية في أذهان المقاتلين التي تنتمي إلى الصورة الجهادية الأولى عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وامتدادها عند الامام علي عليه السلام وميزاتها الاستشهادية عند الامام الحسين الشهيد، ثم تتشكل بتحول عاطفي حزين يرثي الحسين عليه السلام ويتمثل مقتله الشريف متحداً معه بالفكر والعقيدة والقضية، موظفاً البعد العاطفي في التعاطي مع القضية الحسينية ومستلهما قضية الإصلاح والقتال عصبية لله ورسوله ودينه، وهو ما يمكن ملاحظته من اقوال المقاتلين في فصائل الحشد الشعبي المسجلة والمبثوثة في وسائل التواصل الاجتماعي وكذلك المدونات على قلتها، إذ نجد في تحليل الخطاب الذي دونه احد افراد الحشد الشعبي صورة جهادية تعبر عن تحول فكري وصورة مركبة تشبه تلك الصورة التي ظهرت بعد استشهاد الحسين عليه السلام في جيش المختار الثقفي، وهي صورة جهادية تشدّبك فيها جوانب الجهاد في سبيل الله مع عاطفة ميالة إلى الاعتذار عن اسلاف المجاهدين عندما خذلوا الحسين عليه السلام في واقعة الطف، وممتزج معها صورة التاسي بالامام الحسين والحزن عليه، وهي صور جهادية يكمل بعضها البعض الآخر، فتمتزج عاطفة جياشة في حب الامام الحسين وحب الشهادة في سبيل الله مع الشعور الجمعي بالذنب والتقصير، ومن ذلك ما اثر عن استشهاد القائد كريم يوسف الجابري في تلال حميرين عام 2015، فقد كانت آخر كلماته قبل استشهاده: "والله لا اعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا اقر إقرار العبيد ما دام الموت خط على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة... يا زهراء... يا زهراء" ⁶¹ فخطابه مناديا بيا زهراء وكأنه يقول لها: هل وفيت حق ابي عبد الله بالنصرة؟ وهو خطاب يدل على الصورة التي كانت في ذهن الشهيد التي تشدّبك بها علاقات شتى من أهمها الشعور الجمعي بالذنب لعدم نصرته الامام عليه السلام عندما نادى

بالنصرة ولم يجبه احد وهي صورة تشبه صورة الجهاد التي ظهرت عند المختار الثقفي وجيشه بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام.

ان صورة الجهاد عند مقاتلي الحشد الشعبي في ظاهرها صورة مبسطة تشبه الى حد كبير الصورة الجهادية الاولى التي ظهرت في الخطاب القرآني، الذي نصت عليه آيات الجهاد نحو قوله تعالى: " يقاتلون ويقتلون وعدا عليه حقا " لكننا عندما نتعمق في تفاصيل هذه الصورة الجهادية ومن متابعة الخطاب الجهادي للمقاتلين انفسهم نرى انها صورة معقدة وليست بسيطة، فالجوانب فيها كثيرة جدا، منها تمثل الشهداء بأقوال وافعال الحسين عليه السلام مرة فيقاتلوا كما وصف عليه السلام بقوله:

قوم اذا نودوا لدفع ملامّة
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا
والخيل بين مدعّس ومكر دس
يتهافتون على ذهاب الأنفس
نصروا الحسين فيا لها من فتية
عافوا الحياة والبسوا من سندس

وقد دأب المجاهدون في معسكرات الحشد الشعبي وخط الصد بالتمثل بهذه المقولة والاستئناس بها والوفود على الموت دونما تفكير في الحياة، وقصص الشهداء والمقاتلين تؤكد هذا الامر بتمامه، ولعل مقولة الامام الحسين عليه السلام (هيهات منا الذلة) كان الشعار الذي يسمع حينما بالنداء وحينما آخر عند مواجهة الموت المحتوم ليوظفوا ذلك في صورة جهاد الحسين الاستشهادية فيحتضن المقاتل من أبناء الحشد الشعبي السيارة المفخخة ويفدي بنفسه اخوانه المقاتلين او يحتضن الآخر المقاتل المعادي لينفجر معه حماية اما لهدف مدني او هدف من أبناء الحشد انفسهم، ونجد ذلك في قصة الشهيد محمد نوري وهو شاب مضى على زواجه اربعة أيام فقط فقد القى بنفسه على احد الدواعش عندما دخل في مطعم وكان فيه عدد كبير من مجاهدي الحشد الشعبي لينفجر مع الانتحاري ويفدي نفسه انفس اخوته المجاهدين وكان يقول: اموت ولا تنسبي عراقية، وهي صورة جهادية استشهادية تعود الى صورة الجهاد التي ظهرت عند الحسين عليه السلام الذي مثل صورة ماضية الى خط الموت وليس التارجح بين النصر والموت بالاستشهاد كما هو الحال في الصور الجهادية التي ظهرت مع اسلافه عليهم السلام.

ومن جانب آخر ظهرت صورة جهادية تشبه الصورة الجهادية التي كانت في عهد الامام علي عليه السلام، عندما قاتل المارقين والفاسقين والناكثين جهادا منه وعملا بوصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فيروى ان الشهيد محسن فالح الحلفي الذي استشهد في بيحي كان يخاطب اصدقاءه قبل استشهاده في السبب من الخروج للقتال: " ان الشهادة هي حلم يراد كل ذي بصيرة ولا ينالها الا ذو حظ عظيم، وانا لا ابتغي من ذهابي هذا الا النصر او الشهادة ولن ارجع حتى انال ما ابتغيه " 62

فالصورة الجهادية كانت مقاتلة مسلحين فقط من المعسكر المخالف، وبالوقت نفسه لم تستبج الحرمات ولم يقتل الناس بجريرة غيرهم، ولم يكن في النصر غنائم للحرب، فلا غنيمة من مسلم، وهي الدعوى التي دعى بها الامام علي عليه السلام في واقعة الجمل بعد احراز النصر، وبمقاربة ذلك مع مقاتلي الحشد الشعبي نجد انهم يتأسون بالصورة الجهادية التي ظهرت عند الامام علي عليه السلام وجيشه الذي قاتل بهدف احقاق الحق ووحدة الامة على امارة الامام العادل مفترض الطاعة فكان أبناء الحشد الشعبي يتواصلون بالمستضعفين من النازحين، ولم يقتلوا مدنيا ولم يستهدفوا غير المسلحين، فبؤازر المقاتلين من الحشد الاسر النازحة موفرين لهم الملاذ الأمن وهي صور إنسانية الجهاد الإسلامي على طول خط وجوده ابتداء بجهاد النبي عليه الصلاة والسلام مروراً بجهاد الخلفاء وانتهاء بعلي بن ابي طالب ثم المعسكر الحسني والمعسكر الحسيني الى وقتنا الحاضر، في حين كانت الصور في الجهاد الإنساني عند المعسكر المناوي غير متضمنة معاني الجهاد المحمدي في إنسانية الحروب النظيفة فلم يكن اثر لصورة الجهاد الانساني في المعسكر المناوي لمعسكر الامام علي عليه السلام او الحسن او الحسين عليهما السلام وهو كف الجيش عن العزل من المدنيين او النساء والرجال والأطفال من غير المسلحين، وما سبي حرائر الحسين الا دليل على ان المعسكر المناوي كان بعيداً عن روح الجهاد كما رسمه النبي محمد صلى الله عليه وآله، واذا ما قورن المعسكر المناوي لمعسكر الحشد الشعبي بتصرفاته مع العزل نجد ان الصورة الاموية ذاتها تتلبس افعالهم عندما يقمومون العزل في النزاع المسلح بالقتل غير المبرر بواسطة التفجير الانتحاري على الاحياء المدنية التي لم تكن يوماً طرفاً في النزاع العسكري وان كانت طرفاً بالنزاع الفكري، ومن جهة أخرى ان النزاع الفكري لا يقاتل بالسلاح والجهاد، وان صح ذلك لكان أولى بالنبي عليه السلام قتل المنافقين وتصفيتهم وهو يعلم يقينا أسماؤهم واحداً واحداً، فكان جهادهم بالكلمة والغلظة حتى يعودوا الى جادة الصواب.

ومن جانب آخر وجدت في صور الجهاد عند الجماعات الإرهابية خروجاً عن النص بمقدار ما يفيد الغاية من فكرة الجهاد، فقد ورد عن الجماعات الإرهابية عدم قبولهم فتوى القاعد ولا يسمع رايه فالراي يكون للمجاهد وهو فضل على القاعد⁶³، وهو ما تسبب بانحراف الصورة الذهنية للقتال عن حقيقتها الشرعية، فالمصلحة والفتيا بغير نص او علم تحكمت بالصور الجهادية عند الجماعات المتطرفة وتسببت بانحرافها عن جادة الصواب، ودخل فيها جواز استباحة الدم من غير المقاتلين لضرورة الحرب، وهو ما نجده في الفكر الجهادي للزرقاوي الذي يعد الاب الروحي لداعش الإرهابية⁶⁴ فقال في خطابه الموجه الى المسلمين في 15 فبراير 2004:

العراق في الجملة فسيفساء سياسية، وخطاة عرقية، وتباينات مذهبية طائفية متناثرة، لا تتقاد إلا لسلطة مركزية قوية وسلطان قاهر، بدءاً من زياد بن

أبيه، وانتهاء بصدام... إن الناظر المتند والمبصر المتفحص ليدرك أن التشيع هو الخطر الداهم، والتحدى الحقيقي، {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَاتْلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ} [المنافقون:4]، إن رسالة التاريخ تصدقها شهادة الواقع لتشي بأوضح بيان، أن التشيع دين لا يلتقى مع الإسلام، إلا كما يلتقى اليهود مع النصارى تحت لافتة أهل الكتاب، فمن الشرك الصراح، وعبادة القبور، والطواف بالأضرحة، إلى تكفير الصحابة، وسب أمهات المؤمنين، وخيار هذه الأئمة، وصولاً إلى تحريف القرآن، كمُنتج منطقي للطعن في حَمَلَتِهِ، إضافة إلى القول بعصمة الأئمة، وركنية الإيمان بهم والإقرار لهم تنزل الوحي عليهم، إلى غير ذلك من صور الكفر ومظاهر الزندقة التي تطفح بها كتبهم المعتمدة، ومرجعهم الأصلية، والتي لا يزالون يقومون بطبعها وتوزيعها ونشرها.

وإن الحالمين الذين يظنون أن الشيعة يمكن أن ينسى الإرث التاريخي والحدق الأسود القديم على النواصب كما يسمونهم، واهمون... إن قتالنا للرافضة هو السبيل لاستنفار واستنهاض هم الأمة للمعركة.

أولاً: سعينا حديثاً وركضنا مسابقة للزمن لتكوين سرايا مجاهدة تأوى إلى بؤر آمنة وتجوس الديار مجاهدة تصطاد العدو في الطرقات والدروب من الأمريكان والشرط والجنود، ونحن ماضون في تدريب هؤلاء وتكثيرهم، أما الروافض فسنكون النكاية فيهم بإذن الله بعمليات استشهادية وسيارات مفخخة".

ومن تحليل الخطاب الذي تبنته الجماعات المتطرفة في انشاء صورة الجهاد فكراً وتصديقها في الواقع الملموس يظهر ان الجماعات المتطرفة تنظر الى المعسكر المناوئ هو خارج عن ملة الإسلام وقتاله واجب على طريقة التصفية بالإبادة الجماعية وليس الاكتفاء بمقاتلة المسلحين فقط، فالواضح من نص خطاب الزرقاوي الاب الروحي للتطرف في العراق والشام انه انشأ فكره التكفيري في قتال الروافض بعده من اساسيات الدين عنده، وجعل قتالهم واجب وقتلهم مندوب بصرف النظر عن كونهم جماعات مسلحة او غير مسلحة، والدافع من وراء ذلك هو الشرك الصريح كما قال، وقد ذكر لواحق عدة ساعدت على خلق صورة جهادية استشهادية عند افراد التنظيم التكفيري تحمل في ثنايا تصفية الآخر بصرف النظر عن المسلحين منهم او العزل وبصرف النظر عن مكان حصول الاشتباك وانتخاب بيئة الحرب سواء في أماكن السكن او غيرها، مع جعل رمزية الموت بالتفجير الانتحاري غاية لنيل مطلب الجهاد وصرف اذهان المقاتلين عندهم الى محور الرمزية بعيداً عن واقع التفجير الذي يؤدي الى موت جمعي وبمناظر مأساوية تبتعد عن روح الدين الحنيف وعن الإنسانية في الاستشهاد والقتل غير المبرر فلغة الخطاب قد غلبت عليه صورة التصفية والحث على التفجير بأسلوب المفخحات والانتحار بالتفجير وهي حرب إبادة جماعية مذهبية، ومشكلتها انها مستندة الى ادلة تاريخية في المرويات التي تصف احداثاً تاريخية، وهو دليل يتقاطع مع نظرة الفقهاء في عد المسلمين كفاراً او لا بالنظر الى ما اقترفوه من

كسر أصول الاعتقاد والاحكام الشرعية، وهي نظرة سطحية تدل على ان الناظر بها والحاث عليها لا يفقه أصول الدين أصلا

فالتلاحق في قوله عن التشيع انه لا يلتقي بالإسلام جاء ليفصل وجهة نظره في ذلك، فبدأ بالكفر الصريح، ومر بعبادة القبور، والطواف بالأضرحة، وتكفير الصحابة، وسب أمهات المؤمنين، والقول بتحريف القرآن والقول بعصمة الأنمة وهي مفردات اتهم بها الشيعة من غير بينة واضحة كما ان العادات المجتمعية التي برزت في مذهب الشيعة لا تخرجهم بالضرورة من امة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وهي بالجملة قضايا ظاهرية وعادات اجتماعية لا يمكن تجريم مرتكبيها والحكم عليهم بالإزالة على طريقة الإبادة الجماعية، فلم يخالف الشيعة أصلا من أصول الدين ولا فرعا من فروعها ليخرجوا بذلك من الإسلام ليستباح دمهم بهذا الشكل المجنون.

وان عرضت صور الجهاد الإسلامي التي ظهرت ايام النبي محمد صلى الله عليه وآله على الصور الجهادية في مخيال الجماعات المتطرفة لوجدنا الانحرافات الكبرى لهذه الجماعات عن فلسفة الجهاد الإسلامي⁶⁵، فلم يخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله يوما الى قوم مسالمين وكان جهاده جهاد دفع⁶⁶ ولم يكن الجيش الإسلامي في حالة التأهب للمبادرة في القتال بقدر تأهبه للمبادرة بالدفاع، ويظهر ان المغذي الفكري لهؤلاء الجماعات في تشكل صور الجهاد المعاصر قائم على احكام ظاهرية موجهة من قبل زعماء التطرف الذين لم يأخذوا من الأصول الدينية الا ظواهرها وحكموا على أصول الدين وفروعه على وفق رؤية ضيقة ابتعدت عن روح الدين الإسلامي الحنيف.

ومن الصور الجهادية التي غذتها الجماعات المتطرفة في اذهان عناصرها تكفير المسلمين بمخالفتهم في فروع الدين، وهو سبب تكوين الصور الجهادية القائمة على إزالة المخالف لهم وعدم الرضا برأيه وان كان في فروع الدين التي نشأت عن خلاف العلماء في مصادر التشريع واصول الفتاوى من قياس وما شاكل، كما احتوت صور الجهاد لديهم شكل الجهاد الاستشهادي⁶⁷، واذا قورنت هذه الصورة مع صورة الجهاد الاستشهادي الحسينية التي اثمرها واقعة الطف الأليمة نجدها متفقة تماما في الشكل لكن دون الجوهر فالجماعات المتطرفة سوقت رمزية الاستشهاد الحسيني ليكون مغذيا للفكر المتطرف في مشروعية الاستشهاد انتحارا، فالهم الفكر الجهادي الانتحاري وغذته بأفكار القتل ببذل النفس والغاية اظهار الحق كما يدعون وإقامة دولة العدل، لكنهم لم ينفثوا الى البعد العقائدي والمصلحة الدينية، التي قضى فيها الامام الحسين نحبه عليه السلام، فالحسين قتل نفسه فقط اضحية لاقامة العدل وتنبيهها لضمير الامة الجمعي بنصرة الحق الى آخر الزمان، وخير أصحابه بالموت لتعظيم صوت الحق برزية إنسانية تخاطب الضمير أولا ثم تخاطب مبادئ الاعتقاد والدين القويم، في حين كان المقاتلون من الجماعات الإرهابية ببذل انفسهم استشهادا ليرتكبوا قتلا غير مبرر في صفوف

المسلحين وغير المسلحين فيقوم المقاتل في الجماعات الإرهابية وبسبب الوعظ والإرشاد الدينى الموجه لنبذ الحياة بكل مفاصلها واستقبال الموت استشهادا بنقدىم نفسه اضحية لخدمة الأفكار التى روح لها المتطرفون وهى أفكار تنبذ عن روح الدين الحنيف فالجهاد فرض للدفع وليس أسلوبا للقتل الممنهج⁶⁸.

ان المبدأ الحسينى فى الاستشهاد فى كربلاء كان صورة خاصة بالخروج عن امامة الفاسق بالثورة وعدم الرضا بولاية الفاسق وفساد دين النبى محمد صلى الله عليه وآله وهى استشهاد موجه الى غرض واحد هو الإصلاح فى أمة النبى بعد الانحرافات الكبرى التى شهدتها الدين من التشويه والتزيف فى أصول الدين وفروعه، فى عهد يزيد، فكان مشروعه الاستشهادى واقعا ضمن جهاد الدفع كما مر عرضه واذا ما اسقطت صورة الجهاد الاستشهادىة الحسينية على مقاتلى الجماعات المتطرفة لوجدنا انها تختلف اختلافا جذريا عن صورة الجهاد الاستشهادى عند الامام الحسين عليه السلام، فالانتحاريون فى ساعة التفجير لا يحملون الا مخيالا فى اذهانهم بالفوز بالجنة بصرف النظر عن صحة العمل الإرهابى الذى يقومون به فى تفجير انفسهم فى الأماكن العامة التى لا تشهد قتالا او تفجير انفسهم فى المحافل المسالمة كالأسواق والمحافل الدينية من غير ملتهم، وكان جهادهم فى هذا المظن هجومى وليس دفاعى، من جهة، وقد فنوا انفسهم فى غير مظان القتال من جهة أخرى، وهى صورة جهادية لم تكن موجودة فى الدين الإسلامى الذى يؤمن بالسلم أولا وبالذعى السلمية والاقناع ثانيا والجهاد الدفعى ثالثا، كما انهم استحضروا صورة القتل للإبادة وليس القتل الموجه للإصلاح.

الخاتمة

ان تحليل الخطاب الجهادى لكشف التبدلات التى حصلت فى صورة الخطاب الجهادى عند المسلمين واعتماد أدوات تحليل الخطاب وتطبيق ذلك على الخطاب الجهادى فى معارك المسلمين الحاسمة والهامة ومنها واقعة الطف الأليمة أوصل الى نتائج عدة نجمها فى الآتى:

- صورة الخطاب الدينى قائمة على تشكيلات مبسطة واحادية التركيب، فى الخطاب القرآنى، ولم يخرج عن صورة الخطاب البسيطة خطاب النبى محمد صلى الله عليه وآله وكانت ومستقرة فى ذهن المجاهدين بصورتها البسيطة طيلة مدة ولاية الخلفاء الثلاثة بعد وفاة النبى محمد صلى الله عليه وآله.
- بسبب حالة الاضطراب التى شهدتها المجتمع بعد وفاة النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم تكونت مقدمات وظروف لتشكل صور جديدة للخطاب الجهادى ظهرت بشكل جلى بعد مقتل عثمان بن عفان بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فى أيام ولاية الامام على عليه السلام.
- شهدت مدة ولاية الامام عليه على السلام تحولا فى صورة الخطاب الجهادى لتتشكل صوراً معقدة ومركبة ومتعددة الجوانب، ليتحول مفهوم الخطاب

- الجهادي وصوره من قتال المؤمنين المشركين الى قتال المؤمنين اقرانهم من المعسكر المخالف.
- اخفت في صور الجهاد من المنظور العلوي الجوانب الاقتصادية من شرط حصول المنتصر غنائم الحرب من الجيش الخاسر، فعمل بمبدأ لا غنيمة من مسلم كما عمل بمبدأ الحرب النظيفة التي تكون حصرا في ميدان القتال مع حاملي السلاح حصرا.
 - كرست صور الجهاد من المنظور الاموي الولاء للفرد والقبيلة بدلا من الولاء للدين والمبدأ، وهو تحول نوعي يمثل تراجعا فكريا الى عادات الجاهلية الأولى، وبالتالي لم يكن المعسكر الاموي يباشر الحرب النظيفة بل يركن دوما الى الحرب العسكرية السياسية التي تقوم على كسب المعركة بصرف النظر عن مبادئ الدين الإسلامي في قواعد الاشتباك والقتال.
 - بقيت صور الجهاد المركبة والمعقدة مستمرة بالاستقرار في بنيتها الفكرية التي كانت متارجحة بين النصر والشهادة وخالية من الجوانب الاقتصادية لحين استشهاد الامام الحسن عليه السلام.
 - تطورت صور الخطاب الجهادي مع استشهاد الحسين عليه السلام وذلك بتبنيه الصورة الجهادية الاستشهادية التي لا تقوم مطلقا على وجود ثنائية التارجح بين النصر والشهادة او الحياة والموت بل كانت قائمة على الاستشهاد قتلا في سبيل اصلاح الدين ليمثل صورة استشهادية فريدة من نوعها مع الإصرار واختيار أسلوب القتل المبرر لنصرة الدين.
 - الثورة الحسينية بتبني الامام الحسين عليه السلام والمستشهدين معه تسبوا بتحويلات في صورة الجهاد الاستشهادي بقتل مبرر للنفس دون الانفات الى ثنائية النصر والشهادة وكان أسلوب دافعا لايقاظ الضمير الجمعي للامة من جهة ومصالحا لانحراف الامة عن دينها بعد تجويز طوائف من المسلمين ولاية البر والفاجر وتشريعها عدم الخروج عن طاعة ولي الامر وان كان فاجرا.
 - اثرت الثورة الحسينية بتشكيل صور معقدة للجهاد الاستشهادي تشمل الفكر والعقيدة والاقتصاد والاجتماع وتبرر الخروج عن حكومة الظلم والجور، مما تسبب ذلك بظهور ثورات تحررية بعد استشهاد الحسين اخذت من صورة الاستشهاد الحسيني المركبة مع لازمة أخرى هي الشعور الجمعي بالعار من موقف اسلافهم نتيجة التقاعس عن نصره الامام المظلوم لتتكون صورا جديدة ذات بعد عاطفي واخلاقي واستشهادي في آن واحد، فظهرت الصور الجهادية التي تشهد مزدوجا بين الطموح للتاسي بالامام الحسين عليه السلام من جهة والوفاء له بالنصرة بعد موته عوضا عن نصره اسلافهم في واقعة الطف الأليمة فتكون الصورة بين الرجاء والاصرار على القتل المبرر.

- تبنت التنظيمات الإرهابية الفكر الحسيني الاستشهادي شكلا ولكن دون الجوهر، فالقتل المبرر للأمام الحسين عليه السلام كان في ميدان الحرب، والتزم بمبادئ الحرب النظيفة على قاعدة الدين الإسلامي الحنيف، اما جماعات الإرهاب فلم تلتزم قواعد الحرب النظيفة ولم يكن قتلهم مجاهديهم بأسلوب الانتحاريين مبررا لأنه كان موجها الى خارج ميادين النزاع المسلح فضلا عن استهدافه المدنيين وحملة السلاح على حد سواء.
- مجاهدي الحشد الشعبي ملتزمون باصول الاستشهاد الحسيني متخذين من الابعاد الحسينية في الثورة والاستشهاد نبزاسا لتقديم انفسهم اضحيات لحفظ الدين والمبدأ ملتزمين بقواعد الحرب النظيفة.
- تنوعت صور الجهاد عند مجاهدي الحشد الشعبي لتشمل صور الجهاد في زمن الامام علي عليه السلام وصور الجهاد في زمن الامام الحسين عليه السلام باجمعها، مع ظهور حالة من الرجاء الجمعي مواساة للامام الحسين عليه السلام من جهة و رغبة في تجاوز خطأ اسلافهم من عدم نصره الحسين عليه السلام من جهة أخرى، تماثلا مع الصور الجهادية التي ظهرت في جيش المختار الثقفي بعد استشهاد الحسين عليه السلام، لتتجسد روح الإخلاص في التضحية بالنفس استشهادا في ميادين القتال دون ارتكاب القتل غير المبرر في صفوف غير المسلحين.

الهوامش:

- 1 إقرأ المزيد على موضوع.كوم: <https://mawdoo3.com>
- 2 الخطاب في نهج البلاغة بنيته وانماطه واسلوبه 11.
- 3 النص والخطاب: من الإشارة إلى الميديا - مقارنة في فلسفة المصطلح (بحث)
- 4 طلبية الطلبة في المصطلحات الفقهية 79.
- 5 أسباب الانحراف في مفهوم الجهاد 9
- 6 أشهر الخطب ومشاهير الخطباء 12.
- 7 تفسير القرطبي 344/5
- 8 تفسير الطبري 182
- 9 الترغيب والترهيب 4 / 136
- 10 ينظر: متطلبات الخطاب الإسلامي لمواجهة الفكر الغربي (بحث) 48.
- 11 <http://www.e-quran.com/kurtoby/images/kurtoby199.htm>
- 12 تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي 12/20
- 14 ينظر: العقل السياسي العربي: 249.
- 15 <https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=236369>
- 16 المنتظم في تاريخ الأمم والملوك 336/4
- 17 فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه 751/2
- 18 المستدرک على الصحيحين 140/3

- 19 البداية والنهاية 632/10
- 20 نهج البلاغة، خطبة رقم 182.
- 21 تحليل-الخطاب-الأدبي-في-نهج-البلاغة-خطبة-الجهاد-نموذجاً (بحث)
- 22 الخطاب في نهج البلاغة 124
- 23 <https://www.sahab.net>
- 24 رسالتان في الامامة العظمى 40
- 25 خطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب 126
- 26 الجوانب السياسية في خطب الخلفاء الراشدين 180.
- 27 اتحاف العباد بحقيقة الجهاد 88
- 28 ينظر: الفتنة، جدلية الدين والسياسة 189
- 29 وعاظ السلاطين 36.
- 30 ينظر: علاقة الأفكار النقدية بالسلطة السياسية 55.
- 31 ينظر: النظريات السياسية الإسلامية 105- 106.
- 32 ينظر: تاريخ الطبري 4: 224 و 225
- 33 نفسه 60/10
- 34 ينظر: المفاهيم التربوية والاخلاقية في النص القرآني 286 (بحث).
- 35 مروج الذهب ج3 / 77
- 36 تفسير القرآن العظيم 97/2
- 37 <http://www.alshirazi.net/news/news/moharram-1432/03.htm>
- 38 ينظر: العدالة في الخطاب الحسيني 5 (بحث)
- 39 مقدمة ابن خلدون 2: 585.
- 40 الصحيح من السيرة النبوية 13/1
- 41 لواعج الأشجان 86
- 42 تاريخ ابن عساكر 215
- 43 نفسه
- 44 ينظر: الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل 100
- 45 ينظر: وعاظ السلاطين 36
- 46 تاريخ الشعر السياسي 268.
- 47 موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام 484
- 48 غياب النزعة القبلية في الثورة الحسينية 36
- 49 بحار الانوار 329/44 - 330
- 50 المفاهيم التربوية والأخلاقية في الخطاب الحسيني 295
- 51 رؤية في ابعاد الملحمة الحسينية (بحث)

54 ثورة الحسين 116

55 نفسه 147

56 قيام المختار بين الحقيقة والتظليل آلاء حامد

<http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=274048&r=0>

57 ينظر: بنو عبس ودورهم السياسي والإداري في العصر الاموي (بحث) 234

58 بحوث في الملل والنحل لأية الله الشيخ جعفر السبحاني 260/7

59 النّقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة 81-93.

60

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/contextualizing-ijihad-and-takfir-in-the-shia-conceptual-framework>

61 قافلة النور 12

62 نفسه 27

63 ينظر: أسباب الانحراف في مفهوم الجهاد 14

64، قال (فلين) إن حلم الزرقاوي بإنشاء "داعش" تحقق: "عندما أنظر إلى ما نواجهه الآن، أرى الزرقاوي في جميع أنحاء هذه المعركة، الزرقاوي هو الأب الروحي للداعش". <https://www.alalam.ir>.

65 ينظر: جدلية التربية الجهادية 32 جهاد ائمة (بحث) .

66 ينظر: مفهوم الجهاد في الخطاب الديني 88.

67 ينظر: أسباب الانحراف في مفهوم الجهاد 15 وما بعدها

المصادر

الكتب المطبوعة:

- ✦ اتحاد العباد بحقيقة الجهاد د. رشيد كوهس دار الكتب العلمية 2010م.
- ✦ أسباب الانحراف في مفهوم الجهاد ووسائل علاجه، ا.د. سليمان بن صالح الغصن، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية.
- ✦ أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، القاهرة 2012م.
- ✦ بحوث في الملل والنحل، آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق، قم - ايران
- ✦ البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف ببيروت 1990م.
- ✦ تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1945م.
- ✦ تاريخ مدينة دمشق (تاريخ دمشق)، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت 571 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ✦ تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة، خطبة الجهاد نموذجاً، أمير فراهني، جامعة تربيت مدرس - جمهورية ايران الإسلامية.
- ✦ الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، ط/ 1 1993م.
- ✦ ثورة الحسين، محمد باقر الحكيم مركز المجمع العالمي لاهل البيت مطبعة ليلي الطبعة/ 2، ايران.

- ✦ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) — تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 2001م.
- ✦ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.
- ✦ الجوانب السياسية في خطب الخلفاء الراشدين، محمود عبد الهادي دسوقي علي، دار الكلمة للنشر والتوزيع ط/1 القاهرة 2011م.
- ✦ خطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ✦ الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، عبد الكاظم محسن الياسري، قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة، ط/1، كربلاء 2009م.
- ✦ الخطاب في نهج البلاغة بنيته ونامطه واسلوبه، د. حسين العمري دار الكتب العلمية 2010.
- ✦ رسالتان في الامامة العظمى وشروط من يقلدها، ابي السعود عبد القادر الفاسي (1091هـ)، تحقيق: هشام بن محمد الحسني، دار الكتب العلمية ط/ 1 لبنان 2012م.
- ✦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات.
- ✦ طلبية الطلبة في المصطلحات الفقهية، أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، نجم الدين النسفي (1311)، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى. بغداد.
- ✦ العقل السياسي العربي الدكتور محمد عابد الجابري، ط/ 4، مركز دراسات الوحدة العربية 2000م.
- ✦ علاقة الأفكار النقدية بالسلطة السياسية حتى القرن الرابع الهجري، أحمد حلمي عبد العليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2014م.
- ✦ الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر: د. هشام جعيط، دار الطليعة-بيروت.
- ✦ فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، محمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط/2، 2003م.
- ✦ لواعج الأشجان في مقتل الامام الحسين عليه السلام، الامام السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار الامير - لبنان.
- ✦ مروج الذهب ابي الحسن بن علي المسعودي (957هـ)، تحقيق: كمال حسن مرعي، لمكتبة العصرية - بيروت.
- ✦ المستدرک علی الصحیحین محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية 2002م.
- ✦ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ): دراسة وتحقيق وتعليق، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للنشر، ط/ 8، مصر - القاهرة 2017م.
- ✦ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ط/ 1، بيروت 1992 م
- ✦ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت 1417هـ.

- ✦ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ محمود شريفّي - سيد حسين زينلي محمود احمديان - سيد محمود مدني، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام - منظمة الاعلام الاسلامي دار المعروف للطباعة والنشر رقم - ايران 1995م
- ✦ النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا - مقارنة في فلسفة المصطلح، عبد الرحمن عبد السلام محمود المركز العربي للأبحاث.
- ✦ النظريات السياسية الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الرئيس، ط/7 مكتبة دار التراث.
- ✦ الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، محمود شريف بسيوني، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، 2003.
- ✦ التّقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة ن مصطفى خضر، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2002م.
- ✦ نهج البلاغة، السيد الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي الشهير بالرّضي، دار الهجرة للنشر - قم.
- ✦ وعاظ السلاطين، د. علي الوردي ط/2، دار كوفان لندن 1995م.

البحوث:

- ✦ بنو عيس ودورهم السياسي والإداري في العصر الأموي (بحث) دنهله عبار لازم، جامعة البصرة مجلة الآداب ع/11 حزيران 2017.
- ✦ جدلية التربية الجهادية جهاد الطلب انموذجا (بحث) ا.د. بدر محمد احمد ملك كلية التربية الأساسية مجلة نقد وتنوير ع/4 آذار 2016 - الكويت.
- ✦ رؤية في ابعاد الملحمة الحسينية عقيل العبود، مجلة النبا العدد 56 نيسان 2001م.
- ✦ قيام المختار بين الحقيقة والتظليل آلاء حامد <http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=274048&r=0>
- ✦ العدالة في الخطاب الحسيني يوتيبيا مجتمع متخيل تحليل سوسيوثقافي، د. طالب عبد الرضا كيطان جامعة القادسية - كلية الآداب 2015م.
- ✦ متطلبات الخطاب الإسلامي لمواجهة الفكر الغربي (بحث) 48، د. علاء الدين عبد الفتاح عبد الحميد أبو العز جامعة النيلين - كلية القانون - السودان.
- ✦ المفاهيم التربوية والاخلاقية في النص القرآني واثرها في الخطاب الحسيني 286 (بحث) ا. د. حكمت عبيد الخفاجي وحيدر فخري التميمي مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل ع 37 سنة 2018
- ✦ مفهوم الجهاد في الخطاب الديني ا.م.د محمد عباس الجبوري جامعة بابل كلية الدراسات القرآنية.

الدوريات:

- ✦ مجلة قافلة النور عدد 6 تشرين الثاني سنة 2017.

المقالات:

- ✦ غياب النزعة القبلية في الثورة الحسينية، الدكتور وليد سعيد البياتي <https://annabaa.org/ashura/1429/054.htm>

روابط الأنترنت:

- <http://www.awu-dam.org>
- <https://www.saffar.org/?act=artc&id=3462>
- <https://mawdoo3.com>
- <https://www.alalam.ir>

<http://www.e-quran.com/kurtoby/images/kurtoby199.htm>

<https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=236369>

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/contextualizing-jihad-and-takfir-in-the-shia-conceptual-framework>

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/contextualizing-jihad-and-takfir-in-the-shia-conceptual-framework>

<https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=50530>

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/contextualizing-jihad-and-takfir-in-the-shia-conceptual-framework>

<http://www.alshirazi.net/news/news/moharram-1432/03.htm>

**الخطاب الديني المعتدل لعميد المنبر الحسيني
أحمد الوائلي
مع توثيق تراثه الفكري والخطابي في البيئة الرقمية**

الدكتور محمد عبود عبد الرسول

قسم المعلومات والمكتبات
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

الخطاب الديني المعتدل لعميد المنبر الحسيني

أحمد الوائلي

مع توثيق تراثه الفكري والخطابي في البيئة الرقمية

الدكتور محمد عبود عبد الرسول

قسم المعلومات والمكتبات
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

مشكلة البحث:

إن الاختلاف الإسلامي بين المذاهب و الملل عبر العصور قد اضررت بوجود و كيان الامة الإسلامية و أفادت الاستعمار بأنواعه للسيطرة على مقدراتها واستلاب هويتها الحضارية، فكانت بحاجة الى خطاب ديني عقلاني ومعتدل يأخذ بها الى طريق الأمان و التقريب بين وجهات النظر بعد استفحال الخطاب الديني المدسوس و المغرض والموجه للتناحر فيما بين أبنائها، فما هو دور الخطيب الوائلي و ما هو تراثه الفكري و الخطابي في البيئة الرقمية.

هدف البحث: التعريف بمنهج وأسلوب الخطيب الشيخ الوائلي في ردم الهوة وتقريب وجهات النظر بين الاخوة من خلال خطابه الوسطي المعتدل والعقلاني وسعيه الى الإقناع المبني على التفسير العلمي واتباع منهج السنه النبوية و ال البيت عليهم السلام في توضيح وتفسير الآيات القرآنية الكريمة و الاحاديث الشريفة، ومع طرح جميع المسائل الخلافية و اراء الاخرين للنقاش وكذلك وجهات النظر في جميع القضايا الفقهية، والوصول إلى الإقناع المبني على العلم والعقل.

كذلك استعراض وتوثيق ما تم بثه من محاضرات صوتية وفديوية وما نشر من مؤلفاته في الفكر الإسلامي ودواوينه الشعرية وعلى مواقع الالكترونية المختلفة في البيئة الرقمية.

أهمية الدراسة: التعرف على دور الخطيب الشيخ الوائلي في تقريب وجهات النظر بين الاخوة في الإسلام والدفاع عن الإسلام المحمدي وال بيته عليهم السلام مع رفع سوء الفهم والاشكالات ي العقائد و الفقه سواء بين المذاهب الإسلامية او مع الأديان او العقائد الأخرى كذلك التعرف بحجم ما تم عرضه من محاضرات صوتية وفديوية وما تم نشره مكتوبا من تراثه الفكري و الادبي على مواقع الانترنت

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث المنهج التحليلي و المسحي للمواقع الالكترونية لتي نشرت تراث الخطيب و لمعرفة سعة ارثه الفكري و ما تم بثه من محاضرات صوتية او فديوية او مكتوبة او ما نشر من تراثه المؤلف في الشعر و القضايا الدينية و الفكرية.

المصطلحات التعريفية:

الخطاب الديني، الوسطية و الاعتدال، المنبر الحسيني ثم الخطابة الحسينية عميد المنبر البيئة الرقمية.

المصطلحات التعريفية

1- الوسطية والاعتدال: (لغويا) بمعنى التوسيط، و هو ان يجعل الشيء في الوسط، اسم لما بين طرفي الشيء، وهو المعتدل، او ما بين الجيد و الرديء و جاء في الصحاح للجوهري "واوسط الشيء، افضله وخياره، واعدله، اي الوقوف في موقف الوسط والاتزان"⁽¹⁾، والآية الكريمة "وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " البقرة/143

2- الوسطية في الخطاب الديني: هو السعي لنشر دين الله عقيدة و شريعة و اخلاق، و معاملات و بذل الوسع في ذلك لتعليم الناس ما ينفعهم في الدارين، و بذل اقصى الجهد والطاقة من اجل خدمة هذا الدين الحنيف امتثالاً لأمر الله تعالى و امر رسوله (ص) (2)

3- المنبر: (لغويا) اسم منبر فاعل من انبرى، او نبر_ الشيء_ نبرا أي رفعه، و نبر في قراءته اي رفعه، و النبرة هي كل مرتفع من الشيء (3)، جمعه مناير و المنبر منصّة، مرقاة يصعد عليها الخطيب من أمام او غيره ليسمعه و يراه الناس فمنبر العدالة: مكان جلوس القاضي، و منبر المسجد: مرقاة متنقلة ذات درجات و هو مكان مرتفع يقف به الامام لألقاء خطبة الجمعة

4- المنبر الحسيني: (الحسيني) نعتي به الامام الحسين عليه السلام شهيد كربلاء يوم عاشوراء عام 61 هج فالياء للنسب الحسيني فالمنبر الحسيني عبارة عن نوع من انواع الخطابة الدينية عند اغلب المسلمين الشيعة، يعرج في نهايتها_ وبأسلوب فني خاص_ على ذكر فاجعة مؤلمة من فجاجع مقتل الامام الحسين عليه السلام او اهل بيته او اصحابه الكرام يوم عاشوراء او ما جرى على عياله بعد مقتله، ايام السبي و لا بد ان يقترن هذا الذكر بأشعار مختارة من الرثاء، سواء كان بالشعر العربي الفصيح، او بالشعر الشعبي العامي الدارج، كما و تتميز هذه الخطبة بمقدمة تقرأ بأسلوب خاص من اللحن الشجي⁽⁴⁾.

5-الخطابة: هي الكلام المنثور المسجع ونحوه [لسان العرب و المنجد] اما علماء المنطق فهي: صناعة علمية يمكن بسببها اقناع الجمهور في امر متوقع حصول التصديق به قدر الامكان، كما عرفها رضا المظفر في كتابه المنطق، و الخطيب عند علماء اللغة هو ناقل الكلام او حسن الخطبة و يتوخى من المخاطبة تهيئة النفوس لقبول ما يريد اقناعهم به

6- الخطابة الحسينية: و هي من مصاديق الخطابة العامة و موضوعها و ان اختلف في مادتها و هو ليس بخارج عن عنوان الكلام و انما كلام يتناسب بالهدف و الذي هو ينصب في اصله على تهيئة الجماهير بالايمان بمضامين تتعلق بواقعة الطف من حيث اسبابها و اهدافها و مفردات الحوادث التي وقعت بها و ما نجم عنها بعد ذلك، الى غير ذلك من البحوث يستهدف حمل الناس على الايمان بمضمونها عن طريق الاقتناع(5).

7- البيئة الرقمية: بيئة من لا بيئة له، لقد اصبح الاستعمار المستمر و المكثف لمجوع الاستخدامات الاليه في انجاز الأنشطة المختلفة للإنسان الذي يبشر بمجتمع بلا ورق مطبوع او مخطوط و يمهّد لقيام المجتمع اللاورقي (المجتمع الرقمي) و الذي هو عبارة عن مجتمع حديث و متطور نجم عن تبني و دخول تقنية المعلومات والاتصال الى الحياة المنزيلة و الى مكان العمل و دخوله في المؤسسات التعليمية، وعلية فالمجتمع الرقمي يتضمن جميع الأنشطة و التدابير

و المكتبة الرقمية (digitl library (d.lib)-: و هي مجموعة من مواد المعلومات الالكترونية او الرقمية المتاحة على خادم المكتبة (server) و يمكن الوصول اليها من خلال شبكة محلية او على المشاع عبرة الشبكة الرقمية

المبحث الأول:

أولاً الخطاب الديني المعاصر و دور الخطباء في رفع شأن المجتمع الإسلامي:

نعني بالخطاب الديني المعاصر هو كل ما يقدمه الدعاة و الفقهاء و الوعاظ و الخطباء الباحثين في قنوات الاعلام الديني، في اعتباره الفهم الصحيح للإسلام كعقيدة و اداب و اخلاق و شريعة، و يمكن تقسيمه الى عدة مستويات

(1) منه الذي يسعى لمواجهة الهجوم الثقافي و الغزو القادم من الغرب بعصر العولمة.

(2) المستوى الاخر، تربوي يحاول بيان تعاليم و اخلاق الاسلام في الحياة و التعايش و العلاقة بين المسلمين مع غيرهم كأفراد، و الذي يتناول الاسلام كأمة و منظومة مترابطة و متكاملة.

3) المستوى الثالث: وهو الذي شغل مساحة واسعة من الاعلام الموجه و المتشدد و المتطرف و هو خطاب الصراع و الكراهية، و التنافس بين المذاهب الاسلامية في محاولة لمصادرة اسم الاسلام داخليا او على المستوى العالمي⁽⁵⁾

- ومن النادر ان تجد مصدر خطابي اسلامي متكامل يقف بوجه الغزو الثقافي الغربي و كذلك بوجه التشدد و التطرف الداخلي، و يعمل على رفع المستوى العلمي و مكافحة الانحطاط الداخلي بكل اوجهه ومستوياته؛ الامر الذي تحاول بعض القنوات و علماء و دعاة محور المقاومة القيام به.

- ان النهوض بالخطاب الديني الاسلامي الى مستوى الطموح، لشريعة تمثل الرحمة و البشري للعالمين، يشكل هاجز العلماء و الدعاة في مواجهة التحديات الداخلية و التاريخية، و لتقديم صورة صحيحة عن الاسلام، و يستطيع مواجهة موجة "الاسلام فوبيا" بسبب الخطاب التكفيرى و الدموي الذي قدمه البعض على مدى عقود من الزمن.

- إن اصلاح الخطاب الديني مهمة شاقة بالتأكيد و لكنها ليست مستحيلة فهناك الكثير من الدعاة و الخطباء تدعو الى الخطاب الاسلامي المعتدل منهم الشهيد الشيخ البوطي التنويري المعتدل و العقلائي في الشام، و منهم الداعية الدكتورة عدنان ابراهيم في المهجر الاوربي، و الشيخ محمد كنعان في لبنان، و الشيخ عبد الحميد كشك، و الشيخ المرحوم الطنطاوي في مصر، و كان شيخنا الجليل الدكتور احمد الوائلي رائد الوحدة الاسلامية و الداعي الى لم الصف الاسلامي و ردم الهوة بين المذاهب، فكان دائما يحذر و ينبه من الغزو الاستعماري الثقافي و بأن المؤامرة تتجه لضرب هؤلاء بهؤلاء.

- و الامة الاسلامية اليوم تعاني من خطاب مستهتر و منحط و يعلوا على الخطاب المعتدل، لامتلاكهم عشرات المواقع و القنوات الاعلامية التي يبتون السموم منها فأصبحوا يهتمشون الاساسيات و الاصول، و اثاره بعض القلائل في قضايا لا يضر الجهل بها و لا ينفع العلم بها، و نصبوا انفسهم اوصياء على الناس و قد قال تعالى " و لا تقفوا بما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل ذلك كان عليك مسؤولا "

ثانيا أهمية الخطاب الديني المعتدل:

- 1) الخطاب ضروري لتبليغ الرسالة
- 2) الخطاب و التبليغ هو سبيل الانبياء و الصالحين لقوله تعالى " قل اني لن يجيرني من الله احد و لن اجد من دونه ملتحدا، الا بلاغا من الله و رسالاته " الجن/22/23

- (3) الخطاب و التبليغ طريق الخلاص للعالم فاليوم يفرض على المسلمين ان ينشروا الخير الذي عندهم و الذي يقدم الحلول الناجحة لمشاكل العالم، مستخدمين في ذلك ادوات العصر و علومه و لغته في مخاطبة الناس
- (4) التبليغ اعظم وظيفة ينال شرفها الخطيب و من وفقه الله تعالى، قال رسول الله (ص) "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس"
- (5) الخطاب الديني هو اساس التبليغ لدين الله تعالى، ويحمل التبليغ و الكلام المنطقي و ابراز المعاني بالألفاظ و الاصوات، وهناك امر هو ابلغ من الخطاب، القدوة الصالحة و الدعوة الى الله، قال تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتتي هي احسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين" النحل/125، و نهى الله تعالى عن مخالفة القول العمل، حيث يقول "يا أيها الذين امنوا لما تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون" الصف/2,3
- (6) الخطاب الديني هو تكليف رباني قال تعالى "يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين" المائدة/57، و امثال لهدى الرسول (ص) "بلغوا عني ولو آية"
- (7) الخطاب الديني ينال صاحبه الاجر و المثوبة

ثالثاً مزايا المنبر الحسيني:

و هو يحتل اعلى مراتب التأثير و التوعية في الناس قياس الى بقية الوسائل و من مزاياه:

- (1) الاسلوب الخطابي في عرض العقائد و الافكار و الآراء، و هذا الاسلوب يمتاز باستعمال سلاح البيان و اداة الكلام، و يعتبر حسن البيان اقوى وسيلة و امضى سلاح للتأثير على النفوس و اقناع الجمهور و تثقيف و توعية المجتمع و رفع مستواهم الفكري و الثقافي، قال تعالى لموسى "اذهب الى فرعون انه طغى، فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر او يخشى" طه/43,44
- (2) ان المنبر الحسيني هو اللسان المعبر عن مبادئ الامام الحسين عليه السلام و المدافع عن مواقفه و اهدافه، من خلال استعراض خلفيات الثورة الحسينية و دوافعها و اهدافها، و يستقرى معطياتها و نتائجها و تداعياتها و يستجدي المواقف البطولية الواعية التي قام بها سيد الشهداء عليه السلام و اهل بيته و انصاره في الدفاع عن الحق و الوقوف في وجه الباطل
- (3) يكلم خطيب المنبر الحسيني الجماهير بصورة حية و يخاطبها بشكل مباشر وجه لوجه و هما يتفاعلان معا و الكلام المباشر له تأثير عظيم في

نفوس المستمعين، اذ تتلاقى بين الخطيب و المستمعين الانفاس و النظرات و القلوب، و قد ثبت بالتجربة ان المستمعين يفضلون الاستماع الى الخطيب مباشرة مع النظر الى وجهه و حركاته

(4) يمتاز المنبر الحسيني بأسلوب خاص، فالخطبة الحسينية تحتوي على مزيج من العلوم و المعارف المتنوعة منها التفسير و الحديث و الفقه و علم الكلام و الاخلاق و التاريخ و الادب و الشعر و القصة النادرة و النكتة الظريفة، كما تشمل على الفكرة و العاطفة و العظة و العبرة (5)*

المبحث الثاني: الوائلي عميد المنبر الحسيني أولا سيرته:

* هو العالم الديني الفقيه و الاديب و الشاعر النجفي احمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي، اشتهرت اسرته بال حرج، موطنه الاصلي الغراف امتازت هذه العائلة العريقة بالأريحية و الشهامة و النخوة و بروز بعض الشخصيات العلمية و الادبية كالشاعر ابراهيم الوائلي و الدكتور فيصل الوائلي و غيرهم:

* ولد شيخنا الدكتور احمد في النجف (17 ربيع الاول 1347هـ / الموافق 1 سبتمبر 1928) من اسرة دينية عرف عنها الورع و التدين و العلم الديني و هو ما مكن الشيخ من العيش في بيئة علمية وادبية حيث النجف ملتقى علوم الارض، و قد كان والده قد ارتقى وخدم المنبر الحسيني بعد ان كان تاجر للحبوب الغذائية، الا انه بعد مصاهرة الشيخ القسام اقدم على العلم الشرعي و خدمة المنبر الحسيني

* درس الوائلي على يد محمد تقي الايرواني و الشيخ محمد رضا المظفر و الشيخ علي كاشف الغطاء و السيد حسين مكي العاملي و السيد محمد تقي الحكيم و الشيخ هادي القرشي و اخرون و ارتقى المنبر وهو بعمر العاشرة

* جمع الدراساتين الحوزوية (المقدمات و السطوح) و الاكاديمية حيث التحق بالكتاتيب مثل بقية اقرانه، وكانت علامات النبوغ و التفوق واضحة عليه ففي السابعة درس و حفظ اجزاء من القران الكريم

* انهى تعليمه النظامي سنة 1962، و حصل على البكالوريوس في اللغة العربية و العلوم الاسلامية، و في هذه الفترة شغل رئاسة منتدى النشر في عقد الستينيات ثم التحق بكلية الفقه التي تخرج منها عام 1969

* حصل على الماجستير من جامعة بغداد (معهد الدراسات العليا) عن رسالته " احكام السجون في الشريعة و القانون، عرضت عليه عمادة كلية الفقه من قبل النظام السابق ولكنه اعتذر بأسلوب مهذب و مقنع

* حصل على شهادة الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عن أطروحته "استغلال الاجير و موقف الاسلام منه" سنة 1972، إضافة الى دبلوم اقتصاد من المعهد العالي في مصر، وليعود للمنبر الحسيني كأول دكتور معمم ليخطب على المنبر

* وصف الدكتور الشيخ احمد الوائلي بعميد المنبر الحسيني وهو اللقب الملازم له حتى على شاهد قبره عندما توفي بمرض عضال في 14 جماد الاول (1424هـ / المصادف 13 يوليو 2003)، حيث دفن الى جانب الصحابي كميل بن زياد

* هاجر من العراق بسبب الظروف السياسية منذ عام 1979 م الى دمشق فأقام فيها 24 سنة، تم تكريمه عدة مرات في الشام و بيروت واخرها في لندن عام 1999م⁽⁹⁾

ثانياً إنجازاته الفكرية في التأليف و محاضراته الخطابية على المنبر الحسيني:

* صاغ منهجا مميزاً للمنبر الحسيني حتى أصبح مدرسة نموذجية لتعليم الخطابة، و قد خلف الخطيب الدكتور احمد الوائلي:

أولاً: أكثر من (2000) الفين محاضرة و خطبة و حوار و ندوة صوتية او فديوية، تحفظ بها المواقع المختصة في البيئة الرقمة (شبكة الانترنت) منها حوالي (500) محاضرة مرئية فديوية و حوالي (500) محاضرة صوتية وهناك (500) محاضرة مكتوبة مع عدد من اللقاءات و الحوارات و الندوات و المواقع و البرقيات و الكلمات المخصصة لمناسبات شتى و قد تم حصرها في مؤسسة الدكتور الشيخ الوائلي / النجف الاشرف

ثانياً: له دواوين شعرية أربعة:

- (1) من شعر الشيخ احمد الوائلي
- (2) الديوان الثاني من شعر الشيخ احمد الوائلي
- (3) ايقاع الفكر في المدح و الرثاء و السياسة والشعر الوجداني
- (4) الشعر الواله في النبي و اله (تنوع ما بين قصائد في مدح الرسول(ص) و آل بيته الكرام عليهم السلام واصحابه الاعلام والتابعين الاجلاء رضي الله عنهم والبقاع المقدسة كالكعبة الغراء والمدينة المنورة وشهداء الاسلام)

ثالثاً: مؤلفاته المنشورة إضافة لرسالتيه الأكاديمية:

- (1) هوية التشيع
- (2) من فقه الجنس في قنواته المذهبية

- 3) جمعيات حماية الحيوان في الشريعة الإسلامية
- 4) الخلفية الحضارية لموقع النجف قبل الإسلام
- 5) تجاربي مع المنبر
- 6) الأدب في عصوره الثلاثة
- 7) منتجع الغيث في الصحابة و الإعلام من بني ليث
- 8) الأوليات في حياة الإمام علي عليه السلام
- 9) مباحث في تفسير القرآن الكريم
- 10) الزيارة المفجعة للسيدة زينب الكبرى عليها السلام
- 11) أحكام السجون بين الشريعة والقانون
- 12) الدفاع عن الحقيقة
- 13) نحو تفسير علمي للقران الكريم

ثالثاً العوامل المؤثرة في صياغة شخصية الوائلي:

يعتبر الشيخ ابرز خطيب حسيني عراقي جسد مصاديق رجل الدين المتحضر، الملتزم في اطار الموضوعية العقلانية بعد ان فعل كل طاقته الروحية و الثقافية و العلمية و السياسية و الاجتماعية في تربية و تهذيب مجتمع ينشد الخير و الصلاح و وئام الوحدة و الحب المتوازن و العاطفة المدروسة امتداد الى الحق بكامل المسؤولية و صدق الوضوح و بعيد عن فوضى التكفير و انغلاق التفكير، و اهم العوامل التي اثرت في شخصية شيخنا:

أولاً: المجتمع الذي عاصره، فقد نشأ في النجف الاشرف في محيطه تربية و تعلم، و النجف من اعرق البيئات الثقافية و الإسلامية قدما، مدينة العلم و الديني المنقطع النظير ثم الادب و الشعر يعنى اهلها بقول الشعر و استماعه و الحديث عنه بالمسائل اليومية كالأكل و الشرب، و لا تسل عن الكتب و المكتبات و الاسر العريقة في العلم و الادب و الشعر و مجالسها الخاصة و العامة فهي بيئة غنية بالفكر و الفقه و الادب و تموج بتياراتها المختلفة

ثانياً: نشأ الوائلي في عقد يعتبر قمة في نضج و سعة المدرسة العلمية النجفية في مختلف ابعاد المعرفة، و كان من عناية الله تعالى بالحوزة ان تتابع جيل من المراجع المحققين و العلماء الكفويين لقيادة الحوزة، و قد ضمت هذه الفترة على تعاقب و اجتماع الميرزا حسن النائيني و السيد ابو الحسن الاصفهاني و السيد محسن الحكيم و الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء، و السيد ابي القاسم الخوئي و الشيخ محمد حسن المظفر و السيد عبد الهادي الشيرازي و السيد حسين الحماصي و السيد محمد التقى ال بحر العلوم و الشيخ محمد رضا ال ياسين و اضرابهم من فحول العلماء و الاعلام

ثالثاً: حفل عصره ايضاً بعدد من الخطباء البارزين منهم الشيخ محمد علي اليعقوبي و الشيخ محمد علي القسام و السيد صالح الحلي، تليهم طبقة نسجت على منوال السابقين من الادباء و الشعراء منهم شيخ الادب محمد جواد الشبيبي و محمد رضا الشبيبي و الشيخ علي الشرقي و الشيخ محمد علي الجواهري و السيد محمد سعيد الحبوبي و الشيخ صالح الجعفري و الدكتور عبر الرزاق محيي الدين، و معظم اهل العلم هم شعراء، و يوجد اعداد كبيرة من المحققين قد تم ذكرهم في الموسوعات المتخصصة

رابعاً: ملكات شخصية انفرد بها الشيخ احمد الوائلي كالاستعداد الفطري لديه و الذي ميزه عن الخطباء الاخرين كالحضور الفكري و سرعة البديهة و اقتناص الشاهد التاريخي و الاسلامي منما اثر في توجهه و حرصه على الانتهال من هذا الغدير الذي يحمل صفات المعلم الثاني بالوجود الامام امير المؤمنين عليه السلام، و من قدس روحانية مرقد السامي الرابض كالأسد على الذكوات البيضاء، و من فيض نفحاته و بركاته ان عايش الوائلي و اقرانه هذه الاجواء الرائعة التي قد لا يجود الدهر بمثلها، و عاصروا و تفاعلوا معها فكراً و عقلاً و روحاً و استطاعوا ان يعطوا في الاوساط العلمية و الاجتماعية

خامساً: حقق الوائلي تفوق في كل صنف من صنفي دراسته الحوزوية و الاكاديمية ففي السابعة من عمره اكمل القران الكريم و لا شك ان ذلك ترك اثره الكبير على شخصيته و ثقافته و توجهاته الاسلامية الاصيلية و ارتقى منبر الخلافة في سن الرابعة عشر حتى صار من اشهر خطباء المنبر الحسيني في العصر الحديث (10)، حيث انشأ مدرسة خطابية جديدة مختلفة عن سابقتها جمعت بين البحث العلمي و الخطابة الحسينية و الشعر الادبي مما استقطب اليه شريحة واسعة من المستمعين على مدى ثلاث اجيال

سادساً: دراساته الاكاديمية و حصوله على درجة الدكتوراه جعلته يفكر بطريقة منهجية و موضوعية بعيدة عن التحيز و الاحكام المسبقة

سابعاً: اطلعه الواسع على مؤلفات كبار اهل السنة في السيرة و التاريخ و الحديث، و تفاسيرهم المشهورة للقران الكريم مثل تفسير القرطبي و الرازي الذين كانا يستشهد بهما كثيراً في محاضراته

ثامناً: اطلعه على الافكار و الفلسفات الغربية و العلمانية و الاشتراكية و الشيوعية؛ الامر الذي مكنه من عقد مقارنات موفقة بينها و بين الفكر الاسلامي او الاحكام و المفاهيم الاسلامية، و متابع جيد لأخر النظريات العلمية و خاصة في مجالات الطب و الكيمياء و الفيزياء و الفلك و

المخترعات و الاكتشافات العلمية حيث كان يوظف هذه المعلومات في محاضراته.

تاسعاً: كان الوائلي شاعراً مفوهاً مقتدراً، وكثيراً ما ينشد من اشعاره في محاضراته من دواوينه الشعرية

عاشراً: من خلال دراسته للعلوم الاسلامية في الحوزة الدينية في النجف الاشرف فقد اكتسب عمق و معرفة كبيرة بالفقه و الاصول و البلاغة و السيرة و التاريخ و التفسير و الحديث، فهو لم يدخل هذا المدخل اعتماد على الحفظ و الصوت و اللياقة بل حاز نصيباً كبيراً من العلوم الدينية طورت قدرته على التحليل و المقارنة و الاستدلال مثل اي فقيه اخر، كما ان دراسته للتاريخ وسع من رؤيته التي انفتحت على كل المشهد الاسلامي بتاريخه الذي يمتد خمسة عشر قرناً.

خامساً دوره في لم شمل الامة و التقريب بين المذاهب

- كان الوائلي رحمه الله له العديد من المواقف المعتدلة فيما يتعلق بالخلاف السني الشيعي، و سب الصحابة معتبراً دائماً ان الخلافات الاسلامية تفيد الاستعمار و تهدد وجود الامة، كان من الداعمين لجهود التقريب بين المذاهب الاسلامية و قوله (((الفروق الموجودة بين المذاهب الاسلامية ككل ومنه ما بين الشيعة و السنة فروق ناتجة لأسباب منها

1) الفهم الخاطيء للأدلة العقائدية التي تتعلق بالإمامة التي تلي النبوة مباشرة، و هل تكون الإمامة بالانتخاب و يقال "ان رسول الله لم يستخلف احد و ترك الامر للمسلمين، و المسلمون التجأوا الى منهج الشورى، او ان القرآن الكريم له منهج و السنة النبوية الشريفة لها منهج في اختيار الامام بعد الرسول، فأهل السنة يذهبون الى ان النبي انتقل الى جوار ربه و لم يرشح احد و استدلوا بأيتين "شاوورهم بالأمر"، "وامرهم شورى بينهم" أما راي الامامية فالخلافة بالنص و بالجعل و هو رأي الشيعة ويستدلون بأيات كثيرة منها:

"اني جاعلك للناس اماماً"، "يا داوود انا جعلناك خليفة بالأرض"، "انما وليكم الله و رسوله و الذين امنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون" المائدة/55

2) العوامل السياسية و الطبقية و خلفيات اخرى فتضخمت الخلافات

3) والسبب الثالث المناهج في الفقه و العقائد عند الفريقين (((

ورأي الوائلي " (اما من يكفر السنة من اهل الشيعة هو جاهل " و يقول " هذا الشيعي جاهل و لا يعقل شيء من الدين فمن ينطق بالشهادتين فهو مسلم و الذي يكفر مسلم فهو كافر " و يرفض شتم الصحابة و كان يترضى عن الخلفاء

رأى ان الشتم والسب لم يكن موجودا حتى خلافة معاوية، و لكن سب معاوية الامام علي رد الشيعة بسب الصحابة و جاء الامويون و اخذوا يشتمون علي على المنابر ثمانين سنة تولدت بعض ردود الفعل عند البعض فشتموا الصحابة"

فكان الوائلي مع التقريب بين السنة والشيعة و يرى ان استمرار الخلاف هو يفيد اعداء الامة الاسلامية و خاصة المستعمرين فقال " (ان المستفيد من هذه الخلافات قطعا الاستعمار و هو الذي يغذيه، لأنه ليس من المعقول ان يستمر الخلاف بين السنة و الشيعة _ "ان الامام علي تقاتل مع معاوية" _ و انما هناك مصالح عند البعض و لا يريد ان يتخلى عنها فهو يؤجج الفرقة و الخلاف حتى يضمن مصالحه)"، وكان في معظم محاضراته داعية الى للاعتدال و الوسطية و يقول " اتبعوا مذهبكم و عقيدتكم بوعي و علم لا مجرد بكاء"

- وكان رحمه الله منفتح على جميع الثقافات و داعيا الى نبذ الاختلاف المذهبي و الطائفي و داعم بقوة لحوار الحضارات و لحريات الرأي و الفكر و الثقافة و المعتقد، وقد كان على حق عندما قال عن المسلمين: "انهم امة لا تفقه جيدا في اصول الاسلام الحقيقي و الجوهري، و لا تبصر معايير الايمان، و لا تلتزم بما اوحت اليه الشعائر الربانية و الوصاية النبوية من امور التجانس و التألف و التعايش المشترك و صنوف التقوى، و لا ترحم بعضها بعضا، و لا تقدر صرف الاخر، و لا تخشى من حسابات الخالق يوم القيامة"

- و عن المفارقة بين الغرب الكافر المنعم و العالم الاسلامي و ما يعيشه من حياة الجحيم من الفقر و الحروب و الاستعباد، حيث قال: ان الله لا يظلم احد من عباده اجمعين بسبب شكرهم او معصيتهم او امره، و لكن بسبب اعمالهم و افعالهم الخاطئة و الفاحشة، هم يظلمون انفسهم و ضرب مثلا جماعة شعيب الذين خالفوا ما امرهم به ربهم و قال "ان الله لم يهلكهم بشركهم، ولكنه سبحانه و تعالى حاسبهم و اهلكهم عندما بخسوا المكبال و الميزان و عاقبهم على ارتكابهم ذلك الجرم و ان جماعة لوط لم يهلكهم بسبب كفرهم بل بسبب انحرافهم الخلفي و شذوذهم لأن هذا الكافر لا يزيد و لا ينقص عندما يكفر (11)

- وما يعني في الغرب هو حقيقة الديمقراطية و الحرية و حقوق الانسان في معانيها الشمولية و الحقيقية و الجوهريّة، و دورها الحضاري الملهم على المستوى العالمي، فيما يظل العالم الاسلامي و الحال هكذا يأن تحت وطأة المنازعات الطائفية و المذهبية، و اسير الاعراف و المفاهيم و التقاليد و القيم الاخلاقية البالية التي فضل التمسك بها منذ ما يقارب 1400 سنة من بزوغ فجر الاسلام و حتى الفترة التاريخية الحالية و التي ربما يظل يختارها دائما لتكون ريان مسيرته القادمة في عصر الانفتاح و التسامح و التعاون و الاخوة و التجرد و التقدم (12)

المبحث الثالث: أشهر المواقع الإلكترونية للمؤسسات و مراكز المعلومات التي وثقت التراث الفكري والخطابي للشيخ الوائلي في البيئة الرقمية

أولاً: موقع مؤسسة الشيخ احمد الوائلي / النجف الاشرف: من اهم الاعمال التي قامت بها هذه المؤسسة كرد الجميل و العرفان للمرحوم الوائلي و بأشراف ابنائه و اسباطه و ورثته هي

- 1) سيرة موجزة لحياته باللغة العربية والكرديّة والانكليزية و الفارسية
- 2) الاثار الكاملة للشيخ الوائلي من خطبه (السمعية والبصرية)، و مؤلفاته و مخطوطاته و مقالاته و لقاءاته و وثائقه
- 3) الدليل المصور ل حياة الشيخ الوائلي لأكثر من 500 صورة
- 4) الادوار و المواقف السياسية للشيخ الوائلي (الحقبة الملكية الاولى والثانية/القاسمية / العارفية الاولى والثانية /البكرية / الصدامية)
- 5) اغتراب الشيخ الوائلي شواهد وجدانية (1979-2003)
- 6) المجموعة الشعرية الكاملة للشيخ الوائلي محققة و مصنفة
- 7) موسوعة الباحث المنبرية الوائلية اربعين مجلد بمحاضراته
- 8) الملامح العامة للشيخ الوائلي كاتب و باحث و مؤلف
- 9) الابحاث العلمية و الاكاديمية في فكر الشيخ الوائلي
- 10) موسوعة المنبر العميد في اثار و فكر الشيخ الوائلي
- 11) مشاريع تخليد الشيخ الوائلي و ارثه الفكري
- 12) مؤسسة الشيخ الوائلي المبادئ و الخطوات
- 13) الاشراف على موقع صوت الشيعة shivoice.com العمل و المشاركة و متابعة نشاط الموقع و التي وثقت فيه:

_ 25محاضرة في دروس التفسير

_ 12 محاضرة اسئلة واجوبة

_ 338مقاطع متنوعة مختارة من خطبه

_ 10 مقاطع مرآثي حسينية (نعي)

_ 26 محاضرة قديمة

_ 1383 محاضرة من العام (1979/1399 - لغاية 1421هـ/2001م)

_ 1894 محاضرة ومقطع صوتي Mb3 او فديوي

ثانياً: مكتبة نرجس / كتب الشيخ الوائلي، تم نشرها على موقعها في البيئة الإلكترونية BDF كالاتي:

- 1) كتاب روائع محاضرات الوائلي. منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات. 555ص
- 2) ديوان الشعر الواله في النبي و اله
- 3) سيرة اهل البيت مع محاضرات الشيخ الوائلي
- 4) الديوان الاول في شعر الشيخ الوائلي
- 5) نحو تفسير علمي للقران
- 6) تجاربي مع المنبر
- 7) المجالس الحسينية لخدام العترة النبوية الدكتور احمد الوائلي
- 8) دفاع عن الحقيقة
- 9) من فقه الجنس في فنوائه المذهبية
- 10) هوية التشيع

11) محاضرات الشيخ الوائلي: مكتوبة / اشراف مصطفى الشيخ عبد الحميد ال مرهون: مؤسسة ام القرى للتحقيق و النشر؛ منشورات شركة دار المصطفى لاحياء التراث. ط1، في خمسة عشر (15) جزء. مجموع المحاضرات المكتوبة لكل الأجزاء 245 محاضرة

ثالثا: منتديات انا شيعي العالمية / قناة المجموعة الشيعية للأعلام على اليوتيوب وفيها كل محاضرات الدكتور الوائلي في 15 ملف مضغوط و حسب الاعوام من عام 1401_1422ه، مع محاضرات متفرقة في خمسة مجاميع فيكون مجموعها 413 محاضرة، اضافة الى ملف لمجموعة كتبه مع مقاطع شعرية منتخبة و غيرها

رابعا: محاضرات الدكتور احمد الوائلي على الموقع

[Mp3/https://www.abedwap2.com](https://www.abedwap2.com)

وفيه 150 محاضرة صوتية

خامسا: شبكة الشيعة العالمية / المكتبة الصوتية و المرئية / محاضرات سماحة الشيخ احمد الوائلي قدس سره و عددها 40 محاضرة

سادسا: المنبر الفاطمي / المحاضرات الاسلامية / عميد المنبر الشيخ الوائلي و يضم هذا الموقع 149 محاضرة فديوية

سابعا: محاضرات الدكتور احمد الوائلي: Unknow on apple podcasts:

ويحتوي هذا الموقع على 150 محاضرة صوتية
ثامنا: موقع المكتبة الحسينية / المكتبة الصوتية / الخطيب الدكتور احمد الوائلي.
 سلسلة محاضرات توزعت كالآتي

السنة	عدد المحاضرات
1399هـ	47
1400هـ	45
1401هـ	48
1402هـ	50
1403هـ	44
1405هـ	25
1408هـ	20
1409هـ	20
1417هـ	34
1422هـ	88

المجموع: 323 محاضرة

تاسعا: مجموعة قنوات كربلاء المكتبة الرقمية محاضرات الشيخ الدكتور الوائلي
 (85 محاضرة فديوية)

عاشرا: صوتيات درر العراق / الدكتور احمد الوائلي، 59 محاضرة

احد عشر: موقع العتبة الكاظمية المقدسة / المكتبة الصوتية الدكتور احمد
 الوائلي، (89 محاضرة)

اثنا عشر: موقع المكتبة الحيدرية / المحاضرات الصوتية / محاضرات الشيخ
 احمد الوائلي 59 محاضرة

الثالث عشرة: محاضرات الدكتور احمد الوائلي على الموقع

Lyssna har {pod toppen, sep}

ويحتوي على 150 محاضرة mb3

الرابع عشر: موقع عميد المنبر الحسيني / محاضرات الدكتور احمد الوائلي على الفيسبوك و هو متجدد و يحدث يوميا

المبحث الرابع: النتائج والتوصيات نتائج الدراسة

اولا: يعتبر الخطيب الشيخ الدكتور احمد الوائلي من ابرز الدعاة الى الخطاب المعتدل الوسطي و تتكرر دعوته في محاضراته الى لم شمل الامة و التي اصابها الوهن و الاستعباد من المستعمر نتيجة التناحر و التشرذم الطائفي و المذهبي، فكانت خطبه العقلانية المستندة الى تراث الامة العريقة و ماضيها الخالد، و موظفا ثقافته الواسعة في العلوم الحديثة و منهجه الاكاديمي لأقناع جمهوره المستمع و المنصت الى محاضراته ليس فقط الى من انتسب الى مذهب الامامية بل لجمهور الامة الاسلامية و العالم كافة

ثانيا: ان اكتساب معارفه في العلوم الحوزوية و حصوله على درجة الدكتوراه ذات المنهجية الاكاديمية اضافة الى ملكته الشعرية و استعداده الفطري لاستحضار الحدث و توظيفه و سرعة ذاكرته؛ اهلهته بأن يتبوا عمادة المنبر الحسيني عن جدارة مما جعله اكثر انتاجية من حيث المحاضرات الخطابية و التأليف و بقيت اثره خالدة متوقدة تضيء طريق الاجيال من خلال البيئة الالكترونية

ثالثا: تنوعت الفديوات المنوعة على المواقع، في البيئة الالكترونية لمحاضرات الشيخ الوائلي، سواء الفديوية او الصوتية اضافة الى اللقاءات الصحفية و المناظرات و الندوات وغيرها، لتصل الى حوالي 2000 مقطع وبالضبط 1894 كما وثقتها مؤسسة الشيخ الوائلي

__ وقد احصى الباحث (318) محاضرة متكاملة القاها الخطيب الوائلي في شتى الموضوعات، كانت عدد المحاضرات حول واقعة الطف و رموز شخصياتها؛ ستة وخمسون (56) محاضرة.

رابعا: اشتركت خمسة عشرة مؤسسة ثقافية و مكتبة و مركز اعلامي من خلال مواقعها الالكترونية بتوثيق اعمال الدكتور الشيخ احمد الوائلي سواء ما افه من كتب او محاضرات مكتوبة (عن طريق ملفات PDF) و دواوين شعرية ومحاضرات صوتية و لقاءات فديوية، كان اكثرها انتاجية المؤسسات الاتية:

1) مؤسسة الشيخ الدكتور احمد الوائلي حيث اهتمت بتوثيق كل تراثه المنشور و المخطوط و المحاضرات الصوتية والفديوية و الافلام الوثائقية و الاستوديوهات الصورية و ما كتب عن الخطيب الوائلي و المؤتمرات التي خلدته

(2) مكتبة نرجس حيث نشرت جميع مؤلفات الشيخ الوائلي و محاضراته (مكتوبة) و البالغة اثنا عشر عنوان من الكتب مع سلسلة محاضرات مكتوبة في خمسة عشر جزء

(3) مكتبة العتبة الحسينية و من خلال المكتبة الصوتية و الفيديوية تم توثيق 223 محاضرة حسب ترتيبها الزمني لغاية 1422هـ

• * تم افتتاحه عام 2009 ووصل عدد دوراته 15 دروة تخريج خطباء المنبر الحسيني

خامسا: كثرة القنوات الفيديوية على اليوتيوب سواء لمؤسسات ثقافية او مراكز اعلامية او من الافراد، و التي تعرض محاضرات الشيخ الوائلي او مختارات و مقاطع محددة من خطبة، و قد احصى الباحث 19 تسعة عشر منها.

التوصيات:

(1) الكثير من خطباء المنبر الحسيني دون مستوى الطموح من حيث: الملكات الذاتية، مستوى التحصيل العلمي، الذوق الادبي، و قوة الحافظة، و اقتناص الامثلة و الشواهد المؤثرة و الحضور الذهني و الخزين المعرفي و القدرة على التمييز بين الخبر الصحيح و غيره و تقييم مستوى الحضور في المجلس و الوضوح في التلفظ و الصحة في اللغة و النحو واخيرا الصوت الشجي الذي يثير العواطف و يدر الدموع؛ ونحن اليوم بحاجة الى مدرسة الوائلي الخطابية ومنهجه في ادارة المنبر الحسيني و من خلال معهد الشيخ الوائلي في للخطابة(*) في النجف او معهد الخطابة الحسينية في كربلاء للتأكيد على هذه الصفات للخطيب الجيد

(2) ان اساس تطوير المنبر الحسيني _ كما ذكره الشيخ الوائلي رحمه الله _ تهدف الى امرين الاول يخص الخطيب نفسه فلا بد من بناء شخصيته وفق منظور حضاري و تزويده بمختلف العلوم و المعارف الانسانية و اطلاعه على التيارات الفكرية و على جانب من الثقافة العامة في العلوم الصرفة و امكانية معرفته بلغة اخرى، و الامر الثاني تهذيب محتوى المجلس الحسيني مما الصق به من هنات و مبالغات، و اخرى روايات ضعيفة و عبارات لا تخدم العقيدة، فينبغي ان يكون المنبر معبر عن اهداف الحسين و وسيلة لها فاليوم المنبر الحسيني بحاجة الى الخطاب المعتدل الوسطي الذي يوحد الامة و يتجاوز عن منغصات الماضي و الاهتمام بالأصول بدلا من التركيز على الفروع، مخاطب العلم كله لأعلاء شأن الاسلام من خلال القضية الحسينية و فاء لجهود المرحوم الشيخ الوائلي في خدمة المنبر الحسيني و ان يعي هذا الخطيب بمشاكل مجتمعه و يسعى لعلاجها و وضع الحلول الناجحة لها(14)

- (3) حبذا لو تطبع محاضراته الصوتية حسب المواضيع كسلسلة موضوعية
مثلا: محاضرات حول واقعة الطف وجزء حول الامام علي(ع) و جزء عن
الامام السجاد عليه السلام و جزء عن الاقتصاد الاسلامي و اخر عن المرأة
المسلمة وهكذا، و يمكن ان تتبناه احد مؤسسات الوقف الشيعي، او مؤسسه
الشيخ احمد الوائلي
- (4) ان يتم دعم مؤسسة الشيخ احمد الوائلي ماليا و معنويا و اعلاميا و تشجيعها
على توثيق جميع تراث الشيخ الوائلي الصوتي و الفديوي والمنشور من
الكتب و جمع الدراسات الاكاديمية والمؤتمرات و الندوات التي تقام حول
تراث فكر الوائلي ومن ثم نشرها على موقعها الالكتروني لتكون مركز
معلومات موحد يوثق جميع الدراسات و المؤتمرات التي تتناول فكر الوائلي
و تجربته الخطابية.

ملحق

محاضرات الشيخ احمد الوائلي حول واقعة الطف و رموزها

- (1) ابعاد عاشوراء
- (2) عاشوراء تجسد الحق والباطل
- (3) الجهاد في سبيل الحق
- (4) حق القربى
- (5) اضواء على حياة الامام السجاد(ع)
- (6) نهضة الامام السجاد(ع)
- (7) الدم حرمة مقدسة
- (8) المجاهدون في سبيل الله
- (9) المرأة واقعة الطف
- (10) ملامح من عصر السجاد(ع)
- (11) مقومات القائد
- (12) جوانب من حياة السجاد(ع)
- (13) صوت الحسين(ع)
- (14) الشهيد
- (15) محرم و الارتباط الفكري و العاطفي
- (16) ابعاد من عبادة الامام زين العابدين(ع)
- (17) واقعة الطف مواساة للنبي (ص)
- (18) علي الاكبر(ع) وخلق النبي (ص)
- (19) الحقائق تجلت في واقعة الطف
- (20) تضحية الفرد دوام للمجتمع
- (21) الشعر و اثره في واقعة الطف

- 22) المصلحة في تأخير عقاب الظالم
- 23) لمحة من حياة الامام السجاد عليه السلام
- 24) مواساة السجاد(ع) لألم النبوة
- 25) ذكريات محرم
- 26) الجهاد و المقومات الخمسة
- 27) خروج الحسين عليه السلام لحفظ الدين
- 28) الحسين عليه السلام فداء للكعبة
- 29) من القاب الامام السجاد عليه السلام
- 30) جوانب من شخصية الامام السجاد(ع)
- 31) اهل البيت (ع)
- 32) المقربون عند الله
- 33) الشفاعة
- 34) يوم الطف يوم الاعتزاز و الولاء
- 35) جهاد المرأة
- 36) تاريخ الكوفة
- 37) دور الدمعة في واقعة الطف
- 38) ارتباط محرم بليالي الطف
- 39) التاريخ و مكانة اهل البيت(ع)
- 40) و لا تفسدوا في الارض
- 41) ملامح واقعة الطف
- 42) مبادئ العباس(ع) يوم الطف
- 43) الملامح العامة لشخصية مسلم بن عقيل(ع)
- 44) اسباب خروج عمر بن سعد على الحسين(ع)
- 45) اسباب حدوث واقعة الطف
- 46) اهداف الثورة الحسينية
- 47) توظيف واقعة الطف كحدث اسلامي و تاريخي
- 48) الامام السجاد عليه السلام و امتزاج الثقافات
- 49) مداخل اللذة و الالم في الدنيا
- 50) نهضة الحسين عليه السلام رسالة و عطاء
- 51) العباس(ع) يوم الطف
- 52) دراسة في شخصية مسلم بن عقيل(ع)
- 53) المواقف و تأثير الدم / العقيدة / الخلق
- 54) الادب العربي و دوره في تعميق احداث واقعة الطف

(55) محرم رمز الكرامة

(56) عظمة الحسين عليه السلام

المصادر

بعض المصادر المعتمدة:

- 1- قاموس الصحاح / للجوهري، إسماعيل بن حماد،- ج2 ص821
- 2- الوسطية في الخطاب الديني واثره على المجتمع / د. عبد السلام محمود غالب / شبكة الاكوكة / افاق الشريعة. نشر في 2013/7/11.
- 3- قاموس لسان العرب / ابن منصور، مادة نبره،- ج5 ص109
- 4- تجاربي مع المنبر / فضيلة الشيخ احمد الوائلي،- ص21،- على موقع مكتبة نرجس: pdf
- 5- منبر الحسين نشوؤه و حاضره و افاق المستقبل.-ص29 (pdf) على الموقع files,books,arabiec,bayynat.org.
- 6- اصلاح الخطاب الديني وتطويره / د. احمد ياسين الغزالة / موقع الغد الأردني نشر في 2018/3/2.
- 7- الوسطية في الخطاب الديني واثره على المجتمع / مصدر سابق
- 8- المنبر الحسيني و مزاياها على موقع مؤسسه المعارف
- 9- انظر السيرة الذاتية على موقع مؤسسه الشيخ احمد الوائلي
- 10- سيرة عميد المنبر الحسيني الشيخ الوائلي / محمد سعيد الطريحي.- مجلة الموسم عدد 2,3
- 11- نفس المصدر أعلاه
- 12- محاضرة الشيخ الوائلي عن الغرب
- 13- عصنة الخطاب الديني بين تسارع إيقاع التطور وتحديات استلاب الحال / نايف عايوش شبكة الالوكة نشر في 2017/10/2.
- 14- تجاربي مع المنبر / مصدر سابق
15. سلسلة محاضرات مكتوبة و منشورة على الانترنت

أساللب القوة الناعمة فى الخطاب الحسنى الجانب الإنسانى أنموذجاً

م.م. صلاح عوده عبد الأمىر الدعمى

ترىبة كربلاء - قسم الهندىة

ملخص البحث

يُعدّ مصطلح القوة الناعمة من المصطلحات الحديثة والتي يمكن أن تنطبق على مصاديق كثيرة، فهو بحسب التنظير الأولي أريد به مفهوماً سياسياً بحتاً وعلى وفق الروية السلبية يمكن استعمال أي أسلوب من شأنه التأثير في الآخرين وأقناعهم، إلا أن هذا المفهوم يمكن أن يكون أحد مفاهيم التنمية البشرية بالمعنى الإيجابية التي يكون هدفها هداية الناس وإصلاح أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من جوانب الحياة، فإن الإسلام نظر كثيراً لتلك الوسائل في آيات وأحاديث شريف.

وقد تميز مذهب الإمامية بوجود وسائل وأدوات يمكنها التأثير في الآخرين، وأقناعهم، وهذه التأثير يمثل الجانب الإيجابي للقوة الناعمة؛ كونها تحقق منفعة لجميع الناس وليس لجماعة على حساب جماعة.

ومن تلك الوسائل الخطاب الحسيني؛ لما يحظى به من قاعدة جماهيرية واسعة، وإمكانية أقامته في أي وقت وأي مكان، ويمكن التطرق من خلاله لموضوعات شتى، فتعددت عطاءاته بتعدد الموضوعات التي يطرحها.

وجاء البحث الموسوم (القوى القوة الناعمة في الخطاب الحسيني الجانب الإنساني نموذجاً) ليبحث في أهم أدوات القوة الناعمة والتي لها تأثير كبير على الساحة الإسلامية.

واقترضت طبيعة البحث أن يقسم على مبحثين:

الأول مبحث تنظيري: تناول التعريف بمفهوم القوة الناعمة ومميزاتها.

والمبحث الثاني: تناول كيف كان الخطاب الحسيني وطرقه في الجانب الإنساني.

هذا وقد بذلنا جهداً من أجل أن يكون البحث بالشكل المقبول، فإن وفقنا لذلك فالحمد لله أولاً وآخراً، وإن لم يكن كذلك فنلتمسكم العذر ونسأل الله العفو عن كل خطأ وزلل.

أساليب القوة الناعمة في الخطاب الحسيني الجانب الإنساني أنموذجاً

م.م. صلاح عوده عبد الأمير الدعيمي

تربية كربلاء - قسم الهندية

مقدمة:

بسم الله الذي علّم بالقلم، والحمد لله الذي جعل القرآن هدياً وسراجاً منيراً، وصلى الله على المحمود الأحمد المبيّن لنصوص الوحي، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وعلى صحبه النجباء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ما فتئت حياة أهل البيت عليهم السلام تتمرد على النضوج في خدمة الإنسانية؛ كلما اطعمتها من وفير وجودها حتى رعتها إلى ضمان سعادتها، وهي ما بين الأمرين ترصد حركتها لتلاحظ مديات الالتزام التي توصل الأمة إلى عوالي الإنسانية، أو أخفاقات النفس في تركها محيط الالتزام فتوصلها إلى صيغ إقصائية عن الإنسانية التي أرادها الله لإستخلافه.

فتنوعت مناهجهم عليهم السلام وطرق الوصول إلى اغراضهم بتنوع النفس البشرية، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة، حرصاً منهم على تحقيق اعلى المحصلات في صناعة الإنسان الكامل، وقد نحى كل إمام بمنهجية راعت في برنامجها مقتضى الحال من المتلقي، والمحيط المأزوم، والعامل السياسي شدة وضعفاً، وقابلية الآخر والبيئة الاجتماعية والثقافية، مع لحاظ الضغط الخارجي السياسي والنفسي، والاقتصادي من جانب، وبين الدافع الذاتي وميولاتهم، والحقيقة المخبوءة بين النفس والعقل والواقع من جانب آخر، كل ذلك والهدف واحد غير ان طريق الوصول اليه متعدد، وسبل تحقيقه متنوعه بين الصمت، والكلمة، والموقف، والإمام الحسين عليه السلام واحد من ألمع القادة الإلهيين، اجتمعت فيه سماوات النبوة وهالات الإمامة و اكتواءات الزهراء عليها السلام ولظى أخيه الحسن عليه السلام، فحيك بين هذا وذاك خليطاً إلهياً عجيبياً، من العاطفة الرحيمة والعقل القائد الفذ، وبين الحكمة الرسالية المعصومة التي توازن بين الأمور وتعطي الحلول لتساؤلاتها، رغم ان المجتمع اقل ما يكون بدائي عن عقلية المعصوم، ومشروعه العظيم؛ لكنه تعاطى وفق ما يؤثر فيه، ويستنتب فيه جوهر الحقيقة التي غرض اليها عليه السلام، ويحصنه من التبعثر بسبب الانحراف الذي الفت بجراه الأستقرابية القرشية في الوجود الإسلامي، واستثمره الفكر الأموي، فقدم للأمة مفهوم جديد للتعاطي مع الانحراف، وتأسيس مبادئ الإصلاح وفق

وضعية اجتماعية و سياسية و فكرية مبتكرة، لم تتحملها اذهانهم ولم تعدها ثقافتهم؛ لهذا تعاملوا معه بكثير من التساهل جهلاً منهم بحقيقته، فتراه الى تنوع منهجيته، من الفكرية إلى العاطفية؛ لأنها تتناغم وطبيعة الفطرة الإنسانية، وإن منهج الإمام عليه السلام كان علاجياً لمفهوم الظاهرة المنحرفة أي أصل حقيقتها؛ لكنه تعامل مع الفرد باعتباره حاملاً لتلك الظاهرة او الحالة، وتمثيل الفرد للظاهرة كان لأسباب ضعف العقيدة، او النفس، او الأغواء بالدنيا وحبها او للتضليل والاعلام المضلل، او لقهر السلطه، او المفاهيم المغلوطة او غيرها من الأسباب فاتجة الامام عليه السلام الى المساحة المشوهة في العقل المنحرف، ليقف على مركز الانحراف وهيمنته على العقل ومن ثم ما اذ يعالج التشوه حتى تخبو سلطة الانحراف في العقل، وتتغلب قوى الخير العاقلة فتندحر قوى الوهم، ولما كان الغير متنوع كالمعادن في امكانياته، وفكرة، وسبب الانحراف اقتضت هذه العقبة على الإمام عليه السلام التنوع في أساليب العلاج والطرح كل حسب، ولكنه عليه السلام وحد الأساليب بأطار قرآني عام، فكانت الدعوات تنطلق في منهج الإمام عليه السلام اعتماداً على الكلمة الطيبة والقول الحسن قال تعالى: Π ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ O النحل (125)، ثم التحول إلى معيارية خصوصيات الآخر بميزان الإنسانية ووجوده الكلي بين الأفراد والتذكير بموقعيته وحقيقته، وهذا المنهج هو المنهج الذي تبعة الرسول صل الله عليه وآله وسلم حيث أظهر مهارات عالية في عملية الدعوة الإسلامية مع الآخر المختلف والمؤتلف، فنعكس على ذريته كنموذج عالي يقتدى به في إنجاح مشروعه الداعي الإصلاحى، فكان الإمام الحسين عليه السلام يرهاناً شاخصاً على تطبيق المنهج النبوي المرتكز إلى أسس النص القرآني، ومنهج الإمام عليه السلام في تلك المرحلة الحساسة سهلت الطريق أمام الأئمة الآخرين عليهم السلام في مهامهم الإصلاحية مع الامة، وجعلت حوار وإقناع الآخر يسير بموثوقية عالية، تستوعب الآخر على أسس دائمية لا تختل لطروء الشبهة او المغالطة، واهداها مناطات معيارية اكثر دافعية لمهمات تحقيق الغاية، وان ختنتت تلك المعيارية جراء تعسف السياسة وقهرية طرقها مما أدى إلى ضمور الحركة بعض الشى، وتحولها إلى الأساليب المخاتلة، وتنوعت الطرق مع بقاء الهدف هو بعينه وحصول النتيجة نفسها ان لم تكن افضل.

يُعدّ مصطلح القوة الناعمة من المصطلحات الحديثة والتي يمكن أن تنطبق على مصاديق كثيرة، فهو بحسب التنظير الأولي أريد به مفهوماً سياسياً بحثاً وعلى وفق الرؤية السلبية يمكن استعمال أي أسلوب من شأنه التأثير في الآخرين وأقناعهم، إلا أن هذا المفهوم يمكن أن يكون أحد مفاهيم التنمية البشرية بالمعنى الإيجابية التي يكون هدفها هداية الناس وإصلاح أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية

وغيرها من جوانب الحياة، فإن الإسلام نظر كثيراً لتلك الوسائل في آيات وأحاديث شريف.

وقد تميز مذهب الإمامية بوجود وسائل وأدوات يمكنها التأثير في الآخرين، وأقناعهم، وهذه التأثير يمثل الجانب الإيجابي للقوة الناعمة؛ كونها تحقق منفعة لجميع الناس وليس لجماعة على حساب جماعة.

ومن تلك الوسائل ما فعله الإمام الحسين عليه السلام؛ لما يحظى به من قاعدة جماهيرية واسعة، وإمكانية أقامته في أي وقت وأي مكان، ويمكن التطرق من خلاله لموضوعات شتى، فتعددت عطاءاته بتعدد الموضوعات التي يطرحها.

وجاء البحث الموسوم (أساليب القوة الناعمة في الخطاب الحسيني الجانب الإنساني (نموذجاً) لبحث في أهم أدوات القوة الناعمة والتي لها تأثير كبير على الساحة الإسلامية.

واقترنت طبيعة البحث أن يقسم على مبحثين:
الأول مبحث تنظيري: تناول التعريف بمفهوم القوة الناعمة ومميزاتها.
والمبحث الثاني كيف كان الخطاب الحسيني وطرقه في الجانب الإنساني.

المبحث الأول: التعريف بالقوة الناعمة وأهم أدواتها:

المطلب الأول: تعريف القوة الناعمة:

القوة الناعمة هي: ((القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً عن الإرغام، ودفع الأموال))⁽¹⁾.

وعُرفت أيضاً بأنه ((القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف المتوخاة بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية))⁽²⁾.

وعُرفت أيضاً بأنها ((فن اجتذاب الآخرين إلى نظام ما باستخدام الإغراء الخالي من الترغيب والترهيب وتعتمد على إبهار الآخر بالمخزون الثقافي))⁽³⁾

ويلاحظ على التعريفين الأخيرين أنهما لم يخرجاً عن ما قاله جوزيف ناي، إلا بتغيير العبارات وذكر بعض وسائل القوة الناعمة في التعريف.

ويُعدّ جوزيف صموئيل ناي (Joseph nye) أول من نظر لمفهوم القوة الناعمة، وكان أول استعمال لهذا المصطلح في كتابه ((ملزمون بالقيادة)) الذي نشر عام 1990م، ومن ثمّ نظر له في كتابه (مفارقة القوة الأمريكية) والذي صدر عام 2001م، وفي عام 2004م، خصص كتاب أوضح فيه مفهوم القوة الناعمة وما يتعلق بها من أهداف ووسائل في كتاب بعنوان (القوة الناعمة)⁽⁴⁾

وما يجب التأكيد عليه هنا هو أن مصطلح القوة الناعمة وإن كان من ابتكارات جوزيف ناي إلا أن تطبيقاته موجودة قديماً ولا تكاد تخلو أي ديانة أو حضارة من تطبيقات القوة الناعمة، وهناك شواهد تاريخية كثيرة على ذلك، إلا أن هناك قوة ناعمة سلبية وقوة ناعمة إيجابية، بحسب الأهداف والوسائل(5).

المطلب الثاني : مميزات القوى الناعمة : و تتميز القوة الناعمة بكونها هادئة وتدريبية وغير ظاهرة بشكل مباشر، وتعتمد الرمزية وإثارة العواطف من خلال التركيز على الأمور التي تتعلق بحياة المجتمع بشكل مباشر مما يجعلها تحقق نتائج أكثر مما تحققه القوة الصلبة(6).

وهذا السبب جعل الدول الكبرى تفضل استخدام القوة الناعمة على القوة الخشنة، ولكن بطريقة لا تثير اللغظ إمام الرأي العام ولا يمكن أن تعارض من قبل الهيئات الدولية ولا تتعارض مع مواثيقها وقوانينها(7).

وأرجع بعضهم أسباب تفضيل القوة الناعمة إلى ثلاثة أسباب هي(8):

- 1- أسباب اقتصادية : لما للحرب الخشنة من خسائر في الأموال والمعدات.
- 2- أسباب استراتيجية : وهذه الأسباب تتعلق بحسابات الأمر البعيد والخوف من تغيرات الأحداث وموازن القوى.
- 3- أسباب استثمارية : تتمثل باستثمارات ثروات البلدان بدون أن تسبب تلك الثروات لضرر الحرب الخشنة.

المبحث الثاني: القوى الناعمة في الخطاب الحسيني

الحكم الأول - احترام العهود والمواثيق:

إن احترام العهود والمواثيق مبدأ إسلامي، ويجب الإلتزام به سواءً كان مع الله تعالى أو مع الناس فقد جاء القرآن الكريم يؤكد على هذا المبدأ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(9)، فتؤكد الآية الكريمة على الإلتزام بالعهود، وإن المتخلف عن الوفاء بالعهد يستحق العقاب، بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(10)، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(11)، كذلك السنة الشريفة أكدت هذا المبدأ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم(12)، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان)(13).

ومن خلال ما تقدم، يكون الالتزام بالعهود والمواثيق مبدأ إسلامي، ولذلك جسد الإمام الحسين (عليه السلام) هذا المبدأ في عدة مواضع نذكر منها:

الموضع الأول:

عندما عقد الإمام الحسن (عليه السلام) الهدنة مع معاوية بن أبي سفيان، فقد حاول شيوخ أهل العراق، ومنهم سُليمان بن صُرد الخزاعي، الخروج على السلطة، فكان جواب الإمام الحسين (عليه السلام)، مادام معاوية حياً؛ فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم⁽¹⁴⁾.

الموضع الثاني:

عندما التقى الإمام الحسين (عليه السلام) بالطرماح، فاقترح عليه أن يأتي إلى حيّهم، ومنطقتهم وكانت حصينة حيث قال للإمام: فان أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجاً امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجاً وسلمى من طيّ فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيّ رجالاً وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسياقهم والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف فقال له: جزاك الله وقومك خيراً إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الإنصراف⁽¹⁵⁾، وكان قصد الإمام (عليه السلام) الإتفاق الكلامي الذي جرى بين الإمام الحسين (عليه السلام) والحر، والذي يدور حول عدم ترك الإمام (عليه السلام) حتى يأتي الجواب من عبيد الله بن زياد، فإن الإمام (عليه السلام) يحترم العهود إلى هذا الحد.

الموضع الثالث:

امتناع مسلم بن عقيل من قتل عبيد الله بن زياد: عندما مرض شريك بن الأعور، فأرسل إليه عبيد الله إني رائح إليك العشية فقال: لمسلم ان هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله ثم اقعدي في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فلما كان من العشى أقبل عبيد الله لعيادة شريك فقام مسلم بن عقيل ليدخل وقال له: شريك لا يفوتنك إذا جلس فقام هانئ بن عروة إليه فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري كأنه استقبح ذلك فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس فسأل شريكا عن وجعه وقال: ما الذي تجد ومتى أشكيت فلما طال سؤاله إياه ورأى أن الآخر لا يخرج خشى أن يفوته فأخذ يقول: ما تنتظرون بسلمى أن تحيوها أسفنيها وإن كانت فيها نفسي فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً فقال عبيد الله: ولا يظن ما شأنه أترونه بهجر فقال له: هانئ نعم أصلحك الله ما زال هذا ديدنه قبيل الصبح حتى ساعته هذه ثم إنه قام فانصرف فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك

من قتله فقال: خصلتان أما إحداهما فكرهة هاني أن يقتل في داره وأما الأخرى فحديث حدثه الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن فقال هاني: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً⁽¹⁶⁾، فكان إعراض مسلم بن عقيل عن قتل عبيدالله بن زياد هو الإلتزام بالعهود والمواثيق، وتقيدته بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن هذا الحديث يمثل القانون والقاعدة الأساسية للمسلمين.

الموضع الرابع

دعوة أهل الكوفة: تعتبر دعوة الكوفيين أحد الأسباب التي أدت إلى النهضة الحسينية، وإن هذه الدعوة جاءت بعد ما علموا عزم الإمام (عليه السلام) على الخروج، واستعداد الناس لذلك تعيّن على الإمام (عليه السلام) الأجابه إلى ما دعوه إليه، وهذه الدعوة تستحق التوقف عليها وإلى إجابتها، ولو طرحنا سؤال مهم، لو أن الإمام (عليه السلام) لم يستجب لأهل الكوفة؛ لأنهم ينفذون العهد، فهل سيكون هذا موافق للموازين الشرعية، وهل سيقبل التاريخ هذا؟ وهل يعيش الإمام (عليه السلام) مرتاح الذهن بعد ذلك، فإن الإمام (عليه السلام) كان على علم بمقتضى حال أهل الكوفة؛ لكنه لا يستطيع أن يعتذر حسب الظاهر، وإن قبول الإمام (عليه السلام) كان حسب التكاليف الشرعية، وعلى أساس الحكم الشرعي، وبالتالي كان عليه أن يستجيب لدعوة أهل الكوفة، وهذا القبول يمكن عدّه إتمام الحجة عليهم، بدليل تعدد رسائل أهل الكوفة، ولأجل ذلك أرسل الإمام (عليه السلام) مسلم بن عقيل، ولما بايع الناس مسلم بن عقيل تمت الحجة، فكان لا بد من التوجه إليهم.

الحكم الثاني - الحوار:

إن النهضة الحسينية ليست عملاً إنتقامياً، وإنما هي عملاً تغييرياً ونهجاً إصلاحياً، وهذا النهج حتى مع الأعداء، ولذلك فإن الإمام (عليه السلام) لم يمنع أي فرصة للحوار ومنها:

1- الحوار الذي جرى بين الحر بن يزيد الرياحي:

فبعد أن ذكّر الإمام (عليه السلام) أهل الكوفة بالرسائل قال الحر: (إنا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين الذين فيهما كتبهم إليّ فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم فقال الحر: فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفاقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه: انصرفوا بنا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين للحر: تكلت أمك ما تريد قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على

مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائنا من كان؛ ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين (عليه السلام): فما تريد؟ قال الحر: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك فقال له الحر: إذن والله لا أدعك فترادا القول ثلاث مرات ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أوامر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة لتكون بيني وبينك نصفا حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت ففعل الله إلى ذلك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك⁽¹⁷⁾، فقد تكلم الإمام (عليه السلام) بمنطق القوة، وعدم التنازل عن هدفه ومبده، وكذلك الوصول إلى نتيجة من الحوار وهو الاتفاق الكلامي الذي أبرم مع الحر وإن كان هذا الإتفاق مبدئي، فقد رعاه الإمام (عليه السلام) أفضل رعاية.

2- الحوار مع عمر بن سعد:

عندما بعث الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عمر بن سعد، عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري أن ألقني الليل بين عسكري وعسكرك قال: (فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارسا وأقبل الحسين في مثل ذلك فلما إلتقوا أمر الحسين أصحابه أن ينتحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه وتحدث الناس فيما بينهما ظنا يظنونه أن حسينا قال لعمر بن سعد: أخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكريين قال عمر: إذن تهدم داري قال: أنا أبنيتها لك قال: إذن تؤخذ ضياعي قال إذن أعطيك خيرا منها من مالي بالحجاز قال: فتكره ذلك عمر قال: وتحدث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئا ولا علموه⁽¹⁸⁾، إن الخبر الذي يقول: بأن الإمام الحسين (عليه السلام) طلب من الجيش أن يتركوه ليذهب إلى يزيد، إنه مجرد تصور لا أصل له ودعاية صنعها الأمويون لإضعاف عزيمة أصحاب الإمام (عليه السلام)، بدليل عبارته (وتحدث الناس فيما بينهما ظناً يظنونه أن حسينا قال لعمر بن سعد: أخرج معي إلى يزيد بن معاوية)، وليس هذا فقط بل حتى الراوي يشك بهذا الخبر، عندما أكد قائلاً ظناً يظنونه، وكيف يستقيم جواب الإمام (عليه السلام) مع المقترح القائل: إن الإمام (عليه السلام) يريد أن يذهب إلى يزيد، وعمر بن سعد يخاف من هدم داره؟! لكن المقترح الذي يكون صحيحاً هو: (فقال له الحسين (عليه السلام) ويلك يا ابن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك أتقاطعني وأنا ابن من علمت ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك وإلى الله تعالى، فقال عمر بن سعد: أخاف ان يهدم داري)⁽¹⁹⁾، واستمر الحوار بين الإمام (عليه السلام) وعمر بن سعد عدة مرات⁽²⁰⁾، حتى أدى بعبيد الله بن زياد أن يكتب إليه: (أما بعد فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه سلامة

البقاء ولا لتقعد له عندي شافعاً⁽²¹⁾، وعلى هذا فإن الحوار مبدأ إسلامي فقد جاءت عدة آيات تؤكد هذا المبدأ، فمنها ما يخص منهج التفكير قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾⁽²²⁾، ومنها ما يخص التسليم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽²³⁾، ومنها ما يخص الالتزام بالقواعد المنطقية، قال تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾⁽²⁴⁾، ومنها ما يخص اللين والحكمة قال تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾⁽²⁵⁾، ومنها ما يخص الإعراض قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾⁽²⁶⁾، وهذا هو المنهج القرآني الذي يبقى أثره في الضمير، ومن هذا المنطلق أنطلقت حوارات الإمام الحسين (عليه السلام) مع العدو بالمنطق السليم، والأسلوب الحسن واللين، مما يكشف عن قدرة الإمام (عليه السلام) البيانية والأسلوب الرسالي الذي تميز به في عرض الدلائل.

الحكم الرابع - مبدأ السلم:

إن الإمام الحسين (عليه السلام) أبتعد منذ البداية عن الحرب، وأكد هذا المبدأ حتى عندما كان العدو في موقف الضعف، فإن المواجهة التي كادت أن تقع مع جيش الحر، تجنبها الإمام واختار طريقاً بعيداً عن طريق خطوط المواجهة، وهذا الموقف هو الذي دفع زهير بن القين بالقول: أنه لا يكون والله بعد ماترون إلا ما هو أشد منه يابن رسول الله إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا فكان جواب الإمام (عليه السلام) ما كنت لأبدأهم بقتال⁽²⁷⁾، وبقي الإمام (عليه السلام) ملتزماً بهذا المبدأ حتى عندما وصل إلى كربلاء، إذ خطا الإمام (عليه السلام) خطوات نحو تحقيق السلام، فعندما أصر الأعداء أن يهجموا على معسكر الإمام (عليه السلام) عصر يوم التاسع من محرم طلب الإمام (عليه السلام) من أخيه العباس (عليه السلام) أن يذهب ويطلب منهم تأخير الحرب قائلاً له: (ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنا العشية، لعلنا نصلي لربنا ليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني قد أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والإستغفار)⁽²⁸⁾، فإن تأخير الحرب يوماً أو ليلة هي خطوة باتجاه السلم؛ لأنه مع وجود قرار في إقامة الحرب يصبح الوقت هو السلاح الذي استخدمه الإمام (عليه السلام) لصالح السلم، وكذلك في صبيحة يوم عاشوراء حاول الإمام (عليه السلام) تجنب الحرب من خلال عدم الرد على إستفزازاتهم، وطالبهم بالتفكير، فخطب الإمام (عليه السلام) خطبة نبذ فيها الحرب فقال: (أيها الناس اسمعوا قلبي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظروا، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو

يتولى الصالحين⁽²⁹⁾، ثم أخذ يحدثهم بترك الدنيا ويذكرهم بقرابته من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽³⁰⁾.

الحكم الخامس - الحفاظ على حقوق الناس:

إن حركة الإمام (عليه السلام) تصبوا إلى تنظيم المجتمع فليس فيها أي تجاوز على الآخرين، ومنها حقوق الناس في أموالهم وممتلكاتهم، فإن الإمام (عليه السلام) أمر منادياً ينادي في أصحابه: (لا يقبل معنا رجل عليه دين فقال رجل: إن امرأتي ضمنت ديني فقال الحسين (رضي الله عنه): وما ضمان امرأة)⁽³¹⁾، فإن الإمام (عليه السلام) حرص على حقوق الناس ومنع هذا الرجل من أن يكون معه وهو أحوج إلى الناصر والمعين، وكذلك عندما أمر (عليه السلام) العباس (عليه السلام) أن يجيب الشمر عندما نادى وقال: (أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب (عليهم السلام) فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختنا آمنون، فقال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له)⁽³²⁾، وبهذا فإن الإمام (عليه السلام) يعلم الإنسانية جمعاء كيف تحترم حقوق الناس.

الحكم السادس - الدفاع عن استقلال السلطة التشريعية:

يحتاج كل مجتمع من المجتمعات إلى ثلاث سلطات وهي:

1-السلطة التشريعية

2-السلطة القضائية

3-السلطة التنفيذية

إن هدف السلطة التشريعية سنُّ القوانين طبقاً لحاجات المجتمع حتى يتمتع الناس بمزايا القوانين.

أما السلطة القضائية فهدفها هو الفصل بالاختلافات التي تنشأ بين فئات الناس المختلفة، أو الاختلافات التي تنشأ بين الناس والحكومات.

أما السلطة التنفيذية فواجبها تنفيذ كل ما يصدر عن السلطة التشريعية والسلطة القضائية من أحكام.

أما في الإسلام فقد عُهد بالسلطة التشريعية إلى القرآن الكريم ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى العترة الطاهرة (عليهم السلام) وقد أعطى الإسلام من يملكون استنباط الأحكام استقلالاً كاملاً، فلا يحق للسلطة القضائية ولا السلطة التنفيذية أن تستخدم نفوذها للتأثير في أصحاب الفتوى، فيقوم الفقهاء المجتهدون بحرية مُطلقة واستقلال تام بدراسة وبحث القوانين والأنظمة الاجتماعية والمسائل الجديدة التي تظهر بتغير

الزمن فَيُعملون فيها أنظارهم بدقَّة ويُفتونَ بشأنها على أساس الاجتهاد الحرِّ وما يستنبطونه من القرآن والسنة ويقدمون نتائج فتاويهم تلك إلى جهاز الحكم والناس.

ولا شك أن أكبر المفاسد الاجتماعية استخدام الدولة أي السلطة التنفيذية نفوذها للتدخل في عمل السلطة التشريعية وسلب الحرية والاستقلال عنها؛ لأنه عند ذلك يتوقف عمل المفكرين فلا يستطيع أن يستنبط من الكتاب والسنة القوانين التي يحتاج إليها الناس على أساس الاجتهاد ومراعاة مصالح المجتمع، ومن هنا تصاب السلطة التشريعية بالتوقف التام وتقع تحت رحمة السلطة التنفيذية وهؤلاء يكونون في أغلب الأحيان متطرفين فيحرمون المجتمع من مزايا القوانين الحرّة.

لقد أسرت دولة بني أمية السلطة التشريعية وسلبت من العلماء حرية الاجتهاد ونتج من ذلك قوانين بلا روح، وقرارات مجففة، جعلت من الأفراد أفراد لا أرادة لهم يفتون حسب ما يهواه الحاكم، والشواهد على ذلك كثيرة فإن (عبد الله بن عمر) والذي يُعدّ من الفقهاء أصحاب الفتوى لدى الجمهور وينظر الناس إلى رأيه، و (عبد الله بن عباس) الذي كان من كبار علماء المعروفين، والآخرين الذين في مستواهم فإنهم كانوا يعيشون تحت ضغط حكومة يزيد التي صادرت حقهم وأجبرتهم تحت بريق السيف على الاستسلام بلا قيد ولا شرط ليزيد واعتبروا خلافته خلافة شرعية إسلامية.

في حين أن مسألة يزيد مسألة جديدة تحتاج إلى أعمال النظر والاجتهاد وكان على أصحاب السلطة التشريعية أن يستنبطوا حكمها من القرآن والسنة، وعلى هذا فقد سلبوا حق الاجتهاد من السلطة التشريعية فكانت أرادة يزيد هي التي تضع القوانين وهي التي تنفذه، فكان القانون هو أرادة يزيد والاجتهاد الحر هو أهواء يزيد والسلطة التشريعية تحكم تبعاً لأهوائه ومصالحه الشخصية المفروضة على الأمة.

لقد واجه الإمام الحسين (عليه السلام) والذي كان يحكم بحديث الثقلين وإن الإمام الحسين (عليه السلام) هو شارح القرآن ومفسر أحكامه والمرجع الذي يجب أن تمرّ القوانين التي يحتاج إليها المسلمون تحت نظره، فإن حكومة يزيد سلّبت حقه في إبداء الرأي الشرعي.

في حين إن الإمام الحسين (عليه السلام) هو صاحب الحقّ في إظهار الرأي الشرعي بشأن هذه المسألة الجديدة والخطيرة أي خلافة يزيد وكانت فتواه هي التي تحدّد واجب المسلمين في أكثر مسائل العهد حساسيةً ألا وهي مسألة الحكومة الإسلامية فإنهم حرّموا الإمام الحسين (عليه السلام) من حقّ إبداء رأي الشرع حول هذه المسألة الشرعية وأرادوا بقوة السيف إرغام الإمام الحسين (عليه السلام) على الاعتراف بشرعية يزيد وسلطنة الاستبدادية بوصفها خلافة شرعية وإسلامية، وبهذا أصابت حكومة يزيد السلطة التشريعية بالشلل الكامل وسلبت

رجال القانون وأصحاب النظر كلّ حقّ في أبداء رأيهم القانوني فكان الإمام الحسين (عليه السلام) المدافع الأول لتلك الحقوق الشرعية وعن استقلال السلطة التشريعية⁽³³⁾.

الحكم السابع - الدفاع عن استقلال السلطة القضائية: تشكّل السلطة القضائية العمود الرئيسي في المجتمع، ففي كل مجتمع من المجتمعات أن تقع نزاعات بين الناس، وأخرى بين الناس والجهاز الحاكم، وفي مثل هذا الحال فلا بد من وجود سلطة مستقلة تقوم بحل تلك النزاعات سواء منها القانونية أو السياسية في إطار القانون وتنتشر الحقّ والعدل في المجتمع، وتسعى إلى إعادة الحق إلى ذويه.

ففي الحكومات الإسلامية يتمتّع رجال القضاء بحصانة تمنع المسؤولين الحكوميين والعسكريين أن يتدخلوا في عملهم أو أن يُعملوا نفوذهم ويؤثروا في قراراتهم، فلا يحق لأيّ مسؤول أن يؤثّر في القاضي.

ففي الحكومة الإسلامية يتمتّع رجال القضاء بحصانة تمنع المسؤولين الحكوميين والعسكريين أن يتدخلوا في عملهم، أن الإسلام منح السلطة القضائية الاستقلال الكامل والحرية وتصل هذه الاستقلالية إلى حد إذا شكى أضعف فرد في المجتمع على أقوى فرد فيه فيكون على القضاء الاستماع إليه ويحاكم المتهم حتى لو كان أكثر الأفراد نفوذاً في المجتمع ويعاقبه إذا حكم عليه، ففي ظلّ هذا الاستقلال القضائي تُحفظ حقوق الضعفاء وأموالهم وأرواحهم وأعراضهم.

لكن حكومة بني أمية أخضعت مؤسسة الإسلام القضائية لسيطرتها وجعلتها تحت نفوذها وسلبت من القضاة الشرعيين الاستقلال وحرية الرأي فحولته إلى أداة فاقدة للإرادة، ولما كانت كل القيادة منحصرة بشخص الحاكم، فكان جميع رجال القضاء أزلاماً ليزيد، فكان (عبيد الله بن زياد) ممثل يزيد فإنه جعل (شريح) القاضي رغم كل سوابقه القضائية العوية في يده وستغل نفوذ شريح القاضي الاجتماعي لتفريق الناس الذين اجتمعوا حول قصر إمارته تأييداً لهائى بن عروة وبدلاً من أن يبدي ذلك القاضي العابد للدنيا رأيه في تجريم ابن زياد فقد قام بإنقاذه من غضب الناس وأمرهم بالانصراف، فلمّا علم ابن زياد أنهم قد انصرفوا أمر بهائى، فأتى به السوق وضربت عنقه⁽³⁴⁾.

فبدل من أن تكون المؤسسة القضائية حافظةً لحقوق المجتمع أصبحت حافظةً للمصالح الشخصية لجهاز الحكم، وكانت تلك بدعة كبيرة قد راجت رغم مخالفتها لقوانين الإسلام وسنة الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام).

فلم يكن بوسع الإمام الحسين (عليه السلام) وهو حافظ سنة الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) أن يسكت أمام هذا الانحراف الخطير والانتهاك الخطير

والصريح لحرمة تشريعات الإسلام، ولذلك أشار الإمام الحسين (عليه السلام) في كتابه الذي وجهه إلى رؤساء البصرة طالباً منهم النصر العسكّرية في سبيل دحض هذه البدعة قائلاً: (فإن السنة قد أميّت وإن البدعة قد أُحييت) (35).

ففي تلك الظروف واجه الإمام الحسين (عليه السلام) حكومة سلّبت السلطة القضائية حقوقها ولم يكن في تلك الفترة أي مرجع قضائي ذي صلاحية يفصل في هذا الأمر، وأذا وجد فلم يكن لديه أي سلطة تمكنه من الدفاع عن الإمام الحسين (عليه السلام)، فلذا قرر الإمام الحسين (عليه السلام) بحكم المسؤولية في تلك الظروف ليتصدى لهذا التسلط ويقضي على تلك البدعة وينقذ استقلال السلطة القضائية وسائر قوانين الإسلام (36).

الحكم الثامن - الدفاع عن حرية القلم:

تُعْتَبَرُ الأَقلام التي تعكس أفكار العلماء وتضعها بين أيدي الناس إحدى الوسائل المُهمّة لتقدّم كل مجتمع، إذ يمكن لأقلام العلماء أن توصل زبدة مطالعات وأبحاث العقول المفكرة إلى أقصى نقاط البلاد وأن تجعل حتى أبعد المجتمعات تتمتع بثمار جهود العلماء، إن أقلام الكتّاب تلعب دور المرشد الشفيق في ما تقوم به من تنوير الأفكار وتوعية الناس بأهداف الحياة، وهداية المجتمع نحو النمو والتكامل.

إن الإسلام يؤمّن حرية القلم عندما لا تُؤذّي تلك الحرية إلى سلب الإيمان والأخلاق وحقوق الناس، بل أن الإسلام يشجع على كتابة الحقائق وإرشاد المجتمع كما جاء في الحديث: (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) (37)، إن حكومة بني أمة سلّبت هذا الحق المشروع عن الشعب المسلم، وأعطيت الحرية للأقلام التي تدافع عن المصالح الشخصية لمسؤولي ذلك الحكم الاستبدادي، فقلّبت حقائق الإسلام من خلال أقلام المأجورين وخلافاً للحقيقة من خلال مدح الحاكم ورجاله والإشادة بمنابقيهم، وبالذات يزيد، وفي تلك الظروف تناول الإمام الحسين (عليه السلام) قلمه القيم وكتب كتاباً أرسل نسخاً منه على شكل تعميم وجهه إلى رؤساء البصرة وأشار فيه إلى التغييرات التي عرضت للحكم الإسلامي بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقال: (وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه) (38).

فقام أحد شيوخ البصرة الذي خشي أن تكون هذه الرسالة دسيسة من حاكم البصرة عبّيد الله بن زياد بإرسالها هي ورسولها إليه، فقام عبّيد الله بن زياد بإعدام رسول الإمام الحسين (عليه السلام) دون أي محاكمة (39)، فطبقاً لرأي يزيد المنتهك للحريات لا يجوز لقلم الإمام الحسين (عليه السلام) أن يبقى خراً يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن إحياء كتاب الله

وسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعارض مع منافع حكومة بني أمية المستبدة ومصالحه.

لقد كان هذا التضييق الشديد والمنع من كتابة الموضوعات التي توقظ الناس من غفلتهم وترشدهم إلى حقوقهم أمراً مخالفاً لتعاليم الدين ولحرية القلم التي يكفلها الإسلام.

لقد عاش الإمام الحسين (عليه السلام) في مثل تلك الأوضاع واعثدي عليه من قبل حكومة يزيد ونهض الإمام الحسين (عليه السلام) في مثل تلك الظروف ليقاوم الظلم، لذا فلا شك في أن حرية القلم كانت جزءاً من الأحكام الشرعية التي سعى الإمام الحسين (عليه السلام) إلى تحقيقها⁽⁴⁰⁾.

الحكم التاسع - حماية حرية التعبير عن الرأي:

إن أحد عوامل التكامل في المجتمع كلمات وبيانات الخطباء والمتكلمين الذين يشرحون الحقائق على أساس العقل والمنطق.

إن الإسلام يؤمن بحرية التعبير عن الرأي طالما لا يؤذي الكلام سعادة الناس، بل أكثر من ذلك فإنه يعتبر بيان الحقائق ضمن شروط خاصة وواجب شرعي ويعتبر السكوت عن بيان الحقائق إثماً.

إن من أبرز مصاديق حرية التعبير عن الرأي هو حرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنها من أسمى الفرائض⁽⁴¹⁾، فإذا رُعيت أصول التعبير عن الرأي التي قررها الإسلام تمكن المصلحون من تنوير أفكار الناس وبيان عوامل صلاح المجتمع وفساده والسير به بخطوات أسرع نحو التكامل، وتمكن المجتمع من الوصول إلى الرشد والرفق في جميع شؤون الحياة.

إن حكومة بني أمية سلّبت الناس حرية التعبير عن الرأي وعلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يعد المصلحون وصحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين يعرفون ما يصلح للناس وما يفسدهم يجرؤون على بيان ما يروونه صلاحاً للمجتمع.

ولعل هذا واضح حتى في زمن حكم معاوية عندما طلب معاوية بن أبي سفيان من (الأحنف بن قيس) أن يبدي رأيه بشأن ولاية عهد يزيد قال جملة معبرة: (نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا)⁽⁴²⁾، فكان لا يُسمح بحرية البيان إلا للمتزلّفين، فكان عبيد الله بن زياد والي يزيد على الكوفة يخطب في مسجدها فيقول: (أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، قد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده، يكرم العباد، ويغنيهم بالأموال، ويكرمهم، وقد

زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا⁽⁴³⁾، لقد ابتلى الإمام الحسين (عليه السلام) بهذا الجو من التضيق وسلب الناس من أبداء الرأي فكان الإمام (عليه السلام) يتكلم بكل حرية في سبيل إصلاح كل جوانب الحياة المتعددة، فكان الإمام (عليه السلام) يعد ذلك جزءاً من واجبه الشرعي الذي يعد من تعاليم الإسلام⁽⁴⁴⁾.

الحكم العاشر - الدفاع عن العدالة في توزيع الثروة وإنفاق المال العام:

إن أحد أركان بقاء كل مجتمع هو المال العام والذي يتم تحصيله من خلال قوانين محدّدة ويُجمع في الخزانة العامة وهي ملك للشعب وأما الحكام فهم المؤتمنون على جمع هذا المال وحفظه وإنفاقه في مصالح الناس العامة.

ولا يجوز أن تقوم مؤسسات الدولة تحت أي تأثير أو ذريعة بالاستفادة من تلك الأموال في المصالح الشخصية لمسؤولي الدولة بل إن رجال الدولة هم الخدام الأمانة لا يتصرفون في المال العام إلا ضمن مصالح المجتمع وما يحقق له الرقي والتكامل.

وليس هذا فقط بل ذهب الإسلام الى أكثر من ذلك فعندما يقومون ألوا الأمر الناشرون للعدل بين الناس بتأمين معيشتهم من مالهم الخاص، فإن الإسلام يطلب منهم أيضاً الابتعاد عن التبذير والإسراف في معيشتهم مراعاةً لحال الفقراء ويوصيهم بالحياة البسيطة المتواضعة.

فوجد في فترة حكم الإمام علي (عليه السلام) لم ينفق من بيت المال ديناراً واحداً على حياته الشخصية فإنه كان (عليه السلام) يعيش حياة زاهدة بسيطةً وعندما سُئل: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملابسك وجشونة مأكلك؟ قال: ... (ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبغ؟ بالفقير فقره)⁽⁴⁵⁾.

لقد أسرفت حكومة بني أمية منذ زمن حكم عثمان في أمر بيت المال إسرافاً وتبذيراً كبيراً وأطلقت يد مسؤولي الدولة ليتصرفوا في المال العام طبقاً لرغباتهم وأهوائهم واستمرّ هذه الحال في زمن معاوية لا سيما خلال فترة حكمه التي دامت عشرين عاماً حيث أصبحت أموال بيت المال خزنة خاصة لعمال الحكومة وأعوانها والمخلصين للحاكم فإنهم يسرفون في الإنفاق منها وتبذيرها الى حد يفوق التصور وكانت الضرائب العامة التي تُجبي من جيوب الناس تُنفق على إشباع شهوات الحاكم وأعوانه والمتزلفين إليه مما جعل كثيراً من المقربين من الحكم يجمعون ثروات طائلة ويغرقون في النعم والملاذات في حين كانت فئات المجتمع السفلى تعاني الفقر الأسود والموت فكان هذا التفاوت الطبقي الفاحش بكل مظاهره القبيحة والمشينة يهدّد المجتمع الإسلامي بالسقوط.

وستمر هذا الحال حتى بعد موت معاوية وخصوصاً شيعة أهل البيت (عليهم السلام) تعاني أشد المعاناة من الفقر في حين كان القرد الخاص ليزيد يُلس الحرير الأحمر والأصفر، وتوضع على رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق⁽⁴⁶⁾، فكان والي ولاية سجستان عباد بن زياد أخو ابن زياد يملك ألف غلام وقد منح غلمانه هؤلاء ما يعادل عشرة ملايين دينار على الأقل من بيت مال الدولة⁽⁴⁷⁾.

وسرق عبد الرحمن بن زياد والي خراسان وهو الأخ الثاني لابن زياد عشرين مليون درهم من بيت المال، وقد وهب له يزيد هذا المبلغ المتواضع؟ وعفى عنه بشرط نصرافه عن تولي ولاية خراسان⁽⁴⁸⁾، تلك كانت طريقة حكومة بني أمية التي يقودها الحكام الظلمة، ولذلك قال الإمام الحسين (عليه السلام): بأنهم ستأثروا بالفئ⁽⁴⁹⁾، فإن هذه الجملة بمعزل عن إشارتها عن هدفية النهضة الحسينية فإن الإمام الحسين (عليه السلام) كان الإمام (عليه السلام) يتألم من الظلم وفقدان العدالة في التصرف بأموال الناس، لذلك من واجب الإمام الحسين (عليه السلام) حماية العدالة الاجتماعية في التصرف ببيت المال⁽⁵⁰⁾.

الحكم الحادي والعشرون - الدفاع عن مكانة الإسلام الدولية: من الأمور التي تهتم بها الدول هي مكانة البلاد الدولية والأقليمية؛ فإذا استطاعت دولة ما أن توجد لنفسها مكانة بين أقطار العالم وتكتسب احتراماً لدى جميع الدول فإنها تستطيع من خلال هذا الاحترام أن تخطو خطوات كبيرة في طريق الرقي وتلعب دوراً مهماً في المجتمع الدولي، فهناك عدة عوامل أساسية توصل المجتمع إلى الرقي والمكانة العالمية ومنها:

- 1- قائد البلاد: فإذا كان رئيس البلاد قدوة في العدالة والتقوى معروفاً بالخير ونقاوة النفس وسائر الفضائل فإنه يجعل هذه البلاد محط أنظار بقية البلاد ويمنحها نفوذاً معنوياً.
- 2- أسلوب الحكم: إن الحكم إذا قام على أساس العدالة والحرية وخدمة الناس واتباع في سياسته محبة الناس وحسن التفاهم والتعامل، مما يجعل لهذا البلد مكانة رفيعة بين شعوب العالم.
- 3- تشريعات البلد وقوانينه: عندما تكون القوانين السارية في البلاد مستندة إلى الواقعية والإنسانية وإلى حاجات الناس فإذا كان قانون هذه الدولة بهذا الشكل فبقية الدول ستقتبس مثل هكذا قوانين.

إن الذين قاموا بدراسات حول الحضارة الإسلامية أعترفوا أن تقدّم الإسلام في بداية أمره كان إلى حدٍ ويعود هذا بفضل تلك العوامل الثلاث، لقد أكتسب الإسلام في بداية عهده عالمية رفيعة ونال مكانة مرموقة على الصعيد الدولي، واستطاع بفضل امتلاكه لهذا المنهج السامي أن يجعل لنفسه مكانة كبيرة في قلوب

الشعوب الأخرى وقوية شهرته العالمية ونفوذه الخارجي يوماً بعد يوم، فقد نُقل عن الفيلسوف البريطاني ويلز أنه قال: (لو سار الإسلام على المنوال نفسه الذي سار عليه في بداية وتقدّم على الوتيرة ذاتها لما لبث أن فتح العالم بأسره)⁽⁵¹⁾؛ ولكن مع شديده الأسف فبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقعت أنحرافات كثيرةً وبسبب هذا الانحرافات تغير أسلوب الحكم فزادات ظلم الولاة والحكام وتحولت حكومة الإسلام ذات العدل المطلق والمساواة التامة إلى حركة مستتبدة أنتشر فيها الظلم وهدرت فيها أغلب القوى الفكرية لرجال الإسلام في النزاعات الداخلية، ومن جملة تلك الفتن طغيان معاوية بن أبي سفيان تحت ذريعة الثأر لدم عثمان بن عفان وما جرّه ذلك من سفكٍ للدماء حتى تكشف جانبٌ من مقاصده الشيطانية بعد قضية التحكيم وبعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) فجيش معاوية بن أبي سفيان الجيوش إلى العراق لسحق أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وفي النهاية أستطاع من خلال زرع الاختلاف بين قادة العراق وإعطاء الأموال الكثيرة واستعمال الحيل والمكائد السياسية، مما جعل الإمام الحسن (عليه السلام) يرى لا مناص من الهدنة وعتزال الحياة السياسية حفاظاً على مصلحة الإسلام، إن بنو أمية كان هدفهم إقامة إمبراطورية، واستغلال الناس والسيادة على الناس، ملك أسس على القتل وسفك الدماء والحبس والنفي وإحياء لسنة كسرى وقيصر كما وصفه مسلم بن عقيل حين قال لعُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد: (إن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر)⁽⁵²⁾.

وليس هذا فقط فقد معاوية مقترح المغيرة بن شعبة حاكم الكوفة أن يجعل الخلافة الإسلامية مُلكاً وراثياً في أسرته، وهذا مخالف لبنود الاتفاق الذي عقد بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، لكنه قام بهذا الاتفاق رغم ذلك مستخدماً كم الأفوّه وإغداق الأموال الطائلة⁽⁵³⁾ لتحقيق هدفه.

وبعد موت معاوية جلس أبنه على كرسي الحكم شاب عدم التجربة يُعاقِر الخمر ويُمارس الإثم والفسق.

فكان من البديهي أن تتراجع منزلة ومكانة الإسلام الدولية التي كسبها الإسلام في بداية أمره بين دول العالم.

يقول محمد رشيد رضا: (قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة اسطنبول لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا في عاصمتنا برلين قيل له: لماذا؟ قال: لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كلّه ولَكُنَّا نحن الألمان وسائر شعوب أوربة عرباً مسلمين)⁽⁵⁴⁾.

الخاتمة:

في ختام البحث رشحت مجموعة من النتائج والمستخلصات هي:

- 1- إن مصطلح القوة الناعمة وإن كان من ابتكارات جوزيف ناي إلا أن تطبيقاته موجودة قديماً ولا تكاد تخلو أي ديانة أو حضارة من تطبيقات القوة الناعمة.
- 2- لا بد من التفريق بين القوة الناعمة الإيجابية والسلبية، في ضوء معرفة الأهداف والوسائل لأي قوة ناعمة.
- 3- إن الدول الكبرى التجأت للقوة الناعمة لهدف سياسي وهو تحسين صورتها عند الشعوب للتأثير فيهم، وتحقيق استلاب الذات وضياع الهوية عند طريق العولمة والأمركة.
- 4- تشترك أحياناً القوة الناعمة الإيجابية والسلبية في الأدوات والوسائل، وتفترق كل واحدة بمجموعة من الأدوات التي تنسجم مع هدف كل واحدة.
- 5- يُعد الخطاب الحسيني من أهم أدوات القوة الناعمة الإيجابية التي تحقق كثير من الأهداف التي يراد منها جميعاً الهداية والصلاح.
- 6- تميز الخطاب الحسيني على غيره من أدوات القوة الناعمة الإيجابية؛ لما يحظى به من قاعدة جماهيرية واسعة، وإمكانية أقامته في أي وقتٍ وأي مكان، ويمكن التطرق من خلاله لموضوعات شتى، فتعددت عطاءاته بتعدد الموضوعات التي يطرحها.

الهوامش:

- 1 القوة الناعمة، جوزيف ناي: 12.
- 2 الحرب الناعمة الأهداف وسبل المواجهة، كاظم الصالحي: 10.
- 3 الحرب الناعمة، محمد حمدان : 26
- 4 ينظر: القوة الناعمة، جوزيف ناي: 14-15.
- 5 ينظر: القوى الناعمة والمنبر الحسيني، محمد اليعقوبي، صحيفة الصادقين : العدد 145.
- 6 ينظر: الحرب الناعمة، كاظم الصالحي: 19.
- 7 ينظر: في استلاب العقل وخطر الوعي، القوة الناعمة في فكر الشيخ اليعقوبي، ثامر حكيم الساعدي، بحث منشور في مجلة الإصلاح، العدد: 62/1.
- 8 ينظر: الحرب الناعمة، محمد حمدان: 13.
- (9) سورة المائدة، آية: 1.
- (10) سورة الصف، آية: 2 - 3.
- (11) سورة الأسراء، آية: 34.
- (12) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، 74 / 170.
- (13) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، 2 / 357.
- (14) ينظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، 1 / 142.
- (15) تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 306 - 307.
- (16) ينظر: المصدر نفسه، 4 / 271.
- (17) تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 303 - 304.
- (18) المصدر نفسه، 4 / 312 - 313.
- (19) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، 44 / 388.
- (20) ينظر: تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 313.

- (21) المصدر نفسه، 4 / 314.
- 22 سورة البقرة، آية: 170.
- 23 سورة سبأ، آية: 24.
- 24 سورة آل عمران، آية: 66.
- 25 سورة طه، آية: 43 - 44.
- 26 سورة الأعراف، آية: 199.
- 27 ينظر: الإرشاد، الشيخ المفيد، 2 / 84.
- 28 الإرشاد، الشيخ المفيد، 2 / 90 - 91.
- 29 المصدر نفسه، 97.
- 30 ينظر: المصدر نفسه، 97.
- 31 المعجم الكبير، الطبراني، 3 / 123.
- 32 الإرشاد، الشيخ المفيد، 2 / 89.
- 33 ينظر: الشهيد الخالد، صالح أبيادي، 278 - 279 - 280 - 281.
- 34 الأخبار الطوال، ابن قتيبة، 216.
- 35 تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 266، البداية والنهاية، ابن كثير، 8 / 170، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، 44 / 340.
- 36 ينظر: الشهيد الخالد، صالح أبيادي، 282 - 283.
- 37 من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، 4 / 399.
- 38 تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 266، البداية والنهاية، ابن كثير، 8 / 170، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، 44 / 340.
- 39 الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 4 / 23.
- 40 ينظر: الشهيد الخالد، صالح أبيادي، 285 - 286.
- 41 الكافي، الشيخ الكليني، 5 / 55.
- 42 الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 3 / 508.
- 43 بحار الأنوار، العلامة المجلسي، 44 / 385.
- 44 ينظر: الشهيد الخالد، صالح أبيادي، 287 - 288.
- 45 وسائل الشيعة، الحر العاملي، 3 / 419.
- 46 مروج الذهب، المسعودي، 3 / 67 - 68.
- 47 تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، 4 / 362.
- 48 تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 234.
- 49 تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 304.
- 50 ينظر: الشهيد الخالد، النجف أبيادي، 288 - 289 - 290.
- 51 عظمت حسين، أبو عبد الله الزنجاني، 74.
- 52 تاريخ الطبري، الطبري، 4 / 282.
- 53 الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، 3 / 503 - 511.
- 54 تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 11 / 260.

المصادر:

- ❖ القوة الناعمة، جوزيف ناي، ترجمة: محمد توفيق الجبرمي، تقديم عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان، العبيكان للنشر - المملكة العربية السعودية، ط1، 1428هـ - 2007م.
- ❖ الحرب الناعمة، الأهداف وسبل المواجهة، كاظم الصالحي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف، (د.ط)، (د.ت).
- ❖ الحرب الناعمة، محمد حمدان، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط1، 1431هـ - 2010.

- ❖ القوى الناعمة والمنبر الحسيني، محمد اليعقوبي، صحيفة الصادقين : العدد 145.
- ❖ في استلاب العقل وخدر الوعي، القوة الناعمة في فكر الشيخ اليعقوبي، ثامر حكيم الساعدي، بحث منشور في مجلة الإصلاح، العدد الأول، السنة الأولى، 1437هـ - 2016م.
- ❖ الأخبار الطوال، أحمد بن داود ابن قتيبة الدينوري، (ت276هـ)، تح: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1960م.
- ❖ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي، (ت413هـ)، تح: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ - 1993م.
- ❖ الإمامة والسياسة، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت276هـ)، تح: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاءه للطباعة والتوزيع، (ب.ط.و.ت).
- ❖ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، (ت1111هـ)، تح: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ - 1983م.
- ❖ البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت774هـ)، حققه وعلق عليه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ - 1988م.
- ❖ تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، (ت310هـ)، القاهرة، مصر، (ب.ط.)، 1370هـ.
- ❖ تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، (ت1356هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ب.ط.)، 1990م.
- ❖ الشهيد الخالد، الشيخ صالح النجف آبادي، (ت1427هـ)، مؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
- ❖ عظمت حسين، أبو عبد الله الزنجاني، (ت1360هـ)، تبريز، ايران، (ب.ط.)، 1374هـ.
- ❖ الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، (ت328هـ)، تح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ط5، 1363ش.
- ❖ الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، (ت630هـ)، بيروت، لبنان، (ب.ط.)، 1385هـ.
- ❖ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت346هـ)، منشورات دار الهجرة، قم، ايران، ط2، 1404هـ - 1363ش - 1984م.
- ❖ مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (ت241هـ)، المكتب الإسلامي، دارصادر، بيروت، لبنان، (ب.ط.و.ت).
- ❖ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن ايوب الطبراني، (ت360هـ)، تح: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (ب.ط.و.ت).
- ❖ من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، (ت381هـ)، منشورات جماعة المدرسين التابعة في الحوزة العلمية، قم، ايران، ط2، 1404هـ - 1363ش.
- ❖ وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، (ت1104هـ—)، منشورات ذوي القربى، (ب.ط.)، 1387ش.

داعش هم الامتداد الطبعى لقتلة الإمام الحسين عليه السلام

م.م. إسراء مهدي عبد الأمير الخفاجى

قسم اللغة الإنكليزية

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

israam82@yahoo.com

ملخص البحث

يتضمن البحث الوقوف عند ثورة الإمام الحسين عليه السلام وفلسفتها، وترابط ذكرى واقعة الطف وانتصارنا الراهن، انها فعلاً علاقة جدلية وليست بطارئة، أن احتفينا بفعاليتين، الأولى تمثلت بالانتصارات التي حققتها القوات المسلحة ضد الهجوم الذي تقوده منظمات داعش واحفادها والثانية تتمثل بالمأثرة العظيمة التي سجلها الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الأخيار في كربلاء. أن الإمام الحسين وأصحابه قدموا أمثلة كبيرة في التضحية والمقاومة من أجل العقيدة والقيم والمبادئ، وان هذه التجربة تلهم جميع المناضلين في كل أنحاء العالم. أن احتفاءنا لا ينطوي على تكريس الطائفية، لأن أمثلة الإمام الحسين يحتذى بها من قبل شخصيات عالمية أمثال غاندي وياسر عرفات وجورج قرداهي الذين يختلفون في الدين والمذهب، وهم ينظرون باعتراز الى بطولة الامام الحسين يحتفى به كبطل ثوري، كما يحتفى بثوار العالم امثال جيفارا وسبارتاكوس وغيرهما. أن الاستذكار الدائم بهذه الامثلة لقرون بعيد عن الطائفية، لأننا نقاتل سنة وشيعة من اجل تحرير الوطن من دنس الداعشيين.

Abstract

The research includes the revolution of Imam Hussein and its philosophy the relationship between a battle (TAF) and the current victory; it is really a dialectical relationship, not an emergency, that we celebrate two victories; the first was the victories achieved by the armed forces against the attack led by the organizations and their grandchildren, And the second is the great impact recorded by Imam Hussein and his good companions in Karbala, That Imam Hussein and his companions have provided great examples in the sacrifice and resistance for the doctrine and values and principles, And that this experience inspires all the militants in all parts of the world, That our celebration does not involve the consecration of sectarianism, Because Imam Hussein is followed by many international figures such as Gandhi, Yasser Arafat and George Qardahi who differ in religion and doctrine, They proudly look forward to the Imam Hussein championship as a revolutionary hero, and the world's revolutionaries like Guevara, Spartacus, celebrated and others. That the constant recollection of this hero for centuries is far from sectarianism, because we are fighting Sunnis and Shiites in order to liberate the homeland from the Dasheen dynasties.

داعش هم الامتداد الطبيعي لقتلة الإمام الحسين عليه السلام

م.م. إسرائ مهدي عبد الأمير الخفاجي

قسم اللغة الإنكليزية

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

israam82@yahoo.com

مقدمة:

في العشرون من صفر من كل عام هجري، ذكرى أربعينية سبط الرسول الاكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله وسلم الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، وهو اليوم الذي أعيدت به الرؤوس الطاهرة الى الاجساد المطهرة، بعد ان قُطعت عنها في أبشع جريمة حلت على البشرية، في واقعة الطف في كربلاء.

يبدأ العد التنازلي في كل عام قبل خمسة عشر يوماً او أكثر، بتوافد الزائرين نحو تلك البقعة الحسينية، لتجديد العهد والوفاء لأصحاب الطف، وهم يرددون "يا ليتنا كنا معكم".

ان طبيعة المجتمع البشري المائل لحب الحياة والتمتع بها وطلب الزيادة في العمر ولو زاده الله في عمره لقال هل من مزيد! ترفض هذا التمني فيما لو تجرد الانسان من مشاعره حين يقع في مقصلة الخوف، وكان البعض يشكك ويكاد يجزم بأن الحسين سيبقى بلا ناصر او معين لو كان في زماننا هذا وستعاد الاحداث نفسها. ان تفسير هؤلاء لا يكاد يتعدى الاهازيج الشعرية والنظم النثرية من بعض العقول الخاوية والتي لم تستند في اراءها الى الدليل والمعرفة، والبعد الزمني والمستقبلي في قراءة وتحليل الامور.

خرج الحسين للإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا شعاره الذي سطع على طول السنين ليبقى راية خفاقة لكل التحرر ونبذ الظلم والعبودية والعيش السليم دون تجاوز على الحريات والاعراف والنظم والقوانين الدينية والانسانية وعدم الخضوع للمفسد الذي يعيث بالأرض فسادا وجورا.

نتطرق فيما يأتي لأهم ما يمكن أن يعطي صورة واضحة لواقعة الطف وللعلاقة ما بين الحشد الشعبي والامام الحسين ولنهضته عليه السلام وتأمين الدعم الشعبي، ضرب سلام الله عليه أكرم الأمثال وأنبأ المقاصد في ثورته. ضد الظلم والدكتاتورية وضد الشرور والطغيان، وان الحشد الشعبي درس من دروس واقعة الطف، وداعش هم الامتداد الطبيعي لقتلة الامام الحسين عليه السلام، والمواقف البطولية لأنصار الامام الحسن (ع) في واقعة الطف. وان داعش خفف من

النظرات الطائفية وقلل من النفس الطائفي وان الشعب العراقي أدرك انه يستطيع التعايش مرة أخرى وقد سكن الكثير من اهل السنة في المدن الشيعية، واختيار الحشد الشعبي شعار " لبيك يا حسين" لمعركة تحرير الانبار من تنظيم داعش الإرهابي، أن انتصارنا في العراق كان له انعكاس إيجابي على كل الجبهات التي تواجه الارهاب خصوصا في سوريا ولبنان اليمن ومصر وباقي دول العالم.

ويتضمن البحث في نهايته بعض النتائج ، إضافة إلى قائمة توثق المصادر المرجعية للبحث.

نهضة الحسين (عليه السلام) دروس في التضحية

أي تضحية كتضحية الحسين (عليه السلام)..؟! وأي جهاد كجهاده..؟! وأي شجاعة كشجاعته..؟! وأي إباء كإبائه..؟! لقد ضرب سلام الله عليه أكرم الأمثال وأنبأ المقاصد في ثورته. ضد الظلم و الدكتاتورية وضد الشرور والطغيان، ثورة لم ينقطع صداها منذ تفجير ه إياها متى ما شاء الله من بقاء الدنيا. ثورة وقف لها كل انسان من مختلف الملل والنحل منذ ذلك اليوم والى يومنا هذا. ويقف الى الأبد وقفة إعجاب وإكبار أمام عظمة الذكرى. أمام البطولة والصبر، أمام الحق والانتصار العظيم الذي حققه عليه السلام هذا الانتصار الذي ما شاببه ولن يشابهه أي انتصار آخر. ولقد اثبت عليه السلام إن الحياة لا قيمة لها مع اناس لا يستحقون الحياة ولا كرامة في ظل الإستعباد والظلم، ولا خير في الإنسان أن يقبل التعسف والهوان ويرى الكفر والإلحاد والفسق والفجور ولم يثر. ورسم سلام الله عليه في ثورته دروب السعادة وطرق الفضيلة للناس كافة. وعلم الطيبين المجاهدين في سبيل الله وفي سبيل المثل العليا كيف يثوروا وكيف ينتصروا، وأكد أن الظالمين هم المغلوبون وأن المظلومين هم المنتصرون. فلا انتصار مع الظلم ولا هزيمة مع العدل والإنصاف. كل هذه الدروس خطها صلوات الله وسلامه عليه في ثورته الدائمة الأبدية. والتي خاضها مع الأمويين الكفرة. اتباع يزيد الذين لم يعرفوا معنى الإنسانية ولا قيمة وهدف الدين الإسلامي.

إن الأمويين الطغاة ما فتروا قط في محاربة الإسلام. فناهضوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وظاهروا عليه في يوم مبعثه الى يوم مماته. وانتقلت حروبهم وعداوتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى أهل بيته (عليهم السلام) يحاربون بحربهم الإسلام وأثار معاوية بن هند الذي يدعيه أبو سفيان الحرب على أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) حلقة من حلقات الحروب التي اقامتها أمية على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى الإسلام، وغدر معاوية وخيانتته للحسن (عليه السلام) واعلان سب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على المنابر وحمل الناس على التعبد به تمهيداً لحمل الناس على سب رسول الله والرجوع بهم الى الجاهلية الأولى.

إن أمية عدوة الإسلام والمسلمين وعدوة محمد وآل محمد في صورها الشتى وأحوالها المختلفة فهي عدوة لبني هاشم في الجاهلية، وعدوة لبني هاشم ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما بعث الإسلام، وعدوة لبني هاشم ومحمد وآل محمد والمسلمين عندما قام الإسلام وأشرق نوره ودخل فيه الناس أفواجا، وعدوة لبني هاشم ومحمد وآل محمد والمسلمين بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن يتتبع سيرة بني أمية من يوم وجدوا إلى أن أباهم الله يجد عداوتهم صارخة عاتية لبني هاشم والله ولرسوله بما كانت أمية تقوم به في الجاهلية والإسلام من التآليب والإثارة، وظلت عداوة أمية لبني هاشم ولمحمد ولآل محمد وللمسلمين متلهبة، وبقيت كامنة في صدور الأمويين كمون النار في الحجارة. حتى إذا أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) برزت تلك النار من مكنها فكانت نار جاهلية محرقة، فأحرق معاوية بتلك النار ما استطاع احراقه من الإسلام والمسلمين، حتى قتل الحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واستباح المدينة وهدم الكعبة، إلى ما تجاهر في محاربة الإسلام والتظاهر بالفسوق والفجور وارتكاب الفواحش والمنكرات.

لم يكن الحسين مكتوف الأيدي ولم يبق ولم يصبر على هذا الضيم من أعمال بني أمية ومخازيهم. فأستنكر آل أمية في خطبه وعدم البيعة لهم ومحاولاته في تعديل ما عوجوه من قوانين الإسلام ونصائحه المتكررة لأتباعهم في أن يميزوا بين الحق والباطل. وأن لا ينفضوا أيديهم مما علق بها من تراث الإسلام. وتذكيره إياهم بأيام الرسول وأيام أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما كانوا عليه من إيمان وعقيدة. كل ذلك لم يحرك ساكناً من الأمويين وأتباعهم بل زادهم تعنتاً وتجبراً، مما اضطره أن يواجه الأمر الواقع.

فخرج من المدينة إلى مكة قاصداً الحج وكانت حجة الوداع. فخرج من مكة في يوم التروية في الثامن من ذي الحجة الحرام، لأن المجرمين من بني أمية كانوا يريدون قتله في بيت الله الحرام وفي الشهر الحرام غيلة كما قتلوا أباه (عليه السلام) وهو يصلي في المحراب، ولما قيل للحسين (عليه السلام) ما الذي اعجلك يا بن رسول الله عن الحج...؟ قال: (إن يزيد قد دس في الحج سبعين رجلاً من شياطين بني أمية وأمرهم باغتيايي ولو كنت متعلقاً بأستار الكعبة وأن بني أمية لن يتركوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فخرجت لئلا تستباح بي حرمة هذا البيت)

فخرج متوجهاً إلى العراق بعد أن تسلم من العراقيين آلافاً مؤلفة من الكتب والرسائل التي كانت تطالبه بالقدوم إلى العراق قائلة: لقد اخضر الجنان واينعت الثمار، فأقدم إلينا فلعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى وإنما تقدم على جنودك مجندة. وفي بعضها: فإن لم تقدم خاصمناك عند جدك رسول الله يوم القيامة.

فبعد أن رأى الحسين ذلك أصبح مضطراً من مغادرة الحجاز الى الكوفة، فخطب خطبته الشهيرة المعروفة وهي:

(الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله. خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جبد الفتاة. وما أولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لي مصرع انا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني اكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن نشذ عن رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصباحاً ان شاء الله).

ومن هذه الخطبة يظهر له إن الحسين (عليه السلام) لم يكن مغترباً ولا مخدوعاً ولا سالكاً على غير بصيرة من أمره ولكن يدري بما سيصير اليه ويعرف ما سيلاقيه في وجهته هذه وأن لا محيص عن يوم خط بالقلم لعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأمر ندبه الله اليه للثورة في وجه الطغيان الأموي فكانت الثورة وكانت الدروس الثمينة والمعنويات العظيمة والعبر الخالدة فيها. ومن أوضح وأظهر ما في هذه الثورة المقدسة هو هذا الانتصار العجيب والفريد من نوعه حيث ان الأمويين سفكوا الدماء وقتلوا ونهبوا وأسروا وارتكبوا كبائر الأجرام ولكنهم خسروا المعركة دنيا وأخرة ولحقهم الخزي والعار أين ما ثقفوا وبأؤوا بغضب من الله والناس والتاريخ. وان الإمام الحسين (عليه السلام) قتل في هذه المعركة هو وأهل بيته واصحابه، وسبوا عياله ويتمت أطفاله. ولكنه ربح المعركة دنيا وأخرة وانتصر ذلك الانتصار الباهر وخذ التاريخ ثورته بأحرف من نور وحصل على إعجاب كل الناس ورضا الله ورسوله.

إن هذا السر في هذا النصر المبين وبقائه كبقاء القرآن الكريم. هو حكمة اخرى من حكم الله سبحانه وتعالى وحجة على العباد لينتهجوا بنهج هذا الإمام العظيم ويضعوا أقدامهم على الطريق الذي سار فيه وعلى الأثر حتى يصلوا الى نهايتهم السعيدة كما انتهى اليها الإمام (عليه السلام)، ولكن اذا لم يلتفتوا الى سر الثورة ومعناها الكبير ومحتواها القيم وينظرون اليها بنظرة العطف والحزن والبكاء فقط، ويلقون التوصيات وما أمر به الإسلام وما قام من أجله أبو الأئمة جانباً، فلا ينفع البكاء ولا الحزن ولا العطف¹.

بين الحشد والطف حكاية ساتر

ففي عام 2014 وبعد سقوط كبريات مدن العراق واغتصاب النساء والقتل والتجريم الذي ساد المدن التي سقطت بيد تنظيم داعش الإرهابي وتكرر الاعتداء على الاقليات والقيام بأفعال مشينة يندى لها الجبين من اعتداء سافر على الأديان والعرق والطائفة والمعتقدات والحضارة ولم يتوقفوا عند هذا بل راحوا يشوهون

الفكر الاسلامي من خلال تجنيد الصبية والفتيان وعمليات ممنهجة لغسل الادمغة والعقول تحت ذريعة الدين الاسلامي الحنيف لتعاد الحقبة الاموية في فترة يزيد، والتشابه في افعاله مع افعالهم.

صرحت النجف بفتوى الجهاد الكفائي، لتهب الجموع الغفيرة وهي تلبى نداء المرجعية والدين للدفاع عن الوطن والعرض والارض والمقدسات ليذهب اصحاب "يا ليتنا كنا معكم" من اقصى مدن الجنوب الى اقصى شماله ولا يريد بذلك من الحكومة جزاءً ولا شكورا، وانما لتلبية نداء العقيدة والمرجعية بالمطالبة بالإصلاح والامر بالمعروف ورد الظلم عن المناطق التي اغتصبت، مضحيا بدماء فنية وبالغالي والنفيس فهل اثبتوا حقا نداء "يا ليتنا"؟

فاليوم هنالك حشد يسطر ارواح ملاحم الجهاد والقتال في سوح الوغى وهو يدافع عن الارض والمقدسات ليضاهي اصحاب الحسين "ع" في فنية آمنوا ببربهم فزدناهم هدى.

يبقى الحشد الذي قاتل في الطف، والحشد اليوم على سواثر القتال، حكاية كُتبت حروفها بأسم الحسين لتطبق في زمانين، وبين هذه وتلك، حكاية ايمان وعقيدة وفداء، رفعتها سواثر القتال.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام وتأمين الدعم الشعبي

إن أي نهضة لا بد أن تملك عمقاً استراتيجياً يتمثل في:

- 1- المبادئ.
- 2- الدعم الشعبي.
- 3- التخطيط الاستراتيجي.

وهذه العوامل تعدّ من القواعد الأساسية التي تقوم عليها النهضة لأنها تساهم بشكل فعال في تحقيق النتائج المطلوبة فضلاً عن امتلاكها قوة المبادرة التي باتت إحدى العوامل المساعدة في تحقيق النتائج.

فباتساعه وقوة فاعليته يعطي للنهضة قوة لكي تأخذ حجمها المطلوب في واقع الأمة، وقد أثبت علم الاجتماع فيما يخص تقدم النهضات، إن نجاح أي نهضة مرهون بمدى تقدم علاقاتها الاجتماعية من هنا فإن النهضات التي حققت النجاحات المطلوبة إنما انطلقت من عمق علاقتها بالمجتمع، فالنهضات العملاقة هي الضاربة في عمق المجتمع، وبعمق جذورها تعلق سماها كما يقول علماء الحضارة.

ولقد امتلكت نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عمقاً اجتماعياً قلّ نظيره.

جاء في كتاب (من معالم الحق) للشيخ محمد الغزالي:

"إنّ ملوك بني أمية لما أخطأوا لعنوا وتنادى المسلمون عليهم من كل جانب حتى أسقطوا دولتهم، وما كان ذلك يحدث لو تولى الأمر أهل البيت، ولما يعلمه النهازون والدجالون من محبة المسلمين لنبيهم وبيته اصطنعوا أنساباً يمتون بها إليه، وأقاموا حكومات كانت بسيرتها المنحرفة وبالآ على الإسلام وأهله، وتاريخنا السابق واللاحق يحكي أبناء أسر انتحلت الشرف، والشرف هو بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتوالد، وباسم هذا الشرف المكذوب ألحقت بالأمّة الإسلامية من الأذى ما تزال تترنح منه حتى الساعة."

لقد أصاب ابن عمر في قوله للحسين: ((والله لا يليها أحد منكم أبداً)).

لقد صرف الله الحكم بخيره وشره عن آل محمد ليعالج الناس شؤونهم بأنفسهم، ويحلّون مشكلاتهم مع حكامهم بأيديهم باللفظ أو بالعنف، باللسان أو بالسنان.

وخير لآل محمد أن تسبغ عليهم مشاعر العطف وهم مظلومون من أن تتبعم مشاعر الحقد، وهم حكام جبارون (يا للعجب).

بيد أن حسيناً هاجته رسائل أهل العراق وهم يستقدمونه ليجعلوا الأمر له، إنه أهلّ للسيادة بنفسه وبنسبه، وها هي ذي الجموع تدعوه فكيف يتأخر²

لقد أشار الشيخ محمد الغزالي إلى الموقع الذي يمتلكه الإمام الحسين عليه السلام في قلوب الناس ((إنه أهلّ للسيادة بنفسه وبنسبه، وها هي ذي الجموع تدعوه فكيف يتأخر))، ولكن الشيخ أخطأ في عبارته ((وخير لآل محمد أن تسبغ عليهم مشاعر العطف وهم مظلومون من أن تتبعم مشاعر الحقد، وهم حكام جبارون))، فإذا كان يقصد أهل البيت الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ومنهم الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام فقد ناقض نفسه، إذ كيف يصف الإمام الحسين عليه السلام ((إنه أهلّ للسيادة بنفسه وبنسبه))، ويقول قبلها: ((تتبعم مشاعر الحقد وهم حكام جبارون)).

لقد تولى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إمارة البلاد وعاش الناس عيشة كريمة، وسمو في المعاني كانت مثلاً في الحياة الحرة السعيدة، ولم يشر أحد إلى حكم الإمام بالحقد والضغينة باستثناء القليل ممن أعمى الحقد بصيرته.

إنّ خطوات الإمام الحسين عليه السلام إزاء الحشد الشعبي تثير الانتباه، وعلينا أن نستفيد منها، ومن الطرق المثالية في هذا المجال ضمّ العائلة الكريمة إلى نهضته.

وهذه أفضل طريقة يمكن من خلالها تحشيد الناس، وتكوين واقع شعبي متميز يختلف في خصائصه عن الحشد الفوضوي.

لقد كوّن الإمام عليه السلام واقع شعبي تميّز بالكفاءة والاستقامة والعلم. ولولا الضغوط المتواصلة من الحكم السفيناني، وتثبيت رجالات الحكم للناس بما فيهم وعاظ السلاطين لتغيّرت المعادلة كلياً، ولرأينا الآلاف المؤلفة قد التحقت بثورة الإمام عليه السلام.

وفي نظري فإن أخطر ما يواجه النهضات الصالحة يكمن في وعاظ السلاطين، كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))³.

فما لم تتخلّص النهضة من هؤلاء فلن تفلح في امتلاك الواقع الشعبي، إن إحدى وسائل السيطرة على وعاظ السلاطين يتمثل في فضحهم وكشف واقعهم السيئ.

وأنا لا أميل إلى استخدام العنف إزاءهم لأنّ العنف يعطيهم زخماً من المصادقية هم بأمرّ الحاجة إليه.

لقد ساهمت عائلة الإمام عليه السلام بما فيها النساء الطاهرات في حشد الكثير من الناس سواء قبل الثورة أو بعدها. وقد أعطت عائلته بعداً عاطفياً أثر كثيراً في تفجير الحسّ الإنساني لدى الناس، مما ساهم في إنشداد المجتمع إلى النهضة الحسينية المباركة.

ثم إنّ عقائل النبوة والرسالة جسّدوا واقعاً تجلّى فيه كلّ معاني الإيثار ونكران الذات والإخلاص، فخلق صورة حية في أذهان المجتمع، أنّ الإمام عليه السلام صادق في مسعاه، وسليم في أهدافه التي تكمن في إصلاح الواقع الإسلامي الذي تراكمت عليه آثار الحكم الجاهلي تبعاً.

ومن جانب فإنّ عائلة الإمام خلقت جواً إعلامياً ظلّت تفاصيله تتفاعل في مفاصل المجتمع ممّا أثار سخط الناس على الحكم السفيناني.

ولا شكّ فإنّ الإمام عليه السلام كان يحتاج إلى الإعلام كي يوصل صوت الثورة إلى أصقاع العالم، وأفضل من يوصل الصوت هي المرأة العاقلة تمثلت بالعقيلة زينب عليها السلام التي صنعت قاعدة عريضة لثورة الإمام عليه السلام قبل وبعد الثورة، فالإمام عليه السلام هيأ القلوب والنفوس في استقبال الحدث الكبير عبر الصوت العاقل الذي استطاع أن يصنع قاعدة عريضة ضدّ الحكم السفيناني الذي بدوره حشد جميع القوى في مجابهة الإمام عليه السلام، وفي مقدمتهم وعاظ السلاطين، فكان على الإمام عليه السلام أن يقدم على حشد القلوب والنفوس والعقول، وقد تهيأت.

جاء في كتاب (العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية) فيما يخص العامل المعنوي: ((ويعبّر المشير مونتجمري عن أهمية العامل المعنوي فيقول: ((إنّ أعظم عامل من العوامل المؤدية إلى تحقيق النجاح هو روح المقاتل، وإنه لأمر جوهري وهام أن يفهم المرء أنّ المعارك تكسب أولاً وقبل كل شيء في قلوب الرجال، ومن أجل ذلك فإنّ جميع الجيوش تعنى أشد العناية بوضع النظم والأساليب التي تستهدف بناء معنويات رجالها والمحافظة عليها ووقايتها من عوامل الضعف أو الانهيار))⁴.

لقد ملك الإمام عليه السلام القلوب بالقناعة والإيمان، ثم استولى على النفوس بالحب والمودة، وفتح العقول بالفكر والعلم، ثم خاض المعركة ضد الطغاة.

وقد يسأل البعض: وأين الدعم الشعبي من ثورة الإمام ومجموع من التحق بالإمام عليه السلام لا يتعدى المائة، وفي رواية مائة وخمسين؟! والجواب:

أولاً: إنّ النتائج التي تمخّضت عنها ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام تؤكّد الواقع المثالي للدعم الشعبي الذي ملكته ثورة الإمام عليه السلام، ومن جانب فإنّ حجم الرفض الشعبي لحكم الطغاة من بني أمية يؤكّد على تفاعل الناس مع الثورة، فالشام كادت أن تنقلب على يزيد كما يذكر المؤرخون.

ثانياً: إن الكثير كان يرغب في الانضمام إلى جيش الإمام، وهذا ما يؤكده قول الفرزدق: ((قلوب الناس معك وسيوفهم عليك))⁵، ولكن وكما أسلفنا فإنّ همّة وعاظ السلاطين كانت عالية في تثبيط الناس وإركا سهم في مستنقع الذلة والمهانة.

ثالثاً: إنّ معظم البلدان كانت ترفض الانضمام إلى جيش يزيد بن معاوية، فالبصرة لم يخرج منها أحد، وكذلك المدينة واليمن وغيرها من المدن.

وإذا جننا إلى الكوفة فإنّها كانت عصيّة وتعيش هاجس الثورة الأمر الذي أدّى بعبيد الله بن زياد إلى تسفير (50 ألف) عائلة موالية لآل البيت عليهم السلام إلى إيران.

واقعة الطف... رمز التضحية والحق والحرية

تعتبر واقعة الطف من أهم الوقائع الكبرى التي يهتز لها الوجدان الانساني وقد طبعت بصماتها في سجل التاريخ كحادثة كربلاء وقضية كقضية أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام في اثارها للوجدان الإنساني وتحريكها للشعور بالمسؤولية تجاه النظام الإنساني بصورة مستمرة، وعلى الرغم من الزلزال الذي نزل في ساحة الأحداث في المكان الذي وقعت فيه تلك الملحمة الخالدة الاسطورية وما سطرته من معاني وما رسمته من آثار، إلا أن واقعة الطف أرست قاعدة الشهادة المتصلة في الهدف الأساسي أعلاء بالفكر المحمدي الشريف برسالة

الإسلام كمنهج وعقيدة رصيدها الدستور الإنساني القرآن الكريم فكان الامام الحسين قد ادم انتصار العدل والحق وترسيخهما في العقول والقلوب والدفاع عن القيم النبيلة ضد الظلم والاستبداد ونحن بدورنا نعيش هذه الايام شهر محرم وصفر (شهري عاشوراء) ذكرى استشهاد الإمام الحسين واهل بيته وصحابته في واقعة الطف في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام. في الواقع نقول بأعلى اصواتنا ايها الازهابيون كيف تسوغ لكم انفسكم الشريرة وبتعليمات أسيادكم أحفاد ابرهه الحبشي تفجروا وتذبخوا الأبرياء باسم الدين أي دين دينكم!! لا لسبب الا لكونهم أحبوا أهل البيت ويحييون فاجعة كربلاء في واقعة ألطف لما احل بالبيت العلوي الطاهر من تمثيل بأجسادهم الطاهرة، ورغم أصواتكم المريضة فان الأجيال منذ 14 قرنا تحمل الراية وتقود حرباً لا هوادة فيها ضد الطغاة أياً كانوا وتحت أي راية تخفوا بها ومن الجدير بالذكر هو ما اوضحه الاستاذ المحقق الصرخي في بيانه بيان رقم - 69- محطات في مسير كربلاء وهذا مقتبس من كلامه الشريف جاء فيه:

((والآن ايها الأجزاء الأحياب وصل المقام الذي نسال فيه أنفسنا ، هل سرنا ونسير ونبقى نسير ونثبت ونثبت ونثبت على السير ونختم العمر بهذا السير المبارك المقدس السير الكربلائي الحسيني الالهي القدسي في النصح والأمر والإصلاح والنهي عن المنكر وإلزام الحجة التامة الدامغة للجميع وعلى كل المستويات فنؤسس القانون القرآني الإلهي وتطبيقه في تحقيق المعذرة الى الله تعالى أو لعالمهم يتقون. 6 وبهذا سنكون ان شاء الله في ومن الأمة التي توعد الآخرين وتنصح وتأمّر بالمعروف وتنهي عن المنكر فينجها الله تعالى من العذاب والهلاك ، فلا نكون من الأمة التي قعدت عن الأمر والنهي والنصح والوعظ فصارت فاسقة وظالمة وأخذها الله تعالى بعذاب بئيس. ولا نكون من الأمة التي عملت السيئات ولم تنته ولم تتعظ فعذبها الله تعالى وأهلكها وأخذها بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فقال لهم الله كونوا قردة خاسئين⁷، علينا ان نقتدي بالحسين وفاء وعدم إغفال المنهج السليم الصحيح القائم على غرس المثل والقيم السامية واعتماد المبادئ النبيلة تحت أي ظرف لأننا رأينا في سيرة واقعة ألطف كيف يتخلى المد اليزيدي عن المثل الإنسانية كوحش كاسر وينبذ كل القيم ويتحول معه المد الأسود هؤلاء الذين يعرفون فضل الحسين ونسبه ورأوا على رأسه عمامة جده لم يتورعوا عن قتله بلا رحمة مع طفليه الرضيعين وأن يمثلوا بجثمانه الطاهر بكل خسة ونذالة وحقارة.

ما علاقة الحشد الشعبي بالإمام الحسين؟

واجه النبي الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم مختلف انواع النفاق والشقاق والتمرد من الكثير من اصحابه سواء في حياته او بعد استشهاده حتى انه

قال ((ما أودى نبي بمثل ما أوديت)) وكذلك الحال بالنسبة للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وقد ورد عنه في احدى خطبه ((يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رَجَالَ حُلُومِ الْأَطْفَالِ وَعُقُولِ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةَ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ سَدْمًا فَاتَّكُمُ اللَّهُ لَفَدَّ مَلَأْتُمْ قَلْبِي فَيْحًا وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا)) لتكون الادوار التي مرت بالامام الحسن عليه السلام لا تختلف كثيرا عن جده وابيه صلوات الله عليهم حيث انه اضطر بسبب قلة الناصر وخذلان المعين لعقد صلح مع معاوية (لعنه الله) اذ وقف مخاطبا قومه ((فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفركم عن حقكم فقبحا لكم وترحاً،... فاذا امرتكم بالسير إليهم في ايام الصيف قلت هذه حمارة القيظ، امهلنا يسلمنا عنا الحر، وإذا امرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت: هذه صبارة القر امهلنا ينسلك عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فأنتم والله من السيف افر، يا أشباه الرجال ولا رجال)) الا اننا حينما نمر بالامام الحسين عليه السلام نجده يصف انصاره بوصف لم يرد على لسان نبي او وصي او امام معصوم حيث قال ((اللهم انك تعلم اني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت خيراً من أهل بيتي)) اذ اخبر أصحابه في مكة بانه متوجه للموت فاصروا على المسير معه ودعاهم ليلة عاشوراء ان يتخذوا من الليل سترا للخروج من كربلاء، الا انهم رفضوا وابلغوه بان الموت معه اطعم من الشهد حتى امتدح مواقفهم العدو قبل الصديق اذ قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ((ويحك أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: عضضت بالجدل؛ إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضاربة تحطم الفرسان يمينا وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففتها عنها رويداً لأنت على نفوس العسكر بحذاقيرها فما كنا فاعلين لا أم لك)).

فالمواقف البطولية لأنصار الامام الحسين عليه السلام لم تتوقف عند واقعة الطف بل ان التاريخ حافل بمواقف وبطولات الأنصار من عشاق الامام الحسين عليه السلام على مر الدهور، فلو استوقفنا عند حديث الرسول الاعظم مع ابنته الزهراء عليها السلام حينما أخبرها بان لولدها الحسين شيعة سيكون عليه ويقومون له العزاء بل انهم سيسيروا على نهجه ويلتزمون بمبادئه السامية حتى قيام الساعة. ولعلنا لو سلطنا الضوء على ابطال الحشد الشعبي الذين لبوا نداء المرجعية العليا الذي انطلق من مرقده المبارك نجدهم اناس اتصفوا بصفات تذكرنا بأنصاره في واقعة الطف وهم يتسابقون لنيل الشهادة ولم تفارق سنتهم عبارة < لبيك يا حسين > ولم تنزل عن سواعدهم رايته المباركة حتى أصبحت جل امانيتهم بعد الاستشهاد ان يطاف بهم حول قبره الشريف لتعلن ارواحهم عند مرقده المبارك بانها زهقت من اجل ان تبقى راية الحسين تناطح سحب السماء.

لا يختلف من إختلف معي على ان واقعة الطف قد حملت في مضمونها الكثير من

الدروس والعبر ومنها الدعوة للجهاد ونصرة الحق وتحدي الظلم والظالم في سبيل تقويم الدنيا والحفاظ على دين محمد (ص) ورسالته الانسانية ولا يختلف من اختلف معي ايضا حول طبيعة داعش ورسالتها الارهابية التي تتناقض كلياً مع مفهوم الاسلام شكلاً ومضموناً بل انها واحدة من التّنظيمات الارهابية المغطاة بستر الدين الاسلامي والتي تشكل خطراً حقيقياً على الاسلام والمسلمين في كل بقاع الارض لأنها امتداد لتاريخ اسلمة الاسلام وتشويه صورته وجوهره الحقيقي وربما كانت البداية بعد مقتل الرسول (ص) واجتماع السقيفة والتأمر على الاسلام الحقيقي حتى نقل الينا عبر التاريخ صور واحاديث وقصص وحكايات مشوهة عن جوهر الدين اذ ان الامة الاسلامية والعربية امام امتحان خطير من اجل تصحيح المسار بعد سيطرة داعش وتهديداتها على مناطق كبيرة من عالمنا العربي نتيجة للدعم الداخلي والخارجي⁸.

الحشد الشعبي درس من دروس واقعة الطف

العراق هو احد الدول العربية التي انكوت بالارهاب الداعشي واخواتها والسبب هو طبيعة العملية السياسية والمحاصصة التي انشاءها الاحتلال الامريكي، اذ اصبح القانون لدى قادة الكتل والاحزاب هو اللاقانون او بالأحرى الغاء القانون الذي يتنافى مع مصالحهم الضيقة على حساب المجتمع والعملية السياسية برمتها لان اللص والفاسد والارهابي هم الجزء الاكبر من العملية السياسية ولهذا كل ما حدث في العراق من ارهاب وفساد وسرقة لممتلكات الشعب العراقي وأمواله وايقاف كل مشروع يخدم المواطن ينطلق اولا واخيراً من الكتل والاحزاب والشخصيات التي تاملت على الشعب العراقي وباسم الاسلام وهي الوجهة الاخر لداعش بغض النظر عن اسمها وعنوانها، وكان تاريخ واقعة الطف يكتب من جديد وبأسماء مختلفة، وهذا ما نؤكد دائماً عبر سؤال دون اي جواب يذكر: اين هم رجال الدين والشيوخ وقادة الجيش واتباع اهل البيت في نصرة الحسين ع بعدما تركوه وحيداً في ساحة القتال بعيداً عن العقيدة والاسلام والشعارات الرنانة اي فقط من اجل الحصول على جائزة يزيد وهي نفس الجوائز التي يحصلون عليها اليوم من داعش واخواتها في الرضاة بسبب الاستسلام واشباع غرائزهم وقد انتفخت بطونهم وترهلت اردافهم وامتألت حزائهم من السحت الحرام بينما الشعب العراقي يعاني الفقر والجوع والتشرد والقتل حتى اخذ الالحاد يدق ناقوس الخطر بعدما سيطرت داعش على مساحات كبيرة من العراق واخذت تهدد العاصمة بغداد وجميع الاماكن المقدسة، حينها ادركت المرجعية الدينية بالخطر الكبير الذي يهدد العراق واعلنت الجهاد الكفائي من اجل انقاذ الارض والعرض والدين على حد سواء اذ كان هذا الاعلان هو المنقذ الحقيقي للعراق وشعبه⁹، وهو الدرس الحقيقي لآبا عبد الله (ع) في تقويم الدين والدنيا وتطهير العراق من الزنادقة احفاد معاوية ويزيد الذين يرتدون اليوم عمائم مختلفة

الأشكال والألوان ومنهم أتباع طلحة والزبير. ونتيجة لما قدمه الحشد الشعبي من انتصارات كبيرة في أغلب قواطع العمليات وكشف عورات بعض الساسة المتأمرين والمنبطحين ولهذا أخذ الإعلام الداعشي واحفادها في الداخل والخارج بشن حملة اعلامية صفراء للنيل من الحشد الشعبي وقادته الذين قدموا كل غالي ونفيس من أجل صيانة العرض والارض والدين واتهامهم بشتى أنواع الاتهامات الكيدية لانهم أتباع واحفاد صوت الحق والحرية، الا ان الاصرار والارادة الواعية لا تثني أتباع أهل البيت من تحقيق أهدافهم على الرغم من الاشاعات الصفراء لأنها ترتكز على عقيدة ايمانية وعبر ابا عبد الله (ع) في واقعة الطف، ولهذا انتصرت ارادة الشعب وسقطت كل الأفتعة. هنيئاً لكل مجاهد تسلح بسلاح العقيدة والدفاع عن الارض والعرض والدين ولتخرس كل الاصوات المتخاذلة والمنبطحه لداعش واخواتها ولترتفع صرخة > واحسيناه < ليس في العراق فحسب بل في كل العالم الاسلامي والعربي من أجل اصلاح الدين والذنيا والتغلب على روح الاستسلام والانهازمية كي تقدم للعالم الاسلام الحقيقي اسلام الرحمة والحب والاخاء والابداع والعتاء.

داعش هم الامتداد الطبيعي لقتلة الإمام الحسين(ع)

ذهب الحشد الشعبي لأخذ الثأر من قتلة الامام الحسين عليه السلام، وان المقصود من قتلة الحسين عليه السلام هم الدواعش ولو كان الامام الحسين سلام الله عليه في هذا الزمان لقتلوه.

لقد صرح داعش بأنهم لا يستهدفون بغداد بل ارادوا ان يستهدفوا كربلاء، من يوجد داخل كربلاء غير الحسين عليه السلام وجسد الحسين، ونحن نعتبر ان داعش هم قتلة الحسين عليه السلام وهم الامتداد الطبيعي لقتلة الحسين عليه.

لقد حاول الإرهابيون واعلام بعض الدول الاقليمية تصوير معارك الحشد العبي مع داعش على انها معارك طائفية وحرب أهلية مما اثر على مستقبل العراق والوحدة بين أبناء الوطن الواحد، جرى حوار صحفي مع زعيم عصائب أهل الحق، الشيخ قيس الخزعلي وتابعته (وكالة انباء الاعلام العراقي) والذي اجاب بدوره على تلك التساؤلات، وتطرق ايضا الى موضوع الطائفية واصفاً اياها بأنه لم تكن سابقاً بهذا المستوى يعني لم تكن بهذه الصورة قبل مجيء الاحتلال الامريكي الى العراق وهو الذي رسخه بطريقة او بأخرى وبشكل مباشر او غير مباشر، رغم ذلك ورغم التفجيرات الكثيرة الى ان الشيعة لا يعرفون من هو الفاعل، وظلوا ينظرون بقلق و تخوف للوضع السني بشكل عام.

وتابع الشيخ الخزعلي: بعد ان ظهر الإرهاب بثوب داعش بشكل رسمي وعلمي واثبت بانه هو المسؤول عن المجازر والذبح والقتل وهاجم الطرف السني أيضاً، اتضحت المعادلة. لذلك لا توجد وجهة نظر واحدة.

ان الاشخاص الذين يعيشون في مناطق شيعية ومناطق مقلدة قد تكون لهم نظرة تردد وعدم وضوح للمكون السنني لكن بشكل عام عدد كبير من النازحين من المحافظات السننية سكنوا في مناطق شيعية في كربلاء والنجف.

أهل السنة في كربلاء والنجف

من الواضح لنا جميعا أن جزءا كبيرا من أهل السنة قد سكنوا في محافظتي النجف وكربلاء، وقد تكون هناك احصائيات لدى الأجهزة الحكومية في المحافظات بهذا الشأن، لكن جزء كبير من اهالي محافظة الموصل سكنوا داخل محافظتي كربلاء والنجف والقسم الاكبر هم من السنة. انا بشكل شخصي اعرف ان في منطقة المشخاب والحيدرية خان النص الشيعية في النجف الاشرف يعيش الكثير من السنة، ان اعدادهم ليست كبيرة لكن بالنتيجة هم موجودون.

تجربة داعش

نحن نعتقد ان داعش خفف من النظرات الطائفية وقلل من النفس الطائفي وان الشعب العراقي أدرك انه يستطيع التعايش مرة اخرى لان المشكلة في الدرجة الاساسية بين الاطراف السياسية السننية والشيعية أكثر من انها مشكلة بين الاطراف الجماهيرية.

الاول انه كانت هناك مراهنات على ايجاد اقتتال شيعي شيعي فيما بعد داعش، كانت المراهنات من قبل العدو، هذه معلومة حقيقية وكانت من قبل بعض الدول العربية في الخليج (الفارسي) والسعودية تسعى من خلال الاعلام ومن خلال الاموال على ايجاد اقتتال شيعي شيعي في العراق، الهدف الاول لنا كان من خلال ذلك الاجتماع افشال محاولات ومشاريع اقتتال الشيعي الشيعي.

الحشد الشعبي العراقي وسوريا

انتصر الحشد على داعش والتكفيريين في العراق وان شاء الله بالطرق القانونية والصحيحة سيساهم في الانتصار على التكفيريين في سوريا. أصبح الحشد مؤسسة قانونية يعني ليس غريبا ان الحكومة العراقية التي تعرضت لشر داعش من خلال سوريا ان تعمل على تعاون بينها وبين الحكومة السورية في التصدي لداعش في المناطق الحدودية والقريبة من العراق وان هذا الامر طبيعي جدا.

الحسين يُقتل من جديد

إن من ابرز الحقائق التي جسدتها نهضة الإمام الحسين "عليهم السلام" هي انتصار الدم على السيف، وانتصار الفضيلة على الرذيلة، وانتصار الحرية على العبودية، وانتصار العزة على الذل، وانتصار الإنسانية على البهيمية، انتصار الاعتدال على التطرف، انتصار النور على الظلام، هذا الانتصار يعجز عن

تحقيقه جبايرة الفراعنة والطغاة، مهما امتلكوا من جيوش جرارة، وأسلحة دمار شامل، فقتلة الحسين وان استطاعوا أن يقتلوه جسدياً في واقعة الطف، إلا إنهم فشلوا وخسروا معركتهم مع أهداف وقيم الحسين، ومشروع الحسين، وخلود الحسين، ورسالة الحسين التي نهل منها جميع الأحرار والثوار والمفكرين، فالسر في خلود الحسين هو هذه القيم والطاقة التي يبعثها في قلوب الثائرين والمفكرين التي تحققت بانتصاره "عليه السلام"، ولذلك إن أي محاولة لتسطيح ثورة ومشروع وقيم رسالة الحسين، أو الالتفاف عليها، أو توظيفها انتهازياً والمتاجرة بها، أو حرفها عن مسارها الحقيقي، أو اختزالها في طائفة معينة، أو مذهب معين، أو إعطائها بُعداً مذهبياً، أو طائفيّاً، أو التركيز على جانب العبرة وإهمال جانب العبرة، أو تشويهه للشعائر الحسينية، أو السكوت عن الظالم والسارق والتكفيري والطائفي والفساد والقمعي والإقصائي والتابع والعميل والإنتهازي، فضلاً عن تمكينه وتسليطه على الرقاب، فكل ذلك يعني قتلٌ للحسين، وأي قتل؟!، القتل الذي عجز عنه قتلته، قتل القيم والمبادئ والأهداف والمشروع والرسالة التي ضحى من أجلها الحسين رسالة الإصلاح والعدل والسلام والحرية ونصرة المظلوم والوقوف بوجه الظلم والفساد.

لا بد ان نتيقن الوجوب والالزام الشرعي العقلي الاخلاقي التاريخي الاجتماعي الانساني في اعلان البراءة من ان نكون كأولئك القوم وعلى مسلكهم وبنفس أفكارهم وأفعالهم¹⁰.

الحشد الشعبي يزج بـ" الحسين " في معارك تحرير الانبار

باختيارها شعاراً لمعركة "تحرير الأنبار" من تنظيم داعش الإرهابي، زجت قوات الحشد الشعبي بـ"الحسين بن علي" في معركة لم يختر أن يكون جزءاً منها. وبدعوى تحرير أكبر المحافظات السنية في العراق أطلقت مليشيات الحشد الشعبي على العملية اسم "لبيك يا حسين"، وفي مؤتمر صحفي بثه التلفزيون العراقي الرسمي قال أحمد الأسدي الناطق الرسمي باسم مقاتلي الحشد الشعبي الذين يشاركون في العملية، إن العملية أطلق عليها اسم "لبيك يا حسين". وأنشئت مليشيات الحشد الشعبي بعد فتوى للمرجع الشيعي علي السيستاني بالجهاد لتحرير العراق من تنظيم الدولة، ويتكون الحشد الشعبي من مليشيات شيعية كانت موجودة سابقاً، مثل فيلق بدر وعصائب الحق وسرايا السلام، وانضم إليها آلاف من المتطوعين الشيعة. وظلت مشاركة قوات الحشد الشعبي في عمليات التحرير موضع جدل بعد رفض السلطات الأمريكية المشاركة في أي عمليات يشارك فيها الحشد الشعبي المتهم بجرائم ضد الإنسانية في المناطق التي دخل إليها، وكانت عشائر الأنبار ترفض بشدة مشاركة الحشد الشعبي الشيعي في التصدي لتنظيم الدولة في الرمادي، لكن الموقف تغير بعد انسحاب القوات العراقية من الرمادي بعد هجوم عنيف شنه تنظيم الدولة.

و من غير معروف لماذا اختار الحشد الشعبي هذا الاسم ذا الدلالات الطائفية لعملياته في محافظة الأنبار السنوية¹¹. ورغم خسارة تنظيم الدولة للكثير من المناطق التي سيطر عليها في محافظات ديالى ونيوى وصلاح الدين، فإنه استطاع السيطرة على مدينة الرمادي مركز محافظة الأنبار كبرى محافظات العراق. وتشارك محافظة الأنبار بحدود طويلة مع محافظة صلاح الدين.

لقد تحقق النصر بتضحيات الحشد الشعبي وأبناء قواتنا المسلحة من الجيش والشرطة الاتحادية والقوة الجوية والبيشمركة وأبناء العشائر وجهاز مكافحة الإرهاب وجميع المواطنين والقوى السياسية التي دعمت وأسندت وتبرعت.

أن انتصارنا في العراق كان له انعكاس إيجابي على كل الجبهات التي تواجه الارهاب خصوصا في سوريا ولبنان اليمن ومصر وباقي دول العالم.

الخاتمة:

أنا نجدد التهئة والتبريك لبواسل العراق الشجعان الذين سطوروا الملاحم والانتصارات ونقبل أيديهم التي أمنت مستقبل بلدنا، كما لا يفوتنا ان نتقدم بالشكر لكل الدول التي وقفت معنا ضد الإرهاب، والشكر للحكومة والوزارات الأمنية التي تحملت تبعات الجهاد ضد الإرهابيين. تسعى حكومتنا الى المحافظة على هذا النصر من خلال المضي في حركة اعادة البناء والإعمار وإعادة النازحين وإعمار كل المحافظات العراقية وتحقيق التوافق السياسي واحترام الدستور ورعاية عوائل الشهداء والاهتمام بمتطلبات خدمات العراقيين الذين صبروا على المحن ونجحوا في تجاوز الأزمات وافشال مخططات أعداء العراق.

السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين والسلام على أبنائك وعلى أصحابك وأنصارك وعلى من سار على نهجك إلى يوم الدين السلام على من بقي وفياً لدمائك ومبادئك والخزي والعار لكل من خان مبادئك ممن ادعى أنه ينتسب إليك بلا حق ولنردد يا حسين - يا حسين - يا حسين - هيهات منا الذلة.

النتائج:

1- ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومركز دعائم الإيمان والتقوى وصيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والامام الحسين (عليه السلام) يريدون العمل بالإسلام والجهاد في سبيل الإسلام لتحقيق ما تتطلبه النفوس من سعادة ورخاء وأمن واستقرار وعدل وانصاف ومساواة وهناء وكل الصفاة الطيبة والمثل العليا والأخلاق الكريمة فإذا ما توفرت كل هذه المكرمات في المسلم كان من شيعتهم والمتبعين لأولئك القادة الذين نهجوا الصراط السوي للمؤمنين ورسموا وخططوا الحياة السعيدة لمواليهم ومحبيهم ومؤيدي فكرتهم والمؤمنين بما جاءوا به من عند الله فيا ايها المؤمنون عليكم بالإسلام وتعاليمه وتمسكوا بأهدافه لأنها المنجى لكم دنيا وأخرة وتفهموا جيدا

- نهضة الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) وتضحيتها من أجلكم. فسلام عليك أبا عبد الله يوم ولدت و سلام عليك يوم استشهدت و سلام عليك مع الخالدين.
- 2- اليوم هنالك حشد يسطر اروع ملاحم الجهاد والقتال في سوح الوغى وهو يدافع عن الارض والمقدسات ليضاهي اصحاب الحسين "ع" في فتية آمنوا بربهم فزدناهم هدى.
- 3- يبقى الحشد الذي قاتل في الطف، والحشد اليوم على سواثر القتال، حكاية كتبت حروفها بأسم الحسين لتطبق في زمانين، وبين هذه وتلك، حكاية ايمان وعقيدة وفداء، رفعتها سواثر القتال.
- 4- استلهم الحشد الشعبي مبادئه ومنطقاته من ثورة الامام الحسين(ع) وان ما يُعرف بتنظيم داعش ماهو الا صورة من صور العداء الازلي للاسلام وما ادعائهم بانهم تنظيم الدولة الإسلامية الى جانب ما يسلكونه من سلوكيات اقرب الى سلوكيات اليهود، ماهي الا مخطط لتثويهِ الإسلام والحط من شأنه امام العالم ليتمثل لهم انه دين إرهاب لا دين سلام، وهذه صورة تقف بالمقابل من صورة يزيد (لعنة الله عليه) ومن سار خلفه وهان عليه قتل ابن رسول الله وقتل اهله واصحابه ببشاعة.
- 5- ان استشهاد الامام الحسين عليه السلام يمثل بداية الثورات التي حملت مهمة الاخذ بثأره (ع) بعد ما سببه استشهاده من شعور بالاثم في ضمير كل مسلم.
- 6- تركت الثورة الحسينية اثارها في العقيدة الإنسانية جمعاء، ليس الشيعة فحسب، لان ثورة الحسين (ع) لا تمثل فئة دون غيرها لانها ثورة للعالم اجمع.
- 7- ان الإمام الحسين (ع) لم ينج من الاتهامات والطعن والقتل وان نسائه وابنائهم لم يسلموا من القتل والسبي، فهل نرتجي اليوم ان يسلم ابناؤنا في الحشد الشعبي من اتهامات العاجزين واشباه ارجال.... سلمتم وسلمت البطون التي حملتكم.

الهوامش:

- 1 إن الإمام (عليه السلام) والأئمة من بعده ومؤسس الإسلام جدهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومركز دعائم الإيمان والتقوى وصيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام). يريدون العمل بالإسلام والجهاد في سبيل الإسلام كافة غاية ما تتطلبه النفوس من سعادة ورخاء وأمن واستقرار وعدل وانصاف ومساواة وهناء وكل الصفات الطيبة والمثل العليا والأخلاق الكريمة.
- 2 من معالم الحق ص 109 للشيخ محمد الغزالي ط نهضة مصر.
- 3 التوبة: 34.
- 4 العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ، ص 37.
- 5 مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني، ص 73. الإرشاد: الشيخ المفيد، ج 2/ص 67.
- 6 قال العزيز الحكيم في كتابه العزيز: { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْزِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ } الأعراف/164.

- 7 قال العزيز الحكيم: { لَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنحَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ { الأعراف/165-166}}.
- 8 أخذت تهديدات داعش وأخواتها ليس فقط تهديد السلام في العالم فحسب بل تهديد دين محمد ورسالته للعالمين تلك الرسالة التي ارتبطت اليوم مع الأسف الشديد بالنحر والقتل والسبي والارهاب حتى أصبح الإسلام الكلمة المرادفة للإرهاب.
- 9 بعدما استجاب لدعوة الجهاد أكثر من ثلاثة مليون مجاهد من شيب وشباب، طرزوا اروع الملاحم البطولية في الجهاد والقتال والاستشهاد من اجل العراق والدين تحت شعار (واحسيناه).
- 10 حيث وصفهم الفرزدق شاعر الامام الحسين ((عليه السلام)) بقوله: ((اما القلوب فمعدك واما السيوف فمع بني امية)) فقال الامام ابي عبد الله الحسين عليه السلام: ((صدقته، فالناس عبيد المال والدين لعق على السننهم يحوطونه ما درت به معاشهم، فاذا حصوا بالبلاء قل الدينون)).
- 11 إن عمليات تحرير محافظة الأنبار من عناصر تنظيم الدولة، كانت بمشاركة جميع تشكيلات القوات الامنية والحشد الشعبي ومقاتلي العشائر.
- المصادر:**
- 1- كتاب (فاجعة الطف أبعادها، ثمراتها، توقيتها) وهو (بحث تحليلي في النهضة الحسينية ودورها في وضوح الحقيقة الدينية، السيد محمد سعيد الطباطبائي).
 - 2- دليل الباحث عن الإمام الحسين باللغة العربية، عبد الجبار الرفاعي، يحتوي على 230 كتاب.
 - 3- المؤلفون في الإمام الحسين وثورته المقدسة؛ محمد هادي الأميني.
 - 4- المدونات التاريخية لواقعة الطف: السيد عبد العزيز الطباطبائي.
 - 5- عوامل خلود الثورة الحسينية، دار المجتبي، عامر هندوي، قم، ايران، 2006م.
 - 6- الشهيد والثورة، هادي المدرسي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط2، 1982.
 - 7- الملحمة الحسينية، مرتضى المطهري، تعريب السيد محمد صادق الحسيني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1992م.
 - 8- مقالة للناقد فاضل ثامر رئيس اتحاد الأدباء والكتاب نشرت في جريدة الصباح -8 <http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=80327>
 - 9- الاعلام الدولي للعتبة الحسينية المقدسة، مقالة لمحمد الشذر نشرت بتاريخ 2016/11/10 على الموقع الالكتروني <https://im.imamhussain.org/arabic/articles/5644>
 - 10- مقالة لأحمد الركابي نشرت في أكتوبر/ تشرين الأول 2017 في صحيفة كتابات Kitabat صحيفة الكترونية شاملة مستقلة تأسست في 2002/9/1 <https://kitab.com>
 - 11- مقالة لـ (ولاء الصفار) من الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة.
 - 12- صحيفة الحقيقة في العراق، صحيفة تهتم بالشأن العراقي والعربي والعالمي، مقالة للكاتب طارق المالكي.
 - 13- وكالة انباء الاعلام العراقي، لقاء مع الشيخ الخزعلي
 - 14- مؤسسة النور للثقافة والاعلام، للكاتب احمد محمد الدراجي في 2017/10/4.
 - 15- مقالة للشيخ حسن الشمري، مكتبة العتبة الحسينية المقدسة http://imamhussain-lib.blogspot.com/2014/11/blog-post_52.html
 - 16- <https://arabi21.com>
 - 17- مقالة لعبد العظيم الجصاني، مكتبة العتبة الحسينية المقدسة.

الزيارة الأربعينية منهاج الإنسانية وتكاملها

د. هيام طعمة مطلق

قسم اللغة العربية

كلية الإلهيات

برديس فارابي - جامعة طهران

Hyatwalzwyny@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الزيارة الأربعينية، المنهاج، التكامل، الأبعاد

The Fourteenth Visit
The Platform for
Humanity and its Integration

key words: 40th Visit. Curriculum. Integration. Dimensions.

Dr. Hiam Toama Mutlaq

ملخص البحث

لا شك أنّ للشرعية المحمّدية المقدّسة غايات وأهدافاً جليّة في مقدماتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والرجوع إلى حيث أمر الله قال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/156)، وقد أوجدت لذلك سبيل بينتها وطرائق أوضحتها منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترّة الهادية صلوات الله عليها كما نصّ على ذلك حديث الثقلين المتواتر، ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة أنّ الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أبواب الله تعالى التي منها يوتى، وأنهم سلام الله عليهم سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع نهجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

تضمّن البحث الأبعاد التكامليّة في الزيارة في كل الأزمنة والأمكنة، وفي جميع الأصعدة، كذلك تضمّن السير والسلوك نحو الكمال من خلال الزيارة الأربعينيّة.

أهمّ ما توصل إليه البحث هو لقاء المسيرة وسيورتها نحو الكمال، وحثّها على التكامل الإنساني من خلال البعد الزمكاني، والوصول إلى الغاية المنشودة.

Abstract

There is no doubt that the sacred law of Muhammadiyah has great goals and objectives, first of which is to walk the Son of Adam to human perfection and to return to the command of God. He says: "We are God and we return to him." (Al-Baqarah 156). And the guidance of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), as stated in the hadeeth of al-Takhleel al-Mutawwir, as well as what is stated in the honorable visits. We Get to safety where eternal happiness and divine satisfaction.

The research included the integrative dimensions of the visit in all times and places, and at all levels, as well as ensuring behavior and perfection through the visit to the fourteenth.

The most important point of the research is the purity of the march and its progression towards perfection, and urging it to human integration through the dimension of fellowship, and reach the desired goal.

الزيارة الأربعينية منهاج الإنسانية وتكاملها

د. هيام طعمة مطلق

قسم اللغة العربية

كلية الآداب

بغداد - جامعة طهران

Hyatwalzwny@gmail.com

مقدمة:

إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو سفينة النجاة العظيمة والسريعة وفق الأحاديث الشريفة، بل هو سلام الله عليه سفينة الكمال، وقد ورد في الأثر الشريف: «قال الحسين عليه السلام دخلت على جدي وعنده أبي بن كعب فقال لي مرحباً يا زين السماوات والأرض فقال أبي كيف يكون غيرك زينهما فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي بعثني بالحق إنَّه لفي السماء أكبر منه في الأرض وإنَّه مكتوب على يمين العرش وإنَّه لمصباح هدى وسفينة نجاة»¹.

الحديث الشريف ذو مضامين كبيرة لا نستطيع الإحاطة بها بهذه البحث، لذا ومن أجل الوقوف على جانب صغير منها لا بدّ من بحث بعض المفردات التي وردت فيه كالعرش ويمينه.

امتاز الإمام الحسين (صلوات الله عليه) عن سائر الشهداء والثائرين بخصائص تفوق كل الشهداء فأصبح سيد الشهداء من الأولين والآخرين، وهذا لا باعتباره إماماً معصوماً فقط، ولا لأنه سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وريحانته من الدنيا فحسب، بل لجلالة الأهداف التي فجر ثورته من أجلها، وعظمة التضحية التي قدمها (عليه السلام)، وتكاملية الأبعاد فيها.

إن زيارة الأربعين تحظى بمزايا وخصائص كثيرة، فهي سير وسلوك للتكامل الإنساني، كون أنّ السائر على منهاجها يمتاز بالتوفيق الإلهي، ويرفع له من الدرجات العليا، وكذلك رضا الله سبحانه، ودعاء الرسول الأعظم، ودعاء أمير المؤمنين والأئمة الأطهار، وغفران الذنوب، وحصول الشفاعة وغيرها كما ورد في روايات أهل البيت، فهم يحثون شيعتهم ومحبيهم على الزيارة ويشجعونهم على ذلك حتى مع وجود الخوف والخطر.

إنَّ السائرين على منهاج الزيارة الأربعينية يتنافسون في السعي إلى التحلّي بالأخلاق الحميدة، والوصول إلى الكمال الإنساني وإنجاز الأعمال الصالحة، لكي يرتفعوا بدرجاتهم ومنازلهم عند الله (عز وجل).

إن سبب عظمة الزيارة الأربعينية هو ارتباطها بالله (ﷻ) حيث نقرأ في زيارة الأربعين: «فبذل مهجته فيك...»، فهذه العظمة هي عظمة الهيبة لذا تكون باقية. لذلك علينا السعي ما أمكننا للارتباط بالله سبحانه وتعالى حتى نضمن البقاء، فبالقدر الذي نربط أنفسنا بالله نكون باقين ما بقي الدهر، ونصل إلى ذلك التكامل المنشود.

لأريب أن زيارة الأربعين أضحت حدثاً عالمياً، بل هو حدث زمكاني، فزمانه يشمل جميع الأمانة، ومكانه يشمل جميع الأمكنة، فهو حدث لا تعرف البشرية له نظيراً، على المستوى المادي والمعنوي، وهذا ما يجعل الحدث الأربعيني استثنائياً، وأن المشاهد المرتبطة بزيارة الأربعين، التي ترتسم على أصقاع عديدة من الأرض، وخاصة في كربلاء المقدسة، وخاصة زيارة الأربعين، تعبق بمواقف نادرة وفريدة، فليس في الأرض ما يشبه مشهد ملايين السائرين الذين يرومون الوصول نحو الكمال الإلهي، والكل يعمل على شاكلته، فهم يمشون على الأقدام، مستصحبين معهم الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، مسافة تتجاوز 600 كيلومتراً، لا يباليون بحرارة الشمس وعواصف الغبار، ولا تساقط الأمطار وبرد الثلوج، ولا يأبهون بسيارات الإرهابيين المفخخة وعبواتهم الغادرة، وهو تعبير صادق عن عمق ارتباط هذه الحشود المليونية بالإمام سيد الشهداء (عليه السلام).

إن عمق الانتماء للزيارة الأربعينية ينبغي أن يدفع المؤمن إلى بلورة حبه لسيد الشهداء (عليه السلام) إلى كلمة طيبة، وعمل صالح، وعلم نافع، وخلق رفيع، ونصرة المظلوم، وإصلاح ما فسد من أمور الناس، ومد يد العون للمحتاج والضعيف، ورعاية الأيتام والأرامل، واتخاذ كبير المسلمين أباً وأوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً، والنظر إلى الناس على أنهم إما أخ في الدين أو نظير في الخلق، وأن هذه المسيرة هي نهضة إصلاحية نحو التكامل الإنساني لم تتوقف منذ أن انطلقت في العام 61 هـ، وأن ساحة الفوز والخسارة ما زالت مفتوحة للجميع، كما أن عوامل الفوز والخسارة تحيط للجميع، وهذا ينبغي أن يكون حاضراً في قلب وعقل ووجدان الزائر، فالجميع يستفيد من هذه الزيارة الاستثنائية استفادة استثنائية، ليحاول كل واحد منكم، خلال الأيام التي يقضيها في هذه الزيارة، أن يهتم بمحاسبة نفسه يومياً، ولو لدقائق معدودة، من أجل إصلاحها، كما أكد الأئمة (عليه السلام) ذلك.

ارتأينا أن نكتب بحثاً في زيارة الأربعين ومنهاجها الذي يدعو إلى التكامل الإنساني لنظهر الصورة الحقيقية لتلك الأبعاد، وكان بحثنا قد اتخذ في دراسته المنهج الموضوعي، وقد شرعنا بذكر السلوك المتبع في الزيارة، والإصلاح المقتبس من تلك النهضة، والأبعاد الزمانية والمكانية.

وقد بذلنا جهدنا في إظهار الحقيقة، وأعملنا فكرنا لنضع هذا البحث المتواضع بالمستوى المطلوب ليكون لنا زاداً في أولانا وأخرانا ﴿وما توفّيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (هود/88).

المنهاج التكاملي:

إنّ زوار الأربعين يعرفوا أنّ عليهم التحلّي بالصفات الإيمانية الفاضلة، لتحقيق أدب الزيارة ونتائجها المرجوة، كي يصلوا إلى الكمال الإلهي، وهي: الإخلاص لله (ﷻ)، والسعي والمشاركة في إنجاز الأعمال الصالحة، والالتزام بالأخلاق الحسنة.

إنّ الذين يصلون إلى حقيقة زيارة أربعينيّة الإمام الحسين (ﷺ) يبلغون الكمال، والشريعة المقدسة طالما بعثت المسلمين إلى التكامل المعنوي عبر الماديات وتحمل الصعوبات والمشاق وكأفضل مثال لذلك السفر لحج بيت الله الحرام كفرض واجب على كل مستطيع واستحباب الحج لمن حج سابقاً، وجعلت لذلك الثواب العظيم وذات الأمر نجده في زيارات مرآة المعصومين سلام الله عليهم ابتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى الإمام الهادي والعسكري سلام الله عليهما لكن عند استقراء الروايات الشريفة نجد أن لزيارة سيد الشهداء تميّز خاص وثواب فاق الجميع بل فيها إشارة إلى التكامل الإنساني موضع البحث فعن زيد الشحام قال: «قلت لأبي عبد الله (ﷺ): ما لمن زار قبر الحسين (ﷺ)؟ قال: كان كمن زار الله فوق عرشه.

قال: قلت: ما لمن زار أحدا منكم؟

قال كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»².

وعن الحسين بن محمد القميّ عن أبي الحسن الرضا (ﷺ) قال: «مَنْ زار قبر أبي عبد (ﷺ) بشطّ الفرات كَمَنْ زار الله فوق عرشه»³.

إنّ زيارة سيد الشهداء (ﷺ) وهي بهذا الثواب العظيم لا بدّ لها من تكامل أولي واستعداد ذاتي حتى يوفّق الشخص لزيارته فعن الفضيل بن عثمان عن حدثه عن أبي عبد الله (ﷺ) قال: «مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ حَبَّ الْحُسَيْنِ (ﷺ) وَحَبَّ زِيَارَتِهِ، وَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ السُّوءَ قَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ بَغْضَ الْحُسَيْنِ (ﷺ) وَبَغْضَ زِيَارَتِهِ»⁴.

لو تأملنا في الرواية نلاحظ أنّها هدفت إلى جمع المؤمنين على حبّ الحسين وأنّ الله يحبّ من أحبّ الحسين (ﷺ) كما صرحت بذلك رواية صدر البحث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن هنا نفهم جانب من المتحابين في الله وقد جعل الله لهم الثواب العظيم والمنزلة الرفيعة فعن أبي جعفر الباقر (ﷺ) قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمين وكتلتا يديه يمين وجوههم أشدّ

بياًضاً وأضوء من الشمس الطالعة يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرب وكلّ نبيّ مرسل، يقول الناس من هؤلاء فيقال هؤلاء المتحابون في الله»⁵، أي أنّ الحبّ والبغض في الله جامع لهدف واحد من مصاديقه الكاملة حبّ الحسين (عليه السلام) وإظهار ذلك الحب والود بالتوجه إلى الله سبحانه عبر الحسين ومن عند الحسين (عليه السلام)، فعظم الله سبحانه أجر من زار الحسين بثواب عظيم جزيل فجعل ووفق الروايات الشريفة في كلّ خطوة حجة وعمرة مبرورة وهكذا يضاعف الله لمن يشاء.

البُعد الزمكاني:

لقد قرن الله سبحانه بزيارة الحسين ظرفين مكاني وزماني وعظّمهما وجعلهما هدف الزائرين فوَقَّت الروايات الشريفة زيارات مخصوصة لسيد الشهداء عليه السلام كزيارة عرفة العظيمة وزيارة النصف من شعبان الشريفة وزيارة النصف من رجب وزيارة الأربعين وهي محل البحث، لذا سوف نبحث عبر الروايات في كلا الطرفين المكاني أرض كربلاء المقدسة والزماني زيارة الأربعين الشريفة.

لاشك أنّ كربلاء تُعدّ من أشرف بقاع الأرض، فهي أرض طاهرة مطهّرة بدم سيد الشهداء (عليه السلام) كما هو نص الزيارة الرجبيّة، وعن أبي الجارود قال: «قال علي بن الحسين (عليه السلام): اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام وأنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون - أو قال أولو العزم من الرسل - وأنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض يغشي نورها أبصار أهل الجنة جميعاً وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة»⁶.

نلاحظ زيارة الأربعين وظرفها الزماني فيه بُعداً عظيم المضامين، فهي تكون في يوم العشرين من شهر صفر الخير، والتي أصبحت علامة للتكامل، وسمة للمؤمن، فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال: «علامات المؤمن خمس، صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»⁷.

كما ونلاحظ أنّ عدد الأربعين ذاته يمثل جانب التكامل في الإنسان قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه» [15]، وقال عليه السلام: «من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً فلم يعذبه»⁸.

لقد أشار القرآن العظيم إلى ذات العدد في مسألة التكامل قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ (الاحقاف/ 15)، وكذلك الله سبحانه واعد موسى (عليه السلام) لأربعين يوم حتى يتلقى التوراة منه سبحانه قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة/ 51). كذلك نجد الأمر في الروايات الشريفة ما ورد عن الإمام الصادق إنه قال: «إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً وأنت أعلم به منا قال الله تبارك وتعالى قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون»⁹. والحديث حول صلاة الليل حيث يستحب الدعاء لأربعين مؤمناً وكذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «من قدم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا بنفسه أستجيب له»¹⁰، وشاءت إرادة الله سبحانه أن تكون نهضة سيد الشهداء وآله الأطهار من حين شهادته في العاشر من محرم عام 61 للهجرة في كربلاء حتى العشرين من صفر من ذات السنة وهي مدة مثلت مسيرة السبايا من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى دمشق في الشام والعودة إلى كربلاء المقدسة، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة من جميع أنحاء العالم إلا تذكير بمسيرة كربلاء الخالدة.

إن من كان في كربلاء المقدسة - الظرف المكاني - وفي يوم الأربعين - الظرف الزمني - فقد جمع عاملي التكامل المنشود شرط الاستعداد المسبق للتكامل لاسيما حب الله ورسوله وأهل بيته وكذا إن يكون عارفا بحقهم أي الجانب العلمي، فمن يكون له ذلك يكون قاب قوسين من التكامل المقصود.

الأبعاد الدلالية والمعنوية في الزيارة:

إن أبعاد زيارة الأربعين الدلالية والمعنوية تأتي لعدة دلالات ومعاني إسلامية وأخلاقية وعاطفية هي التي تدفع وتجدد من حرارة زيارة الأربعين الحسينية، وتدعو نحو التكامل، ومنها على سبيل المثال:

أولها: رضى الله سبحانه وتعالى الذي كان الحسين أشد حبا وطلبا لرضاه سبحانه وتعالى.

ثانيها: نصره المبادئ الإسلامية التي من أجلها استشهد الحسين (عليه السلام) في العدل والكرامة والحرية وتطبيق الشريعة الإسلامية السمحة والالتزام بأوامرها ونواهيها في هذه الحياة.

ثالثها: تجديد البيعة للإمام وخطه الإسلامي الثوري الجهادي.

رابعها: مواساة لأهل البيت بعد عودتهم من سبي طغاة آل أمية لهم من الشام، وكذلك مواساة للرسول الأعظم وبنته الصديقة الطاهرة..

خامسها: تحدّي الظالمين وطلباً للعدل، والحريةّ منهم في كل زمان ومكان، والذي يرون في زيارة الحسين وحبّه والهنّاف باسمه تهديداً لظلمهم وطاغوتهم السياسيّ.

سادسها: طلباً للثواب الإلهي العظيم بعد رضاه، حيث ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قوله: «مَنْ زار قبر الحسين عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»¹¹.

سابعها: التأكيد على شرعية خروج الإمام الحسين (عليه السلام)، وثورته ضد الحاكم المنحرف، والفاقد والظالم، في الوعي الإسلامي المحمدي الأصيل، والإطاحة بأكذوبة حرمة الخروج على الحاكم الظالم والفاقد.

ثامناً: بناء المثل الأعلى للفرد المسلم، والممثل بالإمام الحسين، كي يكون ضميراً داخل أي مسلم تجرّفه الأهواء والدنيا وحبها..... قليلاً ليساهم النموذج الحسيني فيما بعد لإرجاع التائهين من المسلمين إلى طريق الإسلام النقي والمضحّي والسامي والرفيع والكبير وصاحب المعنى والمشروع في هذا العالم !.

تاسعها: السير إلى التكامّل الإنساني من خلال الإخلاص والصّلاح، وحبّ الآخرين وخدمتهم، وبذل الغالي والنفيس من أجل إحياء الشعائر.

عاشرها: الوصول إلى الهدف المنشود والمبتغى، وهو رضوان الله تعالى، واتباع المنهاج الحقيقي الناجح في تكامل الأمة.

هناك الكثير من الدلالات، والمعاني التي استنبطتها زيارة الأربعين الحسينية أثّرنا عدم ذكرها للاختصار والاكتفاء بما ذكر باعتبارها أصبح من الواضحات الإسلامية والفكرية والعاطفية لأتباع آل البيت في كل مكان من هذا العالم والذي تعتبر دوافع ومحركات ودلالات تستنهض همم الزائرين.

أربعينيّة الحياة:

يبدو أنّ الزيارة الأربعينيّة ولادة للدلالات التكامليّة، ومتجددة مع الزمن، فهي عملية إحياء روح الثورة بالوعي بعدما ثبتت جذورها الإسلاميّة الحسينية بالدم في العاشر من محرم من سنة واحد وستين هجرية، وطقس الزيارة الأربعينية، أو ذكر المتوفى بعد أربعين يوماً من انتقال روحه للعالم الآخر، وجسده لعالم ما تحت الأرض طقس ضارب في القدم الزماني الإنساني، وطبعا أيضاً مع دلالاته ومعانيه الفكرية والدينية والعاطفية وغير ذلك، ولكن ما يميز الأربعينية الحسينية عن أربعينية أي إنسان عاش في هذه الحياة برهة من الزمن لتنتهي حياته فيها ولنذكره في الأربعين من انتقاله ولتطوى صفحته إلى الأبد فيما بعد ذلك، فزيارة الأربعينية الحسينية هي في الواقع ليست أربعينية موت إنسانية

عادية بقدر ماهي أربعينية حياة وبعث جديدة لهذا الإمام العملاق والشائر الفذ الحسين (عليه السلام).

إنّ زيارة الحسين الأربعينية لم تكن من دلالاتها، ومعانيها الأصيلة، هي ذكر استشهاد، وموت الحسين والبكاء عليه، والحنين لفقده بعد أربعين يوماً لا غير كما هو متعارف في أربعينيات باقي البشر عندما يُفتقدون عاطفياً بعد مرور أربعين ليلة من فقدهم من هذه الحياة، كلاً بالطبع، بل الأربعينية الحسينية، ومن أعظم دلالاتها ومعانيها وإحياءاتها الفكرية والعاطفية والروحية والدينية والفنية والعقلية... الخ إنّها أربعينية إحياء وقيامة وبعث وليست أربعينية وفاة ونهاية، أو بمعنى آخر إنّها أربعينية ولادة وليست أربعينية ممات.

كل أربعينية يكون فيها الفكر والعقيدة والتضحية، والتكامل الإنساني...، وهي التي تُزار أكثر من زيارة المادة والجسد والمرئي والملموس...، فعند هذه الزيارة الأربعينية تصبح الزيارة للأحياء أكثر منها بكثير زيارة للتوديع ورسم ملامح النهاية والانقطاع، وهذه الفكرة بالضبط، هي ما ينطبق على زيارة الأربعين الحسينية، التي يمارسها الملايين من المسلمين اليوم، وخصوصاً عندما يزحفون مشياً على الأقدام، للتعبير عن واقعية اللقاء وحياته وقيامته وبعثه في زيارة الأربعين أكثر من التعبير عن الفناء والنهاية والاندثار.

إنّ ما يميّز بالفعل دلالات معاني الزيارة الأربعينية الحسينية أيضاً عن غيرها من الزيارات أنّها الزيارة الوحيدة التي تنتج الثورة الحسينية، والتكامل الإنساني، التي وقعت في العاشر من محرم، من جديد ولكن ليس بصورتها المأساوية الحزينة والمفجعة والكارثية في لحظات العاشر من محرم الكربلائي الكئيب والذي تغلب عليه لغة الثورة ولغة الانفعال ولغة البكاء ولغة الغضب ولغة الحرب ولغة المعركة ولغة السيف.... فحسب، بل إنّها الفرصة الزمانية الأخرى التي تكون فيها قعقة الحرب قد انتهت، وبدأت للتو لغة العقل، ولغة التأمل، ولغة الفكر ولغة التدبير ولغة التدبّر ولغة الهدوء ولغة الحزن المصحوب مع التطلع للزمن القابل، و ما بقي من هذه الثورة الحسينية وكيفية لملمتها وطرحها بثوب يهبها الحياة بدلا من الموت ويهبها الأمل بدلا من اليأس، ويهبها التطلع بدلا من الحزن ويهبها الحركة بدلا من العجز، ويهبها حرارة الثأر بدلا من برودة الانكسار.

نعلم جميعاً أنّ الأربعينية الحسينية من أعظم وأخطر دلالاتها ومعانيها البشرية، إنّها تحاول إحياء التكامل الإنساني المتمثل بمنهج الإمام الحسين (عليه السلام) بكل كيانه لكن ليس بشكله الذي يوحي بالنهاية والوداع ومفترق الطرق بين العراق والحجاز لسبايا آل الحسين وآل محمد عندما قدموا من الشام في العشرين من صفر ليصادفوا زيارة الأربعين الوداعية لشهداء الطف، وإنّما الزيارة الأربعينية تحاول إعادة إنتاج الحياة لهذه الثورة وإعادة حياة الحسين ليبقى حيّاً بين

الناس وداخلهم ولتبقى من ثم كل افكاره وكل حركة ثورته وكل أصحابه وكل معركته مستمرة ونابضة ومشتعلة مع حركة الإنسان والحياة والعالم اليوم وغدا وهذا بالتمام ما يقوم به اليوم المشاة الحفاة ممن يروم التكامل الإنساني عندما يحاولون بزيارة الأربعين اعطاء جرعة حياة للحسين (عليه السلام) ومبائه وثورته... الخ وهم يعانقون الموت ويسترخصون دمائهم المسفوحة على يد اعلى مجرمي العصر من الدواعش التي تريد جعل الزيارة الأربعينية كنهاية بينما يحاول أصحاب التكامل أن يجعلونها بداية وحياة.

نجاح التكامل في الزيارة الأربعينية:

إنَّ السرَّ في نجاح التكامل هو ناشئ من العبودية، فكأما زادت العبودية للشيء كلما زادت مراتبه الموجودة قوة، أو فعلا والعبودية في الإنسان بسبب فقريته الكبيرة، فالعبودية فيه تشتد كثيرا وبالتالي تقوده إلى تلك المراتب ولذلك ورد في الحديث مضمونه: (العبودية جوهره كنهها الربوبية والربوبية جوهره كنهها العبودية)، فما نقص في العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية وجد في العبودية، ونادرا ما تجد هناك معادلة ارتقائية كهذه في عالمنا المادي فإننا نجد الناس كلما ارتقوا في الماديات كلما ازدادت مكائنتهم لدى الناس واحترمهم الناس وكذلك كل شيء يملك فهو متعال فلا يوجد هناك مبدا التناقص يؤدي إلى التعالى.

عندما نلتفت إلى المعراج الصلواتي نتقصى تلك الحركات والأفعال والأقوال فكلها يستفاد منها التذلل والتخضع فأعلى مرتبة يصل إليها المصلي في الصلاة تكمن في السجود وينال بها أعلى المراتب والمقامات، فقد أوجد الله سبحانه للمسلم مواضع للتكامل فكانت الصلاة وكان الحج الأكبر وكانت الزكاة والخمس وكان الذكر ولكن هذا كله أصبح نائها وغير مقبول الا بشيء وهو الولاية لذلك لم يناد بشيء أفضل من الولاية، فبالولاية لأهل البيت يتكامل الإنسان ويصل إلى أعلى المراتب، وهذه الولاية تشكلت بأشكال كثيرة ومتعددة منها البراءة من أعدائهم والتولي لأوليائهم ومنها المتابعة للمعصوم بكل أفعاله وأقواله، ومنها المعاهدة عنده في كلّ عام على السير على منهاجه، وهذا ما يفعله زائر الأربعينية.

لاشك أنّ المسلم يختلف عن المؤمن، والمؤمن يختلف عن المؤمن المنتظر، وهو يختلف عن المؤمن المنتظر المخلص، وهو يختلف عن المؤمن المنتظر المخلص المتكامل العامل، وهذه درجات مختلفة للمسلم وكل درجة منها لها مرتبة ولها مقام وكل مرتبة ومقام له رعاية خاصة وكل درجة تحتاج إلى غذاء خاص لكي تستمر في سلم الرقي والتكامل.

المسلم تكفيه الواجبات بينما المؤمن تشمله مع الواجبات المستحبات والمؤمن المخلص مع المستحبات يترك المكروهات وبعض المباحات وإذا انتقل إلى مرحلة المؤمن المنتظر أصبح يدور في فلك الانتظار، ولكنه لم يخرج إلى دائرة التعامل مع الإمام (عليه السلام) في صورة العامل والمؤمن المنتظر المخلص كذلك يكون له إخلاص لكن ليس بالضرورة أن يكون عاملا، ولكن المقام الأخير وهو المقام الانتظاري الحركي هو الذي يكون في عرض حركة الإمام ونهضته، ولكن ليس بمعنى الإطلاق وإنما النسبية.

مقامات المتكامل العامل:

هذا المقام له خصائصه وصفاته التي تميزه عن غيره فهذا المقام يمتلك ما يلي:

- 1- الالتزام بكل الواجبات والمحافظة على أكبر قدر ممكن من المستحبات والابتعاد عن المكروهات.
- 2- امتلاك قدرا جيدا من المعرفة العقائدية والفقهية والأخلاقية والثقافة العامة، معرفة بواقعه وعالمه المعاصر.
- 3- يمتلك مراقبة عالية لكل حركاته وسكناته ويحافظ على وقته ويحدد أهدافه ويضع البرامج اللازمة لها ويحدد الأولويات ولا يؤخر الملفات حتى تتراكم عليه.
- 4- له انجذاب خاص يتميز به نحو إمامه ومنهجه ويتعرف على قضيته ومفرداتها بحيث لو سئل لأجاب بالقدر الجيد بنفس الوقت له برنامجا عباديا معرفيا روحيا ومعنويا.
- 5- له هموم غير هموم الآخرين فالكل مشغول ببناء الحياة والدنيا وهو يهيم ببناء التمهيد والتوطئة والدعوة للانتظار الإمام المهدي (عليه السلام)، والسير على منهجه وله آلام تختلف عن آلام الآخرين وهي آلام الانتظار وآلام الحركة الانتظرية وله قلق يختلف عن الآخرين فهو يقلق على إمامه ويخاف عليه وهو يخاف على المسلمين والمؤمنين والمنتظرين ويخاف على قضية إمامه، وهذه الأمور يقتبسها من مسيرة العشق الحسيني.
- 7- له مزاج خاص ومشاعر خاصة وأحاسيس مختلفة تنبثق من الحركة الانتظرية وتسير وفق مسيرة الانتظار وتتوهج بوهج الانتظار وترتسم أطيافها بألوان الانتظار فيكون هذا الإنسان رقيقا انتظاريا وقلبه حنوناً بحنان الانتظار ورؤفا برأفة الانتظار.

إنّ هذه المميزات والخصائص تجعل للمؤمن المتكامل العامل مبدئاً ارتقائيا خاصا وحاجة خاصة ومصدرا خاصا وهذا ما تتوفر عليه زيارة الأربعين وخصوصا السير إليها مشيا على الأقدام، هذا السير لا ينسجم ولا يتفاعل ولا

يرتقي ويكون جميلاً إلا في الأربعين فالكثير ساروا مشياً في زيارات كثيرة ولكن لم يكن مثل هذا السير له نكهته وله لونه وطعمه وتفرد، فالأربعينية انبثقت من أعماق ثورة الحسين (عليه السلام) كأنها تريد أن تقول للسائر على قدميه: ستجد كل شيء في كربلاء، ومن المؤكد أن ليس كل السائرين يمتلكون الرؤية نفسها في التوجه وفي التعامل الروحي والمعنوي مع هذا السير فالكل يطلب الكمال ولكن كلاً بحسبه، ولكن تبقى للمتكامل العامل المخلص خصوصية في طلب الكمال المرتجى من الأربعينية العظمى.

ثمار التكامل في الزيارة:

- 1- يريد من هذا السير أن يثبتته على الواجب ويريد أن يجعل قلبه مستوعباً للواجبات بما يفتح عليه عالم الغيب من الطاف وهذا ما جسده الحسين (عليه السلام) وأصحابه في كربلاء بمحافظتهم على الصلوات والعبادة.
- 2- إن الابتعاد عن الماديات والاقتراب من الحالة المعنوية العالية والروحية تجعل هذا الإنسان يفتح على عالم الملكوت وبالتالي يتسع قلبه للمعارف الإلهية فتكون فرصة كبيرة لتوهج معرفي خاص.
- 3- إن الاحتكاك مع الآخرين يعطيه فرصة للتعارف ومعرفة الآخرين والتعرف على تجاربهم ومعلوماتهم وبالعكس فتكون الحركة المعرفية متسعة بالمستوى العرضي بالإضافة إلى فتح فرص تنسيق مع هؤلاء المنتظرين لخدمة الإمام (عليه السلام).
- 4- إن السير وسط هذه الزحمة والاحتكاك والتعرف على خدمة هؤلاء وتفانيهم من أجل خدمة الحسين (عليه السلام) من خلال خدمة زواره وسيما التعرف الدقيق على التفاصيل التي يمر بها هؤلاء تجعل من هذا درساً كبيراً وبلغاً للمنتظر كي يتزود منهم جميعاً لخدمة إمامه (عليه السلام) بكل تواضع وقوة.
- 5- الأخلاق عامل مهم جداً ولعل السير والسفر يجعل من المنتظر في اختبار لهذه الأخلاق ومستواها ويجعل له مقياساً لمعرفة مدى انضباطه وصبره وقوته للتعامل الأخلاقي في هذا المعتكك الكبير والتعلم من الآخرين.
- 6- إن السير والألام والمعاناة التي سوف يتعرض لها هذا المنتظر يزيده قوة وعزيمة وإصراراً لنصرة إمامه فيجد نفسه لا فقط يتحمل الألم، بل هو يسحق فوق الألم لكي يمضي نحو الهدف وهو لقاء الإمام المهدي عند جده الحسين (عليه السلام).
- 7- إن المغيب عن الأهل والمشقة في السير يجعله يلتفت إلى مسير السبايا وعظم الأهم وكبر الجرم الذي وقع عليهم وبهذا السير يلتفت إلى أهمية والتضحية من أجل الدين وستكون عنده هذه المسيرة هينة ولا شيء في قبال خسارة شيء من الدين، ولعله نحن لا نتذوق لذة التضحية بالنفس من أجل الدين إلا حين الاستغراق بتلك التضحية ولكننا بما أننا في مسير وهو شبيه بمسير السبايا فهو يعينا ضوءاً وإشارة لتلك التضحية التي تتبلور فقط من خلال المسير.

8- هذه النقطة أعلاه تعطي للمنتظر قوة وعزيمة وإرادة لا تُلين حينما يرجع للعمل الانتظاري في واقعه فيزداد عملاً وارتفاعاً في المستوى العملي وهذا مما يجعل عمله الانتظاري أكثر بريقاً وتميزاً وتأثيراً في الواقع وهذا هو ما يريده الإمام منه فنرتفع نسبته العملية التي تقع في عرض حركة الإمام (عليه السلام).
9- يقينا سيكون له همٌّ آخر وقلقٌ آخر وخوفٌ آخر أخذه من هذه الزيارة الفريدة في نوعها وبالتالي سيكون له مزاجٌ آخر ومشاعرٌ أخرى وحبٌ آخر وعشقٌ آخر لإمامه وكل هذا سينعكس على الواقع وسيجد نفسه منتظراً متميزاً وعملاً ومخلصاً.

10- إنّ واحدة ممّا تفرزه الأربعينية في سيرها وخصوصاً أنّ هناك الإرهاب الذي تربص بالمؤمنين هذه الحالة تجعل من هذا المنتظر يستهين بالموت بل هو ذاهب لمواجهته بكل قوة وبكل إرادة وبكل اطمئنان لأنه سيكون شهيداً وما أحلاها من شهادة تكون بين يدي الحسين (عليه السلام) وهي قمة السعادة، هذه الحالة تجعل من المنتظر مشروعا استشهادياً في كل حالاته وفي كل تحركاته ويستهين بكل الإرهاب وبكل المؤامرات التي تحاك له وبالتالي يسير في خطه الانتظاري مطمئناً قويا لا يهاب الموت ولا يخشاه...

هذه الصور التكاملية يختص بها المتكامل العامل المخلص ومن زيارة الأربعينية يتزود بهذه الجواهر، ويرجع من هذه الزيارة وقد أشرقته نفسه بشمس الحسين وبنور الحسين وبمعرفة الحسين وبقوة الحسين وبصبر الحسين وبأيمان الحسين فهل وجدتم ارتقاءً وتكاملاً في شيء مثل الذي نراه في زيارة الأربعين لسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام)؟

أثر الزحف المليوني في التكامل:

ثمّة أمر لا بدّ من الالتفات له، وهو أنّ المسير مشياً على الأقدام إلى زيارة كربلاء في يوم الأربعين يجعل المؤمن المتكامل على صورة يقينية عندما يرى ويعيش في تلك الأنهار البشرية التي تسير وتسير متّجه لكربلاء، وكأنّ هناك جذبا يجذبها إليه، وهذه الصورة مصداقاً حياً لذلك الزحف يوم الفتح الأكبر، فكل من شكّ في إمكان هذا الزحف وتعذره لابتعاد وجهات الأرض وعدم إمكان التجمع والتجمهر العالمي لبقعة واحدة، فهو واهم، فها هي زيارة الأربعين تجمع الملايين من أقصى أرجاء المعمورة، وتلك مواكب تايلند وهذه مواكب السويد وتلك التركية والصينية والهندية والإيرانية، بل رأينا في هذه الزيارة موكب السنغال، وكذلك مواكب الديانات الأخرى، فكم هو كبير اسم الحسين ليصل إلى كل هذه الأقطاب ويستقطبها بأكثر جمع يتصوره العقل، بل تلك الموائد التي تمدّ للزائرين إنّها لأكثر مائدة ومأدبة على وجه الأرض طولها مئات الكيلومترات دون انقطاع على مدى خمسة عشر يوماً أمر يفوق التصوّر، وهذا جود وكرم يجعل المتكامل يعيش حقيقة في أمل متجدّد لذلك الزحف الكبير.

إنّ زيارة الأربعين تجعل المتكامل يعيش تلك الحالة المرضيّة، وتلك الروحية

التي تجعله مرتبباً بإمامه، فهو يعلم حزن مولاه الإمام المهدي (عليه السلام) على جدّه، يسير وهو متضامن في حزنه مع ذلك الحزن المكبوت في صدر مولاه، ويسير وهو يعبر عن ولائه للشهيد وحفيده، يسير وهو يستشعر سير مولاه ويتعايش مع كلّ ما يلاقيه في الطريق الطويل مع ذلك الاستشعار، فيستحيل التعب إلى راحة والمعوقات إلى درجات وكل شيء يصبح له طعم لدى المتكامل في سيره للأربعين بين تأدية الولاء لسيد الشهداء، وبين المسير مع الولي المفترض الطاعة.

أثر الزيارة الأربعينية في التكامل:

لاشكّ أنّ الزيارة الأربعينية تعمل على التلاقي الفكري والتواصل المعرفي بين جميع طوائف العالم، وهذا في حدّ ذاته تكامل إنساني عظيم، فهي توفر فرصة لالتقاء شتى الحضارات الشرقية منها والغربية بما يكفل لكل زائر أو صاحب موكب أن يخرج بحصيلة معرفية، وتمثل نقطة تلاق بين المسلمين، وغير المسلمين من شتى بقاع العالم وبين مبادئهم الإنسانية التكامليّة التي تمّ اختصارها بنقطة تدعى "زيارة الأربعين".

كذلك تعمل الزيارة الأربعينية على تكريس ثقافة العمل التطوّعي وروح المواطنة التي أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة وتقدمها، وما أحوجا نحن المسلمين لمثل هذه الثقافة !.

تمتلك الزيارة الأربعينية بما لها من خلفية دينية عاطفية فكرية قدرا كبيرا من الدافع على العمل التطوعي يفوق كلّ الإمكانات المؤسّساتية في هذا المجال، وتعمل الزيارة الأربعينية على تكريس ثقافة التكافل الاجتماعي بما يمثله من قيمة إنسانية عالية قبل أن تكون مبدأ دينيا، فالشارع المقدس فنّنها وأرشد إليها؛ كما ويعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تضمن للإنسان حدّ الكفاف على أقلّ التقديرات بما يمنحه حياة كريمة بعيدة عن الذل والامتهان.

تجمع الزيارة بين العمل التطوعي من جهة والعطاء المادي والروحي اللامحدود ودون مقابل من جهة أخرى بذلك تبلغ ذروة التكافل؛ إذ من أهم السمات التي يكتسبها الإنسان في زيارة الأربعين هي سمة العطاء الذي يورث بدوره خصالا أخلاقية وإنسانية كثيرة من قبيل الكرم والجود والإيثار وتغيب البخل والأنانية والحب المفرط للذات، وتعمل أيضاً على القضاء على التمييز العنصري وتكريس ثقافة المساواة والتواضع والتذكير بالأخوة الإنسانية عامة والإسلامية خاصة بما تستمدّه من الإمام الحسين (عليه السلام) من قيم دينية ومبادئ إنسانية ورصيد فكري رصين، فهي في جمعها لهذه الأعداد المليونية ذات الهدف الموحد، تمكنت

من إذابة جميع الفوارق العنصرية بين هذه الأعداد الزاحفة إلى كربلاء، إذ تجد فيهم شتى الجنسيات والقوميات والأديان والاتجاهات الفكرية كما تجد الأسود والأبيض وقد تساوى الجميع في (الملبس، المطعم، المجلس، المنام، الخدمة)، بل يسير بعضهم إلى جنب بعض في أجواء مشحونة بالأخوة والمحبة ونسيان الذات وكأنهم تخلّوا عن جميع الفوارق وانتزع الغلّ من قلوبهم بمجرد أن وضعوا أقدامهم على طريق كربلاء حتى يبلغ ذلك ذروته عندما تجد أن هذه القوميات والأعراق والألوان كل منها يفخر بأن يكون خادماً للآخر بروح ملئها المحبة والعطاء.

وهي أيضا تمنح الفرد الكثير من القيم الإنسانية التي تساعد في بناء مجتمع متماسك وتمنحه القدرة على الصمود بوجه كثير من المزالق ومن هذه القيم (ترسيخ الإيمان، الحرية، العدالة، الصبر) وغيرها الكثير.

النتائج:

إنّ لزيارة الأربعين دوراً رياديّاً، ومكانة جليّة في ترسيخ الفضائل والمكرّمات والبطولات والتكامل الإنساني لدى النّفوس، وبالخصوص لدى المسلمين؛ لأنّهم أولى من غيرهم في التحلي بها، وقد رأينا أغلب المسلمين يحاولون الوصول إلى الهدف المبتغى، وبحثنا المتواضع حاول إبراز التكامل الإنساني المرتبط بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، على الرغم أنّه لم يستطع إحصاء جميع مضامين التكامل، ولكن استطاع إيصال بعضها، وهو الغاية المنشودة، والرّقي إلى الكمالات، والمكارم الحسنة، لكي يحظى المرء بالفوز في معرفة منزلة وكرامة إمامه، كي يقتدي به كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إلا وإنّ لكلّ مأموم إمام يقتدي به».

إنّ أهمّ ما توصل إليه البحث هو:

1- زيارة الأربعين هي منهاج للتكامل الإنساني والأصالة العقائدية في مواجهة تيارات الانحراف، لذلك لا بد من وضع مناهج علمية واستدلالية لبناء هذا التكامل فكرياً وثقافياً ونفسياً وروحياً، ومجابهة الشبهات المشبوهة التي تهدف إلى خلق الشك والريب واللايقين وزرع الأفكار الفاسدة.

2- التأكيد على الرفض لكل أنواع الاستبداد، والتمسك بالحرية والتعددية والاستشارية ورسالة الحقوق والدفاع عن المظلومين، والاهتمام بالقضايا والتحديات الحاضرة من اجل بلورة مواقف موحدة تنطلق من مبادئ وقيم النهضة الحسينية.

3- التضامن الاجتماعي في التكامل الإنساني من خلال خلق التواصل بين كافة فئات المجتمع وبناء الحالة الاستشارية والتكامل بين مختلف المؤسسات والهيئات والتبّارات، والتشجيع على تأسيس المنظمات الاجتماعية والحقوقية والمؤسسات العلمية والتعليمية والهيئات الاجتماعية والأهلية والخيرية.

- 4- تطوير وسائل الإعلام وخلق روح التكامل بين المؤسسات الإعلامية والفكرية من أجل بناء إعلام عالمي مقننر ومحنرف قادر على الوصول إلى مختلف الثقافات.
- 5- السعي لتوسيع أبواب الحوار الحضاري مع مختلف الجماعات الأخرى للتعريف بقيم الزيارة العظيمة، والأفكار العظيمة التي قامت عليها النهضة الحسينية وزيارة الأربعين.
- 7- صناعة الإنسان، وحبّ الوطن من خلال المسيرة، وهذا عين التكامل الإنساني.
- 8- الأبعاد التكامليّة في الزيارة أثمرت ثمارها، وجعلت الموالي المتكامل العامل يتّبع السبيل الصادقة للوصول لرضوان الله تعالى.

الهوامش:

- 1- المجلسي، بحار الأنوار، 204/36.
- 2 - ابن طاووس، كامل الزيارات: 262 الباب 59.
- 3 - الطوسي، تهذيب الأحكام: 6/16 باب 16 فضل زيارته (عليه السلام).
- 4 - الحر العاملي، وسائل الشيعة: 14/496 باب 164 استحباب زيارة الحسين (عليه السلام) حباً لرسول الله ح 19678.
- 5 - الكليني، الكافي: 1/126 باب الحبّ في الله والبغض في الله.
- 6 - ابن طاووس، كامل الزيارات: 268 الباب 88 فضل كربلاء ح 5.
- 7 - الصدوق، الخصال: 2/545.
- 8 - الحر العاملي، وسائل الشيعة: 27/29.
- 9 - المصدر نفسه: 27/43.
- 10 - المصدر نفسه: 27/87.
- 11 - الصدوق، الخصال: 2/534.

المصادر:

- 1- الأسمرّي، حسن، النظريات العلميّة الحديثة مسيرتها الفكرية، ط1، التّأصيل، جدّة، 2007م.
- 2- ابن طاووس، جعفر، كامل الزيارات، ط2، الأعلمي، بيروت، 2010م.
- 3- المجلسي، محمّد، بحار الأنوار، ط2، المطبعة الإسلاميّة، طهران، إيران، 1978م.
- 4- الندوي، علي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط1، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1998م.
- 5- الطوسي، محمد، تهذيب الأحكام، ط2، إحياء التراث، بيروت، 2005م.
- 6- الحر العاملي، محمد، وسائل الشيعة، ط1، الأعلمي، 2009م.
- 7- الكليني، محمد، الكافي، ط5، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1984م.
- 8- الصدوق، محمد، الخصال، ط2، إحياء التراث العربي، بيروت، 2006م.

البعد الفلسفي للنهضة الحسينية وأثره في منتسبي الحشد الشعبي نموذجا

أ.م.د. هدى محمد سلمان

مركز البحوث التربوية والنفسية

جامعة بغداد

virgin_dr@yahoo.com

البعد الفلسفي للنهضة الحسينية وأثره في منتسبي الحشد الشعبي نموذجاً

أ.م.د. هدى محمد سلمان

مركز البحوث التربوية والنفسية

جامعة بغداد

virgin_dr@yahoo.com

الفصل الأول: المحور الأول

أربعينية الحسين تكليف وواجب:

ويمكننا أن نلخص القضية بهذه الصورة: إنّ أربعينية ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم وهو إعادة الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الخطّ الصحيح أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلامي. وهذا ما يتمّ عن طريق الثورة وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بالطبع، فقد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون الشهادة، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام مستعداً لكلّتي النتيجتين. والدليل على ذلك هو ما يستنتج من أقوال الإمام الحسين عليه السلام. وهذه بعض أقوال أبي عبد الله عليه السلام وكلّها تشير إلى هذا المعنى:

أ - عندما طلب الوليد، والي المدينة، الإمام الحسين عليه السلام ليلاً وقال له: إنّ معاوية قد مات وعليك بمبايعة يزيد، ردّ عليه الإمام عليه السلام: "نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أئنا أحقّ بالبيعة والخلافة". وعند الصباح عندما لقي مروان أبا عبد الله عليه السلام طلب منه مبايعة يزيد وعدم تعريض نفسه للقتل، فأجابه الإمام عليه السلام: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد"5. فالقضية ليست

شخص يزيد، بل أي شخص مثل يزيد، ويريد الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: لقد تحمّلنا كلّ ما مضى، أمّا الآن فإنّ أصل الدين والإسلام والنظام الإسلامي في خطر، إشارة إلى أنّ الانحراف خطر جدّي، فالقضية هي الخطر على أصل الإسلام.

ب - إنّ أبا عبد الله عليه السلام قد أوصى أخاه محمّد ابن الحنفية، مرّتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكّة. ولعلّ هذه الوصية كانت عند خروجه من مكّة في شهر ذي الحجّة - فبعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول الإمام عليه السلام: "وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي

محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً. والإصلاح ليس بالأمر الهين، فقد تكون الظروف بحيث يصل الإنسان إلى سدة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك، ويستشهد، وفي كلتي الحالتين تكون الثورة لأجل الإصلاح. ثم يقول عليه السلام: "أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فإله أولى بالحق ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾... والإصلاح يتم عن هذا الطريق، وهو ما قلنا إنّه مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج - عندما كان الإمام عليه السلام في مكّة، بعث بكتابين، الأول إلى رؤساء البصرة، والثاني إلى رؤساء الكوفة، جاء في كتابه إلى رؤساء البصرة: "وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه، فإنّ السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي وتجيّبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد. أي يريد الإمام الحسين عليه السلام تأدية ذلك التكليف العظيم وهو إحياء الإسلام وسنة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والنظام الإسلاميّ. وجاء في كتابه إلى أهل الكوفة: "فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والأخذ بالقسط والدائر بالحقّ والحابس نفسه عن ذات الله، والسلام"9. الإمام ورئيس المجتمع الإسلاميّ لا يمكن أن يكون فاسقاً فاجراً خائناً مفسداً بعيداً عن الله، بل يجب أن يكون عاملاً بكتاب الله، وذلك بالطبع على مستوى المجتمع، لا أن يحبس نفسه في غرفة الخلوة للصلاة، بل أن يحيي العمل بالكتاب على مستوى المجتمع، ويأخذ بالقسط والعدل ويجعل الحقّ قانون المجتمع. ولعلّ معنى الجملة الأخيرة هو أنّه يثبّت نفسه على الصراط الإلهيّ المستقيم بأيّ نحو حتّى لا يقع أسير الإغراءات الشيطانية والمادية. أي أنّ الإمام عليه السلام قد بين هدفه من الخروج.

د - كان الإمام عليه السلام يخاطب الناس في كلّ منزل ينزل فيه بعد خروجه من مكّة؛ عندما (واجه الحسين عليه السلام جيش الحرّ) وسار بأصحابه في ناحية الحرّ ومن معه في ناحية حتّى بلغ "البيضة" خاطب الإمام عليه السلام أصحاب الحرّ، فقال: "أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا بقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيّن ما يجب عمله إذا انحرف النظام الإسلاميّ، وقد استند الإمام الحسين عليه السلام إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا. فالتكليف هو أن "يُغيّر بفعل أو قول"، فإذا واجه الإنسان مثل هذه الظروف - وكان الظرف مؤثراً كما تقدّم - وجب عليه أن يثور ضدّ هذا الأمر ولو بلغ ما بلغ، يُقتل، يبقى حيّاً، ينجح في الظاهر أو لا ينجح. يجب على كلّ مسلم أن يثور أمام هذا الوضع، وهذا تكليف قال به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. ثمّ قال عليه السلام: "وإني أحقّ بهذا"11، لأنّي سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وآله وسلم، فإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوجب على المسلمين فرداً فرداً هذا الأمر، كان سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووارث علمه وحكمته الحسين بن علي عليه السلام أحق أن يثور، فإنّي خرجت لهذا الأمر. فيعلن عن سبب وهدف ثورته وهو لأجل "التغيير" أي الثورة ضدّ هذا الوضع السائد.

هـ - كان للإمام الحسين في منزل غُذيب، -حيث التحق به أربعة نفر-: بيان آخر، قال لهم الإمام عليه السلام: "أما والله إنني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا"12. وهذا دليل على ما تقدّم أنّه لا فرق سواء انتصر أم قُتل، يجب أداء التكليف.

وفي أول خطبة له عليه السلام عند نزوله كربلاء، يقول عليه السلام: "وقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون" إلى أن يقول: "الأ ترون إلي الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً... "13 إلى آخر الخطبة.

إذا إنّ ثورة اربعينية الإمام الحسين عليه السلام كانت تأديةً لواجب، وهذا الواجب يتوجّه إلى كلّ فرد من المسلمين عبر التاريخ، وهو أنّه على كلّ مسلم لزوم الثورة حال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلامي بحيث يُخاف من تغيير كلي في أحكام الإسلام، بالطبع إذا كانت الظروف مؤاتية، وعلم بأنّ لهذه الثورة نتيجة. وليس من الشروط البقاء على قيد الحياة وعدم القتل وعدم التعرّض للتعذيب والأذى والمعاناة. فالحسين عليه السلام قد ثار.

لقد قام الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وأيقظ وجدان الناس. لهذا ظهرت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، تلك النهضة الإسلامية التي بدأت واحدة تلو الأخرى، والتي حتماً جرى قمعها. ولكن ليس المهم أن يجري قمع التحرك من قبل العدو وإن كان بالطبع مرّاً، ولكن ما هو أمرٌ هو أن يصل المجتمع إلى حيث لا يظهر أيّة ردة فعل مقابل العدو، هذا هو الخطر الأكبر.

المحور الثاني: القضية الفلسفية لواقعة الطف

النهضة في مفهومها الإسلامي كقضية فكرية وتاريخية وكرؤية فلسفية تختلف في بعض مفاصلها عن مفهوم الثورة، فبينما تدعو (النهضة) إلى تحريك الوعي الجمعي من خلال موقف تسلسلي يقود إلى حتمية الخلاص من الظلم والقهر والسعي لبناء مجتمع يحقق الفلسفة التي أرادها الخالق تعالى شأنه في مسألة (الجعل إلهي) كما في قوله تعالى: " أني جاعل في الأرض خليفة ". (البقره 31) التي تكشف عن إن مفهوم الخلافة الحقيقية إنما هي نص إلهي يقع في دائرة الوحي مما يعني انه ليس من اختصاصات المخلوق، وهي بالتالي تطرح مفهوما مستقبلياً يتجاوز الأنبي إلى الآتي، نجد في المقابل إن القضية الثانية الثورة تحمل رؤى أنية في الأغلب، وهي قد تكون نتاجاً لمفهوم النهضة وربما شكلاً من أشكال

تأثيراتها كمثال كل تلك الانتفاضات والثورات الإسلامية وغير الإسلامية التي تأثرت بالنهضة الحسينية وبفكرة شهادة الإمام الحسين عليه السلام على مسار حركة التاريخ.

المحور الثالث: القضية الحسينية

لا تنكسر قضية النهضة الحسينية في شكل الشهادة وظروف تحققها مع إن هذا الجانب وحده يستحق البحث والتركيز عليه، ولكن الأهم في قضيته هي الطبيعة العقائدية لشهادته عليه السلام باعتبارها منهجا للعودة بالمشروع الإسلامي إلى أصالته الرسالية، ومن هنا يجب ان يكون التساؤل ليس في كيفية قتل الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده، وإنما يكون السؤال الأهم: " لأجل من أستشهد عليه السلام " ؟

هذا التساؤل لا يجاب عليه من خلال ظروف وأحداث واقعة كربلاء أو حصر تاريخ الإمام الحسين عليه السلام في هذه المرحلة فقط، ولكن الإجابة تبدأ من حيث ولادته وظروفها ونشأته التكوينية والوجودية، حيث إن ولادة الأنبياء والرسول وأوصيائهم والأئمة عليهم السلام بكونها أحد أشكال النهضة إذ تعكس الحاجة المستمرة لوجود مصلحين مختارين من الله عز وجل لإنقاذ البشرية من ضحالة الانحطاط، وهنا تظهر قضية ارتباط الإصلاح بالإمامة بعد الرسالة الخاتم، فالإمامة ذاتها كفكرة إصلاحية تقع في دائرة الوحي وهي أمر الهي كما في قوله عز وجل:

" وإذ أبتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (القصص5). وقوله عز شأنه: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين وقوله: " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين " (الانبياء73).

وقوله تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (السجده24).

في قراءة موضوعية وعقلية للآيات السابقة نجد أن [الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (عاشوراء والعودة إلى الإسلام) دار صادق بيروت ط2003/2م ص11].

أولاً: الإمامة أمر الهي يؤكدها قوله عز وجل (إني جاعل، ونجعلهم، وجعلناهم، وجعلنا منهم) ما يؤكد انها من اختصاصات الله عز وجل وهي تتفق مع الخلافة في قضية الجعل الالهي (إني جاعل في الارض خليفة)).

ثانياً: إن الإمامة عهد الهي اختص الله به اهل العدل والتقوى والعبادة، وهي محال أن ينالها الظالمين ولا من لم ينص الله عليهم مثل الطلقاء وأشباههم (لا ينال عهدي الظالمين).

ثالثاً: ذاك الترابط الحقيقي بين الامامة والهداية، ومن هنا جاء قوله تعالى: (يهدون بأمرنا)، فالهداية هنا أمر إلهي صادر عن الله وليس مجرد رغبة بشرية في الاصلاح مما يؤكد طبيعة الهداية كمنهج اصلاحي وارتباطه بالعقيدة السماوية.

رابعاً: إن حركة الاصلاح التي نهض بها الائمة عليهم السلام انما هي وحي الهي كما في قوله تعالى: (وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات) ليكون تحرك كل أمام في عصره أمراً الهيا يتناسب وإشكاليات العصر وحاجيات المجتمع في استنهاض الوعي الجمعي وهي لا تناقض فكرة التغيير التي قال الله عنها:

" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (6).

فالتغيير لا يكون عبثياً إذ لا عبثية في الوجود، وهو يخضع للشروط الإلهية في القيادة والتفاعل مع الإشكالات ولهذا وجب ان تكون قيادات التغيير مختارة من الله عز وجل، وهي أيضاً ليست من مختارات الإنسان والآية تشير الى وجوب التغيير حتى يتم تحقيق الأمر الإلهي. [توفيق أبو علم (الحسين بن علي) دار المعارف بمصر - القاهرة ط 1982/2 ص 18].

ومن هنا كانت الرسائل السماوية واستمرارها عبر الإمامة ليتكامل الفعل النهضوي والإصلاحي استكمالاً للأمر الإلهي من هنا أيضاً تتجلى حقيقة الأمة الإسلامية باعتبارها أمة تعيش صيرورة مستمرة عبر تغيير يسعى الى تحقيق مشروع حضاري وكوني يتم التأسيس له عبر الوحي الإلهي، فارتباط التغيير بالسماء يؤكد اصالته الالهية ويناقض الرؤية الغربية كونه حالة أنية تحكمها احتياجات مرحلية قد تنتهي وفق هذه الطروحات ندرك فلسفة نهضة الامام الحسين عليه السلام حيث توفرت فيه المزايا الالهية التي توفرت في ابيه الامام علي وأخيه الإمام الحسن وبقية الأئمة عليهم السلام من اختيار الهي وصفات عقائدية كانت مهمتهم في الهداية تقوم على الاستمرار بالعقيدة الرسالية والحفاظ على أصالتها من الانحراف، مما يؤكد إن الأئمة عليهم السلام قد ربطوا تحركهم مواقفهم بالأمر الإلهي ووحى السماء إن إدراك الأمة ووعيتها بحقيقة قضية نهضة الإمام الحسين وشهادته إنما يتم من خلال رؤية معرفية باعتبارها قد حققت العلاقة بين العقيدة وحركة التاريخ حد الشهادة في ارض كربلاء، مما يعني إن شهادته قد أوجدت معنى لصيرورة تاريخية تتمسك بها الأمة في مشروعها المستقبلي

أذ تكتسب النهضة الحسينية قيمتها باعتبارها فعلاً حضارياً يركز على استعادة القيم السماوية في قبال الانحراف الكبير الذي قاده ما تسمى جزافاً الدولة الاموية. فالدولة بالأصل ظاهرة حضارية وهي أيضاً حاجة اجتماعية أيدها الوحي وجعلها بالأطر الإلهية من خلال خلافة الإنسان على الأرض، ولهذا لا يمكن أن تقع معايير الدولة في المفهوم الإسلامي خارج الإطار الشرعي، باعتبار إن

الإسلام أمة وهو يدعو الى تحقيق (دولة الأمة) باعتبار انها تمثل واقعية الفكر الإسلامي كمنهج منطور، وهذا يعكس التباين بين فكرتي (واقعية المعقول و معقولية الواقع) فالموقف الإسلامي من الواقع ينطلق من خلال قيم عليا تتمثل بوعي مؤمني الأمة بالعقيدة الإلهية وتشبثهم بالمثل العليا في تطبيق الشريعة على الأرض، وقد خصصنا هنا طبيعة الوعي بالمؤمنين حيث ان ليس كل الامة تحتمل وعيا متطابقا بل ثمة تباين كبير في مستويات الوعي الجمعي، فظهور قيادات حقيقية تركز على الاسس الالهية في مشروعها الاصلاحى انما يمثل اعلى مستويات الوعي وهذا لا يتوفر لكل المسلمين ولا لكل المؤمنين فالوعي الادراكي بحقيقة الامر كان وعيا معصوما وهو من مميزات الائمة عليهم السلام بعد الرسول الخاتم صلوات الله عليه وآله فمن الصعب جداً أن نجد في كتاب الإنسانية وفي تاريخ البشرية الطويل يوماً كيوم أبي عبد الله الحسين (ع) أنه اليوم الذي تجسد وتجلّى فيه قول الله سبحانه وتعالى بأوضح صورته وبأبلغ تعبيره أنه التجسيد الأمثل للقول السماوي الخالد: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: 32).

ولذلك فإن الحديث عن القضية الحسينية وعن الأثر الذي تتركه تلك القضية في نفوس وقلوب العظماء من العلماء والمفكرين لهو حديث طويل عن التضحية والفداء وعن العروج إلى السماء بحبال من النور (الدامي) من أجل أن تبقى الرسالة الإسلامية محمديّة في وجودها، حسينية في بقائها واستمرارها إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، يوم تأتي فاطمة (ع) حاملة قميص ابنها الإمام الحسين (ع) وهو ملطخ بالدماء عارضة إياه على الله أحكم الحاكمين. [الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (رسالة عاشوراء) طبع هيئة محمد الأمين - بيروت ط1/1422هـ ص3. وإبراهيم الحيدري (تراجيديا كربلاء) دار الساقى - بيروت ط1/1999م ص16].

الفصل الثاني: المحور الأول:

الأثر الكربلائي على النفوس البشرية لأبطال الحشد الشعبي:

يتفاوت الأثر في قوته وعظمته، فالأثر عظيم بقدر عظمة النفس وحجم عزتها واتساع إبانها. وبالطبع، فإني لا أريد هنا أن استعرض الدروس والعبر التي استخلصها العديد من علماء ومفكري العالم الإسلامي ولا أريد أيضاً أن أفلت العنان لقلمي المتواضع كي يسجل الآثار التي تركتها نهضة الامام الحسين المباركة في نفوس الكثير من الأدباء والمفكرين المسيحيين الذين رأوا في الدماء الحسينية المسفوحة ظلماً صورة النبي المصطفى (ص) المقتول غدرًا من خلال قتل سبطه الذي أعطى الإنسانية دروساً لا تنسى في اختصار الطريق الموصل إلى ملكوت الله.

فالكلام عن نهضة الامام الحسين عند المسيحيين من أمثال جورج جرداق وبولس سلامة وعبد المسيح الإنطاكي وروكس بن زايد العزيزي وجبران خليل

جبران وغيرهم من عمالقة الفكر والأدب سيكون له مكان آخر في أبحاث لاحقة، ولكن ما نود قوله الآن هو أن هناك مرجعاً إسلامياً خالداً بآثاره وأعماله، استطاع أن يسبر أغوار الحركة الحسينية بحكمة بالغة وببصيرة نافذة قلما نجد لها نظيراً أو مثيلاً في مؤلفات ومصنفات العلماء والمفكرين المسلمين والمسيحيين على حد سواء. [الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قبس من شعاع الإمام الحسين -ع-) دار صادق بيروت ط2/2002 ص30].

لقد تناول فقيه الأمة الإسلامية المرجع الديني الراحل والإمام المجدد آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره) حركة نهضة الإمام في الكثير من مؤلفاته التي بلغ عددها الألف ومنتني كتاباً ونيّف. وربّ سائل يسأل قائلاً:

لماذا نهتم بالإمام الحسين بعد مضي قرون وقرون عليها؟!!

وما هي الدروس التي نريد أن نتعلمها من فلسفة تلك الحركة التي هزت الضمير الإنساني على مرّ العصور؟!!

ربما يسأل السائل هذه الأسئلة وربما يسأل أكثر من ذلك أيضاً، ومن حق كل إنسان أن يسأل ما يشاء، فالحوار البناء والسؤال الهادف والكلمة الطيبة هي المحاور الإيجابية الثلاثة التي تظهر وتتجلى من خلالها الحقائق والثوابت بعد أن تتجلي عنها غيوم الشك والجهل والارتياب.

ومهما يكن من أمر، فإن الإمام الحسين (ع) قد لخص لنا ولكل الأجيال السابقة واللاحقة فلسفة نهضته المباركة من خلال قوله الشريف: (إني لم اخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن أمر بالمعروف، وأنهاي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي).

فالإمام الحسين (ع) لم يخرج طلباً للسلطة ولا حياً بمنصب دنيوي أو كرسي زائل، بل خرج طلباً لإعادة النبض الدافق إلى وريد الرسالة الإسلامية التي أنهكتها الأهواء والمطامع من الحكام الذين حاولوا جاهدين طمس معالم تلك الرسالة السماوية الخالدة من جهة وتفريغها من محتواها الروحي والفكري من جهة ثانية.

ولا نعتقد أن هناك من يعارض في أن يكون للحسين (ع) الحق الكامل في أن يخرج من أجل المطالبة بإحياء التراث الروحي لرسالة المصطفى أول خلق الله وخاتم رسله (ص).

فالإمام الحسين (ع) يمثل من خلال خروجه إلى كربلاء الإيمان الأسمى والطاعة الكاملة لله والرسول، ولذلك كانت معركة كربلاء لله ولكلمته، تلك الكلمة

المحفورة على شغاف قلب الإمام الحسين مثلما كانت محفورة من قبل في قلب جده المصطفى (ص).

ألم يقل المصطفى (ص): (أنا من حسين وحسين مني) ؟

أليس في هذا دليل على أن الحسين (ع) ليس مجرداً إمام من نسل الرسول (ص) جسدياً بل هو من نسل الرسول عقائدياً وروحياً، أي أنه ابن الرسالة الإسلامية ذاتها.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة الثابتة، نرى أن لعاشوراء رسالة عظيمة تعتبر الامتداد الحقيقي لرسالة جده الصادق الأمين (ص).

أنها (إحياء الإسلام، وإرجاع القرآن إلى الحياة، وهذا هو ما كان يستهدفه الإمام الحسين (ع) من نهضته وشهادته، وذلك لأن الإسلام الذين أنزله الله تعالى في كتابه، ونطق به قرآنه، وبلغ له رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وضحي من أجله أهل البيت عليهم السلام، وخاصة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يوم عاشوراء، هو الدين الكامل والقانون الشامل الذي باستطاعته في كل عصر وزمان أن يسعد الإنسان والمجتمع البشري ويضمن له التقدم والرقي والتطلع والازدهار)

وهذا يعني أن حركة الامام الحسين لم تكن مجرد حركة منبثقة عن معركة حامية الوطيس بين الإمام الحسين (ع) ويزيد اللعين، وإنما هي حالة صراع بين تيارين يمثلان كمال الخير وكمال الشر، فالإمام الحسين (ع) هو الدين الكامل والقانون الشامل الذي يضمن للإنسان الارتقاء بإنسانيته إلى مستوى تحمل المسؤولية الفردية أمام ما تقتضيه المسؤوليات والواجبات الجماعية في ظل تعاليم خاتمة الرسالات الموجهة إلى بني آدم أجمعين.

وقد رأى الكثير من المفكرين صحة الصراع المبدئي الدائم بين الأيديولوجيتين المتناقضتين. فمزال المرء يجد أمامه دوماً حسيناً ويزيداً في كل زمان ومكان، وهما يتنازعان بين الحق والباطل، وأن هذا النزاع هو في الواقع تجسيد للصراع بين الخير والشر الذي ما زال قائماً وعلينا اتخاذ موقف ثابت وواضح منه.

ولأن الصراع أبدي بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين المبدأ واللا مبدأ، فعلينا أن نلتزم دائماً جانب الحق والخير والفضيلة في هذا الصراع فعندما خرج الإمام الحسين (ع) بأهل بيته الكرام (ع) لخوض المعركة الحاسمة بين أتباع العقيدة الأموية القائمة على تحويل الدين إلى سلعة تجارية تأخذ في حساباتها سياسة الربح والخسارة دون إقامة أي وزن للتعاليم الروحية وللمبادئ الأخلاقية التي أرادت تلك الرسالة السماوية أن يتحلى بها كل إنسان على وجه البسيطة.

لقد أراد الإمام الحسين (ع) أن ينشل الأمة من الحضيض الذي أركست فيه إلى العز، وذلك عندما رضيت الأمة الإسلامية بواقعها المتردي، المتمثل بالخمول، والركون إلى الدنيا، والسكوت على الظلم، وتسلبت الظالمين من أمثال يزيد وأبيه وأضرابهم، فأراد الإمام الحسين (ع) أن يبيت روح الإيمان والحق فيها لتنهض من جديد، كما كانت في عهد رسول الله (ص) ومن النقاط الهامة التي يجب أن نتذكرها دائماً عند الحديث عن الفاجعة الكربلائية إنها قضية التآخي في الله والاعتصام في كل حدث وفي كل موقف من مواقف الحياة. [ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي إعداد ونشر مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات بيروت - دمشق ط1/ 2002م ص12].

وبما أن الحركة الحسينية هي حركة التآخي بين المؤمنين، فقد كان لخروج أهل بيت الحسين (ع) دلالة عميقة على الأبعاد الروحية لعملية التآخي تلك.

فالكل يعلم أن الإمام الحسين (ع) كان قائداً لجيشه الصغير المكون من بعض الشباب والرجال وحتى من النساء والأطفال، وكان ضمن جيشه الصغير وجوه عربية ووجوه غير عربية، وكان في جيشه البالغ على بعض الروايات (73) شخصاً فقط، الأبيض والأسمر والأسود، وهذا يعني أن هناك فلسفة وحكمة خفية أراد الإمام الحسين (ع) إظهارها وتوضيحها للناس من خلال إبراز أهل بيته (ع) للقيام بأدوارهم على رمال كربلاء.

وتتكشف الغيوم عن تلك الحكمة عندما ندرك أن الإمام الحسين (ع) أراد أن يقول لنا أن المؤمنين أخوة لأن ثورته لا تعترف باللون الأبيض ولا باللون الأسود، وحركته لا تعترف بقومية دون أخرى، وإنما كل الألوان وكل القوميات تسقط أمام ثورته وحركته لأن نهضته كانت من أجل الله ومن أجل كرامة الإنسان وإنما كان فهو (ع) المحيي لشريعة جده (ص)، وجده بعث للناس كافة وكان رحمة للعالمين.

وانطلاقاً من هذه الحقائق، أن نهضة الإمام الحسين (ع) كانت نبراساً لسائر النهضات التحريرية في العالم ضد الظالمين، وكانت هي الانفجار العظيم الذي هز عرش كل الطغاة المستبدين، كما ومهدت الطريق أمام الثورات الأخرى [عبد الله عدنان المنتفكي (الثورة الحسينية في الفكر العالمي) مجلة الثقافة الإسلامية إصدار المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق - راجع عدد تموز - آب 1993م العدد (50) ص44].

إن الحركة الحسينية كانت النبراس لسائر النهضات التحريرية في العالم ضد الظالمين.

ومثالنا هو قول الزعيم الهندي (المهاتما غاندي) الذي أستطاع أن يحمرر الأمة الهندية من براثن الاستعمار الإنكليزي البغيض، حيث وقف قائلاً بكل ثقة

وصدق مخاطباً أبناء الهند: (على الهند إذا أرادت أن تنتصر، أن تقتدي بالإمام الحسين).

أن الثورة الحسينية لم تكن في يوم من الأيام إرثاً للمسلمين فحسب، وإنما الثورة الحسينية إرث للبشرية جمعاء، ولذلك إذا أرادت الإنسانية الجريحة أن تشفى من جراحها وأن تعافى من آلامها، عليها أن تعيش كربلاءها المستمدة من كربلاء الحسين (ع).

.. حيث أن الإسلام دين عالمي لإنقاذ جميع الناس من الظلمات إلى النور، وليس دين ألف مليون مسلم فقط).

فالأمة التي لا تعود لقراءة تاريخها ولا ترتبط بجزورها ولا تقتدي برموزها لهي أمة لا يمكن أن تعيش الحاضر مع بذور القدرة على اللحاق بموكب الحضارة والرقي في المستقبل.

والأمة التي لا تجعل نصب عينها ضرورة الاقتداء والامتثال لتعاليم عظمائها، خاصة إذا كان عظامؤها من المعصومين الذين يمثلون سفن النجاة ومصابيح الهدى، فلن يمكنها أن تفلح في السير على نهج التقدم ولا يمكنها أن تعيش السعادة والرفاهية المطلوبتين، تلك الرفاهية والسعادة القائميتين على مبدأ التوازن بين احتياجات الدنيا ومتطلبات الآخرة.

ولو توقفنا مع أحد كتب الإمام الشيرازي (ره) عن فلسفة الحركة الحسينية وما أكثرها في مؤلفاته القيمة، ونقصد بذلك كتاب (رؤى عن نهضة الإمام الحسين (ع))، لوجدنا أن سماحته قد أوجز لنا أهداف خروج الإمام الحسين (ع) بشكل واضح ومبسط، ولكن سماحته ركز بشكل واضح على نقطة هامة مركزية في قضية الخروج والاستشهاد، إنها الغاية الأخلاقية التي أراد الإمام الحسين (ع) أن يعيد إليها البهاء والنضارة كما كانت عليه في زمن رسول الله (ص). ألم يأت في الحديث الشريف: (تخلقوا بأخلاق الله) (9)؟

إذاً، فالأخلاق حجر الأساس في الشريعة الإسلامية وذلك لأن الأخلاق هي الناظم الذي يحدد علاقة الفرد بالآخرين، ويحدد أيضاً علاقة ذلك الفرد بذاته وبالله عز وجل.

ولذلك فإن حركة الإمام الحسين مع أهل بيته (ع) مركزاً على أن أحد أهداف تلك الحركة (تصحيح سلوك الناس وتقويمه، بعد أن تلون سلوك الناس وأخلاقهم في ظل النظام الأموي بطابع العنف والاستبداد والوحشية والاستهتار بما لا يتناسب مع الخلق الإسلامي والإنساني، فأعاد الإمام (ع) بنهضته الشريفة مكارم الأخلاق التي بناها جده الكريم (ص) وقدمها إلى البشرية ودعى الناس للتخلق بها في كل مراحل الحياة).

لذلك علينا إحياء الشعائر الحسينية والتركيز على عملية تجذير الشعائر الحسينية في النفوس والعقول عند كافة المسلمين الذين يريدون حقاً بناء وصياغة الشخصية الإسلامية على أعلى وأسمى المستويات الإنسانية الراقية.

ويمكن اعتبارا الباعث الأول للمواكب الحسينية هو التأكيد على صدق الموالة لأهل البيت (ع) فكراً وممارسة، بالإضافة إلى التعاطف الوجداني لما لحق بهم (ع) من فواجع ونكبات بعد غياب صاحب الرسالة الإسلامية (ص) والتي لا يمكن لكل ذي بصيرة أن يرى في تلك الفواجع والنكبات التي لحقت بهم (ع) إلا محاولة جادة لإجهاض رسالة محمد (ص) [الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب (ع) بيروت دت ص15].

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب (ع) دت ص19.

من خلال محاولات أعداء محمد (ص) الدؤوبة الانتقام منه عن طريق إلحاق الأذى و (تصنيع) الفواجع والنكبات لذريته المتمثلة بأولاد علي وفاطمة (عليهما السلام).

فالمنبر الحسيني محطة هامة في المسيرة الحسينية الداعية للعودة إلى مبادئ وتعاليم السماء الموحى بها إلى الرسول الأمين (ص) آخر سفير للسماء على الأرض.

المحور الثاني: الصلابة النفسية لأبطال الحشد الشعبي امتداد للنهضة الحسينية:

الصلابة النفسية: مصدر من المصادر الشخصية الذاتية لمقاومة الآثار السلبية لضغوط الحياة والتخفيف من آثارها على الصحة النفسية والجسمية. يعيش الإنسان اليوم في عصر يتميز بالسرعة المتلاحقة التي تجعله عرضة لمواقف أو أحداث غير مألوفة بالنسبة للحياة اليومية المعتادة والواقع أن ضغوط الحياة وأحداثها الحرجة هي من طبيعة الوجود الإنساني، وركن أساسي من أركان الحياة بجوانبها الموجبة والسالبة، ولا تخلو الحياة منها، وتزداد الضغوط كماً وكيفاً مع تعقد الحضارة وتسارع إيقاع العصر وتحدياته، وتصل هذه الظاهرة إلى حد استهداف الإنسان، إلا أن ذلك قد لا يحدث عند كل الأفراد، فقد لوحظ أن معظم الأفراد يحتفظون بمستوى عالٍ من الأمن النفسي والصحة البدنية، ولا يصيبهم المرض بالرغم من تعرضهم لأحداث حياتية ضاغطة الأمر الذي يجعلنا نعطي دوراً هاماً لشخصية الفرد بكل جوانبها.

وهذه النتيجة لفتت الأنظار إلى الاهتمام بضرورة فحص مصادر مقاومة الضغوط، أي فحص تلك العوامل والمتغيرات التي تساعد الأفراد على التوافق مع الأحداث الضاغطة المختلفة التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية، ولا تصيبهم

منها المحن النفسية والأمراض بأشكالها المختلفة، ومن بين تلك العوامل التي حظيت حديثاً باهتمام كثير من الباحثين عامل الصلابة النفسية Psychological Hardiness بهدف معرفة المتغيرات النفسية والاجتماعية التي تكمن وراء احتفاظ الأفراد بصحتهم النفسية والجسمية رغم تعرضهم للضغوط، وتوصلت إلى أن الصلابة النفسية هي مجموعة من الخصائص النفسية تشمل متغيرات الالتزام ووضوح الهدف والتحكم والتحدى، وهذه الخصائص من شأنها المحافظة على الصحة النفسية والجسمية والأمن النفسي بالرغم من التعرض للأحداث الضاغطة، كما أن الأمن النفسي يعد من الحاجات المهمة الضرورية التي لا بد من إشباعها لدى الأبناء، وإذا لم تشبع الحاجة إلى الأمن لدى الأبناء فإن ذلك يشعرهم بالتهديد، أهمية الشعور بالأمن النفسي في هذا العالم الذي يتصف بالحروب والكوارث والأزمات الاقتصادية وانتشار البطالة والخوف من المستقبل".

إن مفهوم الصلابة النفسية قد حاز على اهتمام الباحثين في الدراسات النفسية التي ظهرت في السنوات الأخيرة، حيث تم الكشف عن متعلقات Correlates عديدة ترتبط بهذا المفهوم؛ مثل الاكتئاب والقلق والتفاؤل والتشاؤم وتعاطي الكحول وأخرى غيرها. ولكن المتتبع للدراسات النفسية العربية يجد نقصاً واضحاً في دراسة هذا المفهوم، أما مفهوم الأمن النفسي أنه "على الرغم من اهتمام الباحثين في العالم العربي بدراسة الشعور بالأمن النفسي، إلا أننا نجد الاهتمام بها في المجتمع العربي يكاد يكون ضعيفاً إلى حد ما".

هذه الندرة أو الغياب لدراسة هذين المفهومين معاً ليس له ما يبرره؛ حيث إنهما من أكثر المفاهيم النفسية التي يبدو أنها ترتبط بالسلوك الإنساني، وتساعد على فهم كثير من العلاقات المرتبطة بالشخصية.

إذ شكل الصراع على الدوام جزءاً أصيلاً من طبيعة الوجود الإنساني على الأرض، إذ لا يمكن فصل اختلاف الآراء وتباين الرؤى وتعدد الغايات والأهداف عن سيكولوجية الإنسان ومستوياته الإدراكية الطبيعية والتي تعرفها الشريعة الإسلامية (بالرشد)، ومن هنا فإن أسس الصراع وغاياته تبقى خاضعة للقواعد الإيجابية والسلبية منها، وما قتل قابيل لأخيه هابيل (ع) في بداية الوجود الإنساني على الأرض إلا دليلاً على الفهم السلبي للصراع في حين كان رفض هابيل (ع) لبسط ليد لقتال أخيه شكلاً سلمياً من أشكال المقاومة وهي صورة للعقل الرشيد في إدارة عملية الصراع بما يتناسب وظروف الحدث التاريخي، باعتبار إن العقل الرشيد هو الأقدر على تحقيق معيارية الصراع وطبيعة المقاومة، كما في قوله تعالى: " أليس منكم رجل رشيد". لكن القيمة الحقيقية لقواعد الصراع وفق المفهوم الإسلامي تخضع للمعيارية الإلهية ذاتها في تحديد النفسية الفكرية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات. كما في قوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) فالتقوى

كمعيارية إلهية تتجاوز القيم الأنية للوجود الإنساني، كما أنها لا تخضع للربغيات والأهواء، باعتبار أنها ستمثل محاولة لاستنهاض الوعي الجمعي بقيمة التقوى حتى في حالة الصراع والمقاومة، أما عدم إدراك قيمة هذه المعيارية فإنه يمثل الجانب السلبي في حركة الوجود قبال التقوى.

ففلاسفة التاريخ يدرك معنى المقاومة بأنه تفاعل يمثل نتاجاً طبيعياً مما يستدعي فكرة ملحّة للإصلاح ولتغيير الواقع الاجتماعي والفكري المنحرف عن المسارات الطبيعية للحياة. وهي بالتالي لا تتخذ مساراً واحداً لكنها تندفع نحو تحقيقه غاية تاريخية، وهي بذلك تمتلك حتميتها من وجود الحاجة المستمرة للتغيير. إذ نرى النهضة التي دعت لمقاتله (داعش) والتي توافد إليها أبناء الشعب وبخاصة أبناء الحشد الشعبي إلى تحريك الوعي الجمعي من خلال موقف تسلسلي يقود إلى حتمية الخلاص من هؤلاء والسعي لبناء مجتمع من أجل أن نفعل ضمير الأمة ووجدانها لمواجهة التحديات التي يعيشها، وتذليل العقبات التي تحول دون التفاعل الاجتماعي والإنساني، والانطلاق نحو العمل للدفاع عن قيمنا وحريرتنا وكرامتنا، والاندفاع تجاه تعزيز السلام والسلم والوقوف من هؤلاء الدواعش موقف المنافي فنرى أبناء الحشد الشعبي لديهم القدرة على مواجهة الفعالة أو عوامل المقاومة؛ أي "المتغيرات النفسية أو البيئية المرتبطة باستمرار السلامة النفسية حتى في مواجهة الظروف الضاغطة والتي من شأنها دعم قدرة الفرد على مواجهة المشكلات والتغلب عليها. إذ نرى مسارهم يتحول إلى التركيز على متغيرات المقاومة الشريفة للدفاع عن شرف ألامه بنسائها وأطفالها وشيوخها الصلابة التي يمتلكونها هي التي جعلت هؤلاء الأشخاص يحتفظون بصحتهم الجسمية والنفسية رغم تعرضهم للضغوط؛ ذلك إن المساندة الاجتماعية التي جعلت أفراد الحشد الشعبي يقيموا الضغوط تقييماً واقعياً، كما أنها جعلتهم أكثر نجاحاً وفعالية في مواجهتها.

أن الصلابة النفسية عامل هام وحيوي في الشخصية يجب التأكيد عليه في البحوث المستقبلية حتى يتضح أكثر ويتطور من مستوى الأشخاص إلى مستوى استخدامه بالمؤسسات والمراكز العلاجية والإرشادية حتى يستخدم على نطاق واسع في التطوير واختيار الأشخاص ذوي الصلابة النفسية في مهمات خاصة في شتى المجالات؛ لأن الصلابة النفسية أصبحت من المفاهيم الهامة في أوقات الخطر وتحدي المصاعب وضغوط العمل والإنجاز، كما أن لها تأثيرات إيجابية على الأنظمة والنزاعات والضغوط.

فهنالك علاقة قوية بين الصلابة النفسية والكفاءة الذاتية، إذ رأينا أن الأفراد الذين لديهم مستوى عالٍ من الكفاءة الذاتية من أبناء الحشد الشعبي يميلون إلى سلوكيات قادتهم إلى نتائج ناجحة مع الاعتقاد في قدرتهم على ذلك لأن الكفاءة الذاتية ترتبط ارتباطاً إيجابياً بالصلابة النفسية وأن الفرد الذي يتمتع بالصلابة

النفسيّة أقلّ احتمالاً للإصابة بالأمراض النفسيّة والجسميّة نتيجة لأحداث الحياة الضاغطة، وأنّ أمة من الأمم عندما تتعرض لمؤثرات عديدة ومتنوعة فعليها إن تتعامل مع هذه المؤثرات بأسلوب متزن وموضوعي وحكيم وعليها أن تدرك ما لديها من قوة وإمكانيات متعددة فتعمل على تطويع تلك المؤثرات لمصلحتها وتجعل منها قوة تستطيع استثمارها في مواجهه التحديات ومستجدات الحياة. وتعدّ المؤثرات المتعلّقة بالمعتقد والفكر من أخطر أنواع المؤثرات التي ينبغي التعامل والتفاعل معها.

وأبناء الحشد الشعبي إنهم إبطال لبسوا القلوب على الدروع، تقدموا يسابقون بعضهم بعضاً باتجاه الموت، كما قدمت حركة الإمام الحسين منظومة مناقبيّة جديدة، تنبثق من روح المسؤولية والالتزام الأخلاقي، وتجلّي ذلك في أخلاقيات معسكري الحادثة، حيث معسكر الإمام الحسين وأنصاره الذين دافعوا بعز وفداء وأخلاقيّة عالية عن الدين والمصلحة العامّة، أذ تكرست قضيتّه في شكل الشهادة وظروف تحقّقها مع إن هذا الجانب وحده يستحقّ البحث والتركيز عليه، ولكن الأهم في قضيتّه هي الطبيعة العقائديّة لشهادته عليه السلام باعتبارها منهجاً للعودة بالمشروع الإسلامي إلى أصالته الرساليّة، فإدراك الأمة ووعيها بحقيقة قضية نهضة الإمام الحسين وشهادته إنّما يتم من خلال رؤية معرفيّة باعتبارها قد حققت العلاقة بين العقيدة وحركة التاريخ حدّ الشهادة في أرض كربلاء، مما يعني إن شهادته قد أوجدت معنى لصيرورة تاريخيّة تتمسك بها الأمة في مشروعها المستقبلي. فالكل يعلم أن الإمام الحسين (ع) كان قائداً لجيشه الصغير المكون من بعض الشباب والرجال وحتى من النساء والأطفال، وكان ضمن جيشه الصغير وجوه عربيّة ووجوه غير عربيّة، وكان في جيشه البالغ على بعض الروايات (73) شخصاً فقط، الأبيض والأسمر والأسود، وهذا يعني أن هناك فلسفة وحكمة خفية أراد الإمام الحسين (ع) إظهارها وتوضيحها للناس من خلال إبراز أهل بيته (ع) للقيام بأدوارهم على رمال كربلاء.

وتتكشف الغيوم عن تلك الحكمة عندما ندرك أن الإمام الحسين (ع) أراد أن

يقول

لنا أن المؤمنين أخوة لأن ثورته لا تعترف باللون الأبيض ولا باللون الأسود، وحركته لا تعترف بقومية دون أخرى، وإنما كل الألوان وكل القوميات تسقط أمام ثورته وحركته لأن نهضته كانت من أجل الله ومن أجل كرامة الإنسان إنّما كان فهو (ع) المحيي لشريعة جده (ص)، كان الإمام الحسين (ع) نبراساً لسائر النهضات التحريرية في العالم ضد الظالمين، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان درساً خالداً لا يُنسى لكلّ الأجيال البشريّة، من جهات عدّة وفي الظروف والأوضاع المختلفة؛ سواءً في عمله الفرديّ والشخصيّ أم في محراب عبادته أم في مناجاته أم في زهده أم في فنائه في ذكر الله، أم في جهاده مع النفس

والشيطان والدوافع النفسانية والمادية. وفي جهاده لأجل رفع خيمة الحق وإقامة العدالة، أي منذ ذلك اليوم الذي حمل فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثقل الرسالة على عاتقه، ومن الساعات الأولى، وجد إلى جانبه شخصاً مجاهداً مؤمناً مضحياً - كان ما زال في بداية عهده وشبابه - وهو عليٌّ عليه السلام. وإلى آخر ساعات حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباركة، لم يتوقف أمير المؤمنين عليه السلام لحظة واحدة عن الجهاد في طريق إقامة النظام الإسلامي، وفيما بعد من أجل الحفاظ عليه. فكم جاهد وكم خاطر بنفسه وكم ذاب في طريق الجهاد من أجل إقامة الحق والعدل، فقد التأمت في شخصية وحياة وشهادة هذا الرجل الفذ عناصر منسجمة تماماً مع بعضها بعضاً وتلك العناصر الثلاثة هي عبارة عن: القوة، والمظلومية، والانتصار. فقوته تكمن في إرادته الصلبة وعزمه الراسخ، وفي تسيير دفة الشؤون العسكرية في أعقد المواقف، وفي هداية العقول نحو أسمى المفاهيم الإسلامية والإنسانية،

المحور الثالث: الحركة الشعبية لأبطال الحشد

تعد حركة الحشد الشعبي الاستشهادية هذه الملحمة التي قادها هؤلاء الإبطال لا يمكن كنهها إلا بمنطق العشق وبمنظار الحب حيث ستبقى خالده في هذه الدنيا وستخلد الى الابد التي تسير في خط الموت الجسدي بهدف الوصول إلى البقاء الروحي هي:

(أ) التجسيد الحقيقي للكثير من المفاهيم والقيم الإنسانية النبيلة في الحياة كالتضحية والعدالة والحق والحرية والرفعة الإنسانية.

(ب) استنفار دائم للإنسان كي يعيش في كل لحظة من عمره حالة الاستعداد الدائم لمواجهة الباطل والشر أينما وجد وفي أي عصر كان، لأن الحياة بمتناقضاتها تتطلب من المؤمن الحقيقي أن يكون كل يوم عنده عاشوراء وأن تكون كل ارض له كربلاء.

(ج) تحقيق لقول الله سبحانه وتعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت:69) فجهاد أبناء الحشد الشعبي مكمل لجهاد الحسين (ع) وامتداد لحركة الأنبياء الجهادية.

(د) نهضة الحشد الشعبي عبارة عن إعادة تشكيل وبلورة الشخصية القادرة على إدراك معاني وأهداف الحياة من خلال متغيراتها الحركية وخط سيرها للإمام.

الخاتمة:

اليوم ابنا الحشد الشعبي فقد اختاروا الشهادة على الحياة، ولبوا النداء المقدس، وتركوا وراء ظهورهم الغالي والنفيس، لكنهم لم ينسوا الأهل والأولاد

والأحبة، أنهم حملوا كل هؤلاء في قلوبهم وهم يدافعون عن الوطن والمقدسات، ويبعدون الشر عنّا، شر الإرهاب والتنظيم المتطرف (داعش) ومن لفتّ لفه.

من ذلك نرى ان فلسفة النهضة الحسينية للإمام الحسين (ع) وأيديولوجية الحركة الاستشهادية والتي سار عليها أبطال الحشد الشعبي التي تسير في خط الموت الجسدي بهدف الوصول إلى البقاء الروحي.

وهكذا نرى اننا تفاعلنا عملياً مع النهضة الحسينية في سبيل إعادة وإحياء الشعائر الحسينية بعد أن رفع النقاب عن العديد من الجوانب الفلسفية لتلك النهضة التي كانت نقطة انطلاقها كربلاء في عاشوراء، أما حدودها فهي حدود العالم في كل زمان وأوان.

المصادر والمراجع:

- 1- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (عاشوراء والعودة إلى الإسلام) دار صادق بيروت ط2003/2م ص11.
- 2- توفيق أبو علم (الحسين بن علي) دار المعارف بمصر - القاهرة ط2/1982 ص18.
- 3- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (رسالة عاشوراء) طبع هيئة محمد الأمين - بيروت ط1422/1هـ ص3.
- 4- إبراهيم الحيدري (تراجيديا كربلاء) دار الساقى - بيروت ط1/1999م ص16.
- 5- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قبس من شعاع الإمام الحسين -ع-) دار صادق بيروت ط2002/2 ص30.
- 6- ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي إعداد ونشر مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات بيروت - دمشق ط1/2002م ص12.
- 7- عبد الله عدنان المنتفكي (الثورة الحسينية في الفكر العالمي) مجلة الثقافة الإسلامية إصدار المستشرية الثقافية الإيرانية بدمشق - راجع عدد تموز - آب 1993م العدد (50) ص44.
- 8- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب (ع) بيروت دت ص15.
- 9- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب (ع) دت ص19.
- 10- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب (ع) دت ص16.
- 11- في رحاب الإمام الشيرازي إعداد المؤسسة العالمية لإحياء تراث الإمام الشيرازي مؤسسة المجتبى بيروت ط1/2002م ص15.
12. القزويني، محسن باقر (2005)، خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).
- 13- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (عاشوراء والقرآن المهجور) مؤسسة المجتبى بيروت ط1/1421هـ ص36.
- 14- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) مؤسسة الفكر الإسلامي بيروت ط3/1413هـ ص728.

- Cuddon, J. A. (1982). *A Dictionary of Literary Terms*. USA: Penguin Books.
- Elam, Harry Justin (2001). *Taking It to the Streets: The Social Protest Theater of Luis Valdez and Amiri Baraka*. University of Michigan Press. p. 53. ISBN 978-0-472-08768-6. [Accessed on 20 Sep 2018].
- Lacey, Henry C. (1981). *To Raise, Destroy, and Create: The Poetry, Drama, and Fiction of Imamu Amiri Baraka (Le Roi Jones)*. New York: Whitston Publishing Company.
- Literary Devices Editors (2018). 'Characterization'. <https://literarydevices.net/characterization/> [Accessed on 15 Sep 2018]
- Marvin X and Faruk (1969). "Islam and Black Art: An Interview with Leroi Jones", *Negro Digest*, Johnson Publishing, (January 1969) 18, no. 3
- McAlister, Melani (2001). "Encounters: Culture, Media, and U.S. Interests in the Middle East, 1945–2000", University of California Press, Berkeley, CA, 105–107.
- Mitchell, Angelyn (ed.) (1994). *Within the Circle: An Anthology of African American Literary Criticism*. Durham: Duke University Press.
- Muhammad, Elijah (2001). *Message to the Blackman in America*, Muhammad's Temple No. 2, 1965 & Dorothy Blake Fardan, *Yakub and the Origins of White Supremacy*, Lushena Books.
- Muhammed, Alan (October 24, 2010). "Myth or high science? Is there evidence of Mr. Yakub?". *The Final Call*. [Accessed on July 22, 2018].
- Neal, Larry (Summer 1968). "The Black Arts Movement." *The Drama Review*, 12: 29-39.
- Spector, J. Brooks (2014). "Amiri Baraka, America's poet and playwright of rage, stilled at 79" *Daily Maverick*, online journal (January 2014).
- Symes, Steven (2018). "What does Metalepsis Mean?" Wise Geek, USA: Conjecture Corporation. <https://www.wisegeek.com/what-does-metalepsis-mean.htm> [Accessed on 14 Sep 2018].
- Watts, Jerry Gafio (2001). *Amiri Baraka: the politics and art of a Black intellectual*. NYU Press. p. 503 n.32. [Accessed on 15 June 2018]. "The Baraka play *A Black Mass* is based on the Nation of Islam's Yacub myth."

Imam Al-Hussein is the paragon of all right paths for having the pure Islamic doctrines in theory and practice. As Al-Hussein's voice inspired the Friar and called for the right path, it is what we do invoke Allah in our prayers "Show us the straightway". In all times, we are to resort to such inquiry to calibrate the orbit we are in, as in, worship, commerce, communication, personal dealings, decision-making administrative, economic and political, friends selecting and spouse choosing, in all our dealings.

Accordingly, denoting on metalepsis and characterization in this comparative study, both plays refer to historical figures who are either real as in Al-Taff Battle or a myth created by people. However, both plays convey a message against oppression through image of conflict and dilemma. The Husseini case represented a reflection of the nature of the conflict with the other as well as the conflict with the self as the poet fits between his theater struggle and intellectual and social conflicts. In time, the Friar was eager to know the truth with a dilemma inside him, the black magician, Jacoub was also eager to know the fruit of his creation. However, Friar's heart could see the light of truth and control himself but Jacoub refused to listen to the warnings of his colleague magicians and destroyed himself. Besides the participation of the audience in the plays adds much to dramatic techniques of modern theatre. Imam Al-Hussein (Peace be upon him) has led the conflict with a sense of Jihad and utter faith that knows no hesitation; as it so with the chronicle of Imams, the grandsons of Mohammed (peace be upon him and his progeny).

References:

- Al-Bannai, Salam M.(2017). "Glimpses of the History of Husseini Theater in Karbala". Karbala Heritage Center, The holy Abbasid threshold. <http://mk.iq/view.php?id=1929&ids=1> [Accessed on 4 October 2018] (Arabic Reference)
- Al-Khufaji, Ridha (2011). *Al-Hussein's Voice* (Haider Al-Moosawi, Trans.). Karbala: Dar Al-Warh for printing and publishing.
- Baraka, Amiri (1998). *Four Black Revolutionary Plays*. London: The Marion Boyars Publishers.
- *Cambridge Dictionary* (2018). "Characterization". <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/characterization> [Accessed on 18 Sep 2018].

Through its rich use of metalepsis Baraka's revolutionary play, *A Black Mass*, has contributed much towards the development of a revolutionary Black consciousness. The play shows the first serious attempt by a Black dramatist to define the world in his own terms by creating new history, new symbols and new legends. The playwright's act of discovering aesthetic equivalents for revolutionary politics implies a rejection of White traditions and a desire to use theatre as a device to raise the consciousness of Black audience and to stimulate them into revolutionary action.

Through metalepsis, the play exploits the Nation of Islam's myth of the origin of the white species as a story line, and uses it as a technique of propagating cultural Nationalism among African-American viewers. The play reverses the White myth that Negroes are inferior, and projects the Black Muslim myth as an alternative.

The title *A Black Mass* itself is befitting as it encourages the Black audience to revive their myth and culture and to prepare a 'black mass' in order to rectify the errors of the past, of collaborating and wanting to become Whites. Baraka modifies the Black Muslim myth to indicate that the ultimate evil is assimilation of the beast within the Black self, and the Jihad can begin only with this recognition which will eventually lead towards Black consciousness.

On the other hand, regarding Al-Husseini Theatre, Al-Hussein's *Voice* raises the question that were we in 61 Heg, with whom would we be? With the son of the greatest prophet Mohammed (Peace be upon him and his household) Imam Al-Hussein, the son of the commander of the believers and the lady of women in the worlds, Fatima Al-Zahraa (peace be upon her), or with Yazid, the sot and killer, the son of the dissenter, Mi'awiah Binabisufian, the first enemy to the greatest prophet and one of the Tulaka [the released]?

The Friar responds to Al-Hussein's Voice and submits to Allah the one only God:

I do bow to Allah at thy hands,
I do declare my Islam with certitude,

...

Let all life hear me;
"I call Allah to witness
That there is none but him,
I bear witness that Mohammed is the messenger
of Allah,

I do bear witness;
Thou, the progeny, is on the right,
The progeny of the messenger of Allah"
(Al-Khufaji,2011:59)

3. Conclusion:

In the aggregate, tackling the use of characterization and metalepsis in a comparative approach discussing the Iraqi play, Al-Hussein's Voice and the American play A Black Mass, the study shows a gradual development of both Al-Hussein's Theatre Theory as well as the history of Black American drama.

Initially, Amiri Baraka had been in dilemma: whether to bear with the ill-treatment of an outrageous White society or to strike against it. Later, he turned to drama as a medium for exposing brutal treatment and expressing discontent, anger and protest. Through his drama, he mainly tried to instill Black consciousness among the Black masses.

A Black Mass implies that the Black man must build up his own value systems, see himself as self-defined and not defined by others. It includes even the rejection of White liberalism.

This narrator speaks in general addressing the audience directly by their future fortune with the existence of this evil white beast saying it would control and destroy them in reference to the dominance of the white race over the blacks especially the Afro-American Blacks. The narrator calls the audience to declare the Holy War, The Jihad. But this jihad is against the Whites who took away the Blacks' freedom.

On the contrary, Al-Hussein's Head addresses the Friar and the audience giving recommendations that would save their future by their salvation from Hell and gaining them Paradise. However, Al-Hussein's Voice also called for a holy war against oppression and falsehood.

Metalepsis is also evident through the involvement of the audience in the play. Al-Khufaji's audience at the end of the play were listening to Al-Hussein's Voice As if the head was taking to them. They were wailing and crying as they were watching the play. Similarly, in A Black Mass, the audience is urged to acknowledge the very real presence of the beast in the world. Jacoub's evil creation, the Beast along with Tiila who was contaminated by the beast as it touched her, join the audience. They join the audience "kissing and licking people" screaming as "White!.....White! Me ... Me...Me...White!" (Baraka, 1998: 56).

In making the Beast soulless, Baraka refers to the whites and their arrogant dealing with the Blacks, hence, the issue of racism. Jacoub wanted to teach the Beast to be a human but he failed until the Beast killed Jacoub and all the characters and the other two magicians. On the other hand, we find a Voice of Al-Hussein's Head without a body to ensure that Al-Hussein's Voice is enough to call for reform for he has sacrifice his body to call for reform.

However, the soulless beast is somehow similar to Al-Hussein's enemies whose hearts are dead and deserted so they cannot look heartily and act rightly.

On the other hand, the Friar's role in this play alludes the historical storyline that designated a sense of hospitality of a Friar in a border village hosting the caravan to spend the night and intending to portray Al-Imam AL-Hussein's head and the righteous martyred members of the progeny.

Metalepsis in theatre can also be found in the sudden presence of the narrator in a way not expected by the audience. In Al-Hussein's voice, we find that Al-Hussein's Head appears in the final part of the play talking directly to the Friar catching the attention of the public. He speaks of wisdom and truth sending a message and encouraging the Friar as well as the audience to move ahead rejecting all forms of oppression until the Friar announces his Islam.

In comparison with A Black Mass, the beast created by the black magician also suddenly appears on the stage to take part in the play. At its presence on the stage, it started addressing other characters that appear shouting and running in terror. Yet this bears which seems full of evil as its name suggest alluding the white race. Baraka wants to refer again to a myth that all people are black in origin and from them came all brown, yellow, red, and white people. This white human being was created by mischievous black magician. By using a special method of birth control law, the Blackman was able to produce the white race.

The play ends with destruction of the holy place of the black magicians and the playwright's sly prompting through a black Narrator who appears at the end and says, "There are beasts in our world. Let us find them and slay them" (Baraka, 1998: 56). This drama ends with an off-stage voice (narrator) dial chants a call for the Jihad to begin. This play demonstrates Baraka's extraordinary talents to fuse form and content into an effective performance piece.

It was the third arrow targeting Al-Hussein's heart

(Al-Khufaji, 2011:33,37)

Furthermore, Hakeem's role was to prevent Al-Hussein Bin Ali from the river, but this plan never reaches fruition.

Hakeem I who do ambush him behind the tree
Amputate his right hand,
But he does not stop short of fighting us,
With his left

(Al-Khufaji, 2011: 36)

Shimar's role, however, was not clear. He evaded the Friar's questions at the beginning refusing to reveal the identity and family ratios of Al-Hussein Bin Ali and his household. Never the less, the audience already knows the crime he did as he proudly confessed at the beginning of the play that he decapitated Al-Hussein's Head (Al-Khufaji, 2011). He even suggested decapitating the head of the infant, Abdullah because one leader does not have a head to spear it high:

Harmala But, Bin Jawshin,
I daren't decapitate him.

Shamir (with pride) It's I who is doing so,
He who decapitates Al-Hussein's Head
Is doing everything!

(Al-Khufaji, 2011: 20)

Hence, the characters' actions indicate their identities. Al-Khufaji made a good use of characterization which makes the audience relate better to the events taking place. Indeed, conversations play a very important role in developing a character, because they give us an opportunity to examine the motivations and actions of the characters more deeply.

plating about the story of these decapitated heads. However, Al- Khufaji's characters differ in having real historical allusions refereeing to real figures known of their criminality and hatred for Al-Beit and not a myth as in Jacoub's of A Black Mass.

Although The Nation of Islam theology states that Yakub is the biblical Jacob, all branches of Christianity, Judaism and Islam, those that are not allied with the Nation of Islam, reject this belief or such characterization of Yakub (Jacob). Under its current leader Louis Farrakhan, the NOI continues to assert that the story of Yakub is true, claiming that modern science is consistent with it (Muhammed, 2010).

In addition, these metaleptic characters in both plays all share an evil soul full of mistakes. The black magician deliberately committed mistakes in creating a beast-like human and the other knights of AL-Hussein's Voice followed Yazid at that time. Under the reign of Yazid, 'Amir Bin S'aad is the leader of Al-Taff Battle against Al-Hussein Bin Ali, peace be upon him and his progeny. Al-Taff refers to a historical place in Karbala where Imam Hussein and his Progeny were surrounded by Yazid's followers.

The characters mentioned above would be recognized through their speeches as everyone would answer the Friar who exclaimed about their roles and actions in the battle. Hence Al-Khufaji's characterization plays important roles in identifying his characters.

Harmala's role, for instance, is unforgettable:

I am but to shoot certain arrows,
The first arrow is to kill an infant; in the bosom
of his father

...

I shoot 'Abbas's eye with the second arrow,

....

However, the link between the play and the myth metamorphoses into a more elaborate commentary as Baraka introduces two powerful elements of fiction imagination into the story. Themes of racial harmony and religious responsibility are hidden in Baraka's linguistic acrobatics.

Baraka poetics sensibilities of characterisation come to the fore in the protest speeches given to Nasfi, one of the magicians, who tries to let Jacob understand and accept the enormous error of his creation of the 'white monster'. Jacob seems opposed to his brother magicians, who live contentedly in harmony with the universe:

Nasfi Jacob, you speak of magic that is without human sanction.

A magic that would rupture the form of beautiful knowledge

Of beautiful world...

Jacob I speak of things, of knowledge that is beyond the human mind.

Nasfi ... what you bring back will be of no benefit to man.

Remember the old myths, brother. The forbidden fruit of madness.

(Baraka, 1998: 41-42)

In this work, Baraka appears to be striving to build a sensationalist structure in order to shock, rather than entertain, the audience.

Similarly, in *Al-Hussein's Voice*, Ridha Al-Khufaji uses names alluding to historical figures that had crucial roles in killing Imam Hussein, peace be upon him and his progeny, in Karbala. These characters are Amir Bin S'aad, Shamir Bin Thejushin, Harmala and Hakeem Bin Tufeil. They were questioned by a Friar, a religious Christian man who kept contem-

'64—when I first began reading and thinking about it... The next year I wrote *Black Mass*, based on the Nation of Islam's telling of the story of Yacub—the Nation of Islam's theology that seemed to me to be a vehicle for the expression of truth on many levels about man, spiritual man's subjugation by anti-spiritual forces (1969:4-5).

Characteristically, unlike *Al-Hussein's Voice*, Baraka used ornate language and stylized performance. The characters speak exaggeratedly bombastic idioms. Frequently the dialogue for a *Black Mass* reminds us of the formality of Greek drama. This is especially true of the women's chorus-like reporting of off-stage calamity:

EULALIE:

The elements disturb us, Lord Magician. The elements threaten us.

OLABUMI:

The sky is not the sky. The earth trembles beneath our feet.

TILA:

The sea shudders and rages, and throws strange creatures on the land.

(Baraka, 1998:44)

The African-American playwright Amiri Baraka's play *A Black Mass* (1965) takes inspiration from the story of Yakub. According to critic Melani McAlister, "the character of Yakub, now called Jacob, is introduced as one of three 'Black Magicians' who together symbolize the black origin of all religions." McAlister argues that, in Baraka's version the experiment creates a single Frankenstein-like "white" monster that kills Jacob and the other magician-scientists and bites a woman, transforming her in a vampire-like way into a white-devil mate for himself. From this monstrous couple the white race is descended (McAlister, 2001: 105-107).

roduction of a meaningless evil into a harmonious universe. The evil of the Beast is pervasive, corrupting everything and everyone it touches. What was beautiful is twisted into an ugly screaming thing” (Mitchell, 1994: 194).

The graphic rendering of the "Beast's" creation clearly reaches out to the literal-minded and emotionally-oriented audience. In the play, Baraka inverts the idea that white symbolizes goodness and black symbolizes wickedness, so that the images of beauty and life are associated with blackness (Elam, 2001).

The main theme of *A Black Mass*, is to vex black spectators into recognizing the “sickness unto death of the white man by exposing his public and private sins” as stated by Floyd Gaffney in his biographical essay "Amiri Baraka" (1985). Larry Neal says, “This is a deeply weighted play, a colloquy on the nature of man, and the relationship between legitimate spiritual knowledge and scientific knowledge” (1968:30-32). It is Baraka’s the most important play mainly because it is informed by a mythology that is wholly the creation of Afro-American sensibility.

An important feature of this play is its message of the urgency of shedding off whatever evil influence the whites have on black psyche—as a way of creating racial solidarity. While he seems to agree with the implied message of the myth about the bestiality of the white creature and about the Nation of Islam as an alternative to the white world, Baraka continues to stress the Black’s African cultural roots as the marker for racial solidarity. In an interview with Marvin X and Faruk, Baraka says:

I guess, Islam first influenced me through Brother Malcolm, Hajj Malik, because he was, actually the first Black man that I associated Islam with progressive social thinking... The idea that Islam was being connected with progressive social thought and black nationalistic thinking... [that was] about

able to produce the white race as stated by *Elijah Muhammad*, one of the leaders of the Nation of Islam (Watts, 2001).

In the play, the magician prepares to create "A man like ourselves, yet separate from us." Jacoub created " a supernatural being. A being who will not respond to the world of reality" (Baraka, 1998: 43).

He actually created a white beast or the white race. Now the version of this myth created for the stage by Baraka presents a group of strikingly comic-strip type characters of an ancient order of black Magicians' and depicts the creation of the white race as being the result of a semi-conscious error by a mischievous magician Jacoub. This metalepsis reference is used by Baraka to allude to the myth of Jacoub.

According to this myth, Jacoub is said to create and teach a nation of people who would be entirely opposed to the Original People. A Race of people who would one day rule the original people and the earth for a period of 6,000 years. Yacub promised his followers that he would graft a nation from his own people, and he would teach them how to rule his people, through a system of tricks and lies whereby they use deceit to divide and conquer, and break the unity of the darker people, put one brother against another, and then act as mediators and rule both sides (Muhammad, 2001).

Hence, Yacub, a Black scientist, developed the means of grafting different colors of the Original Black Nation until a White Devil was created. In the play, Yacub's experiments produce a raving White Beast who is condemned to the coldest regions of the North. The other magicians implore Yacub to stop his experiments, but he insists on claiming the primacy of scientific knowledge over spiritual knowledge. The sensibility of the White Devil is alien, informed by lust and sensuality. The beast is the embodiment of evil whose birth begins the process of historical subjugation of the spiritual world. According to Larry Neal, Yacub's real crime "therefore, is the in-

sively Black culture. He converted to Islam in 1968 and has since been named Imam Amiri Baraka. Later on, he changed his name to Amiri Baraka and deleted the word 'imam', after he adopted the Marxism as a philosophy in 1974 (Lacey, 1981).

Baraka was one of the first poets in America who raised political issues and fought for them in his literary works. "Although I did not write political plays, I learned from Amiri Baraka that every art is political," said Pulitzer Prize-winning playwright August Wilson (Spector, 2014). Amiri was not only calling for the causes of blacks, but for humanism, against the domination of colonialism and imperialism. He was accused of "anti-whites" and "anti-Semitism and Jews" for his support of the Palestinian cause.

He addressed important social issues in his plays written and staged in the 1960s, a time of massive social change. These plays seem to reduce all sorts of black social problems to issues of race (and more precisely racism by whites). He wrote *A Black Mass* (written in 1966), which staged the impact of whiteness on the Afro-American psyche.

2. Comparison:

In *A Black Mass*, three magicians appear in "long exquisite robes, one with skull gap, one with fez, one with African hat." (Baraka, 1998:37). Their dress reveal their characters as being weird black magicians and one of them is Afro-American for wearing African hat.

A black magician called Jacoub was trying to create something new; "Creating a new organism. I've been working on this for some time." Now metalepsis can be seen in the religious allusion of the name of this character which is taken from the Nation of Islam Movement that Baraka belonged to during the 1960s. Jacoub refers to the black scientist Yakub who, according to the beliefs of the Nation of Islam (NOI) was

In live performances, characters might interact with the movie. An actor in a play might turn to the audience, speaking directly to them and even invite the audience to partake in the performance. Action during a live performance might spill beyond the borders of the stage, with characters continuing their performances in the aisles of a theatre. Thus, a name or an act referring or alluding to a historical figure or event in a play can be an example of metalepsis.

Hence, characterization and metalepsis work together side by side to come up with the desired goals of this study.

1.2 Playwrights in Brief:

Ridha Al-Khufaji was born in 1948, completed his B.A in Political Sciences in University of Al-Mustansiriya. Being a member of Union of Writers and Litterateurs in Iraq as well as a member of Arab Union of Writers and Litterateurs, he is a poet and a playwright of Al-Husseini Theatre Theory.

His *Al-Hussein's Voice* is the third verse drama of Al-Husseini Theatre Series. It was first published in Al-Huda Newspaper of Karbala in series in 2006. Then it was translated into English by Professor Haider Al-Moosawi (University of Babylon) and published in a book in 2011. Such an art work incarnates Al-Hussein epic under modern lens whose target is to convey the serene Mohammed ideology to all nations.

The poet and playwright Ridha Al-Khufaji says "in the Hussein Theatre, specifically, we can find our point, and we can offer the eternal Hussein saga in all its meanings, human and intellectual implications away from the naive emotions and backward practices, that have negative impact on the Hussein message" (Al-Bannai, 2017).

On the other hand, Amiri Baraka was a writer, editor and publisher born with the name 'LeRoi Jones' in 1934, in Newark, New Jersey. Then he took a Muslim name and became one of the era's best-known advocator of exclu-

comparison analysis of the chosen literary texts in relation to the mentioned figures of speech. The third section concludes the result of this study.

1.1 Characterization and Metalepsis

Characterization is the means by which writers present and reveal characters. Writers typically reveal characters through their speech, dress, manner, and actions either directly or indirectly (Cambridge Dictionary, 2018). Direct characterization is when another character, or narrator, tell the audience about the subject, while Indirect (implicit) characterization is when the audience themselves have to realize the character's characteristics by observing his/her thought process, behaviour, way of talking, appearance, and manner of communication with other characters, as well as by discerning the response of other characters. Hence, characters in theatre can act in their own unique way to add new layers and complexity to a character, which is different from characters in novel in which it is easy to know what is inside the character's mind (Literary Devices Editors, 2018).

Metalepsis is an advanced figure of speech in which reference is made to something by means of another thing that is remotely related to it, either through a causal relationship, or through another figure of speech. Cuddon defines it in *Dictionary of Literary Terms* as "a form of metonymy in which the general idea substituted is considerably removed from the particular detail" (Cuddon, 1982: 391).

There are two ways that metalepsis is used to show the association between the two things or ideas. Metalepsis is derived from the Greek word *metalēpsis* meaning "to exchange" or "participate in." Metalepsis has roots in ancient rhetoric and therefore its first use was during Greek times. In addition, metalepsis in theatre is known as "breaking the fourth wall," when characters onstage refer directly to the audience as if it is a character in the play (Symes, 2018).

Characterization and Metalepsis in *Al-Hussein's Voice* and *A Black Mass*

Assist Lect.
Hind Sabah Bilal
Dept. of English
Faculty of Education
University of Kufa

1. Introduction:

Theatrical literature occupies an important place in our lives because of its great effectiveness in the embodiment of trends that are very important in our reality, whether as reading or live watching.

The poetic texts have been an important tool in modern Arabic literature for their intellectual and artistic richness. At the intellectual level, these texts have become expressive and functional. Artistically, they reflect multiple images that reveal a comprehensive literary ability.

The two figures of characterization and metalepsis were both chosen as important elements in modern theatrical literature as well as they give space to great ability to interpret and evoke historical images and facts. This study examines these two figures in the plays; *Al-Hussein's Voice* by Ridha Al-Khufaji and *A Black Mass* by Amiri Baraka, as they have a profound literary value.

Ridha Al-Khufaji is a high status poet and playwright having an important role in modern Arabic literature in Iraq particularly advocating the theory of Al-Husseini Theater.

The current study is divided into three main sections including Introduction with two aspects: the first aspect is devoted to shedding light on the concept of characterization and metalepsis, while the second aspect conveys a brief illumination of the life of the two writers. The second section includes

Abstract

Freedom, hope and future, such are the ambitions the repressed and coerced people pant after bringing into existence. Imam Al-Hussein, peace be upon him, is a school for all generations. It is to hail how to implement right, to resist iniquity and to do justice.

Starting with the self-righteous concept, this research tackles the use of metalepsis and characterization in two literary dramatic works. Metalepsis is to break the forth wall between characters and audience, so the audience would be one of the characters at the end. Metalepsis works along with characterization which is the means by which writers present and reveal characters through their speech, dress, manner, and actions. Hence using characters' names and actions to allude to historical figures is what constitutes metalepsis in live performances.

Two verse drama plays are compared. One is called *Al-Hussein's Voice* written by Ridha Al-Khufaji and translated into English by Prof. Haider Al-Moosawi (University of Babylon), and the second is *A Black Mass*, written by the Afro-American playwright Amiri Baraka who converted to Islam during his youth. Al-Khufaji's play events are taken place in Iraq in a place between Karbala and Al-Kufa where The Umayyad Army is moving towards Al-Sham. A Friar stops them and hosts them where leaders such as 'Amir Bin S'aad, Al-Shamir and Harmala try to talk about their roles in the battle until they speak about the crisis they do against old men, women and children. Being shocked, the Friar is eager to know who those victims were. Searching for the truth, he is led the head of Imam Hussein.

The researcher compares the use of metalepsis and characterization in the search for the truth through shocking instead of entertaining the audience. The researcher seeks to spread the issue of oppression (the revolution of Imam Hussein) in Arabic literature by comparing it with the American literature (Black Race) to promote the Iraqi Hussein literature.

Characterization and Metalepsis in Al-Hussein's Voice and A Black Mass

key words: Al-Hussein's Voice, A Black Mass, metalepsis, characterization

Assist Lect.
Hind Sabah Bilal

Dept. of English
Faculty of Education
University of Kufa

References

- Collins, B.& Mees, I. (2006) Practical phonetics and phonology London: Routledge taylor & francis Group P:125.
- Crystal, D. (1969) prosodic systems and intonation in English London: Cambridge University Press P: 131.
- _____ (1988) A dictionary of Linguistics and phonetics London: Basil Blackwell Ltd P: 162,177,250
- _____ (2004) the Cambridge Encyclopedia of the English Language Cambridge: Cambridge University Press. P:246
- Davenport, M. & Hannahs, S. (1998) Introducing phonetics and phonology London: Arnold (Pub). P: 146-147.
- Firth, J.R. (1966) The Tongues of Men and Speech London: Oxford University press.:28.
- Folgado, V. (2015) The function of English Intonation WWW.Foxit.Reader P89
- Gordon, M. (2014) Intonation The Cambridge Encyclopedia of The Language Science New York: Cambridge University press P: 406-407.
- Gussmann, E. (2002) Phonology Analysis and Theory Cambridge: Cambridge University Press. P.62-68.
- Gut, U. (2009) Introduction to English phonetics and phonology Frankfurt: peter lang Gmb H. P:12,37
- Kuiper, K. & Allan, W. (1996) An Introduction to English language sound, word and sentence London: Macmillan press Ltd. P.96-98.
- Napoli, D.J. (1996) Linguistics An Introduction New York: Oxford University Press. P:81
- Richard, J. & Schmidt, R., (2014) Longman Dictionary of language and applied linguistics London: Taylor & Francis group
- Roach, P. (1992) Introducing phonetics London: penguin English. P56-57.
- _____ (2010) English phonetics and phonology Cambridge: Cambridge University Press P: 9,10
- Waengler, J., (2009) Introduction to phonetics and phonology Boston: Pearson. P: 7
- القرشي باقر شريف (2009) موسوعة سيرة أهل البيت/ الإمام الحسين الجزء الرابع عشر دار المعروف للطباعة والنشر، ص292-293.

مَصْرَحُ الْإِمَامِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٩٣

وداعه ﷺ لعياله

وقفل الإمام الحسين ﷺ راجعاً إلى عياله ليودّعهم الوداع الأخير، وجراحاته تنفجر دماً، وقد أوصى حرم الرسالة وعقائل الوحي بلبس الأزرق والاستعداد للبلاء، وأمرهن بالخلود إلى الصبر، والتسليم لقضاء الله قائلاً: اسْتَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَامِيكُمْ وَحَافِظَكُمْ، وَسَيُنْجِيكُمْ مِنْ شَرِّ الْأَعْدَاءِ، وَيَجْعَلُ عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ إِلَى خَيْرٍ، وَيُعَذِّبُ عَدُوَّكُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَيُعَوِّضُكُمْ عَنْ هَذِهِ النَّيِّبَةِ بِأَنْوَاعِ السُّعْمِ وَالْكَرَامَةِ، فَلَا تَشْكُوا وَلَا تَقُولُوا بِالسِّيِّئِ مَا يَنْقُصُ قَدْرَكُمْ^(١).

2- Imam Hussain's speech for his family

Be ready for the disaster, you should know that Allah would protect and save you from the enemies' evil, He would ends your matter to a well end, and would torture your enemy with kinds of tortures, and would compensate you with too many blessings, so do not complain, and do not say things which decline your rank.

Section Three

Conclusions

3.1 Conclusions

From the previous section the researcher conclude the following:

- 1- Imam Hussain (AS) used in his two speeches two kinds of tones only fall and rise,
- 2-He (AS) used fall tone for final sentences,
- 3-In order to show his definiteness of his sayings, he (AS) used the fall tone,
- 4-Imam Hussain used the rise tone to show listing,
- 5-He (AS) used rise for showing that more to follow,
- 6-Imam (AS) raising his tone to show encouragement to his army and his family he also (AS) shows his victory.

خطاب الإمام الحسين عليه السلام الأخير

ووجه الإمام الحسين عليه السلام وهو بتلك الحالة خطاباً لأعدائه حذرهم فيه من غرور الدنيا وفنتها، ويقول المؤرخون: إنه لم يلبث بعده إلا قليلاً حتى استشهد، وهذا نصه:

«عبادة الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على خذر، فإن الدنيا لو بقيت لأخذ وبقي عليها أخذ لكاتب الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضا، وأرضى بالقضاء، غيّر أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للقاء، فحديدها بالي، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهرة، والمنزل بلغة، والدار قلعة، فترددوا فإن خير زاد الشقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون»⁽¹⁾.

2.3 Translation of the speeches

1- The speech of the enemy

Slaves of Allah, be afraid of Allah, you should be careful of life, because if it stands still for somebody for good it would stand for prophets,

they get priority of satisfaction, and they are satisfied by their destiny but God Creates life for disastrous and Creates human for death, the new things are old, and its bliss vanishes, and its happiness is gloomy, and the prestigious rank is the goal, the heaven is the safe, so take care with your good deeds and be afraid of Allah maybe you would be the winners.

2.2 The speech of his family

Be ready for the disaster,

you should know

that Allah would protect and save you

from the enemies' evil

He would ends your matter

to a well end,

and would torture your enemy

with kinds of tortures

and would compensate you

with too many blessings

So, do not complain and do not say things which decline your rank

The new things are old, and its bliss vanishes

and its happiness is gloomy, and the prestigious rank is the goal

the heaven is the safe, so take care with you your good deeds

and be afraid of Allah maybe you would be the winners

Section Two Analytical part

1.2 Imam Hussain's speech for his army

Slaves of Allah, be afraid of ALLAH

You should be careful of life, because

If it stands still for somebody for good it would stands for profits

They get priority of satisfaction

and they are satisfied by their destiny

but God Creates life for disastrous and Creates human for death,

(2015), they all agree upon the idea that intonation has specific functions these functions are important in the speaking, taking turn, giving information of what have been said, showing the speaker's attitude of the conversation and many other idea. These functions are

- 1-The attitudinal function
- 2-The accentual function
- 3-The grammatical function
- 4-The discourse function
- 5-The pragmatic function

What is important in this paper is the attitudinal function

1.6.1 The attitudinal function:

This function of intonation allows speakers to superimpose his attitude on the semantic of the utterances this one of the most important functions because it is used when a written text is read loudly, and the reader automatically superimpose a series of attitudes on the author's words. It is one of the factors which represent different interpretation of prose, drama and poetry. Attitudes can be connected to the nuclear tones since so much depends on content and on the basic semantic content of the words in the intonation unit group. English marked two tones they are: fall-rise (∨) and rise-fall (^). (Collins&Mees,2006:5)

There are certain meanings for the English tones.

- 1-The tone fall (^) shows finality, and definiteness
- 2-The tone rise (∨) shows general question, listing, more to follow, encouraging.
- 3-fall-rise (∨) shows doubt correction, reservation
- 4-rise-fall (^) shows impressed, arrogant, confident

(Collins&Mees,2006:5 and Roach 2010,147)

control of this energy is the source of what we call the rhythm of the speech. "phoneticians refer to certain aspects of these big main movements of the speech act with variety of words such as breath –group, ictus, stress, length, intonation, accent, emphasis, intensity, weak or unstressed syllables and so on, these terms overlap. They also point to the fact that the most fundamental movements determining the main pattern of your speech acts are the sub-conscious secrets of your childhood. you use the current rhythm which are demanded by your fellow countrymen as conditions of everyday intercourse.... In learning to speak foreign language, these bigger and more intimate movements are the most difficult to acquire"(Firth,1966:28)

1.5 Forms of intonation: Roach (2010) explains that two common on – syllable utterances are 'yes' and 'no'. These two words can be said with the pitch either at a constant level or with changing levels.

There are three simple tone that can be used on one-syllable English utterances:

A-level, B- level, C-rise

Complex tones can be used as:

E- fall-rise, F- rise-fall, Normal pitch range.

With E- which is 'fall-rise' tone, the pitch descends and the rises again, whereas in the other for –F- ' rise-fall' in which the pitch rises and descends again, which is the opposite of the –E-tone. The third tone which is 'normal pitch range' a top level which is the highest pitch used by the speaker, and a bottom level that the speaker's pitch normally does not descend anymore. In the normal speech the intonation takes the lower pitch range of the speaker, in case that the speaker speaks with strong feeling the speaker uses extra pitch height

1.6 Functions of intonation: Crystal (1969), Roach (1992), Collins and Mees (2006), Gut (2009), Gordon (2014), Folgado

element of construction; thus, without the nucleus there is no syllable.

1.3 Stress: Needless to say, stress is one of the most important factors

in the intonation of any language. Crystal (1988:288) defined stress as "a term in phonetics to refer to the degree of force used in producing a syllable.... In popular usage, 'stress' is usually equated with an undifferentiated notion of 'emphases' or 'strength'.

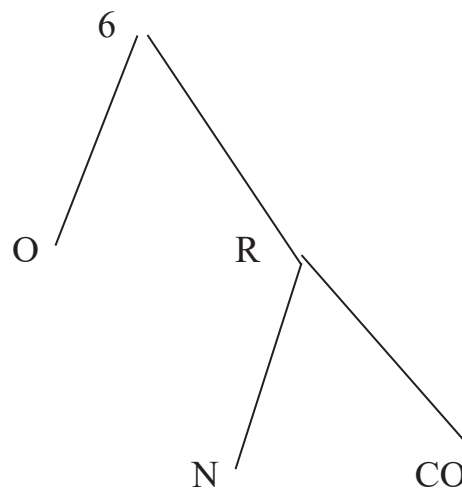
1.3.1 The nature of stress: Dalton and seidlhofer (1994) and Roach (2010) point out that the word 'stress' refers to the way that the speaker emphasizes something or makes it prominent. Listening to the speaker when he/she speaks, we would notice that certain elements seem to be given more prominence or emphasis. These stressed elements would also be louder than the rest of the chain of words in connected speech. If we know the system of any language, we would pick out certain cues from the sound stream and describe them as 'stressed' elements these cues can be seen from two different point of view is the 'production' of stress and second point of view is the 'perception' of stress.

1.4 Rhythm: Crystal (1988) defines rhythm as the perceiving of regularity of prominent units in speech. Combination of certain variables or some of them would affect the regularity of rhythm as (stressed V. unstressed syllable, length of syllable (long V. short) or pitch (high V. low).

1.4.1 The nature of rhythm: According to Firth (1966) when one speaks quickly, the 'rectus abdominis' muscle fixes the lower part of the chest and supports the expiratory pulses and prosodic patterns produced by the muscles of the rib -cage as well. What one feels when he / she does this effort must not be neglected. When one holds his/her breath, yawns, laughs for a long time, or coughs or sneezes violently, so this patterned

Gussmann (2002), Waengler (2009), and Roach(2010) highlight the structure of the syllable, which is shown as the following figure.

Figure (1) the structure of syllable
(Davenport&Hannahs,1998:147)



(6) sigma stands for the 'syllable'. The onset is represented by(O), the presented by (R) which is a combination of two segments; the nucleus which represented by (N) or it is the core, the second item is the coda which is represented by (CO). The syllable per se; it is clear that the only obligatory segment in the syllable is the nucleus since some words as 'I' or 'eye' or 'owe' contains the nucleus only without any onset or coda. English permits the nucleus e.g. 'tie', 'do', 'pay'. English also allows the combination of nucleus and coda such as 'up', 'act', 'eat' combination of the three segments 'O+N+CO' are also allowed in English language as 'kit', 'bad', 'hug'. The onset and the coda can be simple we have seen in 'kit' or can be complex which consists of more than a single segment as in 'sprint'. In all these examples the nucleus is considered to be the head of the syllable. Head means that it is obligatory and characterizes the

Analytical Study of the Intonation
of Imam Hussain's speeches
for his army and his family in AL TAFF Battle
(the last two speeches)

Instructor

Rafida Mansoor Al Hilou Ph.D.

Department of English Language and Literature
University of Mustansiriyah - College of Arts

Section One

The English Intonation

1.1 Definitions of the term (intonation): Roach (2010:19)"there is no definition which is completely satisfactory for intonation, but any attempt at a definition must recognize that the pitch of the voice has a very important role. In the normal speaking of any individual, the pitch of his voice is constantly changing".

Richards and Schmidt (2014:299) define it by saying that "when speaking, people generally raise and lower the pitch of their voice forming pitch patterns. They also give some syllables in their utterance a greater degree of loudness and change their speech rhythm.

1.2 Syllables: One of the most important units in the rhythm

of any speech is the syllable. According to Crystal (1988) and (2004), vowel and consonants do not act alone except in few words or word-like noises; these noises can stand alone in spite of being one sound as (I, eye, oh, m). Most of English words contain a combination of vowels and consonant, these combinations are larger than a single sound smaller than a word; these combined units are called syllables.

1.2.1 The structure of the English syllable: Napoli (1996), Kuiper & Allan (1996), Davenport & Hannahs (1998),

Abstract

The problem: Intonation is used to convey the psychological case of persons, through which we can understand the way of how that person think and whether he/ she is suffering from something or not. This study will show the intonation of Imam Hussain (AS) through his last speeches to his army and his family.

Hypothesis: The study hypothesizes that Imam Hussain's speeches are full of the whole kinds of tones' forms fall, rise, fall-rise, rise-fall, level.

Aim of the study: The present study shows the intonation of Imam Hussain (AS) through the battle between his army and the enemy's army in the Taff battle.

Limitations of the study: The present study analysis Imam Hussain's speeches only as the leader of the army of the Taff's battle. It is his last two speeches to his army and his family would be analyzed.

ملخص البحث

يهتم البحث الحالي بخطب الإمام الحسين عليه السلام وخصوصا الخطبتين الأخيرتين الموجهتين لجيشه باعتباره القائد في معركة الطف والموجهة لأهله أيضا. وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول والمقدمة.

الفصل الأول ويهتم بدراسة التنغيم الإنجليزي

الفصل الثاني يتناول التحليل التنغيمي لخطبتي الإمام

الفصل الثالث يقدم الاستنتاج الخاص بالبحث.

Analytical Study of the Intonation
of Imam Hussain's speeches
for his army and his family in AL TAFF Battle
(the last two speeches)

Instructor

Rafida Mansoor Al Hilou Ph.D.

Department of English Language and Literature
University of Mustansiriyah - College of Arts

**دراسة تحليلية لتنظيم خطبتي الإمام الحسين (عليه السلام)
والموجهتين لجيشه وأهله في معركة الطف
(الخطبتين الأخيرتين)**

رافدة منصور الطو

قسم اللغة الإنكليزية
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

- Fairclough, N. (2001). Critical Discourse Analysis as a methos in social scientific research. In R. Wodak and M. Meyer (eds.) *Methods of Critical Discourse Analysis*, pp.121-36. London: Sage Publications.
- Halliday, M. A. K. (1964). *The Linguistic Sciences and Language Teaching*.
- Halliday, M. A. K. (1973). *Explorations in the Functions of Language*.
- Halliday, M. A. K. (1982). Linguistics in teacher education. *Linguistics and the Teacher*, 10-15.
- Halliday, M. A. K. (1985). 1994. *An introduction to functional grammar*, 1-32.
- Halliday, M. A. K. (1990). *New Ways of Meaning: A Challenge to Applied Linguistics*.
- Halliday, M. A. K. (1993). *Language in a changing world: Applied Linguistics Association of Australia*. [11] Halliday, M. A. K., & Martin, J. R. (1981). *Readings in systemic linguistics: Trafalgar Square Publishing*.
- Halliday, M. A.K. (1994). *Language as Social Semiotic. Language and literacy in social practice: a reader*, 23.
- Halliday, M.A.K. (2004). *An Introduction to Functional Grammar* (3rd ed.). London: Longman.
- Haratyan, F. (2011). Halliday's SFL and Social Meaning. *2nd International Conference on Humanities, Historical and Social Sciences IPEDR vol.17* (2011) IACSIT Press.
- Holt, R. (2006). Approach to religious language. *Australian eJournal of Theology* 6.
- <https://www.al-islam.org/al-serat/vol16-summer-1991/ashura-lectures-1990-dr-ika-howard/lessons-martyrdom-imam-husayn>
- <http://ijtihadnet.com/imam-hussains-unique-sacrifice-humanity/>
- <http://www.afosa.org/section-table/57-ahlul-bait-articles/593-sacrifice-is-the-key-element-to-sustaining-any-ideology.html>
- Keane, W. (1997). Religious Language. *Annu. Rev. Anthropol.* 1997. 26:47-71.
- Raiser, k. (2013). *Religion, Power, Politics*. USA: WCC Publications.
- Turan, K. (2011). Language and Religion: Different Salience for Different Aspects of Identity. *International Journal of Business and Social Science* Vol. 2 No. 8; 1-12
 - Wodak, R. AND Meyer, M. (2001). *Methods of Critical Discourse Analysis*. London: Sage publications.

5. All articles uses antonymous and contradictory expressions between martyrdom and survival to represent the ideology of Imam Hussein (AS) in which death due to sacrifice does not necessarily means end of life but rather it is a blessing issue since Imam Hussein message from his martyrdom is the survival of Islam and Muslims and mankind.
6. All most all the articles involve collocations such as "sacrifice, "opposition to injustice", "up, survival, victory and keeps going" "goodness, blessings and renewed", "ignorance, tyranny and oppression", human rights, truth and injustice". Clearly that the use of such collocations stands for the ideologies of Imam Hussein's (AS) mission and ideologies.
7. The three meta-functions accumulated each other to represent the ideologies of Imam Hussein (AS) since the language used in the articles is effective and influential discussion different minds and directed to all people and societies to be a global sacrifice.

REFERENCES

- Baker, W. & Bowei, D. (2010). Religious Affiliation as a Correlate of Linguistic Behavior. *University of Pennsylvania Working Papers in Linguistics*, 15 (2).
- Bilal, H.A. (2012). Analysis of Thank You M'am: Halliday's Metafunctions. *Academic Research International* ISSN-L: 2223-9553, ISSN: 2223-9944 Vol. 2, No. 1.
- Charles A. E. (1913). The Social Function of Religion. *American Journal of Sociology* Vol. 19, No. 3 (Nov., 1913), pp. 289-307 (19 pages) Published by: The University of Chicago Press.
- Croucher, S. M., Zeng, C.; Rahimi, D. and Sommier, M. (2017). *Religion, Culture, and Communication. Communication Theory, Communication culture*. Religious Language Webb Keane Department of Anthropology, University of Pennsylvania 191 Annu. Rev. Anthropol. 1997. 26:47-71 Online Publication Date: Jan 2017 DOI: 10.1093/acrefore/97801h90228613.013.166
- Fairclough, N. (1995). *Critical Discourse Analysis*. London: Longman.

function	Mat. (6)	Men . (8)	Re. (6)	Be. (0)	Ve. (2)	Ex. (6)
Interpersonal	Declarative (indicative)					
Textual	Referencing, ellipsis, Conjunctions, collocations, Lexical cohesion.					

Table (2): Summery of analysis

B- Conclusions

From the analysis carried out for the data selected, the following conclusions are arrived at:

1. From the analysis of the articles selected, it is clear that writers tend to use mental calsuses frequently to state that sacrifice has its achieved its own goals through people's minds and attitudes. It is an everlasting ideology that has its effect on the generations.
2. Articles dealing with Imam Hussein's (AS) Martyrdom, involve using three processes equally (material, relational and existential) and this implies that Imam Hussein's (AS) sacrifice took its place actively and fulfilled the mission Imam (AS) intended from. Further, the relational processes are beneficiary in these articles to elaborated the meaning of sacrifice itself and its great effect of people. The use of the existential process has its own importance since it states that the sacrifice of Imam Hussein (AS) is present in our life and for ever since it has valuable lessons.
3. They use basically logical connectors to show the great sacrifice of Imam Hussein (AS) and the relatedness of its ideology to our life.
4. The articles show that dealing with Imam Huseein's sacrifice and ideologies is not devoted to Muslims or even to Shia but rather it is devoted to mankind.

the ideology intended from this relational process. The following clause " it is amoral" again is relational attributive describing Imam Hussein's (AS) martyrdom. The clause "it teaches" represent a material process in which the goal is "sacrifice" and "opposition to injustice". Another clause is given including a repetition of the same structure "it teaches..."and more goals are given due to the Martyrdom of Imam Hussein (AS) "love, family, gentleness and bravery". Again the idea that despite martyrdom means end of life; writers confirm the point Imam Hussein's (AS) martyrdom is necessary for mankind. The clauses are all declarative indicative (interpersonal function) and include different cohesive devices such as conjunctions, repetition and collocations (textual function).

Extract (2):

In fact, in the account of the tragic journey and martyrdom of Imam Husayn, there are lessons in all the moral virtues. Perhaps the one that strikes most of us most forcefully, is our own inadequacy in comparison with the enormous sacrifice Imam Husayn made on behalf of mankind."

This extract involves existential process "there are" and relational process the one...is our own ...". These two clauses shows the relation between normal people like (us) and Imam Hussein (AS) and the description of his sacrifice as "enormous" Again in this extract like other extract a reference is made to "mankind" in correlation with the idea that Imam Hussein's sacrifice is for all people. The personal pronouns "us" and "our" refer to all people. This extract is in the declarative indicative form and include the logical connector "and" and "with" to show the relations between the clauses since all talking about the sacrifice of Imam Hussein's (AS) ideology. The three meta-functions work together to bring about a clear vision on the lessons intended from Imam Hussein (AS). The table below summarizes the analysis carried out:

Ideational	Transitivity system
------------	---------------------

The logical connector "Therefore", concludes the idea behind the sacrifice and martyrdom using the material process in which the actor is "the martyr", the process verb "brings", the circumstances "always" and the complement "goodness, blessings, and renewed life" and the recipient "to the community". The clauses are indicative directives representing the interpersonal function and the collocations represents the textual function. Again, the contradictory expressions between martyrdom and survival manifest the ideology of Imam Hussein (AS) in which he (AS) gives us lessons that death is not necessarily means something bad but rather it is a blessing issue since Imam Hussein message from his martyrdom is the survival of Islam and Muslims. The collocations "goodness, blessings and renewed life" all represent the optimistic side of sacrifice.

Article 3: Lessons from the Martyrdom of Imam Husayn

Extract (1):

"The tragedy of Karbala', the martyrdom of Imam Husayn, is one of those events of cosmic significance. Its lessons concern not just one group of men and their relationship to the world, but all mankind. It is a moral paradigm. It teaches sacrifice and opposition to injustice: it teaches integrity of purpose, love of family, gentleness, and bravery.

This extract begins with a relational process in which Imam Hussein (AS) is the carrier, the relational verb to be "is" and the attribute "cosmic significance". The second clause begins with the personal pronoun "it" which refers back to "cosmic significance". The material process begins with the participant in which a direct reference is made to Al- Taaf issue through relating both expressions "The tragedy of Karbala" followed by "The Martyrdom of Imam Hussein", the verb to be "is" shows the state of being in which the reference is made to "cosmic significance". The following clauses in this extract are all relational. This extract indicates that Imam Hussein is not for Muslims only but rather for all mankind. The use of the conjunctions and logical connectors manifest

Extract (2):

"Martyrdom has brought us up and is the source of our survival, and the reason for our victory and keeps us going. This is very important to be cognisant of. There is nothing more phenomenal for us Shia, than Muharram and remembering the supreme sacrifice of the martyrdom of Imam Hussain (a.s) in Karbala. This is our shelter and source of inspiration. Therefore, the martyr, through giving his life, always brings goodness, blessings and renewed life to the community."

This extract begins with a mental process in which the sensor is "us", the phenomenon is "martyrdom" and the circumstance "up". The conjunction "and " is used (4)times in this clause to connect another clauses to the first one elaborating the benefits of sacrifice through martyrdom. Again the use of the references "our" and "us" are used twice with different collocations "up, survival, victory and keeps going", This sentence involve different clauses almost all in the existential process referring to the point that martyrdom carrying a contradictory meaning because despite it refers to death and ends of one's life, here it is used to imply survival and victory.

Another existential process is used in the following sentence "there is nothing..." followed by the time deixis "Muharam" to refer to the mthe battle of Al- Taaf took place. The specification in this extract is presented through the reference "us' followed by the complement" Shia". The verb "remembering" is mental verb and hence the mental process involve the sensor "us" and the phenomenon "the supreme sacrifice of Imam Hussein (AS)...". Further, the circumstance "Karbala" refers to the place where the whole ideology of issue took place. The extract involves an existential process providing more descriptions for the ideology of sacrifice through considering it as "shelter and source of inspiration".

starts from something basic, but reaches its climax when it atus of martyrdom."

This extract begins with a Quran verse formulated of a mental process in the passive voice in which the sensor (people) is ellipsis and the complement including the noun "sacrifice" elaborates the phenomenon achieved "progress". The writer uses this verse intentionally to refer to the issue of sacrifice through referring to a verse from holy Quran. Then in the extract, the writer uses a verbal process in which "Holy Quran" is the sayer, the verb "explain" and the vibrage "that the spirit of sacrifice...". In addition, the relative clause contains existential processes "was" and "were". Further, the writer uses the circumstance "Madina" to show that sacrifice is related back to the Islamic society long time ago. Two antonymous circumstances are used "very first" and "now" the point of using this two deixis in addition to the relational clause in "sacrifice was a hallmark..." is to show that the ideology of sacrifice is an existential situation since ever and to the present day. These lines imply hidden reference to Imam Hussein (AS) through using the personal deixis "those" and the relative clause "who were in better position...". The following clause begins with the time deixis "Now" to put more emphasis on the ideology of sacrifice itself. The clause contains a logical connector "but" in relation to two collocation verbs "start" vs. "reach" to refer to sacrifice through martyrdom. Again this extract prepares for the martyrdom of Imam Hussein (AS) and his sacrifice. The ideational function hence included different processes. The interpersonal function is presented in the extract through using the indicative declarative clauses that add more information concerning the ideology of sacrifice. As far as the textual function, the writer uses references, substitutions and ellipsis, logical connectors and cohesive devices in this extract.

sacrifice in only few words and specifically "three words" only and these words are "arousing the consciousness" is a complement showing what exactly the message of sacrifice and its hidden ideology. Further, another clause is given in the extract again refereeing to the strategy of sacrifice using the relational process "this strategy is elaborated upon..." again more clarification is given for the consequences of sacrifice strategy and its effects not only on the individuals but on the society as a whole. The ideational function in this clause represented through mental, verbal and relational processes identified through the verbs "*revive, feel, awaken, think, restore, give*". Further, the clause involves an obligation modulation to the carriers and sensors "the people" in addition to using the personal pronouns "*them, themselves, and their*" to refer to them as well as to their feelings and duties. The clause also involves collocations such "*capacity, power, courage and conscience*". In sum, the ideational function represented through different processes, the interpersonal function represented through the usuality and obligation and the textual function represented through the cohesive devices such as collocations and powerful words all stand for the ideology of sacrifice and how Imam Hussein (AS) could direct his mission to the generations. The clause does not involve specifically Muslims but rather involve all people in the society. Moreover, this extract shows what lies behind the sacrifice strategy itself.

Article (2): Sacrifice is the Key Element to Sustaining and Ideology

_Extract (1):

"PROGRESS IS ONLY ACHIEVED THROUGH SACRIFICE

The reason I am highlighting this verse is because the Holy Quran explains that the spirit of sacrifice was a hallmark of those who were in a better position, in establishing the very first Islamic society in Madina. Now, this spirit of sacrifice

complete transformation of the society. This strategy is eloquently elaborated upon by Ali Naqi Naqvi (A Martyr for Mankind, trans. by S. Ali Akthar and I. K. A. Howard, London: Muhammadi Trust, 1986): "to revive in the people the capacity to feel, awaken in them the power to think for themselves independently, and restore to them the courage to give free expression to the dictates of their conscience."

The first clause begins with a material process including the actor "Imam Hussein (AS)", the verb "Opted for", the object "unique strategy of sacrifice..." and the complement including the relative clause "that would ...". The material process here shows right from the beginning that Imam Hussein (AS) was a man of action his words really meant what he intended to do. The use of the referential relative clause to show the inclination and modalization in which usuality represented in the modal verb "would" to show the consequences of the action. This modality is supported with the adverbials "powerfully" and "effectively". These two adverbs stand as a collocation of the noun "sacrifice" used in the clause. This lexical cohesive device plays a very important role in describing the of the sacrifice. The reference "his" stands for Imam Hussein (AS) and the word "mission" describes his action considering it a mission. This ideational function in this clause involving the material process explains clearly that Imam Hussein's (AS) ideology of sacrifice was both powerful and effective as being part of another material process through the action verb "achieve" The interpersonal function presented through the modality showing that Imam Hussein's (AS) sacrifice has only one path which is usually powerful and effective to influence the population.

The second clause "it can be summed up..." begins with the personal pronoun "it" to refer back to the "strategy of sacrifice" in which the writer elaborates its importance. The use of the modal verb "can" with the mental verb "summed up" shows the ability to put the whole great meaning of

the world and the collocation "few people" followed by the relative clause "who have left indelible foot stand prints". This introductory prepares for two important aspects including "sacrifice and leadership" and direct the message to be of concerning to the whole world. The second clause represents an existential process denoting the influential position of Imam Hussein (AS) and his sacrifice. Further, the clause indicates a relational process in which "these people" is related back to "few people of yore" in the previous clause. Again the point is that Imam Hussein's (AS) sacrifice is valuable and this is simplified through the personal relative clause "*whose supreme sacrifice*" the relational process here stands for the real description of the Imam's (AS) sacrifice. The use of the conjunction "against" specifies the message of sacrifice and the purposes intended from it. This clause is written cleverly to involve collocations which are synonymous and antonymous.

The words "ignorance, tyranny and oppression" are collocations that justify why sacrifice is needed; while the second collocation involve "tights, truth and justice" to refer to what ideologies are really lay behind the sacrifice strategy itself. The use of the modal verb "will" with the negative form "never be forgotten" represent a mental process indicating that Imam Hussein's (AS) sacrifice is an everlasting ideology. Finally the use of the conjunction "from"" represents exactly who are included in the message and hence the sensor "human". This clause involves a passive voice. All in all the three meta-functions work together to represent Imam Hussein's (AS) ideology of sacrifice and together direct the reader to the specific ideologies learned from Imam Hussein (AS).

Extract (2):

"Imam Hussain opted for the unique strategy of sacrifice that would powerfully and effectively achieve his mission. It can be summed up in three words – "arousing the consciousness" of Muslims and in the process bring about a

3. Identifying the processes in the clauses according to the transitivity system.
4. Identifying mood, modality and personal pronouns in the clauses.
5. Setting out the themes in the data through identifying the cohesive devices
6. Describing, interpreting and explaining the data according to Fairclough's approach of CDA.
7. Drawing conclusions.

A- Analysis and Discussion

Article (1): Imam Hussein's Unique Sacrifice for Humanity

Extract (1):

"The contemporary world, its socio-political structure and civilizational growth, owe a great measure of gratitude to sacrifice and leadership of a few people of yore who have left indelible foot prints on the sands of time. Imam Huseein's name stands out among these people as one whose supreme sacrifice against ignorance, tyranny and oppression, and to uphold human rights, truth and justices will never be forgotten from human memory".

The meta-functional approach is related to the functional side of SFL and each meta-function has a principle system needed for the analysis of the data. The first article which is entitled "*Imam Hussein's Unique Sacrifice for Humanity*", involves different processes, moods and themes that identify the three meta-functions (ideational, interpersonal and textual) needed for exploring of Imam Hussein's (AS) ideologies. The first clause contains the verb "owe", the sensor is the "world, its soci-political structure and civilization growth" and the phenomena which is "sacrifice and leadership". This clause represents a mental process (ideational function) which is indicative declarative (mood, interpersonal function) and including the cohesive devices: the reference "its", referring to

Table (1): Details of Halliday's meta-functions

Ideational function	Transitivity field (material, relational, mental, verbal, behavioral, existential processes)
Interpersonal function	Mood (Statements, questions, requesting, commanding, offering)
Textual function	Theme Cohesion (referencing, substitution and ellipsis, conjunction, lexical cohesion)

Fairclough (1995) states that Halliday's SFL and the transitivity system represent the underlying ideologies in the text and it is the purpose of this paper to identify the ideologies of sacrifice in Imam Al-Hussein through the analysis of some selected articles using Halliday's three meta-functions.

V. Methodology and analysis

The data selected in this paper involves (3) articles talking about the martyrdom of Imam Hussein (AS) and his sacrifice implying certain political, social as well as religious ideologies. From each article two extracts are selected for analysis and the total number of extracts in this paper is (6). The data is selected on the certain criteria involving: the theme (lessons learned from Imam Hussein (AS) Sacrifice) and the sources of the article (from Muslim websites).

The model adopted for the analysis is an eclectic model involving Fairclough approach of CDA (2003) who adopts Halliday's (1995) three meta-functions. The analysis is carried out through two methods: identity (examining the reference of particular linguistic terms) and distributional (constituent analysis of the text) (Sudaryanto, 1993:13).

To achieve the aims of this paper, the analysis is carried out through the following procedures:

1. Coding the data into extracts.
2. Breaking up the sentences into clauses.

concerned with social problems and how the linguistic structure formulate meanings that are hidden in the text (Fairclough, 1995; Richardson, 2007; Wodak & Meyer, 2001).

Tenori (2011: 190) state that Fairclough is a key figure of CDA and his approaches which were developed in the years 1989 and 1995 concerning language, power and ideology have been very influential considering language as "social process, part of the society, and socially conditioned" (Al-mnaseer, 2014; Fairclough, 1989: 29; Wodak & Meyer, 2009). Further, Fairclough set three levels of analysis for CDA including: description level (The formal properties of the text including vocabulary, grammar and textual structure); the interpretation level (processing analysis by which the object is produced and received; and the explanation level (the social analysis means the socio-historical conditions which govern the process) (Fairclough, 2001: 22; Janks, 1996).

To complete his own theoretical framework, Fairclough adopted Halliday's (1985,1994,2004) SFL since it does not provide clear cut description of words and sentences but rather it tackles longer texts. In SFL, Halliday set three meta-functions of language: ideational, interpersonal and textual (Halliday, 1973,2004,2007). The ideational function refers to the content of the language realized basically through the transitivity system (situations, events, entities, actions and processes involved) (Bilal, 2012:726). The interpersonal function refers to the "participatory function of language" which means it deals with text cohesive and coherent devices and it interprets social as well as power relations among the participants (Halliday, 1981; Halliday as cited in Bilal, 2012: 726, Haratyan, 2011). Finally, the textual function deals with the thematic structure which is concerned with theme and rheme. For Halliday (1981:330) "theme includes the message in a text, indicating the identity of text relations". To put the three meta-function in details the following table has summarized each function related analytical aspects:

well as functional aspects. In Raiser own words, "*both are expressions of faith, both involve an identity with and a loyalty to a large community and both insist on the ultimate moral legitimacy of the authority invested in the leadership of that community*" (2013:12).

Whether religion has its roots in cultural background, society, individuals or politics; using it tends to depend on the use of certain resources that differentiate religious language from every day talk. Keane (1997) refers to the distinctiveness of religious language in that both semiotic as well as pragmatic features define religious language in terms of interactions, textual and contextual practices and situations. These features are controlled by questions such as "*By what means can we, and in what manner ought we, talk with invisible interlocutors? How can we get them to respond? How should we talk about them? By what marks do we know that some words originate from divine sources? Are these words true, fitting, efficacious, or compelling in some special way?*" (Keane, 1997: 48). Such questions interpret the relationship between performance, text and context and also the relation between experience, practices and culture and give religious language its own distinctive feature to be effective in the past and the future (ibid.). In sum, this paper sets more questions on the relation between language and society and how the linguistic features play an essential role in presenting and interpreting religious messages to the individuals simplified through the martyrdom of Imam Hussein (AS) and his ideology of sacrifice.

III. Critical Discourse Analysis and Halliday's Meta-functions

Dealing with a text in which power, discourse interplay together means a CDA should be carried out (van Dijk, 1993:249). The view that "language both shapes and is shaped by society" involves a deep meaning for whatever text is being put under the spot. Particularly, CDA is mainly

Language itself as a means of communication is the medium through which any religion can perform its function since language is functional (Halliday, 1994). Accordingly, this paper investigates the functionality of the religious language used in some selected articles on Imam Al-Hussein martyrdom to uncover the ideologies of sacrifice represented in these articles. In sum, the paper intends to answer two questions:

1. What are the linguistic devices used to represent Imam Hussein's (AS) ideology of sacrifice?
2. How do the articles interpret the relationship between religion and ideology?
3. How the ideology of sacrifice in Imam Hussein (AS) creates a powerful indication?

II. Religions and Ideological Perspectives

Croucher *et al.* (2017) believe that religion plays a major role in human condition and accordingly different studies have been carried out to examine the influence of religious beliefs on people's sociological and psychological state. Religions and their major ideologies and beliefs have always been debatable. This is in part related to the fact that some studies linked religious beliefs to their cultural beliefs and background; while other studies considered religion as a culture by its own. Further, the relation between religion and culture depends on the way individuals understand and conceptualize religion and cultural beliefs (Croucher *et al.*, 2017).

Another aspect which is closely associated with religions' beliefs is politics. Raiser (2013:11) states that recently, many conflicts in the world are associated with religions in which the protagonists legitimize their policies depending on "*religious values or by stirring up religious passions and loyalties*". This relationship is related back to the attitudes and beliefs religions have on the communities. This relation between ideology and religion have very close structural as

A Critical Discourse Analysis of Some selected Articles on Imam Hussein's (AS) Ideology of Sacrifice

Dr. Farah Abdul-Jabbar Almnaseer

Al-Mustansiriyah University - College of Arts
Department of English Language and Literature

I. Introduction

Generally speaking, every religion has a message and this message has its own language. Therefore, the relationship between religion and language is very strong and is an important field of research. Rahimi and Hematiyan (2011: 1) state that, "*Today's modern world, besides its complexities and due to its diverse and intense relationships among different cultures, countries, and people, definitely has special relationships of attitudes and religion within and between people of societies*". The interplay between language and religion falls under sociolinguistic studies and therefore, many linguists and researchers gave the topic a special interest to undergo studies on language and religion and their effect on the society (Baker & Bowei, 2010; Holt, 2006; Turan, 2011).

For Baker and Bowei (2010:2) social factors such as gender, ethnicity, professional aspirations and socio-economic status have their own influence on the linguistic choice. In other words, such social factors control specifically linguistic choices such as lexical, phonological as well as syntactic features. Further, they (2010) believe that religion is one of the most important social factors and is considered as basic in sociolinguistic research. In Baker and Bowei (2010:2) own words, "*Religion has certainly been found to correlate with language change and use in areas where religious affiliation overlaps with one's ethnicity*".

Abstract

Religions paly a very important role in changing people's opinions and attitudes through presenting certain ideologies simplified through holy characters. This paper intends to examine critically the linguistic devices used to reveal the ideology of sacrifice in some selected articles on Imam Hussein's (AS) martyrdom. The aim of the paper is to identify the linguistic devices used to represent specifically the ideology of sacrifice in the selected articles and how these ideologies can be direct messages to the Muslim and even non-Muslim generations. The study is conducted through the critical discourse analysis approach in which Hallidays' (1985) three metafunctions (ideational, interpersonal and textual) are examined to get valid and reliable results.

ملخص البحث

تؤدي الأديان السماوية دورا مهما في بلورة آراء وتوجهات الشعوب من خلال تقديم عقائد معينة تجسدها شخصيات دينية مقدسة. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأدوات اللغوية المستخدمة لعرض عقيدة التضحية بشكل خاص لدى الإمام الحسين (عليه السلام) في مقالات مختارة وكيف انه هذه العقيدة تمثل رسالة مباشرة للأجيال من المسلمين وغير المسلمين. وقد اعتمدت الدراسة على نظرية التحليل النقدي للخطاب لهالدي (1985) من خلال تطبيق الوظائف اللغوية الثلاث (الفكرية، الشخصية والنصوص) للحصول على نتائج صحيحة وموثوقة.

A Critical Discourse Analysis of Some selected Articles on Imam Hussein's (AS) Ideology of Sacrifice

Dr. Farah Abdul-Jabbar Almnaseer

Al-Mustansiriyah University - College of Arts
Department of English Language and Literature

key words: Critical discourse analysis, Imam Hussein (AS), Ideology, Meta-functions, Sacrifice.

تحليل الخطاب النقدي لمقالات مختارة عن عقيدة التضحية لدى الإمام الحسين (عليه السلام)

م.د. فرح عبد الجبار المناصير

قسم اللغة الإنكليزية وآدابها
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: التحليل النقدي للخطاب، الإمام الحسين (عليه السلام)،
الأيدولوجية (العقيدة)، الوظائف الكبرى، التضحية.

- ⁶ Cited in Taimi Anne Olsen, *Transcending Space: Architectural Places in Works by Henry David Thoreau, E.E. Cummings, and John Barth*, (Pennsylvania: Bucknell University Press, 2000), 42.
- ⁷ Yi- Fu Tuan, *Space and Place The Perspective of Experience*, (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977), 179.
- ⁸ For biographical notes on Sayyda Zainb and Ashura events see also Shake Hassan Al Adway Alhamzawy, *Nafahat Nabwya Fi Fadail Ahsorya (The holy Prophet Household biographical Notes on Ashur Series of Events)* *النفحات النبوية في الفضائل العاشورية* edited by Ahmed Fared Almzydi, (Cairo: Dar Al Kotob Al Ilmiyah, 2016). Abraham Hussein Baghdadi, *Zainb Bint Ali Faid Al Nubuwa and Atta Immama زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الامامة (The Holy Prophet's Blessings on Zainb Bint Ali and the Grace of the Imams)*, (Baghdad: Alalmi Publishing House, 2010).
- ⁹ Fadwa El Guindi, *Veil: Modesty, Privacy and Resistance Dress, Body, Culture*, (Indiana University Press 1999), 20-89.
- ¹⁰ Scott T. Alison, George R Goethals, Roderick M. Kramer, *Handbook of Heroism and Heroic Leadership*, (New York: Routledge Taylor & Francis, 2017), 147.
- ¹¹ Scott T. Alison, George R Goethals, *Heroes: What they do and why we need them*, (New York: Oxford University Press, 2011), 171.
- ¹² Ibid., 168.
- ¹³ Ingvild Flaskerud, *Visualizing Belief and Piety in Iranian Shiism*,(London: Continuum International Publishing group, 2010), 76.
- ¹⁴ Yonah Alexander, Dean Alexander, *The Islamic State: Combating The Caliphate Without Borders*, (New York: Lexington Books, 2015), 41.
- ¹⁵ In 2013, Mladove was appointed as United Nations Secretary- General Ban Kimoon's special representative and the Head of United Nations Assistance Mission for Iraq.

antiislamists media of our age. A message that shows Muslim women are not the reactionary possessions of their men but the liberal fighters for truth and their religion. Also this paper is an attempt to bridge past and present in political history with shedding light on the real image of Muslim women as a reaction to all distorted images of the Muslim woman presented by antislamist. The character of Sayyda Zainab al-Kubraa (Peace Be Upon her) defies all stereotyping of Muslim women.

On 9 July 2017, the Iraqi Prime Minister dressed in a military uniform arrived in Mosul to announce the victory over ISIS. While Iraqi troops were still mopping up the last pockets of resistance and could be facing guerrilla attacks for weeks, the military began to savor its triumph in the shattered alleyways of the old city, where ISIS put up a fierce last stand. Several squadrons of Iraqi helicopters flew over Baghdad carrying Iraqi flags for a victory parade.

We owe this victory to the people sacrificed their lives for the religion of Islam. Each man and women was inspired by the Holy Prophet family, heroes of all times. Sayyda Zainab speaks to our own age presenting a legendary boldness and courage that has been an inspiration to all women and men in Muslim countries. We need heroes because they define our aspirations. We cannot disconnect the concept of heroism from morality; we only call heroes those whom we admire and wish to imitate. We largely define our ideals by the heroes we choose and these ideals like courage, honor, and justice define us. Choosing Sayyda Zainab as our heroine is because she is a symbol for us of all the qualities we would like to possess mainly boldness and courage.

¹ Muna Haeri Bilgram, *The Victory of Truth The Life of Zaynab Bint Ali*, (Carolina: Lulu Press, 2014),30-50.

² Isabel Coleman, *Paradise Beneath Her Feet: How Women Are Transforming the Middle East*,(New York: Random House Publishing, 2013), 244.

³ Ibid., 32.

⁴ Kamran Scot Aghaie, *The Women of Karbala: Ritual Performance and Symbolic Discourses in Modern Shii Islam*,(University of Texas Press, 2009), 30-56.

⁵ Yi- Fu Tuan, "Space and Place: Humanistic Perspective" in *Philosophy in Geography*, eds. S. Gale and G. Olsson, (Dordrecht: Reidel Publishing Company, 1979), 387.

In a five-minute video, which was released by the “press office of the province of Nineveh [the region around Mosul]”, begins with a Qur’anic verse on idol worship. An Isis representative then speaks to the camera, condemning Assyrians and Akkadians as polytheists, justifying the destruction of the artefacts and statues. The man describes the Prophet Muhammad’s destruction of idols in Mecca as an example. Isis militants then smash the statues in the Mosul museum with hammers and push them to the ground, watching them break into tiny fragments. Some footage shows a man dressed in black at a nearby archaeological site, inside Mosul, drilling through and destroying a winged bull, an Assyrian protective deity, that dates back to the 7th century BC.

Islamic State was conducting a war on ancient history and the right of future generations of all ethnicities and religions to the material memory of their ancestors. The destruction of the priceless treasures comes days after Isis kidnapped 220 Assyrian Christian villagers in north-eastern Syria. They starved and enslaved members of the Yazidi minority in Iraq. This was a crime against Iraq’s cultural heritage and against Islam.

Among those who fought such vicious enemies of the world and tyranny are Iraqi Muslim women. ISIS publicly executed a leading lawyer and human rights activist in Iraq as well as female physicians. Militants kidnapped and tortured Samira Saleh al-Nuaimi for five days before executing her. She is the lawyer who faced them and said a very bold NO to tyranny and ISIS crimes. The female doctors were also executed publically for refusing to obey ISIS instructions to stop treating their male patients. According to the Gulf Center for Human Rights, Al-Nuaimi had worked on detainee rights and poverty. Nickolay Maldenov, the U.N. envoy to Iraq delivered a statement on her death as he observed:

By torturing and executing a female human rights lawyer and activists, defending in particular the civil and human rights of her fellow citizens in Mosul, ISIS continues to attest to its infamous nature, combining hatred, nihilism¹⁵ and savagery, as well as its total disregard of human decency.

According to these women Islamic religious teachings, they were definitely inspired by Sayyda Zainb Peace Be Upon her. She is a model for all ages of boldness and courage. Also her character and life embodies a message to the current

“periodic eye” in which “images function as visualization of believe and piety in lived religion”¹³ Such visual- mental images affect the spectators and audience of many coming generations.

The impact of the character of Sayyda Zainab can be seen boldly in our own age. After centuries young Muslim girls still recite her sermons and Iraqi female human activists still say No to tyrannical powers and sacrifice their lives in a battle that a new Yazid tyranny is being created all over again. Islamic State is one of the darkest vicious forces of tyranny. By summer 2014 the declaration of Islamic State as a new caliphate shocked the world. ISIS achieved its substantial millstones in a short period through aggressive actions based on irrational violence and madness. ISIS leadership comprehends the potency of withholding water, irrigation, electricity, and food from subjects and enemies. In February 2014, ISIS took control over water and hydroelectric dams by taking Fallujah Dam situated on Euphrates River. In April 2014 they closed eight of ten floodgates of the Fallujah Dam to leave the cities of Karbala, Najaf, Babylon and Nasiriyah with little drinking water. Their goal was to create draught in Shiite holy cities.¹⁴ Karbala battle with slaughtering people, thirst and hunger was happening again. But they were stopped by the Iraqi forces attacked them and the floodgates were open again.

ISIS militants slaughtered people and children, destroyed history and enslaved women as sex slaves. ISIS looted Mosul’s central museum, destroying priceless artifacts that are thousands of years old, in the group’s latest rampage which threatens to upend millennia of coexistence in the Middle East. The destruction of statues and artifacts that date from the Assyrian and Akkadian empires, revealed the evil tyranny of dark forces that aims at attacking all aspects of culture and civilization. The birthplace of human civilization was destroyed.

As a heroic character, Sayyda Zainb becomes a part of the cultural construction of identity. Crossing over many dimensions of gender, race, class, and aesthetic values, her heroism becomes universal, one of the debatable concepts on heroism is how heroes are originally both constructed and contested by a specific cultural setting, time and place while they become a part of universal heroic culture that transcends local nuances. Heroism becomes a “metaphysical event” in which heroic action is transformative and extending away from the “physical body to distance beyond”.¹⁰ Consciousness drives the historical event to become deeply a regenerating event across both physical and spiritual aspects. As Allison has remarked “heroes stories help unlock the secrets of the transnational phenomena”.¹¹

Moral courage involves obviously two aspects morality and courage this kind of behavior is to protect moral values and standards and having the courage to face negative and sometimes tragic consequences. Heroism with moral courage is most needed as practical implications to the model social status required in the history of nations. Heroic altruism is essential to the survival of societies with the possession of exemplary traits, ordinary people will be encouraged to raise their voices and take action. In psychology mental images of heroes are called schemas or archetypes and they satay deep enough in the memory of the nation and encourage people to take the right moral stand. According to the psychologist Scott Alison, heroes shape us and influence the way we feel. They are shaping our feelings and behavior as inspiration is a dominant feeling invoked by our heroes.¹²

The battle of Kabala is a story of dramatic history, powerful emotions and courage. The narrative of the battle is characterized with visual signs. This develops a unique interaction between viewer –narrator. The way of seeing the battle can be only possible with a social group. Such groups are the interpretive communities. The battle is seen with

grandmother: “What else could I have expected from the progeny of he whose forefathers have eaten the liver of my forefather? This blood of my forefather run in theirs and the martyrs blood has nourished their flesh – what else could I have expected from such a progeny?” Such courageous discourse has been translated in different languages and found its way to the oral heritage of many nations. People recall this very sermon in majals of Azaa (Ashur mourning meetings). The story of Yazid’s grandmother eating the liver of the holy Prophet’s uncle, Haza is well known among Islamic historical records. The holy Prophet Muhammad (Peace Be Upon him) freed Yazid’s grandfather Abu Sufyan who became a captive for the troops of the holy Prophet in Badir battle. Sayyda Zainb speaks of this Yazid’s family debt.

Yazid and his subordinates are accused of forcibly taking the veil dress from the Prophet family to dishonor them after the battle of Karbala. Making the Prophet female family walk unveiled in Kufa markets and streets. But such attempts hugely failed. Sayyda Zainb dishonored Yazid exposing his hypocrisy through his sheer brutality of showing oppressive powers. She points out to Allah wrath that awaits those who enjoy worldly powers and who ride on wealth and ignorance. Fadwa El Guindi observes the historical significance of veiling in Islamic societies as it is a way of communicating the group identity and the individual sacredness of privacy.⁹ Veiling has become a device which should formalize communication and a means to combine one’s status and one’s group identity. Sayyda Zainb got all honor and Islamic nation respect not on account of her gender, nor because of her presence or absence of veil but through her courage and bravery.

She is the voice of truth as she sets the stage of revolution by keeping Imam Hussien’s message going on. Her ability to act despite grief and turmoil of her surroundings is emulated by all women. Muslim women believe they have given nothing comparing to her sacrifices.

become timeless and lie at the heart of the nation, showing an image of historic national rebellion, recalling the remote past in the present landscape. If we consider that the life of a nation is history recalled, then the landscape of the past can be seen as vital to the present one. The sense of place enriches the sense of time. As Yi-Fu Tuan observes, "Place as time made visible, or place as memorial to times past" brings to light the importance of the past in shaping human cultural identity.⁷ On such bases the significance of the character of Sayyda Zainab becomes an exemplary model of all times. Karbala becomes everywhere and the shrine itself tells about more Muslim women stories.

According to many historical records of one of the darkest eras in history, the captured family of the holy Prophet including Sayyda Zainab along with the heads of the martyrs of Karbala battle are taken into the presence of the illegitimate Caliph Yazid. He notices a woman who is encircled by other women and whose very appearance signifies defiance. Yazid lashes out asking who that arrogant woman is. The woman replies:

Why are you asking them? Ask me. I tell you who I am. I am Mohammad's granddaughter. I am Fatima's daughter. In the name of Allah, the most gracious, the most merciful, All praise due to Allah, the Lord of the worlds. May praise and salutations be upon my grandfather the Leader of Allah's Messengers, and upon his progeny... O Yazid Have you forgotten the words of God: Let those who disbelieve think that our giving them respite is good for their selves, We only give respite to them that they may increase in sins, and for them is a disgraceful chastisement.⁸

Sayyda Zainab's reply in the language of the Holy Quran is the language of the fearless triumphant party. Speaking to a tyrant who is gloating at his victory is the smartest way to lash out his vices and the sins of his forefathers. At this very meeting in her famous sermon, she reminds him of his family debt to her own holy family, reminding him of his

The modes of invoking Saydda Zainb are diverse: reading the attributing Arabic prayers and the use of type recorders to play South Asian elegies celebrating the battle of Kerbala.⁴ This resonating of modern technology and pre modern history shows the way that Islamic history lies at the core of our current life. The holy Prophet granddaughter is visited by people from diverse ethnic and religious backgrounds and nationalities. All recall the battle of Kerbala as Sayyda Zainb was the heroine of this battle and the courageous fighter against tyranny.

Sayyda Zainab shrine is connected to other mosques and shrines and it gained sacredness that has changed the geography into a space of worship that goes beyond limits of time and place. It is human culture that creates the sense of place by changing geographical space into cognitive values. Yi-Fu Tuan distinguishes between place and space on the basis of established cultural values:

Place incarnates the experiences and aspirations of people. Place is not only a fact to be explained in the broader frame of space, but it is also a reality to be clarified and understood in the broader frame of space, it is the people who have given it meaning.... The space that we perceive and construct, the space that provides cues for our behaviour, varies with the individual and cultural group.⁵

By doing so, Tuan also divides space and time. He states that:

From the security and stability of place, we are aware of the openness, freedom, and threat of space, and vice-versa. Furthermore if we think of space as that which allows movement, the place is pause; each pause in movement makes it possible for location to be transformed into place. Time creates change and this affects the concept of space.⁶

Accordingly the notion of place is related to time, in other words, place mirrors historically specific events. Place and time come together to determine national cultural values that

the principles of Islam. These teachings were remarked with eloquence and clarity. She was nicknamed Zahidah, a self-disciplined devoted woman. Peace Be Upon her.

For generations of women and men Sayyda Zainab has been an inspiration for being the deliverer of Imam Hussien's revolution message. Isabel Coleman in her study of the transformation of Muslim societies in the light of Western feminism, has noticed that female Muslim appeal to the character of Sayyda Zainab as a female icon is so strong because "she crosses over sectarian divides", both Shii and Suni women are attracted to her and the power of woman and bravery she represents.² Hence Sayyda Zainab's status plays a major role in our own age with its important issues of women empowerment. This is as crucial to the very basics of the development of Islamic feminism as a social need for women's rights and social justice. Islam is all about gender equality and this has been the case of all history. But Islamic texts has been misinterpreted to show misogynistic and cultural practices that oppresses women. According to Fatima Mernissi, a Moroccan sociologist and Islamic feminist, gender jihad scholarship has proved over Islamic history the great role of Muslim women fighting against oppression and tyranny.³

Visiting the shrine of Sayyda Zainab situated at the south of Damascus is an emotional experience that affects personal stands and the undertaking of social roles in life. That solemn shrine stands with its gilded dome, its ceiling and walls are glittering with mirrors. You cannot avoid a unique attachment with spiritual force that goes beyond the past and historical events to draw your stands in a changeable world where Islam is witnessing more political and social battles. We see ourselves in these mirrors and we may wonder how faithful we are to these principles of Islam for which Sayyda Zainab sacrificed her and her family lives.

Boldness and Courage
Of Zainb Al Kubraa (Peace Be Upon her)
from Karbala to Mosel
an Exemplary Model of all Ages

Dr. Tatheer Assim Faiq

College of Arts
Mustansiriyah University

Dr. Tala Assim Faiq

College of Arts
Mustansiriyah University

Sayyda Zainab had been prepared all her life for the fate of her and brother imam Hussien. She was ready to face her turmoil in Karbala than to be separated from her brother Imam Hussien. On the eve of the tenth of Muharam, Imam Hussien addressed his followers. He released them from any obligations, to turn to safety. Seyyda Zainab maintained tranquility while facing the tragedy of Kerbala with constant prayers and faith of the ultimate cause for which Imam Hussien's and his followers sacrificed their lives.

Sayyda Zainab was remarked as the "shinning sun" and a "piece of moon" by all people. She was liked in serenity to umm al Muminin Khadija, her grandmother. In chastity and modesty to her mother Fatima al- Zahra, in eloquence to her father Imam Ali and in bravery and tranquility of the heart to her brother Imam Hussein, in forbearance and patience to her brother Imam Hassan¹. Peace Be Upon them all. Her husband is Abdullah Jafar Tayyar who had been under the direct guidance and care of the holy Prophet.

Growing up in the house of the holy Prophet makes Seyyda Zainab an incarnation of all perfection: she has nobility, generosity, noble deeds, servitude, justice and all other perfect qualities. One of the best quality needed is boldness and courage as facing tyranny. In Medina she held regular meetings for women in which she shared knowledge of

Abstract

Growing in the house of the Prophet of Islam household makes Sayyda Zainab al-Kubraa (Peace Be Upon her) an incarnation of all perfection. One of the most perfect qualities that may actually be the most needed while facing malevolent tyranny is boldness and courage. Sayyda Zainab's actions and speeches at one of the brutal battles of Islam is an inspiration that shows how Al Taf battle still influences the course of history of both Muslim men and women. The psychological effects of this battle with the Islam Prophet's granddaughter, Sayyda Zainab's courage has changed the image of Iraqi women while facing ISIS (Daesh) in Mosel. This paper draws the main lines of such psychological effects on Muslim women and how this has shaped Islamic political history. Also the paper is an attempt to bridge past and present in political history with shedding light on the real image of Muslim women as a reaction to all distorted images of the Muslim woman presented by antislamist. The character of Sayyda Zainab al-Kubraa (Peace Be Upon her) defies all stereotyping of Muslim women. She speaks to our own age presenting a legendary boldness and courage that has been an inspiration to all women in Muslim countries.

Boldness and Courage
Of Zainb Al Kubraa (Peace Be Upon her)
from Karbala to Mosel
an Exemplary Model of all Ages

Dr. Tatheer Assim Faiq

College of Arts
Mustansiriyah University

Dr. Tala Assim Faiq

College of Arts
Mustansiriyah University

Revolutionary teachings of Imam Hussain (A.S.) in fighting against the ISIS Takfiri terrorism

Ph.D. Student

Yasir Ali Mirza

Centre for West Asian Studies

(Middle Eastern Studies)

School of International Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi, India

e-mail: yasser.mirza@gmail.com

The phenomenon of Islamic State of Iraq and Syria (ISIS), also known as al-Daesh, is new form of Takfiri terrorism which is hell bent on exterminating Hussaini tradition and philosophy. But the courage and valour shown by al-Hashd al-Sha'bi (Popular Mobilisation Forces, PMF) in resisting the Daesh's violent attacks over Iraq is certainly inspired by Imam Hussain's spirit of Jihad and Shahadat (Resistance and Martyrdom) in a true Islamic tradition. The role al-Hashd al-Sha'bi, which had been formed after the historic fatwa of Grand Ayatollah Sistani, in turning the dangerous tide of ISIS in the country and pulling it from the brink of collapse shows the importance of Marjaiyat and core revolutionary teachings of Imam Hussain when Imam had taught us 1400 years ago. On the sandy plains of Karbala on the bank of Euphrates (Foraat) Imam Hussain (A.S.) has taught us to die for truth and to resist against humiliation that exactly the glorious PMF has been doing in Iraq. My study will try to understand the origin and historical development of Takfiri terrorism and what revolutionary teachings of Syed al-Sohada Imam Hussain (A.S.) has inspired the al-Hashd al-Sha'bi (PMF), mainly the major Iraqi Shia groups within the umbrella organisation, to fight against them militarily and ideologically. The main argument of my research paper would be that Imam Hussain's revolutionary ideals are eternal in fighting against evil (baatil).

pieces, under circumstances the pathos of which is unrivalled in the history of the world.

One significant impact of Imam Husain's martyrdom was the tremendous impetus it gave to the various uprisings against social and racial discriminations, and against the highhandedness of the Umayyad monarchs, which culminated in the Abbasid Revolution, to which the tragedy of Karbala has provided immense life blood. The Abbasids expediently used the breeze of popular favour, for Husain and his House, for their own elevation. After Mukhtar's revolt (685 AD), 'mawalis' chiefly Persians constantly fought against Ummayyad hegemony using the movement as a means. The process continued during Abbasid regime. Zaid bin Ali, whose followers are known as Zaidis rebelled in 121 Hijri against Ummayid caliph, Hisham Abdul Malak. Subsequently Yahya bin Zayd rebelled against Walid and Mohd. bin Abdullah revolted against the Abbasid caliph Mansur-al Dawaniqi. "The tragic fate of Hussain and his associates" says the great historian Syed Ameer Ali, "sent thrill of horror through Islam; and revulsion of feeling it caused provided eventually the salvation of the faith".

One aspect of Imams Husain's career overshadows all others. He is the supremest representative in our history of virtue against brute force, of humanity and righteousness against arrogance of godless political power. Whenever a despotic government oppresses people; a brother of Yazid sits upon the throne; whenever a humble patriots strive for the salvation of the countrymen through sufferings and pain the spirit of the Prophet and his grandson is alive. The Karbala tragedy is too great to be mourned with tears. Those who really respect the Imam should be prepared to suffer as he has suffered for the cause of virtue, democracy and truth. This paper will examine the relevance of Imam's Husain resistance in modern times as well as the extent to which the followers of the Imam has adhered to speaking truth in the face of tyrant.

LEGACY OF IMAM HUSAIN'S RESISTANCE AGAINST TYRANNY:
ARE WE CARRYING THE TORCH ?

Assistant Professor
Dr. Syed Ali Kazim
Department of History
Aligarh Muslim University
Aligarh-202002 (U.P.) India
e-mail: syedakazim@gmail.com

For his greatest heroic martyrdom, Hazrat Imam Husain occupies the highest place among the Muslim heroes, who made the supreme sacrifice of surrendering their lives in the way of God. The sacrifice made by Imam Husain was actuated by a different motive altogether. It was a declared fight for a principle and a voluntary choice of death in preference to giving up the great cause of truth. Imam Husain clearly saw the fate that was staring him in the face, realized the inevitable consequences that must follow and knew full well that his life could not possibly be spared. And yet he deliberately made up his mind to sacrifice not only his own life, but also the lives of those who were dear and near to him and to risk humiliation for the members of his honoured household rather than deviate an inch from what he considered to be the only true and straight path of religious uprightness. He rightly believed that he was the true successor of the great prophet and had no doubt in his mind that Yazid had not the shadow of a claim to the khilafat.

Such was the spiritual and political setting in which Imam Husain embarked upon his great mission of emancipation of Islam from heresy and tyranny. No nationalistic hero could put up a better record. The forces of light and darkness met in the fateful field at Karbala. Ibney Zaid's terms were untold wealth with allegiance to Yazid or death. Husain refused to give allegiance but asked for leave to go away to some foreign land. Ibne Zaid did not agree. The little band of Husain was cut to

Altaf Sacrifices Constitute Support for Victories

**Proceedings
of
The Tenth International Academic
and
Cultural Forum**

**Held from
7-8 Nov 2018**

**President of Forum
Assistant Prof. Dr.**

Farida J. Dara